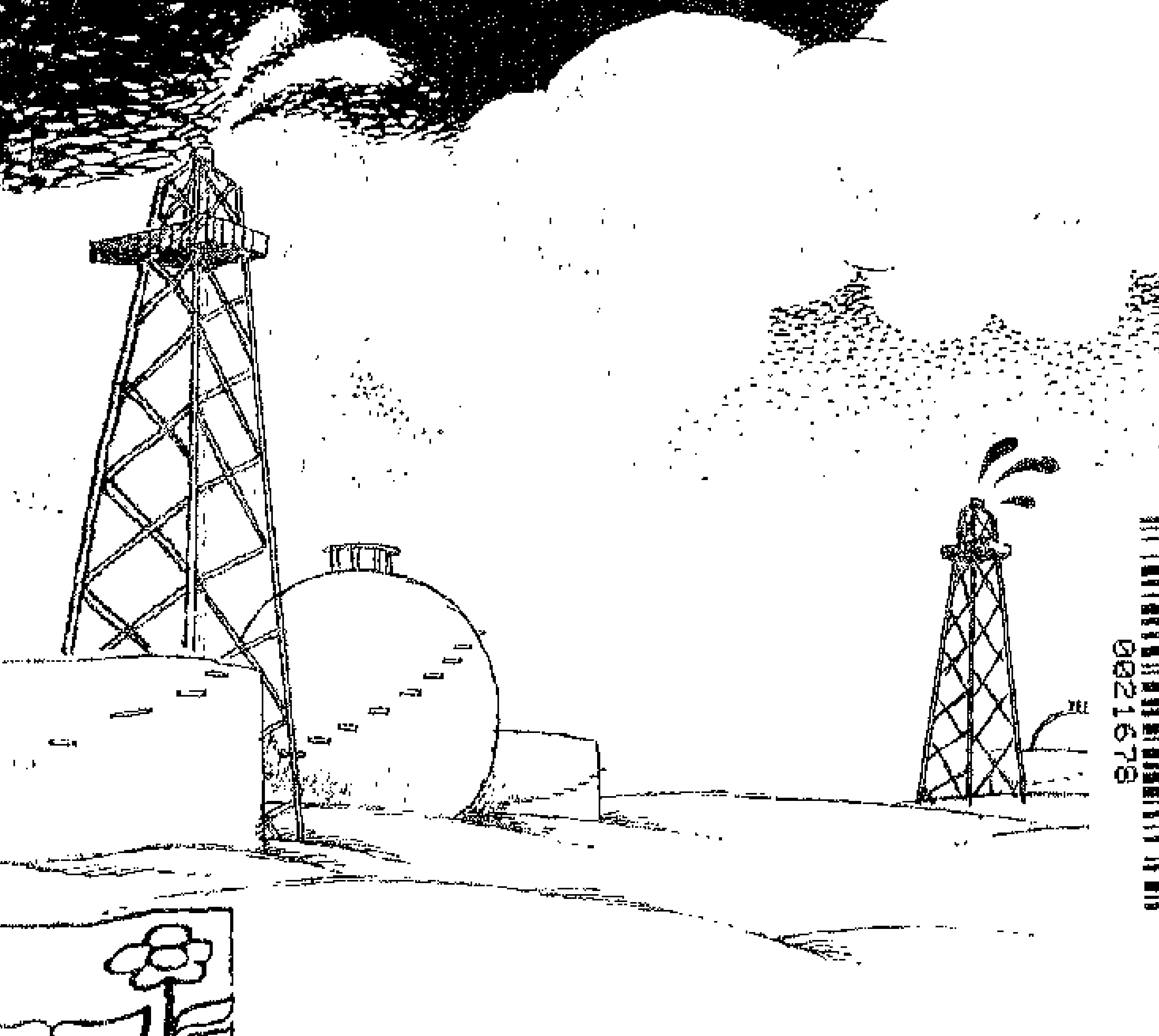
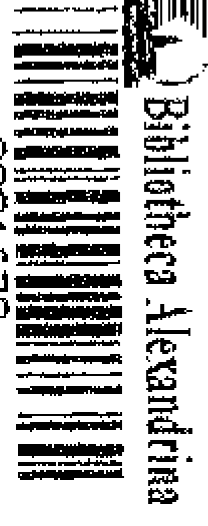
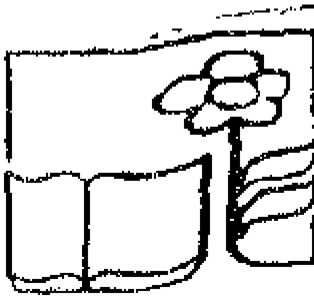
حمدان حمدان

الخليج بيننا

قطرة نفط بقطرة دم







الخليج بيّننا

حمدان حمدان

الخليج بيننا

قطرة نفط بقطرة دم

* الخليج بيتنا (قطرة نفط بقطرة دم).
* تأليف: حمدان حمدان.
* الطبعة الأولى ١٩٩٣.

* توزيع: بيسان للنشر والتوزيع ـ ص.ب ١٣/٥٢٥١ ـ بيروت ـ لبنان.

تقديم

نمطان تاريخيان لشق الطريق إلى النهضة .. أو بصيغة أخرى إلى مشاريع الحداثة والتطور .

ـــ نمط البسماركية القومية لتوحيد أمة عن طريق قطر القاعدة بقوة السلاح ، وهو نمط تاريخي بدا أن رياح الدهر جعلته غير قابل للتجدد .

ـــ ونمط الديمقراطية من حيث هي وعي لضرورة متماهية مع مستوى تطور تحتي لا تستطيع النفاذ من حدوده . ويقترب النمطان من حد الاستحالة بالنسبة لواقع عالمنا العربي اليوم .

النمط الأول يحتاج إلى بسمارك مع إعادة الساعة قرن من الزمان ، مع عالم يعيش ظروفه وشروطه .

والنمط الثاني يحتاج إلى ديكارت مع أساليب إنتاج آيلة إلى السقوط ، بحيث تفسح المجال لصدع مطلوب في جدار القديم المتداعي لصالح الجديد القادم . البسماركية استبعدت من هامش تسامح عالمي لأنها على النقيض من مصالح غرب لا يرى نجاحا لمشاريعه إلا في عالم ضعيف ممزق ..

والديمقراطية كانت تضرب في الخفاء ، حين يتم تعزيز أنظمة توتاليتارية في آسية وأفريقيا وأمريكا اللاتينية من قبل الغرب نفسه ..

في جميع الأحوال لم يكن العدوان على العراق بحاجة إلى ذريعة محددة ، وآخر ما

ضُرب العراق من أجله هو الكويت ، ولو لم تكن ذريعة الكويت ، لاصطنع الغرب كويتاً آخر لضرب العراق . بمفهوم الذرائع ، فإن الذريعة حاجة لا حقة والتفخيخ يجري لعلل سابقة عليه ، وليس أسهل من استعارة (مذبة) داي الجزائر ، وأحلام محمد علي باشا ، و(يمن) عبد الناصر للوصول إلى الكويت .

لماذا نُصب الفخ إذن ؟

لأن العراق كان ينوي الخروج من النفق .. مشروع الحداثة وتحدي الغرب ، ذلك هو عنوان حرب الخليج الأخيرة .. ويزيد من ضراوتها أن القطر المرشح للعب دور إقليمي ، قريب من النفط وقريب من إسرائيل بآن واحد .

فوق ذلك فإن العراق يشتمل على كميات محترمة من اليورانيوم ، ويجلس على أضخم احتياطي نفط في العالم ، والعلّة أن اليورانيوم في الشمال ، والاحتياطي في الجنوب .

إذن .. فلا الحقوق ولا الديمقراطية ، ولا الأكراد أو الشيعة .. ولا حتى كل شعب العراق وأمة العرب .. هو ما تُذرف الدموع عليه اليوم .

فالظاهرة التي أطلقها العراق ، هي ظاهرة الاعتراض على عدم التناسب في العدالة ، لا في إطار الخليج الموسر مقابل أمتة المعسرة فحسب ، بل في إطار التعامل مع مشكلات عالم عصرنا هذا .

ويستعير كتابنا هذا وقائع الخليج من الجميع ، لكنه يستنتج من نفسه ، فهو بذلك يرفض مبدأ الأخذ بالاستقلالية أو الحياد .

هذا الكتاب يريد أن يحتفظ لنفسه بثبات الموقع القومي . فحرب تخوضها الولايات المتحدة بكل أدوات همجيتها ضدَّ أي بلد عربي .. إذن فإن موقعي في الخندق المقابل .. ولا خيار ..

المؤلف

الفصل الأول

شيءٌ من التاريخ

ظل النهر ينساب من ينابيع عدن ليسقي الحديقة الوارفة ، ثم يخرج منها لينقسم إلى أربعة فروع ، ثالثها كان يسمى دجلة ، ويجري إلى الشرق من آشور ، أما الرابع فكان الفرات العاشق للمياه الدافئة .

من الأسطورة القديمة .

منطقة ما بين النهرين ، واحدة من أقدم المناطق التي أقام فيها الإنسان ، وتقول التنقيبات الحديثة ، بأن ثمة حياة هناك تعود إلى ما وراء مئة ألف سنة من ولادة المسيح ، وقد نشأت أقدم حضارات التاريخ في المنطقة ، وهي التي سيشكل انتقالها المتوارث أساس تطور المعجزة الاغريقية ، التي هي بدورها أساس تطور الغرب كله .

في التسلسل التاريخي المعروف حتى الآن ، فإن السومريين استقروا هناك قبل أربعة آلاف سنة من الميلاد ، ويشير الكتاب المقدس في صيغة مبهمة فيقول : (انطلقوا من الشرق ، ثم عثروا على سهل في بلاد شنيار (بابل) فاستقروا فيه) . أقدم شعوب

التاريخ ، أقامت أقدم حضارة في التاريخ ، فقد أقيم صرح حضارة تدين لها البشرية ، بالحروف المسمارية ، والكتابة وحساب الزمن ، ويقول التاريخ ، بأن هذه المرحلة من الحضارة الأولى ، امتدت حتى قرابة العام ٢٠٠٠ ق.م . حيث اجتاحتها امبراطورية العموريين الذين اختاروا بابل مركزاً لهم وهي كلمة ذات شقين : (باب وإيل) أي (باب الله) .

أما الاسم الذي تدين له تلك المرحلة (١٧٩٢ــ١٧٥٠ ق.م) فهو حمورابي ، صاحب أقدم تشريع في التاريخ ، والذي لا زالت نصوصه المحفورة على ألواح البازلت المعروضة في متحف اللوفر ، شاهدة على اقتباسات التشريعات اللاحقة ، هذا وقد نددت ايران حديثاً ، (بالمزاعم العراقية الخاطئة) المتعلقة بحق العراق في ملكية تلك الألواح ، بيد أن التاريخ لا يمكن أن يكون محايداً .

وطوال المرحلة الممتدة حتى القرن السادس قبل الميلاد ، أي موعد التاريخ مع المرحلة البابلية الثانية (نبوخذ نصر (الثاني ٦٠٥ــ٥٦٢ ق.م) ، فقد شهدت المنطقة هجمات عاتية من قبل أقوامها (الحثيون والكاسيون والآشوريون) .. لقد تمكن نصر الثاني ، من إزالة مملكة يهودا واحتل القدس (أورشليم آنذاك) ودمر المعبد في العام ٥٨٥ ق.م ثم سَبى مَنْ تبقى من علية القوم فيها ، وحتى اليوم لا زال اليهود ينظرون إلى العراق نظرة الحاقد التاريخي ، الذي يريد بعد مضي ٢٥٧٧ سنة ، أن يأخذ بثأره الآن فـ(**قرب أنهار بابل ، هناك كنا جالسين نندب ونحن نتذكر صهيون ــ التوراة**) حيث يؤدي اليهودي هذا النشيد أمام حائط المبكى حتى يومنا هذا .

كانت بابل في وقتها ، من أعظم حواضر الدنيا ، حيث كانت تمتد على مساحة وقدرها العراق وسوريا والأردن وفلسطين .. اليوم ، كما كانت بحدائقها المعلقة حول العاصمة ، إحدى عجائب الدنيا السبع .. أما قصورها وأماكن عباداتها ، فتأخذ بالألباب لكل زائر قديم وحديث .

في مرحلة لاحقة (٥٥٨ــ٥٢٨) يضم قورش الثاني الكبير آسيا الصغرى بأسرها

ويحتل بابل ، ويخلص اليهود من السبي البابلي ويأمر بإعادة بناء ا لهيكل المدمر . وها هي امبراطورية آرية هندو ــ أوروبية تجتاح المنطقة من خارجها ، وسيعود شاه ايران بعد ألفي سنة ، ليحتفل فوق أنقاضها التي دمرها الاسكندر الكبير بذكرى تأسيس سلالته الاخمندية فيها ، **حيث بوائد دارا الملك ، بما فيها الطريق الملكي الذي سلكه هيرودوت ووصفه بدقة ، كانت من روائع ما أنتجته البشرية من عبقرية إدارية .**

ومنذ اجتياحه الكبير (٣٣٤ ق.م) فقد انهار ذلك البناء كله تحت ضربات الاسكندر المقدوني ، وظل الشرق لزمن طويل مطبوعاً بالطابع الإغريقي ــ الهيلني الذي اختفى من الغرب تماماً ، والذي سيعود إليه بعد قرون ، عبر وسيط الحضارة العربية الهائلة ، من الترجمات والانتقادات والتكميلات للفلسفة الاغريقية في العهد العباسي ، كما سيسود العهد الساساني قبل الفتح العربي ــ الاسلامي بعد انهيارات متعاقبة شملت الأرزقيين والسلوقيين . وستظل مملكة ساسان الآرية متماسكة (ما بين ٢٢٦ــ٦٥١ ب.م) والتي اعتنقت الزرادشتية مذهباً رسمياً لها ، وعرفت عهداً من الازدهار والرخاء والتجارة ذهبت إلى قلب الهند والصين ، **فيما صار يعرف بطرق الحرير البحرية والبرية .**

سيقول العرب المسلمون عن الساسانيين الآريين بأنهم مجوس وكفرة ، وهم من عبدة النار ، والحال فإن الساسانيين الذين اتخذوا من مازدا إلهاً لهم ، وهو رب الخلق ، (يتمتع بروح طيبة) ظلّ يُعبد عن طريق النار ، ويُقال بأن ذاك الدين الذي انبثق من بين أصابع الراهب زرادشت ، ظل قائماً حتى أفول الامبراطورية الساسانية . حين تمكن العرب المسلمون ، في موقعة القادسية (٦٣٧ م) **وبعد عام من اليرموك ، أن يدكوا صرح هذه الامبراطورية مرة واحدة وإلى الأبد** ، فقد استطاع ثلاثون ألفاً من جند المسلمين ، الحاق هزيمة منكرة بمئة وعشرين ألفاً من الفارسيين ، وبذلك تم التوقيع على إعدام الامبراطورية الساسانية ، وخلال أقل من قرن ، كان المؤمنون بالدين الجديد ، يطرقون أبواب الصين شرقاً ، وسهول بواتييه في فرنسا غرباً .

ستعود الحروب بين العرب وأهل فارس ، لتظهر من جديد حيث راحت الأيادي تلعب ببغداد ، وحيث الصراع ينطبع ببعده الانشقاقي الديني ، بين شيعة علي الذي اغتاله الخوارج عام ٦٦١ م وبين القائلين بعدم ضرورة ربط الخلافة بأهل البيت ، وهكذا كان الانشقاق ذا بعد سياسي ، والذي سيوشّى بهالة قدسية فيما بعد ـــ في العام ١٥٠٢ ، حمل مؤسس السلالة الصفوية ، (اسماعيل) لقب شاه فارس ، ثم فرض التشيع كدين رسمي للدولة ، كما تبنى الفارسية كلغةٍ قومية للبلاد ، كان أول تسرب فارسي إلى جسم الدولة العربية ، في أواسط العهد العباسي ، وقد بدأ أهل فارس يلعبون دوراً أساسياً في موضوعات الخلافة التي ظلت حتى العام ١٢٥٨ م بأيدٍ عربية .. قبلها في العام ٧٦٢ م كانت عاصمة جديدة قد رأت النور ، بغداد ، وقد ساعد في بناء (مدينة السلام ـــ بغداد) ألوف العمال من مصر وسوريا وفارس .. حيث بلغ سكانها في تلك الفترة زهاء ٤٠٠ ألف نسمة ، أي أكثر مما بلغه تعداد سكان القسطنطينية ، ولسوف يكون عهد هارون الرشيد ٧٨٦ـــ٨٠٩ م هو عهد الغيوم الهاطلة بأمطارها تحت أي سماء ، والتي سيعود خراجها إلى دولة العرب العظمى آنذاك .

في ذلك العهد ، **عمل المفكرون على شحذ عبقريتهم لاستكمال ما أودعته البشرية من ثقافات وحضارات في حضن الدولة الجديدة ، لقد كان إرثاً ثقيلاً ، تصدى له العرب المسلمون بكل الحصافة والجدارة** ، هكذا ليتم تجديد الفلسفة على يد الفارابي (٨٧٢ـــ٩٥٠ م) وابن سينا المولود في فارس في نهاية القرن العاشر وابن رشد (١١٢٦ـــ١١٩٨ م) حيث ترجمت إلى العربية معظم أعمال أرسطو ، وكذلك الأعمال الجبارة لاقليدس وأرخميدس وهيبوقراط وغاليانوس ، ولم تصل إلى أوروبا مجمل تلك النصوص إلا في عصر نهضتها ، وعبر تلك الجهود التي أرست بنيانها ، الدولة الأكثر حضارة في ذاك العهد ، فقد استطاع العرب والمسلمون من غير العرب ، ضمن مناخ الامبراطورية العربية المزدهر ، وضع العديد من بحوث الجبر الحديثة آنذاك ، كما تمكنوا من تطوير علوم الفلك والنبات والطب والتاريخ ، ويعتبر عمر الخيام (المتوفى عام ١١٣٢) وهو فارسي رضع الثقافة ونهل العلم من

بغداد ، من أعلى الرموز لتلك المرحلة المشبعة بالعلم والثقافة العريضة ، فقد كان شاعراً وزياضياً وفلكياً وعالماً بالهندسة .. كما أن الخيام كان يعتبر من المفكرين المتحررين من المحظورات الدينية ..

لقد بدأ عصر الانحطاط مع ذلك مع اطلالة القرن العاشر ، فأقام الفاطميون وهم شيعة تمركزوا في القاهرة خلافتهم الخاصة التي استمرت زهاء خمسمئة عام ، وتمكنت أسرة بويهية شيعية من تسلم مقاليد الخلافة في بغداد ، إلا أن أتراكاً سلاجقة عادوا وحلّوا محل الدولة البويهية ، ومع نهاية القرن الحادي عشر بدأت الحملات الصليبية المعروفة ، وكان علينا أن ننتظر حتى القرن التالي ، لنشهد انتظام هجوم عربي اسلامي قوي ضد الوجود الصليبي في المنطقة ، وكان ذلك حين تمكن صلاح الدين الكردي المسلم المولود في تكريت ، من الاستيلاء على القدس واستعادتها في العام ١١٨٧ م .

بعدها ستعود المنطقة لتتلقى موجة داهمة من الغزاة ، فقد استطاع المغول بعد الإستيلاء على فارس ، أن يتبعوا بغداد بفتوحاتهم في العام ١٢٥٨ م ، ثم اتبعت دمشق بعد عامين ، واستطاعت قوات المماليك المقاتلة بقيادة الظاهر بيبرس من وقف الزحف المغولي في العام ١٢٦٠ م ، كما تمكن العرب المسلمون من دحر المغول إلى ما بعد نهر الفرات ، وانتصر المماليك على الصليبيين من جديد ، وتم طردهم من سوريا ، وبعد العديد من التقلبات والفصول التاريخية ، رأت النور في القرن الخامس عشر ، امبراطورية اسلامية جديدة ، **هي الامبراطورية العثمانية ، التي عمل على تأسيسها عثمان بن اورخان ، وقد تمكنت هذه الامبراطورية في زهوة انتصاراتها من إثارة الرعب الحقيقي في أوروبا لفترة طويلة** ، أما في فارس فقد آل الحكم للصفويين عام ١٥٠١ م فأقاموا حكماً موحداً للبلاد تحت ظلال المذهب الشيعي .

بين عامي ١٥٢٠ـــ١٥٦٠ م ستجتاح الامبراطورية العثمانية في عهد السلطان سليمان الأول (سليمان الفاتح أو القانوني) كافة المناطق الشاسعة المطلة على البحر الأسود والبحر الأحمر إضافة إلى كامل الواجهة الشرقية من البحر الأبيض المتوسط ،

وقد امتلك العثمانيون في يوم من الأيام مقدرات أكثر من عشرين أمة وقومية ، وفي ١٥١٧ م وصل العثمانيون إلى اليمن ، حيث ظلت هيمنتهم عليه شبه متقطعة .

في الشرق ، ظل الصراع يدور بين العثمانيين والصفويين الحاكمين لفارس ، حتى القرن الثامن عشر ، قبلها كان اسماعيل (نصف التركي ونصف البدوي . وهو مؤسس الصفوية) **قد انتقل من المذهب السني إلى المذهب الشيعي واتخذه مذهباً للدولة وهو ما يجب أن يدين به كل رعايا الدولة ، بعد أن نصب نفسه شاهاً على إيران** ، (وكان مفهوم الشاه لدى أنصاف البدو من الأتراك الأناضوليين يحمل دلالات تقترب من التأليه) ، وقد قام اسماعيل بتأسيس نموذج عن الدولة التركية النموذجية في أذربيجان ، وهو ما ولع به أكثرية سكان الامبراطورية العثمانية بعد أن كرهوا تلك (الأسرة الحاكمة القابعة في المركز ـــ المقصود استامبول ـــ والتي غادرت الوسط الذي وفدت منه منذ قرن ونصف) . والحال فإن العصر الأزهى للأسرة الصفوية ، كان في عهد الشاه عباس الذي حكم طوال نصف قرن من العام ١٥٨٨ إلى العام ١٦٢٩ ، فقد عزز هذا الشاه سلطانه ودعم أجهزته الإدارية الداخلية ، ثم انتقل إلى الخارج ليتاجر مع أوروبا ، ويغزو دمشق وبغداد ، ويطرد البرتغاليين من الخليج ، بيد أن القرن السابع عشر سرعان ما انطبع ، بالنسبة للدولتين العثمانية والصفوية بطابع الانحدار تلاه الانحطاط ، **وهكذا إلى أن تسوق المصائر أوروبا إلى توكيد حضورها في المجال العالمي ، وإلى أن يحين موعد البشرية مع حربها العالمية الأولى ، فإن المنطقة العربية في الخليج وغير الخليج ، ستؤذن بغروب شمس آخر الإمبراطوريات الإسلامية غير العربية ، أعني موعد خروج الأتراك من المنطقة العربية ، ودخول أوروبا الإستعمارية دون حاجة لرفع رايات الصليب من جديد ، مع وسيط في الأحداث الدامية ، اسمه الثورة العربية الكبرى .**

تاريخ قريب

العراق لا يمكن تغييبه عن أية قوة أمنية اقليمية في المنطقة ، خاصة في الخليج ، يمكن عزله ، لكنه سرعان ما سيعود إلى إثارة المتاعب ، إذ ماذا تفعل ببلدٍ أدار شؤون العرب والمسلمين ما ينوف على سبعمئة عام ، العراق دولة قوية في التاريخ والجغرافيا إنه شعبٌ وموقع ، نفط ومياه .

محمود رياض

الأمين العام الأسبق للجامعة العربية

في منتصف التسعينات من القرن التاسع عشر ، كانت بريطانيا تلك الامبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس ، قد وجهت اهتماماً خاصاً إلى منطقة الخليج ، وأولت انتباهاً ملحوظاً لمشيخة الكويت ، فقد دفعها خوفها من المشاريع الألمانية الطامحة ، والمتحالفة مع الباب العالي آنذاك ، إلى إغلاق ذاك الجزء القاحل من الصحراء المجاورة لشط العرب والبصرة جنوباً ، في وجه أولئك الأوروبيين السمجين الذين يريدون إيقاع هذه المنطقة الحساسة في شرك مصالحهم البغيضة ، وكانت الكويت ، رغم

خلوها من القوات التركية ، حيث كان المركز في البصرة ، تحت سيادة الباب العالي ، وفي عام ١٨٩٥ اقترح الانكليز على شيخ الكويت محمد الصباح ، **إقامة علاقات تحالف مع بريطانيا ، وذلك على غرار امارات الخليج الأخرى التي سبق وأن قبلت بذلك ، وقد رفض الشيخ الصباح العرض البريطاني آنذاك ، وبعد أقل من عام ١٨٩٦ ، دبر الانكليز مؤامرة لاغتيال الشيخ والمقربين له .**

وطبقاً للتقاليد ، فقد تسلم زمام الكويت ، أخوه الشيخ مبارك الصباح ، حيث أقام على الفور ، علاقات واسعة مع ناصر باشا السعدون ، رئيس قبيلة المنتفق ذات السطوة الكبيرة جنوب العراق ، وكانت هذه القبيلة العربية ، في حالة صراع مع الحاكم التركي على البصرة ، وقد رفض الشيخ مبارك بحكم استقوائه بهذه القبيلة ، الخضوع لأوامر حاكم البصرة التركي ، وكان الانكليز من جهتهم ، يعملون على تأجيج نار الصراع ضد تركيا ، تمهيداً لتقويض نفوذ الأتراك في تلك المناطق التي ستتبع لاحقاً نائب صاحب التاج البريطاني في الهند ، وفي كانون الثاني من عام ١٨٩٩ ، **وقع الشيخ مبارك اتفاقية سرية ، مع الانكليز ، وقد جعلوها سرّية خوفاً من تفشّي الأمر ، حيث يستتبع ذلك معارضة محلية ودولية ، ذلك أن الشيخ مبارك بصفته متصرفاً تركياً أي بهوية تركية على الكويت ، لم يكن له حق الدخول في مفاوضات دولية ، شأنه شأن أي متصرف تركي في المناطق العراقية ، وهو ما يختلف جذرياً عن أمراء مناطق الخليج الأخرى ، الذين أبرموا معاهدات علنية مع الطرف البريطاني ، وكان الانكليز يعلمون تماماً أن الشيخ مبارك ، إنما تجاوز صلاحياته الحقوقية ، بتوقيعه هذه الاتفاقية** ، خاصة وأن الاتفاقية كانت قد ألزمت الشيخ بألا ينقل أو يؤجر شيئاً من ملكية أراضيه !.. إلا إلى بريطانيا .

وحسب التسلسل الوقائعي للتاريخ ، كان الكويت آخر مشيخة من مشيخات الخليج ، تبرم اتفاقاً مع بريطانيا ، وهكذا مع مطلع العام ١٩٠٠ أصبح الخليج برمته بحيرة انكليزية .

وتحرك المنافسون الألمان على عجل ، ففي مستهل العام ١٩٠٠ ، حاول الألمان بتفويض من الباب العالي ، الشروع بمدّ سكة حديد بغداد ، وعينوا على الخارطة،

آخر نقطة لهذا الخط مركز مدينة الكويت حالياً ، وقد أدى ذلك إلى تصاعد حمى التصريحات الصاخبة ، فقد زار اللورد كيرزون وهو نائب ملك بريطانيا في الهند ، منطقة الخليج العربي ، وأدلى بتصريح حازم مفاده ، **أن الحدود الغربية للهند البريطانية تصل إلى أعالي الفرات في العراق ، وأن بريطانيا تفكر جدياً ، كمرحلة أولى ، ببسط الحماية البريطانية على الكويت** . أما المانيا من جهتها فقد أعلنت على لسان خارجيتها ، بأن الكويت في الأساس هي بلد تركي ، وأنه لا مفر من بسط السلطان سيطرته عليها ، وردت الخارجية البريطانية على هذا التصريح ، بتعليق ساخر : (هؤلاء الألمان يلعبون دور الأتراك أكثر من تركيا) ووجدت لندن ألا مفر من إعلان نبأ الاتفاقية السرية بينها وبين الشيخ مبارك الصباح ، فأبلغ السفير البريطاني (أوكونر) نظيره الألماني (مارشال) في القسطنطينية ، مضمون الاتفاقية بالكامل ، مع إشارة حمراء تحت العبارة التالية (مع عدم جواز المنح ، من قبل شيخ الكويت ، أو من يخلفه بعده ، امتيازات لرعايا دولة ثالثة في بلده) .

وهكذا بدأ الكويت يصير بلداً ، ففي الوقت نفسه ، صدر عن الخارجية الألمانية ، على لسان ريخت هوفن نائب وزير الخارجية ، بأنه (ليس في صالحنا أو في صالح الباب العالي حلول أية دولة أجنبية في الكويت ، لا انكلترا ولا روسيا ، فأية دولة أجنبية ستهدد المشروع الألماني برمته ، لذا فإن الضرورات تقتضي سيطرة تركيا الفعلية على الأراضي الممتدة من (حيدر باشا إلى الكويت) وحيث أن الكويت بلدٌ تابع لهذه المناطق ، فإنه يتوجب صدور بيان عن شيخ الكويت يتعهد فيه بعدم منحه أية أراضي أو امتيازات وبالأخص في منطقة المشروع نفسه) (من كتابة البارون الألماني ص ٤٢٢ ـــ ريخت هوفن) .

وفي أواسط آب من عام ١٩٠١ ، أعلنت ألمانيا أنها (لن تعترف بمطالب انكلترا في الكويت ، وأن الاتفاقية الانكليزية ـــ الكويتية السرّية تفتقر إلى السند الشرعي والقانوني ، وأن ألمانيا ستقف بكل حزم لاحباطها) .

ولم يمض أسبوع على هذه التصريحات المتبادلة ، حتى كانت الطرادات الانكليزية

الراسية قبالة الساحل الكويتي ، تطلق النار التحذيرية بإتجاه سفن كانت محملة بالجنود الأتراك ، ولما كانت هذه السفن الرافعة للعلم التركي ، غير مدعومة بسفن حربية قادرة على حمايتها والتصدي للطرادات الانكليزية ، فقد عادت أدراجها من حيث جاءت .

بمضي الوقت ، فقد شكلت هذه الحوادث دافعاً لبريطانيا من أجل التفاهم مع تركيا نفسها ، ففي أيلول من العام ١٩٠١. اعترفت انكلترا في معاهدة منفصلة ، بسيادة تركيا على الكويت ، شريطة عدم إرسال قوة عسكرية إليه ، وبالمقابل فقد اعترفت تركيا بمصالح بريطانيا الخاصة في الكويت ، كما صادقت القسطنطينية على مضمون الاتفاق السري الذي كان قد أبرم بين بريطانيا والشيخ مبارك ، وهكذا تم إخراج ألمانيا من المسرح القريب للأحداث ، وقد اكتفت هذه الأخيرة باستغلال الصراعات البريطانية ــ الروسية في هذه المنطقة ، وأمعنت في تأجيجها من تحت ستار .

وفي نهاية العام ١٩٠١ ، قامت بريطانيا بأول مبادرة من نوع (جس النبض) لفصل الولايات العربية التابعة لتركيا حتى من الناحية الشكلية ، فقد أمر قائد إحدى السفن الحربية البريطانية المرابطة قبالة الكويت ، بإزالة العلم التركي المرفوع فوق مقر الشيخ مبارك ، وأمر برفع علم جديد مكانه ، ويروي التاريخ القريب ، أن سكان الكويت حين خرجوا لأعمالهم في الصباح ، **شاهدوا علماً جديداً فوق مقر الشيخ ، ولم يستطيعوا تمييزه ، وظنوا لأول وهلة أن الأتراك قد غيروا علمهم المعروف ، بآخر جديد ، فإذا بالعلم ، هو علم الكويت الجديد** ، ورافق هذا الحادث ، إعلان من جانب بريطانيا ، بأنها تعتبر الكويت محمية بريطانية .

وأدى ذلك إلى احتدام الصراع الدولي على المنطقة ، فأرسلت روسيا طرادها البحري (فرياغ) إلى الساحل الكويتي ، كما أرسلت فرنسا طراداً من جهتها (أنفرنيه) وأشار (زينوفييف) سفير روسيا في القسطنطينية ، على الباب العالي ، برفع شكوى دولية إلى محكمة لاهاي ، كما قام القنصل الروسي في بغداد بزيارة خاصة إلى الشيخ

مبارك في الكويت ، وقدم ميداليات وهدايا ذهبية كعربون صداقة ، وفي نهاية العام ١٩٠٣ كان نائب صاحب التاج في الهند اللورد كيرزون يقوم بجولة استعراضية في مشيخات الخليج ، ورافق ذلك تصريحات من قبله عن عزم انكلترا الأكيد ، الدفاع عن مواقعها في الخليج وأضاف (وسينفذ ذلك بأي ثمن كان) واضطر الروس أمام تفاقم الوضع إلى التراجع وأدت هذه المسايرة من جانب روسيا إلى توقيع معاهدة بينها وبين بريطانيا عام ١٩٠٤ يتعهد كل فريق باحترام مصالح الطرف الآخر ، وعمد الانكليز إلى اقناع شيخ الكويت بضرورة إقامة انكليزي على مستوى رفيع بشكل دائم إلى جانبه ، (المقيم الانكليزي العام) ، وفي عام ١٩٠٧ تمّ لانكلترا طرد جميع القوى الأجنبية من المنطقة ، واعتُبرت تركيا نتيجة للوضع الجديد بين انكلترا والشيخ مبارك ، في عداد الدول الأجنبية المطرودة .

واضطر الأتراك في نهاية المطاف ، إلى الاعتراف بالواقع الجديد كحقيقة مسلّم بها ، فقاموا في تموز من عام ١٩١٣ بتوقيع اتفاقية شاملة مع بريطانيا تخص الخليج بأكمله ، **واعترفوا بالكويت كقضاء ذي استقلال إداري مع علم خاص به** . كما تعهدت تركيا بعدم التدخل في شؤون الكويت ، وتخلت في الوقت نفسه ، عن حقوقها كاملة في البحرين وقطر ، مقابل اعتراف انكلترا بحقوق تركيا في الاحساء ، التي كانت منطقة محتلةً من قبل الوهابيين آنذاك .

عقب اندلاع الحرب العالمية الأولى ، استغل الانكليز الاضطراب الذي عاشه العالم ، وأعلنوا فيما أعلنوا ، أن الكويت (أمارة تحت الحماية الانكليزية) .

إلى الشمال والشمال الغربي من الأمارة الجديدة ، كانت تقديرات الدبلوماسية الانكليزية ، حول امكانية التملص من العهود والالتزامات السرية التي تعهدت بها بريطانيا لحلفائها أثناء الحرب ، قائمة على حقيقة سهلة ، هي أن الجيش البريطاني في المنطقة ، أخذ يستولي على بلد إثر الآخر ، وهكذا في صبيحة أحد الأيام من كانون الأول عام ١٩١٦ شن الجيش البريطاني تعاونه فرق هندية ، هجومه الأول على منطقة ما بين النهرين ، واقتحمت قواته منطقة كوت العمارة ، بعد القضاء على فلول القوات التركية ، وفي أيلول من عام ١٩١٧ تم للانكليز احتلال الرمادي

على نهر الفرات ، وأعقبوا ذلك باحتلال تكريت على نهر دجلة ، وكانت بغداد قد سقطت في أيدي الانكليز في آذار ١٩١٧ .. وهكذا أصبحت جميع بلاد ما بين النهرين في قبضة الانكليز الفعلية ، فتأسست الإدارة المدنية التابعة لحكومة عموم الهند ، وترأس هذه الإدارة الموظف القديم في وزارة المستعمرات البريطانية السير برسي كوكس ، وكان مقيماً عاماً في الخليج العربي ، وأعقبه في حكم العراق الجاسوس الانكليزي الشهير آرنولد ويلسون ، وقد خضعت القيادة العسكرية البريطانية في العراق ، لهذين المفوضين ، كوكس وويلسون ، كما حل محل الموظفين الأتراك السابقين ، موظفون من الإدارة الانكلو ــ هندية ، واستبدلت العملة التركية بالعملة الانكليزية ، وأعيد تنسيق نظام الإدارة والأقضية ، على طراز إدارات الهند (**الفصل بين المناطق إدارياً ، وهي التي ستصبح مشروع دويلات في المستقبل**) وأشرك الانكليز في إدارة العراق ، كبار الملاك وشيوخ العشائر والقبائل ، ووزعوا عليهم المعونات المالية وشارات الاستحقاق والمناصب ، **وهكذا ظهر في الخليج مفهوم (الدويلات) لأول مرة ، بالمقياس الدولي الحديث** ، وأولت السلطات الانكليزية الحاكمة في العراق والخليج ، اهتماماً خاصاً بالحياة القبلية (حتى أصبح اسم لورنس اسماً شائعاً بين القبائل العربية) ، لكن ذلك لم يمنع وقوف بعض هذه القبائل ضد الانكليز ، ولو لأسباب الوجاهة ، والنفوذ ، والدين ، وتحوّل ذلك إلى مجابهات حقيقية بين القوات البريطانية والقبائل العربية ، وتشهد بعض المعارك انكفاء الجيوش البريطانية أمام تجمع هذه القبائل المحاربة ، إلا أن العمل الانكليزي الخثيث ، في سياسة الترهيب والترغيب ، مكنت الإدارة الاستعمارية من ضمان ولاء معظم القبائل العربية في العراق والخليج . وعلى الجانب العربي ، يذكر (بريمون) رئيس البعثة الفرنسية في الحجاز ، في مذكراته المتعلقة بالمفاوضات الانكلو ــ فرنسية من جهة والحجازية من جهة أخرى ، ص ٤٦٤) بأن الشريف حسين وابنه فيصل ، زوّدا بمعلومات مجافية للحقيقة عن الاتفاقات السرية التي جرت بين سايكس بيكو لاقتسام المناطق العربية ، بين فرنسا وبريطانيا ، وأن ما قالاه في أيار ١٩١٧ أمام الشريف حسين وفيصل في الحجاز ، كان كذباً في كذب ، وأن المنطقة الزرقاء

على الخارطة (لبنان وغرب سوريا) هي من حصة الإدارة الفرنسية ، وأن منطقتي (آ) و(ب) أي شرقي سوريا وشرقي الأردن ، سيتم وضعهما تحت إدارة الأمير فيصل الذي سيعمل باسم والده ، وأن السلطة المدنية فيما تبقى من المناطق بما فيها المنطقة البنّية (أي فلسطين) ستكون في أيدي السلطات البريطانية ، وأن الحجاز سيكون تحت سيطرة الشريف حسين . وتشير الوقائع اللاحقة ، إلى أن بريطانيا حصلت على حصتها في القسمة ، وحصة غيرها من المناطق المخصصة للإدارة العربية ، بما فيها ما هو واقع خارج الاتفاقية ، أي العراق ومصر وليبيا وكل الجزيرة العربية ، مقابل اطلاق يد فرنسا في الشمال الافريقي العربي .

في المرحلة التالية ، أي بعد إخراج الفرنسيين للملك فيصل من سوريا ، وانتقاله إلى حكم العراق عام ١٩٢١ ، **فقد حمل الرجل إرث أبيه ، وهو إرث ويبل في تلك الظروف الصعبة** ، فمن انتخاب الجمعية التأسيسية للبلاد ، إلى وضع الدستور ، إلى النزاع مع تركيا حول ولاية الموصل ، إلى ارهاصات نشوء الحياة السياسية والحزبية في العراق ، إلى زرع الانكليز الفتنة بين القبائل بين حين وآخر ، إلى حق بريطانيا في استثمار ينابيع النفط في كركوك ، إلى اندلاع المظاهرات الشعبية والمطالبة بالغاء الانتداب البريطاني والانضمام إلى عصبة الأمم ، إلى محاولات بريطانيا الرامية لتكبيل العراق بمعاهدات شتى ، ثم إلى احتجاجات الجمعية التأسيسية (البرلمان الأول) التي تجاوزت حدتها في بعض الأحيان لتنتقل من قاعة الجمعية نفسها إلى الشارع ، (كما يقول المؤرخ الألماني كارل بروكلمان في كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٧٨٤) .

في عام ١٩٣٠ حصل العراق بموجب معاهدة مع بريطانية ، على إنهاء عهد الانتداب ، كما حصل على حقه في الدخول كدولةٍ ذات سيادة إلى عصبة الأمم .

وبالرغم من انهاء حالة الانتداب ، فإن العراق عملياً ، ظل يجول في دائرة النفوذ البريطاني حتى فترة متأخرة من أواسط هذا القرن ، وقد لعبت بغداد في عهد نوري السعيد ، دور حاضنة للأحلاف الغربية الموجهة ضد الاتحاد السوفييتي آنذاك ،

وفي سبيل حماية المنشآت النفطية ذات الحساسية العالية بالنسبة لعصب الصناعة الغربية .

في عام ١٩٣٣ توفي الملك فيصل وخلفه ابنه غازي ، وكان أول حاكم عراقي يطالب بضم الكويت إلى العراق ، ففي عام ١٩٣٨ تمكنت أول إذاعة عراقية تبث من قصر الملك غازي ، من إسماع صوتها إلى عامة الشعب ، وكانت الإذاعة تحمل شعار استعادة الكويت إلى الوطن الأم ، حتى إنها كانت تطلق على الكويت اسم (اللواء ١٥ العراقي) .

وسرعان ما وقع انقلاب عسكري ، هو الأول من نوعه في المنطقة ، وقاده الضابط العراقي ــ الكردي بكر صدقي ، وكان شعار الانقلابيين طرد الانكليز وأعوانهم من البلاد ، وقد تم فعلاً ترحيل الوزراء نوري السعيد ورشيد عالي الكيلاني ورستم حيدر وعلي ممتاز الدفتري وغيرهم إلى سوريا ولبنان .

غير أن الملك غازي ، مع عدد من الضباط ، وموالاة العشائر إضافة إلى بعض القوى الداعية للتجديد ، مثل الشيوعيين والقوميين ، تمكن من الإطاحة بالانقلابيين بعد أن تم إعدام صدقي على يد الضباط العراقيين ، الذين اعتبروه معادياً للقومية العربية .

في هذه المرحلة ، بدأ العالم يستعد لخوض الحرب العالمية الثانية ، وقد خشي الانكليز ، في لجّة الأحداث العالمية الكبرى ، من مواقف الملك غازي ، تلك الشخصية التي ما زالت متأثرة بعلاقات أبيه القومية ، فعمدوا في البداية إلى ترويج الشائعات ضده منها أنه مهووس ومتهور ، وما لبث بعد فصل طويل من فصول الدعاية الانكليزية ، أن قُتل بطريقة تثير الشبهة يوم الرابع من نيسان من عام ١٩٣٩ ، وكان القتل بحادث سيارة غامض لم يكشف النقاب عن سره حتى الآن .

كان البديل جاهزاً ، ففيصل الثاني ، المولود عام ١٩٣٥ ، كان لا يزال صغيراً (أربع سنوات) لذا ، فقد تم انتخاب خاله عبد الإله وصياً على العرش ، ولم يكن

عبد الإله أيام الملك فيصل وابنه غازي ، أكثر من موظف بسيط يجول في دوائر الخارجية العراقية .

أمام الأجيال المولودة في الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن ، فإن العراق المحكوم من قبل الثنائيّ ، عبد الإله ونوري السعيد ، ليس خافياً أو بعيداً عن أحد ، فقد اتسمت تلك المرحلة بالتفرد الاستبدادي ، والانحياز المطلق للسياسة الانكليزية ، وبسببٍ من تسارع الأحداث العالمية ونشوب الحرب الثانية ، فقد استكان الوضع الداخلي في العراق ، وبدأت في ظل هذا الركود ، تتشكل خلايا وتنظيمات سرية داخل الجيش العراقي ، ومن البديهي أن تنظر هذه التشكيلات آنذاك ، إلى دول المحور (ألمانيا ــ ايطاليا واليابان) أعداء الانكليز ، وقد تمكّن الرباعي الذهبي ، وهم العقداء (صلاح الدين الصباغ وهو من مدينة صيدا ، وفهمي سعيد ، ومحمود سلمان وكامل شبيب) من كسب التأييد الكامل من كلٍ من سوريا ولبنان وفلسطين ، وبرعاية الزعيم الفلسطيني المفتي الحاج أمين الحسيني ، المقيم في بغداد آنذاك ، كانت تتم المشاورات والاتصالات ، وهكذا إلى أن نشبت ثورة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١ ، وتم تنحية عبد الإله عن الوصاية ، وكان قد هرب مع بعض من وزرائه (جميل المدفعي وعلي جودت الأيوبي) خارج العراق ، أو تمت حمايته من قبل القوات البريطانية المرابطة داخل العراق ، وسيطر الاتجاه الجديد مع استمرار سلطة الملك فيصل الثاني وتم انتخاب الشريف شرف ، (وهو والد عبد الحميد شرف رئيس وزراء الأردن الأسبق) وصياً على العرش .

كانت بريطانيا ما زالت تحتفظ بقواعد عسكرية لها في البصرة والحبانية ، فقامت بعد الاستنجاد بالجيش العربي في الأردن ، بقيادة غلوب باشا ، بشن هجوم ضد مواقع الانقلابيين الجدد ، وظل الكيلاني خلال شهرين ، ينتظر عوناً من دول المحور ، خاصة ألمانيا ، إلى أن تمكن الانكليز من الحاق الهزيمة بهذه الثورة الوطنية ، وهرب الكيلاني وأتباعه إلى ألمانيا ، فيما أودع السجن كل مَنْ كان يُشك بولائه لبريطانيا .

لقد تميزت ثورة الكيلاني بالطابع القومي ، حيث اشترك في هذه الثورة ، أطراف عربية من الأقطار السورية والأردنية والفلسطينية والمصرية ، كذلك قام ساطع الحصري وكان يشغل منصب مدير المعارف العراقية ، بتشجيع تيار (الشبيبة القومية) إضافة إلى واقع الكلية الحربية التي تخرج منها العديد من الضباط العرب غير العراقيين ، فضلاً عن التعليم الجامعي الذي كان يتمتع بنواة تضم خيرة الأساتذة العرب ، أمثال عبد الرزاق السنهوري وعبد الوهاب عزام وزكي مبارك وغيرهم .

مع احتدام العمليات الحربية ، خاصة عندما أراد هتلر الوصول إلى قوس النفط في الشرق ، ومع عودة عبد الإله ونوري السعيد ، فقد دخل العراق ضمن النفوذ البريطاني العسكري المباشر ، وما أن وضعت الحرب العالمية أوزارها عام ١٩٤٦ بهزيمة المحور ، وخروج الغرب منخناً ، حتى سمح الانكليز بتأليف الأحزاب السياسية في العراق ، وهكذا خرج إلى ساحة العمل السياسي خمسة أحزاب هي :

حزب الاستقلال وحزب الشعب وحزب الأحرار والحزب الوطني الديمقراطي وحزب التحرر الوطني .

إن أياً من هذه الأحزاب لم يتمكن من المشاركة الفعلية في الحكم أو في تقرير سياسة البلاد الداخلية أو الخارجية .

وفي شباط من عام ١٩٤٨ تم توقيع معاهدة بورتسماوث الشهيرة بمعاهدة جبر ــ بيفن (نسبة لصالح جبر رئيس الوزراء آنذاك) . وعمت المظاهرات سائر المدن العراقية مطالبة بالغاء المعاهدة واسقاط الحكومة ، وبالفعل فقد تمكنت هذه الاحتجاجات التي تحولت إلى ما يشبه العصيان المدني ، وما أطلق عليه يومها اسم (الوثبة) تمكنت من اسقاط الحكومة والغاء المعاهدة المذكورة ، فيما بدا أن الجيش العراقي يقتفي آثار حركة الضباط الأحرار في مصر ، حيث أُعلن عن نجاح ثورة يوليه عام ١٩٥٢ واسقاط الحكم الملكي هناك .

في أيار من عام ١٩٥٣ كان الملك فيصل الثاني يستلم عرش العراق رسمياً ، وفي هذه المرحلة وقبلها ، كانت بريطانيا تعد المنطقة لتحالفات ضد الاتحاد

السوفيتي ، وهكذا تم إبرام حلف (دفاعي) بين العراق وتركيا ، وفي تموز من عام ١٩٥٥ انضمت بريطانيا إلى الحلف وتبعتها باكستان ، وفي تشرين الثاني من العام نفسه ، انضمت ايران ، وسط مباركة أمريكية ـــ غربية ، ومعارضة عربية تزعمها آنذاك الرئيس الراحل جمال عبد الناصر .

ومع قيام الجمهورية العربية المتحدة في شباط من عام ١٩٥٨ شهدت المنطقة صراعات سياسية بين حلف بغداد والتيار الشعبي القومي الذي تزعمته دولة الوحدة ، وفي هذه المرحلة ، حاول الغرب دعم فكرة إنشاء اتحاد هاشمي بين الأردن والعراق إبان حكم الملك فيصل الثاني والملك حسين في الأردن ، وقام نوري السعيد بعرض انضمام الكويت إلى هذا الاتحاد ، ولكن الكويت بتحريض خفي من الانكليز والسعودية ، تجاهلت العرض وتملصت منه .

في ١٤ تموز من عام ١٩٥٨ ، أطاح الجيش بالنظام الملكي في العراق ، وتم وضع كامل السلطات في أيدي قادة الانقلاب الجدد (عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف ، وسيشهد العراق في هذه المرحلة ، والمرحلة التي ستتلوها صراعات دموية خاصة في الموصل وكركوك ، بين تيارات حزبية شيوعية وقومية) وتمت إقالة عارف واقتياده إلى السجن بعد عودته من روما ، حيث كان يشغل منصب السفير هناك .

في شباط من عام ١٩٦٣ تمكن حزب البعث مع جبهة من القوميين والمستقلين من الإطاحة بقاسم في ثورة عسكرية ـــ شعبية مسلحة ، وتم تشكيل وزارة من واحد وعشرين عضواً كان أحمد حسن البكر رئيساً لها ، فيما تولى عبد السلام عارف رئاسة الجمهورية .

وشهد العراق بعد هذه الفترة ، صراعات جديدة بين عبد السلام عارف يؤيده الناصريون والقوميون ، وحزب البعث من جهة ثانية ، وقد تمكن عارف من الفوز في هذا الصراع ، وبعد سنتين (نيسان ١٩٦٦) قتل عارف في حادث تحطم طائرته فوق البصرة ، فانتقلت السلطة إلى أخيه عبد الرحمن عارف ، وما لبث الرجل عدة أشهر ، حتى كان البعث يستلم زمام السلطة من جديد ، وكان ذلك في ١٧ تموز

من عام ١٩٦٨ ومنذ العام ١٩٦٨ وحتى ١٩٧٩ موعد استلام السلطة من قبل الرئيس العراقي الحالي صدام حسين ، فقد جرت هزّات عديدة ، طالت معظم القيادات العراقية التاريخية والبعثية ، كما شهد العراق بعدها حرباً دامت ثماني سنوات مع إيران ، بعدها الزلزال المروع في حرب الخليج الثانية ، أي من درع الصحراء وحتى العاصفة .

الأبعاد التاريخية لصراعات العراق الداخلية ومع الجوار

إن من الحقائق الثابتة أن المرء لا يمكن أن يمد ببصره نحو المستقبل، قبل أن يفهم الماضي . وأنه لمن المؤكد أن مستقبل الأوضاع في الشرق الأوسط ، والخليج من ضمنه ، سيكون معقداً على نحو ما ، برغم فهمنا لماضيه ، وسيكون خطيراً إذا قرأنا ذلك الماضي ولم نفهم المغزى العميق الصادر عنه .

من مقدمة لبيار سالنجر لكتاب الحصاد لمؤلفه جون كي لي

إن الإحاطة بالواقع العراقي الراهن ، تتطلب العودة إلى الماضي ، وليس بالضرورة إلى التاريخ الموغل ، فالتاريخ القديم للعراق ، يشهد أن هذا البلد ، هو أتون الصراعات الدامية ، قبل الإسلام وأثناءه وبعده ، أما العراق الحديث ، الذي نال استقلاله رسمياً في العقد الثالث من هذا القرن الآيل للغروب ، **فلم يكن على موعد مع كل هذه**

المتاعب الصاخبة ، والناجمة عن قذف التاريخ المتواصل ، منذ صدر الإسلام وحتى نهايات الامبراطوريةالعثمانية ، فالمطلبية القومية للشعب الكردي شمال العراق ، لم تنضج إلا على النار الهادئة عقب صمت المدافع في الحرب العالمية الأولى ، أما قضية الشيعة المقيمة فما زالت تصرخ مع صهيل خيول المسلمين في الجمل وصفين ..

البعد الكردي في تراجيديا المنطقة

يقول كيسنجر في مذكراته ، إن الرئيس نيكسون خلال تلك الزيارة التي قام بها إلى طهران (وافق على تشجيع الشاه في دعمه للانفصاليين الأكراد شمال العراق ، أما نتائج الفعل الممتازة لذاك القرار ، فسوف تتجلى لاحقاً ، **حين يتبيّن أن العراق لا يمكنه أن يوفر سوى فرقة عسكرية واحدة قادرة على المشاركة في حرب الشرق الأوسط التي اندلعت عام ١٩٧٣) .**

في ذلك الحين كان أكراد العراق وعددهم قرابة ثلاثة ملايين منضوين تحت لواء الحزب الديمقراطي لكردستان العراقية ، بقيادة مصطفى البارازاني الذي يلخص مسار حياته فاجعة شعبه ، فقد ولد البارازاني في العام ١٩٠٤ أيام حكم الامبراطورية العثمانية ، وسجن وهو في الخامسة مع أفراد عائلته ، حيث كان أخوه عبد السلام قد قاد انتفاضة كردية سيشنق على أثرها في العام ١٩١٤ .

لقد بدأت العملية المطلبية القومية للأكراد في العراق ، مع نهاية الحرب العالمية الأولى ، وتقطيع أوصال الامبراطورية العثمانية ، وكان الشخص البارز في الدفاع عن القضية الكردية آنذاك ، الشيخ محمود الحفيد الذي كانت مدينة السليمانية وضواحيها خاضعة لسلطته الإدارية والذي دعا لتشكيل ولاية كردية تتمتع بحكم ذاتي .

كان الحلفاء بعيد الحرب الأولى ، قد بحثوا مسألة انشاء دولة كردية ، حيث يتوزع الأكراد تاريخياً بين مناطق هي :

(تركيا ١٢مليون كردي وايران ستة ملايين والعراق ثلاثة ملايين ونصف المليون وسوريا ثمانمئة ألف والاتحاد السوفييتي ثلاثمائة ألف ــ وهو تعداد حديث تقريباً) . ومع مسار التوجه لبحث هذه المشكلة المقسمة بين دول اقليمية مترامية ، فقد اندلعت ثورة كمال أتاتورك ، الذي دفن نهاية التاريخ العثماني في لوزان ، وتعمدت الدولة الجديدة التغافل عن حقوق الأكراد في تركيا ، وكان على العراق وحده في ظل الانتداب البريطاني وتبعاً لقرارات عصبة الأمم أن يضمن نوعاً من الحكم الذاتي للأكراد في العراق ، إضافة إلى حقّهم في استخدام لغتهم ، وكانت النتيجة أن اندلعت ثورات كردية ، خاصة في تركيا ، في الأعوام ١٩٢٥ ، و١٩٣٠ و١٩٣٧ وهذه الثورات قمعت على الدوام دون رحمة ، وفي الثامن من تموز عام ١٩٣٧ ظهر إلى النور ميثاق سعد أباد الموقع من قبل تركيا والعراق وإيران وأفغانستان ، لينصّ بوجه خاص ، على التعاون المشترك ضد التخريب واللا استقرار الكرديين في معاهدة سيفر ، قبل ذلك ، كان الحلفاء قد وافقوا مع تركيا على منح الشعب الكردي استقلاله عن تركيا إذا رأى (مجلس العصبة) أن هذا الشعب جدير بالاستقلال ، وإذا أوصى هذا المجلس بذلك .

ثم ما لبث الحلفاء أن تنكروا لذلك في معاهدة لوزان ١٩٢٣ وبالعكس فقد تصلب موقف الدولة الكمالية الجديدة حيال الأكراد أكثر مما مضى .

بعد الحرب العالمية الثانية ،وبدعم من الاتحاد السوفييتي ، تأسست في ايران عام ١٩٤٦ جمهورية كردية أطلق عليها اسم (مهاباد) ثم ما لبثت أن عمدت القوات الايرانية إلى اجهاض تلك التجربة ، ومنذ تلك الفترة وحتى نهايات السبعينات سيتمركز القسم الأعظم من قوى التمرد الكردي في العراق . واعتباراً من أيلول ١٩٦١ سيقود مصطفى البرازاني تمرداً في شمال العراق تحت شعار : حكم ذاتي لكردستان وديمقراطية للعراق . وظلت طهران تغذي الثورات الكردية شمال

العراق ، إلى أن أنهت بغداد خلافات الحدود (وبشكل خاص شط العرب) مع ايران ، على حسابها (أي على حساب العراق) عام ١٩٧٥ باتفاقية الجزائر ، وأدى ذلك إلى توقف المساعدات الايرانية للمتمردين الأكراد .

كان ريتشارد نيكسون بناء على توصية من وزير خارجيته آنذاك هنري كيسنجر ، جاء فيها :

إذا كان العراق صديقاً للسوفييت ، والسعودية تفتقر إلى القوى البشرية ، إذن لم يبق أمامنا سوى مرشح وحيد ليلعب الدور ، ايران الشاه ، كان الشاه بالنسبة إلينا زعيماً نادر الوجود ، إذ هو الذي اختار أن يكون صديقاً للولايات المتحدة ، و لم يكن قد نسي أبداً أنه إنما كان قد استعاد عرشه المفقود في العام ١٩٥٣ بفضل نفوذ الولايات المتحدة . **وسيكون والد نورمان شوارزكوف قائد قوات التحالف ضد العراق ، واحداً من أبطال المؤامرة التي خططت لها وكالة الاستخبارات الأمريكية ضد مصدق لإعادة الشاه إلى سدة الحكم في إيران .**

منذ تلك الفترة ، وحتى نهاية الشاه ، على يد الثورة الإسلامية في إيران ، ستمنح الولايات المتحدة شارة الفارس الجديد ، للنظام الغربي في المنطقة ، حيث زيد تعداد الجيش في غضون خمس سنوات من ١٩٧٠ــ١٩٧٥ من مئة وستين ألفاً إلى نصف مليون مع كامل المعدات المتطورة ، ومع ارتفاع أسعار النفط عام ١٩٧٣ ، زيدت المشتريات الايرانية من الغرب من مئة وأربعين مليون دولار إلى أربعة مليارات ونصف المليار من الدولارات فيما اشتملت معظم المشتريات المذكورة ، على نظم أسلحة بالغة التطور والتعقيد .

وهكذا صارت إيران اللاعب الأساسي في المنطقة التي سيناطبها دور حراسة المصالح الغربية في المنطقة ، مع إطلاق اليد فيها في حدود السيناريوهات الغربية الموضوعة .

في آذار من عام ١٩٧٥ سيوقع صدام حسين اتفاقاً مع الشاه ينص على أن يتخلى العراق عن مطالبه في شط العرب ، مقابل أن توقف ايران دعمها للمقاومة الكردية

في شمال العراق ، وبعد أسابيع فقط من توقيع هذا الاتفاق ، يشن الجيش العراقي حملة عسكرية تسفر عن انهيار التمرد الكردي ، فيما ظلت نداءات الاستغاثة البائسة التي أطلقها المتمردون طلباً للمساعدة الأمريكية ، تذهب أدراج الرياح ، وحين سُئل كيسنجر عن دوافع هذا التخلّي الشنيع ، عن قضايا الشعب الكردي أجاب (لا ينبغي الخلط أبداً ، بين ما هو عمل سري فعال ، وما هو عمل علني لا يعدو كونه تبشيرياً !..) .

ان تراجيديا القضية الكردية ، تنبعث أصلاً من جغرافيتها السياسية ، فالشعب الكردي محاصر بواقعه وتاريخه ، في جغرافيا موزعة بين عدد من أقطار الدنيا ، ومهما أسهب الخيال الكردي في وصف حدوده الجغرافية التي تمتد من وإلى ، فإنها تبقى جغرافيا محسومة في التحديات الاقليمية وفي الترتيبات الدولية ، أسيرة للتوازنات والنزاعات الاقليمية ، فليس حلها كقضية قومية شاملة ، مرهوناً بالعراق وحده ، ولا حتى بالعرب كلهم ، إلا في حدود ، كما لا نستطيع التنبؤ بما ستفعله كل من تركيا وايران ، بدولة كردية مستقلة في شمال العراق بواقعٍ من ايماءات الخارج ، هذا فضلاً عن التنبؤ باستشرافات وسيناريوهات النظام الدولي الجديد ، لمثل هذه المسائل المعلّقة حتى الآن ، خاصة بعد أن تخلّت أمريكا — من جديد إذ لها سوابق — عن التمرد الكردي الذي نشب عشية هجوم قوات التحالف على الأراضي العراقية بعد الكويت .. أما ما يبعث على الحسرة ، فإن الأيدي الممسكة بخيوط التحريك ، ظلت تاريخياً في جغرافيا نائية ، لندن واشنطن ، تؤازرها العواصم المسلمة في كل من ايران وتركيا ، وأكثر من هذا ، **فإن ما يبعث على الكآبة ، هو أن تتزامن هذه الثورات ، إما مع تحضير لعدوانٍ خارجي أو أثناء وقوعه أو بعيد انتهائه ، وهي اعتداءات لا تطال قطراً عربياً ، مسلماً بحاله فحسب ، بل وتطاول مصير المنطقة ، التي امتزج فيها دم الأخوة ، في التاريخ والتزاوج والمذهب .**

الشيعة حزن مقيم من تاريخ ظالم

لا محل في هذا البحث لاسترسالات مذهبية حول الخلافات العقائدية التي تطورت بين السنة والشيعة منذ النزاع على مآل الخلافة بعد وفاة الرسول ﷺ ، وقد كان نزاعاً سياسياً كما تبدّى لأول مرة ، ولو أن الشيعة أنفسهم ينظرون إلى البدايات نظرة أخرى ، (**فأول من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام ، هو نفس صاحب الشريعة الإسلامية ، فهي بذرة وضعت مع بذرة الإسلام جنباً إلى جنب ، وسواء بسواء** ، ولم يزل غارسها يتعهدها بالسقاية والعناية ، حتى نمت وازدهرت في حياته ، ثم أثمرت بعد وفاته . قال تعالى : ﴿أولئك هم خير البريّة﴾ الإمام الأكبر ـــ محمد الحسين كاشف الغطاء ـــ أصل الشيعة ص ٤٣) .

وقد اكتسب المذهب لاحقاً ، جوانب فقهية واجتهادية حول العديد من قضايا المسلمين (كالزكاة ، والجهاد ، والحج ، وولاية الفقيه والوضوء ، والمواريث والقضاء والحكم ، والصيد والذبيحة ، والمتعة ، والحدود ، كحد الزنا واللواط والقذف والمسكر والسرقة والقصاص ...) على أن أهم ما ورد في أصول عقائد الشيعة ورؤوس أحكامها ، بعد التوحيد والنبوة ، **هو الإمامة . وهو أصل ستشهد النزاعات اللاحقة أبرز فصوله في التاريخ الإسلامي منذ اغتيال الخليفة الراشدي الثالث ، وحتى انتهاء عهد الامبراطورية العثمانية ، الإسلامية ـــ السنّية .**

على أن ذلك لا يعفينا من القول ، بأن باب الاجتهاد عند الشيعة ، ظل مفتوحاً ، وأن ذلك لن يخالف الاجماع أو نص الكتاب والسنة ، **أو ضرورة العقول ، فلو خالف شيئاً من ذلك ، كان زائغاً عن الطريق ، ومارقاً عن تلك الطائفة على أصول مقررة وقواعد محرّمة لا يتسع البحث لجملاتها فضلاً عن مفصّلاتها** ، ويقول الإمام الأكبر كاشف الغطاء عن الإمامة : (هذا هو الأصل الذي امتازت به الإمامية وافترقت عن سائر فرق المسلمين ، **وهو فرق جوهري أصلي** وما عداه من الفروق ، فرعية عرضية كالفروق التي تقع بين أئمة الاجتهاد لدى السنة .. وتلك هي الفروق :

ـ الإمامة منصب إلهي يختاره الله بسابق علمه بعباده كما يختار النبي ، ويأمر النبي بأن يدل الأمة عليه ويأمرهم باتباعه .

ـ إن الله سبحانه لا يخلي الأرض من حجة على العباد من نبي أو وصي ظاهر مشهور ، أو غائب مستور .

ـ نصَّ النبي ﷺ وأوصى إلى ولده الحسن وأوصى الحسن أخاه الحسين .. وهكذا إلى الأمام الثاني عشر ، المهدي المنتظر . (ومَنْ يقدر على حفظ الحياة يوماً واحداً يقدر على حفظها آلافاً من السنين) (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث) .

ـ الإمام يقوم بالوظائف التي كان على النبي ﷺ أن يقوم بها ، سوى أن الإمام لا يوحى إليه كالنبي ، وإنما يتلقى الأحكام منه **مع تسديد إلهي** ، فالنبي مبلغ عن الله ، والإمام مبلغ عن النبي .

ـ الإمامة متسلسلة في اثني عشر ، كل سابق ينص على اللاحق .

ـ **إن الإمام معصوم عن الخطأ والخطيئة وفي ذلك شأنه شأن النبي .**

ـ الإمام أفضل أهل زمانه في كل فضيلة ، وأعلمهم بكل علم ، وهو في الكمالات **دون النبي وفوق البشر** .

(الإمام الأكبر كاشف الغطاء . أصل الشيعة
من الصفحة ٥٨ـ٧٠)

وفي سؤالهم عن الحكمة والمصلحة في بقاء الإمام غائباً ، مع نيابة (الإمام الفقيه) عنه . أجاب :

(لعل هناك أموراً تسعها الصدور ولا تسعها السطور ، وتقوم بها المعرفة ولا تأتي عليها الصفة ، والقول الفصل أنه إذا قامت البراهين في مباحث الإمامة على وجوب وجود الإمام في كل عصر ، وأن الأرض لا تخلو من حجة ، وأن وجوده لطف ، وتصرفه لطف آخر ، **فالسؤال عن الحكمة ساقط والأدلة في محالها على ذلك متوفرة . ص ٧١)** .

إذن فالإمام إمام من ناحية جوهرية بفضل فيضٍ غامض ، لم يكف منذ آدم ،

عن الانتقال من إمام إلى آخر ، فلا القرآن ولا الاخلاص للسنة ، (والإيمان بالله واليوم الآخر) ، (والإيمان بالله ورسوله والعمل الصالح) الإيمان كاعتقاد بالجنان واقرار باللسان وعمل بالأركان ، ليست كل هذه المعتقدات هي ما تفرق الشيعي عن الصراط السني ، وباختصار ، فالإمام السني زعيم وقائد ، أما الإمام الشيعي فمقدس ، فبالنسبة إلى السنة ، ليست الخلافة ضرورة لا غنى عنها ، بدليل أنه تم الغاؤها في العام ١٩٢٤ ، أما بالنسبة للشيعة فالإمامة حتمية مذهبية مدى الحياة .

لقد شكل الشيعة غالباً ، أهم موضوعات الصراع الإسلامي عبر العصور ، وقد امتطت مذاهب شتى صهوة الإمامية ، التماساً لغاية أو تقرباً من أهل البيت ، في سبيل سلطة دنيوية ليس إلا ، فها هم العباسيون ، يقلبون ظهر المجن ، بعد أن تمسحوا طويلاً على عتبات أهل البيت ، وأسوأ من ذلك أنهم صاروا وبالاً على أهل البيت ، حتى أن الشيعة في مرحلة من المراحل العباسية ، تمنوا أن يعود بنو أمية :

يا ليت جور بني مروان دام لنا وليت عدل بني العباس في النار

وكذا فعل الفاطميون والأيوبيون والحمدانيون .. الخ . (إن المُلك عقيم يا بني) هذا ما قاله معاوية لابنه وهو يعظه في تدبر شؤون الدنيا ، ويروي بعض رواة الشيعة حوادث تاريخية مماثلة ، فقد نصح أبو سفيان في واحدة من نصائحه البراغماتية ، بني أمية عند مقتل عثمان (**فتلقفوها يا بني أمية تلقف الكرة** ــ يقصد الخلافة ــ فوالذي يحلف به أبو سفيان ، ما من جنّةٍ ولا من نار) وبصرف النظر ، **عما إذا كانت هذه الوقائع تفتقر إلى الدقة التاريخية ، أو أنها صحيحة** ، فإن مرد الانقسامات الإسلامية كان يدور بالدرجة الأولى حول عمود الخلافة . وأحقيتها ، وتفرع عن ذلك ، **أن قذفت كل شيعة أختها بكل هضيمة ونبزتها بكل عظيمة ، وتطور الجهل إلى جهالة كاملة مع دنو الدار وعصمة الجوار** ، بحلول الخلافة العثمانية واستلام مفاتيح القدس الشريف ، حيث ظل الشيعة دون تمييز (حيث تفرقت الشيعة في الأرض إلى شيع وخرج العديد من فروعها عليها ، وتكنّى البعض منها ، بفلسفات اغريقية وهندوسية وزرادشتية أو فارسية .. الخ) وهكذا ظلّ الشيعة محل ظلم

واضطهاد عبر الأزمنة والعصور ، وهكذا إلى أن انفصلت الدولة الصفوية ١٥٠٢ عن جسم الامبراطورية العثمانية وألزمت كل الشعوب الايرانية باعتماد المذهب الشيعي ، بعد أن كانت الدولة قد اعتمدته بصورة رسمية ، وسوف يعمد شيعة العراق للتصدي لهذه المحاولة الزائفة من قبل (دولةٍ صفوية) لا تطبق في حكمها ، أحكام الشريعة الإسلامية .

وظل العراق بفعل عوامل دينية تاريخية ، وبحكم كونه المسرح الذي جرت على أرضه أحداث التاريخ الدامية ، ظل قاعدة الشيعة الحقيقية ، ومع وجود النجف الأشرف والعتبات المقدسة ، فقد بات العراق مرجع الشيعة ونهج بلاغتهم العصرية ، خاصة وأن هذا النهج ظل الحامل الأمين للمظلومية التاريخية التي ستستمر مع استمرار الحياة ، فيما السواد يغطي جانباً من أهم جنباتها .

إلا أن الخلاف بين الشيعة والسنة في العراق كان محصوراً في الأحكام وحلقات الدروس الدينية وخطب المنابر ، **إذ لم أر سنياً واحداً ، لا يقول بأحقية الإمام علي بالخلافة ، على معاوية ، حتى وكل أميّة** ، والمذاهب في إطار السنة لا خلاف عليها ، وما حدث قد حدث ، فإلى متى يظل المسلمون شيعاً في الأرض ، بسبب هنات تاريخهم الذي لا يد لهم فيه ولا طول ، ومع ذلك ، فإن الأمور بمجيء الدولة الصفوية ، ستتطور إلى العنف ، خاصة بعد أن اعتنق الصفويون مذهب الشيعة ، تمهيداً للدخول في مجابهة مع الدولة العثمانية السنّية ، وسيصبح العراق ساحة الصراع بين هاتين القوتين **اللتين اتخذتا المذهب سلاحاً في سبيل السيادة على المنطقة وفي ظل هذه الصراعات التي تغطيها المذاهب من كل جانب** ، سيتفشى مشهد المذابح بكل ما تشتمل عليها من تهارش ووحشية ، فالعثمانيون يهجمون فيقتلون الشيعة ، ثم يعقبهم الايرانيون ــ الصفويون ليمعنوا قتلاً وتحريقاً بطائفة السنة ، وكانت النتائج أن التناحر المذهبي ، بين الذين يقع عليهم فعل القتل ــ من شيعة وسنة ــ يزداد ، وفيما تتعرض كل من الطائفتين للقتل والنهب من الخارج ، **فإن معالم العراق كانت تتعرض للتدمير على يد الدولتين الجارتين على الدوام .**

تلك هي أبرز ملامح اللوحة الداخلية للصراع في العراق ، وأما خلفية هذه اللوحة ، التي تشير في كل خبطة ريشة ، إلى استرجاع شوق الحنين إلى الماضي ، لولاية عثمانية كان اسمها العراق ، خاصة بعد أن تمّ تتويجها مع جملة البلدان التي زيتها يُضيء ، أو بترداد حنين الشوق ، (شاهنشاهات) متعاقبة ، تأمل تحت مظلات شتى ، باسترداد خليج فارس ، حيث لا شط للعراق ، بعد أن استردته ايران كلياً في عهد البهلوي تحت وطأة التهديد بدوام تأجيج التمردات الكردية . **فيما حافظت الثورة الإسلامية ، على واقع هو ليس من صنعها ، كما أنه لا يتصف بالعدل ، خاصة بعد مصادرة الشط وجزرٍ عربية أخرى ، وهكذا يتم الاعتراض على مباذخ احتفال الأباطرة بقورش ، أي بالتاريخ ، ولا تتم ملاحظة ما فعله المحتفلون أنفسهم بجغرافيا أمة اسلامية مجاورة** ، هل لأن الثورة الإسلامية ظلت هي الأخرى متصالحة مع اعتبارات جغرافيتها القومية السائدة ، **ما الذي يجمع إذن ، بين أصولية أممية سامية ، تعد بأن تكون القاعدة ــ النموذج لانطلاقة تصحيحية اسلامية شاملة ، وبين متطلبات قومية جاءت منها وعليها بآن واحد .**

لقد قام لينين ، وهو غير مسلم على أي حال ، بعد نجاح ثورة اكتوبر ، بإعادة كل ما سلبته روسيا القيصرية بصورة غير عادلة من الشعوب الأخرى ، بما فيها الغاء مفاعيل كل عقود الإذعان التي فرضتها امبراطورية استبدادية على غيرها من الشعوب الضعيفة . وقال : (إن ذلك من آثار الدول الاستعمارية التي كانت روسيا واحدة منها ، أما الآن ، **فلن نقبل أن تكون الثورة البلشفية امتداداً لتلك الآثار الظالمة ، إننا ندعو لعدم تلقف ذلك الإرث الوبيل لتاريخٍ من المظالم ولامبراطورية مستبدة)** (لينين مختارات ص ٣٨٧) . ثم قام لينين بعد ذلك بفضح كل صفقات القسمة السرية التي أبرمتها روسيا القيصرية مع الغرب لسرقة ثروات الشعوب الضعيفة والمتخلفة .

باختصار فإن هذه الخلفية العثمانية ــ الإيرانية القديمة ــ الجديدة ، ستمر من تلقاء نفسها ، عبر أكثرية الفصول اللاحقة لهذا الكتاب ، خاصة فصل الفصول ، في حرب الخليج الأخيرة .

الكويت بئر نفط صار دولة

الملك غازي أول مَنْ أطلق اللواء ١٥ على الكويت

لا نتوقع من النظام الدولي الجديد أن يحب التاريخ ، فضلاً عن الاعتراف به ، فالولايات المتحدة نفسها بلا تاريخ ، والتاريخ بالنسبة لها سياسة ، جيوبولتيك الحاضر وبراغماتية الموقف ، لكن النظام الدولي الجديد ، أو ما اتفق على تسميته ، لا يجد مانعاً من الاعتراف بتواريخ شتى ، إذا كان ذلك يقع في جملة استراتيجياته ، مصالحه أو مستقبله ، فاسرائيل تأسست رسمياً عام ١٩٤٨ ، **ومع ذلك فقد صارت بقوة الأمر الواقع والتاريخ ، كياناً لا يجوز مسّه أو لمسه ، والجمهوريات الأوروبية (السوفييتية سابقاً) ضُمّت إما قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية أو اثناءها ، ومع ذلك فإن الوضع بالنسبة للغرب وأمريكا ، وطوال فترة الحرب الباردة ، لم يصبح أمراً واقعاً ، لا بقوة الواقع نفسه ، ولا بالتاريخ** ، المكاييل مختلفة منذ البدايات ، والتاريخ هنا ، لم يعد يدونه الأقوياء في زمانه الغابر ، كما كان يروى دائماً ، بل الأقوياء في زمان ما بعده ، ألم يحاجج هيرد في مقالته المنشورة في السفير ٨/١٠/٩٩٠ العدد ٥٧٠٢ ، تحت عنوان الحقائق وليس التخيلات ، بأن الكويت أسس قبل ردح من الدهر من تأسيس العراق نفسه ، ها هو يقول ما نصّه بالحرف :

(يزعم العراقيون بأن الكويت لم يجر اجتياحه ، بل أعيد إلى الوطن الأم ، إن هذا غير صحيح بتاتاً ، فأسرة الصباح حكمت الكويت منذ القرن الثامن عشر ، أي قبل ردح من تأسيس العراق نفسه ، بعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها ، وقبل العراق بالحدود الكويتية ــ العراقية عندما أصبح العراق دولة مستقلة عام ١٩٣٢ ، والحقيقة تنطوي على كون العراق قد اغتصب بلداً مستقلاً ذا سيادة ، وكان ولا يزال عضواً في الجامعة العربية ، وهيئة الأمم المتحدة) .

ها هنا محاولة جديدة ، لإعادة تركيب التاريخ ، أو اصطناعه ، بالمقابل ، **لا نجد في أنفسنا مسيس حاجة للجوء إلى التاريخ خصوصاً إذا أنكره أهله** ، ولأن التاريخ

عند هيرد يبدأ من نقطة دخول أسلافه إلى المنطقة ، فإن هذه المرجعية تنقلب إلى مرجعية خادمة لأهداف هيرد ، مثلما كانت خادمة ، حين تفوه بلفور ، قبله ، **وإذ تصبح هذه المرجعية أضعف قاض تاريخي ، لا منذ شهادة هيرد ، بل منذ تفكك الدولة العربية الواحدة ، وتبعثر مفهوم (الأمة ـــ الوطن ـــ الدولة)** . كما بات مفهوماً أن مرجعنا الحقيقي في تاريخنا نفسه ، أصبح خادماً لطقوس فولكلورية سلطوية خاصة بعد أن أصبحت الدولة ـــ القطرية العربية في الوطن كله ، حقيقة راسخة (**بل إنها أكثر الحقائق العربية الراهنة رسوخاً** ـــ الجابري ـــ المستقبل العربي ـــ العدد ١٥٦ صفحة ١٠) .

السير دوغلاس هيرد ، وزير خارجية بريطانيا في هذه الأيام ، أصبح شاهد تاريخ لغيره ، ومع ذلك فسوف نترك هذا (الغير) في واقعة شخصية ، لا دخل لتاريخ الشعوب بها ، يتحدث عن نفسه ولنفسه ، ففي مقالة للسيد ميلاد معوض تحت عنوان (قبل أن تدفع المنطقة ثمن الحرب ـــ جريدة الديار اللبنانية في ١٩٩١/٢/١١) يذكر السيد معوض حادثة على لسان أحد الوزراء الكويتيين في الخارج (لم يشأ أن يذكر اسمه) وملخص الحادثة أنه في (أيام الانتداب البريطاني على الكويت ، حدثت واقعة أمنية مفادها أن أحد قطاع الطرق قتل مواطناً وسلب ما معه من مال وثياب وحرير ، وجاء المفوض البريطاني على رأس قوة أمنية ، فقابل الأمراء المسؤولين وطلب إليهم تسليم الفاعل طبقاً للقانون ، وكان رد الأمراء بأن هذا الأمر لا يخصّنا بتاتاً ، لأن الجريمة وقعت خارج السور ، أي خارج نطاق حدودهم وساحة أمنهم ، وكان أن غادر المفوض البريطاني منطقة الكويت ، وطلب إلى السلطات العراقية تسليم الفاعل .. أما السور فكان يقع عند حدود فندق هيلتون أي في قلب مدينة الكويت اليوم) .

والرواية بحد ذاتها ، يقول الوزير الكويتي ليست بمثابة تأييد لما فعله العراق بالكويت . بل لوجه التاريخ ، وأن تصحيح اعوجاج التاريخ ، لا يجوز أن يتم عن طريق القوة ، ولا تحت مفهوم اقليم القاعدة ، فأقاليم الوطن العربي أصبحت ذات حدود مرسومة بقبول أهلها (**والحقيقة ليس الأهل هم القابلون بل الأنظمة السياسية**

والشرائح المستفيدة الأخرى) واعتراف العالم بها ، فالمحور الذي يمكن أن يشد الناس في عصرنا ، هو (القطر النموذج) وليس (القطر الأقوى) وحده ، فالقطر النموذج يكتسب جاذبيته بحكم داخله الرائد ، أي بما يحققه من حياة جديرة بالإنسان ، بدءاً من احترام حقوقه في العيش الكريم ، والحرية ، والعدل وتمكينه ــ دون ضغط أو اكراه ــ لاختيار حاكميه ومراقبتهم وعزلهم .

إن الخطوط الأولية لنقاش مختصر ، عبر خطاب يحاكي عقلية أوروبا بخصوص تاريخنا ، يثير حفيظة المرء هنا ، ذاك أن الفعل التاريخي في هذه المنطقة قائم ومستمر بمعزل عنا ، أي رغماً منا ، ونحن نتلقاه أو نستسلم له ، وما يبدر منا تجاهه إن هو إلا رد فعل وليس بفعل . وفي الأساس يبدو تاريخنا الحديث والمعاصر منه ، وكأنه ليس تاريخنا ، ذلك أن زمانه لم يكن زماننا ، وإن كان في مكانه مكان لنا ، حيث لم نكن نؤثر أو نشارك في التأثير بمتغيره ، أو بمحركه الفعلي ، فوجودنا التاريخي ، بات ملحقاً بتاريخ الآخرين ، منذ سقوط هذه المنطقة في التوتر والسخط والتنازع ، ولزومية أن نكون في هذا التاريخ تأتي من مقتضيات الفعل التاريخي الراهن لغيرنا ، وهو ما يفرض علينا وجودنا ومستوى حضوره فليس لنا خيار سوى الدخول في هذه الآلية الالحاقية المستبدة حيث يشكل الخروج عليها (مشروع محمد علي باشا مثلاً) ضرباً من اللجوء إلى الوجود الانتحاري أي (اللا وجود) .

في الواقع فإن هذه الآلية تأسست تاريخياً وفق نظم المفهومية الأوروبية ، إذ ليس تاريخ سايكس ــ بيكو هو أول تاريخ لها ، بل لعلها نشأت منذ بدايات القرن السادس عشر وما اصطلح على تسميته أوروبياً بعصر النهضة ، أي تأسيس (الذات الأوروبية) والنظر في آفاق مجالها الحيوي ، والمشكلة أن عمليات القطع والوصل التي اعتمدتها أوروبا في هذه المنطقة ، **لم تظهر وكأنها مستندة إلى القوة الغاشمة العسكرية والاقتصادية فحسب** ، **بل إنها تستند إلى طبيعة (قيمية) أو (حضارية) في هذا الشرق الذي يتم اكتشافه لأول مرة !.**

نسي الغرب المتباهي بالمعجزة الاغريقية ، والذي يريد أن يضع الشرق في المجهول

(الثقافي والتاريخي) مدى تأثير هذا الشرق في المعجزة الاغريقية نفسها ، ثم إن هذا النسيان اللاحق لمكانة الدولة العربية الواحدة في التاريخ العالمي ، الثقافي والحضاري ، **كان لازماً لالحاق مفهوم الخواء الموحش بالمنطقة ، وأن الغرب هو الذي اكتشفها ، وأن المكشوف عنه لا يعدو كونه مملوكاً ، بدليل أنه وجد بفعل خارجي ، أو شوهد بعين خارجية ، لأنه لم يكتشف نفسه ، بل إن الآخر هو الذي اكتشفه ، فهو غير موجود إلا في الطبيعة** ، من هنا فإن المنطقة تساق من التاريخ إلى اللا تاريخ ، وأن هذا القذف إلى خارج التاريخ ، سيؤدي إلى تحديدات أو تعيينات واقعة من خارج المنطقة لا من داخلها ، حيث هي (أي المنطقة) لا تملك خصوصيات ذاتية ، أكثر منها (ذات خاصة) ملقاة في حضن الطبيعة ، وهذا ما يحدد للآخر الخارجي ، كيفية التعامل مع هذه الذات الخاصة ، وأن هذه الخصوصية المسترخية خارج الزمن التاريخي المعاصر ، تؤدي إلى زيادة قدرة الموجود التاريخي الذي هو الغرب ، بالتحكم باللا موجود التاريخي الذي هو (الآخر) المنوي استلابه ، إلى أن تتم السيطرة المطلقة على المكان الخاوي حيث يتطلب ذلك شطب الموجود الطبيعي لصالح القادم الموجود (حالة الهنود الحمر في أمريكا) ، أو تحطيم فاعليته مع كل موجبات صحوه في التاريخ المعاصر (العرب وآخرون) أو الاتيان ببشر مستلبين ، لا يملكون خصوصية الارتباط الطبيعي أو التاريخي في المنطقة التي يتم جلبهم إليها (الزنوج في أمريكا وأوروبا) ... وهي نماذج شكّلت أداء أوروبا المتنوع ، باعتمادها سياسة القطع والوصل ، منذ اكتشاف أمريكا وحتى الآن .

إن أدوات التدمير الشامل التي تمتلكها أمريكا الآن ، تعطيها ميزة فوق ــ تاريخية في لحظة راهنة من التاريخ نفسه ، فأمريكا بهذه الأدوات تحاول اعتقال الطبيعة والقبض عليها بصورة مطلقة ، فبكونها قادرة على تدميرها و لم تدمرها ، فهي إذن خالقتها ، الأمر الذي يعطيها الميزات الكاملة للسيطرة المطلقة والنهائية ، **فحرب الخليج كانت الدرس الأول للعام الدراسي ٩٠ــ٩١ ، وهو درس للمنطقة والعالم ، لصديق اليوم قبل خصيم الأمس ، وقبل أن يكون درساً للعراق ، فالنفط الموجود في آبار الشرق ، كما يؤكد نزار سلوم في بحثه الشيق بعنوان نسف التاريخ**

وتأسيسه (مجلة فكر اللبنانية العدد ٦٩ ص ٩) هذا النفط هو مادة (عربية) وموجودة في الشرق ، أي موجودة في منطقة الخواء الموحش ، أي خارج التاريخ .

إن العمل التصحيحي الذي لا بد منه ، هو إدخال هذه المادة في التاريخ ، باعتبارها مادة الصناعة ، أي مادة هذا العصر ، أما الصناعة نفسها ، فهي إنجاز تاريخي غربي ، **(وأما العصر فهو من صناعة هذه الصناعة) .**

يبقى أن هيرد في تصويبه السابق لتاريخ الخليج ، من حيث أن الكويت مخلوق سابق على (استقلال العراق) ، حيث مقاربة الخلق هنا لا تجري على خلق آخر ، بل على حادثة من صنع الخلق نفسه (أي على واقعة استقلال العراق وليس وجوده) .
هيرد في تصحيحه هذا ، كان يقوم كأوروبي ممتاز ، بفعل الكشف الخارجي للكويت ، أي ذاك البئر الذي صار دولة ، وحيث أن الكويت مادة نفطية بنظره ليس أكثر ، لذا وجب التصحيح وإعادة (مادة الكويت) إلى الصناعة الغربية ، لكن ليس بالضرورة إلى العصر الغربي .

الفصل الثاني

النفط أولاً .. النفط دائماً

إن الولايات المتحدة لا تستطيع الإعلان بشكل عدواني وهي تمثل ٦٪ من سكان الأرض ، بأنها تمتلك الحق في استهلاك ٣٠٪ من الطاقة العالمية .

أدوار سعيد ــ لندن ١٩٩١

منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وحتى انهيار الاتحاد السوفيتي ، فقد ظل الغرب واقعاً تحت كابوس الاقتراب السوفيتي من المياه الدافئة في الخليج ، وعلى الرغم من أن السوفييت ، كان بلداً مصدراً للنفط ، إلا أن الدراسات الجيولوجية الغربية ، كانت تدرك بأن ازدياد الحاجة السوفيتية للنفط ــ مع الشركاء الشرقيين ــ كانت في تعاظم مستمر ، وكانت التقديرات الغربية تشير إلى أن الاتحاد السوفييتي سيصبح بلداً مستورداً للنفط مع غروب هذا القرن الحافل بالمفاجآت .

لقد كتب ترومان رئيس الولايات المتحدة إبان الحرب العالمية الثانية يقول :

«واصل الاتحاد السوفييتي أعمال الاحتلال حتى رأيت أنا شخصياً وجوب إحاطة

ستالين علماً ، بأنني قد أصدرت الأوامر لقادتنا العسكريين كي يستعدوا لتحريك قواتنا الأرضية والبحرية والجوية ، وفعل ستالين ما كنت أعرف بأنه سيفعله ، لقد سحب قواته» .

وزاد من هواجس الغرب ، تجاه نوايا السوفييت النفطية ، أنَّ السوفييت ، كانوا قد حركوا قواتهم فعلاً إلى الجزء الشمالي من ايران ، وأقاموا جمهورية أذربيجان المسلمة ، ومنحوها حكماً ذاتياً ، كما شكلوا جمهورية اسلامية كردية أخرى ، وتم احداث شركات للتنقيب عن النفط في هذه المناطق .

ولعل مبدأ ترومان نفسه ، قد جاء نتيجة لتقديرات الغرب ، بأن اقتراب السوفييت من اليونان وتركيا ، سيشكل آخر وصلة في الطريق نحو الخليج العربي .

لقد طالب ترومان ، الكونغرس الأمريكي ، بوجوب السماح له بتقديم كافة أشكال الدعم الضروري للوقوف في وجه القوة السوفييتية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط ، وعام ١٩٤٨ كانت قد طفت على سطح الماء ، القوة الخاصة السادسة ، التي ستصبح الأسطول السادس الأمريكي في المتوسط ، وعلى الفور ، بدأ الأمريكيون باستخدام قواعد في ليبيا وتركيا والسعودية ، وكان ذلك أول وجود عسكري أمريكي في الشرق الأوسط .

كان النفط بنظر المراقبين قد أصبح (**حلقة الوصل بين مبدأ ترومان للشرق الأوسط وخطة مارشال لاعمار أوروبا**) في عام ١٩٤٨ أيضاً كتب وزير الدفاع الأمريكي آنذاك ، جيمس فورستال ، مذكرة إلى الرئيس ترومان يعلن فيها : «ستكون فرصة النجاح لبرنامج الاعمار والترميم الأوروبي ، بدون نفط الشرق الأوسط ضئيلة جداً .. بل لا تكاد تذكر» . وهكذا بدأ الانتقال من الاعتماد على الفحم الحجري (وهو عصر بريطانيا العظمى) إلى النفط المستورد ، كمصدر أساسي للطاقة يغيِّر (الوجهة السياسية العامة) للعالم بأسره تغييراً جذرياً ، فقد كان الشرق الأوسط منذ زمن بعيد ، وحتى يومنا هذا يشكل منطقة استراتيجية تتحكم بملتقى

الطرق المؤدية إلى آسيا وأفريقيا وأوروبا ، فضلاً عن مداخل ومخارج البحار الهامة ، كالبحر المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربي . ويقول السير أرنولد ويلسون في مقالة له بعنوان (التحديات الأمنية في العربية السعودية) نشر في الواشنطن بوست عام ١٩٧٨(**لم يكن هناك ذراع بحري ولن يكون أكثر إثارة لاهتمام الجيولوجي ، وعالم الآثار ، والمؤرخ والجغرافي والتاجر ودارسي الاستراتيجيات على حد سواء من تلك المياه البرية داخل اليابسة المعروفة باسم الخليج العربي)** .

وما لبث أن دخل نفط الشرق الأوسط ، دم الحياة الذي يسري في عروق الصناعة الحديثة ، وأصبحت منطقة الخليج العربي هي القلب الذي يضخ ذلك الدم ، وأن البحر الذي يحيط بها هو الشريان التاجي الذي يتدفق عبره دم الحياة الأوروبية . فاليابان كما تعلن الصحافة الغربية (جسر من ناقلات النفط) حيث توجد واحدة منها على بعد أقل من مئة ميل بحري من ا لخليج العربي ، على مدار العام ، ويقوم الخليج بتزويد اليابان بأكثر من ٨٠٪ من احتياجاته النفطية ، كما يزود الخليج أوروبا بأكثر من نصف احتياجاتها النفطية . أما الولايات المتحدة الأمريكية المعتمدة على النفط كمصدر أساسي للطاقة ، فقد تزايد اعتمادها على استيراده بشكل ملحوظ ، وقد كان النفط المستورد يدخل في الطاقة الأمريكية المستثمرة بنسبة الثلث عام ١٩٧٣ والنصف عام ١٩٨٣ ، وتُصدّر أوبك إلى الولايات المتحدة ما نسبته ٧٠٪ من استيراداتها من هذه المادة ، فضلاً عن سياسات التخزين المتبعة .

لقد أصبحت مسألة من يسيطر على ما في الخليج العربي والشرق الأوسط ، مسألة حياة أو موت ، لأنها تشكل مفتاحاً لمن سيُسيطر على ما في العالم ، فالسيناريوهات التي تضعها الجماعات الاقتصادية الأوروبية ، والمؤتمر العالمي للطاقة ومجموعة إسو للمقارنة بين مصادر الطاقة ، وكذلك المعهد العالي لتحليل نظم الامداد ، كلها تشير إلى بنية التموين وفق النسب المئوية التالية : (من كتاب مصادر الطاقة . جان مارتن) باريس ١٩٩٠ .

مصدر الطاقة	النسبة المئوية إلى بقية المصادر في العام ٢٠٠٠	نسبته في العام ٢٠٣٠
الفحم	٪ ٢٨	٪ ٣٤
النفط	٪ ٣٠	—
الغاز	٪١٩	٪١٩
الطاقة المائية	٪٦	٪٥
الطاقة النووية	٪٦	٪ ١٢
غيرها	٪ ١١	٪٣٠

ويبدو من اللوحة السابقة ، أن مادة النفط آخذة في النفاد ، وقد لا تعمِّر أكثر من خمسين عاماً ، إذا استمرت سياسات الانتاج الحالية ، فكيف إذا تفاقمت هذه السياسات في المستقبل ؟

وينتج عن محدودية الزمن الذي سيعيشه النفط في عالمنا هذا ، مشكلتان . الأولى تتعلق بسياسة الانتاج والثانية بتسعير سلعة النفط في العالم . وهناك مشكلة لاحقة ستتعلق بسياسات التخزين في المستودعات الهائلة للمدى البعيد .

لقد قال كيسنجر لمجلة بيزنس ويك بتاريخ ١٩٧٤/١٢/٢٣ : «إن قيام الولايات المتحدة بعمل عسكري للسيطرة على أسعار النفط سيكون أسلوباً خطراً .. أنا لا أقول بأن القوة يجب ألا تستخدم في جميع الحالات ، بل إن أحد أهم أسباب استخدام القوة هو ظهور نزاع حول الأسعار ، أما السبب الآخر ، فيكمن في حصول عملية خنق فعلي للعالم الصناعي» .

قبل ذلك بأقل من سنة ، كانت الأوبك قد رفعت سعر البترول بنسبة ١٢٪ ، وكان الملك فيصل قد أعلن بأن بلاده لن تستطيع مواصلة ارتباطاتها مع الولايات المتحدة إذا لم ينته دعم واشنطن لاسرائيل لصالح نهج محايد تجاه الشرق الأوسط . وفي مقابلة تلفزيونية أذيعت في ٣١ آب ١٩٧٣ ، أعلن الملك فيصل بأنه لا يرغب

في وضع قيود على شحنات النفط السعودية إلى أمريكا ، **لكن مساندة أمريكا الكاملة لاسرائيل تجعل من الصعب عليه أن يحافظ على سياسته القائمة على تلبية الاحتياجات البترولية للولايات المتحدة ، أو حتى أن يواصل موقفه الودي تجاه واشنطن** . كانت الولايات المتحدة في تلك الفترة ، أو قبلها ، قد انتقلت من سياسة الحد من استيراد بترول الشرق الأوسط ، حماية لامداداتها المحلية ، إلى سياسات تؤكد على ضمان حرية الوصول إلى النفط الأجنبي من أجل استكمال الاحتياطيات الداخلية الآخذة في التناقص .

وبنشوب حرب تشرين عام ١٩٧٣ ، فقد بدأ المنتجون العرب حظراً نفطياً على الدول المؤيدة لاسرائيل ، وكانت الدولة البارزة هي الولايات المتحدة ، كما تم في الفترة نفسها ، في اجتماع عقد في الكويت ، رفع سعر البترول بنسبة ١٧٪ ليصل إلى ٣,٦٥ دولاراً للبرميل الواحد ، وفي ٣١ تشرين الأول ، **رفع الملك فيصل نسبة الحظر السعودي للنفط ، من ٥٪ (حيث هي النسبة المقررة للحظر في اجتماع الكويت) إلى ١٥٪** . وبالرغم من تعويض شركات التسويق الدولية الكبرى لهذا الانقطاع ، وتحايل شركات النقل في موانىء التحميل والتفريغ ، فإن عجزاً يقارب ١٢٪ من مجمل امدادات الولايات المتحدة قد وقع .

«إن المنتجين قد بدؤوا في تفجير المجابهة» هذا ما قاله كيسنجر في أثناء الأزمة ، وقد أيد الرئيس الأمريكي جيرالد فورد تصريح وزير خارجيته حين قال : (**إن القوة ستستخدم لإحداث تغيير غالي الثمن .. إنني لا أستطيع ضبط الأمور إذا اختنق العالم الصناعي والعالم الحر**) .

وسرعان ما بدأت تلك التصريحات تضرب على وتر (الخطر السوفييتي) على الخليج ، وتزامن ذلك مع الانهيار الكامل لنظام الشاه في ايران ، فقد أعلن رئيس لجنة الطاقة التابعة لمجلس الشيوخ الأمريكي ، هنري جاكسون عام ١٩٧٩ (أن تطويق حقول النفط في الخليج الفارسي هو هدف واضح للسياسة السوفييتية) **ودعا**

إلى وضع خطة طوارىء تكرس في مجملها لحماية النفط ضد (امبراطورية الشر الأحمر) .

لقد بدا أن التواجد المباشر للقوة العسكرية الأمريكية ، في الخليج ، أمر له ما يسوغه ، وبات أكثر من ضروري ، وهكذا بدأت دوائر كبار المختصين ، في الشؤون الخارجية والدفاع القومي ، تضع اللمسات السحرية في وجه ثلاثة افتراضات للتهديد ، والتي يمكن بدور أي افتراض منها ، أن يؤثر على واردات النفط إلى الولايات المتحدة ، بغير شروطها ، وهذه التهديدات هي :ئ

١ــ الاضطرابات الداخلية .

٢ــ الحصار .

٣ــ الغزو .

وتقسم الدراسة أشكال الغزو إلى أربعة :

آ ــ الغزو عن طريق قوة محلية مستقلة .

ب ــ الغزو عن طريق قوى مدعومة من قبل السوفييت .

ج ــ الغزو السوفييتي المباشر .

د ــ الغزو عن طريق بعض أشكال الضم المحتملة .

ومن الواضح أن الدراسة الأمريكية تعتبر دون أي تمييز ، أن التهديدات تشمل أية محاولة لاحداث تغيير في الوضع (الراهن) لمنطقة الخليج ، ففي باب الاضطرابات الداخلية التي تؤثر على شحن النفط ، يرى الأمريكيون أن الجهد الأساسي للمخطط يجب أن ينصب تجاه أمن حقول النقط ، خاصة إذا فقد القادة المحليون السيطرة على الأمور ، أما إذا خططت دول معادية لقطع النقط ، فينبغي التصدي لها بكل الامكانيات العسكرية والفنية اللازمة للسيطرة وتأمين استمرار تدفق النفط . وفي حال وقوع حظر الحصار ، تقول الدراسة ، فإن الاتحاد السوفييتي يملك امكانية حصار موانىء الخليج ، وأنه يمكن التحكم بشحن النفط عبر مضائق هرمز ، بإغراق إحدى السفن في مدخل الخليج ، لكن الدراسة تضيف ، بأن هذا الاحتمال ليس

عملياً ، نظراً لوجود ممرات جانبية أخرى بجانب القنال الرئيسي في مضيق هرمز ، وتعدد الدراسة الاجراءات والمعدات ونظم الأسلحة والقوات اللازمة لمواجهة حالة من هذا النوع ، أما سيناريو الغزو أو الاقتحام ، فتؤكد الدراسة بأن (واحدة أو أكثر من دول الخليج المنتجة للنفط ، تعمل مستقلة أو بالنيابة عن السوفييت ، يمكن أن تعمل على خنق دولة أخرى نفطية ، لأغراض اقتصادية أو سياسية) كما تضرب الدراسة مثلاً **حين حاول العراق عام ١٩٦١ احتلال الكويت**) .

وعن التحدي السوفييتي المباشر ، ترسم الدراسة لوحات دقيقة كاملة ، لكافة أشكال الحرب ممكنة الوقوع ، وآخرها الحرب النووية ، مستعرضة حجم القوات الأمريكية والحليفة ، وحاملات الطائرات ، والقواعد الأرضية ، ودول المنطقة المستعدة لمنح كل التسهيلات الضرورية في أراضيها ، والمهمات اللوجستية ، تبعاً لذلك ، وتقول الدراسة في هذا الصدد (هناك امكانية لاستخدام الولايات المتحدة للقوة العسكرية . بأشكال مختلفة للاستيلاء المباشر على حقول النفط ، إذا تم خنق العالم الصناعي من قبل الأقطار المصدرة للنفط ، إن أي قرار من شأنه تخفيف محنة الوطن ، أو تخفيف أزمة الحلفاء ، سيكون مشروطاً بعوامل طبيعية وسياسية واقتصادية واجتماعية وقانونية ، ولكن إذا كان من الأفضل استخدام المظاهر غير العسكرية ، فيمكن تأكيد العمليات الناجحة ، وفق ما يلي :

١ــ الحفاظ على منشآت النفط سليمة بشكل دائم
٢ــ استمرار حمايتها الذاتية لأشهر بل ولسنوات .
٣ــ استعادة الموجودات المحطمة بسرعة حال وقوع تخريب .
٤ــ تشغيل المنشآت دون ضرورة أخذ الأذن من المالك .
٥ــ ضمان ممر آمن لمنتجات النفط في جميع الأحوال .

إن الفشل في انجاز أية خطوة من الخطوات السابقة ، أو حالات أخرى غير مرئية ، قد يقذف بها المستقبل ، يشكل اخفاقاً ذريعاً ينعكس على حياة الغرب ومستقبله .

وفي مكان آخر من الدراسة ، يقول الأمريكيون المختصون :

(إننا نستطيع إلحاق الهزيمة بقوى الأوبيك المسلحة في الخليج الفارسي ، ولكن هذا النصر سينتج عنه ، الاستيلاء على حقول ومعدات مدمرة أثناء العمليات ، أما المعدات النفطية التي يمكن أن تبقى صالحة للعمل ، فتحتاج إلى حراسات قوية ضد أعمال التسلل ، وهذا ما يستوجب حضور أربعة فرق أمريكية موزعة على أقطار الخليج الصديقة ، مع دعم بري وبحري وجوي لفترة غير محددة) .

إن الاحتفاظ بالقوات المخصصة للقيادة المركزية للولايات المتحدة في حالة استعداد عليا ، والمرونة اللازمة لإظهار الفعالية من أجل إقامة الجسور الجوية والبحرية وجعلها في حالة جاهزية عند الطلب ، وتأمين تسهيلات التخزين والمرابطة المسبقة للمعدات والامدادات .. وكل ما يتوقف عليه نجاح المعركة اللوجستية ، كما أن النجاح في الانتشار مع وجود نظم متطوّرة للقيادة والمراقبة تكون قادرة على جمع المعلومات الاستراتيجية والتكتيكية ، هو ما يشكل ضمانة أولية لردع أي تدخل سوفييتي محتمل .

كانت القواعد الضخمة لضمان نجاح المعركة اللوجستية ، قد أقيمت في وقت مبكر (حين وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها) ، في السعودية (الظهران ، الدمام ، ينبع على البحر الأحمر) ، ثم راحت تنتشر في المنطقة العربية والإسلامية بدءاً من ايران وحتى المغرب ، ومنعاً لحدوث احتكاكات مع المجتمعات الوطنية في المستقبل ، **فقد برزت فكرة المراقبة عند حافة الأفق ، أي المرابطة عند نهاية حد البصر ، دون أن يكون ثمة ضرورة للتمركز في المدن العربية أو الإسلامية ، أو على شواطئها** .. غير أن أنشط القواعد الأمريكية التي كلّفت مليارات الدولارات (ليس هناك رقم دقيق لكلفة هذه (القواعد ـــ المدن) المختبئة تحت الأرض حيث يندرج ذلك في باب السرّية الأمنية) ، أهم هذه القواعد كانت غالباً في الأراضي السعودية والتركية وإيران الشاه وجزر البحر الأبيض المتوسط ، وظلّت قيادة الأساطيل المركزية في نابولي الإيطالية ... وكان معنى ذلك أن منطقة الخليج النفطية **تستأثر بأكثر من نصف المجهود الحربي الأمريكي هذا فضلاً عن السياسة ـــ العسكرية الخاصة بحالات استخدام أسلحة التدمير الشامل ، أو السلاح النووي .**

خيارات أخرى بعد انهيار نظام الشاه :

إن كافة خيارات السياسة الأمريكية في إيران ، كان لها علاقة أكيدة بوضع السعودية أولاً ، وببلدان الخليج النفطية ثانياً ، فعلى اثر نجاح الثورة الإسلامية في ايران ، بدأت السيناريوهات تنتقل من فرضية إلى فرضية أخرى ، بدءاً من تعزيز العلاقات العسكرية بين واشنطن والرياض ، وحتى فرضية الانسحاب الشامل من الخليج وتكليف اسرائيل بالمهمة . غير أن السعودية من الناحية التاريخية ، تظل أقدم حليف للولايات المتحدة في منطقة الخليج ، هذا إضافة إلى اعتماد الولايات المتحدة والغرب بصورة رئيسية على النفط السعودي ، لا على نفط ايران ، ولهذا كان من الصعب أن يترك مصير هذا البلد الحساس ، أي أن يوضع في جملة مهمات اسرائيل في المنطقة ، واستتبع ذلك ، أن تأخذ الولايات المتحدة دور السعودية على خارطة الأمن القومي الأمريكي بخطوط بارزة ، خاصة وأن ايران ، كانت قد انتقلت في العام ١٩٧٩ إلى جبهة الخصوم ضد أمريكا ، بعيد انتصار الثورة الإسلامية .

كانت التصريحات الأمريكية قد بدأت تعكس نبرات الحدّة والتحذير ، ففي غمرة المجابهة مع الشاه والسافاك ، قام عمال النفط الايرانيون ، بإعلان اضراب شامل ، مما أدى إلى توقف في صادرات النفط بلغت يومها ، زهاء خمسة ملايين برميل يومياً ، وتسبب ذلك في عجز وصل إلى (٢ مليون برميل عالمياً ، ونصف مليون برميل ، خاصة بامدادات الولايات المتحدة يومياً) .

وقد علق أبو الحسن بني صدر (وكان ما زال عضواً في مجلس قيادة الثورة الايرانية ، رئيس الجمهورية بعد سقوط الشاه) علق على سياسة النهب النفطية قائلاً : **(بشكل عام ، يتطور نظام الشاه بطريقة تؤدي إلى أن يكون هناك استهلاك مسبق للمستقبل ، أي أننا نصدر ثرواتنا بشكل يكون فيه تطاول على المستقبل ، فهو إذن اغتصاب من حصة المستقبل** ، فلو أنه مثلاً ، تم دمج البترول باقتصادنا بشكل تكاملي ومتناسب مع حاجاتنا ، وبغير نهب الآخرين ، لأمكن استثمار بترولنا في خدمة اقتصادنا مدة قد تقع بين ٥٠٠ إلى ١٠٠٠ سنة ، لكن هذه الألف يتم

استهلاكها في عشرين سنة أو أكثر بقليل ، إنها مأساة شعبنا) . ثم يتابع بني صدر فيقول : (**إن الديناميكية الداخلية لنظام الشاه الامبراطوري هي تصدير طاقات البلاد وعملها وثرواتها المادية بطريقة مفجعة**) .

ومنذ أن بدأ الحديث عن مادة النفط في إيران ، يأخذ مساراً وطنياً ، كانت الأجهزة المختصة في قمة الهرم ، تضع بين أيدي صانعي القرار في الولايات المتحدة الأمريكية ، الخيارات التالية : (وذلك حسبما قدمها معهد المشروع الأمريكي لابحاث السياسة العامة ، وهو من أهم مراكز البحوث والدراسات الاستراتيجية) أما الخيارات فقدمت في الشهر الأول من العام ١٩٧٩ حيث بات سقوط الشاه وشيكاً .

الخيار رقم ١ :

إن استمرار السياسة الأمريكية في الخليج الفارسي دون النظام الملكي في إيران . مع امكانية إقامة علاقات اقتصادية وعسكرية مع النظام الجمهوري أمر ممكن . سواءً أكان هذا النظام يمينياً أم يسارياً ، مدنياً أم عسكرياً . فالمهم أن وجودنا العسكري في الخليج يتطلب منا أن نحيّد مصالحنا الدفاعية والاقتصادية ، عما يجري في إيران كي تظل في مأمن بعيد عن الخطر .

الخيار رقم ٢ :

مع تقدم إيران لإقامة نظام جمهوري ، بوسع الولايات المتحدة تقديم المزيد من المساعدات العسكرية للسعودية ، ويمكن بتمويل سعودي بناء مطارات وقواعد وتحصينات ونظم أسلحة ولوحات لوجستية كاملة وضرورية مع أنظمة المراقبة الشاملة . ومقابل هذا التحالف الدفاعي الجديد في الخليج ، ستحاول السعودية أن تطالب الولايات المتحدة بدفع (ثمن ما) ليس في الخليج ، بل بتخفيف حدة الانحياز لاسرائيل وبتعديل الموقف الأمريكي تجاه مسألة النزاع العربي ــ الاسرائيلي ، لكن هذا المطلب سيبدو هزيلاً للغاية ولا خوف منه .

الخيار رقم ٣ :

بامكان الولايات المتحدة زيادة وتعزيز وجودها العسكري في السعودية ، وذلك عن طريق قيام القطع البحرية وحاملات الطائرات بتكثيف حضورها واستخدام المنشآت المقامة على الجانب العربي من الخليج ، كما تستطيع الولايات المتحدة الاحتفاظ بقاعدة البحرين (مقر قوة الشرق الأوسط) مع تعزيز قدرتها العسكرية . (وهناك تفاصيل لصنوف الأسلحة المطلوبة ونظم القيادة والمراقبة) .

كما أن بامكان الولايات المتحدة زيارة دول أخرى في الخليج ، المهم أن ابراز العلَم الأمريكي في الخليج بشكل متزايد سيؤدي إلى التطبيع ، كما بوسع هذا العلم أن يجوب المنطقة ليشمل جنوب الجزيرة العربية في البحر الأحمر ليصل شمالاً إلى قناة السويس .

إن استخدام وحدات بحرية بين الخليج والبحر الأحمر ، سيؤكد على الربط بين هاتين المنطقتين ، وبإمكان الولايات المتحدة أن تقترح على السعودية القيام بجهد مشترك لجمع المعلومات العسكرية والاقتصادية والسياسية ، حيث تفترض الظروف الحالية في ايران ، أهمية هذه العملية .

الخيار رقم ٤ :

في حال عودة النظام الملكي إلى ايران ، فلا بد من سياسة عمل جديدة ، مع تحديد صلاحيات الشاه ، ومن المفترض أن يكون هذا هو الخيار المرغوب ، لكن رحيل الشاه يجعل تحقيق هذا الخيار مستبعداً .

الخيار رقم ٥ :

يمكن للولايات المتحدة أن تقرن تحديد صلاحيات الشاه في حال عودته ، بتعزيز التعاون مع السعودية .

الخيار رقم ٦ :

يمكن اللجوء إلى تعزيز القوة العسكرية الأميركية والقيام بعمل يساعد في عودة الشاه أو إقامة حكومة موالية لواشنطن .

الخيار رقم ٧ :

يمكن للولايات المتحدة أن تنفض يدها من الخليج تاركة الأمور تأخذ مجراها الخاص ، وهذا يعني سحب الخبراء العسكريين من المنطقة والغاء صفقات الأسلحة المتطورة وعدم القيام بأي جهد لمساعدة أية حكومة في المنطقة ، ومن المفيد أن يرافق فك الارتباط هذا ، جهود للتوصل مع الاتحاد السوفيتي إلى اتفاق يقضي بتجريد المنطقة من الأسلحة .

الخيار رقم ٨ :

يمكن للولايات المتحدة أن تفوض قوة اقليمية حليفة ، بحماية مصالح واشنطن في استمرار تدفق النفط ، ووسائط نقله ، وفي هذا الصدد ، يمكن تشجيع اسرائيل على القيام باحتلال حقول النفط أو الإطاحة ببعض أنظمة الخليج عند الحاجة ، (وقد استعرضت واشنطن هذه الفرضية مع القدس لأول مرة ، أثناء اندلاع الأزمة في الأردن عام ١٩٧٠) .

وهناك ذيل لهذا الخيار الثامن يقول : (هناك جانب سلبي لهذا الخيار ، فحتى بمساعدة اسرائيل ، ستكون هناك حاجة إلى نصف مليون جندي أمريكي لاحتلال حقول النفط الشاسعة والسيطرة عليها ، هذا بالإضافة إلى الاسناد الجوي والبحري ، فإذا ما فضل السكان العرب تدمير حقول نفطهم على احتلالها ، فقد تجد الولايات المتحدة نفسها متورطة في حرب غوريلا على طول أنابيب النفط ، وموانىء وطرق شحنه ، كما سيزيد التدخل الاسرائيلي من حدة الحرب الفدائية العربية أو المسلمة ويجعلها أكثر ضراوة ، لهذا :

لا يمكن اللجوء إلى هذا الخيار ، إلا إذا استنفدت كل الوسائل الدبلوماسية

والخفية والقنوات السرية الضرورية لاستقرار المنطقة ، ومن المفيد هنا ، متابعة الفوضى التي ما زالت تعصف بإيران ، الأمر الذي لا يستبعد معه اللجوء إلى هذا الخيار .

ومن المرجح ، أن استبعاد المشاركة الاسرائيلية في حرب الخليج الثانية قد وجد أساسه في هذا الخيار المذكور . سيقول نيكسون أثناء أزمة الخليج الثانية ، ما لم يقله أي أمريكي آخر ، في قوة كلامه وجلاء فكرته ، (إنه من الرياء الايحاء بأننا نأمل بهذا الأمر ، إقامة الديمقراطية في الكويت ... كذلك كون صدام قائداً مستبداً ، لا يبرر تدخلنا .. إن الولايات المتحدة تجيء إلى الخليج لسببين رئيسيين : الأول أن لصدام أطماعاً غير محدودة في السيطرة على أهم المناطق الاستراتيجية في العالم ، **وإذا كان السيناتور بول قد قال بأن النفط هو سبب مجيئنا إلى الخليج ، واعتبر وزير الخارجية بيكر أننا في الخليج لاداء واجبنا ، وإذا كان قد جرى انتقادهما لتبريرهما تصرفاتنا على أسس أنانية ، فإنني أقول إنه ليس علينا أبداً الاعتذار لدفاعنا عن مصالحنا الاقتصادية الحيوية ... إننا لا يمكن أن نسمح لصدام حسين بأن يبتزّنا ليكرهنا على القبول بغاياته وتركه يمسك بصمّام الطريق الحيوية لنفطنا)** (هيرالد تريبيون ٧ ك ٢ ١٩٩١) .

مَنْ يرث القرن ؟ :

إن هاجس الطاقة ، والحصص والأسعار والمستقبل ، ظلت جميعها تلعب بمخيلات الرؤساء الأمريكيين منذ نيكسون وحتى يومنا هذا ، وقد نشأ طمع أمريكا بمنطقة الخليج ، قبل ولاية نيكسون بسنوات طويلة ، عندما بدأ الأمريكيون يشعرون في المراحل اللاحقة ، بعد الحرب العالمية الثانية ، أنهم الورثة الشرعيون لمناطق النفوذ البريطاني في العالم ، غير أن المراحل اللاحقة بعد نيكسون ، بدأت تنظر إلى مسألة الطاقة نظرة مستقبلية ، فبالإضافة إلى الخشية من تدخل الاتحاد السوفييتي في المنطقة بعد غزوه لأفغانستان ، كان الأمريكيون يرسمون خططاً على رمال النفط فحواها ، أن القرن المقبل هو قرن الصراعات الاقتصادية (مع أوروبا الموحدة أو اليابان) وأن

السياسة الأمريكية السابقة بتأمين امدادات النفط ووضع تسعيرته وحصصه ، لم تعد سياسة كافية لاستقبال قرن جديد . ففي ظل هذا الاتجاه المؤدي إلى عالم التكتلات الاقتصادية في أكثر من منطقة في العالم ، ومن بينها منطقة الشرق الأوسط ، بدا واضحاً أن حرباً من نوع آخر ، قد بدأت في إطار أركان النظام العالمي الجديد ، وأن هذه الحرب الاقتصادية بين العمالقة الثلاث ، اليابان وأوروبا الموحدة والولايات المتحدة قد بدأت بين تلك القوى الكبرى بقيادة جنرال كبير اسمه النفط ، وأن صنوف الأسلحة المستخدمة فيها هي الالكترون ، والفضاء ، والطائرة ، والقطارات ، والآلية ، والكهرباء ، والسيارات ، والاعلام ، والغذاء ، والسرعة ، والسلعة والقيود الجمركية ، والمعلوماتية ... الخ .

وفي هذا المجال يشاهد العالم بداية انتقال مركز القوة الاقتصادي ، من الشاطىء الغربي إلى الشاطىء الشرقي للمحيط الهادي ، ذلك أن الظاهرة الرئيسية التي تتفاعل الآن في هذا المجال ، هي هبوط الولايات المتحدة ، رغم أن الكثيرين ما زالوا يرفضون هذه الفكرة ، فهم يضعون في حسابهم الاثني عشر ألفاً من الرؤوس النووية التي تملكها الولايات المتحدة ، وكذلك طاقتها في غزو الفضاء ، كما يلاحظون قوة الدولار وحصة الولايات المتحدة من الأسواق ، وثروات وول ستريت ، وحجم مصارفها ، وقوة النظام الرأسمالي فيها ، كما يلاحظون هيمنة اللغة الانكليزية ، والطاقة الإبداعية للسينما الأمريكية ، وعندما تتساءل عن أسباب تناقص حصة الولايات المتحدة في الاقتصاد العالمي وهو تناقص يزداد حدة ، يتصاعد الحديث عن دور أمريكا في بناء أوروبا بعيد الحرب ، وليس إلى ضعف حقيقي يدب في أوصالها ، علماً بأن الانتاجية في الصناعة الأمريكية تنمو بمعدل يقل ثلاث مرات عن معدل نمو الانتاجية في الصناعة اليابانية كما يقل مرتين عن معدل نمو الصناعة في أوروبا .. فالولايات المتحدة عملياً لم تعد تصدر من أراضيها لا سيارات ولا أجهزة تلفزيون وفيديو ولا سلعاً تجهيزية ، بالرغم من الجهود المصطنعة لاعطاء الاقتصاد الأمريكي قدرة تنافسية عن طريق تخفيض سعر الدولار مقابل العملات الصعبة الأخرى .

إن الميزان التجاري الأمريكي في حالة عجز متزايد خاصة بالنسبة لمنتجات

التكنولوجيا العادية ، فيما تساوي هذه المنتجات ثلثي الصادرات و٧٥٪ من الانتاج ، وقد تضاعف العجز في الميزان التجاري الأمريكي ست مرات خلال السنوات العشر الأخيرة ، وتراجعت حصة الصناعة الأمريكية من السوق العالمية بمعدل ست نقاط فيما تزايدت حصة الصناعة اليابانية بمعدل خمس عشرة نقطة ، كما أن حصة أمريكا في السوق العالمية (للأدوات الآلية) وهي السلع الرئيسية في تحديد القدرة التنافسية لأي بلد في العالم ، تراجعت من ٢٥٪ إلى ٥٪ خلال ثلاثين عاماً ، بينما قفزت حصة اليابان في المجال نفسه من صفر إلى٢٢٪ وكما يبدو فإن الذي تناقص في الحصة الأمريكية ، انتقل إلى الحصة اليابانية . كما تكشف المؤشرات الاقتصادية إلى أن التجارة الأمريكية عبر المحيط الهادي ، بصورة أساسية تجري في اتجاه واحد ، وأن العجز الأمريكي في المبادلات التجارية مع آسيا يبلغ ثلثي عجز ميزان التجارة الأمريكي ، وأن ذلك يساوي بالأرقام ١٢٠ مليار دولار وأن نصف هذا المبلغ بالكامل يشكل عجز المبادلات مع اليابان وحدها .

إن القيمة الصافية لأوراق البورصة التي تملكها اليابان زادت ، في مدى عشر سنوات ، من ١٠٪ إلى ٥٥٪ من قيمة أوراق البورصة في جميع العالم ، في حين أنه في الوقت نفسه تناقصت الملكية المماثلة للولايات المتحدة من ٤٠٪ إلى ٢٠٪ ، وبفضل صادراتها وحركة الرساميل فيها ، فإن اليابان تجمع سنوياً ٢٠٠ مليار دولار من الفائض تستخدمها في تمويل استثمارات عالمية ، وبصورة خاصة في المؤسسات الأمريكية ، فمجموعة ميتسوي اليابانية مثلاً ، تمتلك ثلث رأسمال ٧٥ مؤسسة أمريكية من النوع المتوسط ، ويساوي مجموع أرقام أعمالها ٢٠ مليار دولار كما تسيطر اليابان على أنظمة وقواعد البث التلفزيوني في جميع أنحاء مجال المحيط الهادي ، وهناك تقنيات بالغة التعقيد ، مثل أجهزة المُعامِل الأصغري «Microprocesseur» تدفع المصانع اليابانية (بما يعادل نصف انتاج العالم منه) إلى أسواق التصريف ، علماً بأن هذه الأجهزة وحدها ، تؤمن واردات مالية تنوف على ٢٠٠ مليار دولار سنوياً .

لقد بات مؤكداً أن اليابان تقدم حالياً أكثر من ثلث التقنيات الضرورية لتطوير

الأسلحة الأميركية ، وسوف يكون عسيراً على الولايات المتحدة أن تحاول إيجاد طريق آخر ...

من جهة أخرى ، وكما يقول جاك أتالي في كتابه الشيق (آفاق المستقبل ص١١٢ دار العلم للملايين ـــ بيروت) (فإن المنافسة هي التي تقرر أين سيكون قلب المجال الأوروبي ، وفي الظروف الراهنة يبدو أن الممر الذي يمتد بين لندن وميلانو مروراً ببروكسل وفرانكفورت هو أقرب الاحتمالات ، إن جنوب أوروبا وغربها يبدوان في وضع مناسب لاستغلال النمو الهائل لأسواق أوروبا الشرقية ، وسيقوم القلب الأوروبي في البلد الذي يجيد أكثر من غيره تطوير نظم المعلوماتية والشبكات الصناعية والتجارية وأنظمة المواصلات التي ستتصل بين جميع أجزاء أوروبا عام ٢٠١٠ حيث يمكن السفر بالقطار من باريس إلى موسكو في مدة خمس ساعات ، وحيث يكون الإبداع وتكوين الكوادر ، والأبحاث في المقام الأول ، وأخيراً ، حيث يكون الالتحام الاجتماعي في وضع يسمح للإدارات الجديدة بهذه التحولات الجذرية الاضطلاع بمهامها المستقبلية) .

على أن الولايات المتحدة لن تسكت طويلاً على الإهانات التي ستلحق بها من جراء التراجع الملحوظ الذي تجد نفسها فيه ، وستصدر عنها ردود فعل متباينة منذ الآن ، **وسيتعزز ذلك بامساك صنبور النفط من المنبع ، وهو أساس الطاقة الرئيسي في اليابان وأوروبا ، أي أساس الحياة والمستقبل للمنافسين القادمين .**

فالنفط موجود في ٦٠٪ من احتياطه العالمي في منطقة الخليج العربي ، ولذلك فإنه سيعمُر خمسة أضعاف المدة التي سيعمرها النفط الأمريكي ، في حالة سياسة انتاج متكافئة ، كما يمكن لاحتياطي النفط في الخليج أن يعمر عشرة أضعاف العمر الانتاجي للنفط في أوروبا .

إن ٨٠٪ من النفط الوارد إلى اليابان يأتي من هذه المنطقة ، كما تقذف المنطقة بكميات هائلة من النفط لقارة أوروبا ، هذا وتعتمد الطاقة المستمرة في الولايات

المتحدة ، وهي زهاء ٦ ملايين برميل يومياً على منطقة الخليج ، وهناك ما يزيد على ٧٠٪ من استيرادات النفط الأمريكية تأتي من دول الأوبك .

(**إن الكويت ـــ بعد السعودية ـــ تمثل صفقة مترابطة أكثر من غيرها ، فحقولها النفطية موجودة على الشاطىء ، بالإضافة إلى أن سعة محطات التكرير الموجودة فيها تعد من الأفضل في الشرق الأوسط . وتسهيلات الشحن كافية وممتازة ، وانتاجها البترولي اليومي يصل إلى ٣,٥ مليون برميل يومياً وهو ما يتجاوز نصف الواردات النفطية الأمريكية حالياً** .. وهو ما يغري على القيام بأعمال التهديد ، سواءً من الاتحاد السوفييتي أو من قبل أقطار اقليمية قوية مجاورة . (من كتاب أمريكا تغزو الخليج ـــ وهي مجموعة دراسات تشكل فحوى التقرير المقدم إلى مجلس النواب الأمريكي بتاريخ ٢١ آب ١٩٧٥ ـــ ترجمة وجيه راضي) .

توجهات الاستراتيجية الأمريكية بشأن الطاقة :

في ضوء ما سبق ، فقد عكفت المعاهد العلمية والجامعات الأكاديمية ، وخبراء الطاقة ولجان الدفاع والأمن القومي ، على تقديم الخيارات التي تتعلق بالمستقبل . ففي كتيب أصدرته الإدارة الأمريكية بعنوان خطوط الحياة للولايات المتحدة ، أكدت هذه الإدارة بأنه (إذا أصبحنا معزولين عن بقية العالم وتضاءل مخزوننا من المواد الخام وعلى رأسها النفط والمعادن ذات العلاقة بالطاقة مثل : الكولمبيوم (المستخدم في المحركات النفاثة والمفاعلات النووية) والتيتانيوم والبورانيوم والكوبالت (وجميع هذه المعادن تشكل المواد الاستراتيجية لصناعات المستقبل) . فإن مضاعفات شديدة الوطأة ستقع على كاهلنا ، وسينعكس ذلك على مستقبل صناعاتنا الأساسية ، وسيكون هناك تخفيض في قدراتنا على صنع السفن والطائرات والأجهزة الالكترونية والمعدات الآلية وكلها حيوية للمرحلة المقبلة وبذلك فإن أي تهديد أو تدخل أو ضغط يؤدي إلى عرقلة واردات الولايات المتحدة من نفط الشرق الأوسط ، **أو تخلخل الموازين التي سيقوم عليها النظام الدولي الجديد ، فإنها تفتح الباب لتدخل عسكري مباشر في المنطقة**) وكما أفصح البروفسور روبرت تاكر ، مستشار الإدارة

الأمريكية لمجلة (كومونتري) بأنه (إذا تحددت مثل هذه الأمور تماماً ، فإن العمل العسكري يجب أن يكون جاهزاً ، بل قد يكون ضرورياً لمنع أمريكا من النزف حتى الموت) . ويقترح تاكر للحيلولة دون النزف الأمريكي ، السيطرة المباشرة على المنطقة الممتدة من الكويت نزولاً على طول الاقليم الساحلي للمملكة السعودية حتى قطر ، حيث تحوي هذه المنطقة قرابة ٥٠٪ من احتياطي الدول المصدرة للنفط (الأوبك) .

لقد استخدمت الولايات المتحدة نتائج حرب تشرين عام ١٩٧٣ بين العرب واسرائيل ، لزيادة فرص تدخلها ــ مع تدخل اسرائيلي مبطّن ــ في الشؤون المباشرة للمنطقة ، وكان أساس هذا التصعيد التعليلي في منطقة الخليج ، ذلك الأمر (رقم ١٨) الذي أصدره الرئيس كارتر في آب ١٩٧٧ بشأن مسائل الاستراتيجية العسكرية ، والذي أعلنت منطقة الخليج بموجبه ، (إضافة إلى بعض بلدان أوروبا الغربية واليابان وكوريا الجنوبية واسرائيل) مجالاً لمصالح الولايات المتحدة الحيوية وكان الحافز على زيادة الوجود العسكري الأمريكي في منطقة الخليج هو أحداث العامين ١٩٧٨ــ١٩٧٩ في ايران والتي أسفرت عن الإطاحة بشاه ايران وأدت بعدها إلى مشكلة الرهائن في السفارة الأمريكية في طهران . وعلى الفور فقد تم تشكيل قوة الانتشار السريع رداً على الأحداث الجارية في ايران ، والتي ستتحول إلى هيئة أخرى ، تحت اسم القيادة المركزية الأمريكية (سنتكوم) وهي مسؤولة عن ١٩ بلداً من كينيا في الجنوب الغربي إلى الباكستان شرقاً ، وعن شطر كبير من المحيط الهندي والخليج العربي والبحر الأحمر ، لقد نزعت القيادة المركزية الأمريكية ، من جملة خياراتها ، خيار التدخل المباشر ، من أجل إعادة الشاه بالقوة ، **إذ ها هي حرب طاحنة كقذف اللهب ، تدور رحاها بين بلدين جارين مسلمين ، تأكل القدرة الكلية لطاقات بلدين من أقوى بلدان الخليج ، وذلك دون أن يمس سعير هذه الحرب المصالح الأمريكية النفطية بشكل جوهري ، فيما ستستمر هذه الحرب ثماني سنوات ، وسيكون العراق مسؤولاً عن سنتها الأولى ، وايران عن كامل سنواتها الأخرى .**

تدمير بالجملة وعلى مر السنوات :

تحت ضغطٍ من الشاه المتعجرف ، الذي كان يمتلك أكبر قوة ضاربة في الشرق الأوسط بعد اسرائيل ، وفي ظل تهديده الدائم بتحريك التمردات الكردية الدامية شمال العراق ، قام العراق بترحيل الشيخ الطاعن ، الذي ظل لسنوات يعيش في المناطق العراقية المقدسة ، وسوف يظل الإمام الخميني بعيد سقوط مصدق الذي هو (أول داعية لتأميم النفط في المنطقة) يعيش قريباً من تاريخ الحزن الشيعي المقيم ، **فكربلاء والنجف ومسجد الكوفة ، شواهد ماثلة على تاريخٍ طويل من الجور الإنساني الذي لا يرحم ، خاصة إذا ظل هذا التاريخ يتحرك بمقولة (قلوبنا معك وسيوفنا عليك) .**

لقد عاد الشاه لتوه (بعد سقوط مصدق على أيدي الاستخبارات الأمريكية بقيادة والد شوارزكوف نفسه ليحكم بهداية أمريكية ، إيران لمدة ست وثلاثين سنة إضافية ، **على نار الشواء البشري التي طالما انبعث منها مزيج من رائحة البارود وصديد الدم وصدأ السلاسل** وكانت واشنطن في ذلك الحين ، تبحث عن قوى حليفة تتولى مهمة البوليس الاقليمي ، وإذ كان العراق على تقارب مع السوفييت ، والسعودية غير قادرة بشرياً ، فلم يبق سوى مرشح وحيد هو الشاه . وجاءت الشهادة من كيسنجر (كان بالنسبة لنا ، زعيماً نادر الوجود ، كان هو الذي اختار أن يكون صديقاً للولايات المتحدة ، و لم يكن لينسى أبداً ، أنه إنما كان قد استعاد عرشه في العام ١٩٥٢ بفضل النفوذ الأمريكي) .

لقد قامت ايران بشراء المعدات الأمريكية طوال الفترة بين ١٩٧٠ ــ ١٩٧٤ بشكل متصاعد يشير إلى لعب دور اقليمي شديد الأهمية في المنطقة ، ففيما كانت جملة المشتريات الايرانية من الولايات المتحدة لا تزيد عن مئة وأربعين مليون دولار عام ١٩٧٠ ، ارتفعت في العام ١٩٧٤ إلى ٤,٥ مليار دولار معظمها معدات بالغة التطور ، وقد بلغ عدد الخبراء الأمريكيين في العام ١٩٧٨ (٣٠ ألف خبير أمريكي) وحين وجهت انتقادات أمريكية لاذعة لسياسة الشاه التسلحية ، أجاب ويده تتحرك

بهزّة احتقارية (**إن لم يكن لديكم ايران قوية قادرة على ضمان أمنها الخاص ، وتأمين أمن المنطقة وأمن المحيط الهندي إن احتاج الأمر ، كيف تراكم تتصرفون ؟ هل ستعمدون إلى حشد مليون جندي أمريكي في مكان ما من هذه المنطقة الحساسة .. أم هل تراكم تسعون إلى فيتنام جديدة ؟!**) ومهما يكن فقد كانت عمليات (خرق حقوق الإنسان التي كانت لا مثيل لها في ايران ، أمراً يسيراً ، بالمقارنة مع ضخامة الهدف ، أعني تلك الحملة الصليبية التي شُنت ضد الشيوعية والاتحاد السوفييتي آنذاك) (آلان غريش ـــ الخليج مفاتيح لفهم حرب معلنة ص١٢٣ ترجمة ابراهيم العريس) .

ـــ كان شط العرب هو محور الصراع الأول بين ايران والعراق .
ـــ وكان وضع الشيعة في الجنوب ، مصدر افتراق اجتهادي في البدايات ، ثم صار بعد الاستبداد التركي والتحريض الانكليزي محور نزاع ظل عراق الاستقلال يخاف منه ومن تداعياته حتى يوم قريب .
ـــ كان هذا الخوف هو أحد مصادر التمييز البغيضة بين السنة والشيعة ورثهُ العراق من تاريخ مؤلم مثلما ورثه غيره .
ـــ ثم كان الخط الفارسي الذي سنّهُ الشاه مبعث قلق على شمال العراق وجنوبه ونذير شؤم لحاضر المنطقة ومصيرها في يوم من الأيام .
ـــ ثم استتبع ذلك نزوع نحو ممارسة القوة المتصاعدة بضم الجزر العربية الثلاث ، وتمزيق اتفاقية عام ١٩١٣ من قبل الشاه ، وهي الاتفاقية التي نظمت خط الحدود وسط المجرى الرئيسي للشط مقابل عبدان ، وعلى مستوى المياه الواطئة (الجزر) عند الضفة الايرانية .

ففي يوم ١٩ نيسان من العام ١٩٦٩ وصف الشاه هذه الاتفاقية بعبارات متعالية (لقد عفّ عليها الزمن ، وأصبحت غير مقبولة في زماننا هذا) .

وفي آذار من عام ١٩٧٥ وأمام تصاعد التمرد الكردي المدعوم من الشاه ، وقع نائب الرئيس العراقي صدام حسين ، مع الشاه اتفاقية الجزائر، وبموجبها

صار خط الحدود عند شط العرب يتبع وسط المجرى ، حيث لم يعد النهر عراقياً خالصاً ، وهذا الاتفاق الجديد ، هو الذي سيرفضه صدام حسين يوم ١٧ أيلول من عام ١٩٨٠ ، وسوف تدوم الحرب ثمانية أعوام دامية بعد ذلك .

في غمرة العمليات الحربية المأساوية بين ايران والعراق ، قامت السعودية والكويت وعُمان والبحرين وقطر ودولة الإمارات العربية المتحدة عام ١٩٨١ ، بتشكيل مجلس التعاون الخليجي ، والتي جاءت فكرة تشكيله من الكويت ، مع استبعاد العراق من الانضمام إلى المجلس ، وبحكم انهماكه بالحرب واعتماده على أموال دول الخليج ودعمها ، فلم يكن أمام العراق إلا أن يسلّم بالأمر الواقع ، وقد أُعطى حكام دول الخليج ، بتشجيع من السعودية ، الأولوية في المجلس ، للشؤون الأمنية ، واختيرت الرياض مقراً له ، وتلى ذلك الاندماج الاقتصادي ، وقامت دول المجلس ، باجراء مناورات عسكرية مشتركة ، وتكونت قوة للتدخل السريع اتخذت من حفر الباطن (على مقربة من الحدود الكويتية ــ العراقية ، وهي قاعدة بناها الأمريكيون منذ عشرين عاماً) مقراً لها ، وقد توفرت لتلك القوة بحكم العلاقة السعودية امكانية الاستفادة من المعلومات التي كانت تجمعها طائرات الأواكس وأقمار التجسس الأمريكية ، ومع بداية عاصفة الصحراء عام ١٩٩٠ ، لم تعد لقوة مجلس التعاون الخليجي المشتركة قيمة تذكر ، واستمرت كتعبير رمزي عن حلم سياسي ــ دفاعي ، هاجسه الأكبر حماية أموال الأغنياء ضد مخاطر الفقراء ، ثم ما لبث المجلس نفسه أن اختفى في حملة التحالف ضد العراق عام ١٩٩١ . قبل ذلك ، أي في الشهر الرابع من العام ١٩٨٨ ، وقبل أن تضع الحرب الايرانية ــ العراقية أوزارها بأربعة أشهر ، وضع الجنرال شوارزكوف تقريراً ، وكان قائداً لمنطقة مسؤولية القيادة المركزية العسكرية الأمريكية والتي تضم ١٩ بلداً على خارطة الخليج والشرق الأوسط ، وهي القيادة نفسها التي كانت تسمى وقت انشائها (قيادة قوات التدخل السريع) وينقسم التقرير كما يقول غابي طبراني في كتابه شتاء الغضب ص٤٧ ، إلى افتراضه ثلاث جوانب تهديدية لمنطقة المسؤولية :

١) احتمال غزو سوفيتي صريح .

٢) زيادة النفوذ العسكري والسياسي للاتحاد السوفييتي في المنطقة .
٣) التهديد الإرهابي .

وباعتبار أن العراق ، كان يقع في التقرير . في باب الاحتمال الثاني أو الثالث ، فقد خصّه بالمقاطع التالية :

(إن حالة اللا حرب واللا سلم الذي استقر عليه الوضع عشية توقف اطلاق النار بين ايران والعراق ، لا تضمن استقرار منطقة الخليج ، فجهود الطرفين للتسلح مجدداً بأسلحة تقليدية وبصواريخ طويلة المدى وبمخزون جديد من الأسلحة الكيميائية ، تشكل تحذيراً لا يمكن أن نرحب به ، إن الوضع بين العراق وإيران ما زال يهدد بإشاعة الاضطراب في المنطقة في التسعينات) .

من ناحية أخرى ، يقول التقرير (فإن القيادة المركزية تتوقع ، بشكل أكيد ، أن يشكل العراق تهديداً عسكرياً للدول الأضعف والأكثر محافظة في مجلس التعاون الخليجي ، ويمكن أن تصبح مطالب العراق الملحة في أجزاء استراتيجية من شمال شرق الكويت مشكلة في المستقبل .

كما تتوقع القيادة ، يضيف التقرير (أن يطور العراق أسلحة محلية تلعب دوراً جوهرياً في التسعينات ، خاصة في تطوير أسلحة الدمار الشامل والصواريخ الباليستيكية المتوسطة المدى القادرة على اطلاق هذه الأسلحة) . ثم يشير إلى الكويت في فقرة مستقلة : (كنتيجة مباشرة لرفع علم الولايات المتحدة على السفن الكويتية وعمليات حراسة السفن في الخليج ، فإننا نتمتع بتعاون متزايد بين العسكريين من طرفنا والعسكريين من طرفهم ، وتؤكد القيادة المركزية على تقديم المساعدة الأمنية الأمريكية القوية ، لدعم قدرة الكويت على الدفاع عن نفسها) .

ويتناول التقرير في فصله الختامي ، أهمية النشاط الاستخباراتي وفي هذا الصدد يقول شوارزكوف : (لقد تمت إقامة عدد من الدوائر الصوتية الآمنة بين الولايات المتحدة ، والدول الصديقة من أجل الانذار الفوري بوجود تهديد والاستجابات المشتركة ازاءه) .

وينتهي التقرير إلى القول : (إن الدعم الاستخباراتي مجال لا تملك القيادة المركزية أن تتخلف فيه ، وستتمكن القيادة من مد قواتها باستخبارات سليمة التوقيت يعتمد عليها ، وهو ما تحتاج إليه لتنفيذ عملياتها بطريقة فعالة في أية ظروف طارئة يمكن التنبؤ بها) (شتاء الغضب ـــ طبراني ٦١) وكان التقرير قد استعرض كامل الأوضاع الأمنية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية لكل بلد من البلدان التسعة عشر الواقعة في إطار مسؤولية القيادة المركزية بما فيها ليبيا ، رغم أنها لا تقع ضمن مسؤولية القيادة المذكورة .

كان ذلك قبيل انتهاء الحرب الايرانية ـــ العراقية بأشهر ، حيث وضعت تلك الحرب أوزارها في الثامن من آب عام ١٩٨٨ ، **دون أن يكون بالامكان التنبؤ ، بأن هذا التاريخ سوف يشكل أيضاً بداية لأزمة الخليج الثانية .**

الفصل الثالث

لم يهطل المطر من غيمة عابرة

لم يكن النفط وحده من بواعث الحملة الأخيرة التي جردها الغرب ضد العراق ، فهناك توازن القوى بالنسبة للدول الثلاث : إيران والعراق وتركيا ، وهناك أمن الخليج وضمان استقراره ، وهناك مسائل التسلح وعدم اختراق السقف ، وهناك أمن اسرائيل ، وسيظل هذا العامل من أهم العوامل حتى بعد انتهاء الحرب الباردة ، وهناك الخط الأحمر الذي يقف التحديث عنده ، وغيرها مما يقع تحت رقابة الاستراتيجية الأمريكية الدائمة ، بما في ذلك مشاريع التكتلات الإقليمية ، مغزاها ومسارها وسياساتها .. وقد كان الرأي السائد يعتبر العراق بأنه خرج منتصراً من صراع عسكري طال أمده ، وما يؤكد هذا الإعتقاد أن طهران في النهاية هي التي أخذت المبادرة في عرض وقف إطلاق النار ، وكان يكفي لو أن إيران تمتلك مزيداً من احتياط الجيش ، (الذي انفرط عقده بعد سقوط الشاه) والتمويل ، والمعدات ، والإدارة الحربية الموحدة ، بعد الفاو ، لأصبح وضع العراق حرجاً ، **ولكان من المرجح أن يتشظّى العراق بين الشمال والوسط والجنوب ، إذ كثيراً ما وصلت الحرب بين البلدين إلى عنق الزجاجة ، سواءً في حرب الأمواج البشرية ، ومعارك الشمال والجبال ، والوسط** ــ عند ديالي

وبعقوبة ــ حيث تضيق الخاصرة الشرقية لبغداد ، ثم كانت حرب الصواريخ بعيدة المدى ، وحرب المدن ، ومحطات ضخ النفط وموانىء التحميل والتكرير ، وحرب الناقلات ، التي أتاحت للولايات المتحدة تكثيف وجودها البحري في الخليج ، وكان كل شيء قابلاً للخراب والدمار ، من المدن إلى العتاد إلى الرجال ، فالمشاريع التي رصدت لها ميزانيات بأكملها ، إلى منشآت النفط ومختلف الصناعات ، وطرق المواصلات والمطارات ، ثم إلى الموانىء المدنية والعسكرية ، فالجسور ومحطات الكهرباء وتكرير النفط وشبكات المياه ، **كانت البنية التحتية تتصدع ، والإقتصاد يتداعى والجيوش تتذابح ، خاصة وأن الولايات المتحدة كانت تمد الطرفين بكل أوهام القوة والنصر ، من صور الأقمار الصناعية الصحيحة والكاذبة ، إلى إيران ــ جيت وإلى كل ما يطيل أمد استمرار الحرب وبقائها .**

« ألم يكن باستطاعة الكبار وضع حدٍ لتلك الحرب التي طالت بيننا ؟ لقد فضلوا ترك العراق وإيران يتمزقان فيما بينهما سنوات طويلة وقامت تلك المعارك الشرسة على بقعة من الأرض تحتوي على ٦٠٪ من الإحتياطي العالمي للنفط ، وكانت المدافع تستطيع أن تتابع قصفها والمذابح تستمر طالما أن هذا الأمر لا يخلق لهم المشاكل » وكانت تلك إحدى الرسائل التي وجهها الرئيس العراقي صدام حسين إلى الرئيس رفسنجاني يدعوه فيها للقاء أخوة في مكة المكرمة ، ورفض الرئيس الإيراني الدعوة ، مؤثراً تبديل المكان من مكة إلى الباكستان .

وفي الحقيقة فقد أنهت بغداد الحرب وهي تتمتع بكل أسباب القوة ، وفي الوقت نفسه من تداعيات الحرب ومفاعيل استنزافها ، فآلتها الحربية المتطورة كانت تثير الدهشة لدى الغرب واسرائيل فهناك ٥٥ فرقة عسكرية مقابل عشر عام ١٩٨٠ ، وهو ما يعادل مليون جندي تحت السلاح ، وهناك ما يزيد على خمسمئة طائرة ثلثها غاية في التطور ، وخمسة آلاف دبابة من مختلف الأوزان ، ثم كانت هناك الصناعات الحربية التي تريد أن تخرج من عالم (العالم الثالث) والتي يعزي العديد من المحللين الاستراتيجيين دوافع الحرب الأخيرة إليها .

ثمن القوة :

يقول الضابط المتقاعد والتر لانغ الذي أصبح مسؤولاً مدنياً عن خمسة آلاف موظف مدني وعسكري في مخابرات البنتاغون ، والذي ظل يتابع العراق عن كثب على مر السنوات منذ أواسط الثمانينات :
(بعيداً عن المبالغات التي غالباً ما يعمد إليها معظم خبراء الشرق الأوسط في السي آي إيه ، ووكالات المخابرات الأخرى في الولايات المتحدة ، **فإنني لعلى يقين بأن هذا البلد الشاسع الذي يضم ثمانية عشر مليوناً من العراقيين ، لم يعد قوة عسكرية تنتمي إلى العالم الثالث ، فقد صار جيشه المكون من مليون جندي رابع أكبر جيش تقليدي في العالم ، إنني أستطيع أن أجزم بأن جيشاً يستطيع أن يسحق ٣٠ ألفاً في معركة واحدة ، ويتمكن من دخول أي مكان في أراضي الخصم هو جيش يثير الدهشة***) .

لقد ظل هاجس الأسلحة غير التقليدية التي يمتلكها العراق ، وامكانية استخدامها ضد قوات التحالف في السعودية ، أو ضد اسرائيل يقض مضاجع الغربيين طوال فترة التحشد والحملة الجوية الضارية وبدء الهجوم البري وقد بدا ذلك واضحاً عندما قامت قيادات التحالف العسكرية بتوزيع الواقيات الحامية من مختلف أنواع الغازات والأسلحة الجرثومية على زهاء نصف مليون جندي من قوات التحالف ، وكانت الواقية تعامل معاملة الجزء الأساسي من عتاد الجندي المطلوب .. أما الهاجس الآخر ، فظل يحوم حول الشوط الذي قطعه العراق في برنامجه النووي ، ولو أن الجزء الأكبر منه ، يعرفه الغرب منذ ولادته ..
سيبعث الجنرال شوارزكوف ، وهو يفرك بيديه ابتهاجاً ، بعد عشرة أيام من الحملة الجوية ، بالبرقية الأكثر أهمية كما يصفها ، يقول فيها لقيادته : (**نود أن نؤكد بأن القلب النووي للعراق قد توقف**) . وكانت تقديرات الأجهزة الفرنسية والبريطانية والأميركية تشير إلى أن العراق يمكن أن يمتلك السلاح النووي العملياتي عام ١٩٩٥ ، وكان العراق قد تمكن من نسج شبكات حقيقية من أجل المضي

* (من كتاب القادة . بوب وود ورد . ترجمة محمود برهوم ص ١٤٠)

قدماً بالبرنامج النووي وتصميم الصواريخ والمختبرات الخاصة بأسلحة التدمير الشامل . (في نهاية الفصل قائمة بأسماء هذه الشركات واختصاصاتها وجنسياتها العالمية) . ولم يكن المسؤولون عن إدارة هذه البرامج يعرف بعضهم بعضاً ، حتى أن قلة من رجال العلم العراقيين ممن ينتمون إلى الحزب كانوا يعرفون بأسرار القنبلة العراقية المقبلة .

كانت معركة التكتم والسرية ، وكانت معركة الحصول على التكنولوجيا اللازمة لإحضار النوابذ اللازمة لإغناء اليورانيوم ، وكانت معركة ضارية من أجل الحصول على البلوتونيوم ، كذلك على مقاييس حرارة تعمل بالأشعة فوق البنفسجية للمفاعل النووي ، ثم كانت صراعات مريرة للحصول على أجهزة عاكسة للتوتر العالي ، كذلك أجهزة القدح من نوع (كريتوت) وهي أجهزة لإعطاء الشرارة التي تحدث الإنفجار النووي . وجاءت معركة شراء أجهزة القياس اللازمة للذبذبات من أجل معرفة الآثار التي تحدثها الإنفجارات النووية . **وكان المفروض أن تبقى كل متطلبات البرنامج النووي اللاحقة ، برسم الإنتظار ، ريثما يتمكن العراق من الحصول على الأموال الكافية ، لتأمين الربع الأخير ، من آخر وصلة على الطريق النووية الشاقة والمضنية .**

كان على الطريق بانتظار الدفع ، قواطع الكترونية ، ومكثفات ، وصواعق ، وأكسيد اليورانيوم ، ومصدّات محاور النوابذ المستخدمة في تخصيب اليورانيوم .. وكان الغرب يراقب كل متر مربع يجري فوقه أو تحته أي نشاط يتعلق بالبرنامج العراقي النووي ، وقد أدت المخابرات الإسرائيلية في كل من أوروبا وأمريكا والإتحاد السوفيتي والمجموعة الإشتراكية السابقة خدمات جلّى للمخابرات الغربية في هذا المجال ، خاصة بعد أن ضربت اسرائيل بعرض الحائط ، كل الإعتبارات الدولية ، حين قامت بقصفها مفاعل تموز في ٧ حزيران من العام ١٩٨١ ، في حين يؤكد الأمين العام لوزارة الخارجية الفرنسية آنذاك السيد برونو دولوس في تلكسه السري الموجه إلى وزير الصناعة الفرنسية آنذاك السيد بيير دريغوس ، بعد العملية الإسرائيلية بأسبوع ، (إن اسرائيل قامت في الواقع بمجازفة خطيرة ، إذ كان يمكن لهجومها

أن يؤدي إلى حادث كارثي من حيث أن كمية ١١,٥ كغ من اليورانيوم الغني جداً والمشع كانت موجودة في المكان الذي وقع عليه الهجوم ، ويقول الإسرائيليون إنهم على يقين أن العراقيين كانوا قد نقلوا هذا اليورانيوم إلى مكان أمين وبعيد عن المفاعل تموز ــ أ ــ بعيد اندلاع الحرب الإيرانية ــ العراقية لكن الشيء الذي لم تكن تعرفه اسرائيل أثناء عمليتها الجهنمية أن العراق كان قد أعاد اليورانيوم إلى مكان ما في المفاعل قبل الغارة بأيام فقط) (كتاب الأوراق السرية لحرب الخليج تأليف رولان جاكار ترجمة د . مخلوف ص ١٥١ ــ ١٥٢)

ممنوع على البعض مسموح للبعض الآخر :

كان العراق قد أنفق زهاء ثلاثة مليارات دولار على صناعة الحرب الكيماوية ، من حيث أن كل دول العالم تمتلك مثل هذا النوع من السلاح ، وهو سلاح متطور جداً في اسرائيل ، ويقول لي إسبن رئيس لجنة القوات المسلحة في الكونغرس الأمريكي في حديث له بتاريخ ٢٨ ايلول ١٩٩٠ إن (العراق قد نجح في تصميم بدايات التسلح البيولوجي ، وهو يمتلك مخزوناً خطراً من هذه الأسلحة) أما تكاليف العناصر البيولوجية وحدها فقد زادت عن ٧٠٠ مليون دولار في يوم من الأيام ، وكان مصنع سلمان بك جنوبي شرقي بغداد المخصص لهذا النوع من الأبحاث والتجارب قد كلف العراقيين المليارات أيضاً .

ولعل الجزء الأعظمي ، الذي التهم الموازنة العراقية كان ينصب على الصناعات الحربية المتعلقة بالصواريخ والطائرات وأجهزة الإنذار ، ومشروع المدفع العملاق الذي هو عبارة عن صاروخ ذي ثلاث مراحل ، نجح (بول العالم الكندي) في تجربته المؤلفة من المرحلتين الأولى والثانية ، **وكان المشروع يرمي في النهاية إلى إمكان إطلاق قمر صناعي بواسطته ... هذا فضلاً عن النفقات الأخرى المتعلقة بالأسلحة التقليدية** . وتشير المصادر الغربية إلى أن العراق أنفق اعتباراً من أواسط الحرب العراقية ــ الإيرانية وحتى اندلاع أزمة الكويت الأخيرة ، زهاء ٨٥ مليار دولار . وهناك مصادر أخرى تشير إلى أرقام أكبر حيث تصل إلى ١٢٠ مليار

دولار إذا أدخلت عوامل شراء اليورانيوم أو البلوتونيوم وسواها من المواد باهظة التكاليف الأخرى .

لم تكن سنوات الحرب الثاني تمضي إلى سجلات الأمم المتحدة ، حيث تم اتخاذ القرار رقم ٥٩٨ القاضي بوقف النشاطات الحربية بين إيران والعراق ، وتبادل الأسرى .. الخ حتى كان العراق مثقلاً بديون تجاوزت مئة مليار دولار ، منها ثلاثين ملياراً للكويت والسعودية ، وكان على العراق أن يطعم شعبه ويصرف رواتب جنده ومستحقات أطفاله ، وأن يعيد توازن إنفاقه ، بين المتطلبات السلمية والإقتصادية وما دمرته الحرب ، والمتطلبات المتعلقة بمليون جندي ، وما في حوزتهم من أسلحة ومعدات ومشاريع حربية ...

وكان من الطبيعي أن بلدان الخليج النفطية لا ترحب بمثل هذه المشاريع ، خاصة تلك التي تثير شجون السعودية ، وتاريخها القريب مع الزعيمين المصريين ، محمد علي باشا ، وجمال عبد الناصر .

النتائج تعفينا من الإستنتاج :

سنكتشف لاحقاً ، أو من خلال النتائج التي استقرت ، دون حاجة إلى استنتاجات نظرية ، أن منع مساعدة العراق جاء بإيحاءٍ خارجي ، وأن رفض تأجير الجزر (بوبيان ووربة) جاء هو الآخر بنصيحة خارجية ، وأن الصراع على آبار النفط الحدودية (الرميلة مثلاً) قد زادت حدته وتعّنت الكويت بشأنه خاصة بعد أن (وضع الجانب الأمريكي تحت تصرفنا هاتفاً فضائياً لتشجيع التبادل السريع للأفكار والمداولات والمعلومات التي تتطلب اتصالات مكتوبة . إن رقم خط الهاتف الخاص العائد للسيد وليم وبستر (مدير المخابرات المركزية الأمريكية آنذاك) الذي هو ٥٢٤١ ـــ ٦٥٩ (٢٠٢) سيكون تحت تصرفكم « من رسالة في ت ٢ ١٩٨٩ بعث بها العميد فهد الأحمد الفهد مدير عام الأمن الوطني الكويتي إلى وزير الداخلية الشيخ سالم الصباح السالم . حرب الخليج . بيار سالنجر وأريك لوران ، طبعة تاسعة مع الوثائق ص ٢٥٤ توزيع دار أزال للنشر بيروت » .

وأن حشر العراق في احتياجاته المالية إلى درجة الارهاق ، وما سمّي (بحق الدم) العراقي على الأخوة العرب ، كان قد جاء هو الآخر نتيجة تصميم أمريكي (على

عدم الدفع) بل وإجبار الكويت والسعودية على عدم التساهل في ذلك ، سواء بالنسبة للعراق أو الأردن أو منظمة التحرير الفلسطينية حتى ولو بدولار واحد .

حيث تقول الرسالة السابقة في النقطة الخامسة منها ما يلي (اتفقنا مع الجانب الأمريكي على أنه من المهم الإستفادة من تدهور الوضع الإقتصادي في العراق ، حتى تجبر حكومة هذا البلد على الموافقة على رسم حدودنا المشتركة ، وقد عرضت وكالة الاستخبارات الأمريكية وسائل الضغط التي تراها مناسبة مع التشديد على أنه يجب أن يقوم بيننا تعاون واسع في هذا الحقل بشرط أن يتم التنسيق فيه على أعلى المستويات)(المصدر السابق ص ٢٥٣)وهكذا أصبح العراق مهدداً بالإختناق الفعلي دون حدود .

وأجواء أخرى :

فيما كان العام ١٩٨٩ يلفظ أنفاسه الأخيرة ، ظل العالم مشدوداً لمجريات الأحداث المذهلة ، التي كانت تجري في أوروبا الشرقية والإتحاد السوفيتي حيث استحوذ انهيار الشيوعية وسقوط حائط برلين وانقلاب رومانيا على جميع اهتمامات وسائل الإعلام العالمية والغربية .. غير أن أحداثاً أخرى كانت تعسّ تحت جنح الظلام :

(عندما جاء جون كولي ــ مؤلف كتاب الحصاد فيما بعد ــ إلى مكتبي كما يقول بيير سالنجر ، مؤلف الملف السري لحرب الخليج ، أدار الكرة الأرضية بيده ، ثم قام بتثبيتها على منطقة السعودية والخليج ، وقال : (اسمع بيير ، لا نستطيع أن نغض النظر عما يجري هنا ــ يقصد الخليج والشرق الأوسط ــ إن ما يجري في الكتلة الشرقية مهم ، لكن ما يجري في الشرق الأوسط والخليج أكثر أهمية ، هنا لابد أن الأحداث تسير نحو الصدام ، وهذا أمر لا يمكن أن نتجاهله)

كانت الولايات المتحدة منهمكة بآخر جولاتها (ضد امبراطورية الشر) الشيوعية ، وتستعد لاستقبال المدعوين إلى تدشين حفلة النظام الدولي الجديد بقيادتها المنفردة ، كما كانت أمريكا تستعد أيضاً لخوض غمار الصراع الإقتصادي المقبل ، سواءٌ مع أوروبا الموحدة عام ١٩٩٢ ، أو اليابان ...

فيما كانت أوروبا الغربية ، مأخوذة بما يجري في قسمها الشرقي وتعدّ العدة لاقتسام مغانم منطقة متداعية ، وتشعر بأنها أحق شعوب العالم بقطف ثمار هذه الغنيمة الساقطة من أشجار أقرباء القارة الواحدة .

كانت الولايات المتحدة من جهتها تستذكر ذاك الشجن الإقتصادي وألوف مليارات الدولارات التي قذفتها إلى ساحة الصراع مع الشيوعية العالمية ، وأنها هي التي تكبدت الخسائر المخيفة ، وبالتالي فهي الأحق بإدارة شؤون هذا العالم الجديد(*)المتولد عن انهيار المعسكر الشيوعي برمته .

كانت تكاليف النصر ــ دون حرب ــ فادحة ، فالمزاج الأمريكي تبدى عصبياً بما تحمّل من أعباء وتبعات اقتصادية ، لاسيما تكاليف سباق التسلح ، وبرامج الفضاء ، وفترة الصراع التي أتاحت لآخرين في أوروبا الغربية والشرق الأقصى أن يحتفظوا بقوتهم وأن يزيدوا ويجددوا .

(لم تكن أمريكا كاملة الفرحة لما جرى في المعسكر الشيوعي بسبب الإرهاق الناشىء عن الاستنزاف ، وبسبب الهاجس الداخلي لدى الأمريكيين بأن هناك أطرافاً احتفظت بقوتها وزادت منها وجددت ، انتظاراً لفرص تسنح لها أو ظروف تتاح . **وبدا أن ضرورات الأشياء تفرض على الولايات المتحدة أن تعثر لنفسها على عدو جديد ، تستطيع أمام خطره الحقيقي أو الموهوم ، أن تواصل تعبئة شعبها وقواتها المسلحة استعداداً للمتوقع أو المجهول** ، وفي كل الأحوال فإنها بحاجة لأن تثبت لنفسها والآخرين أن السيادة الأمريكية على العالم مقادير يصعب ردها أو دفعها) (من مقدمة هيكل في كتابه الجديد . حرب الخليج أوهام القوة والنصر . جريدة السفير ١٩٩٢/٣/٢٥) .

على المستوى الإقليمي يقول هيكل (المصدر السابق) (كان العالم العربي في عزلة عن دنياه المتغيرة بسرعة ، وكان في حالة خصام مع قيم عصره ، وكان مشتبكاً مع نفسه في حروب أهلية لا يكاد ينجو منها بلد ، وكانت بعض أوطانه تتآكل هويتها ورقعتها بينما بعضها الآخر يغرق في مستنقعات طين ودم ، بل إن أوطاناً عربية مضت تغيب بسرعة في ظلام النسيان ، ثم إن هذا العالم العربي كان على

(*) تعبير أمريكي عكف رجال الإدارة الأمريكية المتعاقبون على إطلاقه على الإتحاد السوفييتي .

خلاف مع الجيران حوله في الإقليم ، وقد وصلت هذه الخلافات إلى حد الحرب المسلحة ... ثم كانت هناك انتفاضة الشعب الفلسطيني التي مست وجدان الأمة وحركت كوامن غضبها بصرف النظر عما إذا كان هذا الغضب قادراً على الوصول بشحنته إلى نتيجة أو كان عاجزاً عن ذلك) .

وباختصار ، يمكن القول ، إن منطقة الشرق الأوسط منذ أوائل السبعينات كانت تتقدم إلى ساحة الإحتمالات المتضاربة ، وقد استغل الغرب نتائج حرب تشرين ، بما فيها اتفاقات كامب ديفيد ، لدفع المنطقة نحو مزيد من العنف والفوضى والكراهية ، وكانت عيّنات من الحرب الأهلية اللبنانية ، وظهور قوة الثورة الإسلامية في إيران ، وبروز ظاهرة الأصولية واغتيال الرئيس المصري أنور السادات ، ونشوب الحرب الإيرانية ــ العراقية ، وازدياد سياسة العنف والخطف ... نماذج كافية لرسم ما يجري فوق سطح هذه المنطقة الساخنة .

ولعل إحدى أهم المعضلات الخطيرة في المنطقة ، هي غياب الفهم الأساسي في الغرب لتلك التوجهات الدينية والسياسية والأهداف البعيدة المستلهمة من تاريخ المنطقة ، فقد ارتكبت الدول الغربية دولة تلو أخرى ، وفي مقدمتها الولايات المتحدة أخطاءً فادحة بحق شعوب هذه المنطقة ، **فلم تكن أمريكا مثلاً تفهم أن (شاهها) كان مكروهاً من شعبه حتى الموت** ، **وأن (ساداتها) الذي نال كامل اعجاب العالم الغربي كان بغيضاً على شعبه ، بل كان هدفاً للاغتيال طوال حياته الرئاسية ، وأن العديد من بائعي (نفطها) في المنطقة (السعودية ومجلس التعاون) كانوا يتعرضون للنقد المرير في كافة أرجاء العالمين العربي والإسلامي** ، كانت أمريكا في كل سياساتها تريد أن تتجاهل واقعة تعرفها جيداً ، وهي أن المنطقة العربية ، أو الوطن العربي ، **فيه من التناقض ما يكفي للقول أنه (الوطن الوحيد في العالم الذي يقع فيه أعلى متوسط دخل وأدنى دخل في العالم على حد سواء)** وأن الناتج القومي العربي بأكمله والمقدر بحوالي ٢٠٠ مليار دولار سنوياً يأتي بنسبة ٦٥٪ منه من النفط (أي ١٣٠ مليار) وأن كل هذه المبالغ تذهب إلى ٧٪ من مجموع سكان الوطن العربي ، وأن (٧٠ ملياراً حصة السعودية وحدها) تذهب إلى ٣٪ فقط من أصل مجموع هذه الأمة ... وفي الوقت الذي تقدم العراق (وهو بلد نصف نفطي على أي حال لتعداد سكانه) لاحتلال الكويت شرعت الولايات

المتحدة ــ في ضوء مفهومها البراغماتي ــ بمعالجة المشكلة **تحت اعتبار مفاده أن الكويت استراتيجية أمريكية** ، ثم غامرت بشن حربها العالمية الثالثة (والتي يفرقها عن الحرب الحقيقية كونها فقط نسخة غير ذرية) مع احتمال أن تكون كذلك ، في حال استخدام العراق أسلحة غير تقليدية ، ثم استمرت في قصف العراق لمدة خمسة وأربعين يوماً ، (أي ما انهمر على فيتنام من الصواريخ والقنابل لمدة تسع سنوات)

و(ما يعادل طاقة تفجير أربع قنابل نووية من حجم هيروشيما من دون إشعاع) وما يساوي مجموع ما ألقاه الحلفاء على ألمانيا في الحرب العالمية الثانية ، وتم ذلك في ١٢٠ ألف غارة ألقت ما حمولته عشرات الألوف من الأطنان بحيث طالت الجسور والمحطات والمنشآت الإقتصادية والملاجىء المدنية وسكك الحديد وأجهزة التصريف الصحي والمياه والكهرباء وكل ما ليس له علاقة بالحرب أو السلام عموماً ...

البنتاغون يعترف :

لقد حدث ذلك ، في غضون شهر ونصف من القصف المتواصل ، والعشوائي دون تمييز ، ويقول تقرير حديث صادر عن البنتاغون في واشنطن بتاريخ ١٩٩٢/٤/١١ نقلته وكالة رويتر ما يلي :
(إن عدم كفاية تقارير الاستخبارات أو تأخرها ، تسبب في تكرار لا داعي له للغارات الجوية وفي أضرار لم تكن مستهدفة لإنتاج الطاقة الكهربائية في العراق) ويضيف التقرير المؤلف من ١٢٠٠ صفحة وهو في أقسامه الرئيسية لا يزال سرياً ، يضيف (أن تقارير هامة للمخابرات عن تقييم الأضرار التي لحقت بالأهداف العراقية كانت ذات فعالية محدودة ، مما حدا بالقادة العسكريين إلى توجيه الأوامر بشن غارات إضافية ومتكررة ، لمواقع كانت قد أصيبت بالفعل)
ويشير التقرير في مكان آخر إلى الدروس المستفادة من الحرب فيقول : هناك خمسة دروس عامة ومستفادة من هذه الحرب :
١ــ قيادة بوش الحاسمة حددت بوضوح أهداف الولايات المتحدة لتحرير الكويت

وأعطت الآخرين ثقة في تقدير الولايات المتحدة للهدف وتمكنت من حشد التأييد لها محلياً ودولياً .

٢ـ الجيل الثوري الجديد من الأسلحة المتطورة تكنولوجياً من نظم مبدعة ومؤثرة ، أعطى القوات المتحالفة تفوقاً على القوات المسلحة العراقية .

٣ـ ارتفاع مستوى أداء الجنود الأمريكيين وانضباطهم من القادة إلى الجنود العاديين كان عاملاً مهماً .

٤ـ الدور الحاسم في أوقات الأزمات فيما يتعلق بالتخطيط العسكري السليم والقوات الهجومية وكذلك القدرات الجوية والمنقولة بحراً .

٥ـ طول الفترة الزمنية التي مكنت من بناء القوة العسكرية الأمريكية في المنطقة ، مما فتح الطريق إلى حرب ناجحة في الخليج .

لكن وزير الدفاع الأمريكي ديك تشيني عاد فأكد في التقرير :

آ ـ لا يمكن اعتبار هذه الحرب كنموذج لانتصارات سريعة في حروب المستقبل ، فلقد استفدنا كثيراً من مظاهر معينة لا يمكننا أن نعول عليها في المستقبل .

ب ـ إن الطائرة الشبح ـ ستيلث ـ وصواريخ توماهوك الموجهة أصابتا عدداً من الأهداف أقل بكثير مما كنا قد أعلنا عنه ، فهي لم تصب إلا ٦٠٪ من الأهداف وليس ٩٠٪ كما كنا قد أشعنا سابقاً .

ج ـ إن القوات الأمريكية دمرت ١٤٠٠ مركبة عراقية مدرعة ، وليس ٢٤٠٠ مركبة كما ذكرنا في بداية الأمر .

د ـ إن بعضاً من جنود الحلف قتلوا بنيران صديقة من قوات التحالف في فوضى القتال ، وإن حل مثل هذه المشكلات مستقبلاً مهمة شاقة .

لقد أشار الخبراء في أول تعليق على التقرير إلى أنه يحمل اعترافاً ضمنياً بأن حملة القصف الجوي التي قامت بها طائرات التحالف ضد العراق كانت لها آثار مدمرة على السكان المدنيين وأنها دمّرت أهدافاً أكثر مما كان مخططاً وألحقت دماراً غير ضروري بأهداف مدنية وخاصة محطات الكهرباء والمياه . إن الجانب السري من التقرير بلا شك أهم بكثير مما تم الإعلان عنه ، فمعاناة المدنيين التي استمرت بعد

توقف الحرب ، وارتفاع معدلات الوفيات بينهم ، وازدياد تلوث مياه الشرب وانتشار الأوبئة ، وأعداد الجنود العراقيين الذين كانوا في الكويت ، ومدى الخطأ والصواب في توقيت وقف إطلاق النار والإنتفاضات الدامية في الشمال والجنوب التي شجعها التحالف ثم انكفأ تاركاً إياها لمصيرها ... وغير ذلك مما تم ضمه إلى الجزء السري الذي لم يتم نشره .

كانت العواصم الغربية الرئيسية قد اطلعت بدورها ، على تقرير سري ، ولكن في مطلع العام ١٩٩٠ ، أي بعد عام وبضعة أشهر من توقف الحرب الإيرانية ـــ العراقية ، ويذكر التقرير أن العراق بعد عام من بدء الحرب مع إيران ، وصلت عائدات نفطه إلى ٢٥ مليار دولار سنوياً ، وأن هذه العائدات لم تكن تتجاوز ملياراً واحداً في العام ١٩٧٢ ، ولكن الوضع كما يبدو في عام تقريرنا هذا (أي العام ١٩٩٠) شديد التشاؤم بما يتعلق بمستقبل هذا البلد ، **الذي كثيراً ما مزج أحلامه الإقليمية بأحلام أمته ، سواء عندما سارع لإرسال طيرانه إلى مصر في حرب حزيران ، أو قواته البرية على عجل إلى الجولان في حرب تشرين ، أو شعوره الأخير وهو يخوض حرباً دفاعاً عن البوابة الشرقية للعرب ضد مخاطر إيرانية محتملة** ، يقول التقرير : (إن قوس قزح السبعينات يتضاءل ألقه وصور الواقع الإقتصادي للعراق لا تبعث على التفاؤل ، فهل يمكن تجنب هذا الواقع الكئيب ، هل يمكن تجاوزه ، إن الديون الضخمة والمتراكمة ، لا تمنح العراق فرصة حتى لسداد فوائدها ، فإذا ما استمرت هذه الحالة ، فإن العراق سيضطر إلى انتهاج سياسة اقتراض خطيرة ، بفوائد تفوق الـ٣٠٪ في السنة) .

كانت بعض المؤشرات تكشف الصعوبات المتفاقمة التي يواجهها العراق بعد ثماني سنوات من الحرب فقد أوقف العمل في مترو بغداد ، ومشروع إنشاء ثلاثة آلاف ومئتي كيلو متر من السكك الحديدية ، كما أوقف العمل في سدّين عملاقين لإنتاج الطاقة الكهربائية .

لقد لاحظت شخصية هامة ، وبشيء من القلق (ما تشهده هذه الأسرة العربية من تفكك متزايد يبعث على الأسى) ومع ذلك لم تكف هذه الشخصية عن التذكير (بهذه الأسرة وتاريخها ، ومتطلباتها في عصرها) مع كل من تلتقي بهم وترى أنهم موضع ثقة ومودة ، هذه الشخصية هي الملك حسين ذاته ، **فخلال أربعين سنة**

من الحكم المشوب بوعي هشاشة الوضع العربي وانتقاله من محنة إلى أخرى أكبر منها ، كان العاهل الأردني أكثر إدراكاً لإرهاصات الكوارث المقبلة ، وكان يعلم أن أية هزة في المنطقة لن توقظها قبل عشرات من السنين ، وهكذا فإني (أشعر بتصاعد موجة من التوتر تشبه تلك التي سادت عشية عام ١٩٦٧ . لقد مضى أربعون عاماً وأنا في سدة الحكم ، ولم أشهد في حياتي هذه المنطقة وهي تصل إلى مفترق طرق بمثل هذه الخطورة) ...

جلالة الملك أرسلت لك طائرة خاصة ، انتظرك في بغداد .
كان ذلك في صبيحة الثالث من آذار (١٩٩٠) عندما رن جرس الهاتف في قصر الملك ، وكان على الخط الآخر الرئيس العراقي صدام حسين .

وكانت أحداث ذات دلالة قد جرت مع جريان دجلة والفرات في بغداد وذلك قبل الإجتماع الذي سيعقده صدام حسين مع الملك لاستجلاء نتائج جولة الحسين في الخليج ، تلك المهمة الصعبة والمستحيلة .

فقد سبق للرئيس العراقي أن استقبل في الثاني عشر من شهر شباط نائب وزير الخارجية الأمريكي جون كيلي (كان رجلاً متوسط القامة ، شارف على الخمسين من عمره ، أسمر ، هادىء المظهر وحركاته تنم عن حسابات دقيقة قبل الشروع بالكلام) وكانت الزيارة بالنسبة لهذا المحترف ، الذي شغل منصب سفير الولايات المتحدة في لبنان ، هي الزيارة الرسمية الأولى للعراق بوصفه نائب الوزير المكلف بشؤون الشرق الأوسط . وكانت آبريل غالاسبي السفيرة الأمريكية في بغداد تنتظره عند سلم الطائرة ، بصحبة اثنين من الرسميين العراقيين ، لم تكن غالاسبي ذات الوجه الناعم والدقيق ، والتي يوحي مظهرها الخارجي بالجدية والرصانة ، وهي التي تتكلم العربية بطلاقة ، متقلبة على عدة مناصب في الخارجية الأمريكية ، في تونس ودمشق ، إلى أن تولت إدارة الشؤون الأردنية والسورية واللبنانية في وزارة الخارجية ، لم تكن قد قابلت الرئيس العراقي بصورة مباشرة ، قبل مجيء كيلي إلى بغداد .

ما الذي تريد أن تفحصه أمريكا :

كانت الولايات المتحدة ، تريد أن تقف على حقائق الوضع العراقي ، بالتركيز حول ثلاثة محاور رئيسية :

ـــ هل يريد العراق فعلاً أن يصبح زعيماً للعالم العربي دون منازع ؟

ـــ ما مدى رغبة صدام حسين ، في أن يصبح « ناصر » العرب الجديد ؟

ـــ هل أدت تداعيات الحرب الإيرانية ـــ العراقية إلى اقتراب العراق من الغرب أكثر ؟

كان المحور الأخير ، هو أهم المحاور التي أراد كيلي أن يختبره من خلال زيارته الأخيرة لبغداد ، وبصفته خبيراً محترفاً في شؤون الشرق الأوسط ، فقد كان يعلم ، أن العراق الذي خرج من الحرب لم يكن في تاريخه الحديث أكثر قرباً من الغرب عما هو عليه الآن فاقتصاده أصبح مرتبطاً بالبلدان الأوروبية أكثر من ارتباطه بالإتحاد السوفيتي ، (من حيث أن الإتحاد السوفييتي نفسه بات ذاهباً إلى الغرب قبل غيره) ، أما ترسانة العراق العسكرية فأصبحت موزعة بالتساوي بين البلدان الأوروبية ، خاصة فرنسا ، والإتحاد السوفييتي (كذلك من حيث أن التكنولوجيا السوفيتية أصبح لا سوق لها ، فضلاً عن أن التكنولوجيا السوفيتية رفيعة المستوى غير معروضة للمبادلات مع أحد)
وهكذا بدأ الأمريكيون يمعنون في اظهار التودد للعراق ، مسربين في العديد من المناسبات ، أفضال خدماتهم التجسسية لمصلحة العراق أثناء الحرب ، علماً بأن عزة ابراهيم سيقول في هذه المناسبة (**كانوا يرسلون إلينا بالمعلومات التكتيكية ويخفون عنا الاستراتيجي منها ... حتى قبيل الهجوم الإيراني الخطير على الفاو وجزيرة مجنون في الجنوب ، قالوا لنا ، إن الجهد الرئيسي للهجوم الإيراني المقبل ، سيكون باتجاه خانقين بعقوبة عبر أودية ديالي شرقي وسط العراق !..**)
بعد ظهر الثاني عشر من شباط ، استقبل صدام حسين جون كيلي ، وكانت المقابلة هي الأولى مع أحد الرسميين الأمريكيين منذ زمن بعيد . وقال معاون الوزير لمضيفه : (أنتم قوة اعتدال في المنطقة ، وترغب الولايات المتحدة بتوسيع نطاق علاقاتها مع العراق) ثم تابع فيما خطر له ورسمه قبل المهمة ... لقد أشاع كلام كيلي السرور

في نفس الرئيس العراقي ، فما كان منه إلا أن أبلغ الملك حسين هاتفياً بمحصلة اللقاء ...

و لم تكد تمضي ثلاثة أيام على المقابلة ، حتى بث (صوت أمريكا) في برنامجه الموجه إلى العالم العربي يوم ١٥ شباط ، وقد قدمه المذيع على أنه يعكس وجهة نظر الحكومة الأمريكية ، ويتضن هذا البرنامج دعوة إلى الرأي العام للتحرك ضد الديكتاتوريات في العالم ، واحتل صدام حسين موقع الصدارة في القائمة ، وتم تصويره على أنه الأسوأ بين الفرديين من حكام العالم . وقد حاولت الإدارة الأمريكية عبر سفارتها في بغداد ، أن تقدم الإعتذار بذريعة أن الإدارة لا وصاية لها على الصحافة ومختلف وسائل الإعلام في الولايات المتحدة ... ثم جاء التقرير الذي نشرته وزارة الخارجية الأمريكية يوم ٢١ شباط والذي يتألف من ستين صفحة ، خصّت العراق وحده باثنتي عشرة صفحة كرست كلها ضد العراق ، وقد أرادت لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب الأمريكي ، أن تتبنى قراراً يدين العراق لمسّه بحقوق الإنسان ، واحتجت الإدارة الأمريكية على هذه المبادرة وعارضت تبنّيها .

كانت لعبة حقوق الإنسان في الولايات المتحدة ، تتماشى تصعيداً أو تخفيضاً ، بحسب السياسات الأمريكية ــ البراغماتية المقررة ، فهذه اللجان تثير الريبة ، عندما تقضم حقائق مذهلة ، كانت تقع في العديد من دول العالم ، إذ هناك القليل مما تقوله بحق الفلسطينيين الذين تجري دماؤهم على أيدي الجيش الإسرائيلي صباح مساء ، فحق المواطن السوفييتي اليهودي في الهجرة ليس كمثل حق المواطن في حريته فوق أرض وطنه ، ومع ذلك فإن حق اليهودي الروسي في الهجرة مثلاً ، ظل أعلى من أي حق آخر في العالم بما فيه (حق اسرائيل !) في إراقة دماءالفلسطينيين يومياً .. (أليس ذلك كافياً للشهادة ، بأن لجان حقوق الإنسان (الأمريكية) ترى بأن (الموت) الواقع على المواطن في فلسطين ، أو كولومبيا أو السلفادور ، أقل أهمية بكثير ، من (حق الهجرة) للمواطن السوفييتي اليهودي فهل هذه حقوق أم سياسة عليا !..) (من تصريح لعرفات يوم ٢٥ شباط في تونس) .

ويقول ادوار سعيد في مقالته المنشورة بعنوان حرب ضد بلد عربي مسلم من العالم الثالث بتاريخ ٧ آذار ١٩٩١ (تبدو بدائل ممكنة توحي لي بأن الولايات المتحدة

لا تمتلك سجلاً متماثلاً في مناهضة العدوان على الحقوق (وترد إلى الذهن على الفور أمثلة ناميبيا ، أفريقيا الجنوبية ، قبرص ، باناما ، نيكاراغوا ، الأراضي العربية المحتلة) وأن العراق والكويت لا يوجدان في منطقة ما ، غير تاريخية ، بالنسبة لخرائط ديك تشيني في مكتبه ، **لقد انحازت الولايات المتحدة طيلة أكثر من جيلين ، إلى جانب الظلم والطغيان** ــ في العديد من بقاع العالم ــ وفي الشرق الأوسط ، **إنني أتحدى من يشير إلى دعم الولايات المتحدة لأي نضال في سبيل الديمقراطية ، لأي تحرك من أجل حقوق المرأة مثلاً ، لأية دعوة علمانية أو مطالبة بحقوق الأقليات** ، لقد قامت الولايات المتحدة بدلاً من ذلك ، بمساندة وكلاء طيّعين وغير شعبيين ، وأدرنا ظهرنا لجهود الشعوب الصغيرة المكافحة في سبيل التحرر من الإحتلال العسكري ، وموّلنا أعداءهم .

لقد أطلقت أمريكا نزعات العسكرة غير المحدودة ، وانخرطت في مبيعات السلاح على صعيد المنطقة بأسرها . وخصوصاً لتلك الدول التي تدفع الآن لخيارات أكثر يأساً ، نتيجة هوس الولايات المتحدة بقوة صدام حسين والمبالغة في تصويرها ... أما أن يتصور المرء ــ بعد حملة القصف الجوي الإجرامية ــ ضد العراق ، العالم العربي ، وقد سيطر عليه الحكام من الذين هرعوا للتحالف في عاصفة الصحراء ، فأمر مرفوض من الناحيتين الأخلاقية والفكرية .
كانت البيانات الصادرة عن لجان حقوق الإنسان ، وصوت أمريكا في نظر العراق ، وكأنها البرهان على لعبة أمريكية مزدوجة .

ما الذي كان يدور في الخفاء ؟ الخطة ١٠٠٢/٩٠ :

ما هو برأيك البلد الذي يشكل التهديد الأخطر بالنسبة لأمن الخليج ؟ العراق أم إيران ؟
ويجيب شوارزكوف على الفور : العراق .
وكان ذلك في مكتب وزير الدفاع الأمريكي ، حين وجه تشيني هذا السؤال المفاجىء لشوارزكوف الداخل للتو إلى مكتبه .. ويضيف شوارزكوف (نهايات ١٩٨٩) :

(إن أسوأ ما يمكن أن يحصل في منطقة الخليج ، هو استيلاء العراق على آبار النفط الكويتية أو السعودية ، فبغداد تملك أقوى جيش في المنطقة ، وربما الرابع في العالم والمملكة السعودية بالنسبة لهذا البلد ، أقرب الأبواب ، والحال إننا لا نملك قوى ضاربة في المنطقة)

في كانون الثاني ١٩٩٠ ، أمر تشيني وباول بتحرير وثيقة سرية . حيث مخاطر الحرب الإقليمية كانت قد ذكرت كخط رئيسي ، وكانت شبه الجزيرة العربية ، والفارسية ، معروضة في هذا النص كأولوية استراتيجية ، بمقدار ما هي عليه منطقة المحيط الهادي .

في شهر شباط ١٩٩٠ (موعدنا مع بيانات حقوق الإنسان وصوت أمريكا) كان شوارزكوف يدلي بشهادته أمام لجنة القوات المسلحة في مجلس الشيوخ ويقول : **(إن الخطر الأكثر جدية على تموين بترولنا في المدى القريب يكمن في صراع اقليمي محتمل ، فنهاية الحرب مع إيران ، فسحت المجال للعراق بأن يطمع مجدداً بزعامة العالم العربي) .**

ومع هذه الشهادة ، كانت أجهزة الكومبيوتر العملاقة تعمل يومياً في مقر قيادته العامة في (ماك ديل) فلوريدا وهي تستلم دون انقطاع معلومات جديدة ، وكان قيد الإعداد مخطط معلوماتي ضخم ، ذو اسم رمزي غامض تم تلقيمه بأكثر من مليون عنصر ، وينقسم إلى أربعة فصول حسب التدرج التالي : وقت time — مرحلة phase — قوة force — انتشار deployment ، ووجهت فيه جميع الاحتمالات من التفاصيل المتعلقة بالرجال والسلاح والعتاد وطرق تسييرها وحاجات الدفاع الجوي ومياه الشرب والسكن ، إلى مجمل أجهزة الإتصالات الضرورية لتنسيق هذه العملية وفقاً للصحراء السعودية . لقد حمل هذا البرنامج رقم الرمز ١٠٠٢/٩٠ واسمه tipfiddle وحفظت الكومبيوترات السر جيداً .

(قبل شهر من اجتياح العراق للكويت أي في ٣ تموز ١٩٩٠ سيطلق شوارزكوف عملية صورية واسعة بواسطة التقنية المعلوماتية التي حفظها الكومبيوتر ، ليقيّمَّ فاعلية المعطيات التي تجمعت بهذا الشكل وامكانية عملها .

وكان السيناريو المختار والمسمى (تمارين exercices) و(مركز post) تحت قيادة (c.p.c.command) قد تعامل مع مصادفة غريبة (وما أغربها من مصادفة) وهي أن صدام حسين سيجتاح الكويت .. كان الأمر يتعلق باختيار سرعة الإتصالات في الصحراء (عاصفة الصحراء . أريك لوران . ترجمة منيرة أسمر ص ٢٤) .

ها نحن إذن ، نستلم المفتاح لفك رموز الأحداث اللاحقة ، إذ بعد أقل من ثلاثة أسابيع أصبحت الخطة التي هي في منتهى الجاذبية والإتقان واقعاً حقيقياً دون جدل . كان الجنرالات قد وضعوا السيناريو اللازم ، وكانت الحرب جاهزة تنتظر (ذريعتها) التي يعدها طاقم السياسة والإستخبارات بعناية تقترب أحداثها من الأحداث الطبيعية دون تزيين .

كان بلداً غارقاً في الديون لا يستطيع الوفاء بفوائدها المصرفية المترتبة عليها (وليس الوفاء بأجزاء منها) وقد جاوزت في يوم من الأيام عشرة مليارات دولار للفوائد السنوية فقط .

وكان بلداً غارقاً في التخمة ، لا يدري أين يحمل أكياس أرباحه من استثماراته ، والتي جاوزت في يوم من الأيام ، (قيم فوائدها فقط) كل عائداته النفطية (زهاء ٤٠ مليار دولار في السنة) .

علماً بأن الخليج ظل (متلطياً) خلف حرب أصبح يعتبر نفسه غير مسؤول عنها الآن ، ولا عن تبعاتها ، ونسي أنه ظل يقدم حطب وقودها درءاً لمخاطر محتملة كان يقدرها حق قدرها ، وأن حق المال في حينها لا يعدل حق الدم ، وأن دعم العراق عربياً ، أصبح قدراً مقدراً ولا مهرب منه .

كانت قلاع العالم المصرفية ، ومنها صندوق النقد الدولي ، تحجم عما بدا لها كوارث مالية محققة ، وبحكم كون هذه البنوك العالمية واقعة تحت هيمنة الولايات المتحدة ، **فقد حظر عليها ، استقلال التصرف وحرية التفاوض مع العراق .**

ثم كانت الإيماءات الخارجية تقول (إياكم أن تدفعوا دولاراً واحداً) دون ترسيم

الحدود نهائياً مع العراق .. ولم يكن ثمة مفاوضات من أجل ترسيم هذه الحدود ، ثم ماذا عن مرجعية الرسم التاريخية .. كيف ؟ متى ؟ وأين ؟ ..

كانت الحرب تنتظر حبائل السياسة ، فالجندي عادة ، يقول شوفينيان وزير الدفاع الفرنسي المستقيل أثناء الحرب ، (**الجندي غالباً ما يبرمج جهازه ضد الهدف الذي يريد تدميره ، لكن ما جرى في حرب التحالف ضد العراق ، أنه كان يؤتى بالهدف إلى الجهاز ، بدلاً من أن يذهب الجهاز إليه** ..) وفي هذا الصدد كان ميتران يصرح في ٢٢ كانون الأول ١٩٩٠ (كنا نحاول كشف الأهداف السوداء التي تختبيء في أدمغة بعض الزعماء حيال هذه التراجيديا المريعة) ..

ثم جاءت إشارة البدء في اللقاء الشهير بين آبريل غالاسبي السفيرة الأمريكية مع الرئيس العراقي (سيادة الرئيس ، ليس لنا رأي حول الخلافات العربية ، كخلافكم على الحدود مع الكويت) .

في غضون ذلك ، كانت الخطة ٩٠/١٠٠٢ التي تم فحصها بعناية ، تنتقل من الكومبيوتر إلى الأرض ، وبالرغم من أنها خطة كانت معدة لمجابهة مخاطر التدخل السوفييتي في الخليج أساساً ، إلا أنه طلب الآن العمل على ملائمة هذه الخطة ، مع أوضاع تتعلق بالمخاطر الإقليمية ، وليس باحتمالات تدخل سوفييتي ، **وهكذا جيء بكامل الخطة ــ منزوعة من أنيابها الذرية فقط ــ لا لمواجهة الإتحاد السوفييتي ، بل العراق** ، إذ بعد يوم واحد من اجتياح العراق للكويت ، أي في ٣ آب كانت عشرات الطائرات الأمريكية القاذفة تحط فوق مطارات السعودية العسكرية دون إذن من أحد .

عندما ينهار ــ الحليف ــ السند :

كانت الشيوعية تنهار منذ مطلع العام ١٩٩٠ أي عندما كانت الأزمة الناشبة بين العراق والكويت تجمع قواها ، وسيشير الرئيس حافظ الأسد في كلمة عنيفة بتاريخ ٨ أيار ١٩٩٠ إلى أن التطورات الحادثة في الإتحاد السوفييتي والمعسكر الإشتراكي ، لن تخدم في النهاية إلا اسرائيل ، كما كان الرئيس العراقي يكرر التحذيرات نفسها من أن رحيل الإتحاد السوفييتي عن الشرق الأوسط (سيضعنا منفردين ، وجهاً لوجه مع أمريكا واسرائيل)

وكان الرئيس العراقي يشجب بعنف عدم تقديم يد العون ، من الكويت وجاراتها الخليجيات للدول العربية المحتاجة للأموال .

لقد أصبح مفهوماً ، أن أياً من الدول العربية المعتمدة على سلاح السوفييت ، لم تعد قادرة على المضي قدماً في هذا الإتجاه ، فقد أصبحت المساعدات السوفيتية تنحسر في كل مكان ، وبقيت الولايات المتحدة هي الدولة العظمى الوحيدة في الشرق الأوسط ، وقد ضاعف من تدهور نظام غورباتشوف في موسكو ، أنه أخذ يتخلى تدريجياً عن مواقعه البعيدة في العالم ، ثم عن مواقعه الأقرب في شرق أوروبا (من ألمانيا الشرقية إلى بلغاريا) بعدها الاضطرابات في منطقة البلطيق ، فالجمهوريات الإسلامية الواقعة في جنوب الإتحاد السوفييتي ، والمشكلة أن هذه الشعوب بدأت تتجه إلى الخارج (فالأرمن إلى جاليتهم في الولايات المتحدة) (والجمهوريات الإسلامية إلى تركيا أو إيران) ...

وهكذا بدا أن موسكو تخسر معركتها دون حرب .

بدا الرئيس العراقي عند استقبال العاهل الأردني له مهموماً ومتوتراً ، فهو يأتي إلى عمان للمشاركة في احتفالات السنة الأولى على تأسيس مجلس التعاون العربي ، وكان ذلك في ٢٤ شباط ١٩٩٠ .

وفي مواجهة الزعماء العرب الحاضرين ، استخدم صدام لهجة عنيفة ، وتوقع ما الذي سيتيحه غياب موسكو خلال السنوات القادمة ، لأمريكا في المنطقة ، وقال : (أليست واشنطن هي نفسها التي تؤمن الهجرة اليهودية إلى اسرائيل ، أليست هي نفسها التي تسيّر سفنها ودورياتها في مياه الخليج بالرغم من انتهاء الحرب الإيرانية العراقية ؟) ، وتابع قائلاً (إن البلد الذي سوف يمارس نفوذاً حاسماً على الخليج وبتروله ، سوف يعمل أيضاً على تأسيس تفوقه كقوة عظمى وهو لازم للصراع المقبل ، أما في حالة عدم تنبّه شعوب الخليج والعالم العربي ، فستصبح المنطقة حسب مشيئة الولايات المتحدة ، وعلى سبيل المثال ، سوف يتم تحديد سعر البترول بشكل يؤمن المصالح الأمريكية ويتجاهل مصالح الآخرين) .

ثم راح صدام ، يستعرض رحلة النفط العربي ، بدءاً من تحوّله إلى بترو ــ دولار ،

وانتهاءً باستقراره في خزائن المال الأمريكية والأوروبية والإسرائيلية ، وأكثر من ذلك فقد طالب بسحب الأرصدة العربية من البنوك الغربية وقال (ليس هناك مكان إلى جانب العرب الأخيار والأبرار ، للجبناء والمترددين ، الذين يدعون أن قوة عظمى كالولايات المتحدة هي العامل الحاسم ، وأن الآخرين لا يملكون من المقادير سوى الخضوع لها) .

لا يمكن السماح بكلام كهذا ... سوف أعود إلى مصر . **وخرج مبارك مع وفده ، بعد أن اعتبر مثل هذه الملاحظات إنما هي موجهة ضده ...**

وحاول العاهل الأردني تلطيف الأجواء ، فقام باسترضاء الرئيس المصري وثناه عن عزمه ، وتمكن في النهاية من تحقيق جلسة (مسايرة) بين الرئيس العراقي والمصري ، وفي هذه الجلسة التي ضمّت الرؤساء : حسني مبارك وصدام حسين والملك حسين ، عاد صدام يتحدث بلهجة لا مجال للمسايرة فيها ، ووجه حديثه إلى الملك حسين قائلاً :

في حال لم يلغوا تلك الديون ، وفي حال لم يعطوني ٣٠ مليار دولار إضافية ، فسوف أتخذ التدابير الرادعة .

وخرج مبارك من جديد ، واضطر الملك حسين إلى الغاء اجتماعات اليوم الثاني لمجلس التعاون العربي .

صدحت الصحافة الأمريكية ، بفشل الجولة الخليجية التي قام بها الملك حسين لمدة ثلاثة ايام وها هو يستقل الطائرة الخاصة التي أرسلها له صدام حسين إلى بغداد ، ليقول وهو منهوك القوى :

أخي أبو عدي ، لقد رفضوا كل العروض ، أما في الكويت فإن الشيخ جابر يصر على ترسيم الحدود مع العراق قبل كل شيء ..

في واشنطن انتبهت الإدارة الأمريكية إلى ما اعتبرته أفظع تهديد لها منذ فيتنام وخرجت نيوزويك في نيسان ، وعلى غلافها الخارجي صورة ضخمة لصدام كتب تحتها (عدو الشعب رقم ١) نقلت الكويت مخاوفها من خطاب صدام في عمان ، وفي الرياض بادر المسؤولون السعوديون إلى الإتصال بوكالة الإستخبارات

الأمريكية ، التي ستضع العراق من الآن فصاعداً ، تحت الرقابة الدائمة (على مدار ٢٤ ساعة) للأقمار الصناعية التجسسية وطائرات الأواكس الأمريكية .
هتف ريتشارد كوندون وهو مؤلف كتاب (مرشح من منشوريا) قائلاً (الآن وقد نام الشيوعيون ، يتوجب علينا اختراع تهديد آخر رهيب) فمن هو العدو الاخر الذي يجب علينا اصطناعه ؟

وكان الاسلام هو الارهاب الآخر .

على أساسٍ من ذلك ظل الأمريكيون والأوروبيون يلتفتون إلى غول آخر اسمه : المسلم .
ففي عام ١٩٨٤ أوضح ليون أوريس صاحب رواية الحج ، أن الهدف من روايته هو تحذير الغرب من (ثور هائج قوامه مليار نسمة على هذه البسيطة ، فإذا ما عوملوا بطريقة خاطئة فإنهم سيفتحون طريقاً ثانية إلى أرماغيدون « موقع المعركة النهائية التي ستشهد نهاية العالم » حسبما يقول كتاب العهد القديم) .
ويدلي وليم ليند بدلوه في هذه المساجلة عن الإسلام (وقد كان ليند مستشاراً للمرشح الرئاسي الأمريكي غاري هارت) فيقول : (آخر مرة شكل فيها المسلمون تهديداً مادياً للكون المسيحي ، كان عام ١٦٨٣ ، حين عسكر الجنود العثمانيون ، خارج أسوار فينا) وقد تم احياء ذكرى هذا الحدث في مناسبات عدة ، ويؤكد ليند من جديد على شكل تحذير قاتم (اشكالية الانهيار السوفييتي قد تنطوي على احتمال أن تقوم الجيوش الإسلامية بمحاصرة فينا من جديد) .
ويوافق بيتر جينكز المعلق البريطاني المعروف ، على أنه من أهم مشكلات العصر (وشغل أوروبا الشاغل منذ عام ١٣٥٤ حين سقطت غاليبومي هو الإسلام ، وأن الشغل الشاغل لأوروبا من جديد هو الثورة الإسلامية) .
وقد سارع كتّاب الإفتتاحيات في (الصنداي تايمز) اللندنية ، في مطلع العام ١٩٩٠ ، ومع بدايات السقوط الكبير للمعسكر الشيوعي ، إلى تجديد مفهوم الاحتواء الذي أقروا بنجاعته :
(في كل شهر تقريباً يتراجع الخطر القادم من حلف وارسو ، ولكن التهديد القادم

من الأصوليين المسلمين يزداد عاماً بعد عام ، وسيطبع ما تبقى من هذا العقد وما بعده ، إنه تهديد يختلف في النوع والدرجة عن تهديد الحرب الباردة ، لكن على الغرب أن يتعلم كيفية احتوائه ، تماماً كما تعلم من قبل كيفية احتواء الخطر الشيوعي) .

مشروع التهديد والتهديد المشروع :

وصلت هذه المساجلات عن الإسلام ذروتها ، حين هدد الرئيس العراقي في الثاني من نيسان ١٩٩٠ ، بحرق نصف اسرائيل إذا أقدمت على شن عدوان ضد العراق ، وبالرغم من معرفة الغرب التامة ، بأن هذا التحذير الإستباقي ظل مشروطاً باحتمال عدوان جديد تشنه اسرائيل في البدء ، وإن اطلاقه لم يكن أكثر من محاولة ردع استباقية ، وأن ردعاً نظرياً للعدوان ، يظل أقل كارثية من وقوع العدوان نفسه .. ورغم كل هذه الملاحظات التي قدمها العراق ، عبر وسيط الحالة ، الأمير بندر بن سلطان السفير السعودي في الولايات المتحدة ، فإن الغرب ظل يهلوس بحالة اسمها (المسلمون قادمون) فقد كتب دانييل بابيس في الـ national review بتاريخ ٥ تشرين الأول ١٩٩٠ يقول (يجب أن يتوسع حلف الناتو خارج حدود أوروبا ، وأن يتم تطوير مبادرة الدفاع الإستراتيجي لاستخدامها ضد الصواريخ العراقية والليبية)

وبالفعل ، فإن المسرح الآن ، وحتى كتابة هذه السطور ، هو (صواريخ ليبيا) بعد (صواريخ العراق) ، وإن العرب ما فتئوا يرددون : (أكلت يوم أكل الثور الأبيض) ، وأن مسلسل الأكل مستمر سواء تصالحت ليبيا مع الغرب أم لا ..

في الثالث من نيسان أصدر البيت الأبيض بياناً يصف الخطاب العراقي بأنه لا مسؤول وباعث على الأسى ..

إني وجدت تلك التصريحات سيئة ... وأقترح سحب تلك التصريحات .. هذا ما قاله بوش للصحفيين أمام البيت الأبيض ، وفي اليوم نفسه ، كانت الخارجية الأمريكية تصف الخطاب بأنه (لاهب وحانق ولا مسؤول) .

وقبل أن يمضي الأسبوع الأول من نيسان ، تلقى السفير السعودي لدى الولايات المتحدة الأمير بندر بن سلطان مكالمة من عمه الملك فهد :
يرغب الرئيس العراقي إيفاد شخص من الوسط السعودي لمقابلته شخصياً لمناقشة أمر يتعلق بأمريكا ..أريد منك أن تتولى المهمّة .
نعم ، جلالة الملك ، سأكون غداً في بغداد .

السفير الذي وسطه البيت الأبيض !..

كان لبندر (٤٢ سنة) مكانة فريدة في واشنطن ، حيث أن معظم السفراء الذين سبقوه ، كانوا يقضون معظم أوقاتهم في الإحتفالات ، وعلى هامش السلطة الفعلية للإدارة الأمريكية ، غير أن بندر ذو صداقات قديمة مع بوش ، خاصة عندما كان هذا الأخير ، رئيساً لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، وكان على علاقات وطيدة مع بعض الجنرالات الكبار ، عندما كان يتدرب كطيار محارب في سلاح الجو الأمريكي ، كان بيكر وشيني وسكاوكروفت وباول من أصدقائه حيث استخدم مع الجميع أسلوباً مباشراً لا يخلو من الحيوية ، وقد منح هذا الأسلوب للأسرة السعودية ، قنوات في أعلى المراتب الحكومية في الولايات المتحدة ومن جهة مقابلة ، فإن الأمير بندر هو ابن الأمير سلطان وزير الدفاع السعودي ، أما زوجته فهي ابنة الملك فيصل ، أما الجنرال خالد قائد القوات العربية في عاصفة الصحراء فهو أخوه .
لقد أقام بندر علاقات ممتازة مع العديد من المسؤولين الأمريكيين الكبار ، ومع عشرات غيرهم ، ممن قد يتبوأون المناصب في المستقبل .. وقبل أن يتبوأ بندر منصب السفير السعودي في واشنطن ، حصل على مساعدة من نائب الرئيس بوش (آنذاك) في اقناع الرئيس ريغان بعقد صفقة ضخمة من الأسلحة للسعودية ...فيما بدا أنها كانت صفقة القرن ، وخلال فترة ريغان الأولى ، كان بوش وبندر يتناولان الغداء عدة مرات سنوياً .. وبالرغم من الشائعات التي كانت تتناول نائب الرئيس بوش ، من أنه شخص عاجز ، فقد كان الأمير يقيم له الحفلات الخاصة ، ويذهب معه ، في العطل الرسمية ، لصيد السمك .. كان بندر يعرف العادات الأمريكية بشكلٍ واسع ، وكان يتقن اللطف والفظاظة بآن واحد ، وكشرقي ، فقد كانت

لغة الألقاب والأطناب والمديح ، تجد سروراً في نفسه .. كان يتمتع بالفتوة والحيوية ، وقد أضفى لونه الأسمر الداكن ، جاذبية خاصة ، جعلته ينظر إلى مرآة نفسه ، وكأنه الفارس العربي الوحيد في الساحة الأمريكية ، كان موضع ثقة بالنسبة للعائلة المالكة والإدارة الأمريكية على حد سواء ، وسوف نرى كيف أنه لعب دوراً خطيراً في اقناع عمه الملك فهد ، من أن صور الأقمار الصناعية الأمريكية ، تؤكد حشود الجيش العراقي قرب الحدود السعودية وأن نية العراق هو الهجوم على السعودية بعد الكويت ، وأن استدعاء القوات الأمريكية على عجل ، هو الحل الأوحد ، قال صدام لبندر ، إن كلماته ـــ عن حرق نصف اسرائيل إذا حاولت العدوان على العراق من جديد ـــ قد أسيء فهمها من قبل الإدارة الأمريكية .

ـــ لقد فسروها في واشنطن بأن العراق ينوي توجيه ضربة هجومية ضد اسرائيل وأغفلوا الشرط إذا تعرض العراق ، نحن لم نهدد بالهجوم إلا إذا هوجمنا فقط . إن ضربة من اسرائيل مفاجئة ، أمر ممكن دائماً ، ففي عام ١٩٨١ شنت اسرائيل ضربة جوية استباقية دمرت مفاعل البحوث النووية جنوب بغداد ، وهذه الضربة ستظل محفورة في القلب والذاكرة ، نحن لا نريد أن نستفز اسرائيل ، لكننا نتصور أن ردعاً نظرياً استباقياً ، أفضل من وقوع كارثة فعلية كما حصل في السابق ..

ثم تابع الرئيس العراقي :

ـــ أيها الأمير ، أنت عربي ، ونعرف تماماً ، أننا إذا هوجمنا من قبل اسرائيل ، فإننا لن نبقى ساعات ننتظر بعد الهجوم ، فحين هوجمنا في عام ١٩٨١ كنا في حالة حرب ، كان بإمكاننا أن نقول ذلك ، ولكن إذا هوجمنا الآن ، فإن الناس لن يفهموا لماذا يحدث ذلك ولا نرد .. أنا أريد أن اطمئن جلالة الملك فهد والرئيس الأمريكي ، بأن العراق لن يكون البادىء بالهجوم في جميع الأحوال

ـــ لكن سيادة الرئيس ، هل ترشدني لما سأقوله إذا سئلت عن دوافع هذا الكلام ومناسبته في مثل هذه الظروف ؟

ـــ عندما تم اعتقال الصحفي البريطاني فرزد بازوفت الإيراني الأصل ، اكتشفنا بأنه كان يتجسس لصالح اسرائيل ، وأن أمكنة التجسس التي كان يحوم حولها ، هي التي ستكون أهداف الطيران الإسرائيلي في المستقبل .. لقد اعترف بأنه

تمكن من تزويد اسرائيل بجزء من المعلومات ، وأنه لم يتمكن من نقل المعلومات الأخرى ...

سأل بندر :

ــ السيد الرئيس ، هل تريد منا أن نذكر هذا لبوش على أنها ملاحظات منا ، أم أنها رسالة منك إلى الرئيس بوش .

ــ لا بل إنها رسالة مني إلى الرئيس بوش .

وكان هناك فترة صمت قطعها صدام بقوله :

ــ بالمناسبة علينا أن نكون حذرين إزاء مؤامرة تغذيها الأوساط الإمبريالية والإسرائيلية ، من أن العراق يمتلك مخططات إزاء جيرانه ... أنا ليس لدي مخططات ضد جيراني ...

قال بندر :

ــ حسناً سيادة الرئيس ، ليس لدى أخوانك شكوك إزاء العراق ، وليس هناك ما يدعو إلى القلق ..

أجاب صدام وهو يضغط على يد بندر :

ــ المهم ألا نسمح لطواحين الإعلام الغربي أو الإسرائيلي ، أن تدخل بيننا .

وسيقول بندر بعد هذا اللقاء : إن صدام رجل أبي .

كانت أنباء التهديد العراقي لإسرائيل ، المجسمة بما فيه الكفاية ، تنتقل في كل مكتب من مكاتب الوزارات الأمريكية وأروقتها ، خاصة الخارجية والدفاع ، وقد سارع دينس روس ، وهو أحد أقرب المعاونين لوزير الخارجية ، مدير قسم التخطيط السياسي في الوزارة ، حيث غالباً ما تنبع من بين أصابعه خطط تتعلق بمستقبل المنطقة ، سارع بمساعدة جون كيلي نائب الوزير إلى مكتب بيكر ، الذي كان مغتاظاً بدوره من تصريحات صدام حسين ، واتفق الثلاثة على مشروع بلاغ على أن يكون (لا مجال للبس فيه ، وأن يتبع البلاغ تدابير اقتصادية تتلخص فيما يلي :

١ــ رفض منح العراق قروضاً تتعلق بمصرف التصدير والإستيراد الأمريكي . وهي قروض بفوائد مخفضة .

٢ــ إلغاء قرض يتعلق بتمويل عمليات شراء القمح الأمريكي من قبل العراق .

(وتصل قيمة هذا القرض غالباً ما بين ٧٠٠ ــ ٩٠٠ مليون دولار)
٣ــ اتخاذ جميع التدابير الملائمة لمنع العراق من استيراد العتاد الذي قد يستخدم لأغراض عسكرية (الملف السري ــ سالنجر ــ دار الشروق ــ عمان ــ ص ٢٤)

تمت الموافقة على خطة العقوبات من قبل الإدارة الأمريكية ، إلا أن ممانعات بيروقراطية وفيدرالية وتجارية حالت دون ذلك . وها هو العراق يجد نفسه عرضة لعقوبات على مشروع فعل مشروط ، و لم يقع ، بينما تكتفي الإدارة الأمريكية نفسها بإدانة نظرية لإسرائيل على فعل سبق ووقع ضد المفاعل النووي العراقي فيما تظل جميع أشكال المساعدات الأمريكية على حالها دون مساس .

بعد أربعة أيام من اجتماعه مع صدام ، كان بندر في البيت الأبيض لمقابلة بوش . قال بندر :

ــ لقد أرسلني جلالة الملك إلى هنا ، لأنقل لك رسالة حصلت عليها من الرئيس صدام إليك . حيث يؤكد لك أنه لا ينوي مهاجمة اسرائيل .. وأضاف بندر :
ــ إنها رسالة مباشرة ، وليست تفسيراً سعودياً ، بل هي أفكار صدام الذي أكد أنه لن يبادر إلى هجوم ضد اسرائيل ..
تساءل بوش قائلاً :
ــ حسناً . إذا كان لا ينوي ذلك ، فلماذا بحق السماء يقوله ؟ وقام بندر بتذكير بوش بهجوم اسرائيل المباغت على المفاعل النووي العراقي عام ١٩٨١ ، وأن صقور اسرائيل اليوم ، يطالبون بضرب مفاعل نووي عراقي جديد .
هز بوش برأسه متشككاً ، فسارع بندر إلى القول :
ــ صدام يشك في مؤامرة ضده .
أجاب بوش بانفعال :
ــ لا توجد مؤامرة ضده ، هو الذي يقلق الناس بسلوكه .
قال بندر :

ـــ سيادة الرئيس ، إن صدام مصاب بجنون الإرتياب ، شأنه شأن معظم الحكام العسكريين .. الأشياء الصغيرة تكبر ...

لم يكن صدام عسكرياً كي يصفه بندر بذلك ، ولكنه أراد أن يوحي أمام بوش ، بالتباين القائم بين طبيعة النظام العسكرية في بغداد ، فارقاً ذلك عن غيره من الأنظمة النفطية التي تتمتع بحياة مدنية متساوية مسالمة ومستقرة ، وبدلاً من الدفاع عن فكرة أساسية ، وهي أن العراق لا نية له بالمبادأة بالعدوان ، وأن اسرائيل تعتدي بالفعل دون حاجة للتهديد ، ومع ذلك ، فإن المواقف الأمريكية ، لا تتعدى (بعد عدم الحاجة للفيتو الأمريكي) حدود الشجب المخفف ، شأنها كشأن عائلة تعامل طفلها المدلل ، وهو يعيث خراباً في محيطه وبيوت غيره ، ولا يجد من يثنيه بالزجر والإرغام .

وعندما عاد بندر في منتصف نيسان ، لمقابلة بوش ، من أجل الحصول على تأكيد أمريكي يضمن عدم وقوع عدوان اسرائيلي ضد العراق ، أجاب بوش :

ـــ لا أريد لأحد أن يهاجم أحداً ، على جميع الناس أن يهدأوا في المنطقة وفي كل مكان آخر .

ثم عاد يكرر للمرة الرابعة على طريقة رؤساء وكالات المخابرات الشكّاكين :

ـــ تراه لماذا يتلفظ بعبارات التهديد إذا كان لا يعنيها ... وها هي قضية تستأهل فتح ملف الخليج على مصراعيه من جديد .

كانت الدوائر العليا في الإدارة الأمريكية حتى ربيع ١٩٩٠ منهمكة بالانشغال في إعادة توحيد ألمانيا والإعداد للقمة الجديدة بين بوش وغورباتشوف ، وفي ١٢ نيسان كان ممثل ولاية كنساس الجمهوري عضو مجلس الشيوخ روبرت دول يرأس وفداً من الكونغرس الأمريكي يزور بغداد لمقابلة الرئيس العراقي .

وقد تم الاجتماع في مدينة الموصل ، وراح أحد أعضاء الوفد يتلو نصاً يشير إلى قلق الولايات المتحدة حول برامج العراق الخاصة بالأسلحة الكيماوية والبيولوجية ، واختتم كلمته بالقول : (قد يكون من الخير لكم وخدمةً لقضية السلام في الشرق الأوسط ، أن يتم التراجع بأسرع وقت عن مثل هذه البرامج البالغة الخطورة)

ـــ أنا أعي وجود حملة مستشرية ضدنا في الولايات المتحدة وأوروبا .

كان ذلك أول تعليق للرئيس العراقي حول الكلمة التي ألقاها أحد أعضاء الوفد الأمريكي .. وقد أجاب دول على الفور :

ــ مهما يكن من أمر فإن الرئيس بوش ليس وراء هذه الحملة .

ثم ذكّر دول بإدانة الولايات المتحدة لإسرائيل بعد قصفها للمفاعل النووي العراقي .. فقاطعه صدّام قائلاً :

ــ أدنتم الهجوم ، أجل ، صحيح .. لكن عدداً من التقارير أشار بوضوح أنكم كنتم على علم مسبق بهذه العملية .

تدخل السيناتور سمبسون وهو جمهوري عن ولاية وايومنغ ، وقد أراد في تدخله هذا أن يغيّر مجرى الحديث فقال :

ــ عموماً ، المشكلة ليست بينكم وبين الحكومة أو الشعب الأمريكي المشكلة الوحيدة القائمة هي مع صحافتنا المتعجرفة وشديدة التطلّب والمطالبة ...

واعتذر دول عن البرنامج الذي سبق أن بثته إذاعة صوت أمريكا ضد الرئيس العراقي ، وكشف عن سر فصل الموظف المسؤول عن ذلك .

في النهاية أدلت السفيرة الأمريكية آبريل غالاسبي التي كانت حاضرة في اللقاء دون أن تفارق صمتها ، ببعض العبارات التي أرادتها بمثابة ختام :

ــ سيادة الرئيس ، كسفير للولايات المتحدة الأمريكية ، أستطيع أن أؤكد بأن الرئيس بوش يسعى لإقامة علاقات أفضل معكم ، وأن حكومته تسعى لعلاقات أفضل مع العراق .

لم يكن في نية أحد أن يعيق بالفعل مثل هذه المقابلات الإيجابية ، خاصة وأن (دول) ممثل ولاية كنساس التي تصدر كميات ضخمة من القمح إلى العراق ، كان قد صرح في وقت لاحق بأن (سياسة العقوبات الإقتصادية التي تقترحها الخارجية ضد العراق ، إنما هي في الحقيقة عقاب موجه ضد المنتجين الأمريكيين وأن ذلك يضرّ بمصالح المصدرين ويفاقم في عجز الميزان التجاري في الولايات المتحدة) .

في مطلع أيار وصلت واشنطن إشارتان تحذيريتان ، الأولى من وكالة المخابرات المركزية ــ ويشك بأن وراءها المخابرات الإسرائيلية ــ وتقول هذه الإشارة « بأن

هجوماً على الكويت من قبل العراق بات وشيكاً » والثانية من قبل بعثة من الخبراء الإسرائيليين (في المجالين العسكري والسياسي) وصلت إلى واشنطن ــ بعد الإشارة الأولى ــ بيومين فقط ، وأدلت بالتصريحات التالية :

(يوماً فيوم يزداد تصلب صدام ، فمنذ شباط من هذا العام وهو يطالب برحيل السفن الأمريكية عن مياه الخليج ، ويحض العرب على تفعيل سلاح النفط ، ويهدد بضرب اسرائيل ، لا بالأسلحة التقليدية ، بل بالأسلحة الكيميائية ، وهو يعمل ليل نهار لملء ترسانته العسكرية بكل أنواع الأسلحة .. ماذا يعني هذا ؟ أليس هو الدليل على نواياه العدوانية تجاه اسرائيل .. وجيرانه ؟) .

من جهة مقابلة ، وفي هذه الفترة ، كانت مشكلة الحصص الموزعة في تقسيمات الأوبك ، تحتمل بما يكفي لنشوب صراع خطير ، فقد تقدم طارق عزيز وزير الخارجية العراقية في الثالث من أيار بشكوى إلى وزراء النفط العائدين لهذه المنظمة والمجتمعين في فينا ، من أن الإفراط في تجاوز الحصص المقررة قد أدى بإلحاق أبلغ الأذى بالعراق ، وقد طالب بخفض انتاج كل من الكويت والإمارات المتحدة لإعادة التوازن إلى أسعار النفط ، وكان مما قاله : (إن كل دولار خفض في البرميل الواحد ، يلحق بالعراق خسارة وقدرها مليار دولار سنوياً) وقد تم في ــ البداية ــ رفض هذا الإقتراح من قبل الجانبين الكويتي والإماراتي .. ثم في جلسة طارئة لاحقة ، عادت الكويت والإمارات عن رفضيهما وامتثلتا إلى المطالبات بخفض كميات الإنتاج .

غير أن هيئة الطاقة الدولية في باريس ، عادت وأكدت بأن انتاج الأوبك لم يخفض بأكثر من ٤٠٠ ألف برميل يومياً ، وهذا الرقم هو حصيلة التخفيض في انتاج السعودية فقط ، وذلك أقل بكثير مما وعدت المنظمة بتطبيقه ، فقد كان الوعد بتخفيض مليون وخمسين ألف برميل في اليوم ، وهذا معناه أن زهاء ٦٠٠ ألف برميل يومياً تذهب إلى الأسواق من قبل الكويت والإمارات بأثمان بخسة ، فقد استمرت أسعار النفط في الإنخفاض حيث وصل سعر برميل النفط (من نوع برينت حيث هو أكثر الأنواع رواجاً ويتم استخراجه من بحر الشمال) إلى ١٥,٦ دولار ، مع حلول شهر حزيران (الخامس منه) فيما كان في شهر نيسان (أي قبل شهرين

من حزيران) بسعر ١٧,٥ دولار للبرميل ، وقبله في شباط ١٩,٥ دولار .. أي بتراجع قدره ٤ دولارات للبرميل الواحد في غضون ثلاثة أشهر فقط .

ومن الغريب أن الإدارة الأمريكية ــ بقيادة رجل النفط الأسبق جورج بوش ــ والتي عادة ما تكون مرهفة لما يدور في عالم النفط ، تجاهلت الآن ما يدور فوق الساحة النفطية ، علماً بأن كيسنجر كان قد صرح ذات مرة (بيزنس ويك ٩٧٤/١٢/٢٣) : (بأن قيام الولايات المتحدة بعمل عسكري للسيطرة على أسعار النفط أسلوب خطر ، أنا لا أقول أنه في جميع الحالات يجب عدم استخدام القوة ، ولكن قد يكون أحد أهم أسباب استخدامها هو ظهور نزاع حول الأسعار) ذلك يوم كانت أمريكا مصدّرة أكثر منها مستوردة .. لماذا إذن يسكت بوش على فوضى الإنتاج الجارية واختراق سقف الحصص المقررة على صعيد الأوبيك ، الذي يخضع بدوره لسياسات عالمية على رأسها الولايات المتحدة ؟ ..

سيجد صدام حسين طريقة مناسبة للتفسير في خطابه التقليدي يوم ١٧ تموز في ذكرى ثورة ١٩٦٨ حيث يقول :

(لم تعد هناك خفايا في مرامي هذه السياسة المخربة ، ذلك أن حاجة الولايات المتحدة إلى استيراد النفط تزايدت بمعدلات كبيرة ، **وقد تكون حاجتها إلى البترول أكثر بكثير مما نحن مطلعون عليه** ، وأن بترول الشرق الأوسط والعربي منه بوجه خاص هو المرشح لسد احتياجاتها ، وبعد أن تهيأت لها الفرصة ، تصر الولايات المتحدة على العمل للإمساك بموقع الدولة العظمى الوحيدة من غير منازع ، ولكي يتحقق لها ذلك ، فإنها تعمل على ضمان تدفق البترول إليها بأبخس الأسعار ، والتحكم فيه وبمصير مالكيه لتتحكم فيما بعد بمصير مستهلكيه ، وبالذات أوروبا واليابان ، وربما الإتحاد السوفييتي في وقت لاحق إذا ما أصبح هو الآخر مستورداً للبترول ، ولكي تتحكم أمريكا بمصائر منتجي النفط ، **يقتضي بألا تسمح بنمو امكاناتهم المادية ومصادر ثرواتهم بما يتيح لهم فرصة المناورة الطبيعية في العلاقة بين المالك والبائع وبين المشتري** ، ولأن العدوانية الإسرائيلية وسياسة التوسع باقية ، يضاف إليها ما تقتضيه أهداف الدولة الأمريكية العظمى في المنطقة ، فإن أمريكا حريصة على أن تحقق مخزوناً استراتيجياً متزايداً من النفط لتضمن كل تلك الأهداف وفي

مقدمتها التحكم : بمتى وكيف تثير أو تسمح بإثارة الحروب والفتن ، وكل ما يضع المنطقة في حلق الذئب ، ومتى وكيف توعز باستقرارها إلى حين ، ثم إنّ المخزون من البترول إذا ما تم شراؤه بأقل من قيمته ، فإن ثقله على خزينة أمريكا لن يكون كبيراً كما لو تم شراؤه بالقيمة التي يساويها فعلاً ، وإن تلاقي مصلحة المضاربين في أسواق البترول من الأمريكان لشراء النفط عندما ينخفض سعره ، وخزنه وعرضه للبيع عندما يرتفع سعره مع سياسة بعض تجار البترول (والسياسة) من العرب ، وبعضهم من الوزراء أو أعلى منصباً منهم ، هي أخطر حلقات هذه السياسة المدمرة) .

لقد وضعت وزارة النفط العراقية ، أساساً للحساب ، وهو سعر الحد الأدنى المتواضع الذي وافقت عليه الأوبك وهو ١٨ دولاراً للبرميل الواحد ، وتبين أن مجموع الخسائر التي تعرضت لها دول النفط العربية بين الفترة (١٩٨١ — ١٩٩٠) وصلت إلى خمسمئة مليار دولار ، حصة العراق منها ٨٩ مليار دولار ، والسعودية زهاء ١٩٤ مليار دولار ، وأن الأضرار السنوية تساوي تماماً المبلغ المطلوب لمعالجة الديون العراقية وهو ٧ مليارات دولار في السنة . ومع أن السعودية هي الوحيدة التي التزمت بقرار التخفيض المتخذ من قبل الأوبيك ، حيث بلغ في المرحلة ١٩٨٩ — ١٩٩٠ زهاء ٤٠٠ ألف برميل يومياً ، وبالرغم من الأضرار الناجمة عن حمى تصعيد الإنتاج ، التي أصابت بصورة خاصة العراق وإيران ، ودولاً صغيرة أخرى في عداد الأوبك ، إلا أن وزير النفط الكويتي ، لم يرفض سياسة التخفيض فحسب ، بل قام بشجب مبدأ الحصص في الأوبك وطالب بتغييره أيضاً . وفي أواخر شهر حزيران ، قام السيد صادق بوسنة رئيس الأوبك بجولة في عدد من الدول الأعضاء ، في محاولة لحثهمّ على تخفيض الإنتاج قبل حلول موعد الإجتماع الوزاري لدول المنظمة المقرر خلال شهر تموز في جنيف .

وفيما الخليج منهمك بنفطه وأسعاره وأكياس نقوده ، كان اسرائيلي في السادسة والعشرين من عمره ، يقتل سبعة من الفلسطينيين العزل في أقل من خمس دقائق بواسطة مدفعه الرشاش ، ولم يكن بوسع هذه الكارثة المتجددة أبداً ، أن تختار لحظة تاريخية دقيقة وحساسة أكثر من اللحظة التي وقعت فيها ، فقد وقعت هذه

الكارثة ، قبل أسبوع فقط من موعد انعقاد القمة العربية في بغداد ، بعد طول تردد وخلاف ، وكان ذلك من أجل إدانة الإستيطان اليهودي السوفيتي في اسرائيل ، والتضامن مع الشعب العراقي ، الذي وصل سعار الحملات الغربية والإسرائيلية ضده حداً لا يطاق .

عاصفة على القمة في بغداد :

لم يكن الطريق إلى قمة بغداد معبداً بما فيه الكفاية ، فقد أصاب التردد بشأنه العديد من العواصم العربية ، وكانت الرياض والقاهرة والكويت ، ميالة إلى التأجيل (حتى يمكن الإعداد لها على نحو يكفل نجاحها) وكان ذلك ما اتفق عليه الرئيس مبارك والأمير عبد الله ولي العهد السعودي ، أما دمشق فقد حسمت أمرها بعدم الحضور ، رغم الوساطات التالية المتكررة ، وبنتيجة الإتصالات الثنائية المكثفة بين الملك فهد والرئيس العراقي ، في هذه الفترة ، فقد عدلت السعودية عن قرارها بالإرجاء ، وحصلت بغداد على موافقة الملك فهد بالحضور ، ولحقت القاهرة والكويت قرار الموافقة السعودية بالحضور .

كان الجو متلبداً قبل انعقاد القمة ، فالسماء لم تعد صافية بعد لقاء القمة الأخير في الرباط ، كانت الظنون تساور بغداد لما تفعله القاهرة في الخفاء بعد إعادة العلاقات السورية ـــ المصرية رسمياً ، وكانت القاهرة تتوجس خشية أن تجرها بغداد إلى مغامرات لا تحمد عقباها ، كانت بغداد تعرف وتعلن عن حرب اقتصادية تشن ضدها ، وأن بعضاً من أبطال هذه الحرب سيكون حاضراً في بغداد ، **وكان أبطال الحرب الإقتصادية النفطية ، يتوقعون فظاظة عراقية طالما اعتادوا عليها وصمّوا الآذان عن سماعها .. وكانت السعودية تقف في المنتصف ، بعد أن أطفأت أنوارها الحمراء والخضراء ، وأبقت على اللون الأصفر ، الذي يجنّبها ـــ حسب السياسة السعودية التقليدية ـــ أي ظن بالانحياز أو التحامل .**

وبدأت بغداد تعد للقمة الجديدة . وشهدت اجتماعات وزراء الخارجية العرب ، تمهيداً للقمة ، نزاعات منذ بداية الطريق ، فمصر تتحفظ على ذكر اسم الولايات المتحدة في البند الأول لجدول الأعمال والذي يقول : (التهديدات التي يتعرض

لها العراق من جانب الولايات المتحدة واسرائيل) فعصمت عبد المجيد يريد دليلاً مادياً على تهديد الولايات المتحدة للعراق ، وأن الأمر كله لا يعدو تهجمات صحافة أمريكية ليس أكثر ، وتلاه الأمير سعود الفيصل في التحفظ ، ورد وزير الخارجية العراقي ، بأن الأمر ليس ضجيج صحافة ، فهناك تصريحات لمسؤولين على أعلى المستويات في الإدارة الأمريكية ، وهناك اجراءات عقابية وصلت إلى حد وقف تصدير الأغذية للعراق ، ثم ثارت خلافات أخرى عندما وصل المؤتمر التمهيدي لمناقشة بند الهجرة اليهودية ، فبغداد ترى وجوب إدانة الموقف الأمريكي ، الذي كان وراء الهجرة أصلاً وداعماً مادياً لها ، واعترض الوفدان المصري والسعودي على هذه الإدانة لعدم ثبوت الأدلة ! .. إذ ليس في علم أحد ، أن الكونغرس الأمريكي أقر قانوناً باعتمادات مالية لصالح هجرة اليهود السوفييت إلى فلسطين .. ولما حاول القدومي تأكيد وجود مساعدات أمريكية لهذه المشاريع ، أجابه وزير الخارجية المصري :

ــ هل معك صورة من القرار الأمريكي في هذا الشأن .

ويقول هيكل في كتابه الجديد (حرب الخليج أوهام القوة والنصر ص ٣٠٧) : (في حقيقة الأمر ، فإن خطأً غير منظور بدأ يرتسم في أجواء القمة فالعراق يصر على إدانة الولايات المتحدة بأوضح عبارة ممكنة ، ومصر والسعودية علناً ، وباقي دول الخليج من طرف خفي ، يرون أنه من الصعب إدانة دولة بالإسم دون وجود دليل مادي يشير إلى اتهامها)

هكذا حسبت القمة نفسها وكأنها في محكمة العدل الإلهية ، حيث لا إتهامات أو إدانات دون شهود ، على طريقة شهود الزنا في الشريعة الإسلامية أو أدلة ملموسة أخرى ، والحال فإن الشرع الإسلامي ، لا يمنع نفسه من الاستنتاج والقرينة والاستنباط والاجتهاد وقناعة القاضي نفسه ، بمعزل عن المؤثرات الخارجية أحياناً ، **والحال في عصرنا ، فإن القمر الصناعي التجسسي في الأساس هو اعتداء على السيادة الوطنية لأي بلد يقوم بالتجسس عليه ، وها هي الأقمار الصناعية الأمريكية تطير في كل سماوات العالم ، ولا تجد من يقيم الدليل على وجودها ،**

اللهم عدا الآخرين الكبار ، الذين يملكون مثيلاً لها ، وفي هذه الحالة فإن السيادة الوطنية للصغار ، تصبح اعتباراً نافلاً ضمن منظور المالكين .

روايتان عن خطاب الإفتتاح :

تقول الرواية الغربية (حرب الخليج ، الملف السري ، بيتر سالنجر وأريك لوران ، الطبعة التاسعة ، دار آزال للنشر ، بيروت ص ٤٦) (كان صدام أول المتكلمين ، و لم يبدأ باتهام اسرائيل وأميركا كما كان الجميع يتوقع ، بل أخذ يهاجم دول الخليج بعنف شديد ضارباً طرف الطاولة بقبضته اليمنى :

ـــ إنهم يستخرجون البترول بأكثر من اللازم لتخفيض أسعاره و كل انخفاض يوازي دولاراً واحداً من البرميل ، يجعل العراق يخسر مليار دولار في السنة .. إنكم تخوضون حرباً اقتصادية ضد العراق .

وتتابع الرواية الغربية تقول : لم يبدأ صدام بمهاجمة أمريكا واسرائيل كما كان متوقعاً ، بل أخذ يهاجم دول الخليج ويضرب بيده على الطاولة ...وتقول الرواية العربية (حرب الخليج أوهام القوة والنصر . محمد حسنين هيكل . مركز الأهرام للترجمة والنشر ص ٣٠٧)

(يجدر بنا أن نعلن بوضوح بأن اسرائيل إذا ما اعتدت وضربت فإننا سنضرب بقوة . وإذا ما استخدمت أسلحة دمار شامل ضد أمتنا سنستخدم ضدها ما نملك من أسلحة دمار شامل وأن لا تنازل عن تحرير فلسطين ، ومن الحقائق التي أكدتها التجارب أن الولايات المتحدة الأمريكية تتحمل مسؤولية رئيسية ، بل مسؤولية أولى في السياسات العدوانية والتوسعية التي يمارسها الكيان الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني والأمة العربية) ثم قوله :

(علينا أن نعلن بصوت قوي أنه لا يحق لكائن من يكون أن يتمتع بحظوة في مواردنا وثرواتنا في الوقت الذي يحاربنا أو يناهض تقدمنا العلمي والتكنولوجي ، وأن نحوّل هذا المبدأ إلى سياسة ومفردات تطبق ويلتزم بها بصورة جماعية) ..(إننا نعامل كحالة واحدة ويجب أن نرد وفق هذا الاعتبار)

وتقول الرواية الغربية : (المصدر السابق . الملف السري)

كان مبارك يحاول تثبيت نظره على نقطة من الطاولة أمامه ، وهو يغلي من الغضب

ويبذل الجهد الكبير كي يمنعه من الانفجار أما القذافي فبدا وكأن المشهد يسلّيه ، في حين كان الملك فهد متجهماً تتنازعه مشاعر الصبر والغيظ . ويتابع صدام :

ــ أيها الأخوة اسمحوا لي أن أروي لكم أسطورة تنتمي إلى التاريخ القديم ، وهي أن كارثة ضربت قرية صغيرة فطلب من القرويين حولها أن يهبوا لنجدتها بتقديم المساعدة لتعويض الخسائر ولو بقدر معين ، واتفق الناس على ألا يطلبوا هذه المساعدة من أحد القرويين الفقراء ، ولكن الفقير أبى ذلك على نفسه ، وخاف أن تلحق به الإهانة ، فتقدم بوعاء النحاس الوحيد الذي يملكه . العراق الآن ، هو الرجل الفقير ، ولن يخل بواجبه تجاه أشقائه الأشد فقراً ، سوف نمنح الأردن ٥٠ مليون دولار ، والمنظمة ٢٥ مليوناً . ونحن هنا ، نريد ممارسة الضغط الأخلاقي والمعنوي لكل من تسوّل له نفسه عدم المشاركة .. أنتم تعرفون التضحيات التي قدمناها منذ سنوات في حين لا يحترم الآخرون العهود والمواثيق .

ثم تحدث صدام عن حصص النفط في الأوبك ، وتجاوز الكويت لهذه الحصص ــ بحدود ٦٠٠ ألف برميل يومياً ــ وطالب بعشرة مليارات دولار وبإلغاء الديون البالغة ٣٠ ملياراً للسعودية والكويت والإمارات .. وقال : (إن العدوان على شعب من الشعوب لا يحصل فقط بالدبابات والمدفعية والسفن ، ويمكن أن يتخذ أشكالاً أكثر مكراً ودهاء كإغراق السوق بالنفط والضغوط الإقتصادية) .

ثم وقف الملك حسين وألقى كلمة حزينة ومؤثرة :

ــ ينبغي ألا يحصل ما يضر العراق اقتصادياً

وأعقب ذلك بمداخلة مفادها ، أن العالم العربي فقد رؤيته لحاضره ومصيره ... ووقف عرفات ، يعلن حالة الضيق التي تخنق أهلنا هناك ، (وإخواننا هنا ساكتون لا أحد منهم يجيب أو يستجيب) .

ثم تحدث النفط بلغته العمومية الهاربة من التحديد ، وكان الشيء الأكثر تحديداً هو في اقتراحه : بأن طلب المساعدات يجب أن يجري وفق اتصالات ثنائية ...

كان بإمكان المرء أن يلمس دون عناء ، موقف الوفد الكويتي ورئيسه الذي هو أقرب إلى الاستخفاف بما يجري ، رغم أن الكويت واصلت رفع انتاجها من النفط ثلاث مرات منذ سكوت المدافع على الجبهة الإيرانية ، وفي كل مرة لم يتكبد

الكويتيون عناء نفي هذا الواقع أو تغطيته .. (ولعل المرء يشعر هنا بأن تغطيةً ما بالنسبة للكويت قد تمت) **كان الكويتيون يرتاحون إلى وصف بلدهم (سويسرا الشرق الأوسط) .. وكان السعوديون يغتاظون من شدة بخلهم وخيلائهم وتيمنهم بالغرب . وكان العراقيون يخوضون غمار السياسة ، وفي ذهنهم خمسة آلاف سنة من التاريخ القديم ، ويعيشون أسرى صورة بابل ، والإسلام ، وكل ما يتراءى من أجل استرداد صورة الإمبراطورية البائدة .. فالكويت بالنسبة لهم ، بئر صار دولة ، وفي العصر الحديث ، لم يحدث أن تمكنت دولة من اجتياح دولة ، كان الكويتيون يقيمون المراهنة على حدود لا يمكن تجاوزها ، وهم بالتأكيد ، ليسوا على اطلاع بمعادلات خاصة للكويت ، تلك المعادلات التي تحمل في طياتها حيثيات الحكم وطبيعة العقاب (إن عالماً بلا ذاكرة هو عالم بلا مستقبل)**

واليوم ، يقع الكويتيون في المحظور نفسه ، عندما يهللون فرحاً ، لرسم الحدود الجديدة بالقوة مع العراق ، بل ويجتازون حدودهم ما قبل الاجتياح إلى داخل الأراضي العراقية ، ويتم ذلك على أيدي لجنة دولية أمريكية ، تريد أن تضع قاعدة لنزاع جديد في المستقبل .

مضت الأسابيع الأولى بعد اختتام أعمال القمة في بغداد ، دون تعكير لمجرى الأحداث ، غير أن الصورة الداخلية للكويت بدت أكثر قتامة ، حين عمدت السلطة إلى التدخل السافر في سير الإنتخابات العامة المقررة يوم العاشر من حزيران ، وقد أدى هذا التدخل إلى انسحاب المعارضة (نسبة ٤٠٪ من المرشحين) في الأسبوع السابق ليوم الإنتخابات .

إن الناخبين في الكويت الذين يحق لهم الإدلاء بأصواتهم لا يتجاوزون ٧٠ ألفاً من كويتيي الدرجة الأولى ، وقد جرت الإنتخابات المذكورة في جو محموم مما أدى إلى امتناع الغالبية من المنتخبين (زهاء الثلثين) عن القيام بواجباتهم الإنتخابية ، وفي هذه الفترة كادت أن تنفتح صراعات داخلية بسبب الإنتخابات وقد تم تجنيب الكويت مغبة صراع سياسي ، بتدخل من الأمير نفسه .

في نهاية حزيران قام رئيس مجلس الوزراء العراقي السيد سعدون حمادي ، وهو من خريجي الجامعة الأمريكية في بيروت ، ومن أوائل البعثيين العراقيين ، بزيارة إلى السعودية ، أعقبها بجولة خليجية ، وكانت مهمته ــ المحاولة من جديد ــ اقناع الكويت والإمارات بتخفيض معدلات إنتاج النفط ، والحصول على مساعدة مالية ، وقد لقي مسعاه هذا طريقه إلى وجوب التحلي بالصبر والروية والحكمة ، أي بمعنى آخر وجد مسعاه طريقه إلى الإهمال .

وفي الأسبوع الأول من تموز ، كان وزير النفط الكويتي يعلن في تصريح له ، أن بلاده ستحافظ على انتاج حصصها الإضافية حتى شهر تشرين الأول من السنة ، وأسرّ أحد معاوني الرئيس العراقي بعد سماعهما تصريح الوزير الكويتي (إن ما يجري هو محاولة لتركيع العراق)

في العاشر من تموز عقد وزراء النفط لكل من العراق والسعودية والكويت وقطر والإمارات آخر اجتماع لهم في مدينة جدة قبل الحرب ، وقد دارت مناقشات مطولة حول كميات الإنتاج الإضافية التي تضخها آبار النفط الكويتية والإماراتية ، وطلب العراق في هذا الإجتماع من أجل أن يصل سعر البرميل إلى ١٨ دولاراً وهو سعره الرمزي الذي حددته الأوبك ، أن يتم تخفيض الإنتاج في كل من الكويت (٣٠٠ ألف برميل يومياً) وتخفيض مماثل في الإمارات بمقدار (٤٠٠ ألف برميل يومياً) وظل الكلام حبراً على ورق ، ثم قام طارق عزيز في الإجتماع المقرر لجامعة الدول العربية في تونس يوم ١٥ تموز ، بتقديم مذكرة مسهبة ، تعرضت في تحليل تاريخي ، لمشكلة الحدود بين العراق والكويت ، **منذ أن قام السير كوكس بوضع (شخطةٍ) من قلمه راسماً الحدود الجديدة بين البلدين** ، ثم اتهمت المذكرة الكويت ، بأنها تقوم بعملية تسلل تدريجية إلى الأراضي العراقية ، وتنصب المضخات النفطية وتقيم المزارع ونقاط المراقبة العسكرية .. وتحوّل عزيز في المذكرة إلى الجوانب الإنتاجية والحصصية والسعرية لنفط الأوبيب (وهي مجموعة الدول العربية المصدرة للنفط في الأوبيك) وما انعكس على هذه السياسة من آثار تدميرية على الإقتصاد العراقي ، وانتهى إلى القول :

(لقد ثبتت لدينا القناعة الكافية ، بأن بعض الدول أصبحت متورطة في مؤامرة ضدنا ، وينبغي أن يعلم الجميع ، بأن قطع الأرزاق من قطع الأعناق ، وأن العراق لن يركع ، وأن نساءه لن يصبحن بغايا ، وأن أطفاله لن يحال بينهم وبين البراءة والطفولة والغذاء) .

لقد شعر السيد القليبي أمين عام جامعة الدول العربية ، بأن قراءة الخطاب والمذكرة من قبل طارق عزيز ، كان تصعيداً للموقف ، بحيث يصعب على مجلس كهذا احتواؤه أو تمريره ، فبالإضافة إلى الإتهامات المتكررة بخصوص سرقة النفط العراقي وتدمير الإقتصاد ، والإستعداد على خط حدود الدوريات الذي رسمته الجامعة نفسها في بداية الستينات بين العراق والكويت ، هناك اتهام آخر مفاده ، أن الكويت بدأ ينشط الدوريات العسكرية الحدودية ، وإقامة مخافر ثابتة داخل الأراضي العراقية .

كانت أجراس الخطر في واشنطن خافتة

كانت أجراس الخطر في الكويت ، تقرع في تكتم تام ، ولا يسمع صداها إلا العائلة الأميرية التي أوعزت إلى ممثل الكويت في مكتب الإستثمار الكويتي بلندن بتاريخ ١٩ تموز ، أن يقوم ــ بكل هدوء ــ ببيع كميات هائلة من ممتلكات الدولة الكويتية في الإستثمارات المصرفية والعقارية في الشرق الأقصى .. ثم راحت الكويت تشتكي إلى الأمين العام للأمم المتحدة ، واصفة العراق بأنه يزوّر الوقائع ، وطلبت إلى الجامعة العربية أن تتدخل في نزاع الحدود مع العراق ، وقام الرئيس المصري بتقييم الوضع واستخلص أنه (سحابة صيف) وواظبت واشنطن على الحديث (عن ضبط النفس) و(ضمان حرية حركة النفط) ووعدت بدعم (الأصدقاء في الخليج) .

في ١٧ تموز ذكرى الثورة العراقية عام ١٩٦٨ ، وقف صدام حسين يلقي خطابه التقليدي بهذه المناسبة ، لكن الخطاب لم يكن تقليدياً في جميع المقاييس ، فقد تعرض الرئيس العراقي في خطابه لمجمل الوضع الإقليمي واصفاً ما يحاك ضد العراق والأمة العربية ، بأنه سكين مسموم يغرز في الظهر .. وكان من النقاط الخطيرة التي أثارها :

(ـــ لم تعد القوى الإمبريالية والصهيونية تستخدم في حملاتها الأخيرة السلاح .. ولم تعد تستعمل الأساطيل والطائرات .. بل بدأت تمارس القتل .. بأسلوب آخر لعله أخطر من حيث نتائجه من أسلوب القتل المباشر .. إنه الأسلوب الجديد الذي بدأ يظهر في صفوف العرب أنفسهم ، والذي يستهدف قطع الأرزاق بعد أن تم دحر أسلوب قطع الأعناق ..)

ثم قوله :

(ـــ بفضل أسلحتنا الجديدة ، سيحسب الإمبرياليون بعد الآن ، قبل أن يخوضوا معركة عسكرية ضدنا .. إنهم يفضلون خوض حرب استنزاف اقتصادية ضد العراق بمساعدة عملائهم من حكام الخليج) .

ويشير صدام لأول مرة للذهاب إلى الخيار الأخير بعد نفاذ الصبر (ـــ إذا لم ينفع الكلام في حمايتنا ، وقد لجأنا إليه مراراً وتكراراً ، فلن يكون أمامنا سوى العمل على إعادة الأمور إلى نصابها واستعادة حقوق الشعب العراقي) .

قعقعة السلاح :

بفارق التوقيت بين واشنطن وبغداد ، وفي اليوم نفسه الذي كان يخطب فيه صدام حسين (١٧ تموز في بغداد ١٦ تموز في واشنطن) كان رجل مكتنز أصلع ، حسن الهندام يعمل على الهواتف مثل وكيل مراهنات في بورصة طوكيو ، وفي مكتبه بالدور الثاني من البنتاعون ، يرد على الهواتف الحمراء والرمادية والخضراء ، التي تسمح له بمناقشة موضوعات بالغة السرية مع وكالة الأمن القومي والسي آي إيه ومركز مخابرات الصور الوطني ووحدات المخابرات الأمريكية داخل البنتاغون وخارجه ، إنه الكولونيل المتقاعد « بات لانغ » .

ـــ كان خبيراً بصور الأقمار الصناعية واعتراض الإتصالات .

ـــ وكان خبيراً كملحق عسكري سابق في السعودية بشؤون الشرق الأوسط .

وفيما كانت هناك صحراء خالية جنوب العراق قبل ساعات من الصباح ، وإذا بالصور الجديدة ، التي بدأت تتوالى تباعاً تشير إلى تشكل رأس مرتل من الدبابات العراقية من:طراز ت ٧٢ وهو يتوجه إلى مناطق الجنوب ، أي شمال الكويت ، ثم اكتشف من خلال الصور اللاحقة ، بأن الأرتال المتجهة إلى الحدود العراقية

الكويتية ، إنما هي كناية عن ثلاث فرق تابعة للحرس الجمهوري ، واستطاع لانغ أن يميز حتى أسماء تلك الفرق التي دونها على دفتر ملاحظاته : حمورابي والمدينة المنورة والإيمان بالله . وكان لانغ من خلال متابعته للحرب الإيرانية ـــ العراقية ، يعرف أن هذه الفرق ، هي من أكفأ الفرق في الجيش العراقي .

في التاسع عشر من تموز ، كان أكثر من ثلاثين ألف جندي من الفرق الثلاث على بعد عشرة كيلومترات من الحدود الكويتية ، وكانت الدبابات في وضعية التفاف وكلها متأهبة للدفاع ، مما جعل تزودها وإدارتها أسهل من الناحية التكتيكية ... كانت أجهزة المخابرات الأمريكية ، من خلال ملخصات تقاريرها التي رفعتها إلى التسلسل القيادي عند تلك اللحظة قد ركزت على عدم نية العراق في زج قواته في معركة مباشرة ، كما ركزت على الطبيعة غير المألوفة للقوات . لكنها لم تتنبأ بإمكانية استخدامها .

وكان طاقم القيادة الذي يقوده نورمان شوارزكوف (من أصل ألماني ٥٥ عاماً) في قاعدة ماك ديل بفلوريدا ، يتكون من ٧٠٠ شخص لكن في حال وقوع أزمة عالمية ، يمكن أن يتولى قيادة الوحدات المقاتلة في كل أنحاء العالم .

كان شوارزكوف يعرف الشرق الأوسط منذ أن كان فتىً في العشرين من عمره ، فقد قضى سنتين في طهران أيام كان والده ، وهو جنرال بنجمتين ، يعمل في أجهزة المخابرات المركزية للإطاحة بالدكتور محمد مصدق وإعادة الشاه المعزول ، كما يعرف عن شوارزكوف طبعه الخشن وفظاظته الموروثة عن الجلافة الأمريكية والاستعلاء الجرماني ، حيث كان ينظر للشرق نظرة كراهية تاريخية ، ويفخر شوارزكوف بأنه سليل عائلة ألمانية ، كان لها دورها في قيادة إحدى الحملات الصليبية إلى المنطقة الإسلامية ويحتفظ من أجل ذلك بشجرة العائلة ، كما يروى بأنه وهو في قيادته ذات الإسمنت المسلح تحت الأرض في الرياض ، كان يحتفظ بشكل دائم تحت وسادته بكتابين ، الأول : أعمدة الحكمة السبعة ، حيث يصف لورنس حياة الصحراء لدى العرب بشكل آخاذ ، والثاني : الكتاب المقدس والعهد القديم .. وحين أطلق العنان لعاصفته ، كانت كلمة السر : المجد للعذراء . وبدأ الثلاثي تشيني باول وشوارزكوف .. يقلبون الخيارات العسكرية والسياسية ، بحضور قادة سلاح الجو والبحر ، علماً بأن سلاح البحرية ما فتىء ينتقد منذ حين

وجود جنرال في فلوريدا (يقصدون شوارزكوف) يدير العمليات وهو يقبع على بعد آلاف الأميال عن أجواء المناطق الساخنة .

في الوقت ذاته ، تقول مصادر الاستخبارات الأمريكية ، واصل العراق إرسال المزيد من القوات ، بمعدل فرقة يومياً ، إلى أن وصلت في التاسع عشر من تموز إلى ثماني فرق (بما فيها فرق الحرس الجمهوري الثلاث) ومعنى هذا أن زهاء مئة ألف رجل من القوات العراقية باتوا يقفون على أهبة الإستعداد عند الحدود الكويتية ، وهو إنجاز عسكري كبير في غضون ثلاثة أيام في المقاييس العسكرية .

كانت سيارات الليموزين الأمريكية الفخمة ، تنقل أعضاء الحكومة الكويتية في الثامن عشر من تموز إلى مقرها الرسمي ، فيما كانت الشمس تغرق في بحر الخليج ، وكان آخر الواصلين الأمير جابر يرافقه ولي العهد ورئيس الوزراء الشيخ سعد العبد الله الصباح ، وبدا أن الخطر المحدق أصبح ماثلاً للعيان .

كان من المقرر أن يقتصر الإجتماع على التداول بشأن المذكرة التي قدمها طارق عزيز قبل يومين ، والتي يتهم العراق فيها الكويت بالإستيلاء على ٢,٤ مليار دولار من النفط العراقي في الرميلة وغيرها من الآبار التي تقع في الأراضي العراقية ... غير أن الأخبار التي أشارت إلى حشود عراقية على الحدود ، هي التي طغت في النهاية على جو الإجتماع ، وفيما راح الوزراء يقلبون أوجه الإحتمالات مع التعليقات التي تصب خارج الوعاء (العراقيون يريدون إنقاذ اقتصادهم على حسابنا ، وزير النفط) ، (ابتزاز الأموال ، هذا هو هدفهم ، وزير شؤون مجلس الوزراء) (ويجب أن نحافظ على رباطة جأشنا وزير النفط) ، (مذكرة العراق متهافتة ويمكن الرد عليها بسهولة ، وزير التخطيط) ، (بغداد هي التي تقيم تجهيزات عسكرية فوق أراضينا ، وزير الدفاع) ... الخ ورغم تباين التعليقات التي عكف أصحابها على صرفها أمام الأمير ، إلا أن كلمة واحدة ، كانت تتردد على كافة الألسن كأنها الأمل الأخير قبل الغرق ألا وهي : (التفاوض) ونسي الجميع برفّة عين ، كل اللقاءات المتكررة والمضنية ، والتي أجاب خلالها ممثلو الأمارة ، بلهجة متعالية ، بالرفض الصارم لكافة المطاليب التي تقدم بها مفاوضوهم من العراقيين .

وكان الرأي الأخير ، يتلخص في تكليف وزير الخارجية الكويتي بالدعوة إلى اجتماع عاجل لمجلس التعاون الخليجي يعقد في الكويت لاستصدار قرار يطالب الجامعة العربية بالتدخل ، ولم يقرر المجلس اتخاذ أي تدبير عسكري ! ..

كانت الورقة النهائية التي يخبئها الكويتيون ، هي ورقة الدعم الأمريكي ، وتشير وثيقة غريبة كشف عنها العراقيون (ولم يصدر أي نفي كويتي أو أمريكي بشأنها) عن مذكرة كتبها فهد حكمت الفهد مدير أمن الدولة ، موجهة إلى وزير الداخلية الكويتي الشيخ سالم الصباح ، تتعلق باجتماع عقد بين مدير أمن الدولة الكويتي والقاضي ويليام ويبستر مدير السي آي إيه بناءً على توجيهات من وزير الداخلية الكويتي ، وتشتمل الوثيقة على ثماني فقرات ولعل أهمها الفقرة الخامسة (صورة عن الوثيقة في ملحق الفصل) :

(لقد توصلنا إلى تطابق في وجهات النظر مع الجانب الأمريكي بشأن التقديرات التي تشير إلى أنه من الأهمية بمكان الإستفادة من تردي الأوضاع الإقتصادية في العراق بزيادة الضغوط على حكومة هذا البلد بهدف تأزيم الأمور على الحدود المشتركة ، ولقد أبلغتنا وكالة الإستخبارات الأمريكية وجهة نظرها حول أفضل الوسائل والأساليب لاستمرار تلك الضغوط ، وقال لنا هؤلاء المسؤولون أن التعاون بين الجهتين يجب أن يكون على نطاق واسع ، شريطة أن يكون التنسيق بشأنها على أعلى المستويات)

لن نستخدم القوة .. إلا .. (صدام)

لن يستخدموا القوة ضد الكويت . (مبارك)

وما دام الإجتماع مغلقاً فليس لأحد أن يجزم إلا أن هناك بعض القرائن :

ــ نحن الآن في شهر تموز (٢٤ منه) وقد ظلت المشكلة تتصاعد بصورتها العلنية منذ شباط أي منذ بداية العام ، ورغم جميع اللقاءات والمداولات والوساطات ، فإن شيئاً من الأزمة المستفحلة بين العراق والكويت ، لم يجد سبيله إلى الحل ، لا فيما يتعلق بالحدود ، ولا بكميات النفط الفائضة عن الحصص ، التي تنضحها المضخات الكويتية والأماراتية صباح مساء ..

ـ في مذكرته المقدمة إلى مجلس الجامعة العربية في تونس بتاريخ ١٥ تموز وكان الوقت ما زال قريباً وغير مرشح للنسيان يقول طارق عزيز (الذي هو قول صدام نفسه في ١٧ تموز) ما يلي :

(إن قطع الأرزاق من قطع الأعناق) و(إن اعتداء الكويت على العراق هو اعتداء مزدوج ، فمن ناحية هناك اعتداء على أراضينا ، وهناك سرقة لثروتنا الوطنية .. وإن هذه التصرفات هي بمثابة عدوان عسكري)

ـ في ١٧ تموز قبل زيارة مبارك بأسبوع قال صدام علناً :

(إذا لم ينفع الكلام في حمايتنا وقد لجأنا إليه .. فلن يكون أمامنا سوى العمل على إعادة الأمور إلى نصابها واستعادة حقوق الشعب العراقي) ! ما هو الأسلوب الآخر غير الكلام إذن ؟ !

ـ يقول بات لانغ الضابط المختص في تحليل صور الأقمار الصناعية الأمريكية في الاستخبارات الدفاعية للشرق الأوسط وجنوب آسيا ما يلي :

(أوجد صدام في ثماني فرقه التي حشدها على الحدود مع الكويت المقدرة على اجتياح الكويت بأسرها وكل شرقي السعودية ، إنني لا أرى أنه يخدع ، وقد اطلعت عن كثب على تركيبته الشخصية ، صحيح إنه عنيد ، لكنه لا يعرف كيف يخدع ، فليس الخداع من سلوكه (القادة . بوب وودورد . ترجمة برهوم ص ١٤٨)

ـ وسيقول الملك حسين لاحقاً ، بعد زيارة الرئيس المصري بأربعة أيام ، أي في ٢٨ تموز ، ما اقتطعه الرئيس المصري أثناء حديثه لأمير الكويت (حصلت على تأكيدات من الرئيس صدام بأن العراق لن يلجأ إلى القوة لحل النزاع مع الكويت ما دامت المفاوضات قائمة) (الكتاب الأبيض ـ عمان ص ٣)

ـ إن الحشود التي كانت ما زالت تتقاطر بواقع حجمها وسمعتها ، لم تكن ذات مظهر استعراضي بدليل أن أعلى المستويات في البنتاغون وأجهزة الأمن القومي الأمريكية واستخبارات الشرق الأوسط ، كانوا قد شغلوا بها منذ حين ، ولا يعقل أن السعودية والمصريين بعد أسبوع من تدفقها ، لم يبلّغوا عن جوانب

منها ومدى خطورتها .. والخلاصة ، أنه في صباح يوم ٢٤ تموز ، وصل الرئيس المصري إلى بغداد بتكليف من الجامعة العربية ، وكان اختيار الجامعة العربية في تكليف الرئيس مبارك من أجل الوساطة ، قد جانبه التوفيق نظراً للغيوم المتلبدة التي بدأت تتجمع في سماء العلاقة بين الرئيسين ، وذلك منذ قمة عمان وبغداد بعدها ، هذا فضلاً عن المشادّات الحاصلة خلال انعقادها . (حيث كان مبارك قد انسحب من الجلسة في قمة عمان ٢٤ شباط ١٩٩٠ حين هاجم صدام بقسوة بالغة عرب أمريكا من المسؤولين معتبراً نفسه في عدادهم) .

أسرّ صدام إلى نظيره « لن استخدم القوة ما دامت المفاوضات بين العراق والكويت ، ولن ألجأ إلى التدخل العسكري قبل استنفاذ كافة أوجه التفاوض ، ولكن يا أخي أبو علاء (الابن البكر للرئيس مبارك) أرجو ألا تطلع الكويتين على ما قلته لك ، لا تمنحهم مزيداً من الفرص للمماطلة ، فمن شأن هذا أن يزيد في غطرستهم » .

ويقول هيكل في كتابه (أوهام القوة والنصر ص ٣٢٩) عن هذا الموضوع : (وقف الرئيس صدام حسين أمام المرافقين والصحفيين يقول للرئيس مبارك ضاحكاً : بالله عليك لا تطمئنهم يا أبو علاء ، هؤلاء ناس لا يعرفون الحياء .. وهذا الرجل الشيخ جابر لديه مال قارون وهو يكتنزه ولا يصرفه على شعبه .. ثروته الشخصية ١٧ مليار دولار) . وربما أراد الرئيس العراقي من وراء كلامه هذا أمام المرافقين والصحفيين ، أن يكونوا شهوداً على ما جرى في الجلسة المغلقة ...

وكان الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودية ، قد وصل إلى بغداد ، قبيل زيارة الرئيس المصري ، وهو يحمل رسالة من الملك فهد ، تدعو إلى اجتماع قريب بين العراق والكويت في جدة ..

وافق العراق والكويت ، وتم الإتفاق على موعد الإجتماع وتسمية الشيخ سعد العبد الله كرئيس لوفد الكويت ، وعزة ابراهيم كرئيس للوفد العراقي وعلى أن تكون جدة المكان ، ونهاية تموز (٣١ منه) الزمان .

غالاسبي الوحيدة في منطقة الزلازل :

أنتم تستطيعون أن تأتوا إلينا بطائراتكم وصواريخكم .. نحن نعرف هذا ونقدر مدى خطورته . ولكن أرجو ألا توصلونا إلى أن نستخف بكل هذا .. لا تشجعوا بعض الناس على أن يتصرفوا بأكبر من حجومهم وبغير حق .

(من اجتماع صدام حسين مع غالاسبي السفيرة الأميركية في بغداد يوم ٢٥ تموز ١٩٩٠) .

كانت قد مضت سنتان على تسلم السفيرة الأمريكية آبريل غالاسبي (٥٠ عاماً) مهام عملها كسفيرة في بغداد قبل هبوب العاصفة ، ومن الرجوع إلى مختصر السيرة الوظيفية لهذه السيدة ، يتبين بأنها كانت ذات خبرة بشؤون الشرق الأوسط ، خاصة وأنها عملت مستشاراً للسفارة الأمريكية في القاهرة من قبل ، ثم نقلت إلى بيروت فدمشق ، قبل أن تستقر في منصبها الأخير في بغداد ، وهي تفهم العربية بأفضل مما تحكيها كعادة الدبلوماسيين الأمريكيين في المنطقة .. وعلى ما يبدو فإن الظروف الخاصة لغلاسبي ، حيث تعتبر من المتتلمذات على يد

مدرسة كيسنجر في الخارجية الأميركية . كانت صعبة ، وقد زاد من صعوبتها أنها لم تتزوج ، ويقال أنها كانت عصبية المزاج في حياتها ، وقد أضفى جو بغداد الشرقي عليها جواً مشوباً بالشجن ، حيث بقيت تعيش وحيدة مع كلبها (وأمها أحياناً) ولاشك أن إصرارها على أخذ إجازتها الصيفية في ذروة الأزمة العراقية ــ الكويتية ، تعتبر بمثابة دليل إضافي على الشخصية المسكونة بنوازع الهرب من تلك المنطقة التي تعج بالتاريخ والغبار والقيظ ..

كانت بغداد سفارتها الأولى ، وكانت تحب إسبانيا أو اليونان .. وكانت بغداد لا تحب الدبلوماسيين الأجانب ، الذين كان لبلدانهم تاريخ حافل في المنطقة .. وكان قدرها أن تكون سفيرة لواحدة من هذه البلدان ، في عاصمة قذفت خلفها بخمسة آلاف سنة من التاريخ والحضارة والأسطورة .

كانت لا تحب التاريخ الإسلامي ، وتقرأ أشعاراً لـ : ت.س. إيليوت تقول : (إن الغرب سينتهي .. ليس بفرقعة .. بل بنشيج .. لعله نشيج طفل مسلم لم يولد بعد) .

لم يكن قد مضى على مقابلتها للسيد نزار حمدون وكيل وزارة الخارجية العراقية قرابة الساعة ، وذلك بناءً على طلب من حكومتها لإجراء هذه المقابلة ، والإستفسار عما يجري هناك على الحدود ، وعندما عادت إلى مقر عملها في السفارة ، وكانت ما زالت تنقل لحكومتها ما دار في الإجتماع مع الخارجية العراقية ، وإذا برنين الهاتف يطلبها على الخط الآخر ، كان المتحدث نزار حمدون من جديد :

ــ السيد السفير ، هل بإمكانكم العودة إلى هنا لأمر طارىء ..

ودهشت السيدة غالاسبي لهذا الاستدعاء المفاجيء ، ولكنها ما لبثت أن وجدت نفسها في طريقها إلى الخارجية بناءً على الهاتف الغامض ، كان حمدون في انتظارها عند مدخل الوزارة وسيارته مشرعة الأبواب في انتظار العائد من جديد ، وأدركت غالاسبي لتوها ، بأنها ربما ستكون في ضيافة وزير الخارجية لبعض الوقت ، وزاد من دهشتها ، حين عرفت في النهاية ، أنها في طريقها لمقابلة الرئيس العراقي نفسه .

كان طارق عزيز يقف إلى جانب صدام وهو يطلق العنان لابتسامته الدبلوماسية المعتادة ، وبعد أن استقبلها الرئيس بلطف ، أشار عليها بالجلوس ثم بادرها بقوله :

ــ لقد استدعيتك لنجري معاً بعض النقاشات السياسية المعمقة ، وأحسب أنها رسالة موجهة إلى الرئيس بوش .

لم تكن غالاسبي تدرك بعد ، أنها ستكون يوماً ، اعتباراً من هذه الجلسة فصاعداً ، على رأس ملف ، هو من أخطر ملفات الشرق الأوسط وأشدها تعقيداً ، منذ الحرب العالمية الأولى وحتى الآن .

وكان الرئيس العراقي قد بدأ يوجز تاريخ العلاقة الأمريكية العراقية : (لقد تم اتخاذ قرار استئناف العلاقات الدبلوماسية مع أمريكا في عام ١٩٨٠ ، قبل شهرين من اندلاع الحرب مع إيران ، وعندما نشب الصراع ، وتلافياً لأي تفسير مغرض ، قمنا بتأجيل هذا الموعد إلى وقت لاحق ، لقناعة منا بأن الحرب لن تدوم طويلاً . وعلى العكس من توقعاتنا فقد دامت الحرب وكان من الأهمية بمكان بعد مرور أربع سنوات على قرارنا باستئناف العلاقة مع الولايات المتحدة ، أن نقوم باستئنافها دون أن ننتظر نهاية الحرب ، وهذا ما فعلناه عام ١٩٨٤ ، وإذا استؤنفت العلاقات ، فإنه لم يخامرنا الشك بأننا في الطريق لتعاون أفضل وفهم متبادل ، فنحن أيضاً ، لم نكن ندرك دائماً ماهية الأسس التي بنيت عليها عدة قرارات أمريكية ، إلا أن علاقاتنا مع أمريكا عانت من مصادفات متنوعة ، كان أكثرها حدة في العام ١٩٨٦ ، وأعني بالطبع فضيحة إيران ــ جيت ، التي كشف النقاب عنها في الوقت الذي كانت فيه إيران تحتل شبه جزيرة الفاو .

فعندما تكون المصالح بين دولتين محدودة ، والعلاقات حديثة ، يكون الفهم المتبادل أدنى مستوى ويكون للإشكالات بينهما الأثر الأعمق سلباً ، وأحياناً قد يكون الخطأ أقل تأثيراً من عاقبة الخطأ نفسه ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد بادرنا إلى قبول اعتذار الرئيس الأمريكي على لسان موفده بشأن إيران ــ جيت ومحونا إساءات الماضي كله ، فنحن العرب نكتفي بالاعتذار عن الخطأ ، وليس ما يدعونا لنبش الماضي إلا إذا طرأ جديد يدعونا للإعتقاد بأن أخطاء الماضي لم تكن من

قبيل المصادفات ، وقد تفاقمت شكوكنا على أثر تحرير الفاو . إذ عمدت وسائل الإعلام الأمريكية إلى التدخل في الشؤون العراقية الداخلية ، وعادت الشكوك لتبرز من جديد ، إلى أن توصلنا لسؤال أنفسنا عمّا إذا كانت الولايات المتحدة لا تشعر بالضيق فعلاً لأن نهاية الصراع كان لصالحنا) .

كانت غالاسبي لا زالت في حالة انتباه تصغي لكل كلمة يتفوه بها الرئيس العراقي ، ولعلها كانت تستحث الخطا للوصول إلى ما كانت تسأل عنه الخارجية الأمريكية عندما طلبت إليها الحصول على إجابات بخصوص ما يدور على الحدود .. غير أن الرئيس العراقي لم يأبه لما كانت شغوفة بسماعه وتابع قائلاً : (اتضح لنا أن بعض الأوساط في الولايات المتحدة ، واستثني منها الرئيس بالطبع ، كانت على ارتباط بالإستخبارات ووزارة الخارجية ، واستثني السيد بيكر أيضاً ، هذه الأوساط لم يرق لها واقع أن نحرر أرضنا ، فهي تنكب على إنجاز دراسات من نوع (من يخلف صدام) وقد باشرت اتصالاتها بدول الخليج لإذلال العراق ولإقناعها بالإمتناع عن مد يد المعونة الإقتصادية إلينا ، ولدينا البراهين على القيام بمثل هذه النشاطات)

وكان من الطبيعي أن يعتبر الرئيس العراقي أن الإنقسامات التي تعصف بالعالم العربي هي جزء من المؤامرة الأمريكية الرامية إلى زعزعة تضامن العرب ...

وهنا بدا وكأن الرئيس العراقي يريد أن يرتاح قليلاً موزعاً نظراته العبوسة في أرجاء المكان ، فيما السفيرة الأمريكية تنتظر : (بسبب الحرب ارتفعت ديوننا إلى ٤٠ مليار دولار ، دون أن نحسب مساعدات دول الخليج التي يعتبرها البعض ديوناً علينا تجاههم ، ليعرف الجميع تماماً ، أنه لولا العراق ، لما كان باستطاعتهم أن يتمتعوا بعائدات نفطهم ، لأن مصير المنطقة كان سيتغير وجهه .. لقد واجهنا فيما بعد سياسة تخفيض الأسعار ، ثم بدأت الحملة ضد صدام في وسائل إعلامكم ، هذا فضلاً عن أن الولايات المتحدة تعتمد وجهة النظر التي تقيم المقارنة بين الوضع في العراق ورومانيا أو بولندا أو تشيكوسلوفاكيا .. وتملكتنا المرارة لهذه الحملة لكن من غير أن تفاجئنا ، كنا نأمل أن أصحاب القرار الأمريكي سوف يلمسون بأنفسهم عدم فاعلية الحملة بالنسبة للعراقيين ، وأن يعمدوا لاتخاذ القرار الصائب بشأن العلاقة

مع العراق ، فمع الروابط الجديدة بإمكاننا تفهم الخلافات بين وقت وآخر) .

وهنا بدا الرئيس العراقي يدخل في صلب مشكلتي الأسعار والحدود فقال :

(عندما تؤدي سياسة واعية جرى التخطيط لها إلى تخفيض سعر النفط دون مبرر تجاري مقنع ، فهذا الأمر يعني أن حرباً من نوع آخر تشن ضد العراق .. نحن لن نقبل المساس بالشرف العراقي وبحقنا في مستوى معيشة لائق) (لم تقف الأمور عند هذا الحد ، فقد اغتنمت الكويت فرصة حربنا مع إيران كي توسع حدودها على حسابنا .. قد يتبادر إلى ذهنك أنني أضخم الأمور ، حسناً ، يكفي أن تلقي نظرة على خط الدوريات العسكرية ، وهو الخط الفاصل بين الكويت والعراق رسمته وتبنته الجامعة العربية عام ١٩٦١ ، اذهبي بنفسك وعاينى الوضع على الأرض ، وسوف ترين الدوريات الكويتية والمزارع والمنشآت النفطية الكويتية ، في أقرب مسافة يمكن تصورها من الخط المرسوم بهدف اعتبار تلك الأراضي كويتية فيما بعد) ويتابع قائلاً :

(منذ ١٩٦١ وحتى ١٩٦٨ والعراق مشغول بنفسه ، مشاكل في الشمال ، ثم حرب عام ١٩٧٣ ، وأخيراً الحرب مع إيران)

(ما يثير الإستغراب أن الولايات المتحدة تنجح في تحقيق التفاهم على المصالح المشتركة مع الشعوب التي تعيش حالة من الرخاء والأمن الإقتصادي ، ولكن حين يتعلق الأمر بالشعوب المحرومة تختفي تلك القدرة على التفاهم وتزول .. ومع ذلك فنحن هنا لا نقبل التهديد كما ولا نريد أن نهدد أحداً . وننصح الولايات المتحدة بالتفتيش والعمل على إضافة أصدقاء جدد لها ، لا أن تزيد عدد أعدائها .. ولا اعتراض لنا في اختيار أصدقائكم هنا أو هناك ، ولكنكم تعرفون جيداً أنكم لستم الذين حميتم هؤلاء الأصدقاء خلال الحرب مع إيران .. وأستطيع التأكيد بأنه لو قدر لإيران أن تجتاح المنطقة فلن تستطيعوا إيقافهم إلا بالسلاح النووي)
(ما أقوله لا يهدف إلى النيل من مكانتكم .. ولكني أيضاً أقول : ماذا يعني قولكم (سوف يحمي الأميركيون أصدقائهم) غير أنه موقف عدائي تجاه العراق .. إن هذا هو الذي يشجع الكويت على تجاهل حقوقنا .. وأستطيع أن أؤكد لكم بأن

حقوقنا ستعود إلينا كاملة .. على الولايات المتحدة أن تحرص على الراغبين بإقامة علاقات متينة معها ، لا أن تضع كل من لا يتفق معها بخصوص النزاع العربي ــ الإسرائيلي في خانة الأعداء .. وبالرغم من تقديرنا لمصالح الولايات المتحدة في الحفاظ على تدفق النفط ، ولكننا لا نفهم معنى تشجيعكم لبعض الفرقاء على إلحاق الأذى بالعراق) .

وينتقل الرئيس العراقي في هذه المقاطع إلى وتيرة أعلى في التصعيد فيقول : (إذا لجأتم للضغوط فسوف نرد بضغوط مماثلة .. أنتم تستطيعون إيذاءنا ولا تسمح قدرتنا على الرد بالمثل ، لكننا نستطيع إلحاق الضرر بكم ، والكل حسب وسائله المتاحة يستطيع أن يكيل الضربات للآخر)

(تستطيعون المجيء إلى العراق بواسطة الصواريخ والطائرات ، ولكن لا تدفعونا إلى أن نستخف بكل هذا ، فنحن عندما نشعر بأنكم تسعون للنيل من كرامتنا وإلى حرمان العراقيين من العيش اللائق فسوف نطلق لأنفسنا العنان وسوف يكون الموت هو خيارنا الوحيد ، وحتى لو وصل الأمر إلى ١٠٠ صاروخ من قبلكم وواحد من قبلنا فنحن نقبل التحدي ، إذ بدون كرامة تفقد الحياة معناها وقيمتها .. لا يعقل أن نقبل بعد ثماني سنين من الدماء ، بعدوان الكويت والإمارات والولايات المتحدة واسرائيل ، فنحن لا نضع كل هذه البلدان في سلة واحدة ، فبالنسبة للكويت والإمارات ، فإنه يحز في أنفسنا أن نصل إلى هذا الحد ، ومع ذلك فإننا نسعى للتفتيش عن حل داخل الإطار العربي ، وعبر العلاقات الثنائية المباشرة ، من الواضح جلياً أن أمريكا لا تريد صداقتنا ، حسناً ، للجميع حرية اختيار أصدقائهم ... نحن نريد التعامل مع الآخر على مستوانا ونتعامل معه على مستواه ، نحن نأخذ مصالحنا ومصالحه بعين الاعتبار ، ما نطلبه هو المعاملة بالمثل ، ماذا يعني استدعاء وزير الدفاع الصهيوني هذه الأيام إلى الولايات المتحدة ، ثم ماذا وراء التصريحات النارية لإسرائيل مؤخراً ، وماذا يعني التركيز على خوض حرب لا مثيل لها في السابق .. نحن لا نريد الحرب .. وإنما لا تدفعونا لاعتبارها الخيار الأخير لنا .. إنكم تجزلون العطاء للمغتصب ، اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً وحتى إعلامياً .. هل من العدل

الأمريكي ، أن تضع أمريكا في كفة واحدة ٢٠٠ مليون من البشر و٣ ملايين يهودي في الكفة المقابلة ؟! ...

(لقد قذفوا في وجهنا بخيارات مرّة في الماضي ، فإما الإختيار بين نصف شط العرب أو التضحية بوحدة الأراضي العراقية ، واخترنا التخلي عن الشط للحفاظ على العراق .. بعد اندحار الشاه ، استعدنا السيطرة على الشط ، ومات البرازاني الذي كان يهدد وحدة العراق ، ودفن خارج العراق وخسر حربه ..)

وهنا يثبت الرئيس العراقي نظره في وجه غالاسبي :

(نرجو ألا نصل في المستقبل إلى خيارات متطرفة كهذه ، لا زالت مشكلة شط العرب الآن عالقة مع إيران .. سوف نجنح للتفاوض ونحن نتمتع بالإنفتاح والحكمة على أن يصل لكل ذي حق حقه) .

أخيراً أنهى صدام هذه المداخلة التاريخية الطويلة (دامت زهاء الساعة وغالاسبي صامتة تستمع) ثم قال :

(أرجو أن يتفهم الرئيس بوش بنفسه ما قلته ، لا أن يترك كلامي ليقع بين أيدي (مافيا ما) في دوائر الدولة ، علماً بأنني أستثني السيد وزير الخارجية وجون كيلي من هذا الوصف ، حيث تمّ لي التعرف عليهما وتبادلت الأحاديث معهما عن كثب) .

وجاء دور السيدة غالاسبي لتنطق الآن :

(أشكرك سيدي الرئيس ، من حسن حظ أي دبلوماسي أن يلتقي بك ويتحدث إليك مباشرة ، لقد فهمت مضمون رسالتك .. فعندما درسنا التاريخ في المدرسة تعلمنا أيضاً أن نقول (إما الحرية وإما الموت) إذ أن شعبنا عانى من تجاربه مع المستعمرين)

(سيدي الرئيس ، لقد أوردت في حديثك هذا عدداً من النقاط التي لا أملك الجواب عنها باسم حكومتي .. ولكن لو سمحت فسأتوقف عند نقطتين : لقد تكلمت عن الصداقة وأعتقد أن هذا الأمر كان واضحاً في الرسائل التي وجهها إليك رئيس بلادي لمناسبة عيدكم الوطني)

ويقاطعها الرئيس العراقي فيقول :

(لقد كانت رسالته ودّية وكانت تحياته تتطابق مع ما نكنّ له من احترام) .

ثم عادت السفيرة تكمل حديثها :

(أنتم تعلمون طبعاً ، أنه أعطى تعليماته إلى الإدارة الأمريكية برفض الإقتراح الذي ينص على عقوبات اقتصادية ضد العراق)

ويرد صدام :

(ولكن ما عاد بمستطاعنا أن نشتري شيئاً من أمريكا إلا القمح ، فكلما أردنا شراء شيء يأتينا الجواب : ممنوع ، وأرجو ألا يأتي ذلك اليوم الذي سيقولون فيه : العراق يصنّع بارود المدافع من القمح)

وسارعت السفيرة للرد :

(لدي تعليمات شخصية من قبل الرئيس لإقامة أفضل العلاقات مع العراق)

ويجيب صدام :

(أجل ولكن كيف ؟ نحن نشاطركم هذه الرغبة ، ولكن دائماً هناك ما يطرأ للعرقلة)

وتقول غالاسبي :

(سيادة الرئيس سوف تتضاءل العرقلة ما استمر الحوار بيننا .. لقد أبدت الولايات المتحدة اعتذارها الرسمي لما ينشر في الإعلام الأمريكي ويذاع) .

دنا صدام من السفيرة قليلاً وقال :

(ملاحظتك هذه كريمة .. نحن عرب ولدينا إذا اعترف الآخر بخطأه واعتذر عنه ، فإن ذلك يكفينا .. لكن سوءات إعلامكم متواصلة ، لذلك بإمكاننا الإستنتاج بأن هناك رغبة متعمدة للنيل من سمعتنا)

أجابت السفيرة :

(لقد شاهدت برنامج دايان ساور على شاشة الآي .بي .سي وقد كان برنامجاً رديئاً ومجرداً من النزاهة ، إنه صورة إعلامنا الحقيقي وما يفعل بالسياسيين الأمريكيين أنفسهم ، إني أعبر لكم عن سروري أنكم تضمون صوتكم إلى أصواتنا ونحن نواجه

وسائل الإعلام بشجاعة ، وقد يساعدنا ظهورك شخصياً ولو لخمس دقائق ، في وسائل الإعلام لإطلاع الشعب الأمريكي على موقف العراق ، فلو أن الرئيس الأمريكي يتمتع بأي سلطة على وسائل الإعلام لكانت مهمته أسهل بكثير)

ثم تتابع قائلة :

(سيدي الرئيس ، لا أريد الإكتفاء بالقول بأن الرئيس بوش يرغب بأفضل العلاقات مع العراق ، بل أن يسهم العراق في إشاعة السلام والرخاء في المنطقة ، فالرئيس بوش رجل ذكي ولن يعلن الحرب الإقتصادية ضد العراق ، إننا مثلكم ، لا نريد أسعاراً مرتفعة للنفط ، إلا أن ما أرغبه هو دراسة إمكانية الإمتناع عن طلب أسعار مرتفعة جداً)

ويجيب الرئيس العراقي قائلاً :

(نحن أيضاً لا نريد ذلك ، بل الأسعار المعقولة .. لقد أوحيت للسيد عزيز بكتابة مقالة بهذا المعنى في يوم من الأيام .. وكانت أول مقالة عربية تعبر عن وجهة النظر هذه)

وعندئذٍ تكلم السيد طارق عزيز لأول مرة في اللقاء :

(إن سياستنا داخل منظمة النفط العربية opep تعارض التغييرات المفاجئة في أسعار النفط)

ويعقب صدام :

(خمسة وعشرون دولاراً للبرميل الواحد ليس سعراً مرتفعاً)

وتجيب السفيرة :

(هناك عدد كبير من الأمريكيين في مناطقنا النفطية ، يودون فعلاً أن تتجاوز الأسعار حدود رقم ٢٥ دولاراً ..)

ويرد صدام :

(لقد انخفضت الأسعار في مرحلة ما إلى ١٢ دولاراً للبرميل الواحد ، وبالنسبة لموازنة متواضعة كالموازنة العراقية ، تعتبر خسارة ٧ مليارات دولار بمثابة كارثة حقيقية) .

وافقت السفيرة على ملاحظة صدام وقالت :

(أنا أثمّن الجهود الجبارة التي تبذلونها لإعادة إعمار بلادكم ، وأعلم جيداً أنكم تحتاجون لرؤوس الأموال ، وفي رأينا يجب أن نوفر لكم إمكانات إعادة البناء ، ولكننا ، **لا موقف لنا من النزاعات الحدودية العربية ، كخلافكم الحدودي مع الكويت** ، لقد توليت منصباً في سفارة بلادي في الكويت في الستينات ، وكانت التعليمات التي تردنا آنذاك تقضي بالإمتناع عن إبداء الرأي حول هذه المسألة التي لا تعني أمريكا ، وأوعز بيكر إلى الناطق الرسمي في وزارتنا للتأكيد على هذه التعليمات .. نرجو أن تتوصلوا إلى تسوية هذه المشكلة عبر القنوات المختصة ، عبر وساطة القليبي (أمين عام الجامعة العربية آنذاك) أو الرئيس مبارك . وكل ما نتطلع إليه هو الوصول إلى حل مرضٍ بأسرع وقت ممكن ، وللمناسبة هل لي أن ألفت انتباهكم إلى الوجهة التي نرى منها هذه المسألة ...)

ويبدو هنا أن غلاسبي بدأت تدخل صلب الموضوع الذي بسببه طلبت مقابلة الخارجية العراقية منذ الصباح ، فتقول :

(سيدي الرئيس ، أصدقكم القول بأننا اكتفينا بملاحظة انتشار أعداد كبيرة من قواتكم في الجنوب ، في الأحوال العادية مثل هذا الأمر لا يخصّنا ، ولكن عندما يحدث ذلك في ظل الظروف التي تطرقتم إليها ، خلال الإحتفال بعيدكم الوطني ، بأن إجراءات الكويت والأمارات هي في المحصلة أشبه ما تكون باعتداء منهما على العراق ، عندئذٍ يبدو لي أن هناك ما يبرر شعورنا بأننا معنيّون ، ولذلك تلقيت التعليمات بأن أتوجه إليكم بالسؤال ، بمشاعر الود لا المجابهة ، عن حقيقة نوايا العراق . إني هنا أكتفي بوصف ما تبديه حكومتي من قلق بهذا الشأن ، ولا أقول أن الموقف بسيط .. ولكن اهتمامنا نحن مجرد وبسيط)

الرئيس العراقي :

(نحن لا نطلب من الناس ألا يكترثوا عندما يكون السلام مهدداً ، إنه شعور إنساني غامر ونبيل ، من الطبيعي أن تشعر قوة عظمى مثلكم بأنها معنيّة ، ولكن ما نطلبه هو ألا تعبروا عن قلقكم بما يوحي للمعتدي أنه يستطيع الإعتماد عليكم ، ما نريده

هو التوصل لحل عادل ، يضمن حقوقنا ، ولا يغفل حقوق الآخرين ، إن صبرنا على وشك النفاد ، فأعمالهم تطول حتى حليب الأطفال ، ومخصصات الأرامل ، وإعانات اليتامى نحن لنا الحق في العيش الكريم أيضاً .. ويجب عليهم أن يقدروا دور العراق الذي لا يقدر بثمن في تأمين الحماية لهم)

وفي تلك اللحظة أشار صدام إلى المترجم العراقي قائلاً :

(حتى هذا العراقي ، المنكوب ببعض ذويه ، تفيض نفسه بالمرارة لما يفعله جيراننا وأشقاؤنا بنا .. لقد طلبنا من خادم الحرمين الشريفين أن يوجه الدعوة لقمة رباعية (العراق ، الكويت ، الأمارات ، السعودية) لكنه اكتفى باجتماع لوزراء النفط في جدة ، وقبلنا ، وتوصلوا إلى اتفاق لا يعبر عمّا نريده ، ومع ذلك فقد قبلناه)

ويتابع الرئيس العراقي قوله :

(بعد يومين من الإتفاق المذكور ، قدم وزير النفط الكويتي تصريحات تتناقض تماماً مع نص وروح الإتفاق ، ثم عدت للحديث عن هذه المواضيع بإسهاب في مؤتمر القمة الذي عقد في بغداد ، وتحدثت عن موازنة الجيش التي لا قبل للعراق بتخفيضها ، فهناك إيران التي تنتظر فرصة تراجع جاهزية الجيش العراقي ، وهناك اسرائيل التي تهتبل فرصة مفاجئة للإنقضاض علينا .. لقد صبرنا أكثر مما كانت الولايات المتحدة لتفعل حيال أدنى اعتداء يقع على مصالحها .. فلو كان الرئيس الأمريكي في مثل موقفي فماذا عساه يفعل ؟! ..لا أستطيع الصمت أمام صعوبات حياة شعبنا الإقتصادية وعليّ أن أصارحه ، وأجهر باسم المسؤولين عن عذابه ..)

وهنا آثرت السفيرة أن تقلب الحديث فقالت :

(لقد أمضيت أربعة أيام رائعة في مصر)

ويجيب صدام :

(شعبنا في مصر منفتح ، طيب وعريق ، المفروض أن دول النفط تقدم له يد العون ، ولكن الخسّة بلغت بهم مبلغاً ، ليوظفوا المليارات في الخارج ، ويتركوا شعوبهم هنا تجوع وتعرى ...)

السفيرة :

(سيدي الرئيس ، ما هو تقويمك لآخر الجهود التي يبذلها أشقاؤك العرب ، وهل وصلوا في جهودهم إلى حدودها القصوى)

ولا ريب أن السفيرة تريد أن تسأل (هل وصلت جهودهم إلى الطريق المسدود) لتقف على ما بعده .

الرئيس :

(تم الإتفاق مع الرئيس مبارك بهذا الشأن ، وقد أخبرني بأن الكويتيين يوافقون على اجتماع بين رئيس وزراء الكويت ونائب رئيس مجلس قيادة الثورة العراقي في جدة لبحث المواضيع)

السفيرة وقد أبدت ارتياحها :

(تهاني الحارة)

الرئيس متابعاً :

(هناك اجتماع بروتوكولي في السعودية ، وسينتقل المجتمعون بعده إلى بغداد .. نأمل أن يتغلّب بعد النظر) .

السفيرة :

(متى يأتي الشيخ سعد إلى بغداد)

الرئيس :

(أعتقد يوم السبت أو الإثنين .. لقد قلت للرئيس مبارك بأنه من الأفضل أن يتم الإجتماع في بغداد .. ووافقوا .. أنتم تعلمون بأن زيارات أخي مبارك إلينا ، هي زيارات فأل حسن .)

السفيرة وتبدو البشاشة على وجهها :

(إنه نبأ طيّب .. تهاني من جديد)

وهنا أراد الرئيس العراقي أن يوضح بقية الصورة :

(لقد سبق للرئيس مبارك أن قال لي ، أنهم خائفون ، وقالوا له إن قواتنا تقف قريباً من حدودهم ، فأجبته : مهما يكن نوع القوات وحجمها ، فإن أمل اللقاء هو الذي يقرر ، فإن استطعنا التوصل لحل عادل ، فلن يحدث شيء ، وإن كان

العكس ، فلا أعتقد أن أحداً يرضى بهلاك العراق .. تلك هي الأخبار الطيبة)

وتدخل طارق عزيز ليمازح السفيرة قائلاً :

(ها هنا يا سيدتي ، لديك سبق صحفي كبير) .

عندما وقفت السفيرة استئذاناً بالخروج ، نظرت إلى الرئيس العراقي وكأنها تريد أن تؤكد له ما سبق له وأن طلبه ، وهو أن تصل رسالته هذه مباشرة إلى الرئيس الأمريكي ، فقالت :

(أخطط للذهاب إلى واشنطن يوم الإثنين في ٣٠ تموز ، أي بعد خمسة أيام .. وآمل أن أقابل الرئيس بوش الأسبوع الذي يلي وصولي . شكراً سيادة الرئيس) .

ويرى هيكل في كتابه أوهام القوة والنصر ، حول الحوار ، بأن تجسيماً ما أعطي لكلام السفيرة بأكثر مما يستحق ، فالسفيرة لم تطلب لقاءً مع الرئيس ، بل مع وزارة الخارجية ، الرئيس صدام هو الذي طلب اللقاء فاستحقت كلماته الإنتباه . لا إجابات السفيرة عليها .. هذا مع الظن دائماً ، بأن السفراء إنما يمثلون رؤساءهم في جميع المواقف ، وهو هاجس تلقيناه منذ أيام الإنتداب البريطاني ، حين كان المفوضون والسفراء والقناصل ، يتحدثون كأصحاب قرار وليسوا كموظفين لهم أن يلاحظوا ويقترحوا .. ويرى هيكل أيضاً ، أن مقدمة اللقاء يمكن أن يتلخص في أن صدام راغب في سيادة روح التفاهم بين العراق وأمريكا ، وهو يريد أن يلفت النظر إلى أنه لولا العراق لما قدر للمنطقة أن تعرف الإستقرار (المقصود هو المنطقة الخليجية) فقد تم وقف المد الإيراني الخطير بثمن إنساني باهظ ، وبكلفة حرب قدرت بعشرات المليارات (وصلت ديون العراق بعد الحرب إلى حوالي ٧٥ مليار دولار حسب بعض المراجع) ، وتصل رسالة صدام للسفيرة الأمريكية في جوانب منها إلى طلبات يريدها العراق ويعتبرها حقاً له ، هذا مع احترام حقوق الآخرين ، كما تذهب الرسالة في العديد من مقاطعها ، مذهب التنديد والوعيد ، مع إبقاء الباب مفتوحاً على جميع الإحتمالات التي تحبّها الولايات المتحدة أو تكرهها ، فيما يتخلل الرسالة وعود بإشاعة الطمأنينة بخصوص مصالح الولايات المتحدة التي لا تتعارض مع مصالح العراق في كل ما يقوله ويعمل من أجله .. وتشير

الرسالة أيضاً إلى مخاطر عدوان اسرائيلي مرتقب وقريب ، وقد سبق للمنطقة أن اعتادت على ذلك ، غير أن العراق في رسالته ، يؤكد بأنه لن يتلقى الضربات واجماً ، بل سيرد بما أتيح له من مقدرة الرد ، بما في ذلك إلحاق الضرر بأمريكا إذا حاولت إشراك نفسها في العدوان .

محاولات في اللحظات الأخيرة :

تم اتخاذ الذريعة الإضافية لرفض اسرائيل ، بموافقة أمريكا ، منظمة التحرير طرفاً مشاركاً في المفاوضات السلمية بعد حرب الخليج ، وذلك لوقوف المنظمة إلى جانب العراق في الأزمة العاصفة ، وسوف يتهم كل طرف عربي ، يعمل من أجل حلّ عربي ، حتى ولو كان رافضاً لمبدأ الضم بالقوة ، بأنه يساند العراق في احتلاله الكويت ! ...

كان ذلك ، حال المنظمة ، والأردن ، واليمن ، والسودان ، والجزائر .. حيث استحقوا العقاب ، لوقوفهم إلى جانب حل عربي ، ورفضهم لمبدأ تدويل الأزمة ، أو استدعاء قوات أجنبية لحلها بالقوة .. فقد قام السيد ياسر عرفات رئيس المنظمة وعدد من مساعديه بجهود كبيرة لحل الأزمة سلمياً قبل أن يتم احتلال الكويت ، كما عمل عرفات ، وكذلك الملك حسين بصورة مضنية بعد الإحتلال لضمان انسحاب عراقي هادىء ، وتجنيب المنطقة كارثة تدخل أجنبي ، وكادت جهودهما أن تتكلل بالنجاح في العديد من الفرص الضائعة وسيطلب الملك حسين مهلة ٤٨ ساعة إضافية لتكثيف الجهود بعد أن شعر بأنه يستطيع نزع الفتيل في اللحظات الأخيرة ، غير أن بوش لم يمكنه من ذلك ...

ـــ كانت اسرائيل تختزن كل المعلومات الداعية لضرب العراق منذ أن عاد لبناء مفاعله الثاني بعد تدمير الأول ..

ـــ وكانت أطراف أجنبية تدرس خيار ضرب العراق ، بعد أن راح يطل على الخليج والنفط والسلاح والحداثة ..

ـــ وكانت أطراف عربية تسعد بلقاء مثل هذه المخططات عند نقطة الوسط ، قبل أن يندفع العراق إلى مخابىء الكنز الأسود ..

كان عرفات يومها في الخليج ..
ففي ٢٨ تموز ، وفي إحدى زياراته المتعددة للعراق ، اقترح عرفات على الرئيس العراقي ، القيام بوساطة مع أمير الكويت ، ووافق صدام ، مع تزويده باقتراح يؤكد فيه ، بأن العراق مستعد لسحب قواته في حالة موافقة الأمير على منح العراق مبلغ ١٠ مليارات دولار مقابل ضخ الكويت للنفط من حقول الرميلة ..
وفي اليوم التالي التقى عرفات بالأمير جابر في قصره بمدينة الكويت ، غير أن الأمير رفض التحدث عن النفط أو الحدود ، وطلب إلى عرفات ، أن يتحدث معه عن هجرة اليهود السوفييت لإسرائيل ، وأضاف الأمير قائلاً :
ــ هذا الأمر (يقصد هجرة اليهود) هو الذي يشكل خطراً كبيراً على العرب .. وليس غيره ! ..
اضطر عرفات بناء على رغبة الأمير ، أن يخوض في مسائل الهجرة اليهودية ونوايا الصهاينة بخلق اسرائيل الكبرى ، ودور الولايات المتحدة في الضغط على السوفييت ، سابقاً ولاحقاً ، وكيف صار حق المواطن في الإتحاد السوفييتي ، هو حق اليهودي فيه وليس غيره ، إلا أن عرفات حاول الرجوع إلى حديث الأزمة بين العراق والكويت ، ورفض الأمير للمرة الثانية واكتفى بالقول :
ــ بعد ثمان وأربعين ساعة ، سيغادر الشيخ سعد إلى جدة ، بناء على رغبة خادم الحرمين الشريفين ، وهناك سيتم عقد إجتماع مع وفد عراقي للبحث في مشاكلنا مع العراق .
وانتقل عرفات بعد انتهاء اجتماعه بالأمير ، ليطلب لقاء منفصلاً مع الشيخ سعد ، ابن عم الأمير وولي العهد ، وتم ذلك وكان الحوار التالي :
ــ حاولوا إيجاد حل لهذه المشكلة ، لن يتأثر الكويت ، في حال موافقته على طلب العراق ، عشرة مليارات ليست مبلغاً خطيراً قياساً لما يملكه الكويت ..
ويجيب الشيخ سعد :
ــ أنا ذاهب إلى جدة لمناقشة الوضع .
ــ سمو الأمير ، أرجو ألا تذهب خالي الوفاض ..
وتبدو من الأمير علامات الضجر والقلق :

ـــ للأسف ، ليس في يدي القرار النهائيّ .

ويرد عرفاتْ :

ـــ ماذا ؟ هل بإمكانك سمو الأمير ، القيام بأعباء مجابهة عسكرية مع العراق .

ويسارع الأمير للإجابة بالنفي ، بإشارة من رأسه :

ـــ ليس في نيتنا مقاتلة العراق ..

(ولعل ولي العهد ، لم يخبر عرفات بمن سيتولى القتال بالنيابة ، حيث يبدو أن الكويتيين كان لديهم ما يدعو للإعتقاد بأنهم لن يضطروا للقتال لأن أمريكا أو بريطانيا أو كلاهما معاً . سوف تهرع لإنقاذهم في حال هجوم عراقي ، ويقول أحد مستشاري الملك حسين ، أن الكويتيين سبق لهم وأخبروا الأردنيين بأن القوات الأمريكية ستأتي إلى هنا ، في غضون ٢٤ ساعة من دخول أول جندي عراقي أرض الكويت . من كتاب الحصاد . جون كولي . شركة المطبوعات . بيروت ص ٣١٦) .

أما بالنسبة للولايات المتحدة التي كان عرفات وبعض الكويتيين يعتقدون بأنها سوف تتدخل ، فإن الكثير من المسؤولين في الولايات المتحدة ، قد توصلوا إلى نتائج مغايرة ، ففي ٣١ تموز وهو موعد اللقاء العراقي ـــ الكويتي في جدة ، كان السيد جون كيلي في شهادته أمام مجلس الشيوخ يقول :

(رغم موافقة أمريكا لرفع علمها على ناقلات النفط الكويتية ، عام ١٩٨٧ لحمايتها ، فإن الولايات المتحدة لا تربطها أية إتفاقيات مع دول الخليج رغم مساندتها لاستقلال الدول الخليجية وأمنها ، مع احتفاظها بقوات بحرية هناك منذ الحرب العالمية الثانية) (المصدر السابق)

وعندما سأله لي هاملتون ممثل ولاية أنديانا الديمقراطي ، سؤالاً مباشراً حول وجود إتفاقية دفاعية بين الكويت والولايات المتحدة ، كرر السيد كيلي كلامه قائلاً :

ـــ أنا متأكد ، بأنه لا توجد أية إتفاقات رسمية تجبر الولايات المتحدة على

استعمال قوات أمريكية للدفاع عن الكويت . (إذاعة لندن في ١ آب)
وكان الخبر يلعلع في سماء بغداد ، بعد دقائق من إذاعته ..

هموم الملك المتنقّل :

في ٢٨ تموز أيضاً ، هبطت في مطار بغداد ، الطائرة التي كانت تقل العاهل الأردني الذي اتجه فور وصوله إلى مقابلة الرئيس العراقي ، ويقول جون كولي مؤلف كتاب الحصاد :

(أخبرني الملك حسين فيما بعد أن صدام كرر من جديد في ذلك اللقاء ، شكواه ضد الكويت ، وتحدث عن الأزمة ، وفيما يتعلق بالنفط والحدود والمشاكل المالية ، كما أكد الرئيس العراقي في هذا اللقاء على حاجة العراق إلى منفذ بحري على الخليج (استئجار جزيرتي وربة وبوبيان) من أجل توسيع الميناء البحري الصغير (في أم قصر) لتأمين ممر بحري إلى الخليج ، كما أكد صدام أنه لن يقوم بأي عمل عسكري ضد الكويت إلا إذا فشلت المحادثات المقبلة في جدة) .

وخرج العاهل الأردني يتملكه شعور قوي ، بأن كل شيء ، متوقف على اجتماع جدة (٣١ تموز) . وأن الأزمة قد وصلت إلى مفترق طريق ، فإما الإنفجار الذي ينتظره أعداء البلدين بفارغ الصبر ، وإما أن تعود الحكمة العربية ، تؤكد نفسها من جديد ..

كان الملك حسين ، قد شاهد بأم عينيه ، مدى ألم صدام وغضبه ، وكان يعلم بأن قذائف المدافع العراقية ، قد أخذت طريقها إلى مغاليقها ، وأن دبابات الحرس الجمهوري ، كانت قد استدارت لتأخذ شكل حربة موجهة إلى اليافطات الحديدية التي تشير إلى أنّ (هنا الكويت) .. كان عاهل الأردن ، يعلم أيضاً ، أن مئة ألف جندي عراقي ، لم يأتوا إلى هنا ، لمجرد الاستعراض ، وأن جولة واحدة كافية لأن تضعهم في ساحة الصفا (مركز مدينة الكويت) في غضون ساعات .. وعلى عجل ، اتجه الملك الأردني إلى مدينة الكويت ، وقال للأمير :

— أرى ضرورة ذهاب الجميع إلى جدة بروح إيجابية ..

وكان جواب الأمير غريباً :

— لن نتخلى عن شبر واحد من التراب الكويتي ...

وقد لمع في ذهن الملك من جديد ، تلك الإشارة العراقية ، التي كان طه ياسين رمضان ، يرويها للملك وهما في الطريق إلى مطار بغداد قبيل وصوله إلى الكويت :

ــ جلالة الملك ، حصلنا على معلومات تفيد ، بأنه في حال احتلال العراق للكويت ، فإن القوات المسلحة الكويتية ، ستشاغل القوات العراقية لمدة ٢٤ ساعة ، ريثما تصل طلائع القوات الأمريكية بأسطولها الجوي إلى أرض المعركة ..

كان الملك يعتقد ، بأن هذه الشائعات ، إنما تعود في الأساس ، للشحنة العصبية الممتزجة بالغضب ، التي بدأت تسري في أوصال كل طرف من أطراف الأزمة .. لكن سرعان ما استفاق على حقيقة أخرى إضافية ، فقد قال وزير الخارجية الكويتي في الإجتماع :

(لن نستطيع المساومة على شبر واحد من الأرض الكويتية ، فذلك مخالف لدستورنا ، وإذا أراد صدام أن يعبر الحدود فليعبر وسوف يطرده الأميركان بضغوط اسرائيلية ، وسوف يتحول الأمر إلى إحراج لا مثيل له في العلاقات الأميركية ــ الإسرائيلية . المصدر جون كولي . الحصاد . ص ٣٢٢)

ويؤكد كولي قائلاً (ذات المصدر) :

(أخبرني الملك ، بأنه لم يعد يشعر بارتياح كبير حول لقاء جدة ، لأنني ــ كما يقول الملك ــ كنت أعلم أنه إذا لم يحرز اللقاء تقدماً حقيقياً فإن النتيجة ستكون مشكلة كبيرة) .

في اليوم التالي عاد الملك حسين والوفد المرافق له إلى عمان ثم قام باستدعاء القائم بالأعمال الأمريكي (باتريك ثيروس) وأحد المساعدين الكبار في السفارة البريطانية ، وأخطرهما بكتل السحب السوداء ، التي بدأت تتجمع في الأفق منذرة بأوخم العواقب .

سيقول العراقيون بعد الإجتياح ، أنهم عثروا على تقرير في مكتب وزير الخارجية الكويتي برقم ٩٠/١٠٢ تاريخ ٣١ تموز ١٩٩٠ يحمل توقيع سفير الكويت في بلجيكا السيد أحمد الابراهيم ، وهو موجه إلى وزير الخارجية الكويتي ، ومقسم بالبند والحاشية والملاحظة ، وقد ورد في بنده الثالث ما يلي (على لسان السفير) (والتقيت في نفس اليوم ، بعد خروجي من مكتب السيد مانو تيس ، (المفوض

الأوروبي لشؤون الشرق الأوسط) مع السيد ج . آ . ماكوين (أحد مساعدي وزير الخارجية الأمريكي) والذي يقوم بجولة أوروبية هو الآخر ، وأثناء مباحثاتي مع السيد ماكوين تلمست ما يلي :

١ــ إن أساليب الضغط على العراق التي اقترحها سمو أمير البلاد المفدى بما فيها السعي الأمريكي والغربي لتدمير الأسلحة العراقية المتطورة ، وجد حماساً لدى الولايات المتحدة **لأنه أول طلب عربي بهذا الخصوص .**

٢ــ تختلف الإدارة الأمريكية في النقطة الثانية مما ورد في رسالة أمير البلاد المفدى التي يعتقد بها بأن الضغوط الإقتصادية لا تكفي وحدها في توقيف الصناعة العسكرية العراقية المتطورة ، حيث تعتقد الولايات المتحدة أن بإمكان هذه الضغوط أن تؤثر في نمو الصناعات العسكرية العراقية **إذا لعبت كل من مصر والسعودية الدور المتفق عليه)**

ــ أما دور مصر فكان يعني انسحاب مصر من مشاريع عسكرية (مع العراق والأرجنتين لتصنيع صواريخ) والضغط على علماء مصريين في هذه المشاريع للإنسحاب من العمل في المصانع العراقية .

ــ أما دور السعودية فكان واضحاً في سياسة قبض اليد التمويلية بذرائع تخفيض حصتها النفطية في الأوبك ، وتدني أسعار النفط عالمياً ..

وضم العراقيون هذا التقرير (القادم من بروكسل) إلى ملف الكويت في الخارجية العراقية .

يوم الجمعة بندر في البنتاغون :

في ٢٧ تموز (أمريكي) أي ٢٨ تموز شرق أوسطي ، كان بندر يقوم بزيارة غامضة لكولن باول في البنتاغون ، وبالرغم من أواصر الصداقة الشخصية التي كانت تربط بينهما ، إلا أن باول ظل حذراً من السفير السعودي لثبوت بصمات بندر المطبوعة على العديد من القضايا الخطرة في الولايات المتحدة :

أولاً : يحتفظ بندر في مكتبه الخاص بسفارته بما يتراوح بين ١٥ ــ ٢٠ محفظة

صغيرة وتحتوي كل منها على تفاصيل العمليات السرية مع أسماء أشخاص وأقطار ..

ثانياً : كان بندر أيام ريغان ، وسيطاً بين الحكومة الأمريكية والكونترا النيكارغويين ، وما عرف فيما بعد بفضيحة إيران ـــ كونترا ، أو إيران ـــ جيت ، وقد صرف من أموال السعودية مبلغ ٢٥ مليون دولار لتمويل الكونترا ، وقد يكون هذا المبلغ جزءاً من صفقة سرية كانت تدور على مسارح عدة تتضمن اسرائيل والكونترا وإيران والمخابرات الأمريكية .

ثالثاً : عمل بندر ، (حسبما يقول بوب وودورد صاحب فضيحة ووترجيت التي أدت إلى استقالة نيكسون من منصبه كرئيس للولايات المتحدة في كتابه) (القادة . ترجمة برهوم ص ١٤٤) عمل مع المخابرات الأمريكية السي ،آي ،إيه .. وبالذات مع مدير الوكالة القاضي وليم كيسي ، لتدبير اغتيال زعيم إرهابي شرق أوسطي ، وانفجرت السيارة الملغومة في بيروت ، وقتلت ثمانية مواطنين أبرياء ولم تقتل الإرهابي المقصود !..

رابعاً : رتب صفقة سرية ضخمة (٣ مليارات دولار) لشراء صواريخ بعيدة المدى من الصين ، بمشورة المخابرات الأمريكية ..

كان باول الأكثر حذراً في جميع أصدقاء بندر الخمسة ، بوش وشيني وبيكر وسكاكروفت وباول ..

ودار الحديث بين باول وبندر ، حول آخر المعطيات في الأزمة العراقية ـــ الكويتية ، وأكد بندر أن المسألة ليست أكثر من استعراض عضلات ، وأنها في طريقها إلى الحل ، ولكن العراق سيعود إلى تأزيم المنطقة في كل وقت في المستقبل ، يجد فيه سانحة لابتزازه ..

قال باول (وقد وصل الحديث هنا عن صدام) :

ـــ دعنا نضرع إلى الله بألا يعمل على تصعيد الأمور أكثر ..

بندر :

ـــ حسناً ، ماذا تفعلون إذا فعل ذلك .

تجاهل باول السؤال وراحت عيناه تبحثان عن موضوع آخر .. إلا أن بندر راح يصّر :

ــ ماذا تكون توصيتك ؟
باول :
ــ ليس عندي أي رأي ، فمثل هذا متروك للرئيس .
وفي محاولة لجس النبض مرة ثالثة سأل بندر :
ــ سيادة الجنرال ، كمستشار سابق للأمن القومي ، وكرئيس لهيئة الأركان ، كيف ستنظر إلى الأمور ، أنا بحاجة للإجابة يا كولين ؟
باول :
ــ من ناحية فرضية إذا سئلت هل يجب علينا أن نتحرك ، فإنني سأقول لا . لكن إذا أمرت بذلك ، فسوف أتحرك ، لكن أتحرك لأفوز ، فأنا لا أحب الخسارة ..
بندر :
ــ آمل ألا تصل هذه الأمور إلى ذلك الحد .
باول :
ــ وأنا أيضاً .

هيا بنا فقد حان وقت الإسترخاء :

دعا روبرت كيميت في هذا اليوم ٢٧ تموز ، وهو نائب وزير الخارجية للشؤون السياسية ، إلى اجتماع لجنة النواب في الوزارة .. واتصف الإجتماع بشعور من التفاؤل ، حيث جاء تفسير بندر الإيجابي لاجتماع صدام ــ غلاسبي ، كما كان الرئيس المصري قد أرسل رسالة شخصية إلى الرئيس بوش ، يكرر فيها تكهّنه بعدم وقوع متاعب وشيكة ، منبهاً إلى ضرورة التوقف عن قول وفعل أشياء لمحاولة التأثير على الوضع ميدانياً لحساسية الموقف بصورة عامة ، كما رجا مبارك (ترك العرب لمعالجة الأمر) ..
كانت الرسالة تحمل وزناً كبيراً لدى البيت الأبيض لأنها تنبىء بعدم وقوع متاعب وشيكة .. وما أن وصلت الرسالة إلى اقتراح ترك الأمر للعرب ، حتى صرخ سكاوكروفت : هاي .. إذن هيا بنا فقد حان وقت الإسترخاء ! .
قامت الخارجية في النهاية ، بتوجيه رسالة حذرة إلى العراق فحواها بأن الولايات

المتحدة تحاول (التعايش) مع العراق وتحاول إيجاد طريقة للعمل معه ، وعلى العراق أن يرد بالمثل ..

كان ريتشارد كير نائب مدير وكالة السي آي إيه ، جالساً لا يتكلم ، ولأول مرة ، بعد أن فرغ بيكر من تلاوة نص الرسالة التي تنوي الخارجية إرسالها إلى العراق قال : (إن مستوى الحشد العراقي ، يجعل من الصعب صرف النظر عن إمكانية حدوث عمل عسكري ، ولو أن خبرائي يتحدثون عن سابقة لا مثيل لها من قبل ، أن تجتاح دولة عربية دولة عربية أخرى) .

وفي الثلاثين من تموز ، جلس بات لانغ ، الضابط المختص بصور الأقمار الصناعية ليكتب رسالة بالغة السرية ، ترسل إلى مدير وكالة الإستخبارات الدفاعية (خاصة بالشرق الأوسط) وهو الفريق هاري سويستر ، وكان بين سويستر والرئيس بوش جهاز بريد الكتروني يوفر اتصالاً سريعاً وشبه فوري ، وسوف يقرر سويستر فيما إذا كان ضرورياً تبليغ رسالة لانغ إلى الرئيس أم لا ..

أخذ لانغ يطبع على جهازه الخاص :

(إنني أنظر إلى نمط التعزيزات على امتداد الحدود الكويتية ، هناك بعض التحركات للمدفعية والتحركات اللوجستية ، كما أن طائرات تتحرك ، ليس هناك أي سبب يدفع بصدام للقيام بهذا ، وليس ثمة منطق يدعو للإعتقاد بأن الهدف إخافة الكويت ، فالكويت ليس لديها قدرة المخابرات والأقمار الصناعية الأمريكية ، لترى القوة العراقية الضخمة فتخاف منها ، لذلك إذا كانت قوة المئة ألف مجرد استعراض للقوة ، فإنها لن تحدث تأثيرها على الجهة المقصودة الكويت) (القادة بوب وودورد . ص ١٤٨)

وأخيراً .. ضغط سوستر على المفتاح الذي يبعث بالرسالة إلى الرئيس . صباح اليوم التالي ، وكان الأول من آب ، وصل لانغ إلى مكتبه الساعة السادسة صباحاً ، وهو موعد مبكر يشير إلى خطورة تصاعد الأحداث ، وطلب من طاقمه (الطاقم يعمل على مدار ٢٤ ساعة) ، أن يطلعوه على آخر صور الأقمار المبثوثة إلى المحطة ، قرأ لانغ الصور وراح يسجل صوته :

(تخلت الفرق المدرعة العراقية الثلاث ، عن وضعها الإلتفافي السابق وأخذت تتحرك إلى الأمام ، لم يعد بينها وبين الحدود الكويتية سوى ثلاثة أميال ، إنها مناورة عسكرية رشيقة ومثيرة ، فقد اتخذت فرقتا حمورابي والإيمان بالله ، مواقع قرب الطريق الرئيسي ذي المسارب الأربعة ، الذي يتجه إلى وسط مدينة الكويت ، وكانت مئات الدبابات في طابور ، كلها تواجه الكويت والمسافة بين الواحدة والأخرى ٥٠ ياردة ، إنه خط موت حقيقي يمتد أميالاً ، المدفعية واقفة خلف الدبابات ، أما فرقة المدينة المنورة ، فقد التفت حول الجانب الغربي من الكويت ، دبابات القيادة في مؤخرة الطابور وسط كل فرقة ..) (المصدر السابق) .

كان لانغ يقول دائماً ، بأن العمل العسكري لا يمكن أن يكون دون تحذير يشير إلى قرب وقوعه ، وها هو التحذير ، وبالعكس ، فقد كان صدام متروياً جداً ، وعندما جالت عينا لانغ على الصور من جديد ، صرخ :

ـ لا يمكن الإعلان عن النّية أكثر من هذا ، فالوضع أشبه ما يكون ببندقية محشوة مصوبة نحو هدفها ، وإصبع حاملها على الزناد ، إنني أراقب عضلة الإصبع وهي تشتد ..

وكانت رسالة لانغ الثانية ، ذات أولوية عليا .. ثم ما عتم أن همس في أذن أحد أصدقائه في الطاقم شامتاً :

(ستكون ليلة ليلاء ، لأطقم الشرق الأوسط ، أراهن بأن علية القوم لن تنام هذه الليلة) .

وبالفعل فقد هرول الطاقم كله ، ونظر باول إلى الصور قائلاً :

ـ يا إلهي إنها حقيقة ، لكن لماذا كل هذه القوة ؟ بمكنة صدام مصادرة الكويت بأسرها بقوة شرطته المحلية (وسيكون هذا التساؤل أساس الذريعة التي سينشرها الأمريكيون على نطاق واسع ، من أن العراق ذاهب إلى السعودية بعد الكويت ، وهي شائعة كان هدفها إقناع الملك فهد ـ بواسطة بندر ـ بقبول مبدأ استدعاء قوات أجنبية إلى الأراضي المقدسة) .

قال شوارزكوف :

ــ لا أستطيع عمل الكثير ، فقد كان ينبغي تحذيرنا قبل شهر على الأقل .. لكنه عاد وأشار إلى خطة عمليات المنطقة الوسطى ، وهي خطة طوارىء بالغة السرية ، كانت قد صممت لمواجهة الإتحاد السوفييتي في الخليج لا العراق .

الخطة ١٠٠٢/٩٠ :

تنبثق هذه الخطة من احتمالات مجابهة مع الإتحاد السوفييتي على أرض خليج النفط ، وقد تضمنت الخطة من أجل هذا الهدف ، العديد من التفاصيل المعقدة لكل ما يتصل بالنقل والسوقيات والمسائل اللوجستية وصنوف الأسلحة وأعداد الرجال التي يجب أن تصل تباعاً إلى المنطقة وفق روزنامة معدة بهامش حلل ±٥٪ وليس أكثر .. وقد جرى تعديل الخطة مراراً في ضوء حرب الخليج الأولى ، وأضيف إليها احتمال تدخل إيران أو العراق في منطقة الخليج المجاورة .. ويمكن إيجاز الخطة وفق السيناريو التالي :

١ــ الأيام الأولى للأسراب الجوية التكتيكية المقاتلة من نوع (إف . ب١) حيث تقلع من القواعد القريبة (إيطاليا ، إسبانيا ، اليونان ، تركيا ، دييغوغارسيا وهي جزيرة فيها قاعدة بمطارات ضخمة وتقع في المحيط الهندي) لتحط في القواعد المعدة لوجستياً في المنطقة (السعودية ، البحرين ، الإمارات) .

٢ــ تحريك حاملات الطائرات فوراً إلى المنطقة (عبر قناة السويس ، البحر الأحمر ، مضيق هرمز فالخليج) مع قطع الحراسة البحرية اللازمة .

٣ــ البدء بإرسال القوات المنقولة جواً وفي طليعتها الفرقة ٨٢ ويحتاج الوصول إلى رقم مئة ألف جندي ، لمدة تتراوح بين ٦٠ إلى ٧٠ يوماً .

٤ــ تحتاج أول شحنة من الدبابات الثقيلة للخروج من بطن السفن العملاقة إلى

موانىء الخليج مدة من ٢٧ ـــ ٣٠ يوماً من بدء الشروع في نقلها من موانىء أمريكية ، وأقل من هذه المدة من موانىء أوروبية أو شرق أوسطية صديقة ! ..

وعاد شوارزكوف إلى فلوريدا ، ليعمل على مواءمة الخطة مع الوضع الجديد الذي بدأ يقترب سريعاً من لحظة الإنفجار .

لقاء جدة ، القشة التي قصمت ظهر البعير ! .. :

في جدة وعند الساعة السادسة من مساء يوم ٣١ تموز التقى الوفدان العراقي والكويتي اللذين كانا قد وصلا إلى السعودية قبل يوم واحد ، وجهاً لوجه ، في إحدى قاعات مركز المؤتمرات وهو مبنى حديث في أحد الشوارع المهمة في مدينة جدة .

مثل الجانب الكويتي ولي العهد ورئيس الوزراء الشيخ سعد الصباح ، وكان بصحبته في الوفد ، وزير الخارجية بالإضافة إلى وزير العدل ، وضم الجانب العراقي

بالإضافة إلى نائب رئيس مجلس قيادة الثورة عزت ابراهيم ، ونائب رئيس الوزراء سعدون حمادي ، وأحد أعضاء مجلس قيادة الثورة علي حسن المجيد وهو من أقرباء الرئيس العراقي .

إن المفاوضات الفعلية بين الجانبين ، حسب العديد من المصادر ، لم تتجاوز في مجملها أكثر من فترة الساعة ونصف الساعة ، أي من الساعة السادسة وحتى الساعة السابعة والنصف من مساء اليوم الأول ، حيث رفعت الجلسة لينتقل الجميع إلى المسجد للقيام بواجب الصلاة .

وكان قبل ذلك ، ولي العهد السعودي ، الأمير عبد الله ، وهو الشخصية الثانية في السعودية بعد الملك من حيث المقام والأهمية ، قد اكتفى باستقبال الضيوف في قاعة الإجتماع ، ولم يلبث أن غادرها فور بدء اللقاء بين الوفدين .

كان عزت ابراهيم أول المتكلمين ، وقد شرح موقف العراق دون أي جنوح للتهديد ، بل بالعكس ، فقد راحت كلماته تختلط ببعض الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة ، حتى ليخال للمرء أنه في صلاة جمعة يستمع إلى الخطيب .

وارتبك الجانب الكويتي .. ثم راح يعمل على تفنيد (المزاعم العراقية) فبدأت أولى موجات التوتر ، إذ لم يكن ثمة حاجة للتفنيد فالعراقيون طرحوا طلبات و لم يطرحوا ادعاءات ..

وسيعتبر الرجل الثاني في الوفد العراقي ، السيد سعدون حمادي ، بأن (اللقاء كان مخيباً للآمال في حين أننا كنا نعلق عليه آمالاً كبيرة) (كنا ننتظر أن يطرح الكويتيون خطة أو مشروعاً ما للحل بدلاً من التفنيد) .

وسيفخر ولي العهد الكويتي قائلاً (لقد أجبت على كل ملاحظاتهم بمنتهى الوضوح والدقة) .

وبالرغم من ذلك ، فقد كان الجو السائد لا يزال خالياً من الحدة ، إلا أنه كان لا يتناسب مع خطورة الموقف .. فقد انضم أعضاء الوفدين إلى كل من الشيخ سعد والسيد ابراهيم ، بعد خلوة بينهما لدقائق ، وكان قد جاء وقت الحديث عن الحاجة العراقية للمال ، وتقول الروايات ، بأن الشيخ سعد ، وافق على منح هبة بمقدار تسعة مليارات دولار للعراق ، وليس عشرة كما طلب .. ولا أحد يدري ما هو سبب استنكاف الكويت عن المليار العاشر ، هذا إذا كانت الرواية صحيحة من الأساس ، غير أن الرهان على ردة الفعل العراقية جاءت كما كان متوقعاً لها :

ــ لا يقبل العراق أقل من عشرة مليارات دولار ..

بعد أداء الصلاة ، عاد الوفد الكويتي إلى فندقه ، بانتظار موعد العشاء الذي سيقيمه الملك فهد ، على شرف الوفدين في جدة .. ومن الملفت للنظر ، أن أمين عام مجلس التعاون الخليجي السيد بشارة (وهو كويتي ذو نزعة قومية) كان يرافق الوفد الكويتي ، وقد اقترح على الشيخ سعد أربعة نقاط :

١ــ إنهاء الحملات الإعلامية المتبادلة .
٢ــ تجميد وضع القوات على الحدود .
٣ــ إعادة بناء الثقة عبر محادثات وزيارات .
٤ــ الإتفاق على لقاء لاحق .

وكان من المقرر أن يكون اللقاء اللاحق بعد جدة في بغداد ، ولكن ذلك ظل مربوطاً بما سيجري في جدة ، وكان العشاء في التاسعة والنصف في قصر الملك فهد ، وبحضور العاهل الأردني .. وكان الجو المخيم على الحضور متوتراً وثقيلاً .. وقد لاحظ الملك فهد بفراسته العربية ما يرتسم على الوجوه ، فأدرك للتو أن السماء متلبدة ، وراح يتحدث عن مباهج العيش مع الخيول العربية الأصيلة وتوالدها .. كانت الأحاديث تدور في مجال والأفكار في مجال آخر .. وكان كل وفد يحاول أن يكظم غيظه أمام الملك ، إلا أن الملك فهد ، الذي كان عالماً بما جرى ، قال مبتسماً :

ــ المملكة السعودية هي التي ستدفع المليار المختلف عليه .. ولعل هذا الإقتراح العملي ، قد أثار إعجاب الوفد العراقي ، الذي راح على لسان رئيسه ، يشكر الملك فهد على موقفه النبيل ، وها هي الأزمة في طريقها إلى الحل إذن .. وصمت الوفد الكويتي ، فيما تبدت على وجه الشيخ سعد إمارات الحيرة والدهشة ..

غادر الملك فهد بمعية العاهل الأردني تمام الساعة العاشرة والنصف ، وبدت الطمأنينة على وجهيهما ، إذ أن الفتيل قد تم نزعه .. ولم يعد أكثر من التفاصيل .

وعاد الوفدان للإجتماع لمناقشة التفاصيل المتعلقة بما تم الإتفاق عليه ، وبادر الشيخ سعد بصفته أول المتكلمين :

(هناك قضية يجدر بنا طرحها قبل الإتفاق على تفاصيل الدفع ، وهي قضية الخط النهائي والثابت للحدود بين بلدينا ، ويمكننا معالجة المسألة الآن ومن ثم سيكون المال معكم)

تذكر السيد عزت ابراهيم ، ما كان الرئيس العراقي قد أوصاه به قبل التوجه إلى جدة قائلاً :

ـــ إذا طلب الكويتيون ترسيم الحدود كشرط ، فأخرج لهم صورة السور الطيني للكويت أيام الإنتداب البريطاني ..

كانت مشكلة الحدود هي أم المشاكل بين العراق والكويت منذ زمن بعيد ، ولم يكن هذا الوضع قد اختلقه العراقيون لأنفسهم من أجل الإبتزاز كما دأبت الدعايات الغربية والكويتية ، بل لعل العراق منذ أيام نوري السعيد وقبله الملك غازي ، كانوا يطالبون باسترداد الكويت كأرض عراقية ، وهكذا فعل قاسم فيما بعد .. كانت الحدود هي آخر الإتفاقات التي يمكن أن تكون بين الطرفين ، وليس أولها ..

وأدى هذا الشرط إلى انفجار الموقف من جديد ، فقال ابراهيم غاضباً :
ـــ لماذا صمتم كل هذا الوقت .. أليس بمقدوركم طرح هذا النزاع منذ البداية ، إذا كان هو الأهم ؟ ..

ويجيب الشيخ سعد :
ـــ إن تعليمات الأمير لدينا ، هو ألا نثير النزاع الحدودي منذ البداية ..
لا أحد يجهل بأن هذا الشرط كان كفيلاً بتفجير الموقف منذ البداية ،، لكن الدهاء الكويتي ، فضّل أن يكون ذلك في النهاية .. حيث كان من المقدر أن يعود الوفد العراقي غاضباً ، وألا مجال لوساطة الملك فهد من جديد .. وهذا ما حصل .

وتضيف الروايات الغربية عن اللقاء (سالنجر الملف السري ص ٦٧) (منذ اللحظة التي طرحت فيها مسألة الحدود ، فقد ساد جو من الضيق والتوتر ، خاصة عندما تفوه الشيخ بعبارات تنم عن ضمانات حصل عليها الكويت من بريطانيا العظمى للحماية) ورد ابراهيم غاضباً :
ـــ نعلم جيداً كيف سننال منكم في جميع الأحوال .

وانتصب الرجلان كل واحد بمواجهة الآخر وقد شوّه الإنفعال نبرات صوتيهما ، وسارع الشيخ سعد للرد :

(لا تهددونا ، إن للكويت حلفاء أقوياء .. وأخشى أن تضطروا لتسديد ديونكم المتوجبة لنا في المستقبل) (نفس المصدر السابق ص ٦٨) .

وبالفعل فقد جاء في قرار مجلس الأمن ذي الرقم ٦٨٧ حول شروط الوقف النهائي لإطلاق النار في الخليج ، ما يلي :

ـــ يقرر مجلس الأمن أن ما أدلى به العراق من تصريحات منذ ٢ آب ١٩٩٠ بشأن إلغاء ديونه الأجنبية باطل ولاغ ، ويطالب بأن يتقيد العراق تقيداً صارماً . بجميع التزاماته بشأن سداد ديونه .

ـــ كما يقرر إنشاء صندوق لدفع التعويضات المتعلقة بالمطالبات التي تدخل في نطاق الفقرة ١٦ وإنشاء لجنة لإدارة الصندوق .

ـــ يطلب إلى الأمين العام بأن يضع ويقدم إلى المجلس في غضون ثلاثين يوماً من تاريخ اعتماد هذا القرار ، توصيات لاتخاذ قرار بشأنها ، وذلك لتمكين الصندوق من الوفاء بمطلب دفع التعويضات ..

وصدقت نبوءة الشيخ سعد ، من أن الكويت لن يدفع .. وأن العراق في النهاية هو الذي سيدفع الثمن ! ..

وروايات أخرى عن جدة :

وبالنظر إلى التكتم الشديد ، الذي كان يحيط بلقاء جدة ، من حيث درجة أهميته وحساسية النتائج المتعلقة عليه ، فإن ثمة سيناريو قامت بغداد بتسريبه وهو يصف المرحلة الثانية للقاء كما يلي :

ولي العهد: (قبل الإتفاق الفني وإقرار الموافقة النهائية من الكويت فإنني أود

أن نعقد اتفاقاً جديداً الآن ، لرسم حدودنا المشتركة وأرى أن الإتفاق الجديد يؤكد على مبادىء الإتفاق القائم حالياً للحدود المشتركة .

كما أرجو بعد اتفاقنا الجديد هذا ، ألا تثار مسألة الحدود في علاقاتنا المستقبلية ..

عزت ابراهيم : إن المفاوضات القادمة هي التي ستتولى مسألة الحدود وأن المفاوضات التي أجريناها حالياً قاصرة على الإتفاق المالي فقط والذي يقول بدفع معونة ٩ مليارات .

وأضاف : إن مفاوضاتنا ستمر بثلاث مراحل : المرحلة الأولى وهو إتفاق المعونة المالية . والمرحلة الثانية : ستأتي مع مسألة الحدود والمرحلة الثالثة ستتناول مسألة الديون .

ولي العهد : أنا لا أوافق على ذلك ، إن المرحلة الثانية والثالثة من المفاوضات ستتناول تطوير العلاقات الثنائية بين البلدين والإتفاق على النواحي الأمنية في العلاقات . وأنا أصر على اتفاق رسم الحدود قبل الإتفاق وبأي شكل على إعطاء العراق تسعة مليارات دولار .

عزة ابراهيم : هل تعني بذلك أن اتفاقنا السابق لاغ .

ولي العهد : أنا لا أقول لاغ ، بل هو مشروط .

عزة ابراهيم : نحن لا نقبل اشتراطات .

ولي العهد : إذن أنتم لا تريدون الـ (٩ مليارات) .

عزة ابراهيم : هذا المبلغ لا يمكن أن يكون ثمناً للمساومة على بعض حقوقنا الأخرى .

ولي العهد : أراكم غير جادين في حل المشاكل معنا .

عزة ابراهيم : بل أنتم غير جادين وتريدون أن تتراجعوا عما تم الإتفاق عليه أمام الملك فهد .

ولي العهد : أنتم تتحدثون دائماً عن الحدود ، ونحن نصمم على عقد اتفاق جديد ، يقضي على هذه المسألة .

عزة ابراهيم : لدي اقتراح بأن يعود كل منا إلى بلده ويطرح مسألة الحدود على قيادته السياسية .. ثم نناقش ذلك في الإجتماع المقبل في بغداد .

ولي العهد : أوافق على ذلك بشرط أن تعتبروا مبلغ ال ـــ ٩ مليارات معلقاً وكأننا لم نتفق عليه .

عزة ابراهيم : لا أوافق على ذلك وأقول لكم إن هذا الإتفاق إذا لم ينفذ فإننا قادرون على تنفيذه بالطريقة التي لا تريحكم .

ولي العهد : أأعتبر هذا تهديداً باستعمال القوة العسكرية ضدنا .

عزة ابراهيم : لتفسره كما تشاء ولكن إذا أخللتم بما اتفقنا عليه فإننا لن نخسر شيئاً وستخسرون كل شيء .

ولي العهد : لا تعتقدوا أن عملكم العسكري ضدنا سيمر بسهولة .

عزة ابراهيم : نحن نعرف ونقدّر ما نفعل .

ولي العهد : إذا كنتم تشككون في قدرة قواتنا على مقاتلتكم فإن الكويت لديها أصدقاء أقوياء وأن هؤلاء سيهبون لمساعدتنا حالما تحصل تهديدات لأمتنا وأراضينا .

عزة ابراهيم : لا تنخدع بالأصدقاء يا سمو الأمير .

ولي العهد : أنتم واهمون وأنا أثق فيما أقول .

عزة ابراهيم : إذن لتتحمل الكويت النتائج .

ولي العهد : لا تهددنا

عزة ابراهيم : أنا لا أهدد بل أحذر .

ولي العهد : لا نقبل التحذير .

عزة ابراهيم : أنت المسؤول عما وصلنا إليه الآن .

ولي العهد : بل أنت المسؤول عن إنهاء الإتفاق الذي حدث منذ لحظات .

عزة ابراهيم : لن نطلب وساطة أحد لإرضائكم .

ولي العهد : ونحن لن نطلب أيضاً ..

كان قرار الإجتياح على وشك أن يؤخذ ، وكان الظن الشائع قبله ، أن العراق سيكتفي بعملية عسكرية محدودة تستهدف جزيرتي وربة وبوبيان وكذلك حقل الرميلة النفطي .. ويقال بأن الخطط كانت مرسومة على هذا الأساس . ويبدو أن قراراً تعديلياً قد اتخذ على عجل قبل أيام معدودات .. فإذا كان احتلال الجزر والحقل

النفطي ، مسألة خطيرة يمكن أن تستدعي تقاطر القوات الأمريكية إلى الكويت وأطراف الصحراء الحدودية مع السعودية ، فإن احتلال الكويت كلها ، يمكن أن يحرم القوات الأمريكية من هذه الميّزة اللوجستية الأشد خطورة ، كما لا يمكن للولايات المتحدة أن تتدخل بدون أرض تقف عليها ، ونظراً لحساسية الوضع بالنسبة للأراضي المقدسة في الجزيرة العربية ، فإن السعودية لا تستطيع الإقدام على مثل هذه الخطوة المليئة بالخطورة والتفجّر كما يستطيع العراق ، أن يمتص ضربة جوية أمريكية ثقيلة ، إذا أراد الأمريكيون الإنتقام ، كذلك فإن الإستعانة بإسرائيل ، بالرغم من حماستها للقيام بعمل عسكري ضد العراق ، لا يمكن أن يضيف شيئاً جديداً ، إذ ليس ثمة حدود مشتركة بين العراق واسرائيل ، وأن اندفاع القوات البرية الإسرائيلية عبر أراضي الأردن ، سيعرضها لمخاطر الخطوط الطويلة والمكشوفة ، كما أن الإنتفاضة ستكون عبئاً ، هذا فضلاً عن أن سوريا ستتدخل في القتال لا محالة .. وكان الرأي العام الأمريكي لا يريد أن يذهب أكثر من فيتنام ، فالعراق في عرف الأمريكيين أنفسهم ، ليس (بناما) ولا (غرينادا) وأن أي خطأ في الحساب ، سيؤدي إلى حرب صحارى معقدة ومضنية ..

كان الكويت نفسه منقسماً على نفسه ..

وكان العالم العربي في حالة فوضى لم يسبق لها مثيل .

أما عالم أمريكا فكان لا يزال منتشياً بالإنتصار الضخم الذي حققه ضد المنظومة الشيوعية كلها ، دون امتشاق السلاح النووي، فكيف سيكون استعداده لامتشاق السلاح الإستراتيجي التقليدي ، للدخول في معركة عسكرية ضد العراق ؟ .. ثم ما هي خيارات الحرب ميدانياً ، هل يتم الإكتفاء باستخدام الأسلحة التقليدية ؟ أم ماذا ؟ ..

في عمان ، هرع السيد مضر بدران رئيس الوزراء لإخطار الحكومة والبرلمان الأردني بانحدار أزمة الخليج نحو هاوية الحرب ، وفي اسرائيل لامت الحكومة أجهزة الإستخبارات الخارجية لتأخرها في الحصول على أخبار جدة ، ثم قامت على الفور بإبلاغ ما حصل في جدة ، إلى المخابرات الأمريكية ..

وكانت طائرة عزت ابراهيم والوفد المرافق له ، تحط في بغداد ، وتوجه رئيس الوفد فوراً للقاء صدام حسين الذي كان في انتظاره .. وبعد ذلك بقليل ، استدعى صدام أعضاء مجلس قيادة الثورة الساعة السادسة مساءً ، لجلسة طارئة ، وفي غضون ساعة ، اتخذ القرار الذي لا مناص منه : اجتياح الكويت .. ونفذ القرار في نفس الليلة .

وما أن شاعت أخبار فشل اللقاء في جدة ، حتى ارتفعت أسعار النفط بنسبة ٦٠ سنتاً للبرميل الواحد ، وكانت حركة العبور حتى هذا الوقت ، من وإلى مركز العبدلي الحدودي بين العراق والكويت ، لا تزال طبيعية ، وليس ثمة ما يعكر صفو الهدوء الصحراوي ، خاصة بعد أن انتصف الليل ، وازدانت السماء بمصابيحها ، وهجع القوم على أرق الإحتمال والتحسّب ...

كان جيمس بيكر الذي ما فتىء يتلقى المعلومات ساعة بساعة ، في هذا الوقت ، على موعد للإجتماع مع وزير الخارجية السوفييتي إدوارد شيفرنادزة ، في إيركوتسك (سيبيريا) حيث في تلك المدينة الرمادية ، سيحصل أول اختبار حقيقي للعلاقات السوفيتية الأمريكية الجديدة .

وكان البنتاغون ، لا يزال ينتظر ــ حسب محلليه وخبرائه ــ الشروط اللازمة لإعطاء الحكم الأخير ، من أن العراق سيغزو الكويت ، وكانت الشروط في رأيه :

١ــ نظام الإتصالات لم يستكمل بعد .
٢ــ نظام حشد المدفعية ليس في وضعية قتال بعد .
٣ــ تحضير المؤن والذخيرة لا زال ناقصاً .
٤ــ الوسائل اللوجستية لدعم العملية الهجومية لا زالت في بدايتها ..

ويبدو أن كل هذه العناصر قد وجدت معاً في الأول من شهر آب ، حيث ضلّل العراقيون في إبراز هذه النواحي عن عمد ، وكانت أكثر العواصم العربية ترقباً لانفجار الموقف ، هي العاصمة الأردنية ، فلثلاث ساعات على التوالي ، ظل بدران رئيس الوزارة الأردنية ، يتحدث عن خطورة الموقف المتفجّر ، لمجلس الأمة ،

حتى راح أحد الحضور يعلق بلهجة ساخرة بعد انتهاء الجلسة (كأنه كان يعلم كل شيء .. وما كان عليه إلا أن يحضرنا لتلقي الخبر) ...

وفي واشنطن ، سرّبت المخابرات الأمريكية ، أنباءً عن قرب حدوث الإجتياح ، إلى المحطة المحلية لوكالة الس آي إيه . وكانت الساعة في واشنطن السادسة والنصف مساءً ، الثانية عشرة والنصف بتوقيت بغداد ، عندما انتقل سكاوكروفت رئيس مجلس الأمن القومي الأمريكي يرافقه المدير المساعد لشؤون الشرق الأوسط ريتشارد هيس ، إلى الطابق الأول من البيت الأبيض ، حيث منزل الرئيس بوش ، ودامت مناقشات لمدة خمس وأربعين دقيقة ، رن بعدها جرس الهاتف ، وكان على الخط الآخر روبرت كيميت ، وهو الرجل الثالث في الدبلوماسية الأمريكية ، الذي كان يحل محل بيكر لغيابه ونائبه في سيبيريا . كانت فحوى المكالمة ، أن معلومات شبه مؤكدة تشير إلى حدوث إطلاق نار في مدينة الكويت وتتالت المعلومات .. كانت عقارب الساعة في واشنطن قد شكلت زاوية قائمة .

بين التاسعة والثانية عشرة مساء ، حين وردت معلومات وافية للرئيس الأمريكي من وكالة الإستخبارات الأمريكية وكلها تؤكد حدوث الإجتياح وتصف ضخامته ، وأن جيوش صدام لم تكتفي باحتلال المناطق الحدودية ، بل اندفعت إلى كل أرجاء الأمارة التي ستفيق على صباح مليء بالحيرة والذهول . في صالونات القصر المتلألئة ، كان آل الصباح يعيشون اللحظات الحالكة من حكم دام قرنين ونصف القرن ، وفي بلد كان قد أصبح بفضل النفط ، البلد الأكثر ثراءً في العالم .

كانت أصوات القذائف القادمة من بعيد قد جعلت أفراد العائلة الأميرية ينتفضون هلعاً ، وكانت الأصوات تقترب .. ولم يكن أفراد العائلة يعللون أنفسهم بأي أمل ، اللهم عدا أمل صدام بإلقاء القبض عليهم .. فاحتلال الكويت في النهاية لا بد أن يمر عبر حذف شرعيتها ، لذلك فإن السفارة الأمريكية التي لم تنم تلك الليلة ، كانت قد تولت منذ منتصف الليل ، مهمة إيقاظ وترحيل الأمير وأفراد أسرته ، فقد وضعت خطة حماية الأمير ـــ من قبل وكالة السي آي إيه ـــ منذ

العام ١٩٨٥ حين حاولت جماعات الشيعة اغتياله ، ونجى يومها بأعجوبة .. وها هي الخطة في الليلة الحالكة توضع موضع التنفيذ ، كان للخطة ككل الخطط الأمنية والسرية والخطيرة ، أيادي وشيفرة ورموز وأرقام هواتف مأمونة ورجال وآليات .. وقد قام السفير الأمريكي يومها ، ناتانيال هاول ، بدوره كاملاً في الخطة ، حين اتصل بالأمير قائلاً :

ـــ سيادة الأمير ، إن خطة الطوارىء نافذة المفعول منذ هذه اللحظة .. عليكم أن تخرجوا مع كامل أفراد العائلة بكل سرعة ممكنة .. هناك طائرة عمودية في انتظاركم هنا .

أجرى آل الصباح اتصالاً أخيراً بين بعضهم البعض ، قبل مغادرتهم القصر ، وتوقف موكبهم أمام السفارة الأمريكية حيث استقبلهم السفير أمام المدخل ، وعلى بضعة أمتار كانت طوافة تابعة للجيش الأمريكي مستعدة للإقلاع وقد أدارها طاقمها وشغلت مروحتها ، إلا أن الطائرة لم تكن لتستوعب كل الهاربين ، فصعد إليها الأمير وولي العهد وبضعة أشخاص غيرهما ، وتقرر أن ينتقل الآخرون إلى السعودية عن طريق البر ، ولم تكن الحدود مع السعودية إلا على بعد خمسين كيلو متراً وكانت الطريق عليه لا زالت آمنة ..

أقلعت الهليوكبتر ببطء لثقل الحمولة ، وبدأت تعلو شيئاً فشيئاً في حين كان الأمير يلصق وجهه بزجاج النافذة ، وكأنه لا يريد أن يرى إلا الأرتال الأولى للقوات العراقية التي بدأت تدخل ضواحي عاصمته ، فيما كانت أمارات التعب قد أخذت منه كل مأخذ .

الشركات التي زودت العراق بأسلحة غير تقليدية

الشركة	البلد	صنف السلاح
ايروتش	أرجنتين	تصميم صواريخ
كوستش	أرجنتين	تصميم صواريخ
أنيتسا	أرجنتين	تصميم صواريخ
كونوسلت	النمسا	سلاح كيماوي

كوسولتوكو	النمسا	سلاح كيماوي
ايمرش آسمان	النمسا	سلاح كيماوي
بنيابارغ	النمسا	سلاح كيماوي
لينهارد	النمسا	سلاح كيماوي
نيو برغر	النمسا	سلاح كيماوي
سيرفي	النمسا	سلاح كيماوي
دلتا كونسولت	النمسا	سلاح كيماوي
دلتا سيستم	النمسا	تصميم صواريخ
بنك جيروز نترال	النمسا	تصميم صواريخ
هيوتر وشراد	النمسا	تصميم صواريخ
ايلبو	النمسا	تصميم صواريخ
دانزل	النمسا	طوافات
هيرتنبرغ	النمسا	شعائل حرارية
ستير دملر	النمسا	رصاص معدني
فويست	النمسا	قذائف صاروخية
فيلبس بتروليوم	بلجيكا	غليكول
سيباتا	بلجيكا	أسلحة كيماوية
المخازن المتحدة	بلجيكا	تصميم صواريخ
أمالغا تريدنغ	بلجيكا	المدفع العملاق
كوكريل	بلجيكا	المدفع العملاق
مصهر هريستال	بلجيكا	المدفع العملاق
سيكس كونسترات	بلجيكا	قواعد جوية
ريزرش كوربورشن	بلجيكا	المدفع العملاق
أفيبراس	البرازيل	برامج صاروخية
كومبان	سويسرا	إنذار كيميائي
كور ليمتد	سويسرا	سلاح كيماوي
كوندور بروجكت	سويسرا	قذائف صاروخية
كونسن	سويسرا	قذائف صاروخية
ويستيك	سويسرا	قذائف صاروخية
شوبلين	سويسرا	تركيبات نووية

شميد ميكانيك	سويسرا	أسلحة نووية
جورج فيشر	سويسرا	آلات تصنيع مدافع
سبيس ريزرش	سويسرا	المدفع العملاق
فون رول	سويسرا	المدفع العملاق
فوف	سويسرا	وساطات تحويلية
و . ت . ب	مصر	أسلحة كيماوية
أوشيم	فرنسا	إنذارات كيماوية
كاربون لورين	فرنسا	أسلحة كيماوية
فيد اندوستريال	فرنسا	أسلحة كيماوية
بيريب	فرنسا	أسلحة كيماوية
بريفوست	فرنسا	أسلحة كيماوية
بروتكت	فرنسا	أسلحة كيماوية
س . ف . سي . إم	فرنسا	أسلحة كيماوية
ساجم	فرنسا	نظم صاروخية
سيب	فرنسا	محركات صاروخية
س . ن . ب . إي	فرنسا	وقود صواريخ
فراما توم	فرنسا	وقود نووي للمفاعل
سان غوبان	فرنسا	تقنية نووية
تكنا توم	فرنسا	مفاعل نووي
أوزينو	فرنسا	فولاذ لمركز الدفع
انتر سباس	فرنسا	أشعة تحت الحمراء
تومسون	فرنسا	مصنع الكتروني
تيسّا	ألمانيا الفدرالية	؟
جوزيف كوهن	ألمانيا الفدرالية	أسلحة بيولوجية
أنطون إيرل	ألمانيا الفدرالية	مختبرات متحركة
أفياتست	ألمانيا الفدرالية	ديناميك هوائي
ب . ب	ألمانيا الفدرالية	بحوث عسكرية
كارل زايس	ألمانيا الفدرالية	مختبرات كيماوية
هربرغر	ألمانياالفدرالية	أسلحة كيماوية
دويتش	ألمانيا الفدرالية	بحوث عسكرية

آي . ب . آي	ألمانيا الفدرالية	أبنية مختبرات
أندو ورك	ألمانيا الفدرالية	آلات ومعدات
أنغرا بلان	ألمانيا الفدرالية	غاز الأعصاب
إيفيكو	ألمانيا الفدرالية	شاحنة مختبر ك
كارل كوب	ألمانيا الفدرالية	معدات بيولوجية
إم . ب . ب	ألمانيا الفدرالية	أسلحة كيماوية
بيلو بلنت	ألمانيا الفدرالية	معدات مصانع
بلانوكوف	ألمانيا الفدرالية	سموم
بروساغ	ألمانيا الفدرالية	معالجة مياه
كاست	ألمانيا الفدرالية	نظم صاروخية
ران بايرن	ألمانيا الفدرالية	أسلحة كيماوية
ريما لابور	ألمانيا الفدرالية	مواد سامة
سيغماشيمي	ألمانيا الفدرالية	أسلحة بيولوجية
سيغماشيمي (٢)	ألمانيا الفدرالية	أسلحة كيماوية
فيت انجيرنيرك	ألمانيا الفدرالية	نظم صواريخ
د . ت . ب	ألمانيا الفدرالية	غاز الأعصاب
آ . ب . ج	ألمانيا الفدرالية	ذخائر
بلوهم ماشينيو	ألمانيا الفدرالية	حاسب الكتروني
براون بوفري	ألمانيا الفدرالية	الكترونيات
ديملر بنز	ألمانيا الفدرالية	شاحنات صواريخ
ديغوتا	ألمانيا الفدرالية	أبحاث عسكرية صواريخ
ويرنر	ألمانيا الفدرالية	آلات صواريخ
بروجكتا	ألمانيا الفدرالية	نظم صواريخ
انتيغرال سوير	ألمانيا الفدرالية	أسلحة صاروخية
انفورماتيك	ألمانيا الفدرالية	نظم صواريخ

ليغلد	ألمانيا الفدرالية	رؤوس صواريخ
م . آ . ن	ألمانيا الفدرالية	قطع قاذفات
ماشن فابريك	ألمانيا الفدرالية	آلات وأدوات
موسر فارك	ألمانيا الفدرالية	أسلحة صاروخية
م . ب . ب	ألمانيا الفدرالية	تدريب والكترونيك
نيكل هامبورغ	ألمانيا الفدرالية	مناخ
برومكس	ألمانيا الفدرالية	قذائف صاروخية
راين ميثال	ألمانيا الفدرالية	قذائف صاروخية
سيمنس	ألمانيا الفدرالية	وقود صواريخ
انترناشيونال	ألمانيا الفدرالية	قذائف صواريخية
ولد ريش	ألمانيا الفدرالية	آلات وأدوات
نيغمان	ألمانيا الفدرالية	قاذفات روكيت
فينس	ألمانيا الفدرالية	غرف باردة
دينغلر	ألمانيا الفدرالية	فولاذ خاص
إكسبورت	ألمانيا الفدرالية	معادن
فروستال	ألمانيا الفدرالية	أسلحة نووية
ميتالغورم	ألمانيا الفدرالية	آلات تصفيح
إينواغو	ألمانيا الفدرالية	حلقات مغناطيسية
ك . يو	ألمانيا الفدرالية	تقنية المفاعل النووي
ليو بولد	ألمانيا الفدرالية	فرن مرتفع الحرارة
م . آ . ن . تكنولوجي	ألمانيا الفدرالية	نووي
نوكيم	ألمانيا الفدرالية	نووي
سارستال	ألمانيا الفدرالية	نووي
ت . في	ألمانيا الفدرالية	نووي
آ . ب . ب	ألمانيا الفدرالية	أسلحة صاروخية

بوديروس	ألمانيا الفدرالية	تقنية صهر
ديمر بنز	ألمانيا الفدرالية	عربات أسلحة صاروخية
ديناميت نوبل	ألمانيا الفدرالية	متفجرات
فون	ألمانيا الفدرالية	وسائط نقل
هوشتيف	ألمانيا الفدرالية	أسلحة صاروخية
كلوكز	ألمانيا الفدرالية	مولد بخاري
كروس كويف	ألمانيا الفدرالية	أسلحة صاروخية
لاسكو	ألمانيا الفدرالية	وحدات إنتاج
ل . و . آي	ألمانيا الفدرالية	أفران فولاذ
لودفيغ هاو	ألمانيا الفدرالية	مصانع أسلحة
م . آ . ن . رولاند	ألمانيا الفدرالية	نظم صاروخية
مانسمان ــ ديماغ	ألمانيا الفدرالية	المدفع العملاق ــ صهر
مانسمان ــ ريكسروت	ألمانيا الفدرالية	المدفع العملاق ــ قطع
مانسمان دويسبرغ	ألمانيا الفدرالية	المدفع العملاق ــ قطع
ماربوس	ألمانيا الفدرالية	أسلحة وذخائر
ماتوشكا	ألمانيا الفدرالية	أسلحة صاروخية
م . ب . ب	ألمانيا الفدرالية	وقود ثقيل
رافنسبورغ	ألمانيا الفدرالية	مقدح صاروخي
روهر غاز	ألمانيا الفدرالية	أسلحة صاروخية
شيرمر	ألمانيا الفدرالية	أسلحة وذخائر
س . م . س	ألمانيا الفدرالية	مكابس
ت . ب . ت	ألمانيا الفدرالية	أدوات أسلحة صاروخية
تيسن	ألمانيا الفدرالية	أسلحة صاروخية
زوبلن	ألمانيا الفدرالية	صهر فولاذ
دانغو	ألمانيا الفدرالية	أسلحة صاروخية معادن

كوربر	ألمانيا الفدرالية	صواريخ
معهد أدفانس	اليونان	المدفع العملاق — دراسات
ك . ب . س	البلاد المنخفضة	أسلحة كيماوية
ملشيمي	البلاد المنخفضة	أسلحة كيماوية
ترانسبك انديا	الهند	أسلحة كيماوية
تيكو	العراق	أسلحة كيماوية
العربي	العراق	صواريخ
أوسيدت	إيطاليا	أسلحة كيماوية
مونتغيدون	إيطاليا	أسلحة كيماوية
س . ن . آ	إيطاليا	أسلحة كيماوية
تكنيترول	إيطاليا	أسلحة كيماوية
سايا . ب . ب . د	إيطاليا	وقود صواريخ
أروماك	إيطاليا	صواعق صواريخ
سايا تكنيك	إيطاليا	نووي/خلايا
بنك ب . ن . ل	إيطاليا	أسلحة صاروخية
داتيلي	إيطاليا	أسلحة صاروخية
إيلغا	إيطاليا	أسلحة صاروخية
إيلغا/ج	إيطاليا	أسلحة صاروخية
سوسيتا فوسين	إيطاليا	قطع المدفع العملاق
مينولتا	اليابان	أسلحة صاروخية
ترانس تكنو	جيرسي	صواريخ
كونسن	موناكو	صواريخ
كونسن . س . آ . م	موناكو	صواريخ
شيمادكس	بولونيا	نووي

ن . تريدكوسلتنك	إسبانيا	صواريخ
كازا	إسبانيا	أسلحة صواريخ
تريبلان	إسبانيا	أسلحة صاروخية
بوفور	سويد	صواريخ
كانيرا	بريطانيا	صواريخ
ماتركس تشرشل	بريطانيا	صواريخ
ن . آ . آ . ر	بريطانيا	رؤوس صواريخ
س . ر . سي	بريطانيا	وصلات أنابيب
ت . م . ج	بريطانيا	صواريخ
تراتستيكنو	بريطانيا	صواريخ
كونسارك للهندسة	بريطانيا	نووي
استراهو لدينغر	بريطانيا	أسلحة صواريخ
ب . س . آ	بريطانيا	أسلحة صواريخ
إيفل تروست	بريطانيا	أسلحة صواريخ
غلوبال تاكتيال	بريطانيا	أسلحة صواريخ
هالي سوين	بريطانيا	سبر مناجم وصواعق
غلوبال تاكتيال/ج	بريطانيا	قطع المدفع العملاق
إن . تل . هايواي	بريطانيا	آلات وأدوات
ميد انترناشيونال	بريطانيا	المدفع العملاق
شيفلد	بريطانيا	معدات المدفع العملاق
ولتر سومرز	بريطانيا	المدفع العملاق
سنتر دنرز كونترول	الولايات المتحدة	فيروس حمى
تردينغ	الولايات المتحدة	مؤشرات سارين
كولاك	الولايات المتحدة	مؤشرات كيميائية
نوكرافت ميركاتيل	الولايات المتحدة	مؤشرات كيميائية

كوربورشن	الولايات المتحدة	أسلحة كيميائية
لوموس كرست	الولايات المتحدة	أوكسيد الإيتلين
الكترونيكس	الولايات المتحدة	صواريخ/حاسبات
هيولت باكارد	الولايات المتحدة	حاسبات صواريخ
سالينتفيك اتلنت	الولايات المتحدة	حاسبات صواريخ
ويلترون	الولايات المتحدة	نظم حواسب
إكس وبشنز	الولايات المتحدة	عناصر آلية/صواريخ
كونسارك	الولايات المتحدة	أفران عالية الحرارة
بنك ب . ن . ل	الولايات المتحدة	تمويل أسلحة صاروخية
سنتر فوجال	الولايات المتحدة	آلات وأدوات
سيثيكو	الولايات المتحدة	أسلحة صاروخية
تيكترونيك	الولايات المتحدة	حاسبات الكترونية
تكسرونيكس	الولايات المتحدة	حاسبات صواريخ

مؤسسة وشركة ومعمل وهي موزعة كما يلي :

٣ للأرجنتين
١٦ للنمسا
٨ بلجيكا
١ البرازيل
١١ سويسرا
١ مصر
١ السويد
١٧ بريطانيا
١٧ الولايات المتحدة

١٦ فرنسا
٨٤ ألمانيا
١ اليونان
٢ البلاد الواطئة
١ الهند
٢ العراق

١٢ إيطاليا
١ اليابان
٢ موناكو
١ بولونيا
١ جيرسي
٣ إسبانيا

رسالة
نائب رئيس الوزراء ، وزير الخارجية العراقي
إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية
بتاريخ ١٥ يوليو (تموز) ١٩٩٠

سيادة الأخ الشاذلي القليبي
الأمين العام لجامعة الدول العربية
تحية أخوية ...

في بداية هذه الرسالة لابد من التذكير بالمبادىء التي يؤمن بها العراق والتي طبقها بكل أمانة وحرص في علاقاته العربية .

إن العراق يؤمن بأن العرب في كل أقطارهم أمة واحدة .. ويفترض أن يعم خيرهم الجميع وأن يستفيدوا منه ، وإذا ما أصاب أحدهم ضرر أو أسى فإن هذا الضرر والأسى يلحق بهم جميعاً وأن العراق ينظر إلى ثروات الأمة على أساس هذه المبادىء .. وقد تصرف في ثروته منطلقاً من هذه المبادىء .

كما يؤمن العراق .. بأنه برغم ما أصاب الأمة العربية في العهد العثماني وبعده تحت ظل الإستعمار الغربي من شتى ألوان التقسيم والهوان والاضطهاد ومحاولة فسخ الشخصية القومية ، فإن مقومات وحدة الأمة العربية ما تزال حية وقوية .. وأن الوطن العربي برغم انقسامه إلى دول هو وطن واحد وأن أي شبر من هذا الوطن هنا أو هناك في أرض هذا القطر أو ذاك ينبغي أن ينظر إليه من منظور الإعتبارات القومية وخاصة اعتبارات الأمن القومي العربي المشترك ، كما ينبغي تجنب الوقوع في مهاوي النظرة الضيقة والأنانية في التعامل مع المصالح والحقوق لهذا القطر أو ذاك . إن مصالح الأمة العربية العليا .. والحسابات الاستراتيجية العليا للأمن القومي العربي يجب أن تكون حاضرة دائماً كما يجب أن تكون المعيار الأول في التعامل في كل هذه المسائل بين الأقطار العربية .

على أساس هذه المبادىء القومية والأخوية المخلصة والصادقة تعامل العراق مع الكويت رغم ما هو معروف من حقائق الماضي والحاضر بالنسبة للكويت والعراق .

والذي دعانا إلى كتابة هذه الرسالة .. أننا مع عميق الأسف بتنا نواجه الآن من جانب حكومة الكويت حالة تخرج عن إطار المفاهيم القومية التي ذكرنا .. بل تتناقض معها وتهددها في الصميم .. وتتناقض مع أبسط مقومات العلاقات بين الأقطار العربية .. إن المسؤولين في حكومة الكويت وبرغم مواقفنا الأخوية الصادقة في التعامل معهم في جميع القضايا ، وبرغم حرصنا على مواصلة الحوار الأخوي معهم في كل الأوقات قد سعوا وبأسلوب مخطط ومدبر ومتواصل إلى التجاوز على العراق والإضرار به وتعمدوا إضعافه بعد خروجه من الحرب الطاحنة التي استمرت ثمان سنوات والتي أكد كل العرب المخلصين قادة ومفكرين ومواطنين ، ومنهم رؤساء دول الخليج بأن العراق كان يدافع خلالها عن سيادة الأمة العربية كلها وخاصة دول الخليج ومنها بل وبصورة خاصة الكويت . كما سلكت حكومة الكويت هذه السياسة التي تتعمد إضعاف العراق في الوقت الذي يواجه فيه العراق حملة إمبريالية صهيونية شرسة بسبب مواقفه القومية في الدفاع عن الحق العربي ، تدفعها إلى ذلك مع الأسف دوافع أنانية ونظرة ضيقة وأهداف لم يعد ممكناً النظر إليها إلا على أنها مريبة وخطيرة . وفي هذا الشأن هنالك صفحتان رئيسيتان :

الأولى : من المعروف أنه منذ عهد الإستعمار والتقسيمات التي فرضها على الأمة العربية هنالك موضوع معلق بين العراق والكويت بشأن تحديد الحدود .. ولم تفلح الإتصالات التي جرت خلال الستينات والسبعينات في الوصول الذي حل بين الطرفين لهذا الموضوع حتى قيام الحرب بين العراق وإيران .. وفي أثناء سنوات الحرب الطويلة بصورة خاصة وفي الوقت الذي كان فيه أبناء العراق النشامى يسفحون دمهم الغالي في الجبهات دفاعاً عن الأرض العربية ومنها أرض الكويت وعن السيادة والكرامة العربية ومنها كرامة الكويت ، استغلت حكومة الكويت انشغال العراق كما استغلت مبادئه القومية الأصيلة ونهجه النبيل في التعامل مع الأشقاء وفي القضايا القومية لكي تنفذ مخططاً في تجميد وتيرة الزحف التدريجي والمبرمج باتجاه أرض العراق فصارت تقيم المنشآت العسكرية والمخافر والمنشآت النفطية والمزارع على أرض العراق وقد سكتنا على كل ذلك واكتفينا بالتلميح والإشارات علها تكفي في إطار مفاهيم الأخوة التي كنا نعتقد أن الجميع يؤمنون بها . ولكن تلك الإجراءات استمرت وبأساليب ماكرة وإصرار يؤكد التعمّد والتخطيط .

وبعد تحرير الفاو ، بادرنا ــ في أثناء مؤتمر قمة الجزائر عام ١٩٨٨ ــ إلى إبلاغ الجانب الكويتي برغبتنا الصادقة في حل هذا الموضوع في إطار علاقات الأخوة والمصلحة القومية العليا ولكننا وجدنا أنفسنا أمام حالة تثير الإستغراب الشديد .. فبرغم أن المنطق يفترض أن يفرح المسؤولون الكويتيون لهذه المبادرة الأخوية الكريمة من جانبنا وأن يعملوا لإنجاز هذا الموضوع بسرعة ، لاحظنا التردد والتباطؤ المتعمدين من جانبهم في مواصلة المباحثات والإتصالات وإثارة تعقيدات مصطنعة مع الإستمرار في التجاوز وإقامة المنشآت البترولية والعسكرية والمخافر والمزارع على الأراضي العراقية وقد صبرنا على هذه التصرفات بدواعي الحكمة والحلم .

وكان استعدادنا لمزيد من العمل كبيراً لولا انتقال الأمور إلى مستوى خطير لم يعد ممكناً السكوت عليه وهو ما سنتناوله في الصفحة الثانية والأكثر خطورة من الموضوع .

إن العراق يحتفظ بسجل كامل لهذا الموضوع يوضح بالوثائق والحيثيات كل التجاوزات التي قامت بها حكومة الكويت .

الثانية : بدأت حكومة الكويت ومنذ مدة أشهر ، وبالتحديد منذ أن رفع العراق صوته عالياً يدعو بقوة إلى استعادة حقوق العرب في فلسطين وينبه إلى مخاطر الوجود الأميركي في الخليج ، بدأت بانتهاج سياسة ظالمة القصد منها هو إيذاء الأمة العربية وإيذاء العراق خاصة .

وفي هذا الجانب اشتركت حكومة الإمارات العربية المتحدة مع حكومة الكويت . فقد نفذت حكومتا الكويت والإمارات عملية مدبرة لإغراق سوق النفط بمزيد من الإنتاج خارج حصتهما المقررة في الأوبك بمبررات واهية لا تستند إلى أي أساس من المنطق أو العدالة أو الإنصاف .. وبذرائع لم يشاركهما فيها أي من الأشقاء من الدول المنتجة .. وقد أدت هذه السياسة المدبرة إلى تدهور أسعار النفط تدهوراً خطيراً .. فبعد التدهور الذي حصل قبل سنوات في السعر ، من المعدلات العالية التي كان قد بلغها وهي ٢٤ ، ٢٩ ، ٢٨ ، دولاراً للبرميل الواحد ، أدت تصرفات حكومتي الكويت والإمارات إلى انهيار سعر الحد الأدنى المتواضع الذي تم الإتفاق عليه في الأوبك أخيراً وهو ١٨ دولاراً للبرميل . إلى ما بين ١١ ــ ١٢ دولاراً للبرميل . وبعملية حسابية بسيطة يمكننا أن نقدر مقدار الخسائر الباهظة

التي لحقت بالدول العربية المنتجة للنفط .

أولاً : إن معدل إنتاج الدول العربية من النفط هو ١٤ مليون برميل في اليوم وأن تدهور الأسعار في الفترة الواقعة بين ١٩٨١ ـــ ١٩٩٠ قد أدى إلى خسارة الدول العربية بحدود ٥٠٠ مليار دولار ، كانت حصة العراق منها خسارة ٨٩ مليار دولار . ولو أن العرب جميعاً لم يخسروا هذه المبالغ الهائلة ووفرنا نصفها للتنمية القومية ولمساعدة البلدان العربية الفقيرة لحققنا تقدماً هائلاً في التنمية القومية وأسعدنا الفقراء من أبناء أمتنا .. ولكان وضع الأمة أقوى وأكثر رفاهاً وتقدماً مما هو عليه الآن .

إذا اعتمدنا الحد الأدنى للأسعار كما قررته الأوبك عام ١٩٨٧ وهو ١٨ دولاراً للبرميل ، فإن خسارة الدول العربية خلال الفترة من ١٩٨٧ ـــ ١٩٩٠ بسبب تدهور هذا السعر تبلغ حوالي ٢٥ مليار دولار .

ثانياً : أن نقص كل دولار من سعر النفط يؤدي إلى إلحاق خسارة بالعراق تبلغ مليار دولار سنوياً . ومن المعروف أن السعر قد انخفض هذه السنة عدة دولارات عن سعر ١٨ بسبب سياسة حكومتي الكويت والإمارات ، مما يعني خسارة العراق لعدّة مليارات من دخله لهذه السنة في الوقت الذي يعاني فيه العراق من ضائقة مالية بسبب تكاليف الدفاع الشرعي عن أرضه وأمنه ومقدساته وعن أرض العرب وأمنهم ومقدساتهم طيلة ملحمة الثمان سنوات . إن هذه الخسائر الجسيمة من جراء تدهور أسعار النفط لم تصب الدول العربية المنتجة للنفط وحدها .. وإنما أصابت بنتائجها الدول الشقيقة الأخرى التي كانت تتلقى المعونات من أخواتها الدول العربية المنتجة للنفط .. فقلّت إمكانات الدعم بل توقفت في بعض الحالات كما تدهورت أيضاً أوضاع مؤسسات العمل العربي المشترك وعانت الأزمات وهي الآن في أصعب الظروف ، لهذا السبب أو لاتخاذ ذلك ذريعة لتقليل أو إيقاف المساعدات والدعم لمؤسسات العمل العربي المشترك .

وقد أضافت حكومة الكويت إلى هذه الإساءات المتعمدة إساءة أخرى مستهدفة الإضرار بالعراق بالذات . فقد نصبت منذ عام ١٩٨٠ وخاصة في ظروف الحرب منشآت نفطية على الجزء الجنوبي من حقل الرميلة العراقي وصارت تسحب النفط

منه . ويتضح من ذلك أنها كانت تغرق السوق العالمي بالنفط الذي كان جزءاً منه هو النفط الذي تسرقه من حقل الرميلة العراقي وبهذا تلحق الضرر المتعمد بالعراق مرتين .. مرة بإضعاف اقتصاده وهو أحوج ما يكون فيه إلى العوائد ومرة أخرى بسرقة ثروته . وتبلغ قيمة النفط الذي سحبته حكومة الكويت من حقل الرميلة فقط بهذه الطريقة المنافية لعلاقات الأخوة وفقاً للأسعار المتحققة بين ١٩٨٠ــ١٩٩٠ (٢٤٠٠) مليون دولار .

وإننا نسجل أمام جامعة الدول العربية وأمام الدول العربية كلها حق العراق في استعادة المبالغ المسروقة من ثروته وحق العراق في مطالبة المعنيين بإصلاح التجاوز والضرر الذي وقع عليه .

لقد سبق أن شرحنا مخاطر سياسة حكومتي الكويت والإمارات لأخوتنا في الدول العربية المنتجة ومنهم الكويت والإمارات مرات عديدة .. وشكونا .. وحذرنا .. وفي قمة بغداد تحدث السيد الرئيس صدام حسين حول هذه المسألة أمام الملوك والرؤساء والأمراء وبحضور المعنيين بصراحة وبروح أخوية (ونرفق طياً نص حديث سيادته حول الموضوع في مؤتمر قمة بغداد) . وكنا نتصور وخاصة بعد الأجواء الأخوية الإيجابية التي تحققت في قمة بغداد أن حكومتي الكويت والإمارات سترعويان عن هذا النهج ولكن الحقيقة المؤلمة هي أن كل ما قمنا به من مساع ثنائية ومن إتصالات مع دول شقيقة لتلعب دوراً إيجابياً في ثني حكومتي الكويت والإمارات عن هذا النهج وبرغم حديث السيد الرئيس صدام حسين في قمة بغداد فقد تعمّدت هاتان الحكومتان مواصلة هذه السياسة واستمرتا فيها بل إن بعض المسؤولين فيهما أطلقوا تصريحات وقحة عندما ألمحنا إلى هذه الحقائق وشكونا منها . لذلك لم يبق هناك أي مجال لاستبعاد الإستنتاج بأن ما فعلته حكومتا الكويت والإمارات في هذا الشأن إنما هو سياسة مدبرة تستهدف أهدافاً خفية . ومع إدراكنا بأن هذه السياسة التي أدت إلى انهيار أسعار النفط تضر في المحصلة النهائية باقتصاد هذين البلدين نفسيهما .. فلم يبق أمامنا غير أن نستنتج بأن من تعمد هذه السياسة بصورة مباشرة ومكشوفة أو من آزرها أو دفع إليها ، إنما ينفذ جزءاً من المخطط

الإمبريالي ـــ الصهيوني ضد العراق وضد الأمة العربية خاصة في التوقيت الذي جاءت فيه وهو ظروف التهديد الخطير من جانب إسرائيل والإمبريالية الذي يتعرض إليه الوطن العربي عامة والعراق خاصة ، إذ كيف يمكن لنا أن نواجه هذا التهديد الخطير ونحافظ على التوازن في القوة الذي حققه العراق بأغلى التكاليف وهو الذي عانى ما عانى من الخسائر في أثناء الحرب مع انهيار مورد العراق الأساسي وموارد الدول العربية المصدرة للنفط وهي العراق ، السعودية ، قطر ، عُمان ، اليمن ، مصر ، سورية ، الجزائر وليبيا ؟ !

هذا فضلاً عما تؤدي إليه هذه السياسة المريبة من إضعاف قدرة هذه الدول العربية على مواجهة المشاكل الإقتصادية والإجتماعية الخطيرة التي تعاني منها وهي مشكلات ذات طبيعة مصيرية .. فإلى أي مصير تريد حكومتا الكويت والإمارات أن تجرا الأمة العربية ؟ ! .. في هذا الظرف الصعب الدقيق والخطر ؟ ! . وسياسات من وأهداف من تريدان إرضاءهما ؟ ! ؟

إننا .. وبعد أن أوضحنا هذه الأمور لكل الأشقّاء وبعد أن طلبنا مباشرة من هاتين الحكومتين الكف عن هذه السياسة الظالمة والمدمرة وشرحنا لهما ما نتعرض إليه من أضرار كبيرة .. قبل قمة بغداد وفي أثناء القمة .. وبعدها .. وأرسلنا المبعوثين وكتبنا الرسائل .. لذلك فإننا ندين ما فعلته حكومتا الكويت والإمارات بالعدوان المباشر على العراق فضلاً عن عدوانهما على الأمة العربية .

أما بالنسبة لحكومة الكويت فإن اعتداءها على العراق هو اعتداء مزدوج فمن ناحية تعتدي عليه وعلى حقوقه بالتجاوز على أراضينا وحقولنا النفطية وسرقة ثروتنا الوطنية .. وإن مثل هذا التصرف هو بمثابة عدوان عسكري .

ومن ناحية أخرى تتعمد حكومة الكويت تحقيق انهيار في الإقتصاد العراقي في هذه المرحلة التي يتعرض فيها إلى التهديد الإمبريالي الصهيوني الشرس وهو عدوان لا يقل في تأثيره عن العدوان العسكري .

إننا إذ نعرض هذه الحقائق المؤلمة أمام الأشقاء العرب فإننا نأمل أن يرفع الأشقاء صوتهم عالياً لوضع حد لهذا العدوان المتعمد المدبر ولكي ينصحوا المنحرفين للعودة

إلى السلوك السوي الذي يأخذ بالإعتبار المصلحة القومية المشتركة ومتطلبات الأمن القومي المشترك .

ثالثاً : وبمناسبة الحديث عن المصالح القومية العليا وارتباط الثروة العربية بمصير الأمة العربية نطرح مقترحاً كالتالي :

ـ لو تضامنت كل الدول العربية المنتجة وغير المنتجة تضامناً سياسياً متيناً واتفقت على العمل على رفع سعر النفط إلى ما يزيد عن ٢٥ دولاراً ثم أقامت صندوقاً للمعونة والتنمية العربية على غرار ما اتفق عليه في قمة عمان على أن يموّل هذا الصندوق بدولار عن كل برميل نفط تبيعه الدول العربية المنتجة بأكثر من سعر ٢٥ دولاراً فإن المبلغ الذي سيتحقق لهذا الصندوق هو ٥ مليارات دولار سنوياً في نفس الوقت الذي تتحقق فيه زيادات كبيرة في مداخيل الدول المصدرة للنفط ، لأن التضامن العربي الجماعي الذي يفترضه هذا السعر المنصف يزيد من مدخولاتها المالية ويحميها من المحاولات العدائية التي تستهدف إضعاف القوة العربية من خلال إضعاف مواردها من الثروة البترولية .

ويمكننا أن نتصور كيف أن مبلغاً ثابتاً كهذا سيعزز الأمن القومي العربي ويوفر إمكانات نمو لكل الدول العربية ويمكّنها من مواجهة الضائقة الإقتصادية الخانقة التي تعاني منها أغلب دولنا .

إن العراق يطرح هذا المقترح للدراسة الجادة وقد يكون مؤتمر القمة العربي القادم في القاهرة مناسبة لبحث هذا المقترح وإقراره .

رابعاً : ولمناسبة الحديث عن هذه الحقائق المؤلمة نرى من الضروري أن نوضح اللبس الذي ربما يكون موجوداً لدى بعض الأشقاء حول موضوع (المساعدات) التي قدمتها الكويت والإمارات للعراق أثناء الحرب .

لقد أجمع العرب المخلصون في كل الوطن العربي على أن الحرب التي اضطر العراق إلى خوضها لم تكن للدفاع عن سيادته فحسب وإنما كانت دفاعاً عن البوابة الشرقية .

إننا نضع هذه الحقائق المؤلمة أمام ضمير كل عربي شريف وفي المقدمة منهم شعب الكويت الشقيق لكي يقدروا الألم والضرر والأذى الذي أصابنا ويصيبنا .

أرجو سيادة الأمين العام توزيع هذه الرسالة على الدول العربية ..

مع أطيب التحيات والتمنيات .

طارق عزيز
نائب رئيس الوزراء
وزير خارجية الجمهورية العراقية
بغداد في ٢٣/ذي الحجة/١٤١٠ هـ
الموافق ١٥/تموز ١٩٩٠ م

الفصل الرابع

الاجتياح

إن الزواج بين مليون جندي عراقي ، وثلثي انتاج البترول في الشرق الأوسط ، هو زواج غير مبارك في الأعراف الاميريكية .
وزير الطاقة الأمريكي .

ــ لقد اجتازوا الحدود سيدي الوزير ..

وكانت تلك عبارات الاميرال اوينز قائد الاسطول السادس في البحر الابيض المتوسط لديك شيني وزير الدفاع . ثم أضاف :

ــ إن القوات العراقية قد اجتازت الحدود باتجاه الكويت عبر خطّي الدبابات ... وهناك مئات الدبابات على شكل رتلين تنطلق جنوباً وشرقاً نحو المدينة ، وكأنها مدية في قالب من الزبدة ..

ولم يُصب شيني بصدمة مفاجئة بشكل كامل ، فقد كانت ارهاصات الاستعدادات العراقية العسكرية قد أظهرت نفسها من قبل ، ونقلت أقمار التجسس الامريكية بوادر التحركات العراقية أولاً بأول .. الى كل من له علاقة

في طاقم الادارة الامريكية الذي ما فتيء يجتمع في غرفة العمليات المصفحة والمزودة بهواتف مأمونة وشاشات فيديو تسهيلاً للاتصالات المرئية ..

وطلب شيني من الأميرال أوينز أن يبقيه في صورة الأوضاع المستجدة .. وتلقى كولن باول في بيته أيضاً مكالمة هاتفية بنفس المعنى ، وقرر رئيس هيئة الاركان أن يبقى في بيته ، ويحصل على آخر المعلومات ، وتوجه نائب رئيس هيئة الأركان الأميرال ديفيد جيرميا الى البنتاغون لقضاء الليل هناك ، وتم الاتصال مع توم كيلي ، وبعد عشرين دقيقة كان كيلي في (غرفة العمليات) المتأزمة ، يشرف على فريق من المختصين ومحللي الاستخبارات وجلس في مقدمة الطاولة الطويلة يراقب شاشات مخصصة لتغطية شبكة (سي . إن إن) الأخبارية على مدى أربع وعشرين ساعة ، وكان كيلي قد أبقى خطاً مأموناً مع شوارزكوف ، في مقر القيادة الوسطى في فلوريدا ، وقد وصلت الدبابات العراقية الى مدينة الكويت في غضون ثلاث ساعات ، وكانت السفارة الامريكيةهناك ، تواظب على ارسال الاشارات الاستخبارية لوصف ما يجري في المدينة أولاً بأول ، وكان الطاقم في واشنطن قلقاً على السفارة ، التي ظل اطلاق النار يلعلع بالقرب منها دون توقف .

كان سكاوكروفت قد عاد الى منزله في ميرلاند منذ عصر ذاك اليوم ، حين تلقى مكالمة هاتفية أصابته بالدهشة ، فقد كان واثقاً أن الأمر كله خدعة ، وأن العراقيين في أسوأ التقديرات سيعمدون الى انتزاع المناطق المختلف عليها مع الكويتيين وليس أكثر ...

لقد سبق لسكاوكروفت ، أن قام بتحليل لخطابات صدام ، حيث تبين أن معظمها يدور حول ناحيتين ا نزاع الحدود والمعونات المالية بما فيها مسألة الديون والاسعار ، وقد قال يومها :

(لم يكن هناك أي شيء جوهري في آخر أقوال صدام أو أهدافه المعلنة ، ما يوحي بأن العراق يعامل حكومة الكويت على أنها غير شرعية) . (القادة بوب دودوورد . ترجمة برهوم ص ١٥٣) .

وهو الأساس الكلامي الذي كان يمكن أن يتوقعه من صدام قبل الأقدام على

هذا النوع من العمل المثير ، وكان سكاو كروفت يردد بأن هناك علامات أمام غزو صدام لجارته ، ولكنها لم تكن تؤكد على احتمال عملية بمثل هذا الاتساع !..

والحقيقة ، فإن ادعاءات الادارة الامريكية بعدم معرفتها بغزو عراقي وشيك ، ستظل محل شبهة ، إذ لا يمكن ، بعد أن وضع العراق وجيرانه تحت المراقبة منذ العام ١٩٨٧ ، ثم تحت مراقبة أكثر فعالية ــ مرور القمر الصناعي K.H 11 بمعدل مرة كل ساعتين ماسحاً العراق والمنطقة المجاورة ، اعتباراً من بداية شهر تموز أي قبل ثلاثين يوماً من وقوع الاجتياح ، بحيث لا يمكن تصديق هذه الروايات .. فالأساس الكلامي لصدام لا يمكن بالنسبة لرجل مثل سكاوكروفت ــ برتبة جنرال قديم ورئيس مجلس الأمن القومي ــ أن يكون هو المرجع لتقدير أمريكي نهائيٍّ بخصوص الاجتياح ... من جهة أخرى ، فإن بات لانغ صاحب الاختصاص الأول في تحليل صور الأقمار الصناعية في وكالة الاستخبارات الدفاعية ، كان قد اقترح في حلقة دراسية استخبارية ، (راند كوربوريشين) على المشاركين ، وجوب اخطار بوش بالحالة الخطيرة ، وهي التي تشبه السكون قبل الاعصار ، وكان يخطر للحلقة أن تنصح بوش بضرورة اصدار تحذير مسبق للعراق ، لكنها عادت وتراجعت حيث اعتبرت أنه ليس من مهمة ضباط الاستخبارات توجيه توصيات سياسية !..

وبالفعل فقد قدّم كولن باول رئيس الأركان ، فكرة التحذير المسبق الى وزير الدفاع شيني ، وقام شيني ، بنقل الفكرة لبوش . وسرعان مارد الرئيس :

ــ أنا لا أحبذ اصدار التحذيرات !..

واستغرب باول رفض فكرته لأنها لم تكن تكلّف شيئاً ، بل على العكس ، فلعّل هذه الفكرة كان بمقدورها أن توفر أشياء ، أو أنها تفرض على الجميع إعادة الحسابات من جديد ..

عاد سكاوكروفت على جناح السرعة إلى البيت الأبيض ، وأعلم بوش بالاجتياح العراقي للكويت ، وكان رد بوش أنه يريد أن يقوم بشيء فوري ، ثم دعا إلى اجتماع طارىء في غرفة العمليات المأمونة .. تمت صياغة بيان عام ، وعرضه سكاو كروفت على بوش ليتم التصديق عليه ، وصدر في المساء ، بيان

أمريكي يشجب الغزو ويدعو الى انسحاب جميع القوات العراقية فوراً ودون شروط .

بعد ذلك عكف المستشارون القانونيون على دراسة مسألة تجميد الممتلكات الكويتية في العالم (وكانت زهاء ١٥٠ مليار دولار) ثم صيغت خطة ثانية تقضي بتجميد الموجودات العراقية في الولايات المتحدة ، وقد وصفت كلتا الخطتين بأنهما ــ حتى الآن كما قال سكاو كروفت ــ أوامر تنفيذية طارئة حتى يوقع بوش على سريان مفعولها .

وقبل منتصف الليل بقليل ، صدرت من مكتب الرئيس بوش مجموعة قرارات :

١ ــ بيان بإدانة الغزو العراقي للكويت ، وهو بيان باسم الرئيس نفسه ، وقد طالب بالانسحاب دون شروط ، ولا يقبل الرئيس بوش بأقل من الانسحاب غير المشروط .

٢ ــ قرار بارسال اسراب من الطائرات التكتيكية المقاتلة من نوع (ف ١٥) . وقد سرب البنتاغون انها عبارة عن ٢٤ طائرة ليس اكثر !..

٣ ــ قرار بتجميد الأموال والممتلكات الكويتية والعراقية في جميع البنوك .

وفي غضون دقائق تم ايقاظ معظم الشخصيات المالية الكبيرة في العالم ، فقد تم الاتصال بجميع مديري المصارف العالمية الكبرى وشرحت لهم أطقم البيت الأبيض بأقتضاب موضوع (وضع اليد العراقية) على الممتلكات الكويتية في العالم ... وبعد قليل أعلنت فرنسا التزامها بالتجميد ولحقتها بريطانيا على الفور وتم تكرار اذاعة البيان الأمريكي بخصوص التجميد من قبل معظم وكالات الأنباء العالمية .

٤ ــ قرار بتوقيع الرئيس بوش يقضي بتشكيل خلية أزمة وقد ضمت الخلية ممثلين عن الدفاع والمخابرات والخارجية والمالية والقضاء الامريكي ... ومهمتها متابعة تطورات الأزمة .

٥ ــ قرار بتوقيع بوش ، يقضي بتشكيل لجنة دائمة للطوارىء تحت رئاسة

مستشار الأمن القومي برنت سكاوكروفت ومهمتها تقييم وتحليل الاوضاوع مع تقديم الاقتراحات المناسبة للرئيس .

ثم أخذت لجنة النواب في البيت الأبيض ، تبحث عن وسائل من أجل اتخاذ اجراءات أشد (من المعروف أن اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة له مركز الثقل في هذه اللجان) . وعندما سئل سكاوكروفت عن المظهر النهائي لجدية الموقف تجاه القوات العراقية البرية في الكويت ، أجاب :

ــ لا . ليس هناك خطط الآن بخصوص خطط برية أمريكية ، نريد شيئاً يمكن تحريكه بسرعة أكبر .. ولا يكون تواجداً مرئياً .

واقترح سرباً من مقاتلات سلاح الجو من طراز (إف ١٥) حوالي ٢٤ طائرة يمكن أن تقبلها السعودية مبدئياً .

ووافق الآخرون على الاقتراح (ممثل عن الخارجية ، وثانٍ عن البنتاغون وثالث عن سي آي ايه) .

عند الساعة الثانية صباحاً . كان باول يتصل مع كيلي في غرفة الأوضاع المتأزمة ، ويطلب اليه استدعاء شوارزكوف من فلوريدا ، لأن هناك اجتماعاً لمجلس الأمن القومي سيعقد في الصباح (في مكتبي الساعة السابعة تماماً . قال باول) .. أمسك كيلي على الفور بسماعة هاتفه المأمون بدأ الكلام :

ــ سيدي ، توم كيلي معك . لقد اتصل رئيس هيئة الأركان وقال إنه يريدك في مكتبه الساعة السابعة صباحاً .

وصمت شوارزكوف (إذ كانت الساعة قد جاوزت الثانية بعد منتصف الليل) .

وعاد كيلي يؤكد :

ــ نعم سيدي هذا الصباح .

وظل شوارزكوف مُصرّاً على الصمت .

قال كيلي مؤكداً للمرة الثالثة :

ــ نعم خلال أربع ساعات ونصف الساعة سيدي .

وسارع شوارزكوف لإغلاق الهاتف بضربة عصبية ، سمعها كيلي على الخط الآخر .

على الطرف الآخر من المحيط الهادي ، كانت اليابان الدولة العظمى صناعياً ومالياً ، الأولى التي عرفت بتفاصيل الاجتياح ، كانت الولايات المتحدة تندس في فراش النوم ، وكانت أوروبا في عز نومها ، بينما كان المضاربون اليابانيون يتابعون تطور الأحداث ساعة بساعة ، (٨٠٪ من نفط اليابان من الخليج) ، ومع تواتر الأوضاع في المنطقة ، تصاعدت أسعار النفط كلهب الحريق عبر أسواق الشرق الأقصى ، وقد ساد الهلع أسواق باقي عواصم العالم المذهولة ، نيويورك ولندن وزوريخ وفرانكفورت وباريس ، وهاهو برميل النفط يرتفع سعره من ١٦ دولاراً في تموز الى ٣٠ دولاراً بعد عملية الاجتياح ، وهو لن يهبط بعد ذلك ، الا عند الاعلان عن الحوار الأمريكي ـ العراقي في الثلاثين من شهر تشرين الثاني في مدينة جنيف .

وقد علق باتريك تايلر يومها في الهيرالد تريبيون ٣ آب ما معناه : (إن القرار الذي اتخذه العراق باجتياح الكويت ، جاء على خلفيات عديدة سبقته ، فمن واقع الديون الخارجية ، الى واقع الانهاك الاقتصادي ، الى مشكلات الحدود ، الى منفذ الشط .. لكن أكثر هذه الخلفيات سوءاً ، كانت صورة الاحباط العام المريع ، أمام تعاون عربي حقيقي ، كان بمقدوره أن يحل المشكلة) .

★

في بغداد كان صدام حسين قد سهر ليلته مع كبار ضباطه ، في المقر العام لقيادة الجيش والقوات المسلحة ، وهو مقر تحت الأرض ، تم تحصينه وتمويهه منذ السنة الأخيرة للحرب الايرانية ـ العراقية وظل يتابع باللاسلكي تقدم القوات العراقية داخل الكويت ، وقد تبلغ في الساعة السادسة والنصف صباحاً بتوقيت بغداد ، أن عملية الاجتياح قد تمت بنجاح ، وأن القوات تسيطر عملياً على مجمل المناطق الكويتية ، وهي تقوم بتنظيف بعض جيوب المقاومة في العاصمة ، وقد أصدر صدام أوامر بإجراء عمليات تفتيش دقيقة وسريعة لقصور الأمير وولي العهد ، ومباني الخارجية والدفاع والداخلية وأبنية المخابرات بجميع أنواعها ..

وكانت التعليمات تقضي بارسال كل شيء الى بغداد كي يفحص هناك بعناية بعد الفحوص الأولى على الطبيعة .

وفي نفس الوقت الذي ظل صدام فيه ، يراقب آخر التطورات العسكرية من مقره الحصين ، كان الملك فهد ، يحاول جاهداً الاتصال به ، فقد علم الملك ، بعد أن تم ايقاظه في وقت مبكر جداً . من سفيره في الكويت عبد العزيز السديري ، بدخول القوات العراقية الأراضي الكويتية ، وكان ما زال في هذا الوقت المبكر ، غير قادر على تجميع أفكاره ، فظن للوهلة الأولى أن العراقيين قد احتلوا الجزر البحرية وحقول النفط الحدودية المتنازع عليها ، وحاول أن يحصل على جواب أكيد من سفيره ، فرد قائلاً :

ــ جلالة الملك ، إن المعلومات حتى الآن تقول (إن القوات العراقية تزحف باتجاه الكويت وقد أصبحت قريبة من المدينة) وعند هذه اللحظة ، طلب الملك أن يتم ايصاله مع الرئيس العراقي ، وجاءه الجواب على عجل :

ــ معكم مكتب الرئيس العراقي جلالة الملك ، لكن الرئيس نفسه غير موجود .

ــ قل لهم أن يحولوني إليه .

كان على الطرف الآخر ، السيد أحمد حسين خضير أحد مستشاري الرئيس العراقي (والذي سيصبح وزيراً للخارجية بعد طارق عزيز) .

ــ طال عمرك جلالة الملك ، الرئيس بعيد من هنا ، سوف أبلغه عن مكالمة جلالتكم بأسرع ما يمكنني سيدي .

وراح الملك فهد ، الذي لم يعد يطيق الأنتظار ، يتصل بالملك حسين ، موقظاً إياه من نومه :

ــ هل سمعت .. هل سمعت .

وكان الصوت مشوشاً بسبب الانفعال الذي أصاب الملك السعودي ، وسرعان ما تبين الملك الأردني صاحب الصوت على الخط الآخر فقال :

ــ سمعت ماذا يا جلالة الملك .

ــ اجتاح العراقيون الكويت وباتوا على مقربة من المدينة ، إتصلوا بصدام ودعوه يسحب قواته قبل أن تتفاقم المشكلة .

ــ هل سمحتم جلالة الملك بفرصة حتى استوعب وأتوازن .

ــ إفهم من صدام ما هي الحكاية .. نحن لا نريد مشاكل .

ــ أنا أعتقد بأنها عملية محدودة ، ويمكن علاجها ، سأتصل بالأخ صدام ، وأعود اليك في غضون دقائق .

وراح الملك حسين يحاول الاتصال مع بغداد :

ــ آسف ياجلالة الملك ، فالرئيس ما زال بعيداً من هنا ، وقد رأيت أن أتلقى مكالمتكم سيدي ، أنا طارق عزيز .

وسأله الملك عما يجري على الحدود مع الكويت :

ــ الكل حزين يا سيدي ، إذ لم يبق سبيل آخر .

وفهم الملك حسين ، أنها ليست عملية محدودة كما قدّر للوهلة الأولى .

صباح ٢ آب ، كانت القاهرة تعج بنشاط مكثف ، فقد كان موعد العاصمة المصرية مع اجتماع كبير لوزراء خارجية الدول الاسلامية ، حيث يحدث ذلك للمرة الأولى بعد عودة مصر الى جامعة الدول العربية .

كانت أخبار الاجتياح ما زالت ضعيفة ومشوشة ، وما إن دارت الحياة في أوصال القاهرة (تقريباً الساعة الثامنة والنصف صباحاً) حتى كانت شبكات الوكالات العالمية للأنباء ، التي راحت وسائل الاعلام المحلية العربية تنقل عنها ، تذيع كل التفاصيل عن أخبار الاجتياح ، ومعارك المقاومة (فيما يؤكد أحد الصحفيين الغربيين الذي تواجد مصادفة هناك ، بأن المقاومة الكويتية ، لم تصمد سوى ساعات قليلة ، حيث بات كل شيء في قبضة الجيش العراقي) كما راحت الأخبار تتناقل قصة الأمير واختفائه في عتمة الليلة الحالكة ..

في الساعة العاشرة صباحاً ، كان موعد القاهرة مع الاجتماع الطارىء لوزراء الخارجية العرب ، وكان الدور لفلسطين في رئاسة الجلسة .

ومن الصعب الحديث عن قرارات يمكن أن تجد طريقها الى التحقق في مثل هذه الحالة ، فحتى الملوك والرؤساء الذين أخذوا على حين غرة ، لم يكن لهم مواقف غير التكهنات بعد ، فكيف بوزراء خارجياتهم ، زد على ذلك أن وزير الخارجية العراقي ، لم يكن مشاركاً في الاجتماعات وإنما كان يمثله أحد وكلاء الوزارة وبصحبته سفير العراق في القاهرة السيد نبيل التكريتي .. وكان من المستحيل معرفة ماذا يكون الموقف في الجلسة الطارئة ، حيث أكد السفير العراقي بأن حضور الوفد العراقي أصلاً ، كان من باب الود والأخوة ، وليس حضوراً رسمياً ..

وتأجل الاجتماع الى السادسة مساءً ، بعد أن عرف الجميع بأن وفداً عراقياً رسمياً برئاسة السيد سعدون حمادي سيكون في القاهرة عند الساعة السابعة مساءً لشرح الموقف العراقي الرسمي ، كما تناهت الى الاسماع معلومات تشير الى لقاءات وشيكة بين الملوك والرؤساء العرب لبحث الموقف .

★

في واشنطن كان الاجتماع الماراثوني الذي استمر طيلة الليل ، دون انقطاع في غرفة الأوضاع المتأزمة قد قرر اتخاذ مبادرة أخرى ، غير قرار تجميد الممتلكات الكويتية والعراقية ، وإدانة الغزو وشرط الانسحاب دون شرط ...

لم يكن قد جرى بعد طرح الخيار العسكري ، ولو أن الجميع قد فكر فيه للحظات طويلة ، وكانت الخيارات الدبلوماسية هي التي تأخذ طريقها الى العلن (والاعلان) ، وهكذا بدأت الأوساط الأمريكية ـــ بعد استشارة أمير الكويت الذي بات في جدة الآن ـــ في التحضير لدعوة مجلس الأمن الدولي لجلسة طارئة .. وسوف تضمن الولايات المتحدة من الآن فصاعداً أكثر من أربعة عشر قراراً متوالياً كقصف الرعد ضد العراق ، مع ضمان أصوات أصحاب الفيتو السابقين ، أي الاتحاد السوفيتي والصين ، هذا فضلاً عن بريطانيا التي كانت على درجة من الحماسة لضرب العراق أكثر من الولايات المتحدة نفسها ، وكذلك صوت فرنسا الحائرة .

وفي مانهاتن وفي ساعة متقدمة من الليل ، شهد الشارع المؤدي الى مقر الأمم المتحدة تدفقاً غير مألوف من السيارات السوداء ، فقد هرع سفراء ومندوبو الدول المختلفة الى المبنى الزجاجي القائم على ضفاف الهدسون ، ليعقدوا اجتماعاً طارئاً انتهى عند الخامسة صباحاً باصدار قرار هو القرار رقم ٦٦٠ ، وهو القرار الأول في أزمة الخليج ، والذي سيكون فاتحة عهد جديد في عالم المنظمة الدولية ، سواء من ناحية سرعة الاستجابة للرغبة الأمريكية في انعقاد الجلسات في توقيتاتها الصادرة عن البيت الأبيض ، أو من ناحية انجرار المجتمع الدولي للموافقة على القرارات التي كانت تصاغ بأقلام أمريكية وبفواصل زمنية لم تشهدها الأمم المتحدة منذ تأسيسها . كانت اليمن الدولة الوحيدة التي رفضت التصويت على القرار ..

وكان القرار لا يحمل في حد ذاته ، أكثر مما تحمله القرارات التي ما فتئت تصدر عن خليّة الأزمة الامريكية في البيت الأبيض .

لقد دعا القرار الى انسحاب عاجل وغير مشروط من الكويت واعادة الوضع الى ما كان عليه ، وأشار القرار في نصه طبقاً للفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة والذي يقضي بتطبيق العقوبات ضد الدولة المعتدية ، كما ينص في حال فشل العقوبات ، على حق فرض حصار أو غيره من إجراءات مماثلة عبر الجو والبحر والبر على الدولة المعتدية من قِبل قوات تابعة للدول الأعضاء في مجلس الأمن .

وهكذا تم التلويح بالسيف .. قبل أن يدعو المجلس الى وجوب حل النزاعات بين البلدين بالطرق السلمية ، وعن طريق الجامعة العربية .

★

في واشنطن كان برنت سكاوكروفت وريتشارد هيس وكل من شارك في الاجتماع الليلي الطويل ، الذي استمر حتى الساعة الخامسة صباحاً ، ينفضون عن أنفسهم عناء السهر، إذ لم يكن قد بقي أمامهم للاجتماع الصباحي مع الرئيس أكثر من ثلاث ساعات ، حيث من المقرر أن يكون الاجتماع تمام الساعة الثامنة في البيت الأبيض .

وعلى الصفحة البيضاء في سيبريا ، كان بيكر وشيفر نادزة ينهيان آخر جلساتهما ، فيما اتجه الأول الى منغوليا ، وعاد الثاني مع دنيس روس (مساعد بيكر الى موسكو ..

وفي غضون ساعة كانت طائرة شيفر نادزة تحط في مطار موسكو ، قادمة من ايركوتسك ، وكان ما زال غير عالم بأخبار الاجتياح ــ فيما راح الخط المرمز في طائرة بيكر المتجهة الى منغوليا ، ينقل بالتفصيل أنباء الاجتياح العراقي للكويت ولشدمّا كانت دهشة الوزير السوفيتي ــ الذي شعر بالخيبة ــ حين سأله أحد الصحفيين الغربيين في مطار موسكو عن رأيه بالاجتياح . فكان جواب نادزة :

ــ أي اجتياح ؟!

ورد الصحفي .

ــ ولكن . يا الهي ، اجتياح العراق للكويت ..

وامتقع وجه الوزير السوفيتي لجهله بأخطر ما يدور في العالم من أحداث ، فصرخ غاضباً بأحد معاونية :

ــ اذهب واستعلم بسرعة عما يحدث ...

أما روس معاون وزير الخارجية الأميركي ، الذي فضّل البقاء في موسكو مع شيفر نادزة ، فقد سارع للاتصال بجيمس بيكر يسأله عن رأيه في اصدار بيان مشترك سوفيتي ــ امريكي ضد العراق .. واستحسن بيكر الاقتراح ــ ولكنه طلب الى روس التمهل ريثما يحصل على موافقة الرئيس بوش ، وكان بوش أشد اغتباطاً للاقتراح الذي سيسجل بدء علاقة جديدة مع السوفييت بعد انتهاء عالم الحرب الباردة . واتصل بيكر مجدداً بروس في موسكو :

ــ جهّز نص البيان المشترك بنفسك ، واحرص على أن يكون جيداً وقوياً ..

بدأ روس بطرح الفكرة على تاراسنكو وهو مستشار وزير الخارجية السوفيتي آنذاك ، وهو رجل يلم إلماماً جيداً بشؤون المنطقة العربية منذ تاريخ طويل ، وقد أظهر الرجل تردده ازاء الاقتراح الأمريكي ، الذي اعتبره بداية التخلّي عن الحلفاء

السابقين ، ولكنه راح يمط شفتيه قائلاً :

ـــ لا رأي لي ، سأستشير الوزير .

ثم عاد تراسنكو وعلامات الأسى تشوه وجهه :

لقد وافق الوزير

ورد روس :

ـــ حسن جداً .. دعنا نصدر بياناً حازماً ، فبيكر سيأتي خصيصاً الى موسكو لقراءاته مع نظيره السوفيتي .

★

في تونس هرع أبو أياد بعد سماعه أنباء الاجتياح بواسطة الهاتف من أحد أقربائه في الكويت ، الى مكتب عرفات الذي ظل ساهراً حتى وقت متأخر من الليل ، وفوجيء بأن عرفات كان قد استلم هاتفاً مماثلاً قبل قليل ، ولم تدم الحيرة طويلاً ، فقد قرر الرجلان الطواف في جولة على عدة عواصم عربية في نهار اليوم نفسه ..

كان الملك حسين في نهار ٢ آب نفسه ، قد قرر القيام بجولة خاطفة الى مصر ، والتقى الرئيس المصري في مدينة الاسكندرية ، كانت محصلة النقاش تصب في ضرورة الاسراع بحل المشكلة عربياً ، وقد تمنى الرئيس المصري أن يقوم الملك حسين بزيارة عاجلة الى بغداد للالتقاء مع الرئيس العراقي تمهيداً للقاء قمة يحضره المتنازعون قبل كل شيء ، ثم قام الرئيسان المصري والأردني بتلّقي مكالمة هاتفية من الرئيس الأمريكي الذي طبقاً لرواية الملك حسين لهيكل (أوهام القوة والنصر ص ٣٨١) .

دارت على النحو التالي : (كانت المكالمة من طائرة بوش الخاصة وهو متوجه الى مدينة أسبن في كولارادو) .

ـــ بوش :

ـــ إن غزو الكويت عمل من أعمال العدوان لا يمكن أن تقبله الولايات المتحدة ، وقد أصدرت بياناً بالموقف الرسمي للولايات المتحدة .

الملك حسين :

ـــ لقد أطلعتُ عليه .

بوش :

ـــ أنا عند موقفي ، صدام يتحدى الولايات المتحدة ، وقد قبلتُ التحدي .

الملك حسين :

ـــ أرجو منحنا فرصة لتسوية الأزمة .

بوش :

ـــ الغزو العراقي تهديد مباشر لأمن أمريكا ، الكونغرس والرأي العام ووسائل الاعلام كلها تطالبني برد عسكري وليس بقرارات إدانة ..

ـــ وراح بوش منفعلاً يتابع كلامه :

ـــ إن موقف العالم العربي يدهشني ، فأنا لم أسمع ادانات صريحة ضد العدوان العراقي ، وقد فهمت بأن وزراء الخارجية العرب ما زالوا يتكلمون !...

ـــ سيادة الرئيس سنقوم ...

بوش :

ـــ حتى السعودية لم تتقدم بطلب مساعدة ، تسلّمنا طلباً من الكويت بعد الغزو ، ولم نتسلم شيئاً من السعودية .

ثم تابع بوش وكأنه لا يريد لغيره أن يتكلم :

ـــ الولايات المتحدة مع ذلك ، ستتصرف وحدها ، ولن تنسق مع غيرها إذا كان هذا الغير لا يريد التنسيق ...

ورد الملك حسين :

ـــ ألا تريد أن تعطينا فرصة ساعات .. قد نستطيع خلالها عمل شيء .

وكان بوش ما زال مصراً على أنه لا فائدة ترجى ..

عاد الملك حسين ليؤكد من جديد :

ـــ أعطني ٤٨ ساعة ، ٤٨ ساعة لا أكثر ..

*

مؤتمر قمة مصغر في جدة :

راح الرئيس المصري يناقش مع الملك الأردني في الاسكندرية ، كافة الخيارات

الممكنة ، وكان آخر ما تم الاتفاق عليه ، هو أن تؤجل الجامعة العربية اصدار قرارها بخصوص الاجتياح ، ريثما تتم زيارة الملك حسين الى بغداد ، للوقوف على رأي العراق فيما يتعلق بنقطتين :

الأولى : التزام عراقي بالانسحاب من الكويت بالسرعة الممكنة .

الثانية : رأي العراق باقتراح عقد قمة مصغرة في جدة .

وقد أيد الرئيس المصري سير الوساطة الجديدة بحماسة بالغة فأمر بوضع طائرته الخاصة من طراز (G4.) تحت تصرف وزير الخارجية الأردني لنقله من الاسكندرية الى القاهرة ، للتداول مع وزير الخارجية المصري ، خلال اجتماع وزراء الخارجية العرب ، وذلك بهدف تهدئة وزراء خارجية دول الخليج ، الذين راحوا يلحّون بالاسراع في اصدار قرار بإدانة العراق .

كان الجو المشحون حتى درجة الغضب ، لا يسمح بصب الزيت على النار ، أو بمزيد من الحروب الكلامية التي من شأنها أن تزيد الوضع تعقيداً ، فقد حرص الملك حسين ، كرجل ذي خبرة مديدة ، منذ البداية على تهدئة جميع الانفعالات وحبسها في قمقم الحكمة خوفاً من خروجها الى ساحة التراشق والتصلّب .. وكان يعلم بأن الانفعالات لن تخدم أكثر من تأزيم الموقف وتصعيده ، وان الشروط والانذارات لن تمنح العراقيين إلا شحنات إضافية للتوتر والعناد ، وكان من الطبيعي أن الملك حسين لن يقبل بمهمة يلعب فيها دور الناقل ، خاصة وأن الرئيس مبارك ليس الطرف الآخر في الأزمة إلا إذا أراد أن يضع نفسه في هذا الموقع منذ البداية ، وأن الطرف لا يمكن أن يكون وسيطاً ناجحاً ، وبالعكس تماماً ، فالملك حسين بحكم صلاته الممتازة مع القيادة العراقية ، وصلته الشخصية الحميمة بالرئيس صدام ، كان قادراً على نزع الفتيل المتفجر منذ البداية ، لو أتيح للرجل أن يلعب دوره ، (كان بوش يخشى أن يؤثر الملك حسين على الملك فهد ، ويجعله يقبل بحلول مرضية) (هيكل أوهام القوة والنصر ص ٤٠٢) (كان بوش مندهشاً من العالم العربي الذي لم يصدر إدانة صريحة للعراق) (المصدر السابق ص ٣٨٢) وتقول الرواية المصرية ، أنه خلال اجتماع الاسكندرية ، فقد هاتَفَ

الرئيس المصري في الساعة السادسة والنصف مساءً الرئيس العراقي ، وأن الرئيس مبارك قد اتفق مع الملك حسين على عقد قمة مصغرة على أساس نقطتين يشرحهما لك الملك عند زيارته بغداد .

وتقول الرواية الأردنية أن الملك تابع حديث الرئيس المصري مع صدام ولم يفهم أن هاتين النقطتين بمثابة أسس أوشروط .. لقد اتفقنا أن استوضح — والكلام للملك حسين — موقف القيادة العراقية من اقتراحين :

الأول : التزام عراقي بالانسحاب من الكويت بالسرعة الممكنة .

الثاني : موافقة العراق على حضور قمة مصغرة في جدة لبحث وتسوية جميع أوجه النزاع العراقي — الكويتي (الكتاب الأبيض ص ٦) .

★

في واشنطن (٢ آب فيما الخليج ٣ آب) انعقد الأجتماع الصباحي في الساعة الثامنة في غرفة (الأوضاع المتأزمة) . وكان في انتظار الرئيس الأمريكي هناك ، تشيني وزير الدفاع وواتكنز وزير الطاقة ومساعد وزير الخارجية روبرت كيميت ورئيس الأركان باول ، وقائد القوات المركزية نورمان شوارزكوف ووزير الخزانة ريتشارد ديرمان ومدير المخابرات المركزية ويليام وبستر ، ووزير المالية نيكولا برادي ، والنائب العام (أي وزير العدل) تورنبرغ — والسكرتير العام للبيت الأبيض جون سنونو (من أصل لبناني) ، وكان مقعد نائب الرئيس دان كويل على الجانب الأيمن من مقعد الرئيس نفسه ..

ثم دخل الجنرال برنت سكاوكروفت ومساعده ريتشارد هيس ، قبيل دخول الرئيس بدقائق ، وهكذا اكتملت حلقة الادارة الأمريكية بكل أركانها الأساسيين ، بإستثناء بيكر الذي كان في ذلك الوقت يحضّر الأجواء في موسكو لضربة دبلوماسية مشتركة ضد العراق .

وقد سُمح للصحفيين المعتمدين في البيت الأبيض بالدخول لوقت قصير ثم أعلن بوش أول تصريح علني حول الأزمة :

ــ اسمحوا لي أن اقول لكم أن الولايات المتحدة تدين بشدة هذا الغزو ، وتدعو لانسحاب غير مشروط ، لا مكان لهذا العدوان الوحشي في العالم اليوم .

واغلقت الأبواب بعد تصريح بوش العلني ، فقد بدأت الجلسة السرّية التي ستدوم ساعة من الزمن .

وتقول المصادر الغربية . أن الادارة وجدت نفسها في مواجهة خيار ذي منحى استراتيجي ، فتدخل عسكري في الخليج كان قد وضع منذ عشر سنوات ، بعد سقوط الشاه ، وتم تعديله بما يتلاءم مع الاحتمالات التي تطرح نفسها باستمرار ، فقد أنشأ كارتر قوة تدخل سريع مهمتها الأساسية حماية مناطق النفط الخليجية ، وقد سبق لنا أن أشرنا الى الخطة السرية ذات الرقم ١٠٠٢ / ٩٠ والتي كانت خطوطها الرئيسية تفترض مواجهة مع الاتحاد السوفيتي ، في حال إرسال قواته الى منابع النفط ، وهاهو ــ اتحاد سوفيتي صغير ــ يفاجيء الخطة بخسران الكويت واجتياح العراق له . وعندما سأل بوش عن أقرب خيار عسكري يمكن اللجوء اليه أجاب جون سنونو ــ علماً بأنه ليس في أطقم العسكريين وهو رجل ذو مظهر غامض وشخصية شرهة للقسوة :

ــ أقترح ارسال طائرات ب ٢ لقصف العراق .

كانت هذه الطائرات في الطور الأخير من تجاربها المكلفة ، وهي أحدث ما تمتلك الترسانة الجوية الأمريكية من طائرات فتاكة .. وارتبك شيني وزير الدفاع فقال :

ــ سيدي الرئيس ، أمتلك طائرة واحدة فقط من هذا الطراز ، لم تختبر الطائرات الأخرى بما فيه الكفاية كي نعتبر بأنها جاهزة وتدخل كولن باول بعد وزير الدفاع قائلاً :

ــ لا أوافق على عمليات انتقائية أو تطوعية ــ فالعمليات يجب أن تكون شاملة أو لا تكون .

وكان ذلك اختصاراً لكل اقتراح يرمي الى زج سريع لأي صنف من صنوف الاسلحة بمفرده .. واستطرد باول :

ــ حتى في حال الشروع بإرسال القوات البرية (الفرقة ٨٢ المحمولة جواً) فإن ميزان القوى يبقى لغير صالحنا بشكل جلي ..

فهناك مليون رجل وخمسة آلاف دبابة ومثلها من المدافع القوية ، هذا فضلاً عن صواريخ بدائية ولكنها مزعجة .. وتابع باول :

ــ لا نملك جيشاً في المنطقة ، وليس أمامنا خيار عسكري سريع ومرضٍ .

كانت الساعة تشير الى التاسعة ، حين طلب بوش أن تقدم له كل الخيارات العسكرية الممكنة في اليوم التالي .. وبعدها جرى نقاش حول سفر شيني الى السعودية لحثها على طلب المساعدة الأمريكية .. في التاسعة والربع غادر بوش الاجتماع الى المكتب البيضاوي ، وراجع هناك بعض الملفات المتعلقة بحلقة أسبن (كولواردو) حيث الحلقة مخصصة لمسائل الدفاع ، وكانت طائرة البوينغ الرئاسية (إيرفورس ١) تقلع الى مدينة اسبن ، حين خطر للرئيس الامريكي اجراء مكالمة من الجو (١٠ آلاف متر) مع الرئيس المصري ، الذي كان ما زال يُقلّب احتمالات الموقف مع الملك حسين في الاسكندرية .

★

وقبل مغادرته عمّان ، حاول الملك حسين ، دون جدوى ، أن يتصل بالملك فهد ، وكلف الحسين وزير خارجيته مروان القاسم بأخذ موعد مع ملك السعودية ، وبعد محاولات وانتظار جاء الجواب :

ــ السعودية لا تريد أن تستقبل أحداً ..

قبل هذا الوقت ، أقلعت طائرتان عراقيتان كلٌ باتجاه ، ففي حين حطّت واحدة في مطار القاهرة (تقل وفداً برئاسة سعدون حمادي لشرح وجهة النظر العراقية لوزراء الخارجية العرب في القاهرة) .

كانت الطائرة الثانية تحط في جدة وتقل وفداً برئاسة عزة ابراهيم ، فيما راح الرجل يشرح للملك فهد ، دوافع العراق وما الذي حصل في لقاء جدة الأخير

مع الشيخ سعد العبد الله ، ولوحة كاملة عن التعنت الكويتي بخصوص الحدود والديون والأسعار ..

كان الملك مندهشاً من الطريقة الانفعالية التي راح عزة ابراهيم يصف فيها الموقف ، (يريدون خنق العراق يا جلالة الملك .. إنها مؤامرة محبوكة .. هناك خطة لأماتة الشعب العراقي ..) .

وبهدوئه المعتاد ، راح الملك يسأل :

ــ ولكن الى أين سنسير في النهاية ..

وجاء الرد الصاعق لأول مرة :

ــ يا جلالة الملك .. أرجوك .. هذا جزء من العراق عاد اليه .. ويجيب الملك وقد تبدّت على وجهه أمارات الغضب :

ــ إذن ففيم كنا نتحدث طوال هذه الأشهر ، انتم اعترفتم بالكويت سنة ١٩٦٣ والبارحة كان أميرها عندكم يمثل دولته ..

وما أن انتهى اللقاء العاصف ، حتى كان جرس الهاتف يدق في قصر الملك ، وكان على الخط الآخر ، سفير السعودية في واشنطن الأمير بندر ، الذي راح يسأل بدوره عن التعليمات الجديدة وقد جاءه الرد على جناح السرعة من قبل الملك :

ــ لا بد للجماعة عندك ، أن يكونوا حازمين .

وغاب صوت الأمير قليلاً ثم عاد ليقول :

ــ سمعت من مصدر هنا في البيت الأبيض يؤكد بأن قوة عراقية مدرعة تتقدم باتجاه المنطقة المحايدة (وهي منطقة بين الكويت والسعودية) .

وكان ذلك أول ايحاء من الولايات المتحدة لبندر بأن العراق ربما يجتاز الحدود الى المملكة .. وكان هذا العرض يمهد السبيل لزيارة ناجحة لوزير الدفاع الأمريكي ، الذي راح يؤكد بأن أنتشار القوات الأمريكية في السعودية أمر في منتهى الضرورة وأن (جماعة الكويت لم يبلغّونا طلبهم الرسمي بالمساعدة إلا بعد

دخول القوات العراقية عاصمتهم .. فهل هذا ما تريد المملكة أن تقتفي أثره !..) .

وكان رد الملك فهد على بندر :

ــ انتظر لنرى كيف ستسير الأمور .

ومن القاهرة ، كان الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية ، على اتصال مع الملك فهد ، يسأله عن التعليمات التي سيتصرف بمقتضاها ، ولكن الملك فهد بدلاً من الأجابة راح يسأل :

ــ ما أخبار الأخوان عندك .

الأمير سعود :

ــ الكل في حالة ذهول .

الملك فهد :

ــ خير إن شاء الله .

كان الملك بطريقته يحاول أن يقف على جواب ظل يؤرقه طوال اندلاع الأزمة بعد الاجتياح وهي (هل يوجد شركاء مع العراق ، ايران .. المنظمة .. الأردن .. اليمن) ولما جاء رد الأمير سعود مطمئناً من هذه الناحية ، عاد الملك ليؤكد له :

ــ عليكم بالتنسيق الكامل مع المصريين والسوريين .. أعلم الجميع أن الموقف خطير جداً .. ويمكن معه أن تنفتح أبواب جهنّم . (فالمُلْك عقيمٌ يا بني) وهذا ما كان يردده معاوية أمام ابنه في يوم من أيام التاريخ العربي ، وبالفعل ، فقد قرر الوهابيون المتطورون ، أن يتحدثوا بلغة السيف من جديد ، خاصة بعد أن أطمأنوا الى الوضع الثابت لحلفاء المستقبل الأقوياء ، تماماً كما كان الوهابيون الأوائل ، يعقدون التحالفات مع مختلف القبائل في الجزيرة (عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، الذي كان يمسك بزمام قيادة الاتجاه الوهابي المتزمت) مع تعديل طفيف ، هو أن القبائل صارت دولاً ، وأن الدول نفسها ستأتي من خارج إطار الجزيرة المقدسة ..

عاد بندر للاتصال مع الأمير تركي بن فيصل رئيس المخابرات السعودية ، يؤكد

له من جديد (حيث بدأ بندر يلعب دور فزّاعة السعودية الجديد) :
ـ إن الذي يفطر بالكويت ـ لا بد له أن يتغدى بغيره .

★

بغداد هادئة :

في الثالث من آب حطت طائرة الملك حسين في مطار بغداد ، بعد توقف قصير في مطار (إتش تو) كي يستقل الملك طائرة حربية عراقية ، نظراً لأغلاق الأجواء في سماء العراق والكويت ، وكان في استقبال الملك الرئيس العراقي وعدد من كبار القيادة العراقية ، وعلى الفور اتجه الأثنان الى السيارة الرئاسية التي ستقلهما الى قصر الرئاسة في بغداد ..

جلس الملك الى جانب صدام الذي كان وجهه يتسم بالهدوء ، فيما بدت علامات التعب على وجه الملك حسين .. وقد بادر صدام قائلاً :

ـ في البداية ، لا بد لي أن أشكر الملك حسين على الجهود المضنية التي يقوم بها من أجل صالح هذه الأمة ..

ثم يضيف قائلاً :

ـ لقد نبهّت في السابق ، أنه إذا فشلت المفاوضات ، وهذا ما حدث في جدة ، فإنني سأعتمد وسائل أخرى لحل المشكلة .. لكم علينا يا جلالة الملك حق عرب ، ونفس الحق للرئيس مبارك ، وفي الحقيقة فإنني لم أرغب باخطاركما عما حصل مسبقاً ، كيلا أحرجكما أمام الغرب ، أو أمام الكويتيين .. آثرتُ أن أتحمل المسؤولية بنفسي دون احراج غيري ..

ويتحدث الملك :

ـ استطيع أن أوكد لك يا سيادة الرئيس ، بأن الغرب سيتدخل عسكرياً إنْ لم نسارع نحن العرب الى حل عاجل ..

ويجيب صدام :

ـ أعتقد بأنه لا ينبغي أن ندع الغرب يثير الفزع في قلوبنا .

الملك حسين :

ـ أشك بالتصلب الأمريكي وبجهله أو استخفافه بالعالم العربي ، فإذا ما دخلت على المشكلة عناصر أجنبية لا تملك رؤية وفهماً جيدين .. فإن الأمور ستتفاقم بسرعة ..

ودار حوار طويل ، تمكن الملك حسين بموجبه من التأثير على الرئيس العراقي الذي بدأ يميل الى التجاوب مع تقييم الملك حسين للموقف الخطير الذي سينجم عن الوضع المتفجر ، وراح الملك فيما ارتسمت على وجهه علامات الأسىٰ . يسأل :

ـ هل ستذهب الى القمة المقررة في جدة .

أومأ الرئيس العراقي برأسه :

ـ سوف أذهب .

الملك حسين :

ـ هل ستنسحب من الكويت ؟

أجاب صدام :

ـ سننسحب بعد أسابيع قليلة . فأنت تعلم يا جلالة الملك ، بأن سحب كل هذه القوات سيحتاج الى زمن يكفيه ..

الملك حسين وقد عاودته نبرة التأسي :

ـ يا سيادة الرئيس ليس معنا أسابيع ، ولا حتى أيام .. أمامنا ساعات .. الغرب بدأ يستعد لمنازلة عسكرية .. والجامعة العربية تهدد بقرارات إدانة

الرئيس العراقي :

ـ دعنا لا نفقأ أعيننا بأيدينا فيما يظل الغرب شامتاً بنا ، أنا لا أريد أن أقول لهم ، إن الكويت جزء من العراق !.

الملك حسين :

ـ السعوديون غاضبون جداً لما جرىٰ .

الرئيس العراقي :

ــ لماذا ، ليس لي مشكلة مع إخواننا السعوديين ، فقد وقّعنا معهم معاهدة عدم اعتداء ..

الملك حسين :

ــ ولكن الغرب سيحاول اقناعهم بأنكم ستعتدون عليهم .

وراح الملك يستعيد التاريخ القريب :

في آذار من عام ١٩٦٣ نشرت نيويورك تايمز بقلم أشهر الصحفيين آنذاك واسمه جوزيف إيلسوب ، وكان يستقي معلوماته من وكالة المخابرات المركزية ، أن ناصر يستعد لغزو السعودية من اليمن ، وأن النشاط الذي يقوم به سلاح الطيران المصري على مناطق الحدود السعودية سواءً بالاستطلاع أو بغيره من الوسائل هو نوع من أعمال التمهيد العملي والنفسي للغزو المقبل) وظلت العلاقات المصرية السعودية تتصاعد في التعقيد الى أن وجدوا حلاً لها في الخامس من حزيران ! ولم يكن في نية ناصر غزو السعودية في يوم من الأيام ..

ويقول سالنجر في ملفه السري ص ٩٣ عن اللحظات الفاصلة قبل نهاية الاجتماع : (قدم الرئيس العراقي لضيفه وجه قائد ملىء بالارادة الطيبة وهو مستعد للذهاب الى أقصى المساومات ، لكنه عاد فأبدى ردة فعل قوية ، عندما أثار الملك حسين تهديدات الجامعة العربية بالأدانة والتعنيف) .

كان الملك حسين مع اقتراب اللحظات الأخيرة للقاء ، يشعر بأن تقييمه للموقف يلقى صدىً طيباً لدى الرئيس العراقي ، وكان على يقين بأنه تمكن في هذا اللقاء من قطع ثلثي المسافة على الطريق ، وعندما كان في طائرته عائداً الى عمان ، أدرك بأنه دخل في الثلث الأخير من مهمته الناجحة ، حين تلقت أجهزة الطائرة اللاسلكية إشارة من بغداد تقول :

(الى جلالة الملك حسين . إن مجلس قيادة الثورة وافق على وجهة نظرك في إجتماع عُقد على عجل ، سوف يحضر العراق اجتماع جدة ، وسوف يعلن انسحابه. من الكويت ، لكن هناك موقفاً واحداً سيؤدي الى الاساءة ، وهو أن

يتخذ وزراء الخارجية العرب المجتمعون في القاهرة قراراً مسيئاً أو عنيفاً ضد العراق ــ بغداد . أخوكم صدام) .

وفي سباق مع الزمن ، كان الملك يستحث النفس للوصول الى عمان ، وذلك قبل أن يؤدي مناخ الانفعالات في القاهرة الى اتخاذ قرارات قد تعصف بكل شيء .

ولم يكن الملك حسين جاهلاً بالضغوط الأمريكية الكبيرة ، التي تمارسها دبلوماسية الهاتف الرئاسي في واشنطن ، خاصة على مصر والسعودية . فقد ظل بوش يدفع باتجاه يرمي الى استعجال قرارات الاستنكار والادانة والتعنيف وغيره مما يؤدي الى صدع في الصف العربي ، الذي لم يقل أحد فيه بجواز قبول الاحتلال العراقي للكويت .

كانت موريتانيا واليمن والأردن والسودان ومنظمة التحرير والجزائر وتونس .. يعرفون تماماً (كما يعرف الجميع أيضاً) بأن أول الغيث قطرة ، وأن قرارات التعنيف والادانة ــ إذ لم يمض على الأزمة أكثر من ٢٤ ساعة ــ ستؤدي الى تهديم المسعى العربي ضمن إطاره ، ولا ريب أن العراق المنفعل ساعتئذ سيرد بالمثل وأن خطورة الموقف التي تنطوي عليها سياسة (التصقُّر) بأجنحةٍ أمريكية ، ستثير الريبة في بغداد ، وإن الذهاب في هذه السياسة بعيداً ، ستؤدي في النهاية الى طرد المسعى العربي ، تمهيداً لاستضافة الحل الغربي واغوائه بالمجيء الى المنطقة على طريقته ..

ووقع ما كان في الحسبان . ففيما كان الملك حسين ، يحاول جاهداً الاتصال من برج المراقبة في عمان مع وزير خارجيته في القاهرة ليطلب اليه أن يرجو زملاءه بالتريث في اتخاذ قرارات ريثما تصل تعليمات الملوك والرؤساء الجديدة ، وإذ بوزير الخارجية الأردني السيد مروان القاسم ، يرد على الملكْ بنبرة ملؤها الحسرة :

ــ سيدي جلالة الملك ، لقد أصدر المصريون بياناً منفرداً يدينون فيه غزو العراق للكويت ، كما راح القاسم يتلو نصوصاً من فقرات البيان المصري ، الذي راح يؤجج الوضع ، ولم تكن أية وساطة قد أخذت فرصتها حتى الآن .

وكان رد الملك :

ــ سوف يحطم هذا البيان كل ما بنيناه ..

وانطلق الملك على جناح السرعة ، يطلب الرئيس المصري ولكن دون جدوى ، وتمكن في الساعة الرابعة والنصف من سماع صوت الرئيس مبارك ..

وسيقول الرئيس مبارك بأن الملك حسين في مكالمته الهاتفية معه ، نفى أن يكون العراق قد وعد بالانسحاب من الكويت .. وسيرد الملك بعنف :

ــ لست ساعي بريد كي أمرر المواقف الى الأطراف .. فإذا كانت المسألة مسألة بريد ، فغيري أولى بحمله ..

ويضيف الملك قائلاً :

ــ أبلغته بكل وضوح موقف صدام حسين ، بحيث يمكن أن تؤدي قمة غدٍ المصّغرة الى انسحاب فوري من الكويت . وهذا مضمون بإذن الله .

لم يكن البيان المصري المنفرد بادانة العراق ، قد جاء نتيجة للاستيضاح من الملك عن موقف العراق النهائي ، كما يُراد للرواية المصرية أن توحي به .. فقد كان البيان المذكور قد اتخذ قبل مكالمة الحسين . مبارك الهاتفية ، بدليل أن الملك حسين عندما عاتب الرئيس مبارك على التسرع باصدار البيان رد قائلاً :

(إنني تحت ضغوط كبيرة من قبل وسائل الاعلام ومن قبل شعبي في مصر وإن مخي يكاد يتوقف عن العمل) (الحصاد ــ جون كوولي ص ٣٣٥ ــ ٣٣٦)

ويؤكد كوولي بأن الملك قد رد عليه :

(ــ اذن رد عليّ عندما يعود مخك الى الشغل مرة ثانية) (نفس المصدر الصفحة ٣٣٦) .

لقد تصرفت مصر على هواها (حرية اتخاذ القرار الوطني ظاهرياً) ، دون أن تنتظر حتى موعد اجتماع وزراء الخارجية العرب (البيان المصري صدر في الساعة الرابعة عصراً) الذي كان مقرراً في الساعة السادسة والنصف ، كما انها لم تجد الوقت الكافي للصبر ، ريثما يعود الملك حسين من جولته في بغداد ، للوقوف على آخر المواقف العراقية .

ولم يكن قرار الأدانة المصري المنفرد ، الذي فتح الطريق للتهافت فيما بعد ، ناجماً عن هوىً وطني بالادانة ، ففي نفس اليوم ، الساعة الثامنة صباحاً في

واشنطن (الثالثة في القاهرة) أرسل جون كيلي ــ نائب وزير الخارجية الأمريكي لشؤون الشرق الأوسط ، برقية فورية الى القاهرة (فوري ــ باطلاع وزارة الخارجية المصرية) (حملت من العنف بحيث من غير المحتمل أن يكون كيلي قد قام باطلاع رؤسائه على صيغتها النارية) (سالنجر الملف السري ص ٩٦) وقد كشف سالنجر نص البرقية الأمريكية التي ستنكرها وزارة الخارجية المصرية والتي سيقول كيلي فيها :

(قام الغرب بواجبه كاملاً تجاهكم ، لكن البلدان العربية لم تفعل شيئاً .. باعت الولايات المتحدة كميات كبيرة من الاسلحة الى البلدان العربية ، خاصة الى مصر ، فإذا لم تتحرك هذه البلدان و لم تتخذ موقفاً قاسياً من العراق ، يجب أن تعرف أنها لم يعد بإمكانها أن تعتمد في المستقبل على الولايات المتحدة الأمريكية) (سالنجر . الملف السري ص ٩٦) .

ونفت وزارة الخارجية المصرية ، أن تكون برقية أو اتصالاً هاتفياً قد أرسل الى القاهرة (إلا أن مصدراً مصرياً رفيعاً ، شخصية هي مصدر ثقة حاسمة : صرحت بأنها رأت البرقية بعينها) (المصدر السابق) .

فهل كان ذلك هو الضغط الشعبي الذي تعرض له الرئيس مبارك لأصدار بيانه العاجل ؟.. أم ماذا ؟..

ثم لماذا تتحدث وزارة الخارجية الأمريكية عن معونات الاسلحة المقدمة للدول العربية لا غيرها .. ماذا يعني أن تتحدث الخارجية ــ وليس البنتاغون ــ عن السلاح ، هل من أجل الاحتكام اليه ؟ خاصة وأن بوش قد كرر في مكالماته الهاتفية للملكين فهد وحسين ، بأنه لم ير حتى الآن من البلدان العربية غير الكلام !..

(ــ ليس من الضروري أن تعقد قمة جدة ، إذا لم يكن هناك انسحاب عراقي من الكويت أولاً) وكانت آخر كلمات مبارك للملك حسين .

في عمان كان الملك حسين منهكاً ، يتملكه شعور باليأس ، خاصة وأنه تسلم برقية بمضمون البيان المصري العنيف ، ضد العراق ، وكان رأيه على الفور ، بأن

ما يدور هو عنصر من مؤامرة واسعة نظمتها الولايات المتحدة بمشاركة بعض الأقطار العربية لافشال جهوده ولمنع انعقاد القمة المصغرة في اليوم التالي . وسيبقى الملك حسين وحيداً في قصره لا يستقبل إلا شقيقه الأمير الحسن الذي سيصرح :

(كان على العرب (قالها بلهجة محبطة) أن يظهروا بأنهم قادرون على تسوية هذا النزاع بأنفسهم ، كان يجب ألا نفشل ، فكل شيء ، حتى الأسوأ ، أصبح ممكناً الآن) .

وفي القصر الفارغ ، كان الهاتف لا يرن ، لم يتصل أي قائد عربي بعمان ، وخلال الساعات التي كان يمضيها وحيداً ، راح يشك بكل شيء ، بالجميع ، حتى بنفسه ، وقد فكر الملك مراراً بتقديم استقالته للشعب .. وكان الشعب قد خرج بمظاهرات شعبية هادرة ، تأييداً للملك ولصدام ، ومكث الملك في القصر المهجور ، يسمع الهتافات تشق عنان السماء ، (لماذا لا يجتاح صدام الجميع) (أولئك الذين يرسلون بمليارات دولاراتهم الى أمريكا وبريطانيا ، ويتركون شعبنا عارياً هناك) (لتذهب آبار النفط الى الجحيم) (عاش الملك حسين قائد الأمة الوفي) .. وكان الملك يسمع ويرى من نوافذ قصره المطلة على الجموع الهائجة .. وكانت المظاهرات المؤيدة له بمثابة (انتصار مرير) . وفيما كان الليل يرخي سدوله على التلال المحيطة بعمان ، كان يشعر بحجم التمزقات التي سيدفع العالم العربي ثمنها بعد قليل .

★

بيان صادر من موسكو !..

قبل أن تحط طائرته في أسبن (كولورادو) اتصل بوش بجيمس بيكر الذي كان يستعد لمغادرة منغوليا ، والتوجه الى موسكو ليرى ما الذي فعله دينس روس هناك ، فقد كان التحضير لصياغة بيان مشترك سوفيتي ــ امريكي حول أزمة الخليج ، جارياً على قدم وساق .. وكان بوش هو المتحدث :

ــ جيم ، يجب أن يظهر الاعلان المشترك مستوى عالياً من التعاون بين الاتحاد السوفيتي وبيننا ، والا ليس من المفيد أن تسافر الى موسكو .

في موسكو كان روس يزداد حنقاً مع مضي الوقت ، فمنذ الصباح وروس يحاول اجراء تعديلات على نص البيان المشترك الذي قدمه ترسنكو معاون شيفر نادزة ، والذي وجد روس فيه بياناً غامضاً ومتساهلاً في لهجته الدبلوماسية .

ــ يجب أن تعيدوا كتابته . ينبغي أن يكون أكثر صراحة . وكان روس يتحدث بلهجة غاضبة مع ترسنكو ..

غاب ترسنكو وعاد بعد ثلاث ساعات وهو يحمل صيغة مغايرة .

ألقى روس نظرة سريعة على الصيغة الجديدة وقال :

ــ هذه ليست رسالة جيدة لصدام حسين .. لن يرى أننا متحدّون ومصمّمون .

ويرد ترسنكو :

ــ قد يكون ذلك صحيحاً ، ولكن ثمة خبراء في الوزارة للشؤون العربية ، يعارضون تخلينا عن شريك قديم مثل العراق . ورفض روس الصيغة الجديدة ، وظل الحال كذلك إلى أن عثرا على صيغة مرضية ، وقد لاحظ روس أن الجانب السوفيتي قد شطب كل العبارة المتعلقة (بفرض حصار ضد العراق) .. وعندما سأل روس عن السبب أجاب ترسنكو : ــ هذا غير مهم ، سيناقش وزيركم مع وزيرنا هذه النقطة .. وعند وصول بيكر الى مطار موسكو ، كان شيفر نادزة في انتظاره ، ودون توقف ، شرع بيكر يتحدث :

ــ شيف (اسم الاختصار لشيفر نادزة على الطريقة الأمريكية) يجب أن يكون واضحاً لصدام حسين وللعالم أننا نسير سوية بقوة . ووافق شيف دون حماسة ولكنه استدرك قائلاً :

ــ ومع ذلك ، فلن يقبل الاتحاد السوفيتي بدبلوماسية المدفع . تدخل بيكر من أجل إشاعة الطمأنينة في نفس الرجل :

ــ الولايات المتحدة لن تقوم بعمل دون استشارتكم ، إلا إذا تعرض أمريكيون للخطر هناك ..

طأطأ شيفر نادزه برأسه إلى الأرض وقال :

ــ لا نوافق على عملية عسكرية أمريكية ، وسنعمل على افساح المجال للدبلوماسية الهادئة أن تعمل .

وأذاع الوزيران البيان المشترك ، الذي كان تأكيداً على ما جاء في قرار مجلس الأمن رقم ٦٦٠ الداعي للانسحاب الفوري دون شروط ، وعودة الشرعية الى الكويت ، وحل النزاعات بالطرق السلمية ، ثم أضاف البيان قائلاً :

(اليوم اتخذنا الخطوة غير المعهودة بدعوة الجماعة الدولية ، دعوة مشتركة ، سوفيتية ــ أمريكية ، للانضمام الينا من أجل فرض مهابة دولية مع وقف جميع شحنات الأسلحة إلى العراق) .

*

في الوقت الذي غادر فيه الملك حسين بغداد الى عمان ، كان ياسر عرفات قد وصل الى طرابلس قادماً من تونس ، وكان أبو عمار يخطط للسفر بعد ذلك الى مصر والعراق والسعودية ، محاولاً القيام بدور ما في سبيل حل الأزمة عربياً ، قبل أن تأخذ المبادرات الغربية طريقها إلى المنطقة ، وفي الواقع ، فإنه منذ الثالث من آب ــ بعد يوم واحد من الأزمة ــ بدأت السيطرة على الأزمة ، تنسحب تباعاً من يد العالم العربي ، خاصة بعد أن سجلت مصر سجال الادانة الأول ..

في طرابلس ، وجد أبو عمار ــ العقيد القذافي في حالة من الصخب لما يجري ، وقد بادر عرفات بالقول :

ــ يا أبو عمار ، يجب أن تجد حلاً بأي ثمن ، قبل أن يأتي اليانكي الأمريكي إلى المنطقة .. لقد حضرت خطة من نقطتين :

الأولى : في البدء يجب أن ينسحب العراق حتى المناطق المتنازع عليها ، ثم يعود واحد من العائلة الصبّاحية إلى الكويت ، غير الأمير بالطبع ، وعندها يستطيع استفتاء عاجل أن يقرر مَنْ الذي سيقود الكويت ..

الثانية : الشروع فوراً بحل المشكلات المتأزمة بين العراق والكويت .. ولم يقم أبو عمار بأي تعليق ، بل اكتفى بإشاعة ابتسامته المعتادة التي تنم عن الرضا.... وقال :

ـــ سيادة الرئيس ، أعتقد أن المهمة الرئيسية الآن تكمن في تهدئة المشاعر الفوّارة ، من أجل ذلك ، يجب التوجه مباشرة الى فرقاء المشكلة حتى نقف على حقائق نفسية ، ما الذي يوافقون عليه ومالا ... كل همّنا أن نعمل على الامساك بالأزمة ـــ ولن يتم ذلك إلا بموافقة أطراف المشكلة جميعاً ـــ بعدها يمكن أن يأتي دور الاقتراحات ، المهم ألا يُسلّم أحد المشكلة الى الغرب الآن ..

★

بوش يتعلم من تاتشر :

كان بوش يقلب أوراق ملف خاص عن مسائل الدفاع في البيت الأبيض ، وذلك هو عنوان محاضرة سيلقيها في إسبن ، وتم التحضير لها منذ عدة أشهر ، وفي لحظة من اللحظات ، كاد بوش أن يلغي السفر الى أسبن بسبب مستجدات أزمة الخليج التي أصبحت تشكل بالنسبة له تحدياً خاصاً .. ومنذ وصوله التقى الرئيس الامريكي مارغريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا آنذاك للمرة الأولى ، وقد صافحته بحرارة وقالت وهي تشد على يده :

ـــ يجب أن تعلم يا جورج بأنه لن يتوقف ..

كان القدر يتدخل هذه المرة متخذاً هيئة امرأة اسمها مارغريت تاتشر ، وهي امرأة لا تنتسب الى جنس النساء أو خصال الأمهات في كل المقاييس ، كانت تاتشر في كولورادو لاستلام جائزة من معهد إسبن ، وكان مقرراً أن يلقي بوش خطاباً حول انتهاء الحرب الباردة والخط الذي ستنتهجه ادارته للعمل من أجل تخفيض القوات المسلحة الأمريكية الى الربع ، وقد وجد بوش أن تاتشر كانت مستنفرة ضد العراق بشكل عاصف ، وراحت تصف غزو العراق للكويت وكأنه صورة من غزو الأرجنتين لجزر الفوكلاند عام ١٩٨٢ ، الأمر الذي يتطلب استجابة بطولية ووطنية من قبل الولايات المتحدة ، كما فعلت بريطانيا بالنسبة للجزر .. (أنتم أمة عظمى ولا بد أن تقوموا بشيء) (لا تكن رخواً يا جورج) (الفرنسيون لن يكفوا عن اثارة المتاعب في وجهك ، لكنك تستطيع الاعتماد عليهم

إذا تأجج الصراع) (مهمة الغني (س) تقصد السعودية أن يشتري الفقير (م) وتقصد مصر) (لا تثيروا المتاعب في وجه غورباتشوف في البلطيق ما دام طيعاً في الخليج) (اغتنموا فرصة نزاع سوريا مع العراق ..وحاولوا اجتذابها) .. وكلما تَوَغّلَتْ في التحريض ، كان بوش تزداد ثورته وتتعاظم ، (هذا البلطجي العربي التافه يتحدى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية) (سألقنه درساً لا ينساه) وتذكر دوكاكيس منافسه الديمقراطي في انتخابات الرئاسة ، كيف نفذّ حملة انتخابية آثمة ضده ، حين راح متهكماً ، يصف قناعة دوكاكيس بإمكانية استخدام الأمم المتحدة كمنبر لحل المشكلات الدولية ، بأنها قناعة كوميدية ..

وبعد أن ألقى خطابه ، فيما وقفت تاتشر الى جانبه ، قام بوش بالاتصال بالملك فهد في العربية السعودية ، ويا للمصادفة ، حين سيكرر بوش على مسمع الملك العبارة ذاتها التي أطلقتها تاتشر منذ حين :

يا جلالة الملك . صدام هذا لن يتوقف .. ثم تابع :

ــ الولايات المتحدة مصممة تماماً على حماية المملكة ..

ولعل من الانصاف القول ، بأن الملك فهد ، لم يكن مبتهجاً لهذا العرض الأمريكي بحماية المملكة ، فالملك فهد كان يخشى دائماً أن تكون السعودية في واجهة الأحداث ، والمملكة منذ تأسيسها قبل ٦٤ عاماً ، فضلّت أن تكون منطقة مستقرة حتى لو أدى ذلك إلى الانكفاء في بعض المراحل ، ويقول الغربيون (يا لسخرية الأقدار ، إنها طريقة غريبة ينغلق فيها التاريخ ، فقبل ٨٨ عاماً في سنة ١٩٠٢ لجأ ابن سعود مؤسس المملكة ، عندما طرده خصومه ، الى الكويت) .

بندر داعية التدخل الأمريكي :

في الساعة الثالثة من يوم ٣ آب ، قام الأمير بندر بن سلطان سفير السعودية في الولايات المتحدة ، بزيارة الى البيت الابيض ، بعد أن تلقى خبر الاجتياح العراقي للكويت وكان قبل ٤٠ ساعة ما زال في مدينة لندن ..

كان بندر ـــ حسبما دأب على التصريح ـــ يقول بأنه هو وحكومة بوش قد خدعا ، وأنه ينبغي عليه أن يصحح تلك الغلطة التي ارتكبها مع الأمريكين عندما طمأنهم بأن صدام لا ينوي غزو الكويت نهائياً ..

في البيت الأبيض ، سيقابله سكاوكروفت ، الذي كان يقيّمه كرجل ذي قيمة مثالية في هذه الأوضاع ، فقد دأب مستشار الأمن القومي في البيت الأبيض على اقناع بوش بأن بندر هو (منفذنا المباشر الى الملك فهد ، وأنه يستطيع أن يوفر قراءة فورية لمواقف الجانب الأمريكي ازاء معظم الأمور ، وأنه من المفيد أن يكون لبندر منفذ مباشر لبوش عند الضرورة) .

كان سكاوكروفت أثناء الاجتماع مع بندر يشير صراحة إلى أنه يتحدث باسم الرئيس بوش ، وأن السعودية لم تعط جواباً صريحاً بخصوص طائرات الـ (إف ١٥) التي سترسلها الولايات المتحدة للمرابطة في السعودية .. وقال :

ـــ إن عدم الرد حتى الآن سيعني ألا سعودية في المستقبل ..ومع ذلك فإن الرئيس ميّال لتقديم المساعدة بأية طريقة ممكنة . وقام بندر بتذكير سكاوكروفت بواقعة حدثت أيام ولاية كارتر ، حين وافقت السعودية على إرسال طائرات أمريكية إليها للحماية ، بعد سقوط الشاه .. وكيف أن البيت الأبيض صرح يومها ، بأن الطائرات غير مسلحة ، وكانت النتائج مدمرة آنذاك .. وأردف يقول :

ـــ هل تمتلكون الشجاعة للذهاب معنا حتى النهاية ، أم أنكم تريدون أن تمدوا يدكم ثم تسحبوها ، وتتركونا مع هذا الرجل ـــ يقصد صدام حسين ـــ على حدودنا وقد جُنّ ضعفي ما هو حاله الآن .

قال سكاوكروفت :

ـــ دعني أخبرك أننا في منتهى الجدية .. لكن عليكم أولاً أن تقبلوا بقدوم القوات الأميركية .

دخل الرئيس بوش في تلك اللحظة الى مكتب سكاوكروفت ، وأشار الى بندر ووجهه الى سكاوكروفت وقال :

ــ هل هذا هو صديقك ؟.. يا للتأكيدات المضحكة .. وكان بوش يريد أن يشير الى تأكيدات بندر بعد اجتماعه مع صدام ، من أن العراق لن يقدم على خطوات عنف ضد الكويتين .. وضحك بندر ضحكة مكبوتة .

ثم وجه بوش كلامه الى بندر :

ــ هل تذكر ، هذا إذن هو الرجل الذي جئت تقول لي عنه بأنه جيد .

قال بندر :

ــ لقد فاض الماء فوق السد (تعبير أمريكي والمقصود فيه أنه لم يكن لي إرادة بما حصل) وأضاف :

ــ أيها الرئيس ، لقد تم استغلالنا معاً .

بوش :

ــ الكويتيون طلبوا المساعدة قبل دقائق من وصول العراقيين الى عاصمتهم ، فهل تنوون سلوك مسلكهم ، وعندها لا تستطيع الولايات المتحدة أن تفعل شيئاً !.

سأل بندر :

ــ ما هو نوع المساعدة التي يمكن أن تقدمها الولايات المتحدة ، ما نوع الاسلحة .. كم طائرة .. كم جندياً .. إذ أن جلالة الملك لا بد أن يقف على كل التفاصيل ، إذا كان الأمر جدياً .

قال بوش وقد تبرّم من العبارة الأخيرة (إذا كان الأمر جدياً) ــ هذا ليس من اختصاصي ، ولا من اختصاص مستشار الأمن القومي (أي سكاوكروفت) .. إذهب الى شيني وباول وسيقدمون لك قائمة ..

عاد بندر يُذكّر بطائرات كارتر غير المسلحة ، وامتقع وجه بوش فاستدار اليه قائلاً :

ــ اسمع .. ليس هنا مجال الرهانات على الشرف ، إنني اتعهد بشرفي أن أسير في هذا الموضوع حتى نهاياته ..

ووقف شعر بندر ، إذ لأول مرة ، يضع رئيس أمريكي ، على طريقة الفرسان شرفه على خط التعهد ..

إتصل سكاوكروفت بريتشارد شيني (ديك) وقال له :

ـــ (إن الرئيس يريد أن يطلع بندر على الخطة حتى يطمئن .. دعه يطلّع أيضاً على آخر صور الأقمار الصناعية بمصاحبة المختصيّن) ثم أردف قائلاً :

ـــ (أطلعه على أفضل ما لدينا . الشق الثاني من خطة العمليات الضخمة) .

ورد شيني قائلاً :

ـــ سيكون البنتاغون في استقباله بعد ساعة .

كان شيني بحاجة الى ساعة من المداولات مع باول ، حيث كان عليهما أن يقدّما الخيارات العسكرية التي سبق لبوش أن طلبها لعرضها عليه في اليوم التالي ..

غير أن شيني ، فهم بأن ما يريد الرئيس اطلاع بندر عليه هو الشق الثاني من الخطة١٠٠٢ ـــ ٩٠ وصور الأقمار الصناعية .. لم يكن ثمة شيء اسمه غزو السعودية من قبل العراق ، إذ كان يعلم لانغ وهو مختص في تحليل صور الأقمار الصناعية ، أن ذلك من ضمن الألعاب السياسية ، وأن هناك فرقاً بين ما كانت عليه الفرق العراقية قبيل اجتياح الكويت ، وما هي عليه الآن ، إذ من الطبيعي أن تتخذ وضعاً عسكرياً دفاعياً على حدود الأمارة المحتلة حديثاً .

استدعى شيني لانغ ومضى يحاوره على مسمع من بندر :

ـــ ماذا تقول عن آخر صور الأقمار التي في يديك .. ويجيب لانغ بعيداً عن الموضوع :

ـــ من الخطأ ألا يقبل السعوديون المساعدات المرئية ، (كان السعوديون يخشون ظهور قوات أجنبية في بلادهم) مع أن بلادهم الواسعة لا يحميها أكثر من سبعين ألف جندي ، ويعود شيني للسؤال (في مسعى منه للافصاح عن نوايا العراقيين) :

ـــ ما الصفة التي يمكن أن تطلقها على العراقيين ؟.

وبصفته خبيراً بعيون أقماره السماوية التي ظلت تراقب المنطقة منذ اندلاع الحرب الايرانية ـــ العراقية ، أجاب :

ــ انهم مرعبون ، لقد عشت معهم بوسائلي الخاصة عدة سنوات ، وأصبح لديهم الآن مؤسسة عسكرية خطرة جداً ، وقاعدة صناعية متطورة ، إنهم عصريون بالنسبة لبلد من العالم الثالث ، وهم قوميون خطرون يمتلكون أحلاماً اقليمية .

لم يبتهج شيني بأجوبة لانغ غير الحصيفة ، إذ لم يتحدث عن مخاطر غزو عراقي وشيك للسعودية ، بل اكتفى بالاسترسال في حديث ذي نزعة سياسية أو تاريخية . فقام شيني محاولاً التركيز على الصور المأخوذة من الجو قائلاً :

ــ هناك ثلاث فرق مدرعة عراقية شكلت قوة الاقتحام الرئيسية للكويت . وهذه هي إحداها تتحرك عبر الكويت الى الحدود السعودية (علماً بأن كل مساحة الكويت ، لا تصلح أكثر من ساحة لوجستية لجيش يريد أن يقتحم قارة السعودية التي هي ربع مساحة الولايات المتحدة) . ويضيف شيني شارحاً :

ــ هناك مزيد من الفرق المدرعة التي تأخذ مواقعها على الخطوط وراء الوحدات المدرعة ، بنفس الطريقة التي تمت قبل غزو الكويت بيومين .

كان واضحاً أن هذا المراء قد تم بدافع إخافة السعوديين ، إذ لا يعقل أن يفكر العراقيون بشن هجوم ضد السعودية ، والتحضيرات اللوجستية العراقية كانت ناقصة حتى وقت قريب من الدخول الى الأراضي الكويتية ، وأن من الحماقة الاستنتاج بأن العراق سيشن هجوماً مماثلاً للهجوم الذي شنه على الكويت من قبل ، متجاهلاً كل معادلات الحرب ونسبة القوى ، واحتمال تدخل أكيد من قبل طائرات الحاملات البحرية الأمريكية في البحرين والمتوسط والأحمر ... هذا فضلاً عن الشيء الأهم ، وهو أن العراق لم يفكر لساعة بأنه مقبل على غزو السعودية في الأساس ... ثم قام باول بتلخيص خطة العمليات ١٠٠٢ ــ ٩٠ أمام بندر في غضون عشر دقائق . وكانت العناوين الرئيسية كما يلي :

أربع فرق + ثلاث حاملات طائرات + أسراب هجومية كثيرة (لم يشأ أن يأتي على الأعداد أمام بندر) ثم سمح لبندر أن يطلع على روزنامة تدفق القوات الى السعودية ، بعد تحديد ساعة الصفر .. وسأل بندر :

ـ كم تقدر عدد القوات ؟

وتردد باول في الأجابة . ثم قال :

ـ بين مئة الى مئتي ألف جندي (لم يكن الرقم صحيحاً على الأطلاق ، فالقوات الأمريكية وحدها في التحالف كانت بحدود ٤٠٠ ألف جندي) .

تنهد بندر وقال :

ـ يبدو أن الأمر على غاية من الجديّة .

وقال باول :

ـ نعم إنه لأمر بالغ الخطورة ، ولكنه يفقد معناه إن لم تكن قاعدة له على الأرض . وافق بندر على الخطة بعد أن نالت أعجابه وقال :

ـ أعد بأنني سأنقل ذلك الى الملك وكذلك والدي (أي وزير الدفاع الأمير سلطان) وسوف نرى ما يمكننا فعله ..

اتصل بندر بالملك فهد لابلاغه بما جرى ، وكان فهد يريد التأكد من أن التهديد العراقي حقيقي وليس كقناع لنقل القوات الأمريكية لأراضيه .

قال بندر :

ـ جلالة الملك ، إن صور الأقمار الصناعية تدعم الحجة القائلة بأن المملكة تواجه تهديداً حقيقياً .

سأل فهد :

ـ هل رأيت الصور ـ بأم عينيك ـ أم لا ؟

أجاب بندر :

ـ نعم سيدي رأيتها .

قال فهد :

ـ أطلب منهم أن يحضروا ويجلبوا معهم الصور .

عرج بندر قبل وصوله الى السعودية على المغرب ، حيث كان والده هناك ، وعادا معاً الى جدة ، حيث كان بانتظارهما وضع يميل الى عدم التوازن .

★

في ليلة الثالث على الرابع من تموز ، لم يكن ساهراً في القاهرة غير النيل ، ووزراء الخارجية العرب ، وقد شجعهم البيان المصري المنفرد بادانة العراق ، على اصدار بيان مماثل ، فقد اتخذ قرار الادانة الصادر عن الجامعة العربية ، بأغلبية أربعة عشر صوتاً (مع اعتراض العراق ، وتحفّظ فلسطين ، وعدم موافقة موريتانيا عليه ، وامتناع اليمن عن التصويت وكذلك السودان ، وعدم موافقة الأردن عليه ، فيما غابت ليبيا عن الجلسة) .

وقد حمل القرار الصادر الرقم ٣٠٣٦ وجاء فيه ما يلي :

إن مجلس الجامعة العربية :

بعد الحيثيات والمواد المستندة الى ميثاق الجامعة العربية ومعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي وميثاق التضامن العربي ..

يقرر

١ ـ ادانة العدوان العراقي على دولة الكويت ورفض أية آثار مترتبة عليه وعدم الاعتراف بتبعاته .

٢ ـ استنكار سفك الدماء وتدمير المنشآت .

٣ ـ مطالبة العراق بالانسحاب الفوري وغير المشروط الى مواقعها قبل ١٠ محرم ١٤١١ هـ الموافق ١٩٩٠/٨/١ م .

٤ ـ رفع الأمر الى أصحاب الجلالة والفخامة والسمو رؤساء الدول العربية للنظر في عقد اجتماع طارىء لمناقشة العدوان ولبحث سبل التوصل الى حل تفاوضي دائم ومقبول من الطرفين المعنيين يستلهم تراث الأمة العربية وروح الأخوة والتضامن ، ويسترشد بالنظام القانوني القائم .

٥ ـ تأكيد تمسكه المتين بالحفاظ على السيادة والسلامة الأقليمية للدول الأعضاء وتجديد حرصه على المبادىء التي تضمنها ميثاق جامعة الدول العربية بعدم اللجوء الى القوة لفض النزاعات التي قد تنشأ بين الدول الأعضاءواحترام النظم الداخلية القائمة فيها وعدم القيام بأي عمل يرمي الى تغييرها .

٦ ـ رفض المجلس القاطع لأي تدخل أو محاولة تدخل أجنبي في الشؤون العربية .

٧ ـــ تكليف الأمين العام بمتابعة تنفيذ هذا القرار واخطار المجلس بما يستجد .
٨ ـــ اعتبار المجلس دورته غير العادية في حالة انعقاد مستمر .

إن القرار يستند في جملة ما يستند اليه الى نص المادة السادسة من ميثاق جامعة الدول العربية ، وحيث أن المادة المذكورة تشترط بوضوح لا لبس فيه ، الاجماع الكامل في اتخاذ القرارات المستندة اليها ، وبما أن القرار قد عارضته خمس دول من الدول الأعضاء فإنه والحالة هذه لا يجوز الأخذ به أو الأصرار عليه ..

أما بالنسبة للمادة السادسة من القرار ، وهي التي تنص على الرفض المطلق لأي تدخل أجنبي ، فإنها لم تكن أكثر من صد للشكوك التي كانت تساور العديد من الأقطار العربية ، بأن الولايات المتحدة بدأت بسحب البساط من تحت أرجل العرب ، وأنها عازمة على كف أيديهم فيما يتعلق بادارة الأزمة خاصة وأن الخطط الحربية الأمريكية بدأت تلوح في سماء واشنطن وإعلام العالم كله ..

★

العَلَمُ المحارب ٩٠ :

في أواسط شهر تموز من العام ١٩٩٠ ، أي قبل الاجتياح العراقي للكويت باسبوعين تقريباً ، نظمت القيادة العسكرية الأمريكية تمريناً حمل رمز (العَلَم المحارب ٩٠) لأختبار قدرات القطعات العسكرية المختلفة (بر . جو . بحر) على العمل باتجاه الشرق الأوسط ، بيد أنه لم يذكر العراق على وجه التحديد ، رغم التوترات المتزايدة آنذاك ، ولكي لا تثير هذه العملية حفيظة أية جهة ، فقد طلب باول قص الخرائط وتبديلها ، كيلا تنتشر أخبار العملية في وسائل الأعلام ، وكيلا يبقى أي وجه للتشابه يثير العجب أو الأزعاج لبلدان المنطقة التي يعنيها التمرين .. وسوف يؤتى على ذكر (العَلَم المحارب) عند تقديم الخيارات العسكرية لبوش في كامب ديفيد .

الخطة ١٠٠٢ ـــ ٩٠ التي صار اسمها عاصفة الصحراء :

في الرابع من آب ١٩٩٠ ، الساعة الثامنة صباحاً ، انعقد (مجلس حرب) الولايات المتحدة في منتجع كامب ديفيد ، جاء المجتمعون بلباس الـ (ويك إند)

بإستثناءِ العسكريين ، وقد ضم مجلس الحرب : الرئيس بوش ، شيني ، باول ، وسنونو ، وويستر دولفوتز وعلى الجانب الآخر كويل وبيكر وسكاوكروفت وشوارزكوف وفيتز ووتر وريتشارد هيس .. وكبار جنرالات البر والجو والبحر وضباط الشؤون اللوجستية والنفسية فيما وضع على الطاولة خمسة نماذج لطائرات حربية حديثة ... كان بحوزة باول جميع المعلومات التي قدمها له شوارزكوف (وهما جنرالان أنتجتهما حرب فيتنام) .

(سيدي الرئيس ، قال باول ، إذا قررتم عملاً عسكرياً ، فلتشترك قواتنا على نحو مكثف وملائم ، قد يكون صدام لا يريد مجابهة مع الولايات المتحدة ، إنه عنيف ولكن غير عقلاني ، وهو يعرف أنه يخسر حرباً تشتعل على مستوى شامل مع أمريكا ، في حالة تدخل عسكري ، يجب على الفور ، ارسال قوى عسكرية ملائمة الى السعودية كي تظهر اصرارنا على الدفاع عن المملكة ، ينبغي أن يكون الانتشار ضخماً بشكل كاف يقتنع معه صدام حسين بأن الهجوم على السعودية هو هجوم على الأمريكيين ، ويجب أن تتيح الخطة ١٠٠٢ ــ ٩٠ رقابة جوية وبحرية مع ارسال فرق برية بعدد كاف ليس للردع فحسب ، بل والقتال أيضاً (يبدو أنه يقصد الهجوم ، لأن في الردع قتال أيضاً !) إذ لم يستفد أي وطن يوماً من صراع يدوم مدة طويلة) .

كان بوش يصغي باستمتاع ، فهذه هي اللغة التي يريد سماعها ، وعلى الفور تحدّث حديثاً فهم الجميع منه ، بأنه ضوء أخضر للخطة ١٠٠٢ ــ ٩٠ . وهكذا أصبحت هذه الخطة التي ستكتسب اسمها الجديد (عاصفة الصحراء) قيد التنفيذ ، وسيتم ارسال اكبر أسطول حربي منذ الحرب العالمية الثانية (انزال النورماندي) الى الطرف الآخر من الكرة الأرضية .

وقدم القاضي ويبستر مدير وكالة السي آي ايه ، شرحاً مملاً عن آخر تطورات الموقف ، حيث كان الجميع قد قرأها من قبل (وسيكون ويبستر أول ضحايا الادارة الأمريكية بسبب تقديراته حول نجاعة الحصار الاقتصادي وعدم ضرورة الحرب ، كما منع العمليات السرية غير القانونية لجهاز الوكالة ...) .

ـــ وماذا عن سلاح الجو العراقي ؟ سأل سنونو وقد وجه كلامه الى الجنرال شوارزكوف .

وأجاب شوارزكوف :

ـــ يملك العراق ١١٢٧ طائرة ، ومنها كميات محدودة من الطائرات الجيدة ، كما أن سلاح الجو العراقي يستخدم بشكل أساسي في الدفاع .

واستطرد شوارزكوف الذي رأى بأن فرصته حانت للكلام :

ـــ مع أن للعراق جيشاً ضخماً ، فإنهم ليسوا عمالقة ، قامة الجيش العراقي غير مديدة ، ولكنه صعب المراس ، هنا ليست بنما ، نحتاج لعشرين ضعفاً من كل شيء احتجناه هناك ، ثمة تكاليف باهظة ، مليار كل طالع شمس ، أو قد يكون اكثر ، هناك في الخطة جزء للردع وآخر للقتال المتقدم (ها هنا يشير شوارزكوف الى الهجوم بطريقة أوضح) كلما وضعنا أكثر في مكان الردع ، يكون أفضل للمكان الآخر (يقصد القتال المتقدم) ...

ثم قام شوارزكوف بتقييم الموقف على الجبهة الأخرى :

ـــ إن للعراق قوة برية من ٩٠٠ ألف جندي تتكون من ٦٣ فرقة لكن ٨ منها فقط ، هي التي ستكون محور اهتمامنا ، دعونا نجعلها واترلو أخرى (يقصد هنا أن الحرس الامبراطوري الفرنسي ، كان يشكل نخبة الجيش الفرنسي ، وفي معركة واترلو ضد الجيوش الأوروبية الأخرى ، تعالى الصراخ في الجيش الفرنسي ، قوات الحرس تنسحب ، إنها تنسحب يا إلهي ... وانهارت الجيوش الفرنسية دون أن تحارب) .

ـــ هناك ٥٤٤٧ دبابة (دقة عالية في الأرقام) منها ١٠٢٧ دبابة سوفيتية من طراز ت ٧٢ ومعظمها في الكويت الآن . (دأبت الدعاية الغربية على تصوير هذه الدبابات وكأنها الأحدث في العالم ، أنا نفسي «المؤلف» كنت في واحدة منها أثناء حرب تشرين ١٩٧٣ وبرغم أنه قد يكون جرى تطوير ما لأجهزة هذه الدبابة إلا أنها ليست الأحدث في العالم ، بل انها حتى في حرب تشرين ، كانت

تفتقر الى بعض النظم التكنولوجية التي كانت موجودة في الباثون الأمريكية والـ تشيفتن البريطانية آنذاك) .

ــ حوالي ١٠ آلاف عربة خفيفة الدرع (يبدو أنها ناقلات جنود روسية) منها ١٦٠٠ عربة من النوع المتقدم .

ــ حوالي ٣٥٠٠ قطعة مدفعية منها ٣٣٠ قطعة ذات دفع ذاتي (أي متقدم) أما الباقي فيحتاج الى قطره بواسطة الشاحنات .

ــ ٣٠٠٠ ناقلة معدات ثقيلة لنقل الدبابات (وهذه في الحقيقة ميزة كبرى لدى الجيش العراقي ، اذ بواسطتها يستطيع اختصار الزمن بحوالي ٣٥٪ منه وهو الفرق بين سرعة الدبابة ٤٠ كم / ساعة . وسرعة الناقلة ٦٥ كم/ ساعة .

وراح شوارزكوف يذكّر بالاسلحة الكيميائية التي قد تنزل الى ساحة المعركة .. ويبدي الاقتراحات المضادة (الواقيات) لهذه الاسلحة ..

وأما نقاط الضعف لدى الخصم ، تابع شوارزكوف ، فتشمل :

ــ مركزية القيادة والتحكم . فالسيطرة المركزية قاتلة في مثل هذا النوع من الجيوش .

ــ الاعتماد على الخارج فيما يتعلق بقطع الغيار .

ــ ضعف الخبرة في العمليات القتالية ، فالجيش العراقي قاتل الايرانيين في معظم عملياته قتالاً جبهياً .. حركات الالتفاف والمناورة والقِطْع ضعيفة نسبيا .. إنه جيش الهجمات الأمامية ..

ــ سنحتاج الى سبعة عشر اسبوعاً (٤ أشهر وأسبوع) لأيصال جزء الردع من الخطة المتعلقة بالردع الكامل أي ما بين ٢٠٠ الى ٢٥٠ ألف جندي ومعهم سلاح البحرية والجو وسلاح المارينز الى المنطقة .

ثم راح شوارزكوف يتحدث باسهاب عن الجداول الزمنية اللازمة لنقل الشق الآخر من الخطة ، وهو شق الهجوم ، في العمليةوحرص على أن النسب التقليدية (٣ الى ١ نسب المهاجمين الى المدافعين) هي نسبة فات زمانها ، فقوة الردع مع اضافات طفيفة قادرة على الانتقال الى وضع الهجوم في زمن قياسي ، خاصة وأن

هناك عوامل عديدة مساعدة ، مثل السيطرة الجوية والبحرية والحصار المضروب على العراق ، وكذلك وجود قوات حليفة .

وتساءل ويبستر عن نجاعة حصار اقتصادي بدلاً من الحرب ، وأكد أن العراق لن يصمد أكثر من سنة أمام هذا الحصار .. وصمت الجميع .. (يبدو أن هذا الاقتراح كان بعيداً عن أهداف مجلس الحرب هذا) قام سنونو بقطع لحظة الصمت متسائلاً :

ــ ماذا عن شن حملة جوية قوية فرد شوارزكوف لا أدعوا إلى استخدام القوة الجوية وحدها ، فهناك أربعة عوامل مفضلة تفترض أن الساحة الرئيسية هي للجو ، أولها أن البيئة غنية بالأهداف (يقصد مكشوفة لعدم نجاعة الدفاع الجوي السوفيتي أمام الطائرات الحديثة . كما أن الرؤية حسنة في الشهرين القادمين) . وثاني هذه العوامل أن القوة الجوية العراقية ضعيفة جداً أمام اسطولنا الجوي ، والعامل الثالث أننا نمتلك ذخائر في منتهى الدقة ، والعامل الرابع أن الضربات الجوية الكبيرة والمكثفة (يقصد أكبر عدد ممكن من الأسراب على مدار ٢٤ ساعة) ستفعل فعلها في التأثير على معنويات العراقيين في المؤخرة .. ومع كل ذلك ليس هناك ضمانات لعمل جوي منفرد ..

لم يكن هناك خلاف على نقل القوات البرية الى المنطقة ، ولكن كان هناك قلق من تعريض المواقع الاسلامية المقدسة للخطر ، وهو تطور قد يثير العالم العربي ، حيث أن أقدس مكانيين اسلاميين يقعان في مكة والمدينة .

تساءل سنونو : مالنا ومكة .. إنها تبعد ٧٠٠ كم الى الجنوب الغربي من الكويت ..

وقال سكاوكروفت: السعوديون قلقون فيما إذا كنا جادين أم لا . لن يتحدثوا عن الأماكن المقدسة قبل رمضان !.. وأيد شيني قول سكاوكروفت قائلاً :

ــ نعم .. الأمير بندر كان يشعر بالقلق إزاء جديتنا في العمل ، وقد ارتاح عندما اطلع على خطة ١٠٠٢ ــ ٩٠ .

تدخل بوش قائلاً :

ــ أخشى أن السعوديين سيقبلون بنظام دمية في الكويت في النهاية .

ورد سكاوكروفت :

ــ سيدي ، إنها مشكلة البيضة والدجاجة ، إنهم يريدون ضرب العراق ، ولكن من غير أن تظهر مسؤوليتهم .. إنهم لا يحبذون القوات الأرضية .

قال بوش :

ــ ولكن كيف ، الوضع يبدو أن وطنهم يتعرض للاجتياح ، وعندما يتعرض وطنك للاجتياح ، فما عليك إلا أن تحمل العصا وتتوجه الى الحدود ..

أجاب سكاوكروفت بلهجة ملؤها التهكم :

ــ لكنهم العرب يا سيدي .. ويبدو أن الحديث عن العرب قد انفتح لبرهة ، فعلق أحد الحاضرين ــ لنا حكمة فيما فعل قادة الكويت ، حين اجتاح صدام بلدهم . وقال آخر :

ــ طلبوا الى الشعب عدم المقاومة .

وقال ثالث :

ــ يمكن أن يدفعوا للص وهو يمسك بخناقهم (بوب وود ورد القادة ص ١٧٦) .

لم يبتسم بوش لهذه التقريعات النابية ــ إذ هو من نتاج المجتمع الصالح للساحل الشرقي ــ وعلم الجميع أن الوقت غير مخصص لأطلاق العبارات الطائرة كيفما اتفق .. وصمت الجميع .. ولم يقطع لحظة الصمت سوى تساؤل سنونو :

ــ سيدي الرئيس لماذا لا نقوم بتأمين غطاء يحمي ظهر وأجناب الرجل .

ووّجه بوش ، دون أن يتكلم ، نظرة تساؤل الى سنونو فتابع الأخير قائلاً :

ــ غطاء عربي ــ اسلامي ــ يتدّثر به السعوديون .

والتقط بوش الفكرة الثمينة وراح يطورها ويعّد لها .. ورغم هذه الأشارات المتنوعة التي انتهى بها اجتماع كامب ديفيد ، إلا أن بوش قرر الاتصال بالملك فهد ليقف على رأيه النهائي (خاصة وأن بندر قد أصبح عنده) ، وحمل الجميع رزمات أوراقهم وغادروا القاعة .

في الطريق الى واشنطن ظل باول يحاور شيني ويقول :

ــ لقد حدّد الرئيس لنفسه هدفين ، فهو ذاهب بالقوات الى السعودية ، وهو ليس ذاهباً لمنع هجوم من العراق ولكن لهجوم على العراق (هيكل أوهام القوة والنصر ص ٤٠٥) .

بقي سكاو كروفت في كامب ديفيد مع الرئيس بينما قام الرئيس بالاتصال بالملك السعودي ، فقد كان الوقت يحتاج الى ممارسة الضغط ، وكان مما قاله بوش للملك أن صدام يحشد القوات على حدود المملكة يجب عليكم أن تتصرفوا أجاب الملك بعدم رغبة السعودية في استقدام قوات أرضية وأنها تكتفي بقوة جوية مع بعض المعدات .. وتابع الملك قائلاً :

ــ نحن نشكر الولايات المتحدة اهتمامها بنا ، وقد أبلغني سفيرنا لديكم بإنجازات البنتاغون يوم أمس .. وأنني لأتساءل عن الفريق الذي سترسلونه لأطلاعي على الصور الخاصة بالأقمار الصناعية ..

لم يكن لدى بوش فكرة عن موضوع الفريق ــ إذ كانت مجرد فكرة بين بندر وسكاوكروفت قبل أن يسافر بندر الى السعودية ــ وسارع مدير السي آي إيه سابقاً بالتقاط ــ فكرة الفريق ــ وقال :

ــ ليس لدي فكرة واضحة تماماً ، ولكن يمكن تشكيل فريق بالصيغة التي تلائمكم ..

قال الملك فهد :

ــ نرغب بمستوى متواضع كيلا نثير الغبار في المنطقة .. صمت بوش ، ولكنه كان قد قرر العكس تماماً ، فقد أستقر على شيني كممثل شخصي للرئيس الأمريكي لدى الملك السعودي .. إذن فهو على مستوى رفيع ، وسيضم الفريق عدداً من كبار جنرالات البنتاغون ، شوارزكوف وولفويتز وروبرت غيتس وسينضم الى الفريق سفير الولايات المتحدة في السعودية .

بعد العديد من الاتصالات ومحاولات الاقناع التي كانت تتراوح بين الترغيب والترهيب ، قبل الملك فهد بزيارة رئيس البنتاغون ريتشارد شيني ، لكن الملك

فهد طلب امهاله أربعاً وعشرين ساعة قبل موافقته النهائية على الرغبة الأمريكية ، غير أن شيني كان يقلع مع وفده المرافق له ، قبل أن تنتهي المهلة المحددة للرغبة السعودية ..

★

على أثر المحادثة مع الملك فهد ، بدا بوش وكأنه أكثر اطمئناناً . ولم يترك الوقت يضيع ، فقد طلب الى السيكرتاريا ايصاله بأنقره .. كانت تركيا العضو في حلف الأطلسي ، هي البلد التي تعتمد اعتماداً رئيسياً على الاتفاقات التجارية المعقودة مع بغداد ، ففي أراضيها يمر ١٫٦ مليون برميل نفط عراقي يومياً ، أي نصف صادرات النفط العراقية ، وهناك أكثر من ألف وثلاثمئة كيلو متراً من الانانبيب النفطية فوق أراضيها للعراق (من حقول كركوك الى ميناء يومر تاليك على المتوسط) وكانت الخزينة التركية تتلقى من عائدات مرورالنفط العراقي زهاء ٣٠٠ مليون دولار سنوياً هذا فضلاً عن تأمين ثلثي الاحتياج التركي من النفط العراقي . وكان الاتراك يعيشون الأزمة بارتباك كبير ، فهناك المصلحة الوطنية ، وهناك العصا الغليظة التي بدأت أمريكا تلوح بها في وجه حلفائها ..

شرح بوش لأوزال ، أن التعاون الدولي ضد بغداد سوف يعتمد بالدرجة الأولى على قطع صادراته النفطية التي تشكل ٨٠٪ من دخل العراق ، وأضاف ، أنه فرغ للتو من مكالمة مع السعوديين وقد وافقوا على المبدأ ..

★

تركيا على الخط تنتظر :

توركوت اوزال هذا الرجل البدين ، ذو الوجه الدائري مع النظارات ، والذي دخل الى قصر الرئاسة منذ العام ١٩٨٠ أثر انقلاب عسكري ، وقاد دولة نشأت على (سرّ دولة) بعد العام ١٩٢٣ وهو ألا تكون تركيا مسلمة من الناحية السياسية ، لكن اوزال كان يعلم بالمكنونات الدينية التي تمسها أو تفجرها أحداث

الخليج ، وما زاد في البلبلة أن اوزال الراغب بالفصل بين الاسلام الاجتماعي والاسلام السياسي ، قد وقع الآن في خيار الموقف الصعب ، إذ هو في خيار معضلة قد تفرض عليه الدخول الى حلبة التنافس التبريري بين أنماط متعددة من السياسات ، فهو كوارث لتركة بني عثمان ، كان يستحث الحلم لاسترداد شيء من (البقايا الضائعة) أثناء كبوة (الرجل المريض) وهو كداع لعدم الاسلام السياسي ، كان يجد نفسه بعيداً عن حلم استرداد التاريخ .. لكن ثمة موجة عامة لكل مرحلة كان يلتقطها أوزال ، لكن ذبذبات أوزال على موجته العامة ، كانت تنصب دائماً على جواب لسؤاله :

كيف نبادل الماء بالنفط مع هؤلاء العرب ..

ومع تأكيده لكل الدعم لمساعي الولايات المتحدة ، فإن اوزال لم يعط وعداً قطعياً لأقتراح بوش بقطع النفط العراقي ، قبل أن يفهم ما هو ثمن هذا الأجراء ، كما لم يعلم بوش أنه سيستقبل في الغد مبعوثاً لصدام حسين ، وراح بعد المكالمة الهاتفية مع بوش ، يدير قرص هاتفه للاتصال مع طهران ، ودار حديث مع رفسنجاني الذي أعرب عن شكره للمشاورة التركية ، وأن ايران لا تستطيع أن تقبل بتوسع العراق الاقليمي على حساب جاراته العربيات ، غير أن رفسنجاني لم يعلم أوزال بأنه كان قد هاتف الرئيس العراقي وتناقشا بخصوص حياد ايران في الأزمة يوم أمس !..

□

في بغداد يوم الخامس من آب ، التقى ياسر عرفات بصدام حسين ، وقال الرئيس العراقي على الفور :

ـــ لقد صُدمت بالغاء مؤتمر القمة المصغر في جدة .

كان صدام مزيج رجل غريب بين المرارة والحزم ، يبرر ما فعله العراق الذي يئس من المواقف العربية التي تشبه بخار الماء في السماء ، واستدار الى عرفات يسأله :

ـــ مَنْ برأيك كان وراء عرقلة القمة ؟

كان عرفات قبل أن يجيب على التساؤل ، ما زال يرقب وجه صدام الهادىء ، والذي يسمح لنفسه بالقاء المزاح المشوب بالخيبة من العرب ، ورد عرفات قائلاً :

ــ كائناً من يكون وراء العرقلة ، فإن الحل السياسي هو ضرورة مطلقة يا سيادة الرئيس .

وأجاب صدام :

ــ أنا موافق تماماً ، هيا إبدأ .

ويومي عرفات برأسه الذي يعتليه كوفية وعقال فلاح فلسطيني ويقول :

ــ أنا جاهز سيادة الرئيس .. ولزم صدام الصمت هنيهة قبل الكلام ..

ــ هيا قل للسعوديين إننا مستعدون للنقاش من جديد .

□

في تل أبيب كانت القيادة الاسرائيلية في حالة استياء من تصرفات واشنطن الراغبة بابقاء اسرائيل بعيدة عن مجرى الأحداث ، فدخولها على الخط ، سيعطب المحاولات الأمريكية الجديدة الرامية الى خلق ائتلاف دولي ــ عربي ــ اسلامي ، على الجبهتين السياسية والعسكرية ، وفي جّوٍ محبط ، راح أرينز وزير الدفاع الاسرائيلي يؤكد ، بأنه مهما كانت الرغبة الأمريكية (التي نحرص على مجاراتها) إلا أن علينا (أن نحتفظ بحق التدخل في حال تعرقل الوضع الجيوستراتيجي في الشرق الأوسط أو في حال غزو الأردن) (دافار ٥ آب ١٩٩٠) .

وجاء دور رئيس الأركان الجنرال دان شاميرون ، رجل عملية عينتبة سابقاً ، فوضع سيناريو للحرب بعيداً عن (ثرثرة الغرب باحتمال غزو عراقي للسعودية) وأكد أن العراق يظهر في جبهة ليختفي وراء جبهة أخرى ، وعلينا أن نفتح أعيننا على ما يجري على الحدود العراقية ــ الأردنية ، وأن ثمة صواريخ عراقية يجري ارسالها الى مواقع قريبة من هذه الحدود ، ولا شك أن اسرائيل هي المقصودة بذلك .. كان شامير ما زال صامتاً حتى هذه اللحظة ، يفكر في طريقه للوقوف على نية العراقيين بصورة أكيدة فقال :

ـــ ينبغي أن نزيد من امكانيات حصولنا على معلومات من داخل العراق ، على كل السلطات الرفيعة والمختصة ، أن تحصل دائماً على هذه المعلومات لترسلها اليوم ، وليس في اليوم التالي ..

ويقول سالنجر (الملف السري ص ١٠٩) الذي أورد معلومات الاجتماع الاسرائيلي (ثمة واقعة أكيدة الآن ، وهي أن اسرائيل لا تملك قمراً صناعياً عسكرياً قادراً على التقاط تحركات جيوش عدوه على مسافة بعيدة) كان الأمريكيون سابقاً هم الذين يقومون بتزويد اسرائيل بمعلومات عن طريق أقمارهم في المنطقة K.H.2 وK.H.11 ثم تعزو اسرائيل لتطورها الذاتي مثل هذه الانجازات ..

لقد توقف عمل K.H.11 الآن بخصوص اسرائيل ، لهدف أمريكي لا يجهله أحد ، والدليل على ذلك ، أن بيكر أرجأ زيارة لوزير الخارجية الاسرائيلي ليفي كانت وشيكة ، لمدة شهر كامل .

في واشنطن ، أحس باول أنه قام بدوره بشكل سليم ، حين أبرز خطة العمليات ١٠٠٢ ـــ ٩٠ في اجتماع كامب ديفيد ، وها هو شوارزكوف المتجه الى السعودية مع شيني ، يصطحب نسخة منها لعرضها على القادة السعوديين ..

كان باول يراقب شاشة صغيرة ، تبث عليها شبكة (سي إن إن) حين ظهر بوش على الشاشة ، وهو يهبط لتوه من طائرته العائدة من منتجع كامب ديفيد ، وقد هرع الصحفيون لتوجيه الأسئلة إليه :

هل ستتحركون عسكرياً ؟

ويجيب بوش بتبرم :

ـــ لن أناقش معكم خياراتي لكنها كثيرة جداً ، وهذا ما أوكده لكم .. لقد كذب العراق مرة أخرى ، وها هو لا ينسحب من الكويت كما زعم بالأمس .

ألح أحد الصحفيين :

ـــ ما هو ردكم إذن ؟

ويلتفت بوش بغضب تجاه السائل وهو يرفع اصبعه في وجهه :

ـــ ما عليك إلا أن تنتظر . انتظر وسترى .. ويضيف بوش :

ـــ إن تصميمنا هو في منتهى الجدية ، لن يبقى هذا العدوان على الكويت .

توقف باول وهو لا يزال يرقب انفعالات الرئيس على الشاشة الصغيرة :
ـ أوه ، أوه ، كيف يتحدث الرئيس عن أهدافه التي رسمها لنفسه ، لماذا اطلاق هذه الاعلانات المثيرة والشخصية ، سيستنتج العراقيون شيئاً من هذا الكلام .

لم يستطع رئيس الأركان أن يفهم لماذا اتخذ الرئيس هذا الخط الاعلاني ، فمنع صدام من دخول أقطار أخرى كالسعودية (وهو شعارنا العلني) أمر يختلف عن ردع غزو تمّ واكتمل ، كما أن الهجوم على العراق ،خطة كاملة ينبغي تقييمها ... وكان هذا البيان الغاضب ، أكثر مما كان باول يتوقعه ، وقد أعجب باول بالمسافة التي قطعها مدير السي آي إيه القديم (أي بوش) في غضون ثلاثة أيام فقط ، من الدفاع عن السعودية الى تحرير الكويت الى الهجوم على العراق . وبدا الأمر بالنسبة لباول وكأن الرئيس يحمل في كلتا يديه مسدسين ، ويطلق النار بغزارة ..

□

مَنْ يفطر بالكويت لا بد أن يتغدى بغيره (بندر) :

في طائرة الرئاسة رقم ٢ (ايرفورس تو) توجه شيني ووفده المرافق الى جدة ، يصطحبهم خبير السي آي إيه في قراءة وتحليل صور الأقمار الصناعية ، ونظراً لطول الوقت ، (١٦ ساعة) فقد راح شيني يراجع سيناريو اللقاء مع الملك السعودي ، بعد أن تزوّد بالكثير عن أطباع الملك وعاداته ، وكذلك عن أفراد العائلة المالكة الذين يشكلون دعامة الحكم في المملكة . وكان شيني قد قرأ الكثير عن تاريخ المملكة والأماكن المقدسة والشعائر الاسلامية التي تقام ، خاصة في مناسبتي الصيام والحج ..

كان شيني ، الذي اصطحب معه خبيراً من المخابرات المركزية لقراءة الصور ، يفكر بعد مقدمات عامة ، أن يتيح المجال لرجل المخابرات من أجل قراءة الصور على مسمع ومرأى من الملك نفسه .. وقد خشي في اللحظة الأخيرة ، أن تكون الصور دافعاً لاثارة شكوك الملك ، خاصة وأن شيني ، يتذكر كيف أن الادارة

الأمريكية أثناء الحرب الايرانية العراقية ، حاولت إخافة السعوديين من ايران ، وادعت يومها ، أن صور الأقمار تشير الى تحشدات ايرانية هدفها اختراق الفاو فالكويت فالسعودية .:.

وطلبت الادارة في سبيل الدفاع عن السعودية ، نشر قوات جوية كبيرة ، وتجاهل السعوديون هذا الطلب ، ثم تبيّن بعد ذلك ، أنه لا صحة لأدعاءات الأمريكيين ، وأنهم يستخدمون الصور كفزّاعة من أجل مآرب سياسية واقتصادية ..

عدل شيني عن خطة الصور ، وطلب الى ممثل السي آي إيه في الوفد ، أن يلغي دوره في السيناريو نهائياً ، وقد صمم شيني أن يضّمن (مرافعته) أمام الملك بعضاً من تحليلات الولايات المتحدة لهذه الصور ، وأن يأخذ الحوار طريقه الى زرع الشكوك ، بالتأكيد على النوايا العراقية ، أكثر من التأكيد على الوقائع الأرضية .

(لن أفتتح المشهد الأول من النظام العالمي الجديد بفنّي يعرض براعته في قراءة صور باهتة ، لن يفهمها في النهاية إلا الخبراء) (القادة بوب وود ورد ص ١٨٤) .

كان الوزير يريد تنقيح عرضه الجديد ، فدعا غيتس وولفوتز والسفير فرايمان ، كلا على انفراد ، ثم دعاهم كمجموعة ، وأخيراً قال وولفوتز :

ــ سيدي الوزير ، عليك أن تطلب منهم (يقصد السعوديين) أن يتقدموا لمواجهة قرار طالما أمضوا حياتهم في تحاشيه .. وكان مما يخشى منه شيني ، أن يعمد السعوديون لوضع سقف لعدد القوات ، يكون أقل مما تتطلبه خطة العمليات . لكن شيني قال لوولفوتز ، سأضغط أولاً للحصول على الموافقة من أجل البدء بعملية النشر وبعدها نناقش الحدود التي قد يحاول السعوديون أن يفرضوها . ثم تابع توصيته للوفد قائلاً :

ــ كونوا حذرين حول جدية العراق بغزو السعودية ، إننا لا نعرف أن صدام سيغزو السعودية ، لذلك علينا ألا نقول هناك أن الغزو حتمي ، أو أن لدينا معلومات مؤكدة عن هذا الموضوع (القادة بوب وود ورد ص ١٨٥) .

أريدكم أن تؤكدوا على النقاط التالية . تابع شيني كلامه للوفد :

١ ـــ قدرة القوة الأمريكية التي يمكن أن نرسلها .

٢ ـــ الالتزام السياسي للولايات المتحدة للعمل حتى نهاية الأزمة .

٣ ـــ تركيز أقل على دور استخباراتنا ، فالسعوديون أصبحوا يستنتجون أشياء كثيرة بعد سقوط الشاه في ايران .

٤ ـــ مجرد استنتاج بأن منْ يحتل الكويت ويحشد على السعودية ، لا بد أنه يفكر بخطوة لاحقة ... وأضاف (هذا يكفي .. يكفي) .

□

ودخل الوفد الامريكي الى غرفة الاجتماعات المخصصة للأسرة المالكة مساءً في جدة ، (القصر الصيفي) ، وكان هناك الملك فهد وستة من الأعضاء البارزين في الحكومة السعودية ، فيما جلس ولي العهد الأمير عبد الله جانباً .. وكان يبدو على وجهه أمارات الاستنكار !..

كان شيني ، كما تحدث فيما بعد ، يتوقع من الملك في النهاية أن يقول : (أشكركم .. سوف نعود اليكم فيما بعد) وقدم الملك على غير عادة ، بياناً افتتاحياً قصيراً (إذ في العادة غالباً ما يكون افتتاح الملك لجلساته بكلمة طويلة ، مسهبة واستنتج شيني بأن شيئاً ما يدور خلف الظواهر ..

كان الملك قد قضى معظم يومه في لقاءات مع الشيوخ وعلماء الدين الاسلامي ، يحاورهم فيما آل اليه الوضع ، طالباً منهم أن يفتوه بخصوص إقامة حلف مع أهل الكتاب (ويقصد الأمريكيين المسيحيين) خاصة وأن الخطر العراقي جاثم على الحدود ، ثم يعود بعدها للتشاور مع الأمراء الكبار والشبان ، (حيث كان رأي الأمراء الشبان أكثر خطورة من الأمراء الكبار إذ يقول باستدعاء القوات الأمريكية علناً ، وقطع أنابيب النفط العراقية المارة في أراضي السعودية) .

(وكان الملك مرهقاً ، والمناقشات الحائرة تتخبط في الظلام بين الخيارات وبين الأجيال وبين المشاعر المتناقضة) (هيكل أحلام القوة والنصر ص ٣٩٨) .

وبعد فترة صمت ، تلت كلمة الملك المقتضبة ، جاء دور الوزير الأمريكي (حيث سيقوم بندر بمهمة الترجمة) :

ــ لقد أرسلني الرئيس الى هنا كي أوكد ما سبق له أن قاله لكم على الهاتف .. إنه يقف شخصياً وراء الضمانة الأمريكية الأمنية .. سيكون صدام أكثر خطورة إذا لم يجد من يتصدى له ، إن الرئيس بوش منهمك الآن في الدبلوماسية النشطة ، وقد حصل على موافقة الاتحاد السوفيتي وبريطانيا والصين وفرنسا ، وهو عاكف على الاتصال مع رؤساء المانيا واليابان وتركيا وايطاليا ، من أجل مشروع قرار يتخذه مجلس الأمن لفرض حصار بحري وجوي وبري على العراق ، يشمل منعه من تصدير نفطه أو استيراد كل البضائع والمنتجات من هذه الدول . خاصة تزويده بالمعدات أو قطع الغيار لألته الحربية ..

وتابع شيني ، الذي قصد الأشارة الى قرار مجلس الأمن رقم ٦٦١ الذي كان يناقش في نفس الوقت ، في دوائر مجلس الأمن ..

ــ جلالة الملك ، إذا لم تتم مجابهة هذا التحدي فسوف تكون هناك عواقب وخيمة على السعودية ، وعواقب كبيرة على الولايات المتحدة . وقد استخدم شيني كلمة (وخيمة) كي يظهر بأن السعودية مهددة (ولو بالايحاء بعد أن قرر عدم الخوض في تحليل الصور مباشرة) .

وقام شيني بتقديم شوارزكوف ، الذي سيشرح باسهاب خطة عملياته المتدرجة والسريعة في الأيام والأسابيع والأشهر القادمة .. مع التوقف عند كل مرحلة وامكان سحب هذه القوات في أي لحظة تريدها السعودية .. وعندما قام شوارزكوف بالتعليق على صور الأقمار الصناعية تذكر ضرورة الحذر من أسلوب التخويف فقال :

ــ نعتقد من جهتنا أن صدام (يستطيع) أن يهاجم السعودية متى أراد ، ونحن لا نعرف ماذا سنفعل إذا فعل ذلك بغتة .. لديه الآن (أي لدى صدام) اثنتان وعشرون طائرة مذخرة وقريبة ، ووراءها طائرات مرضعة (أي تقوم بتزويد

الطائرات بالوقود في الجو) لتعطيها مدىً إضافياً ، لا نعرف تماماً ما هو الهدف ، فقد يكون الأسطول السادس في البحر المتوسط .

قال الملك فهد :

ــ لا أدري لماذا كل هذه القوات في الكويت .. أعتقد أن لهم (يقصد العراقيين) أهدافاً اخرى .

وأجاب شيني :

ــ كنا نراقب حشد قواته على حدود الكويت ، وظل الأمير ينتظر إلى أن هوجم قبل أن يطلب أية مساعدة .. لذلك يجب أن نحضر للدفاع قبل أن يقوم بالهجوم . نحن لانطلب الحرب ، لكن وجودنا هنا سيمنع وقوعها ، فاذا ما اندلعت فنحن على استعداد لنقلها الى أراضيه.. نحن هنا بمشيئتكم وسنرحل بمشيئتكم أيضاً .. وتدخل شوارزكوف ، ليقوم بمهمة تقييم لقدرات الجيش العراقي واصفاً إياه بأنه خصم عنيد ، (لكنهم ليسوا بالعمالقة) ، وقد وضعت حاملات طائراتنا في البحار القريبة على أهبةالأستعداد منذ أول يوم في الأزمة .. لكن تواتر القوات بحاجة الى وقت ، فهناك رحلة من سبعة الاف ميل ، وسوف تصل الأسراب الجوية قبل غيرها ، بعدها علينا أن ننتظر سبعة عشر اسبوعاًلوصول كافة الفرق الضخمة اللازمة للعمل .. وسأل ولي العهد الأمير عبد الله الذي كان ما زال صامتاًحتى الان :

ــ ما هو حجم الفرقة لديكم . ــ ١٨ ألف جندي . أجاب شوارزكوف . ولم يتدخل أحد للسؤال عن عدد الفرق المنوي ارسالها ، فشعر شيني بأن (السقف) الذي كان يخشاه (أي تحديد السعودية لعددالقوات) قد أمكن تجاوزه الان .. فتابع على الفور كي ينتقل إلى نقطة تصعيدية أخرى في النقاش :ــ تأكدوا أنه بعد ١٢٠ يوماً نستطيع (بمساعدة قواتكم !..) أن نلقي بهم في بحر الخليج ، أو أي مكان تريدون .. طلب الأمير عبد الله ولي العهد ، الخرائط العسكرية التي تم ارفاقها مع خطة العمليات وتساءل قائلاً :

ــ ألا تلاحظون أن هناك فرقاًبين الوضع الفعلي والوضع الفرضي للقوات

العراقية هناك (القادة وود ورد ص ١٨٨) تجاهل شيني ملاحظة الأمير ولي العهد ، وراح يعدد النقاط التي أكدها الرئيس بوش كما يلي :

١ ــ الولايات المتحدة مستعدة فوراًالارسال قوة ضخمة لانجاز المهمة (قواتنا وقواتكم كافية لهزيمة العراق) .
٢ ــ كي ننجح في مهمتنا علينا أن نضع القوات في المكان المناسب والزمان الملائم .. فالوقت هو جوهر النجاح .
٣ ــ تعود قواتنا إلى بلادها حين زوال الخطر نهائياً .

وتنهد الأمير عبد الله قائلاً :

ــ نأمل في ذلك .

وتابع شيني :

٤ ــ سيكون الأمر خطراًإذا انتظرنا ، أرغب في أن أحظى بموافقتكمعلى احضار القوات ، نريد أن نعمل سوية لاحضار مزيد من القوات الدولية والعربيةوالأسلامية ، لكنني أحثكم على عدم الانتظار .. دعونا نبدأ ..

قال فهد وقد بدأ حساباته الخاصة :

ــ تعاوننا معكم ليس ناجماًعن الرغبة في مهاجمة الآخرين ...

وأجاب شيني على الفور :

ــ الأساس هو تهديد السعودية ، نحن لم نخلق المشكلة بل خلقت المشكلة لنا ، وعلينا أن نتساءل جميعاً .

لماذا يكثف صدام حسين كل هذه القوات (عاد شيني هنا لاسلوب المراوغة والاخافة من جديد) .

قال الملك فهد :

ــ أنفق كل أمواله (يقصد صدام) على التسليح ، بدلأمن انفاقها على أمورلمصلحة شعبه .. يبدو أنه يتطلع إلى ما هو أكبر من الكويت ، إنه يرتكب خطأكبيراً ، إذا كان يعتقد ذلك فعلاً .. وأظن أنه كذلك ..

ثم تابع :

ــ إننا نقوم بالتعاون لا لأهداف عدوانية ، بل للدفاع عن أنفسنا (وكأن الملك فهد هنا يريد اسماع الحاشية الملكية أكثر من إسماع شيني ووفده) إنني مسرور بما سمعت الآن . علينا أن نقوم بتنفيذ الترتيبات لتحقيق ذلك .

ثم استدار الملك فهد إلى الأمير عبد الله ولي العهد وراح يتحدث (لم يقم بندر هنا بترجمة ما يدور بين الأعمام للوفد الأمريكي ، إلا أن السفير الأمريكي فرايمان كان يتقن العربية) .

ــ الكويتيون انتظروا طويلاً ، والآن لم يعد هناك كويت .

ورد الأمير عبد الله بعصبية بادية :

ــ بل هي موجودة .. ما يزال هناك كويت ..

قال فهد بهدوء :

ــ صحيح ، لكن جميع الكويتيين هنا ، يعيشون في الفنادق .. والتفت الملك الى شيني قائلاً :

ــ نوافق على المبدأ ، دعونا نتوكل على الله ، ونفعل ما يجب عمله بغير انتظار .

ضراوة القرارات الأميركية الصادرة باسم مجلس الأمن :

عندما كان شيني يعلم الرئيس بوش بموافقة المملكة السعودية على انتشار القوات الاميركية في أراضيها كان مجلس الأمن يصدر القرار رقم ٦٦١ الذي يفرض عقوبات اقتصادية شاملة على العراق **(لم يسبق لها مثيل في تاريخ فرض العقوبات الدولية على أي طرف في العالم (هيكل أوهام القوة ص ٤٠٥) .**

كان بوش في ذلك اليوم (السادس في آب) قد حقق رقماً قياسياً في دبلوماسية الهاتف الرئاسي فقد أجرى خلال يوم واحد اتصالاً هاتفياً مع اثني عشر زعيماً اجنبياً بمعدل اتصالٍ في كل ساعتين ولم ينس بين هذه الهواتف أن يتصل برئيس الأركان باول يأمره بالشروع بتجميع كافة قوات الخطة ١٠٠٢ ــ ٩٠ التي سيتم

إرسالها الى السعودية حسب الروزنامة المعدة لذلك يقول القرار الصادر عن مجلس الأمن والذي يحمل الرقم ٦٦١ بعد الاستناد الى القرار ٦٦٠ الصادر قبله (بثلاثة أيام) وإلى الحيثيات لا سيما الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة .

أولاً : يقرر المجلس أن العراق لم يعمل بالفقرة ٢ التنفيذية من قرار ٦٦٠ (الانسحاب غير المشروط) وأقدم على اغتصاب سلطة حكومة الكويت الشرعية .
ثانياً : يقرر نتيجة لهذا اتخاذ الاجراءات التالية لضمان التزام العراق بالفقرة التنفيذية ولأعادة سلطة حكومة الكويت الشرعية .
ثالثاً : يقرر أن تمتنع كل الدول عن :

أ ــ الاستيراد الى اراضيها ، كافة السلع والمنتجات التي يكون منشؤها العراق أو الكويت والتي يتم تصديرها (من البلدين) بدءاً من تاريخ ما بعد هذا القرار .

ب ــ أي أنشطة من قبل مواطنيها (الدول الممتنعة) أو على أراضيها أو منتجات يكون منشؤها العراق أو الكويت أو الشحن الوسيط لها (أي السلع والمنتجات) وأي معاملات من قبل مواطنيها أو السفن التي ترفع أعلامها أو على أراضيها بخصوص السلع أو المنتجات التي يراد تصديرها من قبل العراق أو الكويت ، كما يمنع أي تحويل أرصدة الى العراق أو الكويت لغرض مثل هذه الأنشطة والمعاملات .

ج ــ البيع أو الامداد من قبل مواطنيها أو من أراضيها أو باستخدام سفن أو أي معدات عسكرية سواء كان منشؤها على أراضيها أم لا ، على ألا يشمل الامدادات التي تستهدف أغراضاً طبية دون غيرها والمواد الغذائية في الحالات الأنسانية ...
رابعاً : يقرر أن تمتنع جميع الدول عن أن توفر لحكومة العراق أو أي منشأة تجارية أو صناعية أو أي هيئة عامة تعمل في العراق أو الكويت أو تجري اداراته انطلاقاً منهما ، تحويلات أرصدة ، أو أي موارد مالية أو اقتصادية وأن تمنع مواطنيها أو أي أشخاص داخل أراضيها أو أن يوفروا بأي طريقة أخرى لتلك الحكومة أو لأي منشأة من هذه الأرصدة أو الموارد ومن أن يحوّلوا أرصدة الى أشخاص أو

هيئات داخل العراق أو الكويت باستثناء المدفوعات لأغراض طبية محضة .. والمواد الغذائية في الظروف الانسانية ..

خامسا : يدعو المجلس جميع الدول بما فيها الدول غير الأعضاء في الأمم المتحدة الى الالتزام الكامل بهذا القرار بصرف النظر عن أي عقد أبرم أو أي ترخيص تم منحه قبل تاريخ هذا القرار .

كان الخطير في هذا القرار ـــ يقول هيكل أوهام القوة والنصر ص ٤٠٦ ـــ الذي صيغ وكأنه قميص حديدي محكم ، أنه يوقف صادرات العراق من البترول تماماً ، ولما كان البترول هو المورد الأساسي للعراق فقد كان معنى ذلك الخنق البطيء .

□

أراد بوش اعطاء الضوء الأخضر لأرسال جيوشه نهار الأثنين مساءً بعد لقاء شيني والملك فهد ، لكنه آثر الأعلان عن الحدث يوم الأربعاء (أي بعد يومين من موافقة السعودية ، وهو نموذج آخر على الركض للتلويح بالسيف) ، وبذلك يكون بوش قد أعطى نفسه مهلة يومين للتشاور مع حجر العثرة الأخيرة .. الاتحاد السوفيتي .

في السادس من آب ، كان شيفر نادزة وزير الخارجية السوفيتي ، مسترخياً في القرم (داتشا) ، وكان يقضي أيام إجازته في هذه المنطقة التي تحبها شعوب الاتحاد السوفيتي عموماً .. (لكنها ستصبح منذ بريجينيف امتيازاً لكبار المسؤولين في السلطة والحزب) .

ويدخل أحد معاوني الوزير السوفيتي ليعلمه بأن بيكر على الطرف الآخر من الهاتف ، وبصوت مرح يقول بيكر :

ـــ شيف ، كيف تسير إجازتك ، هل الطقس جميل لديكم ؟

ويرد شيفار نادزة :

ـــ أتمنى لو تكون معي هنا .. إنها متعة حقيقية ..

وبعد تبادل الكلمات اللطيفة ، تغيرت نبرة صوت الوزير الأمريكي ، فراح يقول :

ــ سوف نضطر الى أرسال جيوش الى الخليج .. بناءً على طلب العربية السعودية (قال الجملة الأخيرة مستدركاً ، إذ أن الولايات المتحدة كانت مدعوة وليست داعية لهذا الانتشار !.. أو هكذا يريد أن يوحي للوزير السوفيتي) .

وراح بيكر يشرح التقارير الأخيرة للاستخبارات الأمريكية ، والحشود العراقية على حدود السعودية ... الخ .

ظل شيفر نادزة صامتاً دون أن يتلفظ بكلمة واحدة .

واستطرد بيكر قائلاً :

ــ نعطيكم الضمانة ، بأننا لا نطمح لتحقيق زيادة في تأثيرنا على المنطقة ..

وهنا خرج الوزير السوفيتي عن صمته وسأل :

ــ جيم ، مكالمتك هذه بأي هدف ، استشارتنا أم إعلامنا ؟

يجيب بيكر :

ــ أنا لا أعتقد بأن ثمة عملاً مشتركاً نستطيع القيام به في هذا الخصوص ، أم أنكم تودّون المجيء معنا الى الخليج ؟ لا أملك صلاحية لمثل هذا العرض ، ولكن بامكانكم أن تقرروا المساعدة بارسال قوات بحرية أو برية .

ويضيف بيكر :

ــ كيف نستطيع أن نفعل كي نتعاون في هذا الموضوع ؟

ولكن شيفر نادزة يجيب :

ــ لماذا لا يكون كل ذلك في إطار اللجنة العسكرية للأمم المتحدة ويرد بيكر :

ــ سنتحادث ثانية فإن الرئيس بوش على الخط الآخر ..

ويعود بيكر يطلب شيفر نادزة من جديد :

ــ شيف ، الرئيس بوش لا يرى عائقاً من مشاركة سوفيتية بحرية أو برية ..

ــ حسناً ، يجيب شيفر نادزة ، فإذا كان الأمر كذلك ، فسوف أطلع الرئيس غورباتشوف على الموضوع .

لقد قرأت واشنطن (خطوات التقدم التي تسير عليها موسكو) بعناية بالغة ، وقد أمكن حتى الآن ، جرّ السوفييت للتنديد بحليف قديم لهم ، وهم يفكرون الآن في أن يصبحوا وجهاً لوجه ضد هذا الحليف !..

بعد أيام سيرد شيفر نادزة على العرض الأمريكي السخي بقوله :

ــ عرضكم هو دلالة على ارادتكم الطيبة (كان السوفييت ما زالوا ينتظرون المساعدة بمليارات الدولارات الأميركية) شكراً لكم .. لكن جرح أفغانستان لم يلتئم بعد .. وكان ذلك بمثابة الاعتذار الرقيق لعدم قبول السوفييت بالمشاركة ، ولكنه من طرف آخر ، كان مباركة ضمنية لخطّة الولايات المتحدة في القدوم المباشر الى المنطقة ولمبدأ قرع طبول الحرب ..

★

كان ريتشارد شيني ينهي آخر الاجراءات لتنفيذ الاتفاق الذي تم عقده مع الملك فهد ، حين دق جرس الهاتف في القصر الملكي وكان بوش على الخط الآخر ، (للمرة الثالثة يتحدث بوش مع جدة خلال يومين) ، فقد حضّرت هذه المحادثات الهاتفية الساحة لنجاح شيني ، وقد لعب بوش على القلق الذي ظل ينتاب العائلة السعودية من ايران سابقاً ، والعراق لاحقاً ، وفهم بوش منذ أن كان مديراً للسي آي إيه ، أن السعوديين ينظرون الى ضعفهم بعقلانية ، بالرغم من أنهم أنفقوا خلال السنوات الخمس الأخيرة ، ما يزيد على ١٥٠ مليار دولار للسلاح المتطور ..

بعد أن وضع اللمسات الأخيرة على اجراءات خطته قال شيني للملك :

ــ هاكم مجمل ما نستطيع تقديمه لكم .

وأجاب الملك : حسناً ، سآخذ كل ماتقدمونه لنا .. وظل الأمير عبد الله ، وقد اكفهر وجهه ، ينظر الى زاوية أخرى من زوايا القاعة في القصر ...

صدام مع نائب السفيرة الغائبة :

كان صدام حسين يستقبل القائم بالأعمال الأمريكي جوزيف ويلسون ، في

الوقت الذي افتتحت فيه اللقاءات بين شيني ووفده المرافق ، وملك السعودية في جدة . وقد استقبل الرئيس العراقي ، القائم بالأعمال نظراً لغياب غلاسبي السفيرة الأمريكية منذ أن تم اجتياح الكويت ، وقد دار الحوار التالي مع ويلسون :

صدام :

ــ ما هي الأخبار السياسية والدبلوماسية الجديدة ؟

ويلتفت ويلسون الى وزير الاعلام العراقي الذي كان حاضراً الجلسة

ــ لدى وزيركم ، بفضل سي إن إن معلومات تفوق ما لدي .

صدام :

ــ أنا أطلب تحليل الأحداث الأخيرة التي حصلت منذ لقائنا مع سفيركم هنا .. المفاوضات مع حكومة الكويت السابقة باءت بالفشل .. رغم جهودنا .. وحصل ما كان يجب أن يحصل ..

ويلسون : وزيركم أعلمنا مسبقاً

صدام :

ــ أعرف بالتفصيل الموقف الأمريكي ، الولايات المتحدة تتخذ موقفاً ، بمجرد حصول شيء في هذه الكرة الأرضية .. لن نفاجأ بالموقف الأمريكي المناوىء ، لكن حذار الاصغاء الى نصائح سيئة .. فمشكلتنا مع ايران سابقاً ، هي أنها لم تكن تصدق نوايانا الحقيقية بالرغبة بالسلام .. كانت تعتبر كلامنا تكتيكاً وطالت الحرب .. أنتم تعرفون تتمة القصة .. لو أن الايرانيين أهتموا بما قلناه لما وقعت الحرب أساساً .

أود التحدث اليك عن العلاقات بين العراق والولايات المتحدة وعما سيحصل إذا اقترفت الولايات المتحدة خطأ في المنطقة .. وراح الرئيس العراقي يتحدث عن وضع الكويت التاريخي ، وكيف ظل هذا البلد دون حدود حقيقية مع العراق منذ انشائه .. كما تحدث عن العلاقات الجيدة مع السعودية منذ العام ١٩٧٥ ، وأن هذه العلاقات التي استمرت صُعداً باتجاهات ايجابية ، لم تؤذ المصالح الأمريكية ، بل بالعكس ، لعلّها كانت عامل استقرار في المنطقة ... نحن لا نفهم

لماذا التركيز على تخويف السعودية الآن منا ... إن هذا سيؤدي الى دفع السعودية لعمل ما ضد العراق ، وسيضطر العراق للرد .. وبعملكم هذا تلعبون لعبة الاستفزاز ..

وتابع صدام :

ـ نحن أول من دعا السعوديين لابرام معاهدة أمنية وعدم اللجوء الى القوة بيننا ، دعونا الكويتيين للتوقيع على مثل هذه المعاهدة .. لكنهم رفضوا .. لا أعلم منْ المحرض تماماً .. وأظن أنها بريطانيا .. كنا مع السعوديين حتى اجتماعنا بالكويتيين في جدة على خير ما يرام .. ولكنكم خربتم هذه العلاقة بتقليبكم السعوديين صباح مساء ضدّنا ...

نحن الآن على استعداد تام لأن نعطي السعوديين كل الضمانات لتهدئة المخاوف ، وبالعكس تماماً ، نحن من واجبنا حمايتهم إذا ما تعرضوا لعدوان أجنبي .. وأود هنا أن اؤكد على نقطة أخرى .. تقولون بأننا أعطينا الوعد بعدم مهاجمة الكويت ، ثم حنثنا بهذا الوعد .. ليس صحيحاً كل ما يقال ، قلنا لهم بالحرف : لن نهاجم الكويت ما استمرت المفاوضات في جدة .. لم يحصل أنني قدمّتُ وعداً لأي عربي خارج هذه اللفظة ... كل ما هناك هو أنه عندما تهددت مصالحنا الأساسية ، حياتنا ومصيرنا ، لم يعد أمامنا خيار سوى ما فعلناه .. سؤالي لك الآن أين هو تهديد المصالح الأمريكية في الكويت أو في أي مكان آخر هنا ؟؟..

كنتم تشترون ثلث انتاجنا النفطي وكان قراركم هو مقاطعة النفط العراقي .. واستمرت الولايات المتحدة بالشراء منا ... لأن ذلك كان في مصلحتكم الأساسية ..إذن مم أنتم خائفون ؟..

إنكم قوة عظمى ونعرف أنه بمقدوركم الحاق الأذى بنا ، لكن حين سيتهدد وجودنا ، سنرد بما نقدر عليه ونمتلكه .. نحن نؤمن بألا أحد يستطيع أخذ حياة الانسان إلا الله ...

أنا أستغرب لماذا لاتدفعون مصالحكم باتجاه نظم وطنية وواقعية ... بدلاً من

نظم أصبحت مكروهة بفضل سياساتكم معها ... لقد ارتكبتم من الأخطاء ما يكفي لأضعاف حلفائكم في المنطقة .. ثم لماذا كل ذاك الضجيج الذي سمعناه تعقيباً على تصريحنا بخصوص ردع عدوان محتمل لاسرائيل ؟..

فنحن أثناء حربنا مع ايران ، لم تستخدم الصواريخ بعد أن امتلكناها إلا بعد أن هددنا باستخدامها مراراً وتكراراً ... لم تصدقنا ايران .. أحمد الله أن اسرائيل حتى هذا اليوم ، لم تقم بعدوانها المتوقع ضدنا ..

الخيار العسكري والتوتر المتزايد في المنطقة ، لا يخدمان مصالحكم ، نحن نرغب بالاستقرار والسلام لكن لن نترك شعبنا يجوع ، فشعبنا جاع خلال ألف سنة .. وهـذا يكفيـه .. رسالتي الى الرئيس بوش ، هي بناء علاقة طيّبة مع الولايات المتحدة ، بما يحفظ حقوقنا وكرامتنا ومستقبلنا ...

ورد ويلسون قائلاً :

ــ شكراً حضرة الرئيس ، لن أتأخر عن حمل تصريحكم لحكومتي ونقل رسالتك هاتفياً وبصورة مباشرة ... كما أنني سأكتب ذلك ، إنها مرحلة خطيرة ، ليس على العلاقات الأمريكية ــ العراقية فحسب ، بل على توازن المنطقة والعالم أيضا .

صدام :

ــ لماذا تكون خطيرة على العالم ؟..

ويلسون :

ــ أعتقد أن هناك شعوراً بفقدان الأمن ، وبعض الفوضى التي بدأت تدب في أسواق النفط .. (ارتفع سعر البرميل أثناء هذا الوقت بنسبة ٣٠٪ وجاوز ٢٨ دولاراً ، وهو رقم قياسي منذ خمس سنوات. ويبدو أن ويلسون كان محاطاً بذلك بالطبع) .

صدام :

ــ إنه خطأكم .. لقد قبلنا ٢٥ دولاراً للبرميل الواحد ، ولو إنكم لم تقرروا المقاطعة لدار السعر حول رقم ٢١ دولاراً لا أكثر .. فعندما تقاطعون خمسة

ملايين برميل يومياً دفعة واحدة ، فهذا ليس في صالح الشعب الأمريكي حتماً ، بل لصالح الموزعين فقط ...

ويلسون :

ــ لدي انطباع بأني ألامس نقطة جوهرية .. وهي أنه من أجل تجنب ارتكاب أخطاء في المستقبل ، لا بد من استمرار الحوار ، إذ بواسطته يمكننا التخفيف من التوتر وضبط الأعصاب .. لذا فإني مسرور جداً بإمكان نقل رسالتك .. لكن لا بد لي من ابداء ملاحظتين حول الموضوع المطروح آنفاً :

سوف أنقل اليكم والى وزرائكم ، رد الرئيس بوش ، في القسم الأول من رسالتك ، ذكرت أن الكويت كانت جزءاً من العراق .

صدام :

ــ انه تاريخنا .. كان على الكويت أن تعير هذه الحقيقة اهتمامها ، لا أن تهرب منها .. أما بالنسبة للسعودية ومصر مثلاً ، فإن المسألة تختلف ..

ويلسون :

ــ من المهم جداً أن أفهم طبيعة هذه العلاقات .

صدام :

ــ العلاقات بين البلدان محددة بالعلاقات بين الشعوب .. ومع ذلك فإنها يجب أن ترتكز الى روح الأخوة والاحترام المتبادل وتقدير وضع الشقيق للشقيق ..

ويلسون :

ــ وهل كانت علاقتكم مع الكويت تفتقد لذلك ؟

ــ نعم .. خاصة خلال الشهر الأخير .. **اضطررت مراراً للطلب من جابر أن نحدد حدودنا وكان يجيبني (ليفعل غيرنا ذلك)** وفي جدة أرادوا تثبيت الأمر الواقع ببضعة مليارات من الدولارات نحن قلنا تعالوا لنتفق على رسم الحدود ولم نقل تعالوا نبيعكم حدودنا ..

ويلسون :

ــ شكراً .. لقد ذكرت العلاقات الأخوية بينكم وبين السعودية ، ولكني هنا أرغب في اثارة مخاوف حكومتي من النوايا العراقية ، وقد قدمتم لي اجابة عامة على هذه المخاوف ..

صدام :

ــ حسناً ، ما هو الشيء الذي يمكنه التخفيف من قلقكم ؟..

ويلسون :

ــ لا أعرف ، سوف استعلم عن هذا الشيء من رئيسي .. وأنا ممتن لأعطائي ضمانة بعدم وجود نية لعمل عسكري ضد السعودية ..

صدام :

ــ بمقدورك نقل كلامي الى السعوديين والى باقي العالم .. نحن لن نهاجم من لا يهاجمنا .. ولا نؤذي مَنْ لا يؤذينا .. أفضل تمنياتي للرئيس بوش .. وقل له أن يعتبر جابر وعائلته أصبحوا ينتمون للتاريخ .. سلالة الصباح إنها من الماضي ...

ويلسون :

ــ سوف أنقل هذا لحكومتي ، لقد أتيت الى هنا حاملاً ثلاث أفكار تشكل مخاوف حكومتي ، **أولاً طبيعة الغزو وتعرفون جيداً موقف حكومتي على هذا الصعيد** ، ثانيا ، **نواياكم المستقبلية فيما يتعلق بالعربية السعودية** ، وهذا ما أجبتَ عليه ، وأخيراً **أمن الرعايا الأمريكيين وموضوع السماح لهم بالمغادرة** .

صدام :

ــ إنكم تصرون على أننا لم ننسحب من الكويت .. كيف هذا ... ويلسون مقاطعاً :

ــ أعلمت واشنطن بأنني رأيت ثلاث قوافل تغادر منطقة البصرة ..

صدام :

ــ بالنسبة للأمريكيين في الكويت وفي العراق .. يُحظّر على الجميع سواء من العراقيين أو العرب أو الاجانب ، حريّة التنقل الآن ، وأعتقد أن جيشنا لم تنقصه اللباقة في التصرف ، خاصة تجاه الأجانب .

ويلسون :

ـــ هل تسمح بالاجابة المباشرة ، متى ستسمح للأمريكيين بالرحيل ؟

صدام :

ـــ سنعلمكم في الوقت المناسب .

ويلسون :

ـــ أرجو أن يكون ذلك دون إبطاء ، لأنه يسبب انفعالاً لدى الحكومة والشعب في الولايات المتحدة ..

صدام :

ـــ ندرك الوجهة الانسانية للموضوع ..

ويلسون :

ـــ مساء البارحة دخل جنود عراقيون الى منزل المستشار في السفارة الأمريكية في الكويت .. وهذا يتناقض مع الأعراف الدبلوماسية إذ هو خرق للحصانة المعروفة ..

صدام :

ـــ لا أعتقد أن هؤلاء من الجنود العراقيين ، هناك عناصر تخريب آسيوية ، كويتية وسعودية وكلها تعمل ضد العراق ، المهم عندما يحدث خطأ سببه نحن ، فسوف نعتذر عنه فوراً .

ويلسون :

ـــ أعود للسؤال ماذا بشأن رعايانا الأمريكيين ؟

صدام :

ـــ هل تنوون مهاجمتنا بعد رحيل رعاياكم ؟.

ويلسون :

ـــ كلا (قالها بصورة فورية) أنا شخصياً أحب البقاء هنا ، ولكن علينا أن نتيحَ المجال لمن يحب المغادرة أن يرحل .. وقد سعدتُ لتطميني من قبل الخارجية العراقية على رعايانا ..

صدام :

ـــ لا تقلقوا أبداً .

ولسون :

ـــ الحوار هو عوامة النجاة للدبلوماسيين والسياسيين .

صدام :

ـــ أريد أن أتأكد من أنك ستنقل رسالتي هذه الى الرئيس بوش .

ويلسون :

ـــ إذا اطلعتم على محاضر لقاءاتنا السابقة ، ستجدون أنني كنت أدوّن كل فكرة وردت .. وإنني شكرتكم كثيراً أمام رؤسائي ...

□

لقد استقيت هذه المعلومات المدونة في اكثرية المراجع الغربية عن هذا اللقاء الطويل (الملف السري : سالنجر . القادة : بوب وود ورد . الحصاد : كوارلي . أوهام القوة والنصر : هيكل) بالنظر لاهمية اللقاء ، حيث تبدو نصوص هذه الجلسة أكثر وضوحاً من الجلسة السابقة بين الرئيس العراقي وآبريل غلاسبي السفيرة الغائبة (والتي ستظل غائبة حتى نهاية الحرب ..) ، إن الأهمية الخاصة لهذا اللقاء ، تكمن في أسلوب المراوغة وكسب الوقت الذي بدأت الولايات المتحدة باتباعه ، فمن الواضح أن ويلسون الذي لن يعدم وسيلة في الوقوف على ما وصلت إليه اجتماعات جدة الحربية ، لم تسقط من فمه تعابير الدبلوماسية المألوفة ، عندما يكون الاجتماع عادة مع ملك أو رئيس فهو لم يتلفظ اثناء اسئلته أو اجاباته بالبادئة الدبلوماسية الروتينية سيادة الرئيس مثلاً أو السيد الرئيس كما هو معروف لدى الغرب نفسه) ، وكأن الدعاية الأمريكية التي أشار اليها في بداية الحديث (سي إن إن) ، وسواها ، قد امتلكت عليه تفكيره ، فأغلقت عليه تعبيره ، فصدام (هتلر صغير) و (همجي عربي متوحش) و (ديكتاتور الخليج) وغيرها من الأوصاف والنعوت الامريكية ، لرجل عربي لا يستحق التقدير أو

التوصيف ، لا بألقاب السيادة ، ولا بألقاب الجلالة ، فتشيني خلال اجتماعاته مع الملك فهد في جدة ، كان هو الآخر ، يحاذر الاقتراب من ألفاظ الجلالة بل ينحو نفس المنحى بحذفه البادئة الدبلوماسية (جلالة الملك) ، وكأن العرب جميعاً ، لا يستحقون الألقاب ، خاصة بعد أن أخلى العصر مكانه للولايات المتحدة في هذا العالم (إذ لماذا كان كل الدلال للألقاب ابان الحرب الباردة ؟!..إذن) .

لقد حصل ويلسون على ما كان يريد الحصول عليه ، من خلال اثارته لأسئلة بدا وكأنها ضمن السياق أو المألوف (هل الكويت جزء من العراق تاريخياً ؟) وكأن السؤال لم يكن للاستفهام بمقدار ما كان للتأكد من : (هل هذا هو موقف العراق النهائيّ من الكويت) وهو (عامل أول لتحضير الحرب) ، ثم (هل لديكم نوايا عدوانية تجاه السعودية (عامل ثان) ، إذ أن ويلسون كان يعرف تماماً فيما إذا كان العراق سيهاجم السعودية فعلاً أم لا .. غير أن الايهام بأنه غير واقف على حقيقة الوضع تماماً ، يفسح له مجال اصطياد عصفورين بآن واحد : الأول كسب الوقت ، حيث المرحلة الأولى من استقدام القوات الأمريكية ستكون مرحلة في منتهى الخطورة خشية قيام الجيش العراقي باستباق الضربة وهو احتمال ظل يؤرق القيادة العسكرية الأمريكية ، والعصفور الثاني (هو عصفورة في الحقيقة اسمها) كذبة الاجتياح العراقي للسعودية ، وقد اخترعها الأمريكيون ، وأرادوا من الخصم أن يصدّق تصديقهم لها !.

أما السؤال الانتظاري لمسألة الرعايا الأمريكيين ، فلم يكن اكثر من مسألة وقت ، فالأقنية السرية كانت تعمل بصورة مكوكية للافراج عنهم ، بعد أن اكتسبت المسألة طابعاً انسانياً رومانسياً وعالمياً ، وبعد أن تم اغلاق صفحات التاريخ القريب ، عن الرهائن المدنيين اليابانيين ، أثناء الحرب الثانية في الولايات المتحدة ، حين تمّ تجميعهم في أماكن منتقاة كيلا تتعرض لها القاذفات اليابانية علماً بأن هؤلاء اليابانيين كانوا مواطنين أمريكيين اكتسبوا الجنسية منذ وقت طويل .

كان العراق من جهته ، يعتقد بأن مثل هذه الرسائل عبر السفراء أو

وكلائهم ، يمكن أن تلعب دوراً في التوضيح ، أو في تخفيض الهياج أو التوتر الأمريكيين ، إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية ، ــ كما قال بوش للصحفيين ــ كانت قد رسمت خطاً لنفسها فوق رمال الخليج ، أو كما قال أحد حكماء السياسة الغربيين ، (لو لم تكن كويت ، لاخترع الأمريكيون كويتا أخرى لضرب العراق) ..

يقول شوفينمان ، وزير الدفاع الفرنسي المستقيل غداة الحرب ، في كتابه الجديد (فكرة ما عن الجمهورية تقودني الى ..) (أي تقوده الى الاستقالة ــ المؤلف) يقول ما يلي : (بعد عشرة أيام على نزول القوات في السعودية ــ كان بين يدي تقرير يستنتج أن الحرب عملياً ، وكما هو مرسوم هي المصير الوحيد للصراع) .

الولايات المتحدة قررت الحرب سلفاً (شوفينمان) :

منذ بداية آب والأجهزة المناط بها تقديم المعلومات اللازمة عن الخليج ، تطرح بأن أمريكا قد قررت استئصال الورم الذي هو (صدام حسين) ، وذلك بسبب الخطر المتنامي الذي أخذ يشكله النظام العراقي على الاستقرار في الشرق الأوسط : سوق النفط واسرائيل .. وبحسب المصادر نفسها ، لم يكن من المستبعد أن أمريكا نفسها ، هي التي شجعت العراق على تجاوز الخط الأحمر ، ومما يدعم الفرضية هذه ، تلك الحملة الكثيفة التي تشّن منذ أشهر (هتلر الجديد) و (المدفع العملاق) و (المفاعلات النووية) مع دفع الكويتيين للتشدد في المحادثات الثنائية مع العراقيين ، بالاضافة الى ردات الفعل العنيفة الصادرة عن الأمريكيين ، بعد الاجتياح ــ لا قبله ــ وكان هناك عاملان يدعمان تصعيد الأزمة أمريكياً :

١ ــ ارادة أمريكية بتطويق الأمم المتحدة ، بحيث يمكن دائماً ، وضع قوة متعددة الجنسيات على مسرح الحدث ..

٢ ــ الاتفاق مع السعودية على انزال قوات أمريكية ضخمة ، وهو اتفاق لم يكن ليتم إلا على قاعدة مشروع القضاء على النظام العراقي .

ورغم أن هذا التحليل المنطقي لم يكن مدعماً بمعلومات دقيقة فإنه لم يبدو مفتقراً الى الوثوق به ، فعندما نبّه روزفلت عام ١٩٤١ الى الهجوم الياباني الكبير على بيرل هاربر ، لم يكن ينبّه لمجرد الاستعداد (بدليل ما حصل فيما بعد ـــ المؤلف) بل ليتمكن من تهيئة الرأي العام الامريكي ، كي يستقبل أفضل سبب لدخول الولايات المتحدة الحرب .

ويتابع شوفينيان متسائلاً :

دعونا الآن ، نتأمل مستقبل المنطقة بعد الحرب ، هل سيصبح الأردن هو وطن الفلسطينيين طالما أن نهر الأردن هو حد اسرائيل النهائيُ ؟ هل سيسمح للسوريين بالسيطرة على شمال لبنان ؟ وهل سيثبت الحزام الأمني لاسرائيل في الجنوب ، وضمن هذه الفرضيات ، هل ستكون ايران اكبر الرابحين ، حين سترفع حصتها البترولية وتبدأ في دس أنفها في الخليج ، الرابح الثاني دون شك ، هو اسرائيل ، حيث ستتخلص من حرب يخوضها غيرها ، من القوة العربية الوحيدة القادرة على اثارة قلقها ، وعندها ستتمكن اسرائيل من تثبيت حدودها ، وتدفع بالفلسطينيين الى خارج هذه الحدود ..

□

في كانون الأول ١٩٨٩ اضُطر بوش للانتظار تسع عشرة ساعة كي يتخذ قراراً بغزو بنما ، وهنا وجب عليه انتظار مئة وخمس عشرة ساعة (ليلة ٦ على ٧ آب بعد ساعة من منتصف الليل) للبدء بالرد عسكرياً ، فقد أقلعت فرقة من طياري اف ١٥ باتجاه السعودية ، وكانت بذلك عملية (درع الصحراء) قد بدأت .

★

اغلاق الأنابيب في السعودية وتركيا :

في السابع من آب صباحاً حطّت طائرة في مطار جدة ، ونزل منها على عجل ، ، كل من ياسر عرفات وصلاح خلف (أبو اياد) في مهمة وساطة جديدة ، ولم يكن عرفات على علم بما يجري في السعودية خاصة وأن وزير الدفاع الأمريكي ، **كان قد أنجز مهمته الخطيرة ، وأن قراراً بالحرب قد أتخذ ..**

كان مما يلفت النظر ، أن القصر الملكي كان يبدو ــ على غير عادة ــ مثل خلية نحل ، وتساءل عرفات أمام أحد مساعدي الملك عن سر هذه الحركة فأجيب بعد تردد أن هناك اجتماعاً بين جلالة الملك ووزير الدفاع الأمريكي ..

نظر عرفات الى (ابو اياد الذي كان مسؤولاً عن أمن منظمة التحرير ، فرد الآخر بنظرة حائرة تشير الى عدم علمه بما يجري .. وجاء مساعد الملك نفسه ليقول ، بأن الملك لا يستطيع (وضع موعد لمقابلتكما) قبل يوم غد ..

كان في نيّة الرجلين المشاركة في تشييع جثمان كرايسكي مستشار النمسا المعروف ــ الذي ــ بالرغم من يهوديته كان يقف الى جانب المطالب العادلة للشعب الفلسطيني ــ وقد فهم مساعد الملك هذه الرغبة ، فاستأذن مشيراً الى أنه سيعود بعد عدة دقائق .. وعاد الرجل وعلى وجهه ابتسامة الرضا ــ لقد تمّ ترتيب كل شيء .. ووضع الملك تحت تصرفكما طائرة للذهاب الى فينا ، على أن تعودا في الغد لمقابلة الملك ..

في هذا الوقت ، وفيما كانت الطائرات الأمريكية المقاتلة من نوع (إف ١٥) و (إف ١٦) تقلع من مطاراتها في أمريكا وأوروبا ، (كما بُدىء بانزال ٤ آلاف جندي من الفرقة ٨٢ الأمريكية على الأراضي السعودية) . في هذا الوقت صدر قراران خطيران ، الأول من المملكة السعودية ويقضي باقفال أنابيب النفط العراقية الواصلة الى مرافيء البحر الأحمر ، والثاني قرار مماثل صادر عن تركيا باقفال أنابيب العراق الواصلة الى مراقىء البحر الأبيض المتوسط .. كانت هناك سياستان تلعب عليهما واشنطن ، وتبدت الأولى في أسلوب الخنق البطيء للعراق ، والثانية في قرار المواجهة العسكرية ، **وقد قبلت السعودية أن تكون قاعدة المواجهة**

الأمريكية مع العراق ، فكان من باب أولى أن تقبل بما هو أدنى ، وهو اقفال انابيب النفط العراقية . ولن تفكر السعودية من الآن فصاعداً بالمليارات التي ستمطرها بها واشنطن مستقبلاً (٨ر١٦ مليار دولار حصة السعودية من نفقات الحملة ، ومثلها دفعت الكويت ، أما كلفة الحملة الكلية كما صرح بوب هول المتحدث باسم البنتاغون في يوم ٩٢/٥/٦ وهو تاريخ حديث (رويتر) فقد بلغت حسب الحسابات الأمريكية ٦١ مليار دولار) .

كانت تركيا قد أقفلت الانابيب من جهتها لوعدين ، الأول يقضي بالتعويض الفوري والمضاعف عن خسارة تركيا المحتملة جراء فقدانها العائدات النفطية العراقية ، (طلب اوزال من بيكر مبلغ ٦ مليارات دولار ، اعتبرها خسارة تركيا المتوقعة خلال الأزمة .. ووعد الوزير الأمريكي بدراسة الطلب مع حكومة الكويت في المنفى .. وقال لأوزال : أرجو أن تكون محادثاتكم المقبلة مع المملكة السعودية والكويت ، لا مع الولايات المتحدة ، ــ وهو اغراء بالمساعدة الجدية ــ)

الوعد الثاني لتركيا من قبل الولايات المتحدة ، هو التأثير على السوق الأوروبية المشتركة لاجراء مناقشة جدية لطلب تركيا الانضمام الى السوق .. وحيث أن تركيا في الأساس كانت تبحث مع نفسها انضماماً من نوع آخر ، استرداد أجزاء من جسم الامبراطورية المفقودة ، أو الاطلال على الخليج ، أو كليهما معاً .. فقد قبلت أن تكون الشريك الثاني بعد السعودية في اجازة منح مطاراتها لطائرات التحالف ..

وهكذا بدأ التوسع في تشكيل التحالف ، او المواقف (الاتحاد السوفيتي أو الصين مثلاً) **حيث الاغواءات المالية لبلدان الضائقة المستشرية ، بدأت تنهمر مثل زخات المطر .. أما العرب (٣٣ مليار) واليابان (١٠ مليارات حصتها في الحملة) وألمانيا (٦ مليارات) فسيدفعون كل شيء .. وسوف تسترد الولايات المتحدة اعفاءاتها لمصر من الديون (زهاء ٧ مليارات) من أكياس العملة المتخمة . في كل من الرياض والكويت ..**

□

لقد رسمت خطاً على رمال الصحراء :

عاد عرفات برفقة (أبو اياد) الى جدة ، بعد المشاركة في تشييع كرايسكي في فينا ، وسيبذل الرجلان كل طاقة ممكنة مع رؤوس الأزمة ، إلا أن الوقت كان قد فات والصيف ضيعّت اللبن .

فقد انتشرت أخبار مجيء القوات الأمريكية الى السعودية ، مثل انتشار النار في الهشيم ، وفي الثامن من آب ، وأمام البيت الأبيض عقد بوش مؤتمراً صحفياً أعلن فيه (لقد رسمت خطاً فوق رمال الصحراء) ثم عاد ليقول بصوت متشنّج :

(نحن مدعوون في حياة أمة ، أن نكتشف مَنْ نحن وبماذا نؤمن ، واليوم وبصفتي رئيس الولايات المتحدة أطلب دعمكم لقرار اتخذته كي يتسنّى لنا الوقوف الى جانب ما هو حق وإدانة ما هو باطل) . وأشار بوش الى أن مهمة القوات الأمريكية الذاهبة الى السعودية هي مهمة دفاعية كلياً **(من الملاحظ في هذه المرحلة ، أن بعض الرؤساء في التحالف نفسه ، أصبحوا مطيّة في خطة التضليل الكبرى ، فلا وكالات الاعلام الجبارة ، ولا التسريبات الآتية من لدن الأجهزة السرية العملاقة .. بل الرئيس نفسه هو مَنْ يقع عليه واجب المراوغة والكذب)** . وتابع بوش :

هناك أربعة أهداف لنا :

١ ــ انسحاب العراق الفوري وغير المشروط من الكويت .

٢ ــ إعادة الحكومة الشرعية الى الامارة .

٣ ــ الحفاظ على حياة الرعايا الأمريكيين .

٤ ــ أمن الخليج وخاصة ما يمس الامدادات البترولية .

في نفس الوقت الذي كان فيه بوش يلقي بتصريحاته التي ظهر فيها خيار الحرب نهائياً ، كان الرئيس المصري يتحدث في الساعة الثالثة بعد الظهر بتوقيت القاهرة (تصريحات بوش في الساعة التاسعة بتوقيت واشنطن) عن فظاعة الحرب مثلما يعرفها هو اكثر من غيره ، وكان ابرز ما قاله (ان الصورة سوداء ومخيفة وما لم نتدارك الموقف فوراً فإن الحرب حتمية) .. وراح الرئيس المصري يبالغ فيما هو

مقبلٌ غداً ، حتى ظن بعض الناس أن الحرب قادمة بين عشية وضحاها ، فيما كانت القيادة العسكرية الأمريكية نفسها ، تدعو الله **(ألا يشن هذا المتحجر المجنون ضربة استباقية تؤدّي الى مذبحة حقيقية ـــ شوارزكوف تصريحات ما بعد الحرب ـــ) . لم تكن مشكلة المدرسة الساداتية ، والملحق الممتاز بعدها ، في القول بأن الولايات المتحدة هي اليد العليا في هذا العالم ، وهو تقدير موضوعي الى حد كبير ، بل في السياسة الذاهبة الى تمتين هذه اليد وجعل الوجه العربي في متناول لطمها باستمرار ..**

فقد اعترض الرئيس المصري ، في بداية اللقاء مع شيني العائد من السعودية لتوه ، اعترض على انتشار قوات أمريكية في السعودية ، وبتلقّيه هاتفين من بوش وفهد ، عاد ليقبل بمبدأ الانتشار ، وسمح في ظرف دقائق ، بعبور حاملة الطائرات أيزنهاور قناة السويس ، علماً بأن فارق الزمن ما بين طلب الأذن ، والموافقة عليه ، لم تكن اكثر من ايماءة رأس ، حيث كانت الحاملة قد وصلت الى فوهة القناة ، حتى قبل تلقيها اذن العبور الشكلي ؟!..

وتقول المصادر الغربية **أن الضغوط الأمريكية لتفادي (الحل العربي) للأزمة وضمان قبول الدول العربية الحليفة بالمشاركة في قوات التحالف ، قد وصلت الى درجة حرجة .**

في هذا الوقت (الحصاد . جون كوولي ص ٣٣٩) ترجمة عاشور الشامس) وإضافةً الى ما طلبه شيني في اجتماع الاسكندرية من الرئيس المصري ، هو ارسال قوات مصرية الى السعودية ، (رغم ان الرئيس المصري أنكر ذلك فيما بعد) (سالنجر الملف السري ص ١٣٥) وقد وافق الرئيس المصري على الطلب شريطة موافقة بلدان عربية اخرى ، وعندما قام شيني في جولته الموسّعة الى المغرب ، بعرض هذه المطالب رفض الملك الحسن فكرة المشاركة في التحالف ، وعندما علم الرئيس المصري بموقف الملك المغربي ، عاد هو الآخر واستنكف عن قبول المشاركة المصرية في التحالف مسارعاً الى انكارها (محصلش) .

□

في عمان كان الملك حسين يستعد للسفر الى القاهرة للمشاركة في مؤتمر القمة العربي (الذي كان مقرراً في التاسع من آب ثم تم تأجيله الى صباح العاشر من آب نظراً لارتجال الاعداد له وحمّى التسريع بعقده) واختار الملك حسين طائرة (ايرباص) من الشركة الملكية الأردنية اسمها بغداد ، علماً بأن المستشارين كانوا قد اقترحوا تبديل الاسم ، ورفض الملك .. وقد سارعت الدبلوماسية الأمريكية ــ نظراً للأهمية البالغة لهذه القمة في الحسابات الأمريكية ــ سارعت الى اعلان تصريح باسم البيت الأبيض يقول (إن الادارة الأمريكية تأمل في أن تتخذ اكثرية البلدان في الأمم المتحدة موقفاً الى جانب ارسال قوات لها للانضمام الى القوة المتعددة الجنسيات) وفهمت الرسالة ..

في بغداد وبعد خطاب الر ئيس الأمريكي على شاشات التلفزيون في كل أرجاء العالم ، واعلانه عن خطوة ارسال القوات الأمريكية الى السعودية ، صدر بلاغ عن مجلس قيادة الثورة يعلن (ضم الكويت) وكان مما قاله البلاغ (الحمد لله ، لقد أصبحنا اليوم شعباًواحداًودولة واحدة ، ستشرّف العرب جميعاً) . وكان البنتاغون الأمريكي سادراً في تصعيد الموقف ، حيث بدا وأن الادارة الأمريكية ، تضع الأطراف في مواقع لن يكون من السهل الانسحاب خلفها ، فقد صرح ناطق باسم البنتاغون بأن خمسين ألف رجل سيكونون في السعودية قبل نهاية هذا الشهر (أي شهر آب) . وفي التاسع من آب ، بدأت الحملة الغربية بتقليص عدد الدبلوماسيين العراقيين في سفاراتهم حتى الدرجة القصوى تمهيداًلقطعها نهائياً ، وقام العراق بدوره بعملية اغلاق حدوده وابقاء كل الأجانب المتواجدين على أرضه لأسباب أمنية ..

ومقابل الحصار(القرار ٦٦١ الصادر عن مجلس الأمن في ٦ آب)وردات الفعل المتبادلة ، أجاب العراقيون أن (بامكاننا أن نعيش بدون البيبسي والماكنتوش والماكدونالد) واستباقاً للأزمة ، فقد كونّت القيادة العراقية نظام احتياطات كبير للمواد الأساسية .. وفي هذه الأجواء التي بدأت تتجمع في سمائها نذر

الاستعدادات لكل الاحتمالات المفتوحة ،وعلى رأسها خيار الحرب الذي قررته الولايات المتحدة انفاً ، بدأت المناورات الكبرى في العاصمة المصرية فعلياً ، وكان عرفات مازال يحاول جاهداً في بغداد ، لاقناع الرئيس العراقي بالسفر الى القاهرة ، وكان الرئيس القذافي أول الهابطين في مطار القاهرة ...ثم حضر الوفد العراقي الذي هبط من طائرة (صلاح الدين) ليجد مكان إقامته بعيداً نائياً عن أمكنة الوفود الأخرى ، وهكذا بدأت الشكوك تساور العراقيين منذ اللحظة الأولى ، ومما زاد من شأن هذه الشكوك ، تلك المقابلة التي أرادها الرئيس المصري مع رئيس الوفد العراقي (طه ياسين رمضان) بمفرده .. وعندما طلب وزير الخارجية طارق عزيز أن يكون بمعية رئيس وفده (علماً بأن رئيس الوفد العراقي قد الح على ذلك أيضاً) إلا أن الجواب من قصر الرئاسة المصري ، كان قد جاء بالرفض .. وكالعادة ، فسوف يقول الرئيس مبارك عن لقائه (المنفرد) مع طه ياسين رمضان ، غير ما سيقوله رمضان في نهاية اللقاء ..

الرواية المصرية :— يروي الرئيس مبارك أن السيد رئيس الوفد العراقي طه ياسين رمضان ، قال له إثر مناقشة مطولة ، (إن ضم الكويت للعراق هو اجراء نهائي لارجعة عنه ولا عدول لأي سبب كان ، وان العراق يعتبر هذا قراراً وطنياً لا يمكن طرحه للمناقشة عربياً) وأن رمضان نفسه قد حضر المؤتمر لمناقشة الأوضاع العربية بمجموعها ..

الروايةالعراقية : ويروي السيد طه ياسين رمضان ، إنه بدأ بشرح الموقف للرئيس المصري بقوله (إن دولاً عربية معينة قد تجاوزت خط الأمان ، وتورطت مع الأمريكيين بغير عودة ، وإننا نثق بك يا سيادة الرئيس ، وإن كنا قد فقدنا الثقة بالآخرين) . والحقيقة كما يقول هيكل في أوهام القوة والنصر ص ٤١٩ ، فإن الوفد العراقي جاء إلى القاهرة يحمل شكوكاً كبيرة ، فقد كان سفر شيني الى جدة ومعه الجنرال شوارزكوف ، كافياً لاضائة أنوار الخطر الحمراء في مدينة ابن الرشيد ، وعندما أعلن أن حاملة الطائرات النووية (أيزنهاور) في طريقها لعبور قناة السويس ، كان ذلك كافياً لجعل أجراس الأنذار فيها تدق ..

قمة القاهرة : سيناريو تم تلقينه

لقد انقضىٰ أفضل ما في زماننا وراحت
المؤامرات ، والنفاق ، وضروب الفتنة
الهدامة تتعقبنا بضجيجها حتى القبر ..
مراوغة رائعة من انساننا الجاحد حين يضع
سلوكه على خارج ما في نفسه .
(الملك لير ـــ شكسبير)

في التاسع من اب ، ومنذ الرابعة صباحاً ، بدأت مواكب الوفود الرسمية التي تقلها السيارات الأمريكية السوداء ، تتقدمها الدراجات النارية ، باختراق شوارع القاهرة طلباً لأماكن إقامتها المخصصة لها من قبل الحكومة المصرية . لم يكن ينقص القاهرة ، مع هدوء الفجر وانسياب النيل واستيقاظ المصلين سوى زعيق مواكب الحكومة وضجيجها فضلاً عن زحمها فوق ازدحام ... كان برج القاهرة المضيء، في حالة انهماك قصوى ، لاستقبال طائرات الملوك والرؤساء لحضور القمة العربية التي تقرر زمانها ومكانها من خارج هيئة الأمانة العامة للجامعة العربية ، حيث

حضرت هي الأخرى كسائر الضيوف الذين تم استدعاؤهم عبر الاذاعات .. كان الشاذلي القليبي وهوالأمين العام للجامعة العربية ، ما زال في تونس حين أرسلت له طائرة ليبية لاحضاره على عجل .. ولأول مرة في تاريخ القمم العربية (لا في حزيران ١٩٦٧ ولا في تشرين ١٩٧٣) تنعقد قمة بهذا المستوى دون إعداد مسبق .. لم يكن ثمة جدول أعمال ولا مشاريع ولا أوراق عمل أو قرارات مطروحة للبحث قبل مجيء الوفود إلى القاهرة . ونتيجة لهذه الدعوة المستعجلة ، فقد طلبت تونس تأجيل القمة ــ مدة يومين فقط ــ كي يتسنى لهيئة الأمانة العامة مع وزراء الخارجية من تهيئة مخطط عمل ، تسير بموجبه القمة قبل أن تمسي كحاطب شجر في ليل مظلم .. ولم يلق الطلب التونسي رداً ..

كان أول الحاضرين الرئيس الليبي معمر القذافي ، وكان اخر الحاضرين وفد العراق برئاسة طه ياسين رمضان .. وكانت الطائرة الليبية التي تقل أمين الجامعة العربية قدحطت في مطار القاهرة ، مع طائرات الوفود الأخرى . وامتنعت تونس عن الحضور ، ونيابة عن الملك الحسن ، (الذي سبق له أن اجتمع مع شيني منذ يومين وفهم ما يعد للخليج والمنطقة) فقد حضر رئيس وزراء المغرب (كما أن الملك الحسن لم يرسل ابنه جرياً على عادته حين غيابه) . وفي الواقع فقد أصبحت الأحداث خلال بضع ساعات في حالة توتر متصاعد ، فقد شاعت في سماء القاهرة أخبار الانتشار الأمريكي في السعودية ووصول أسراب من الطائرات المقاتلة الأمريكية إلى قواعدها ، كما شاع نبأ عبور الحاملة ايزنهاور قناة السويس ، وبقاء الجنرالات الأمريكيين في السعودية ، كما راح تحليل اخر ، يقرأ العبارة المرمزة للرئيس الأمريكي بقوله (لقد رسمت خطاً فوق رمال الصحراء) ، وهل هي خارطة جديدة للمنطقة ؟ أم ماذا ؟.. ثم عرف أن وزير الخارجية الأمريكي قد ظهر فجأة في أنقرة ، وكان قبلها وبعدها في (اشتباك دبلوماسي) مع موسكو ..

وكان تصريح بيكر الخطير (الولايات المتحدة تبحث مع تركيا وسيلة لتعزيز فاعلية القوات الأمريكية على أراضيها) قد ساهم في صب الزيت على النار ..

وبدا أن المنطقة مقبلة على أتون الحرب ، وأن القمة العربية ليست اكثر من وسيط بين مرحلتين ، مرحلة الحل العربي الذي تم وأده قبل أن يولد ، ومرحلة الحل الأمريكي الذي ولد في جدة وسُمع نشيجه في أنقرة ..

كانت حيرة القليبي بادية للعيان في أروقة قصر المؤتمرات ، حيث مكان اجتماع القمة ، وازدادت حيرته ، حين سأله طارق عزيز عن موعد الاجتماع التمهيدي لوزراء الخارجية قبل القمة .. وكان رد القليبي ، أنه لم يبلغ بأي شيء عن مثل هذا الاجتماع ، وأنه هو نفسه ، يحاول الاتصال بوزير الخارجية المصري (باعتبار أن مصر هي البلد المضيف) كي يستفسر منه عن بعض الاجراءات التمهيدية قبل الشروع بالجلسة .. وعاد طارق عزيز يسأل الوفد المصري نفسه ، عن زمان ومكان اجتماع وزراء الخارجية التمهيدي ، وجاءه الجواب (ليس هناك اجتماع لوزراء الخارجية قبل القمة ، الموضوع برمته سيحال الى الملوك والرؤساء في الجلسة) ، وسجل طارق عزيز احتجاجه على هذا الوضع الذي ليس له شبيه في السوابق الدبلوماسية .. وغربت شمس يوم التاسع من آب على مدينة نصر (حيث قصر المؤتمرات) ولم تلتئم القمة ، حيث اختلط الحابل بالنابل ، والمرارة بالنكته ، والتشنج بالاسترخاء ، الى درجة أنه في بعض الاحيان (اتخذ سير الاحداث مجرى مأساوياً وهزليا بآن واحد) (سالنجر الملف السري ص ١٣٦) . وخلافاً للعرف السائد بتوزيع الوفود بحسب تراتب الحروف الأبجدية ، فقد تم حشر الوفد القطري بين الوفدين العراقي والكويتي ، وانعقدت الجلسة صباح العاشر من آب ، وافتتح الرئيس مبارك (وهو رئيس القمة) الجلسة بكلمة مقتضبة (إننا نطالب بانسحاب القوات العراقية من الكويت وباحترام حقوق الشعب الكويتي وباعادة الحكومة الشرعية كما كانت قائمة قبل الاجتياح) ثم اختتم كلمته قائلاً (إن عربي القرن الواحد والعشرين يجب ألا يكون رجلاً عاجزاً ، تائهاً في ظلام الجهل والفشل ، ويجب على الأمة العربية ألا تكون الرجل المريض في هذا القرن) ..

وتقول بعض المراجع الغربية ، بأن لحظة الاجماع الوحيدة ، التي شهدتها قمة

القاهرة ، كانت عندما فرغ الرئيس المصري من كلمته الدرامية ، مما أدى الى تصفيق كل من الوفدين العراقي والكويتي لهذه الكلمة بآن واحد .

ثم رفعت الجلسة بعد كلمة الرئيس المصري ، وغادر المشاركون لتأدية صلاة الجمعة في المسجد الذي كان موجوداً داخل القصر نفسه ..

وبدأ الاجتماع المغلق في تمام الثالثة والنصف من بعد الظهر واستمر خمس ساعات متواصلة ، وقد اختصره أحد رؤساء الوفود (على الأرجح عرفات) بأنه (**قاتل وحدة العرب في القرن الواحد والعشرين**) .

ويقول هيكل في كتابه أوهام القوة والنصر ص ٤٢٦ ، كان القليبي في صالة قصر المؤتمرات تائها في الأسلوب الذي يمكن أن ينعقد على أساسه المؤتمر خلال ساعة من الزمن ، ثم عرف أن الأمير سعود الفيصل يبحث عنه ، وقصد الأمين العام للجامعة العربية الى حيث قيل له أن وزير الخارجية السعودي موجود ، واذا هو يسلمه ورقة ، راجياً طبعها بواسطة الامانة العامة حتى يمكن توزيعها على الملوك والرؤساء قبل دخولهم قاعة الاجتماع ، وأحس القليبي أن معجزة جاءته من السماء ، فهو على الأقل يعرف الآن من أين يبدأ ، إذ لديه الآن مشروع قرار يمكن أن يوزع ، ويمكن أن تكون منه نقطة بداية اجرائية لعقد الاجتماع ، ويروي القليبي أنه نظر الى ساعته فوجد أنه لم يبق على موعد الاجتماع المقرر سوى نصف الساعة ، ولذلك فإنه آثر ألا يضيع الوقت في قراءة الورقة التي قدمها له الوزير السعودي ، وفضل أن يعطيها مباشرة لأحد مساعديه ليأخذها الى السكرتاريا من أجل طبعها على عجل ، ولم تمض دقائق حتى عاد اليه مساعده الذي اخذ منه مشروع القرار لكي يقول له إن هناك مشكلة في النص ، ذلك أن النص المكتوب في المذكرة يقول في البند السادس منه (إن القمة تقرر الاستجابة لطلب المملكة العربية السعودية ودول الخليج الأخرى ، بنقل قوات عربية لتنضم **الى القوات المسلحة الموجودة فيها** دفاعاً عن اراضيها وسلامتها الاقليمية ضد أي عدوان خارجي) وكانت الملاحظة التي أقلقت مساعد الأمين العام ، هي عبارة (القوات الموجودة فيها) وكان رأيه (أنه لا توجد الآن

إلا قوات أمريكية تم الاعلان عن ذهابها الى السعودية ، فإذا كانت القوات العربية التي يمكن أن تذهب الى السعودية بقرار من القمة ، فإنما هي ذاهبة للانضمام الى القوات الأمريكية هناك !.. وحمل القليبي مشروع القرار ، وراح يبحث عن الأمير سعود الفيصل ، وشرح له المشكلة .. وفطن الوزير السعودي بسرعة الى (الخطأ) وطلب الى الأمين العام أن يستبدل العبارة بحيث تصبح (**لمساندة قواتها المسلحة**) بدلاً من القول (**للانضمام الى القوات الموجودة فيها**) ، والتفت الأمير سعود الفيصل الى القليبي قائلاً : (**شكراً معالي الأمين العام إذ نبهتني الى هذه الغلطة**) .

أكد ياسر عرفات أنه فوجيء تماماً ، عندما جلس على مقعده بوجود نص البيان الختامي موضوعاً أمامه ، نص كتب بالانكليزية وترجم الى العربية ، كما تأكد هذا الأمر من قبل أربعة وفود اخرى ..

وفي الحقيقة فإن نص البيان الختامي الذي سيعترض عليه عرفات ، والملك حسين والسودان وغيرهم من رؤساء الوفود ، هو نفسه مشروع القرار الذي سبق للأمير سعود الفيصل أن قدمه للأمين العام للجامعة العربية وقام مساعده بابداء الملاحظة الآنفة عليه .. يقول القرار :

إن مؤتمر القمة غير العادي المنعقد في القاهرة (جمهورية مصر العربية) يومي ١٩ و٢٠ محرم ١٤١١ هـ الموافقين لـ ٩و ١٠/٨/١٩٩٠ م .

ـــ بعد الاطلاع على قرار مجلس جامعة الدول العربية الذي انعقد في دورة غير عادية في القاهرة يومي ٢ و ٣ اغسطس /آب/ أوت ١٩٩٠ م .

ـــ وبعد الاطلاع على البيان الصادر عن المؤتمر التاسع عشر لوزراء خارجية الدول الاسلامية الذي صدر بالقاهرة في الرابع من اغسطس /آب/ أوت ١٩٩٠ .

ـــ وانطلاقاً من أحكام ميثاق جامعة الدول العربية ومعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي بين دول الجامعة العربية .

ـــ وانطلاقاً من ميثاق الأمم المتحدة وبشكل خاص الفقرة الرابعة من المادة الثانية والمادتين ٢٥ و ٥١ .

ـــ وادراكاً للمسؤولية التاريخية الجسيمة التي تمليها الظروف الصعبة الناجمة عن الاجتياح العراقي للكويت وانعكاساته الخطيرة على الوطن العربي والأمن القومي العربي ومصالح الأمة العربية العليا

يقرر :

١ ـــ تأكيد قرار مجلس جامعة الدول العربية الصادر في ١٩٩٠/٨/٣ وبيان منظمة المؤتمر الاسلامي الصادر في ١٩٩٠/٨/٤ .

٢ ـــ تأكيد الالتزام بقرارات مجلس الأمن رقم ٦٦٠ بتاريخ ١٩٩٠/٨/٢ ورقم ٦٦١ بتاريخ ١٩٩٠/٨/٦ ورقم ٦٦٢ بتاريخ ١٩٩٠/٨/٩ بوصفها تعبيراً عن الشرعية الدولية .

٣ ـــ ادانة العدوان العراقي على دولة الكويت الشقيقة وعدم الاعتراف بقرار العراق ضم الكويت اليه ولا بأي نتائج أخرى مترتبة على غزو القوات العراقية للأراضي الكويتية ، ومطالبة العراق بسحب قواته منها فوراً واعادتها الى مواقعها السابقة على تاريخ ١٩٩٠/٨/١ .

٤ ـــ تأكيد سيادة الكويت واستقلاله وسلامته الاقليمية باعتباره دولة عضواً في جامعة الدول العربية وفي الأمم المتحدة والتمسك بعودة نظام الحكم الشرعي الذي كان قائماً في الكويت قبل الغزو العراقي ، وتأييده في كل ما يتخذه من اجراءات لتحرير ارضه وتحقيق سيادته .

٥ ـــ شجب التهديدات العراقية لدول الخليج العربية واستنكار حشد العراق لقواته المسلحة على حدود المملكة العربية السعودية وتأكيد التضامن العربي الكامل معها ومع دول الخليج العربية الأخرى وتأييد الاجراءات التي تتخذها المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربية الأخرى اعمالاً لحق الدفاع الشرعي وفقاً لأحكام المادة الثانية من معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي بين دول الجامعة العربية والمادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة ولقرار مجلس الأمن رقم ٦٦١ بتاريخ ١٩٩٠/٨/٦ على أن يتم وقف هذه الأجراءات فور الانسحاب الكامل للقوات العراقية من الكويت وعودة السلطة الشرعية للكويت .

٦ ــ الاستجابة لطلب المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربية الأخرى بنقل قوات عربية لمساندة قواتها المسلحة (وفي النص الأصلي الذي تم تصويره قبل التعديل كما قدمه الأمير سعود الفيصل ما يلي : «لتنضم الى القوات المسلحة الموجودة فيها») دفاعاً عن أراضيها وسلامتها الاقليمية ضد أي عدوان خارجي .

٧ ــ تكليف الأمين العام للجامعة العربية بمتابعة تنفيذ هذا القرار ورفع تقرير عنه خلال خمسة عشر يوماً الى مجلس الجامعة لاتخاذ ما يراه في هذا الشأن .

□

وفي هذا الوقت بالذات كان مجلس الأمن يصدر قراره الذي يحمل الرقم ٦٦٢ (٩ آب . اغسطس ١٩٩٠) والذي يقرر فيه :

بخصوص ضم الكويت من قبل العراق :

يؤكد المجلس أن ضم العراق للكويت أيا كان شكله أو حجته ليس له أي سند قانوني ويعتبر لاغياً وكأنه لم يكن ..

ويدعو كل الدول والمنظمات الدولية والمؤسسات المتخصصة الى عدم الاعتراف بهذا الضم والامتناع عن أي اجراء أو اتصال يمكن تفسيره على أنه اعتراف غير مباشر بالضم .

ويعرب الاعضاء عن تصميمهم على وضع حد لاحتلال الكويت واعادة سيادتها واستقلالها وسلامة أراضيها ويطلبون مجدداً من العراق سحب جميع قواته فوراً ومن دون شروط واعادتها الى المواقع التي كانت فيها في **الأول من آب** ، كذلك يطالب المجلس ، العراق بوقف أعماله الهادفه الى ضم الكويت ويقرر ابقاء المسألة على جدول اعماله ومواصلة جهوده لوضع حد سريع لاحتلال هذا البلد .

وهكذا ثلاثة قرارات في خمسة أيام ، وهو زمن قياسي لم يسجله مجلس الأمن منذ تاريخه وحتى اليوم .

لقد حير الرئيس مبارك المشاركين بطريقة ادارته الجلسة خاصةً بعد تعليق مسهب وملتبس ، ولم يعد يعرف المشاركون أهي جلسة لرفع الأيدي على ما هو

محضر سلفاً ، أم أن هناك خطراً ماثلاً يستدعي الصبر والتوقف والنقاش .. وسيقول سالنجر في ملفه السري ص ١٣٩ ، (انه بيان من سبع نقاط ، يعتقد الكثيرون أن الأمريكيين قد كتبوه أو أوحوا به على الأقل) ويضيف (هذا ما لم يخدع أحداً ، كانت المواجهة التي تُحضر ، قبل كل شيء ، صراعاً بين الولايات المتحدة والعراق ، يستخدم فيها العالم العربي كغطاء فقط) (نفس المصدر ص ١٤٠) .

في الجلسة ، كان عرفات ، الذي لم يرد عدد من قادة الدول العربية على تحيته ، ومال عنه الكثيرون كي يتفادوا نقاشاً معه ، يرفع يده طالباً طرح أفكاره :

وقال له رئيس الجلسة الرئيس مبارك :

ـــ التزم بجدول الأعمال ، فالوقت يداهمنا .

وأجاب عرفات :

ـــ انني اقترح أن تشكل لجنة وساطة من خمس دول هي الأردن واليمن ومصر والجزائر وفلسطين وتتوجه الآن الى بغداد . .

وقاطعه مبارك منزعجاً :

ـــ أنا لن أقوم بمثل هذه الوساطة ، فقد خان صدام ثقتي به .. المهم حان الوقت للتصويت يا أبو ... (متناسيا لقب أبو عمار) ..

ورد عرفات مذهولاً :

ـــ لكنني لم أقل شيئاً حتى الآن

وتدخل أحد أعضاء الوفد الفلسطيني قائلاً :

لنبقى أخوة .

وأجابه مبارك متوتراً :

ـــ هكذا نحن .. لننتقل الى التصويت .

وزاد عدد اصوات الراغبين بالتعليق ...

وتكهرب جو المؤتمر وارتفعت درجة سخونته ، حين راح وزير الخارجية العراقي طارق عزيز يسأل عن مصدر هذا المشروع الذي يُراد التصويت عليه

دون اتاحة المجال حتى لمناقشته .. ورد أمين عام الجامعة العربية ، بأنه لا يعرف تماماً ، ولو أنه يعتقد بأن (مصر والسعودية وسوريا ودول الخليج) كانت وراءه .. وكان رأي السيد القليبي بأن الأمانة العامة للجامعة ليست مسؤولة عن ترتيب أعمال المؤتمر أو الاعداد له .. ثم توترت الأجواء ، حين طلب طارق عزيز رسمياً باجراء تحقيق في وقائع ما حدث ، لكن تعليق القليبي كان واقعاً بين المرارة والسخرية حين قال :

ــ ومتى كان لمجلس الجامعة سلطة على أي من أعضائه ؟!..وكانت المناقشات الصاخبة بين الوفود تعكس أجواء الانقسام المحزن بين قادة العرب في لحظة من أشد اللحظات خطورة على مصير الوضع العربي برمته ..

وكانت الملاحظات تتطاير من كل صوب وحدب :

أولاً/ كان التعليق الأول على مشروع القرار ، بأنه مترجم من اللغة الانكليزية الى العربية ، وكان الفضل في افتضاحه يعود الى العجالة في طريقة تقديمه للأمانة العامة دون وقت للتمحيص :

فالمادة الثالثة منه بانسحاب القوات العراقية من الكويت فوراً ، واعادتها الى مواقعها السابقة على تاريخ ١/٨/٩٩٠ ، علماً بأن تاريخ دخول القوات العراقية هو٢/٨/١٩٩٠ ، وان تاريخ ١/٨/١٩٩٠ هو توقيت واشنطن وليس توقيت المنطقة .. وأن قرارات مجلس الأمن الدولي ٦٦٠ و٦٦١ و٦٦٢ كانت تدعو دائماً لسحب القوات العراقية الى وضعها حيث كانت بتاريخ ١ / ٨ /١٩٩٠ لأن توقيت مجلس الأمن هو توقيت واشنطن نفسه .

ثانياً/ تؤكد المادة الرابعة من مشروع القرار على تأييد الكويت (في كل ما يتخذه من اجراءات لتحرير أرضه وتحقيق سيادته) علماً بأن الكويت كان قد طلب المساعدات العسكرية الأمريكية بعد نصف ساعة على وقوع الاجتياح ، وهذا معناه أن القمة مطالبة بالتصديق على هذا الوضع قبل اجتماعها بمفعول رجعي .

ثالثاً/ ان النص الوارد في المادة الخامسة من مشروع القرار (استنكار حشد

العراق لقواته المسلحة على حدود المملكة السعودية) هو أرق أمريكي مضلل ، فقد أكدت جميع المعلومات الحقيقية الورادة من خطوط الحدود السعودية ـ الكويتية على عدم وجود حشود هجومية ، فكشافة حرس الحدود السعودية نفسها عادت لتروي هذه الحقائق ، كما أن بوش نفسه قال (بعد أن ضمن وجود قواته في المنطقة) :

(لم يكن لدينا ما يؤكد إمكانية تعرض بلد خليجي آخر لغزو العراق) (هيكل أوهام القوة ص ٤٢٩) . انه استنكار لحالة لم يكن لها وجود في الأساس ..

رابعاً/ إن النص الوارد في المادة الخامسة الداعي (لتأييد الاجراءات التي تتخذها السعودية ودول الخليج الأخرى اعمالاً لحق الدفاع الشرعي ... الخ) هو نص يذهب مباشرة الى تأييد الاتفاق الناشيء حديثاً بين الولايات المتحدة والمملكة السعودية قبل القمة ، وهو تأييد لاتفاق سبق لدولة عربية أن تفردت بعقده وتريد من الآخرين الانجرار اليه ، رغم خطورة حجمه ، ومفاعيل تداعياته ومجهول خاتمته .. والقمة هنا مدعوة لتأييد خطط العمليات الأمريكية الخطيرة في الخليج ، وهو ما دعا اليه بوش منذ قليل حين قال (إن وجود قوات متعددة الجنسيات الى جانب الانتشار الأمريكي في المنطقة ، هو من المسائل الحيوية) وهو ما يعيد الى الذاكرة (غطاء سنونو) العربي والاسلامي للعملية ..

خامساً/ إن تأكيد الالتزام بقرارات مجلس الأمن ، بما في ذلك قرار الحصار المضروب ضد شعب العراق براً وبحراً وجواً .. وحتى القرار ٦٦٢ الصادر قبل يوم من اجتماع القمة ، يعكس رغبة أمريكية واضحة ، باحراق السفن مع العراق ، وأن الوساطة العربية قد تم اعدامها بغرفة الغاز الأمريكية ..

وبدأت المناقشات العامة ، وكان واضحاً من البداية أنها واصلة الى طريق مسدود ..

فالتحركات العسكرية الأمريكية في السعودية وبقاء شوارزكوف وأركانه ، أصبحت بمثابة عنصر توتر اضافي في المؤتمر .. واضطر الشاذلي بن جديد ، للدخول من باب التواجد الأجنبي الخطير ، والخوف على ضياع تضحيات الأجيال

في سبيل التحرر من الاستعمار (ولا يُعقل أن نجد الآن مَنْ يمهد الطريق لعودته من جديد) .

وأبدى الرئيس السوداني مخاوفه من قدوم القوات الاجنبية الذي هو (الخطر الأول والأكبر على المنطقة الآن ..) ..

وشعر الملك فهد ، بأن الكلام بات يعنيه فرد قائلاً (إن الأخ السوداني لا يعرف ماذا يقول وكلامه مليء بالخلط ولايعرف أحد لماذا انبرى الملك فهد للرئيس السوداني فقط ، علماً بأن السياق كله كان منصباً على خطورة تواجد القوات الأمريكية في المنطقة !...) .

وتابع الملك فهد قائلاً :

ـــ لم أكن أنوي الحديث اليوم ولكنني قررت بعد كل ما سمعت أن أتكلم لاتعهد أمامكم بأن القوات الموجودة في السعودية الآن **لن تقوم بأي عمل هجومي ، ولن تتحرك خارج حدود المملكة ، وهي موجودة فقط للدفاع عنها .**

(ويا له من تعهد ملكي !.. حين يصل الأمر الى درجة تقطيع العراق خلال الهجوم البري ، مع مئتي ألف قتيل وحمولات طائرات وصلت الى ١٢٠ ألف طن من القنابل فوق العراق !..) .

وتدخل الرئيس حافظ الأسد في المناقشة فقال : (هناك سبب وهناك نتيجة .. فإذا كان هناك احتمال بتدخل عسكري أجنبي في المنطقة ، فإن غزو الكويت هو الذي تسبب في الأزمة وليس العكس .. علينا أن نجد حلاً للأزمة .. وسوف اكون أول المناضلين لاخراج القوات الأجنبية من المنطقة .

□

في اجواء الصخب المتصاعدة ، وأمام شيوع الفوضى في المقاطعات والتعليقات ، تدخل العقيد القذافي ، لعقد جلسة سرية تقتصر على الملوك والرؤساء فقط ، (لأن الجو لم يعد محمولاً) الا أن الرئيس مبارك تجاهل اقتراحه ، وراح

يعود لاقتراحه المستعجل من البداية (التصويت) .. وتعالت الصرخات من كل زاوية من زوايا القاعة ، بالتريث ، **فالموضوع خطير ، والظرف أخطر** ، وكان رده :

ـــ أنا لا أسمع مناقشات بل مهاترات !. وأن قراره النهائي كرئيس للجلسة هو طرح المشروع على التصويت ، وطلب من الموافقين أن يرفعوا أيديهم ..

وجاءت المحصلة بأكثرية هزيلة (١٢ دولة من أصل ٢١) . وللحقيقة والتاريخ ، فإنها القمة الأولى في حياة القمم العربية منذ الراحل عبد الناصر ، ينال قرار أمريكي بهذا السطوع ،اكثرية في مجلس عربي من أعلى المجالس .. صحيح أن قرارات أمريكية كانت تطرح في بعض القمم السابقة ، ولكن الصحيح أيضاً ، انها لم تحظ بالاكثرية في يوم من الأيام .. لقد كانت أقلية طوال المراحل السابقة !..

كان الموافقون : دول الخليج ومصر وسوريا ولبنان والمغرب والعربية السعودية والصومال وجيبوتي !..

وكان المعارضون : العراق وليبيا ، السودان وفلسطين وموريتانيا (وضعت تحفظاً) الاردن والجزائر واليمن (امتناع) أما تونس فظلّت غائبة مع عُمان .

(عدّ الرئيس مبارك الأيدي المرفوعة أمامه وقال «حد اشر» أغلبية موافقة ثم أضاف ترفع الجلسة ـــ هيكل أوهام القوة ص ٤٣٥) .

وصرخ عرفات :

ـــ خطأ ..خطأ .. غير شرعي .. القرار غير دستورى .. كان عرفات ينوي التعرض للقاعدة التي تقول ، بضرورة صدور القرارات بالاجماع ، طالما أن القرار يتصل باجراءات لها مسيس العلاقة بالأمن القومي العربي ، لكن مفيد شهاب وهو قانوني مصري يضع اذن الجرة حيث يشاء مالكها أجاب : (إنه دستوري ، وهذا اختصاصي ، وأنا اعرف ما أقول) وانفعل عرفات صارخا :

ـــ انكم عملاء ، جميعكم عملاء ..

ورد شهاب محتجاً :

ـــ ابحث عن هؤلاء لديكم .

كان القذافي الذي بقي واجماً في مكانه بعد التصويت والخروج من القاعة ، قد تعرض أثناء الجلسة للشيخ زايد بعد سماعهما فقرات المشروع المعد ، حيث قال لزايد بانفعال (وهو يلوح بورقة المشروع أمامه :

ـــ هكذا إذن ، تريدون اللجوء الى امريكا .. لماذا لا تختصرون الطريق وتطلبون ذلك من اسرائيل مباشرة ..

واقترب الرئيس المصري من القذافي بعد اختتام الجلسة ، ورفع الرئيس الليبي رأسه حيث كان مازال شارداً حتى تلك اللحظة وقال :

ـــ لماذا ـــ قالها القذافي بلهجة حانقة ـــ لماذا لم تعطني الكلام ، كل مرة كنت أطلب الكلام وتتجاهلني ، لماذا كنت مستعجلاً للتصويت على البيان ، ان بيانك غير شرعي ..

صاح بهذه الكلمات وطلب من الحضور أن يشهدوا على كلامه ، ورد مبارك بوجه ممتقع :

ـــ انتبه لملاحظاتك .. لا تتهمني ..

واستمرت المواجهة في اليوم التالي ، حين قام الرئيس حافظ الأسد ، باقناع القذافي بضرورة مرافقته مع الرئيس مبارك الى الاسكندرية ، وهناك مال مبارك الى القذافي يحدثه قائلاً :

ـــ كيف يمكنك أن توافق على احتلال الكويت ، اذا واظبت على هذا السلوك ، فسوف احتل بلدك غداً ، ولن تجد من يقف الى جانبك !..

وللحقيقة فإن ليبيا لم تكن موافقة على احتلال الكويت . لكن (Logic) التعابير العربية وتداخلها ، كثيراً ما يخفي حقائق الاشياء ، فالموافقة على احتلال الكويت شيء ، وجلب القوات الأمريكية والأوروبية الى المنطقة شيء آخر ، وهذا ما أراد الرئيس مبارك ، أن يخلطه في العتاب ..

□

كان الشاذلي القليبي بعد التصويت ورفع الجلسة ، قد ذهب الى مكان جلوس

الملك حسين في القاعة ، وكان الملك ما زال واجماً في مكانه ، مستنداً بكوعيه على الطاولة ، وقد امتلأ وجهه حزناً وألماً على ما جرى .. وبأدب جم وجه القليبي سؤاله للملك :

ـــ صاحب الجلالة .. لم أعرف بالضبط ما هو موقف الأردن أهو رافض أو ممتنع أو متحفظ ..

وأجاب الملك بصوت شابته الحشرجة :

ـــ اذهب واسأل وزير الخارجية .

ثم أشاح بوجهه غضبان أسفا ..

أما الوفد العراقي ، فقد انسحب محتجاً حين بدأ التصويت على المشروع المجلوب ..

□

رسالة من غريب !..

كان فيديل كاسترو يبعث برسالته الأولى الى قادة العرب قبل يومين من القمة .. (وزعت نسخ من هذه الرسالة الى قادة دول العالم أيضاً) □ (إننا نرتبط بأواصر الصداقة والاحترام مع شعبي العراق والكويت . معززة بتضامن من كوبا مع الأمة العربية والشعب الفلسطيني في وجه العدوان الاسرائيلي ، والتوسع الاستعماري يضاف الى ذلك تاريخ طويل من التعاون والتضامن ... هذه المبادىء عزيزة على كوبا ..

□ أقول لكم ، إن معاقبة العراق على فعل مؤسف وغير مقبول ليس سوى ذريعة عند الولايات المتحدة ، انهم يبحثون عن مخرج لنفض الغبار عن المادة ٤٢ من ميثاق الأمم المتحدة (التي تقول بجواز استخدام القوة المسلحة لاقامة أو استعادة الأمن الدوليين ، شريطة ثبوت فشل كل الوسائل والاجراءات الأخرى ـــ المؤلف) .

وإن أمريكا بسلوكها هذا ، تريد أن تسبغ على تدخلها العسكري في الخليج

وصف الشرعية باسم المجتمع الدولي ... وتلك هي الكارثة التي نواجهها الآن . وهي بالغة الوطأة على قادة الدول العربية قبل سواهم ..

☐ إن اسرائيل تحتل فلسطين وبعض الأجزاء العربية الاخرى منذ اكثر من أربعين عاماً ، فماذا فعل مجلس الأمن ؟ وبفضل امتياز غير عادل تتمتع به صاحبة الحق في الفيتو ، ظلت الولايات المتحدة تستخدمه بشكل وقح للحيلولة دون ادانة اسرائيل على المذبحة المستمرة التي تواصلها ضد الشعب الفلسطيني منذ اجيال .. أو ضد شعب لبنان ...

☐ **ولسوف يكون من السذاجة أن نعطي الحد الأدنى من المصداقية لبواعث الولايات المتحدة في المنطقة ..**

☐ إنها ذات باع طويل في استغلال المواقف ، واستخدام الضغوط وفي قدرتها على الانتشار العسكري ، واعتيادها مبدأ الانتهازية السياسية للوصول ... ولهذا ليس غريباً أن تنضم وسائل الاعلام الأمريكية الى ادراتها ومخابراتها ، وأن ينضم الحلفاء الغربيون للوثوب معاً على المجتمع الدولي الأضعف .. والذي سيردع أمريكا عن ارتكاب ما تشاء في هذه المنطقة الحيوية .. لم يطرف لهم جفن حين صفعوا المجتمع الدولي ، من أجل تحويل مسار دولة صغيرة مثل غرينادا ... ودولة اخرى كانوا يحتلونها عملياً هي بناما ... كيف يغيب عن الذهن قصف أمريكا لمنزل الرئيس الليبي .. وهل يمكن استخلاص نتيجة ما من انزال قوات المارينز على شواطىء ليبريا منذ ساعات ... دعوني اعرب لكم عن يقيني بحكمة وشجاعة الزعماء العرب ، وقوة وحيوية الأمة العربية ، **لا أحد ولا شيء يستطيع استبدال تلك القوة المعنوية في البحث عن حل تفاوضي للنزاع بين بلدين عربيين شقيقين ، وأثق بأن ذلك الحل سينطوي على انسحاب القوات العراقية من الكويت** ، واستعادة ذلك البلد لسيادته دون كوارث وخراب ودمار لا حدود لها ...

إن جدية ومخاطر الموقف الراهن تتطلب تدخلاً سريعاً وحاسماً من القادة العرب ، للخروج من المأزق ، ورفض التدخل والعدوان .. أما تجربة التاريخ

فتشهد على ضلوع قوى جبارة مثل الولايات المتحدة في فرض حقائق الأمر الواقع على الشعوب ، وخلق الوقائع والأوضاع التي يصعب تغييرها فيما بعد .

□

ومن المرجح أن معظم القادة العرب ، كانوا قد قرأوا رسالة كاسترو قبل القمة إذ لم يمض عليها طويل وقت (يومين فقط) ولم يعد أمام ــ البعض ــ ما يفعله سوى العَكس ، إذ أن العديد من هذا البعض الذي تعلم شيئاً عن الفارق بين **حقائق القوة** ، **وقوة الحقائق** ، قد وجد طريقه في عالمنا الصغير هذا وانتهى الأمر ...

□

سيعلق هيكل في كتابه الأخير أوهام القوة والنصر ص ٤٣٧ على التيار الريبي ، الذي نشأ عشية القمة ، والذي عمد الى اسلوب الاتهام ، من أن القمة كانت جزءاً من خطة تريد إتاحة المجال أمام عمل تقوم به الولايات المتحدة في المنطقة ، سيعلق بما معناه :

أولاً/ إن هذا القول يحمل اسرافاً كبيراً في الظن ...

ــ فالولايات المتحدة بدت منذ البداية ، وكأنها المدير الوحيد للأزمة ..

ــ وأنها هي المهيمنة على مجلس الأمن .

ــ وأنها كانت قد أخذت الاتحاد السوفيتي بالكامل ..

ــ ومعظم أوروبا الغربية واليابان .

ــ وكانت تؤيد تحركاتها طوال الوقت بمقولة نظام عالمي جديد ، وتصرفت وكأنها المسؤول عن هذا النظام الجديد .

ــ وانها حصلت على موافقة عربية تغطي موقفها من الأزمة ..

ثانياً/ وربما كان اكثر المندهشين ــ بأدب جم ــ ازاء حركة هذا النظام العالمي الجديد هو دي كويلار السكرتير العام للأمم المتحدة الذي وجد المنظمة الدولية في وضع تغير فجأة عما كان يعرفه من قبل ..

الى أن يقول :

ومهما كان الاسراف في سوء النية ، أو كان الاسراف في دعاوى البراءة ، فإن تسلسل الوقائع واضح في أن خطأ الحسابات العراقية كان شرارة في المكان الخطأ في الزمن الخطأ في المناخ الخطأ ...

في النزاعات الساخنة فإن الجلوس في المنتصف ــ بين (الاسراف في البـراءة) و (الاسراف في سوء النية) ينطوي على حكمة بليغة ، ليس أقلها تسويق دراسة حديثة وجدّية ، في جميع الأسواق العربية دون استثناء ، إذ تبدو الانجازات الأخرى أقل رواجاً لانحيازها نسبياً دون اسراف الى جانب النظام العربي الجديد ، وليس النظام الدولي الجديد ، حين كتب بصورة أكثر جلاءً في التايمز اللندنية يوم ١٢ أيلول ١٩٩٠ مقالته الشهيرة (ليخرج الأمريكيون وليدخل النظام العربي الجديد) .

ــ كان هيكل منحازاً لخروج الأمريكيين (لقد فشل الغرب في ادراك حقيقة أن ردّ فعله (المجنون) زاد في تصعيد الموقف ، وقدم اطاراً لاحساس عربي واسع النطاق بالغضب والمهانة ...)

ــ وكان هيكل منحازاً لدخول نظام عربي جديد إذ (ثمة نظام عالمي جديد يولد ، لكن العرب معرضون لخطر الطرد منه ..) .

ــ وكان هيكل منحازاً ضد العديد من الذين رفعوا أياديهم في القمة حين قال يومها (وفيما يقترب الشرق من الغرب ، يصبح تحجر السلطة العربية اكثر سوءاً في حين تغذي الآثام المفرطة لبعض أفراد هذه السلطة ، مشاعر السخط لدى الجماهير العربية) وقبل ذلك بقليل كان يقول (تتألف الأسرة الحاكمة في المملكة السعودية من ٥ر٦ ــ ٧ آلاف شخص ، إنهم يمتلكون كل شيء) .

وكان هيكل منحازاً (حين لم يسرف في البراءة بقوله هنا :

لقد حصلت أمريكا على موافقة أغلبية عربية تغطي موقفها من الأزمة ص ٤٣٧ أوهام القوة) وكان قد قال هناك (في التايمز) (**إن رد الفعل الغربي يرتقي الى محاولة فرض حل أمريكي بغطاء عربي قوامه بضعة آلاف من القوات**

المصرية والسورية والمغربية .. ذلك جهد عقيم .. فالحل العربي وحده هو القادر على مخاطبة الذهن العربي) .

فأين أمسى الحل العربي عشية القمة المترفّعة عن سوء النية أو البراءة بآن واحد ؟!.. وهل يكفي أن نتحدث عن الموافقة ، وكأنها منفصلة عن دوافع الموافقين ؟..

ــ وكان هيكل منحازاً حين قال أخيراً (**وحتى لو قاد الحل العربي الى اندلاع حرب أهلية عربية ، فإنه سيكون أفضل من التدخل الأجنبي أو الهيمنة الأجنبية .. إنني أشعر بالجزع كلما فكرت بالحال التي سيكون عليها العالم العربي بعد الضربة الأمريكية**)

ــ وكان هيكل منحازاً ، حين خطر له السؤال : إذن لماذا لا ينسحب العراق وكل هذه الأهوال أصبحت من حوله .. إذ يجيب (إن وجود القوات الأمريكية الآن في السعودية على مقربة من مكة والمدينة مسألة تجرح شعور المسلم . وفي هذه الظروف تكون الرموز اكثر قدرة على التفجير من القذائف ، إنه لأمر مستبعد أن ينسحب العراق أمام التهديدات الأمريكية إذ ما هي الضمانة ؟ ولعل العراق كان سيفعل لو كانت القوات المواجهة له ، قوات عربية صرفه ، إنني اخشى أن التصعيد الاستفزازي للتكتيكات الأمريكية ، ستجعل السلوك غير العقلاني هو سيد الموقف . ولنتذكر أن الشعب في اللحظات الفاصلة ، يرحب بالشهادة ، كممارسة للتحدي) .

□

كان في عِلْم العربية السعودية ومصر ودول الخليج ،وهي في القمة ، ما يجري خارج التحركات الدبلوماسية المراوغة فيها ، أي (خارج البراءة وداخل سوء النية) حيث حطّت قبل القمة بيومين (٧ آب) أي حتى قبل وصول ديك شيني الى المغرب :

في ٧ آب : ٤٦ طائرة من طراز ف ١٥ . أقلعت من ولاية فيرجينيا (قاعدة لانجلي) الى قاعدة الظهران في السعودية .

في ٨ آب : ٤٤ طائرة من طراز ف١٦ أقلعت من ساوث كارولينا (قاعدة شو الى الامارات العربية المتحدة) .

في ٨ آب : ١٢ طائرة من طائرات النقل الضخمة (غالاكسي سي ٥) قامت بنقل قطع الغيار والذخيرة وأطقم الصيانة بمعدل ست عشرة رحلة الى السعودية والأمارات .

في ٩ آب : ٢٢ طائرة من طراز ف ١٥ إيفل ، من نورث كارولينا الى عُمان ..

كانت الحاملة اندبندس تعبر قناة السويس الى البحر الأحمر كي تراقب ميناء العقبة (٨ آب) .

وكانت الحاملة دوايت ايزنهاور تعبر القناة بعدها لتراقب الخليج نفسه (٨ آب أيضاً) وكانت مجموعات الحماية لهاتين الحاملتين ، تملأ سطح البحار هنا وهناك ، وكان على متن الحاملتين ما يزيد على مئة وخمسين طائرة من كل صنف ونوع ..

ولم تتخلف تاتشر عن الواجب أثناء انعقاد القمة العربية ، فقد صرح توم كينغ وزير الدفاع البريطاني عن :

ـــ ارسال ١٢ طائرة من نوع جاكوار الى الخليج (٩ آب) .

ـــ ارسال ١٢ طائرة من نوع تورنادو الى السعودية (٩ آب) .

ـــ ١١ طائرة مقاتلة معترضة موجودة في قاعدة اكروتيري في قبرص يسمح مداها بالتدخل فوراً في العراق .

ـــ ٦ طائرات تورنادو حطت في قاعدة الظهران (١٠ آب) .

وهكذا قبل أن تهدأ أصوات القمة الصاخبة في القاهرة ، كانت تزدان المنطقة باكثر من ٣٠٠ طائرة حربية من أحدث الأنواع في العالم ، تحط (كالفراشات الوادعة) في قلب منطقة الاحداث ومحيطها ..

□

ميدانياً ، تولى الجنرال شارل هورنر مهمة تنسيق وصول القوات الجوية ، فروزنامة الارسال تقول :

اكثر من مئتي طائرة حربية يجب أن تحط في القواعد السعودية قبل منتصف آب . بالاضافة الى مئة طائرة دعم ، وخمسين قاذفة عملاقة ب ٥٢ تنتظر في جزيرة دييغو غارسيا مستعدة ، حسب تعبير ضابط في القوات الجوية (أن تفرش سجادة من القنابل تحتها ضد أهداف عراقية) وهناك ١٤ قاذفة في تركيا من نوع ف ١١١ .. وكان البنتاغون يتوقع مع نهاية آب ، ستمئة طائرة أمريكية لمواجهة الطائرات العراقية ..

وقوات عربية ايضا :

خلال ساعات من انتهاء القمة العربية في القاهرة ، كانت الو حدات المصرية التابعة للقوة العربية (كان الرئيس مبارك قد وافق مع شيني قبل القمة على ارسال قوات مصرية الى السعودية ، لكنه حين علم فيما بعد ، رفض الملك المغربي لهذا العرض ، عاد الرئيس مبارك عن موافقته ، وما لبث أن أنكرها ، وها هو بعد ثلاثة أيام من زيارة شيني للقاهرة ، يدفع بقواته لمواجهة عربية ـــ عربية أيضاً) .

ويقول جون كوولي في كتابه الحصاد ترجمة عاشور الشامس ص ٣٤١ : (لقد بلغ حجم القوات المصرية في البداية ثلاثة آلاف جندي ، أضيف اليها خلال الأشهر اللاحقة ، ما لا يقل عن ستة وثلاثين ألفاً آخرين ، كما وافق المغرب على ارسال قوة رمزية لم يزد تعدادها على ألف وثلاثمائة جندي ، وهؤلاء اضافة الى خمسة آلاف جندي مغربي كانوا منذ أوائل الثمانينات في القوات المسلحة للأمارات العربية ، ولم يتم استخدامهم في عملية عاصفة الصحراء ، فيما قارب عدد الجنود السوريين رقم خمسة عشر ألف جندي) .

وستظل قصة النقل وخطط اللوجستيات للجنود العرب الى الأراضي السعودية ، محاطة بالكتمان ، إذ أن المقدرة الذاتية للحكومات المشاركة في التحالف ، تظل مقدرة محدودة ، مقارنة بالحجم الذي تم سوقه (زهاء ٦٠ ألف جندي عربي) هذا عدا (عشرة آلاف جندي من مجلس التعاون الخليجي باستثناء السعودية والكويت) ومما يلفت النظر ، أن القوات الجوية الأمريكية بدأت منذ

حين ، بطلاء بعض طائراتها الضخمة بألوان تناسب جو الصحراء وسمائها ، فيما تم تبديل الأعلام والرموز والأرقام لغايات تضليلية ..

□

كان العراق في هذه المرحلة ، قد أيقن ، رغم الأقنية السرية العديدة مع أطراف الأزمة الخارجيين أو الداخليين ، بأن تصعيد الأوضاع باتجاه المواجهة هو الغالب في مسار الأزمة، فبعد انسحاب الوفد العراقي من مؤتمر القمة (عند بدء التصويت) تبدلت لهجة بغداد ، إذ لم يعد أمامها من خيار ، سوى التصعيد مقابل التصعيد ، ولم يكن العراق يملك أوراقاً كثيرة في هذا المجال ، فهناك جيش العراق ، الذي سيقف وحيداً في المواجهة التي ستُفرض عليه ، وهناك الرهان على موقف الشعوب ــ دون حكامها ــ من العرب والمسلمين .. وهكذا بدأ راديو بغداد ، يذيع النداء تلو النداء ، وكان الرئيس العراقي قبل ذلك ، قد وجّه بصوته عبر وسائط الاعلام العراقية ، نداءً للعرب والمسلمين يدعوهم فيه الى (الجهاد المقدس) :

انقذوا مكة وقبر الرسول

بسم الله الرحمن الرحيم

ايها الشعب العراقي العظيم ، ايها العرب المؤمنون حيثما كنتم ، ايها المسلمون في عالمنا الاسلامي حيثما استذكرتم حقوق الله عليكم في منازلة الحق للباطل والايمان للشر ..ايها الانسانيون الصادقون مهما كان طريق ايمانكم بالله وبحقوق الانسان وحيثما اديتم واجب الله عليكم لقد ابتدأت المنازلة الكبرى في الثاني من اب الماضي بين الشعوب والمخلصين من الحكام والقادة وبين سارقي حقوق الله الظالمين الذين نبذهم الله بعد ان نبذوا كل ماهو حق وشريف ونزيه وجاد وافترقوا عن طريق الرحمن حتى وقفوا بالضد منه عندما تلبسهم الشيطان من قمة رؤوسهم الى أخمص اقدامهم .

انها المنازلة الكبرى في هذا العصر وفي هذا المكان من العالم الذي طغت فيه

المادة على الروح وعلى كل ما هو معنوي واعتباري حتى اختلت الموازنة التي ارادها الله سبحانه للانسانية في كتبه وعبر رسله الذين حملهم واجبات معلومة الى الانسانية جمعاء وكاد الانسان نتيجة فعل الاشرار ان يفقد حتى انسانيته وينقطع عن طريق الله او ينقطع طريق الله عنه انها منازلة الحق ضد الباطل ومنازلة الايمان ضد الكفر ومنازلة بين حقوق الله تعالى ونزعة الشيطان للاستحواذ على حقوق الانسانية وادخال الهوى في الصفوف الخائرة الضالة ولقد اختار الله سبحانه واستجاب لاختياره جمع المؤمنين المناضلين المجاهدين الذين نذروا انفسهم للمبادىء .. اختار الله تعالى ان يكون ميدان المنازلة الوطن العربي وان يكون ملاكها العرب كصفوف متقدمة في الجمع المؤمن وان يكون العراقيون في الطليعة .

وهكذا يتأكد من جديد المعنى الذي اراده الله تعالى منذ أول قنديل ضوء في الايمان وهو ان ساحة الوطن العربي هي ساحة الايمان الأولى وان العرب ملاك دائم لقيادة الجمع المؤمن الى حيث مرضاة الله عز وجل وبما يضع الانسانية على طريق السعادة الحقة .

لقد جاء دوركم يا عرب لانقاذ الانسانية جمعاء وليس لانقاذ انفسكم فحسب واظهار قيمكم ومعاني رسالة الاسلام التي امنتم بها وكنتم قادة لها لقد جاء دوركم لانقاذ الانسانية من ظلم الظالمين الغاصبين الذين ساروا على مسار الظلم والفساد والتحلل والاستغلال والهوى والتجبر والتكبر تتقدم في منزع الشر الولايات المتحدة الامريكية جاء دوركم لملاك ايمان قيادي في طليعة جمع الانسانية من المؤمنين لمجابهة الظلم والظالمين فلا اظنكم تتركون هذا الدور الى دور غيره .

ايها الاخوة .. عندما ابتدأت المنازلة ظن من ظن انها فورة شعار رفع على عجل ويكفي لازاحة جمع المؤمنين عن الطريق واهدافه ان يتجمع جمع الاشرار والفاسدين والمشركين وان يكثروا من تجميع وسائل التدمير على حدود العراق المؤمن الصابر المجاهد لينهزم جمع الطليعة قبل ان يبني عليه المؤمنون جمعهم وقد خاب ظنهم وفألهم ذلك انه اهل القادسية قد اختاروا طريقهم هذا عن ايمان عميق

بالله وبالامة ودورها وعندما توكلوا على الله في المنازلة فأنهم قد وضعوا في اعتبارهم أسوأ ما يمكن ان تطلقه سهام الظلم والغدر عليهم ولذلك فأنهم عندما دخلوا المنازلة دخلوها بقلوب مؤمنة لا تعرف الهواجس والظنون ولا تعرف شعاراً غير النصر والنصر باذنه تعالى الا ان نصر الله قريب .

ايها العرب .. لقد برهنتم لساكني الكرة الارضية ان اختيار الله لكم لتكون امتكم شاهدا على الانسانية جميعا هو اختيار حق ــ وكذلك جعلناكم امة وسطالتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ــ صدق الله العظيم .

ولقد تقدم الصفوف فيكم في مبادرة الاستجابة العظيمة لمناصرة العراق شعب الحجارة الصامد الذي اوكل الله له واجب اظهارالحق ضد باطل الصهاينة واظهاركم هو الحق مقتدركم هو الباطل ضعيف عندما ينازله الحق وتوالت مبادرات المناصرة والاظهار من الاردن واليمن وتونس والجزائر وليبيا والسودان وموريتانيا وتعدت حمية الايمان الى جمع المؤمنين لتشمل كل ابناء الامة العربية وعالمنا الاسلامي وبعد ان عرف الحق حيثما حصل التعريف الصحيح به امتد جمع المناصرين الى ساحة الانسانية خارج العالمين العربي والاسلامي وبذلك تأخذ المنازلة طابعها الانساني الشامل .

ايها الاخوة ، ان البداية لكل انواع المنازلة من هذا الطراز تبدأ دائماً من عدد اقل لتشمل الاقربين من اهل البيت ومن ثم تتعداها الى الانسانية برحابها الفسيحة وان ال البيت من غير اخلال بحقوق ال البيت رسول الله في هذه المنازلة هم الامة التي اختارها الله لتكون ملاك ايمان قيادي في الجمع المؤمن وان جمع الايمان لايفترض التسلسل الالي وانما يفترض التداخل بين من هو عربي وغير عربي على اساس حكم الاية الكريمة ــ أن اكرمكم عند الله اتقاكم ــ وكم هي ظروف المنازلة العظمى في صدر الرسالة فقد كان اشد المجابهين لقيم الرسالة من بين صفوف العرب يتقدمهم اصحاب المصالح غير المشروعة التي لا يمكن ان تبقى كما هي وحيثما هي الا على حساب انسانية الانسان .. فان جمع الاشرار يتصدى لجمع المؤمنين من بين صفوف العرب او الذين حسبوا عليهم ..

اولئك الذين سد الله عليهم باب بصيرة الاختيار الصحيح بعد ان اختاروا طريق الظلام والشر والفساد يتقدم جمعهم الخائر اويحتمي بذلك الجمع الخائر من سماهم الاجنبي حكاما على رؤوس شعوبهم ولكن وكما فرق الله جمع الكافرين ليأخذ الناس طريق الهداية من دينه الحنيف. سيفرق الله جمع الخائرين الضالين بل ان الله مفرق جمعهم منذ البداية لتكون الغلبة لجمع المؤمنين المحرومين الذين عرفوا ان الطريق إلى الله هو الحق من خلال معاناتهم ضد الجمع الذي فقد الطريق إلى الله بعد ان فسد فأفسد واستعان بالكفار على الايمان والمؤمنين .

اما اساطيل امريكا البحرية والجوية وجيوشها ومن انحدر معها الى الهاوية فأنها لن تزيدنا نحن ورفاقنا في القيادة وشعبنا في العراق العظيم الا ايمانا بالطريق الذي اخترناه ليرضى عنا الله والشعب والامة والانسانية ولن تزيدنا قعقعة اسلحتهم او استخدامها الا اصرارا على الاستجابة لصدق المبادىء وشعاراتها وتطبيقاتها في العدالة الاجتماعية ورفض الظلم والتجزئة والضعف وان شعار المؤمنين لا تراجع ، المؤمن يتقدم هو شعارنا الابدي الذي لن يسقط من بين ايدينا ، وستسقط دون راية الايمان والجهاد رؤوس كثيرة لم تعمر بالعز ، ولا عرف اصحابها طريق الايمان ، وليكتب الله لمن كتب له الشهادة التي وعد بها المؤمنين .

ايها العرب .. ايها المسلمون في كل مكان ، لقد زاد فهد وحسني ومن والاهما من اصحاب السوابق الشريرة والدنيئة ظلماً على ظلمهم السابق عندما لعبا دور ابي رغال الذي كان دليل ابرهة الحبشي على الطريق الى مكة المكرمة قبل الاسلام وهزمه الله بطير ابابيل وبحجارة من سجيل بل ان دور ابي رغال كان اقل مرتبة في السوء من دورهم ، عندما استقدموا جيوش الغزاة التي احتلت ودنست اراضي مقدسات المسلمين والعرب فحق علينا جميعاً الجهاد المقدس لنخلص الحرمين الشريفين من الاسر والاحتلال بعد ان خان من سمى نفسه خادمها وان اخوانكم في العراق لن يهدأ لهم بال حتى يرحل مختارا او مطرودا اخر جندي من جنود الاحتلال عن أرض العروبة في نجد والحجاز .

واننا نناشد كل العرب ان يعمل كل حسب مقدرته وما يستطيع بضوء احكام الله ومقدسات الجهاد والنضال ضد هذا الوجود الكافر المحتل وان يفضح من غير تردد وبكل الوسائل مواقف الخونة ومن والاهم على الفساد والظلم ..ونهيب شعب الحجاز الصابر المبتلى وشعب نجد وشعب المنطقة الشرقية المظلوم وشعب مكة والمدينة وحائل والرياض وجده وشعب الكنانة في مصر العزيزة وكل ابناء امتنا وحيثما افترقوا عن حكامهم بسبب الاختلاف على موقف الكرامة والسيادة والحق والايمان .. ان يثوروا ضد الخيانة والخونة وان يثوروا ضد الاحتلال الاجنبي الكافر لأرض مقدساتهم واننا معهم والأهم ان الله معهم .

ايها الأخوة ، سيثبت اطفال العراق المحرومون من الحليب لأولئك الغزاة الطامعين واعوانهم بأن الاطفال هم الاقدر وان اولئك الذين خانوا أمتهم وشرف الرجولة ومعاني وقيم الانسانية سيندحرون أمام صمود الأطفال. وستثبت لهم نساء العراق بأنهن اكثر دقة وتدبيراً من اولئك الذين فقدوا حكمة التدبير والفعل الدقيق .. ومن باب اولى ان يكون رجال العراق في الجانب الذي لا يقبل المقارنة ذلك لأن الله وملائكته مع الخيرين المؤمنين في الوقت الذي اشتط فيه الاشرار عن طريق الخير والعز والشرف فصاروا بالضد من كل القيم النبيلة بئس ما يفعلون .

هل عرفتم ايها الاخوة في التاريخ الذي تعرفون .. من حاول ان يجوع شعبا حتى الموت بان يمنع عنه الغذاء . وهل رأيتم في فعل النازية التي يتشدق الغرب في اعلاء راية مجابهتها وتشبيه ما هو فظ وغير انساني بها انها قطعت الدواء عن شعب بأكمله ليموت مرضاه بسبب انقطاع الدواء عنهم .. وهل رأيتم في تاريخ ما اطلعتم عليه اطفالا يموت بعضهم بسبب قرار متعمد لقطع الحليب عنهم .. ان لم تكونوا قد رأيتم أو سمعتم ذلك من قبل فان كل هذا قد قامت به الولايات المتحدة الأمريكية بدفع من الصهيونية ، وقد ايدها في ذلك بعض سياسي الغباء من الذين تقدم الكرسي لهم أو تقدمهم الى الكرسي اعلانات بيوت الاعلام والمال الصهيوني اولئك الذي داسوا المبادىء الانسانية بأقدامهم فسجلوا انفسهم في خانة

من سيلعنهم التاريخ ولن تنسى فعلهم الشرير امة العرب والعراقيون يساندهم جمع الانسانية الى جانب جمع المسلمين المؤمنين بعد ان تفيق الانسانية من نومها وتستظهر الحق كما هو .

ان اطفال العراق قبل الشعب يرفضون ان نستجدي لهم الحليب الذي يحتاجون من الكفرة والفجار .. وان أباءهم النشامى وبنات القادسية الماجدات .. سينتزعون لهم الحياة متكلين على الله وسوف نجد صور الاطفال الذين هزموا الطغاة والدولة العظمى محفورة في قلوب كل من ستحرره وتطلق سراحه هذه المنازلة بعد ان تنكفىء جيوش الطغاة متقهقرة على اعقابها وينهزم جمعهم الخائب وسيكتب التاريخ صفحات خوالد لاولئك الرجال والنساء الذين يقفون صفا ضد اولئك الغزاة الذين دنسوا باقدام جنودهم ارض نجد والحجاز ولن يظهر الله المؤمنين على الكافرين حتى يظهر المؤمنون ما يكفي من استعدادهم للمنازلة والتضحية .

وقد اختار اخوانكم العراقيون ايها الاخوة مكان الطليعة في جمعكم وانهم يعرفون بضوء خبرتهم الطويلة ان الذين يختارون مكان الطليعة لا بد ان يكون استعدادهم للتضحية متناسبا مع مكانة الاختيار وان مكانتهم لمثل هكذا اختيار عند الله ستتناسب مع مقدار تحملهم وصبرهم وتضحياتهم وقد آمنوا بالله وما رتب عليهم من واجب وسيكونون عند عهدكم بهم يهزأون من الحصار الظالم ولا يقيمون له وزنا يزيد من وزن الاشرار وسوف يناجون أمهم أرض العراق لتستجيب بعطائها الذي ما قصّرت فيه يوما على ابنائها والتي كانت دائما عون المقاتلين في كل هزيمة الحقوها بالغزاة على مر التاريخ ، وسيكونون قادرين على ان يهزموا جمع الغزاة سواء بقي على ما هو عليه أو تضاعف بقوات اضافية بل ان العراقيين وانتم ايها الاخوة في كل مكان لا يليق بجدية تهيؤكم للمنازلة الا جمع كهذا أو ما هو اكبر منه بكثير اذ لا يليق بجمع المؤمنين جمع يمثلهم او بزيادة طفيفة عنهم .

«يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا

مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون» . «صدق الله العظيم» .

فكيف اذا ما عرفنا ان عدد المتطوعين العراقيين وحدهم من الذين جاءوا ليقدموا انفسهم فداء المبادىء والوطن يزيد على خمسة ملايين عراقي .. عدا النشامى في القوات المسلحة الذين يزيد عددهم على المليون مقاتل ، وان هذا العدد حتى يهاجم من قبل الغزاة فلا بد أن يجمعوا مقابله ضعف عدده وعند ذلك يقتضي ان يجمع الغزاة اثني عشر مليون مقاتل كحد ادنى وانكم تعرفون ايها الاخوة ان القوات الجوية لا تستطيع ان تحسم معركة في البر مهما بلغت وسائلها من تطور وهذا هو قانون كل الحروب التقليدية والتحررية وكان اخر من واجه تلك القدرة المتفوقة شعب فيتنام .

ورغم ان الاميركان قد حولوا فيتنام الجنوبية وقت ذاك الى قاعدة شبه أمينة في خدمة عملياتهم العسكرية ضد فيتنام الشمالية في بداية الأمر وحققوا فيها كل ما يؤمن لجنودهم من وسائل الراحة والترفيه التي تنعدم فرصها أو تضيق امامهم على ارض المقدسات في نجد والحجاز فان نتيجتهم كانت كما تعرفون فكيف اذا واجهوا العراق في ظروف مختلفة تماماً .. الا ما تشترك به الشعوب ومنها شعب فيتنام وشعب العراق من قدرة التصميم على مواجهة الغزاة .

ان عمق العراق اليوم هو كل الشرفاء على مستوى القادة والحكام وعلى مستوى الشعب من ابناء امة العرب وعمق العراق اليوم هو كل الخيرين المؤمنين من ابناء الامة الاسلامية وكل الخيرين في العالم تقف في مقدمتهم الشعوب المظلومة المسحوقة بفعل ظلم المستغلين الاميركان وغيرهم وقبل كل هذا وذاك ان الله معهم .

سيندم المتورطون وينهزم جمعهم شر هزيمة ان هم اقدموا على المنازلة العسكرية وستكتسح اثار اقدامهم من المنطقة كلها وستعود القدس بعد ذلك حرة عربية الى حضن الايمان والمؤمنين وستتحرر فلسطين من الغزاة الصهاينة وستطلع على العرب

وأمة الاسلام شمس لن تغيب وسيكونون في حماية الله بعد ان يعودوا اليه سبحانه .

والله اكبر .. الله اكبر .. الله اكبر .

وليخسأ الخاسئون

صدام حسين

كان العراق في أوج أزمته ، أول من فتح الباب لنقد مزير موجه لسياسات الأمم المتحدة ذات الطابع المزدوج في الموضوع الواحد ، فقد أكد على اختلال المعايير والمكاييل الصادرة عن هذه المنظمة الدولية لحساب استراتيجية الولايات المتحدة ، فمنذ العام ١٩٤٧ صدر عن مجلس الأمن ١٦٠ قراراً بخصوص القضية الفلسطينية و ٤٠٠ قرار آخر عن الجمعية العام ، واستخدمت الولايات المتحدة ٨٠ اعتراضا (فيتو) منذ تلك الفترة ، واكثريتها ضد القضية الفلسطينية ..

الربط تلك الكلمة الذميمة في قاموس اسرائيل !..

في الخطاب الذي ألقاه يوم ١٢ آب (اغسطس) ١٩٩٠ قال الرئيس العراقي انه يقترح أن تسوى كل مشكلات الاحتلال ، أو كل المشكلات التي تعتبر كذلك ، في المنطقة بأسرها على نفس الأسس وتبعاً لنفس المبادىء التي يتعين على مجلس الأمن أن يعلنها على النحو التالي :

١ ــ من أجل الاعداد لاتفاقات فك اشتباك على نفس الأسس ، وتسمح بانسحاب فوري وغير مشروط لاسرائيل من الأراضي العربية المحتلة في فلسطين ، في سورية ، وفي لبنان ، وانسحاب سورية من لبنان ، وانسحاب متبادل بين العراق وايران ، والوصول الى وضع تسويات تتعلق بحالة الكويت . على أن يتم

تطبيق روزنامة التسويات العسكرية ، وكذلك الاتفاقيات السياسية ، في جميع الحالات ، وبالتوافق مع نفس المبادىء الأساسية ، مع الأخذ بعين الاعتبار الحقوق التاريخية للعراق في أراضيه ، واختيارات الشعب الكويتي . وتطبيق هذا البرنامج يجب أن يبدأ بالاحتلال (أو ما يسمى كذلك) الأقدم مع تطبيق كافة قرارات مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة ، وصولاً الى الاحتلال الأكثر حداثة . وكذلك فإن الاجراءات التي يتخذها مجلس الأمن في حق العراق ، ينبغي أن تطبق على كل من لا يتماشى أو لا يرد بالايجاب على هذه الترتيبات .

٢ ـــ لكي يتمكن الرأي العام العالمي من الحكم موضوعياً على الأمور من دون أن يكون خاضعاً للضغط الأميركي ، نطالب بالانسحاب الفوري للقوات الاميركية من العربية السعودية ، وكذلك نطالب بانسحاب كل قوات أخرى ساهمت في هذه المؤامرة . وهذه القوات ينبغي أن تستبدل بقوات عربية يتولى مجلس الأمن تحديد اعدادها وجنسياتها وموقع تمركزها بين العراق والعربية السعودية ، بالاتفاق مع الأمين العام للأمم المتحدة . كما أن جنسية هذه القوات ستحتاج الى موافقة العراق والسعودية ، شرط أن تستبعد منها قوات مصر ، التي استندت اليها الولايات المتحدة للتصدي للأمة العربية .

٣ ـــ ونطالب بالتعليق الفوري لكل قرارات العقوبات والحظر المتخذة ضد العراق ، وباعادة العلاقات الاقتصادية والسياسية والعلمية الى طبيعتها بين العراق وبقية بلدان العالم . وهذه القرارات لا يجب مناقشتها وتطبيقها من جديد ، إلا بالنسبة لأولئك الذين يخرقون النقاط المشار اليها أعلاه ..

ومهما يكن ، يختتم الرئيس العراقي ، إذا «لم تستجب الولايات المتحدة وعملاؤها الصغار الى مبادرتنا فإننا نحن ، معشر الابناء الشجعان للأمة العربية وشعب العراق الكبير ، سوف نتصدى بكل حزم للنوايا الشريرة وللمؤامرات العدوانية . ولسوف يكون النصر من نصيبنا بإذن الله . أما أهل الشر فسوف يندمون على ما اقترفوه حين يطردون من المنطقة ، مهزومين ملعونين مذلين» .

الفصل الخامس

وجهاً لوجه مع التحالف

إن ممارسة الدبلوماسية هنا ، هي ممارسة خطرة ، وطالما أن الخصم ضعيف ، وغالبية جيشه من الفلاحين التعساء ، فينبغي ألا يهزم فقط ، بل أن يسحق ..

درسكم المركزي يجب أن تأخذوه : نحن السادة وعليكم أن تمسحوا أحذيتنا .

(الغارديان ــ نيسان ١٩٩١ــ شوموسكي)

كان من المتوقع بعد أن قوطع النفط العراقي والكويتي معاً ، أن تنشب فوضى عالمية في أسواق النفط ، سواءً لجهة الإمداد ، أو جهة السعر ، غير أن خطط الإمداد والتخزين ، كان قد تم التغلّب عليها منذ فترة من الوقت وتحركت الأسعار في الأيام الأولى من الاجتياح ، لتقفز بحركة جنونية من ١٣ دولاراً للبرميل الواحد إلى ما بين ٣٧ ــ ٤٠ دولاراً في غضون أيام ..

وكانت الخطة الأمريكية مزدوجة في هذا المجال ، فعقب قرار الحصار الذي أصدره مجلس الأمن ، راحت الإدارة الأمريكية تسحب من الاحتياطي الاستراتيجي

الأمريكي لتغطي أسواق العالم ، كما طلبت من حلفائها أن يقتفوا الأثر نفسه ، أما الشق الآخر من الخطة المعدّة ، فكان يكمن في السماح لدول الأوبك النفطية بأن تنتج ما تشـاء ، وأن تعطل العمل ببرامج الحصص نهائياً ، وفي غضون أيام معدودات ، قفز الإنتاج السعودي من معدل ٣,٥ مليون برميل يومياً إلى ١٠ ملايين برميل يومياً ، وكان في ذلك ما يكفي لاسترداد (الفرص الضائعة في الأوبك) وسد النقص من النفط العراقي والكويتي في الأسواق بآن واحد ..

هناك وقت لصيد السمك أيضاً :

في ولايـة مـاين ، حيث يمتـلك الرئيس الأمريكي بيتـاً هـادئـاً ، راح بوش في (كينبكيورت) يختال فوق العشب الأخضر ، بقميص سبور وطاقية واقية ، ويلعب الغولف ، ويبحر في يختـه الخـاص ليصـطـاد السمك ، متظـاهراً بكـامل الراحة والاسترخاء ، فيما تقطع جيوشه آلاف الأميال البحرية في رحلات طويلة ومريرة ، وكان يقطع أحياناً ألعابه المسلية ، ليتصل بمعاونيه في واشنطن أو بقائد ما في ناحية من أنحاء العالم ، فيما يظل مرافق بجانبه ، حاملاً هاتفاً يسمح له بالاتصال بأي نقطة من الكرة الأرضية .

غير أن هذه التظاهرة من قبل بوش ، لم يكن يقدر عليها سوى مدير ناجح لجهاز السي آي ايه سابقاً ، فالوضع على الأرض لم يكن مريحاً على الإطلاق (وقد أخطأ بوش خطأً فادحاً حين راح بكلمة مختصرة له يهاجم صدام شخصياً) : « يزعم صدام أنها حرب مقدسة يشنها العرب ضد الكفرة .. إن صدام هو الذي يهدد الأمة العربية ، وليس نحن » .

وإضافة إلى هذا التعليق من قبل بـوش فقد علق وزير الدفاع الأمريكي : « من الخطأ الجسيم استفزاز صدام الآن .. فهناك ٢٠٠ ألف جندي عراقي ، مقابل ٢٠ ألف جندي أمريكي ، أي عشرة مقابل واحد ، وما تزال إمكانية وقوع مذبحة أمراً لايمكن استبعاده » .

لم يكن شيني يتصور ، كيف يمكن الذهاب لصيد السمك ؟ فيما مئات الألوف من القوات تستعد للرحيل ، أو أن جزءاً منها قد رحل بالفعل .

ويقول بوب وودورد في كتابه القادة (ترجمة محمود برهوم ص١٩٨) « **في نهاية الأسبوع ، وقع بوش (ابتداعاً) استخبارياً بالغ السرية ، يسمح للسي آي ايه بعمليات سرية متنوعة للإطاحة بصدام ، شريطة أن يكون الاغتيال كخيار محتمل ، على أيدي عراقيين وليس سواهم** » .

فمنذ اندلاع الأزمة ، ومن خلال طريقته في مواجهتها وإدارتها ، بدا بوش وكأنه يمحو سمعته كرجل متردد أو كرجل في الصف الثاني ، فهو الآن أشبه بعمدة أمريكي يسوق العالم ، فقد أمر الإسرائيليين بالهدوء والتروّي ، واليابانيين بالالتزام بأكثر من مجرد المشاركة المالية ، وهو يعلّم الصينيين ويوجّه السوفييت إلى أنه أمامهم فرصة ثمينة للانضمام إلى المجتمع الدولي ، فيما راح يجمع تحت لوائه أغلبية من البلدان العربية والحلفاء الأوروبيين ، وكما يقول المؤلفان سالنجر ولوران ، فإن شخصية بوش أشد تعقيداً مما يظهر عليه ، فهي تكاد تكون مزدوجة : نبيل من الساحل الشرقي ، لطيف المكارم متزن السلوك ، يهوى الكلاسيك ، وإنه أيضاً ذاك الرجل الذي جمع ثروته في تكساس من تجارة النفط ، وواحد من (غيلان المال) لايرحم في ميدان العمل (سواءٌ كان عمل الصفقات أو السياسات ، فالسياسة هي امتداد لعالم الصفقات بشكل ما ...) .

كما أنه كمدير للسي آي ايه ، ذلك الجهاز المفرط في الضخامة ، ظل يلاحقه في كل إدارته وظنونه وحساباته ..

دبلوماسية الهاتف تستهويه ، وبذات الوقت فهي تدل على ازدواجيته ، فحين اتصل العاهل الأردني به ، يقترح مجيئه إلى الولايات المتحدة ، بعد أن يلتقي صدام في بغداد للحصول على تنازلات ، أجابه بوش بأسلوب ريبته المعتاد :

ــ أشك بذلك ... ورماها بجفاء ...

بالمقابل فقد سهر ذات ليلة حتى الساعة الثانية والنصف ، حيث في باريس تكون الثامنة والنصف ، كي يتصل بالرئيس الفرنسي ميتران ، وكانت كلماته الأولى بصوت مضطرب :

ــ سيدي الرئيس .. آمل ألا أكون قد سببت لكم الإزعاج وألا يكون الوقت باكراً ..

وأمام هذا الهوس الجنوني بإدارة الأزمة ،سيصرخ بريجنسكي بنبرةاحتجاج « **إن أزمة الخليج ، أصبحت عاطفية بأكثر من اللازم ، وشخصية بأكثر من اللازم ، وعسكرية بأكثر من اللازم** » .

وسيعتمد بوش في سبيل إلحاق الهزيمة بصدام ، على ضخامة تدفق القوات (التي كانت تعد لمواجهة تدخل سوفييتي في المنطقة ، حيث جاء إلى المنطقة سبع أعشار الجيش البري ، وتسع أعشار القوة الجوية الضاربة ، وثلثا القوة البحرية الأمريكية ، لدرجة أن باول كان قد علّق ساخراً « لم يعد لدي شيء إذا ما نشبت أزمة في أي ناحية من أنحاء هذا العالم » .

كان بوش يعتمد على فاعلية الحصار بعد أن رصد له عيون البحر والجو وتشدد مع محيطه في البر ، ولتقدير أثر العقوبات ، قامت وكالة الاستخبارات الأمريكية وأجهزة الاستخبارات الأخرى بتنسيق خطة كاملة لاستقصاء المعلومات ، فهناك صور أقمار التجسس الصناعية التي تظهر بدقة جميع التحركات المدنية والعسكرية والوضعية في الطرق الدولية والموانئ والساحات والميادين .. كما سخرت وكالة N.S.A للفضاء ، لتقوم بدورها في اختصاص التنصّت ، حيث كان لها في تركيا ، أجهزة بالغة الدقة والسرّية لهذا الغرض ، وقد أمكن بالفعل ، التقاط العديد من المخابرات الهاتفية من الشبكة العراقية ، وكانت ترسل التفاصيل إلى الولايات المتحدة بصورة فورية ، حيث يقوم المختصون من المترجمين وعلماء اللغة العربية (بلهجتها العراقية) بعمليات التحليل والتقييم ، استناداً للنبرة والمفردة والجملة ومعنويات السكان حتى تكلفة التاكسي وأسعار المحروقات وسلع المعيشة وقطع الغيار ...

وقد رصدت إدارة بوش مجموعة ضخمة من مجموعات الحرب النفسية ، ضمت كبار المسؤولين في الوزارات والأجهزة والجيش ، وكان روبرت غيتس الرقم الثاني في الـ C.I.A رئيساً لها وقد علق بعيد تكليفه بالمهمة :

« نتذكر جميعاً ، كيف خسرنا الحرب سياسياً في فييتنام ، كانت الخسارة الأولى ، التي أعقبتها خسارات أخرى » .

وبدأت غرفة العمليات تبث عبر صوت أمريكا على مدار ٢٤ ساعة ، معلومات

غزيرة وتحريضات شتى للشيعة والأكراد وقوات الجيش ، وكذلك تم استحضار المجموعة الرابعة للعمليات السيكولوجية من شمال كارولينا ، ووجهت هذه المجموعة الكثير من المعلومات الإنذارية كالتحذير من آبار المياه المسمومة في الصحراء ، وإلقاء العديد من المناشير التي تقارن بين حالة جندي من الحلفاء (وجبات ساخنة ، فواكه ، مياه صافية بالقوارير ... إلخ) . وحالة جندي من الجيش العراقي ... وانضم إلى هذه المجموعات أعلى مستويات القيادة العسكرية الأمريكية ليكتسب النشاط درجة عالية من الأهمية ..

وكان أول ما أصدرته هذه المجموعات كراسة معلومات تحت اسم « ثقافة وعادات » وقد تم توزيعه باسم القيادة المركزية للقوات الأمريكية على جميع أفراد القوات المسلحة العاملين في الخليج . وقد نصح القادة جميع العسكريين بقراءة هذه الكراسة بتمعن ، وهنا إحدى فصولها :

تحت عنوان « نقاط حساسّة » جاء في التوجيه :

إن هذه القائمة من النقاط الحساسة ذات طبيعة عامة ، وهي تنطبق على (منطقة المسؤولية) بأسرها ، ففي منطقة الخليج يتوجب تحاشي المسائل التالية أو التعامل معها بحذر بالغ :

ـــ المقالات والتحقيقات التي تظهر التعاون الأمريكي ـــ الإسرائيلي وروابط الصداقة بين البلدين .

ـــ المواد التي تعتبر مخلّة بالأخلاق أو سياسات وممارسات الدولة هنا ، أو صور رجال ونساء في حالة عناق أو جماع أو رقص ، أو صور رجال ونساء عراة .

ـــ الإعلانات المثيرة للغرائز مثل العطور أو بناطيل الجنز ، أو الثياب الداخلية النسائية ، أو المقامرة أو معاقرة المشروبات الكحولية وما إلى ذلك .

ـــ إعلانات لحم الخنزير أو الحمار .

ـــ مظاهرات الطلاب العرب في الولايات المتحدة أو أوروبا ، الأفلام أو الأشرطة التي يشترك فيها ممثلون أو ممثلات منحازون إلى الصهيونية (مثل بربارة سترايسند أو اليزابيث تايلور) .

ـــ مناقشة تورط الولايات المتحدة في دعم إسرائيل ، ووجود إسرائيل الحالي في لبنان ، والتعاون الأمريكي الإسرائيلي الاستراتيجي .. وما إلى ذلك .

ـــ الإيحاء بأن الولايات المتحدة قد تلجأ إلى الخيار العسكري في الخليج وأن سبب ذلك مرجعه صدام حسين إذا ما حدث .

ـــ تحاشي الإشارة إلى (اللولبي الصهيوني) وخدمات المخابرات التي تمنحها الولايات المتحدة لإسرائيل .

ـــ مناقشة التعاون الاستراتيجي بين الولايات المتحدة وأية دولة في منطقة المسؤولية .

ـــ مناقشة الأفعال التي لايحبها العرب ... مثل مجلة بلاي بوي ، وسوء تقديمها لشخصية العربي ، أو تلك الشخصية في الصحافة الأمريكية عموماً .

ـــ التبشير بأديان أخرى غير إسلامية .

ـــ الإيحاء بأن بلداً عربياً ما تابعاً كلياً للقوى الأجنبية ، سواء من حيث الحياة الاقتصادية أو الجهد العسكري .

ـــ تحاشي نقد العادات والأعراف ، خاصة ما جاء عليها الدين الإسلامي ، سواء من ناحية حقوق المرأة وشكل لباسها ، مع كافة المعايير الخلقية الأخرى ..

ـــ تصوير الأماكن العامة ، كالمطارات والموانئ ، أو دور العبادة وكل ما يمكن أن يترك أثراً سلبياً لدى الدولة المضيفة .

ـــ تحاشي الإشارة إلى اللوائح السوداء التي يضعها العرب ضد الشركات المتعاملة مع إسرائيل ..

ـــ تحاشي الحديث عن مهام طائرات الأواكس في منطقة المسؤولية .

ـــ تحاشي الدخول في مناقشات تتصل بسياسة الدولة المضيفة ..

ومع ذيوع هذا التوجيه في صفوف القوات المسلحة الأمريكية كان البنتاغون (١٢ آب) يعلن بأن قوات البحرية الأمريكية تلقت الأوامر باستخدام القوة في فرض الحظر الاقتصادي على العراق ، بما في ذلك اعتراض البواخر التي تحمل الأغذية ، وفي ذروة نشاط الانتشار الأمريكي في السعودية (بمعدل طائرة ضخمة كل عشر دقائق) أعلنت فرنسا بأنها سترسل حاملة الطائرات (كليمانصو) إلى الخليج ، **وها هو هاتف**

بوش الذي أيقظ الرئيس الفرنسي باكراً يلقى نجاحه .. وها هي أوروبا تدخل ماراثون الخليج العامر ، بحفلة (روك) أمريكية لن تتملص منها ، حتى نهاية الأزمة ..

كان الشارع العربي في هذه الأثناء ، يضطرم في الأردن ، والضفة ، والقطاع ، وليبيا ، واليمن ، وموريتانيا ، والسودان ، والجزائر ، والمغرب ، وتونس ... وكانت عمّان تعلن احتجاجها الصاخب على الحملة الصليبية الجديدة التي تشنها أمريكا ضد المنطقة العربية الإسلامية .. وكان الملك حسين وسط هذه الأجواء المكفهرة يحاول من جديد ..

يقول هيكل في مقالة له نشرت في التايمز اللندنية يوم ١٢ آب ١٩٩٠ تحت عنوان (ليخرج الأمريكيون) :

« لاأخفي أنني أكنّ تعاطفاً مع الملك حسين ، فبعد ٣٧ سنة من استمراره على عرش الأردن العاصف ، يبدو موقفه اليوم أصعب مما كان عليه في أية حقبة سابقة **وفي الوقت الذي ناور فيه آخرون وراوغوا .. بذل الملك جهده للعثور على حل عربي .** إن زياراته إلى لندن وواشنطن وعواصم أخرى جلبت عليه المزيد من المهانة لم يكن أقلها تلك الصادرة عن (داوننغ ستريت) » [مقر رئاسة الوزراء البريطانية] . ويتابع هيكل « لقد اختلفتُ معه حول نقاط عديدة ، **لكنني أشهد أن دبلوماسيته في هذه المسألة كانت الوحيدة التي تعطي بصيصاً من الأمل** . كان الملك يطرد شعوراً يائساً حاول أن يقعده بعد قمة القاهرة التي كانت نتائجها الفعلية ، تضييع المبادرة العربية ، وتسليمها للقوى الأجنبية ، **وأحس الملك أن التطورات القادمة ، يمكن أن تجرف معها وفي طريقها ، كافة الممثلين والمتفرجين على حد سواء** .. كانت فكرة الركون المستسلم لمشيئة الأقدار تؤرقه وتدفعه إلى الاستنتاج بأنه لامجال لزاوية هادئة في الساحة الهائجة للمنطقة العربية . لقد قرر الملك السفر من جديد إلى بغداد .. ومن بعدها إلى واشنطن ، حيث مركز القرار في الأزمة ..

جورج . بغداد راغبة بالتفاوض :

في يوم الاثنين المصادف لـ ١٣ آب ، سافر الملك حسين إلى بغداد في مهمة

استطلاعية تمهيداً للسفر إلى واشنطن بعد يومين من زيارته للعاصمة العراقية .. وبالرغم من قناعة العاهل الأردني بأن إمكانية حل عربي للمشكلة ، مازال قائماً ، لكنه كان يأمل في الوقت نفسه ، باصطحاب خطة للسلام بين بغداد وواشنطن ، وفي تعارض مع أي شكل من أشكال المنطق راحت الولايات المتحدة والسعودية ومجموعة من دول الخليج ، تتخذ موقفاً سلبياً من دعاة الحل العربي ، وبشكل خاص من المملكة الأردنية ، وكان الأردن غارقاً في المصاعب الاقتصادية ، حين بدأت كل من واشنطن والرياض تعاملانه بغطرسة بادية ، وقد لجأ العديد من دول الخليج ، إلى طرد العاملين المقيمين من الأردنيين والفلسطينيين ، فيا توفرت معلومات لعمان تفيد بأن السعودية (وهي البلد الثالث من حيث المبادلات التجارية مع الأردن) تنوي وقف استيراد جميع البضائع الأردنية بكل أشكالها .

كان الملك حسين قبل ذلك يدرك أن (كل يوم يمر يجعلنا أقرب إلى الحرب ، **وهؤلاء الذين يعلنون موت الحل العربي يتناسون أنه كان ممكناً في الأسبوع الأول من الأزمة .. وهكذا إلى أن تم القضاء عليه من قبل الأمريكيين**) .

كان الملك يعلم بعيد انتهائه من بغداد ، وقراره السفر إلى واشنطن ، أن عليه أن يعد العدة ، لمواجهة عدوانية الكونغرس الأمريكي ، وقد عمل على إعداد رسائل موجهة لكل فرد من الشيوخ والنواب حيث يشرح تفصيلياً أبعاد الأزمة وموقف الأردن منها .

كان بوش قد قطع إجازته في الرابع عشر من آب ، ليعود إلى واشنطن ، حيث تمّ حتى ذلك التاريخ ، انتشار ستين ألف جندي من البحرية والطيران ، فيا خمسون ألف يُرتقب وصولهم خلال الأيام القليلة المقبلة ، وقد صرح ديك شيني قبلها (أنه ما من سقف لانتشار القوات الأمريكية في الخليج) .

والتقى بوش زعماء الكونغرس في اليوم التالي ، إذ أنه كان مخولاً بإرسال مئة وعشرين ألف جندي من الاحتياط خلال ١٢٤ يوماً دون الحاجة إلى موافقة الكونغرس ، ولكنه الآن يطلب المزيد ، وشاعت تعليقات ساخرة في أجواء البيت الأبيض مفادها (أن الحصول على موافقة مجلس الأمن أصبحت !.. أسهل من الحصول على موافقة الكونغرس) وأضافت نكتة أخرى صادرة عن البنتاغون تقول (صحيح أننا وعدنا

الكونغرس بالمشورة في حال الحرب ، وهذا معناه أننا سنتصل بهم هاتفياً مباشرة بعد سقوط الدفعة الأولى من القنابل) .

عاد بوش إلى كينتبينكبورت ليكون في استقبال الملك حسين هناك ، وراجت شائعة مفادها أن الملك يحمل رسالة من صدام حسين إلى الرئيس الأمريكي ..

وفي الحقيقة فإن الملك لم يكن يحمل رسالة بقدر ما هي وجهة نظر القائلين بضرورة إفساح المجال للحل العربي ، مهما كانت تعقيداته وصعوباته ...

كان الملك على علاقة وطيدة بالرئيس بوش منذ سنوات ، وكثيراً ماكان ينادي أحدهما الآخر باسمه الأول .

ــ جورج ، إن الحشود الأمريكية تثير الفزع في المنطقة ، وهي فوق ذلك تزيد من حدة النفور هناك ..

وأجاب بوش بحدة ظاهرة :

ــ نحن لم نبدأ .. قبل حشودنا كان هناك احتلال عسكري للكويت ، ثم أضاف :

ــ نحن هنا نقدر قلق الأردن جراء الحصار ، غير أن دولاً عربية أخرى تستطيع المساعدة .

كان بوش يعني أن يدير الأردن ظهره نهائياً للعراق بصفته بلد المبادلات الأول معه ، وأن السعودية ودول الخليج ، تستطيع التعويض عن الخسائر الناجمة عن إغلاق منفذ العراق الوحيد الذي هو ميناء العقبة ..

وأصيب الملك بالدهشة ، نتيجة هذا المدخل الساخن الذي بدأ به بوش ، وأدرك أن الأجواء مختلفة تماماً عن تلك التي كان قد ألفها مع بوش من قبل ..

ــ لم أقطع ثلاث عشرة ساعة متواصلة كي أبحث مثل هذه المواضيع ، هناك ما هو أكبر بكثير وهو موضوع السلام ..

قال بوش :

ــ اسمع ياحسين .. البترول بالنسبة لنا شريان حياتنا ، ولن أسمح لهذا الرجل أن يضع يده على ثلث الإنتاج اليوم ، (يقصد ثلث إنتاج الخليج) وعلى ثلثي احتياطي العالم

غداً .. ولم يكتفِ بوش بهذه الملاحظة فقط ، بل راح على طريقته المألوفة بالتحريض الخفي يقول :
ــ إنه لايهددنا ، بل يهددكم أنتم .. أنتم تعيشون على برميل ديناميت بالقرب منه .. لكن مصالحنا الحيوية هناك ، تدعونا لحمايتها ..
ثم تابع :
ــ لقد توقفت كثيراً عندما طلبت مني أن أوافق على مقابلتك ، فقد خشيت أن يساء تفسيرها ، فهناك مَنْ يقول أنك مكلف بوساطة ، وأنالاأريد هذه الوساطة ، الكونغرس والرأي العام هنا ، لايريدها أيضاً ..
وتدخل الملك حسين مقاطعاً :
ــ إنه على استعداد للانسحاب ياجورج ..
ورد بوش بهمهمة غير مفهومة ، واستدرك قائلاً :
ــ إذا أراد أن ينسحب فلا أحد سيمسك به ، لينسحب فوراً ، دون شروط ، ولا جداول زمنية عنده ، ولا حدود مختلف عليها ، لا حقول نفط ، ولا جزر ، فلن نبحث في كل ذلك الآن .. وسوف تعود أسرة الصباح .. **وبعدها سنرى ما هو اللازم عمله ..** ..

كان بوش يقصد (باللازم عمله) حسب بنود قائمة جديدة ، أضافتها الولايات المتحدة لطلباتها ، وتحدث عنها بيكر في جلسة مع الكونغرس :
ــ تحديد حجم الجيش العراقي .
ــ نزع صواريخه أو تدميرها .
ــ فك منشآته الكيميائية والجرثومية .
ــ فك منشآته النووية ..

ثم دار نقاش حول التزام الأردن بالشرعية الدولية ، حين هاجم بوش عدم تقيد الأردن بقرار مجلس الأمن الداعي إلى الحصار (كان يشير بذلك إلى بقاء منفذ العقبة مفتوحاً للبضائع الذاهبة إلى بغداد) .. ويقول هيكل في أوهام القوة ص ٤٥٧ ما يلي : (وقد روى الملك فيما بعد خلال اجتماع مغلق عقده لعدد من أعضاء مجلس الأعيان

بعد عودته من الولايات المتحدة ، **أن الرئيس بوش ، تلقى أثناء لقائه معه ، مكالمة تلفونية ، وأن الرئيس الأمريكي قال له بعد انتهاء المكالمة ، هذا أحد زملائك يحثني على سرعة العمل بالقوة العسكرية ، قبل أن تؤثر الدعاية العراقية على الشارع العربي) .**

كان الشارع العربي الذي ما زال هادئاً نسبياً هو شارع القاهرة ، وكانت الأيام تستحث الخطا لسماع دقات هي أقرب لدقات القلب في صدور الشباب .. دقات ساعة جامعة القاهرة ، والجامعات المصرية الأخرى ..

شيني يتوجه إلى السعودية ثانية :

في يوم الجمعة السابع عشر من آب ، توجه شيني إلى السعودية وليقوم بجولة أربعة ايام في أقطار أخرى في المنطقة ، فقد خطط لزيارة البحرين وسلطنة عمان والأمارات العربيــة المتحدة ومصر للحصول على مزيد من التأييد ، وكانت حاملة الطائرات الأمريكية كندي مع مجموعتها القتالية قد مخرت عباب الماء في البحر الأبيض المتوسط قبل يومين .. وقد صرّح يومها ، الأمين العام للأمم المتحدة السيد خافير بيريز دي كويلار ، أمام مرأى من الصحفيين (يوم ١٦آب) **بأن قيام الأمريكيين منفردين بفرض الحصار الاقتصادي على العراق بالقوة يُعد خرقاً لميثاق الأمم المتحدة ..**

كانت الأمم المتحدة التي وافقت على العقوبات الاقتصادية ضد العراق ، تفكر في استصدار قرار إجرائي لتنفيذ قرار الحصار (لآن معنى ذلك احتمال استخدام القوة) ، وكانت القضية الفورية تتمثل في (انتظار) قرار الأمم المتحدة ، أو المضي قدماً دون التعويل على ذلك ، ومن جانب واحد ، والصعود إلى السفن العراقيـة ، ودب الفزع ذات يوم حين وردت تقارير بأن سلاح البحرية الأمريكية قد هاجم ناقلة نفط عراقية ، وكان شيني في بداية زيارته الثانيـة للسعودية ، وانتاب القلق وزير الدفاع الأمريكي خشية أن يقوم ضابط في سلاح البحرية بإشعال الحرب (الخوف من إشعالها قبل أوانها بالطبع) وقد احتاج شيني للانتظار نصف ساعة في جدة ، ليفهم من البنتاغون أن ســلاح البحـريـة أطـلق ناراً تحذيرية أمام السفينـة وليس عليهـا ، وتنفس شيني الصعداء ، حيث كان يعلم شيئاً عن وضع القوات المحفوف بالمخاطر ..

كان يهم الولايات المتحدة في هذه الأثناء مسألة هامة هي تثبيت جو الاستقرار في المنطقة ، دون الانسياق لنشوب قتال قبل أن تصل القوات الأمريكية إلى مواقعها بموجب الخطة المرسومة ، لقد اتصل شيني المورّق مع باول على الخطر المأمون ، وسأله :

ــ هل تأكد شوارزكوف من استعدادنا لأية حالة طارئة قصيرة الأمد ؟ ماذا إذا تحرك صدام ودخل السعودية ؟ وماذا إذا توجّه إلى آبار النفط ؟ هل يفترضون بأن النشر الأولي للقوات سيردع صدام عما قد يجول بخاطره ؟...

وافق باول على الوضع الهش للقوات الأمريكية لكنه قال :

ــ ولكن بحق السماء ، إذا كان صدام يريد أن يفعلها (أي أن يجتاح السعودية) فلماذا لم يفعلها في وقت أبكر ؟.

وراح باول يؤكد لوزير دفاعه ، بأن الوضع يتحسن يوماً بعد يوم .. كانت هناك مشكلة إضافية على الأرض في السعودية .. فقد تم إرسال ضباط وأفراد كثيرين في الموجات الأولى ، وكان القادة يشتكون بأن العديد منهم يفتقر إلى التخصص وقد أعلن البنتاغون نتيجة هذه الحالة .. اللجوء إلى برنامج احتياطي لم يجرِ استخدامه منذ العام ١٩٥٢ ، وقد تطلب هذا البرنامج ، استئجار الأسطول الجوي المدني الاحتياطي الأمريكي (علماً بأن الولايات المتحدة في نقل الموجات الأولى كانت قد استأجرت الأساطيل الجوية المدنية في أوروبا الشرقية)، وكان يقضي ذلك استدعاء خمسين ألفاً من جنود الاحتياط المتخصصين بعالم النقل والسوقيات والخدمات الطبية والإنشاءات والمخابرات .. إلخ .

لقد عمد البنتاغون منذ انتهاء ولاية ليندون جونسون (الذي رفض التوقيع على برنامج مماثل أيام فييتنام) على وضع كافة الخبرات الاختصاصية في أيدي احتياطي الجيش بدلاً من وضعها في صفوف القوات العاملة الدائمة ، مما يجبر الرئيس على استخدام هذا الاحتياطي واستدعائه في حالة نشوب عمليات كبيرة .. ولم يكن الرئيس بوش بحاجة إلى مثل هذا الإكراه فالرجل بعد أن التزم بالعملية الضخمة في الخليج ، والذي مافتئ يكرر أمام الصحافيين (ما عليكم إلا أن تنتظروا .. انتظروا وسوف ترون بأعينكم) .. لم يعد بحاجة إلى جهد الإقناع باستدعاء الاحتياطي

الأمريكي ، وقد جاءت موافقته على طلب البنتاغون بعد دقائق من مراجعته دون سؤال .. كان بوش متحمساً لاستعراض بعض العضلات دون انتظار صدور قرار الأمم المتحدة الداعي لفرض حالة الحصار بالقوة .. ومع هذا فقد أوصى شيني بألا يتسرع الرئيس بالصعود إلى السفن العراقية .. وكان بإمكان بوش أن ينتظر هذه المرة ، حيث تبدلت الأحوال منذ أن كان سفيراً للولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة عامي ٩٧١ ــ ٩٧٢ ، فالسوفييت الذين كانوا يعارضون كل مشروع قرار تتقدم به الولايات المتحدة للأمم المتحدة ، أيام الحرب الباردة ، لن يفعلوها اليوم . وبالفعل ففي يوم ١٨ آب ، صدر قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٦٦٤ الذي يطالب العراق بالسماح للرعايا الأجانب في العراق والكويت بالعودة إلى بلادهم .

غير أن بوش كان ينتظر قراراً آخر ، إنه القرار الذي يجيز له استخدام القوة لفرض الحصار ضد العراق .

إلى إيران ، ها هي قوى الاستكبار أمامنا جميعاً !..

سيقول الدهاة من السياسيين الغربيين وتابعيهم من العرب ، أن صدام محا بسطور معدودة (المقصود المبادرة العراقية في ١٧ آب التي أنهت كل المشكلات والخلافات دفعة واحدة مع إيران مع الشروع بإعادة ١٩٠٠٠ أسير إيراني إلى بلادهم) وأن صدام بجرة قلمه هذا ، محا ذكرى مئات الألوف من القتلى وثمانية أعوام من النزاع الدموي ، وما رافقه من خراب مادي وبشري على حد سواء ..

ها هي الأوضاع تعود إلى نقطة الصفر ، إذ تخلى العراق عن مطالبه الحدودية ، وأعلن عن سحب جيوشه المتمركزة في المناطق المتنازع عليها مع إيران ، وبادر إلى إطلاق سراح ١٩٠٠٠ أسير إيراني من طرف واحد ..

لم تكن إيران الثورة ، التي لم تنجز مهمتها الشمولية ، كمركز يُراد له أن يرسل بشعاع الهداية الإسلامية قد تحولت بعد إلى إيران الدولة بفضل السياسة البراغماتية لمدرسة رفسنجاني .. ذلك أن الفارق بينهما هو فارق كبير في الحقيقة ، فهي تشكل نفس المسافة بين الإيمان والحاضر العرضي للتاريخ ، إنها الفرق الجوهري بين كل مشروع إنساني ، وما يجب أن يكون عليه المستقبل ..

كان الإمام الخميني ، وهو يوقع أمراً بوقف القتال مع العراق ، يقول : أحس أنني أجترع السم وأنا أوقع هذا القرار ..

ذلك أن الإيمان هو مشروع داخلي لخلاص الإنسان والعالم ، وأن حاضر التاريخ ، هو عالم مبني من تأثيرات الخارج على الخارج ، وحين يذهب الإيمان مسلّماً بحاضر التاريخ العرضي ، فإن الأمر يبدو وكأنه شبيه باجتراع السم .. الإيمان حركة داخلية لامحدودة ، تتجلى في تجاوز الإنسان ذاته في مستوى وحدود تاريخه ، في سبيل بناء تاريخ المستقبل للإنسان ..

البراغماتية ، حركة اختلاس محدودة ، لظروف ناشئة يمكن اهتبالها ، في سبيل بناء الإنسان نفسه على حساب التاريخ .

لقد أعلنت (إيران الدولة) حيادها في النزاع الدائر ، ولاندري لو ظل الإمام خميني حياً ماذا كان يمكن أن يقول ..

المهم أن إيران الدولة قالت على لسان ولايتي في تصريحات أمام الطلبة في جامعة طهران (ليس من الحكمة أن نقول أن الأجانب (لايجب) أن يتواجدوا في المنطقة في ظروف تنعدم فيها الحلول لكفالة الأمن في المنطقة) (جريدة السفير العدد ٥٧٧٥ تاريخ ٩١/١/٣ ، حياد إيراني غسان مكحل) .

والمشكلة كانت في المساواة بين طرفي الأزمة ، علماً بأن طهران في ذروة هجماتها ضد بغداد ، كانت تصرّ على أن واشنطن هي الشيطان الأكبر ، وهي ألد الأعداء ، وقد رد الإمام خامنئي بصورة غير مباشرة ، (إن الولايات المتحدة — مع ذلك — هي أسوأ دولة في العالم ، في علاقتها وسلوكها تجاه الإنسانية ، لابد من طرد الأمريكيين من الخليج) (المصدر السابق نفسه) .

في مقاييس عالمنا المعاصر ، ليس من الصعب تفسير المبادرة العراقية تجاه إيران ، خاصة عندما تنضم بلدان مثل (بلجيكا وإيطاليا وهولندا وإسبانيا وكندا والدانمارك واليونان والنرويج وأستراليا والأرجنتين) إلى التحالف الذي ضم أصلاً (الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا) إضافة إلى قوات التغطية العربية والإسلامية والافريقية ، مضافاً إليها كاسحات ألغام وعربات ضد أسلحة التدمير الشامل مقدمة من ألمانيا

الغربية ، وقوى بشرية يابانية تضع على صدرها شارات الصليب الأحمر الإنساني .. ستساهم في إنقاذ الإنسان الغربي في حرب الخليج .. (ومنذ الدقائق الأولى لحرب الخليج ، فقد كانت القنابل الإسرائيلية تتساقط فوق بغداد ، وكانت القنابل الموجهة باللايزر والتي تحمل اسم (هاف ناب) تنتقل إلى أهدافها على قاذفات ب ٥٢ الأمريكية ، وقد استخدمت هذه القنابل لكونها قريبة (أي في المستودعات الإسرائيلية) وموثوقة ، أما استخدام الأسلحة الإسرائيلية فقد تم إخفاء حقيقته منذ البداية من قبل الولايات المتحدة ، تماماً مثلما لم يتم الإعلان عن الأحذية الصحراوية المصنّعة في إسرائيل ، والتي كان الجنود الأمريكيون في عاصفة الصحراء يلبسونها) (أندرو ولسلكي كوكبيرن ـــ من كتابهما علاقات خطرة ـــ ترجمة محمود برهوم ص٢٩١) .

القرار رقم ٦٦٥ الحصار واستخدام القوة :

في ٢٠ آب ، وصل نائب رئيس مجلس الوزراء العراقي سعدون حمادي إلى موسكو في مهمة هدفها ، استجلاء آخر تطورات الموقف السوفييتي تجاه أزمة الخليج ، كان العراقيون مازالوا يأملون ، (بالرغم من مسايرة السوفييت للإدارة الأمريكية الواعدة) سواءً في الموافقة على أربعة قرارات صدرت حتى الآن بحق العراق في فترة زمنية قياسية ، أو في التزام الموافقة على إرسال هذا الحشد الضخم (تسعة أعشار القوة الجوية الأمريكية ومثلها القوة البحرية) والذي أصبح قريباً من حدود الاتحاد السوفييتي الجنوبية ..) نقول ، كان العراقيون يأملون ، أن تقوم موسكو من جهتها ، بالقيام بجهد موازٍ في سبيل تخفيف حدة التصعيد الأمريكي ، وذلك عن طريق طرح مبادرات كاملة للأزمة ، تمهد السبيل لحل سلمي ، يأخذ بعين الاعتبار دوافع العراق ومصالح الولايات المتحدة ووضع الكويت .. أي بعيداً عن غطرسة الأسلوب الأمريكي ، الذي بات يهدد المنطقة بإغلاقه جميع المعابر ، باستثناء معبر واحد ، هو معبر الذهاب إلى الحرب ..

استقبل شيفرنادزة المبعوث العراقي ، بوجه عابس ، تمهيداً لإمطاره بالطلبات التي لم تكن تتصل بكامل المشكلة ، بمقدار ما هي ترداد للشروط الأمريكية من قبل :

الانسحاب من الكويت دون شرط ، وإخلاء سبيل الرعايا الأجانب .. وحاول حمادي بدبلوماسيته المعهودة ، أن يناقش وزير الخارجية السوفييتي ، إلا أن هذا الأخير ، أظهر تبرماً . كان من شأنه أن يوقف حمادي عن الكلام .. وعاد حمادي إلى بغداد في نفس اليوم ، فيما كانت رسالة غورباتشوف إلى صدام حسين . تلحقه في اليوم التالي (لقد أجلنا التصويت في مجلس الأمن بقدر ما نستطيع (بين كلام غورباتشوف هذا وطلب واشنطن موافقته على التصويت يوم واحد فقط ــ المؤلف) نطلب منكم أن ترسلوا لنا جوابكم نهار الجمعة ٢٤ أب مساءً على أبعد تقدير) .

كان الجواب المطلوب ، يتعلق بالانسحاب دون قيد ، كما يتعلق بالإفراج عن الرهائن الأجانب .. وكان تاريخ الرسالة المبعوثة هو يوم الخميس الواقع في ٢٣ آب .. وفي غضون يوم واحد كان على العراق أن يرد على ما يشبه الإنذار !..

ــ ماذا يقولون يا شيف .. سأل بيكر وزير الخارجية السوفييتي مستوضحاً على الرد العراقي بخصوص الرسالة السوفييتية ..

ويجيب شيفرنادزة قائلاً :

ــ جيم ، إن ردهم لايستحق التعليق ، اذهب إلى الأمم المتحدة وسوف ألحق بك ..

وهكذا حصلت الإدارة الأمريكية على موافقة السوفييت الخامسة الخاصة بقرارات مجلس الأمن ، وكان ذلك في يوم الجمعة المصادف لـ ٢٤ آب ، وبعد يوم واحد ، أي في ٢٥ آب نال القرار رقم ٦٦٥ الداعي لفرض الحصار بالقوة المسلحة ١٣ صوتاً مع امتناع كوبا واليمن عن التصويت .

وستكون أول سابقة من نوعها ، حين يمنح مجلس الأمن سلطة استخدام القوة المسلحة لفرض حصار اقتصادي !..

النص الحرفي لقرار مجلس الأمن الرقم ٦٦٥

إن مجلس الأمن

إذ يشير إلى قراراته ٦٦٠ (١٩٩٠) و٦٦١ (١٩٩٠) و٦٦٢ (١٩٩٠) و٦٦٤ (١٩٩٠) وإذ يطالب بتنفيذها التام والفوري .

وقد قرر أن يفرض الجزاءات الاقتصـادية بموجب الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة وذلك في قراره ٦٦١ (١٩٩٠) .

وتصميماً منه على إنهاء احتلال العراق للكويت وهو ما يعرض للخطر وجود دولة من الدول الأعضاء ، وعلى استعادة السلطة الشرعية للكويت وسيادتها واستقلالها وسلامتها الإقليمية مما يتطلب التنفيذ العاجل للقرارات السالفة الذكر .

وإذ يشجب مـا تعرض له الأبرياء من خســائر في الأرواح بسبب الغزو العراقي للكويت وتصميماً منه على منع المزيد من هذه الخسائر .

وإذ يثير جزعه الشديد استمرار العراق في رفضه الامتثال للقرارات ٦٦٠ (١٩٩٠) و٦٦١ (١٩٩٠) و٦٦٢ (١٩٩٠) و٦٦٤ (١٩٩٠) وخصوصاً تصرفات الحكومة العراقية التي تستخدم السفن الرافعة للعلم العراقي لتصدير النفط .

١ ــ يطلب من تلك الدول الأعضاء أن تتعاون مع حكومة الكويت والتي تنشر قوات بحرية في المنطقة أن تتخذ من التدابير ما يتناسب مع الظروف المحددة وحسب الضرورة في إطار سلطة مجلس الأمن لإيقاف جميع عمليات الشحن البحري القادمة والخارجة بغية تفتيش حمولاتها ووجهاتها والتحقق منها ولضمان الإنفاذ اللازم للأحكام المتعلقة بهذا الشحن والتي ينص عليها القرار ٦٦١ (١٩٩٠) .

٢ ــ يدعو الدول الأعضاء بناء على ذلك إلى التعاون حسب اللزوم لضمان الامتثال لأحكام القرار ٦٦١ (١٩٩٠) مع استخدام التدابير السياسية والدبلوماسية إلى أقصى حد ممكن وفقاً للفقرة (١) أعلاه .

٣ ــ يرجو جميع الدول أن تقدم من المساعدة ما قد يلزم للدول المشار إليها في الفقرة ١ من هذا القرار وفقاً للميثاق .

٤ ــ يرجو أيضاً الدول المعنية أن تنسق أعمالها الرامية لتنفيذ فقرات هذا القرار الواردة أعلاه ، على أن تستخدم بالشكل المناسب آليات لجنة الأركان العسكرية وأن تقدم بعد التشاور مع الأمين العام التقارير إلى مجلس الأمن ولجنة المنشأة بموجب القرار ٦٦١ (١٩٩٠) بهدف تيسير رصد تنفيذ ذلك القرار .

٥ ــ يقرر أن يبقي هذه المسألة قيد نظره النشط .

رهائن الغرب مشكلة .. شعب العراق المحاصر ليس مشكلة !..

كانت مشكـلة الرهائن الأجانب تتفـاقم وقد بلغت ذروتها حين راحت وسـائل الإعلام الأمريكية والأوروبية ، تنسج من المشكلة دراما إنسانية ذات طابع مسرحي متصـاعد ، وفي الحقيقـة ، فإن وجود ٧٥٠٠ رهينـة أمريكي وبريطـاني في العراق والكويت يعتبر بمثابة أزمة أخلاقية !.. أما أن يصبح شعب العراق بملايينه الثمانية عشر رهينة الحصار الأمريكي المفروض بقوة السلاح ، فإن ذلك لايمثل أدنى أزمة أخلاقية في (العهد الجديد) لشريعة الإدارة الأمريكية .. (نقلت وكالة رويتر بتاريخ ١٩٩٢/٥/٩ عن صحيفة كردية ذات مصداقية ، [كما وصفتها الوكالة نفسها] أن عدد الوفيات في العراق ، نتيجة فرض الحصار الاقتصادي ، ونقص المواد الغذائية والطبية ، قد بلغ حتى الآن ١١٩ ألف شخص ، وأن العـدد الدقيق هو ١١٩٣٥٢ حـادثـة وفـاة ، منها ٣٩١١٤ طفلاً دون سن الخامسة ، وأضافت الوكالة نقلاً عن المصدر المذكور ، أن الأطفـال ماتوا نتيجـة إصـابتهم بالإسهالات وأمراض الجهاز التنفسي وأمراض معدية ومعوية) .

في ٢٧ آب كان موعد بغداد مع الوسطاء الغربيين للإفراج عن الرهائن الأجانب ، فقد افتتح المرشح الزنجي للرئاسة الأمريكية القس جيسي جاكسون (البازار) بإعلان عن نيته السفر إلى بغداد مع وفد مرافق من الأمريكيين للبحث في المشكلة مع طلب الإفراج عن الرهائن ، وكان الرئيس النمساوي كورت فالدهايم قد نجح قبل ذلك إثر زيارة خاطفة إلى بغداد تمكّن بعدها من اصطحاب جميع الرعايا النمساويين في العراق والكويت إلى فيينا .

ولقد تم استقبال جاكسون وبعثته بعيد وصولهم مباشرة من قبل طارق عزيز ، ولمدة طويلة راح عزيز يشرح للأمريكيين تاريخ الأزمة الناشبة ، وكان مما قاله أمام الوفد (لقد صبرنا طويلاً ، وكان الرئيس صدام أكثرنا تسامحاً مع الكويت ، وقد استبد بنا اليأس إثر فشـل مؤتمر جدة ، لم نعد نستطيع تسـديد أثمان وارداتنـا من الأغذية ، كانوا يخوضون حرباً لتجويعنا ، حتى الملك فهد نفسه ، لم يكن مكترثاً ما إذا كنا جائعين أم لا ، كانت مؤامرة مدبرة لتدمير العراق ، الكويت في الواجهـة ، ولكن خلفها دعم

الولايات المتحدة ، بالنسبة لنا كان الهدف من قبلهم .. تدمير الاقتصاد العراقي .. يتبعه انهيار سياسي ثم إنهاء النظام برمته) .

في المساء استقبل صدام حسين جيسي جاكسون منفرداً .. ودار جزء من المحادثات حول تضحية السيد المسيح في سبيل افتداء البشرية وخلاصها ، وأظهر الرئيس العراقي مرارته العميقة من مواقف الولايات المتحدة من المنطقة العربية ، حين تقارن هذه المواقف بما تقدمه لإسرائيل ، وكيف أن بوش وإدارته ظلت تعامل العراق وكأنه مستعمرة من مستعمراتها ..

وسُمح للقس جاكسون بزيارة الكويت للاطلاع عن كثب على ما يدور هناك ، وقام جاكسون تتعقبه آلات التصوير التلفزيوني بجولة خاطفة عاد على أثرها إلى بغداد ، وفي نهاية اللقاء الثاني مع صدام ، سأل جاكسون الرئيس العراقي ، فيما إذا كان مستعداً لأغراض سلمية ، لإخلاء فوري للرهائن ، وأجاب صدام :

ــ كانت لقاءات ممتعة تبادلنا فيها مشاعر إنسانية غامرة ، وإكراماً للأمريكيين ، يمكنكم أن تصطحبوا معكم الآن كل النساء والأطفال مع أربعة رجال مرضى ، وسيصلون إلى الولايات المتحدة على متن طائرة عراقية ..

في ٣٠ آب ، كان السكرتير العام للأمم المتحدة ، قادماً إلى عمان للقاء جرى ترتيبه مع السيد طارق عزيز ، وكان من المفروض أن يكون هذا اللقاء أصلاً في نيويورك ، ولكن إدارة بوش رفضت منح تأشيرة دخول للوزير العراقي ، وأبدى دي كويلار استعداده للذهاب إلى أي مكان آخر غير نيويورك للقاء ، وهكذا وقع الاختيار على عمان ..

كان طارق عزيز يأمل بأن تتضمن موضوعات اللقاء ، كامل جوانب المشكلة ، ولم يكن ذلك بعيداً عن رغبة دي كويلار الدفينة ، إلا أن الخارجية الأمريكية كانت قد حذرت من ذهاب الأمين العام للأمم المتحدة شأواً بعيداً في اللقاء ، وطالبت أن يتحدد اللقاء ببحث قضية الرهائن المحتجزين في الكويت والعراق .. ويقول هيكل في أوهام القوة والنصر ص ٤٥٧ أن طارق عزيز حاول تذكير الأمين العام بمجد الأمم المتحدة

الســـابق ، حين كان لها ذلك الموقف المشرف أثناء أزمة السـويس ، وأجاب دي كويلار :

ــ الأزمة هنا تختلف .. ثم إنني لست داغ همرشولد ..

(وكان يقصد بذلك ، أن همرشولد سكرتير عام الأمم المتحدة ، السويدي الأصل ، كان قدم استقالته أثناء أزمة السويس ، احتجاجاً على قيام دولتين من الأعضاء الدائمين [بريطانيا وفرنسا] بمخالفة ميثاق الأمم المتحدة) .

لم يكن في جعبة دي كويلار سوى موضوع الرهائن وزمن الإفراج عنهم .. وهكذا لم يحقق اللقاء أي تقدم يُذكر . كان الحصار شاملاً لدرجة أن مفاعيله بدأت تظهر على سواد الشعب (قبل بياضه) مما دفع الهند إلى التماس موافقة من الأمم المتحدة على إرسال حمولة سفينة من المواد الغذائية إلى الكويت ، ولكن ماذا كانت السفينة ستفعل في بلد كان الأجانب فيـه يشكـلون ضعفي عدد سكـانه !. وجلّهـم من الموظفـين والإداريين والتكنوقراطيين والعمال والخدم في البيوت !..

سيناتورات في السعودية !..

على متن طائرة من نوع سي ١٣٧ توجه في الواحد والثلاثين من آب ، وفد أمريكي يتألف من ١٦ سيناتوراً و ١٠ مساعدين و ٨ مرافقين عسكريين إلى السعودية ، بقصد زيارة مواقع القوات الأمريكية ، والاطلاع عن كثب على مجريات المعيشة اليومية للجنود الأمريكيين ، وفي اليوم التالي ، قدم شوارزكوف أول إيجاز أمام السيناتورات في مقره المؤقت في الظهران ، فقد وضع الجنرال خارطة ضخمة أمامه على الجدار وراح يشرح عن تواجد وحدات الجيش والمارينز ، وسفن سلاح البحرية ، وسلاح الجو ، والقوات العراقية ..

وعلق أحد الجنرالات الكبار بعد انتهاء شوارزكوف من إيجازه ، بأن القوات غير مستعدة للقتال قبل عشرة أيام على الأقل .. ولم يبدِ السيناتورات ، أي تساؤل عن الخيارات الموضوعة في حال نشوب قتال مفترض قبل وقته !..

قام السينـاتورات بعدها ، بزيارة لمواقع المـاريز المتقدمة على الحدود السعودية مع الكويت ، وقدم الجنود لهم آخر نسخة من طعام الميدان المسمى اختصاراً M.R.E ،

وكان ذلك يعني meal ready to Eat أي وجبات جاهزة للأكل ، وعندما سألهم أحد السيناتورات عن رأيهم في هذا النوع من الطعام أجاب أحد الجنود هازئاً ، إن M.R.E لاتعني وجبات جاهزة للأكل بل : Meal refuse by Ethiopia أي وجبات ترفضها إثيوبيا ..

وكان العالم الثالث مجال تندر للجميع ..

في وقت لاحق بعد ظهر ذلك اليوم طار الوفد إلى البحرين ، وحضرت مجموعة من الوفد ، طعام العشاء الذي أقامه الأمير الشيخ عيسى بن سلمان خليفة في قصره .. وقد ابتسمت المجموعة الأمريكية من السيناتورات ، ابتسامة جانبية ، حين راح الشيخ يسأل عن سبب سماح الولايات المتحدة لشبكة سي ن ن ، بإظهار العراقيين على شاشات التلفزيون الأمريكي وهم ينتقدون بوش والإدارة الأمريكية .. واكتفت المجموعة بابتسامتها الساخرة دون جواب ..

وفي اليوم التالي ، قام وفد السيناتورات بزيارة خاصة إلى سفن سلاح البحر الأمريكية ، وبينها السفينة الحربية الضخمة ديسكونستين (وهي قلعة تحمل مدافع عملاقة ويزيد وزنها في الماء على ٥٥ ألف طن) .. وعاد الوفد إلى السعودية ــ حيث بعد مقابلة لاشيء فيها مع الملك فهد ــ كان من المقرر اللقاء مع أمير الكويت في الطائف ..

وقد اعتذر أمير الكويت عن اللقاء .. الأمر الذي سبب هياجاً في أواسط الوفد ، وقد علق موينهان (عن الحزب الديمقراطي نيويورك) قائلاً : (تبعث الولايات المتحدة بأبنائها لمساعدة الكويت ، بينما يرفض قائدها المبعد مقابلة منقذيه المحتملين !.. فيا للمفارقة المضحكة) . واكتفى أمير الكويت بإرسال من ينوب عنه لمقابلة السناتورات ، وجلّهم من الصف الثاني في الحكومة الكويتية المبعدة ، وكانت آلات التصوير تقوم بعملها أثناء المناقشات الدائرة مع الكويتيين ، **ولم يكن كوهين (ويليام كوهين سيناتور جمهوري عن ولاية مين) والآخرون الذين معه ، يعرفون فيما كان عليهم أن يبكوا أم يضحكوا ، حين علموا أن التصوير يتم من قبل مؤسسة العلاقات**

الأمريكية hill and noltton (هيل أندونولتون) وقد استأجرها الكويتيون لتلميع صورتهم في الخارج :

في يوم الثالث من أيلول ، طار الوفد لمقابلة الرئيس المصري في القاهرة ، وهذا التاريخ بالنسبة للأمريكيين هو عيد العمال الأمريكي ، وأثناء المقابلة وبحضور وفد من مجلس النواب المصري ، راح مبارك ــ على مدى ساعتين ــ يوجه الانتقادات اللاذعة لموقف الأردن من الائتلاف العربي (١٢ صوتاً من مجموع ٢١ صوتاً في قمة القاهرة ويسميه مبارك ائتلافاً) ، كما صرح مبارك أمام السيناتورات أن صدام حاول رشوته !.. لإبقاء مصر خارج الائتلاف ضد العراق .. وضحك أحد السيناتورات قائلاً :

ــ نحن في الولايات المتحدة نقر مبدأ العمولات القانوني ، ولكن القانون يدين تعاطي الرشوة !..

وبعد الظهر ، طار الوفد مسافة ١٥٠٠ ميلاً للقيام بزيادرة أبو ظبي للاجتماع مع الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ..

وألقى الشيخ زايد خطاباً طويلاً عن شجاعة الكويتيين ، وقد ازداد قلق دانيال موينهان سيناتور نيويورك ، الذي كان يجلس على أريكة جميلة ، فعدّل من جلسته ليصبح على طرف مقعده ، بينما راح سموه يصف روعة الكويتيين الشجعان ..

ــ صاحب السمو ، صرخ موينهان وقد رفع يده في الهواء مثلما كان يفعل حين كان سفيراً لدى الأمم المتحدة .

ــ صاحب السمو ، أعادها بصوت ميلودرامي مثير للضحك !.. وتسلطت كل العيون على موينهان .

وقال موينهان : يا صاحب السمو (للمرة الثالثة) الكويتيون تركوا نساءهم ، تركوا خدمهم ، حملوا أموالهم وأودعوها في بنوك سويسرية ، **إن ذلك ليس تعريفي للشجاعة .**

لم يوافق الشيخ على هذا ، بل أخذ يؤكد ، بأن الكويتيين شجعان ولكنهم أخذوا على حين غرة .

أجاب موينهان :

ــ إن بلداً محارباً لايؤخذ على حين غرة ..

همس كوهين في اذن موينهان :

ــ وماذا عن بيرل هاربر (حيث أُخذ الأمريكيون على حين غرة من قبل الأسطول الجوي الياباني في المحيط الهادي) .

ورد موينهان بشكل لاذع :

ــ كان الرئيس يومها يريد مقايضة بيرل هاربر بكل اليابان وقد فعل !..

في اليوم التالي ، طار الوفد عائداً إلى الولايات المتحدة ، وقد أحس ويليام كوهين كبير السيناتورات ، أنه شهد عرضاً مسلياً في المنطقة ــ دون تعريف حقيقي بواقع الأزمة وتداعياتها ــ وفهم أن أفضل ما في هذه المنطقة يمكن تقديمه ، هو الولائم وشتيمة الخصوم !..

في الخامس من أيلول ، فيما كانت بريطانيا وفرنسا تقطعان مبيعات الأسلحة عن الأردن ، وتضغطان من أجل تقليص المبادلات التجارية معه ، دعا بوش لمزيد من ممارسة الضغوط ضد المملكة الأردنية والفلسطينيين ، وقد تم في هذه المرحلة نزوح ما يقارب نصف مليون (ثلثهم من العرب) من منطقة الخليج بما في ذلك السعودية ..

كان بوش قد دعا ثلاثين من الشيوخ ورجال الكونغرس ، إلى البيت الأبيض ، وكان معظمهم قد سافر إلى الخليج ..

وكانت الإدارة تعتبر من ميّزات شهر آب ، أن الكونغرس في إجازته السنوية ، بحيث تمكنت من القيام بما يجب القيام به دون تقييدات .. ولكن بوش وهو عضو سابق في الكونغرس ، كان يشعر في جميع الأحوال بأنه لابد من إرضاء هذا المجلس ..

قام المدعوون من أعضاء مجلسي الشيوخ والكونغرس بإطراء معالجة بوش لأزمة الخليج ، وأعربوا عن مساندتهم للتحركات العسكرية والدبلوماسية ، وانتهز السيناتور ويليام كوهين فرصة دوره في الحديث فقال :

ــ السيد الرئيس ، اقترح عليكم أن تعقدوا جلسة خاصة للكونغرس لمعاودة نقاش قانون الوضع أثناء صلاحيات الحرب .. وأن تحصلوا على تأييد الكونغرس لهذه العملية ..

وأجاب بوش :

ـــ فعلاً ، إن قواتنا هناك تستحق وضعاً موحداً هنا ..

ورد كوهين :

ـــ نأمل في مقاومة الدعوات الداعية لعمل هجومي ، وحين نصل إلى مرحلة يراق فيها الدم على الرمال ، فإن الكونغرس سيتابع ذلك وقد يتخذ قراراً بالاتجاه المعاكس ..

وأضاف كوهين ساخراً :

ـــ لقد ساعدنا الكويتيين ، ورأينا الكويتيين البارحة ، وأيقنّا أن هذا النمط من الناس ، يريدون القتال ويستعجلونه ، حتى سقوط آخر جندي أمريكي !..

تقبل بوش ملاحظات كوهين بصمت .. ثم انتقل إلى موضوع آخر .

إسرائيل لاتحب الربط بين المشكلتين :

بدأت المخاوف تتسرب إلى قادة الحكومة الإسرائيلية ، منذ أن أعلن العراق تصريحاته في أواسط آب ، المتضمنة اقتراحات عملية لفك تدريجي لمشكلات الاحتلالات في المنطقة بدءاً من أقدم احتلال وإلى الاحتلال الأحدث .. ووصف رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق شامير ، تصريح الربط العراقي ، بأنه واحد من مناورات صدام (لإضعاف التحالف الدولي القائم ضده) (صحيفة لوموند الفرنسية ـــ الملحق عن حرب الخليج ديسمبر ١٩٩٠) وقد أكد صحة المخاوف الإسرائيلية ، ما صَدَر عن الشرطة الإسرائيلية من عصبية هائجة حين تطلق النار العشوائية على المتظاهرين العرب في جبل المعبد بمدينة القدس (في الأول من تشرين الأول) ثم بدأ التراشق بالاتهامات بين الإسرائيليين أنفسهم ، وعما إذا كانت الشرطة (التي فقدت أعصابها) قد أطلقت النار دفاعاً عن النفس أو بسبب استفزازها من قبل المتظاهرين .

كان الرئيس الأمريكي جيمي كارتر ، صاحب الرعاية الأولى في اتفاقيات كامب ديفيد ، قد أدرك بعد فوات الأوان ، أن إسرائيل لاتتجه جدياً نحو الربط الذي اقترحه في الاتفاقية .. وفهم أنه منذ اللحظة التي أنشأت مصر وإسرائيل سلاماً منفرداً بينهما ، لم تعد لبيغن (رئيس وزراء إسرائيل آنذاك) أية نيّة لمعالجة إيجابية لمشكلة الفلسطينيين ..

وسيتعرض كارتر في كتابه (دم إبراهيم) لهذه المسألة إذ يقول (من وجهة نظر بيغن كان اتفاق السلام مع مصر هو الأكثر أهمية ، أما معالجة وضع الفلسطينيين فقد كانت موضع تهرّب دائم ، إذ بواسطة الاتفاقية الثنائية شطب بيغن جزءاً بارزاً من المعادلة العسكرية في الشرق الأوسط ، وهكذا وفّر الإسرائيليون لأنفسهم إمكانيات جديدة للسعي إلى أهدافهم ، بتحييد تهديدات مصر ، وسحق جيرانهم الآخرين) .

في أيار من عام ١٩٨٩ ، بادرت إسرائيل إلى ربط من نوع جديد ، وهو أن حل مشكلات الفلسطينيين لايمكن أن يكون سابقاً على تسوية المشكلة إقليمياً ، أي أنه لايمكن إجراء تسوية ودائمة مع الفلسطينيين ما لم تكن مرتبطة بتسوية النزاع بين إسرائيل والدولة العربية ، وتقول جريدة دافار الإسرائيلية بتاريخ ٩٩١/١/٨ (**إن إسرائيل تقدمت بهذه المبادرة من خلال افتراضها بأن الدول العربية سترفض الربط وتعلن أن حل المشكلة الفلسطينية يجب أن يكون قبل التسوية الإقليمية**) .

وفي الواشنطن بوست (الشهر الأول من العام ١٩٩١) علق جيمي كارتر على موضوع الربط قائلاً : (لماذا نرفضه ؟ علماً أنه موجود أصلاً ، وأن تنازلات منطقية من الرجلين المتشاجرين (يقصد بوش وصدام) هو ثمن متواضع جداً من أجل تجنب الحرب ...) .

وفي الواقع ، فلو أن الربط كان مقتصراً على دلالات الألفاظ فقط ، لوجب وقوفنا إلى جانب الرافضين العرب له أيضاً ، إذ أن ثمة فرقاً بين احتلال العراق للكويت ، واحتلال الإسرائيليين للأراضي العربية ، **ما يجمع بينهما ، هو أن (الكويت)** و(**إسرائيل) كلاهما استراتيجية أمريكية** .. وهو ما يفسر بجلاء رفض الولايات المتحدة تعليق احتلال على مشجب احتلال آخر ، باعتبار أن السياسة الأمريكية في نهاية التحليل ، قبول باحتلال ورفض للاحتلال الآخر ، والرفض والقبول هنا ، مصلحة أمريكية ولا شيء آخر .. ومن هنا ، فإن صمت الرئيس بوش أمام تقريعات السيناتور كوهين (الكويت تريد أن تحارب حتى آخر جندي أمريكي) كان له ما يبرره ، فالرئيس غالباً ما يخفي أسرار مصالح بلاده . **فبوش كان يعلم جيداً ، أن القوات الأمريكية هناك إنما ذهبت من أجل استرداد المصلحة الأمريكية التي هي**

الكويت في هذه الحالة) المعرضة للضياع ، وذلك أهم من كل ما قيل عن شرعية آل الصباح أو حتى الشرعية الدولية نفسها .. وقد أدرك الأمريكيون منذ اللحظات الأولى للاجتياح ، أهمية انقاذ الشرعية الكويتية ، التي تم تحميلها على عجل خارج البلاد ، إذ أصبح من المفهوم ، أن استعادة الكويت لاحقاً ، لايمكن أن يتم بمعزل عن شرعيتها !..

لقد ظلت إسرائيل منذ فترة طويلة تعتقد أن العراق يشكل أكبر خطر عسكري عليها ، وقد زاد من الخطر الاستراتيجي الذي يمثله العراق (بعيون إسرائيلية) هو أن هذا البلد الذي شارك في معظم الحروب العربية ضد إسرائيل ، يمتلك الأسباب القوية لتحوّله إلى قوة اقليمية خطيرة ، وهي أسباب واقعية تتجلى في محاولته اللحاق بالحداثة ، استناداً إلى مقدراته الحقيقية كبلد نفطي ـــ مائي بآن واحد ..

وقد لاحظ المراقبون الأمريكيون لدى انتهاء الحرب العراقية الإيرانية عام ١٩٨٨ ، وجود عدة مؤشرات تفيد بأن إسرائيل قد تحاول تدمير قواعد الصواريخ العراقية كما دمرت المفاعل النووي العراقي عام ١٩٨١ .. مما حدا بالعراق إلى توجيه إنذار استباقي بحرق نصف إسرائيل إنْ هي أقدمت على ذلك ..

لقد أبدت الحكومة الإسرائيلية منذ بداية الأزمة ، استعدادها للمشاركة في التخطيط لحرب جوية ضد الأهداف العراقية ، كما أعربت عن رغبتها بتبادل المعلومات العسكرية حول هذه الأهداف ، وقد ردت واشنطن على هذه الرغبة (شكراً .. نحن قادرون على مواجهة العراق بمفردنا ، وإن أكبر ما نخشاه أن تحاولوا مساعدتنا) (مجلة نيويوركار ـــ شباط ١٩٩١ ص ٧٧) .

ولم يكن اللوبي الصهيوني في مجلس النواب الأمريكي أقل حماساً من إسرائيل في استعجالها تدمير البنية الاقتصادية والعسكرية للعراق ، فعندما تساءل ستيفن سولارتز (نائب ديمقراطي عن ولاية نيويورك من اللوبي الصهيوني) عن القيمة الحقيقية التي سيجنيها المجتمع الدولي من وارء انسحاب صدام غير المشروط من الكويت ، مع بقاء برامجه النووية والكيميائية وقوة جيشه ، أجابه بيكر :

ـــ إن التخلص من الأسلحة النووية والكيميائية العراقية لا يتم إلابتدميرها .

ولم يكتف سولارتز بهذا الجواب ، بل راح يسعى مع الأمير بندر بن سلطان ،

وعدد من الدبلوماسيين المصريين والكويتيين وبعض أعضـاء الكونغرس من الحزبين الجمهوري والديمقراطي لانشاء مجموعة ضغط تنادي بتبني سياسة حازمة ضد العراق . وقد لقيت المجموعة تعاطفاً من برينت سكاوكروفت ومساعده لشؤون الشرق الأوسط السيد ريتشارد هاس ، وهما من دعاة الدعم الأمريكي لإسرائيل إبان الأزمات !.

(إن شخصيات من أمثال سكاوكروفت وهاس لم يكن لها دور في إعانة الرئيس بوش على المحافظة على تصميمه الذي شجعّته عليه تاتشر فحسب ، بل راحا يعملان على دفع الإدارة الأمريكية لمزيد من العلاقات الحميمة مع إسرائيل ـــ الحصاد جون كوولي ص ٣٤٥ ترجمة عاشور الشامس) .

الملك حسين في أوروبا

لم ييأس الملك حسين من زيارته الأخيرة لواشنطن ، فقد حاول طرق أبواب أخرى في أوروبا بحثاً عن فرصة للسلام المُضيّع ، وفي أوائل أيلول كان في طريقه إلى مقر ١٠ داوننغ ستريت ، وهو مقر رئاسة الحكومة البريطانية ، كانت تاتشر أكثر حماساً من بوش في توجيه ضربة عاجلة للعراق ، وقد لعبت دوراً تحريضياً بارزاً في استثارة بوش ودفعه لامتشاق الحسام (لا تكن رخواً يا جورج .. لئن لم توقف هذا الرجل الآن فليس ثمة ما يوقفه غداً ـــ من تحريضات تاتشر لبوش أثناء لقائهما في أسبن بكولورادو قبل ثلاثة أسابيع من زيارة الملك حسين لها) .

كانت تاتشر ثائرة على إعدام الجاسوس البريطاني بازوفت (وهو من أصل إيراني) كان يعمل لحساب إسرائيل في العراق .. فرغم محاولتها اليائسة من أجل إنقاذ الغريق (الذي كان قد اعترف بنشاطاته التجسسية في العراق لصالح إسرائيل بالمعلومات والصور والأرقام) إلا أن بغداد نفذت الحكم في موعده المقرر ..

لا أحد بحاجة إلى التذكير بأن تاتشر كانت تقتفي أثر سلفها البعيد ، تشرشل ، في احتقاره العميق لأولئك (العرب العصاة) الذين لا بد (أن الحرب سترمي خشية الله في قلوبهم) وأن تاتشر كانت تقف إلى جانب كبير أساقفة بريطانيا ، أسقف كانتربري وليام رامزي ، حين (أوصى أبناءه !.. بالحرب العادلة) قبل زيارة الملك حسين لها بأيام .

كان الملك حسين على علاقة صداقة قديمة بتاتشر ، وعلى عكس ما جرى مع الرئيس بوش (**حيث ظهر معتدلاً أمام سلوك هذه المرأة التي بدت وكأن لسانها مسحوب من أحد أحياء سوهو**) ..

ــ حسين لماذا تؤيد صدام وأنت تعرف أنه شرير ..

ورد عليها الملك مأخوذاً بهجومها المباشر :

ــ أنا لا أؤيد أحداً ، لكنني أحاول البحث عن فرصة لإنقاذ السلام في المنطقة .

وردت تاتشر بحدة وقد شاب صوتها زعيق النساء :

ــ من المسؤول ، من الذي بدأ ؟

(فالحرب بالنسبة لتاتشر ليست بتلافي اندلاعها المخيف ، بل بمسؤولها مهما كانت نتائجها ، فيالحضارة الشعوب الراقية !..).

وحاول الملك حسين أن يمسك بزمام أعصابه فقال :

ــ مارجريت ، أريد أن أقول بصراحة ، إن عصر (مدافع الأسطول الدبلوماسية) تنتمي إلى القرن التاسع عشر .

وصوبت تاتشر نظراتها الممتلئة بالسخط وقالت :

ــ اسمعني جيداً ، إنك تقف وراء الطرف الخاسر ، وأنا أريدك أن تعرف الحقيقة قبل فوات الأوان .

وتوقف الحديث ، وقد قال الملك حسين فيما بعد : (إن تاتشر سيدة في منتهى الذكاء والكفاءة ، ولكن لسانها أطول من جسمها كله) (هيكل أوهام القوة والنصر ص ٤٥٨) .

في الطريق إلى باريس ، كان الملك حسين يشعر بأن الأبواب قد أُحكم إرتاجها ، وأن الولايات المتحدة التي تمكنت من أخذ الاتحاد السوفييتي وأوروبا واليابان ، في فترة انتقال تاريخية ، لن تمكن أحداً من التجول في ممرات الأزمة ، غير ما عوّلت عليه ..

كانت فرنسا آخر المحطات التي يمكن أن يكون لقطارها صفير آخر ، فمصالح فرنسا الضخمة مع العالم العربي ، ستعمل على فرملتها من الانجراف الذي تدعوها إليه

الولايات المتحدة ، يقول شوفينان وزير الدفاع الفرنسي المستقيل عشية الحرب في الخليج :

(كان على الصرامة والتضامن أن يقودا إلى كل سياستنا الفرنسية ، كان علينا أن ندعم حلاً سياسياً ضمن إطار عربي ، ونتحاشى الانزلاق نحو تورط ميكانيكي يتجلى بإرسال قواتنا أوتوماتيكياً إلى الخليج ، ذلك أن أهدافنا السياسية ليست أهداف الولايات المتحدة وإسرائيل .. إن إرسال الحاملة كليمانصو كان قراراً اتخذه رئيس الجمهورية ، وكان يبدو أن هذا يمثل أفضل مساهمة للرد على احتمال هجوم عراقي على السعودية .. أنا لم أكن أعتقد بأن ذلك منطقي مطلقاً فالعراق لن يهاجم السعودية ، ولكن الملحق العسكري الأمريكي في باريس ، (الجنرال دو) كان يعتبر ذلك احتمالاً وراداً ، مؤكداً بأن الهجوم قد يقع خلال الأسبوع التالي ..

لقد اتخذ الرئيس ميتران موقفاً لم يترك فيه مجالاً للجدل : لن تكون فرنسا محايدة .. وكان هذا الانعطاف الكبير في سياستنا يبدو لي فجاً بشكل مخيف ، حيث لم يعد من الممكن الحفاظ على إيقاعه وضبطه ، فيما لو أن المشهد قد اتّضح كما كنت أتمنى ..)

(شوفينان من كتابه فكرة ما عن الجمهورية تقودني إلى ... الفصل الأول) .

لم يكن في جعبة ميتران الذي قرر الالتحاق قبل أن يفوته القطار ، أمام الملك حسين ، إلا التضرع إلى اللهالذي وحده يمكن أن يهدي العرب للإسراع بإيجاد حل فيما بينهم .. وإلا فإن فرنسا وحدها لاتستطيع أن تتحرك !..

كلمتان عبر الأجهزة المرئية :

كان بوش منذ اندلاع الأزمة ، قد عكف على استدعاء المختصين الأمريكيين من أصل عربي ، بمن فيهم أساتذة الجامعات أو كبار رجال الأعمال والعاملون في مجالات الفكر والإعلام والألسن (وجلّهم من المعادين لأصولهم العربية ، أكثر من معاداتهم للأنظمة السياسية العربية) ، كان بوش يرمي للتزود بمعلومات تفصيلية عن العراق ، تشمل جميع النواحي الرسمية والشعبية ، السياسية والاقتصادية والسيكولوجية ، وحتى الأمثلة الشعبية ، وأسلوب الحياة الحضرية والبدوية ، وأصول القبائل والعشائر وتوزعها

بين السعودية والعراق وسورية والأردن .. كان بوش يريد إيجازاً دقيقاً عن (تاريخ وجغرافيا ومناخ وحكايات) العراق .. وكل ما من شأنه خدمة هدفه المبيّت .

وقد استقر الرأي في النهاية ، على تحدي العراق ، بالسماح للرئيس الأمريكي ، بأن يخاطب شعب العراق من خلال تلفزيون بغداد ، كي يشرح تطور الأزمة وأسبابها وموقف الولايات المتحدة منها ..

وقد وافقت بغداد على الاقتراح ، شريطة أن تعرض كلمة جوابية للرئيس العراقي على شاشات التلفزة الأمريكية بالمقابل ...

كلمة بوش إلى الشعب العراقي :

إنني هنا اليوم لأشرح لشعب العراق والمجتمع الدولي الأسباب التي حملتنا على الرد بهذه الطريقة على احتلال العراق للكويت وليس هدفنا تبادل الاتهامات ولايعتقد أن الحرب الكلامية دائماً تؤدي إلى الحديث بصدق وإخلاص عما سبب هذه الأزمة التي نواجهها ، وننفي أن يكون هناك سوء فهم ، فنحن لسنا على خلاف مع شعب العراق ، وقد قلت أكثر من مرة وأكرر ما قلته الآن إن هدفنا الوحيد هو مقاومة الغزو الذي أمر به صدام حسين .

ففي الثاني من أغسطس اتخذت قيادتكم قرارها بالغزو وشن هجوم بغير استفزاز على دولة صغيرة لاتشكل أي خطر عليكم ، لقد كانت الكويت الضحية وكان العراق هو المعتدى ، وقد جابه العالم غزو العراق للكويت بتنديد مشترك فاتخذت الأمم المتحدة قرارات بالإجماع واستجابت ٢٧ دولة غنية وفقيرة عربية ومسلمة آسيوية وأفريقية لدعوة المملكة العربية السعودية والكويت الحرة وأرسلت قوات إلى منطقة الخليج للدفاع ضد العراق .

ولأول مرة في تاريخ الجامعة العربية هددت ثلاث عشرة دولة عضواً فيها تمثل ٨٠٪ من الأمة العربية بدولة عربية شقيقة واليوم يقف العراق وحيداً معزولاً يعارض الرأي العام العالمي ، إنني أعتقد أنك ياشعب العراق لاتريد الحرب فقد تحملت معاناة ومشاق لايمكن وصفها خلال الـ ٨ سنوات الطويلة من الحرب ضد إيران ، حرب مست حياة كل مواطن عراقي ، حرب صعدت أرواح مئات الآلاف من الشبان الذين هم الأمل

المشرق لجيل كامل ، وليس هناك من يدرك بأفضل مما تدركون للتكاليف الباهظة للحرب ، تلك التكاليف التي يستهلك فيها النزاع إمكانات الدولة وطاقاتها الحيوية .

غير أن أحداً لايعرف ما يمكن أن يكون عليه العراق اليوم وما يمكن أن تتمتع به من رخاء وسلام لو أن زعماءكم لم يزجوا بكم في الحرب وها هو ذا العراق يجد نفسه الآن مرة أخرى على شفا الحرب ومرة أخرى أخطأت القيادة العراقية نفسها في الحساب ومرة أخرى يواجه شعب العراق المأساة .

وجاء الرد العراقي على لسان صدام حسين ، حيث قامت جميع وكالات وشبكات التلفزة الأمريكية بعرضه ، وقد أطال الرد حين راح يتعرض لمقدمات تاريخية وتفصيلية ، وهو مالايستجيب له مزاج الشارع الأمريكي ، الذي يفضل (الإيجازات) و(الاختصارات والعناوين الرئيسية) بما فيه حتى الأكل (على الماشي) .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير ﴾ .

صدق الله العظيم

أيها الشعب الأمريكي . السلام عليكم ..

قلت لكم : السلام عليكم بدلاً من أن أقول طاب صباحكم أو طاب مساؤكم ، كما هي العادة في الغرب ، ذلك لأن العرب يحيونه بجملة السلام عليكم ، وهكذا ترون منذ البداية أن العربي يؤمن بالسلام حتى في تحيته لغير العربي ، ويستفتح الكلام مع من يتعامل معه بالتمني والتفاؤل والرغبة في السلام ، وهذا بعض من تقاليد وتراث أمة العرب والإسلام التي نتشرف بأن نكون جزءاً منها .. إنني أتحدث إليكم الآن بعد أن تحدث الرئيس بوش من تلفزيون بغداد وقال للعراقيين وجهة نظره في الأزمة التي نشأت في منطقتنا ..

وعندما أتحدث إليكم لأعرض وجهة نظرنا بقدر ما يسمح به الوقت ، فإن الذي يهمني هم الغالبية العظمى من الشعب الأمريكي وليس القسم المتخصص منه في

السياسة ، ذلك لأن الغالبية العظمى هم جوهر أية قضية إنسانية مشروعة وفق المفاهيم الديمقراطية ..

وعلى هذا الأساس ، فإنني مضطر لأن أكرر بعض الأمور ، التي سبق لسياسيي الاختصاص أن اطلعوا عليها وعرفوها بحكم واجباتهم .

لقد ظهر الرئيس بوش في تلفزيون العراق وعرض وجهة نظره كاملة ، بعدما أعلن مثل هذه الرغبة في ١٩٩٠/٨/٣٠ ، وبعد أن عبر عن عدم ارتياحه لظهور صدام حسين على التلفزيون الأمريكي .. وعندما عرفنا برغبة الرئيس بوش هذه واحتراماً منا للرأي العام الأمريكي والغربي بوجه عام ، رحبنا عن طريق وزير إعلامنا بذلك .

والآن .. وبعد أن عبر الرئيس بوش عن وجهة نظره نعبر عن جانب مما يقتضي من وجهة نظر بلادنا وأمتنا . بوش قال لشعب العراق بأن الإدارة الأمريكية ليست على خلاف مع شعب العراق ، ودليله على ذلك أن الإدارة سمحت لشعب العراق بشراء جانب مما يحتاجه من السوق الأمريكية وخاصة الحبوب ، وإن الإدارة الأمريكية ساعدت على وقف إطلاق النار في الحرب العراقية ـــ الإيرانية ، ولم يكن الرئيس الأمريكي دقيقاً في قوله بأن الإدارة الأمريكية ليست على خلاف مع شعب العراق ، ودليلنا على ذلك هو أن الرئيس بوش نفسه قد اشترك في مؤامرة إيران ـــ غيت أو إيران الكونترا ، ضد العراق في عام ١٩٨٦ عندما كان نائباً للرئيس ريغان ، وهذه مسألة معروفة أشارت إليها ملفات القضية ، وقد اعتذر لنا الرئيس ريغان عن ذلك ، واسماه خطأً لن يتكرر ، وقد قبلنا اعتذاره الذي نقله مساعد وزير الخارجية الأمريكية السيد ريتشارد ميرفي في ١٩٨٧/٥/١١ ، وقد ارتفعت الأصوات بالدعوة إلى مقاطعة العراق اقتصادياً وتقنياً وعلمياً في أمريكا وانكلترا ، قبل أن تظهر الأزمة الحالية في الخليج .

وإن بعض إجراءات المقاطعة للعراق ، ومنها منع تصدير الحبوب إلى العراق ، بالإضافة إلى منع تصدير مواد أخرى ، قد اتخذت وبحثت من جانب أمريكا وانكلترا وبعض الدول الغربية قبل ١٩٩٠/٨/٢ ، وهو اليوم الذي ساعد فيه جيش العراق ، على طرد حكام الكويت الذين جاء بهم الأجنبي ليكونوا حكاماً مسلطين على الجزء الذي اقتطع من العراق .

أتعرفون أيها السيدات والسادة لماذا اتخذت إدارة السيد بوش وحليفتها تاتشر تلك التدابير لمقاطعة العراق قبل ما يسمى بأزمة الخليج الحالية ؟ بل لماذا ارتفعت بعض الأصوات المعنية في أمريكا وانكلترا لترويج القول بضرورة العمل ضد حياة صدام حسين شخصياً بالاغتيال ، والتحريض على ضرب بعض المنشآت الحيوية في العراق ، ولماذا حصلت مؤامرة إيران ـــ غيت ، التي اشترك فيها السيد بوش مع ممثل إسرائيل وآخرين من غيرهم في عام ١٩٨٦ ؟ لقد حصل هذا قبل أن تحضر جيوش أمريكا وانكلترا إلى المنطقة وقد يحصل ما هو أسوأ منه ، ذلك لأننا عرب ، ولأننا إنسانيون شرفاء ، رفضنا ونرفض الاحتلال الصهيوني لأرض فلسطين واضطهاد شعب فلسطين واحتلال القدس الشريف ، وإنكم تعرفون أيها السيدات والسادة أننا لسنا وحدنا في رفض الاحتلال والاضطهاد ، فبالإضافة إلى شعب فلسطين المجاهد الصابر ، فإن معنا في هذا الموقف السياسي كل أبناء الأمة العربية ، البالغ تعدادها مائتي مليون نسمة ، وقادتها الخيرين .

ولابد أنكم تعرفون بأن بعض الأصوات التي تطالب إسرائيل بالانسحاب من الأرض الفلسطينية ليمارس شعب فلسطين حق الحياة الحرة الكريمة على ارضه ، كما هي حقوق سائر البشر ، قد ارتفعت داخل المجتمع الأمريكي وحتى في أوساط سياسيي الاختصاص وفي العالم عامة .

أتعرفون أيها السيدات والسادة كم هي القرارات التي صدرت عن مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة ضد سياسات إسرائيل التي تنتهك الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني والتي تكرس احتلالها للأراضي الفلسطينية بما فيها القدس الشريف والأراضي العربية المحتلة الأخرى منذ عام ١٩٤٧ حتى العام ١٩٩٠ ؟ إنها أكثر من ١٦٠ قراراً لمجلس الأمن و ٤٠٠ قرار للجمعية العامة للأمم المتحدة . وقد استخدمت الولايات المتحدة الفيتو ضد قرارات مجلس الأمن أكثر من ٨٠ مرة معظمها حول القضية الفلسطينية . ومع ذلك لم يطبق على إسرائيل مثل الحصار الحالي على العراق بحجة تطبيق قرارات مجلس الأمن الأخيرة ، ولاحتى أي نوع أخف منها ولاحشدت عليها ومن حولها الجيوش . ولم تتخذ مثل هذه الإجراءات ضد إسرائيل .

أيها السيدات والسادة ..

مع وجود إلحاح الرغبة في عدم الإثقال عليكم . ولكن احتراماً منا لأهمية وعي الإنسان في الحياة ، لابد أن أقول لكم جانباً من الحقائق التي تكشف لكم فرصاً مهمة في الوصول إلى الأحكام الصحيحة ، وفي تمييز ما هو أمين أو مغرض من تصرفات سياسي الاختصاص في بلدكم ، إن الكويت هي الجزء الجنوبي من العراق ، وقد اقتطعته بريطانيا في العام ١٩١٣ في أجواء التحضير للحرب العالمية الأولى ، ونصبت (السير مبارك الصباح) شيخاً بلا منازع عليه لقاء تحالفه معها ضد الدولة العثمانية التي كان العراق أحد أقاليمها يومذاك ، وقد أصبحت مشيخة الكويت تحت الحماية البريطانية ، وإن كل حكومات العراق التي سبقتنا إلى الحكم سواء كانت في النظم الملكية أو الجمهورية لم تعترف بهذا الإجراء اعترافاً دستورياً على الإطلاق .

ولكي لاأثقل عليكم أذكر لكم ثلاث حوادث فقط ، مجتزأة من سجل طويل يؤكد كله هذه الحقيقة بصورة لاتقبل اللبس .

في عام ١٩٣٨ قرر المجلس التشريعي الكويتي مرتين متتاليتين انضمام الكويت إلى العراق باعتبارها جزءاً منه ، وقد اضطر شيخ الكويت (أحمد الجابر) آنذاك أن يحل المجلس التشريعي ليقمع صوت الشعب في الكويت لمناداته بالعودة إلى العراق كجزء أصيل منه .

وفي عام ١٩٥٨ ، طالب نوري السعيد رئيس وزراء العراق آنذاك ، والذي كان صديقاً حميماً لانكلترا والغرب وفي اجتماع حلف بغداد الذي انعقد في تركيا وحضره (جون فوستر دالاس) وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية ، طالب نوري السعيد بإعادة الكويت المجتزأ إلى العراق .

وفي العام ١٩٦١ عندما منحت بريطانيا الكويت صفة الدولة المستقلة عارض العراق ذلك ، واتخذ رئيس وزراء العراق عبد الكريم قاسم الذي كان صديقاً حميماً للاتحاد السوفييتي ، إجراءات دستورية لإبطال القرار البريطاني .

وأصدر قراراً دستورياً بإلحاق الكويت بالعراق ، وتعيين شيخ الكويت قائم مقام على

قضاء الكويت ، تابعاً لمحافظة البصرة ، كما كان عليه الأمر قبل أن تجتزأ الكويت من العراق .

وحشـد رئيس وزراء العراق الجيش لتنفيذ تلك الإجراءات الدستورية ، غير أن انكلترا سبقته بجيشها إلى الكويت ، وتعقدت الأمور ، ولم تطبق الإجراءات الدستورية التي اتخذتها الحكومة العراقية في العام ١٩٦١ بضم الكويت إلى العراق .

عدوان مسبق على العراق

لقد خاطبنا حكام الكويت وبحضور الملوك والرؤساء العرب في إحدى جلسات مؤتمر قمة بغداد في ١٩٩٠/٥/٣٠ قائلين ما نصه :

« .. إن الحرب تحصـل أحيـاناً بالجنود ، ويحصـل الإيذاء بالتفجيرات وبالقتل وبمحاولات الانقلاب وأحياناً أخرى يحصل بالاقتصاد أي يحصل عن طريق الاقتصاد . فأقول للذين لايقصدون شن الحرب على العراق .. أقول .. إن هذا نوع من الحرب على العراق ». انتهى النص .

كما ذكرنا في خطـابنا السنوي بمناسبة ذكرى العيد الوطني للعراق (ذكرى ثورة ١٧ ـــ ٣٠ تموز) المذاع في ١٩٩٠/٧/١٦ :

ما يلي نصه : « .. ولأن العراقيين الذين أصابهم هذا الظلم المتعمد ، مؤمنون بما فيه الكفاية بحق الدفاع عن حقوقهم وعن النفس ، فإنهم لن ينسوا القول المأثور (قطع الأعناق ولاقطع الأرزاق) وإذا ما عجز الكلام عن أن يقدم لأهله ما يحميهم ، فلابد من فعل مؤثر يعيد الأمور إلى مجاريها الطبيعية ويعيد الحقوق المغتصبة إلى أهلها » . انتهى النص .

ألا يعني كل هذا إنذارات مسبقة لم تجدِ نفعاً ؟

وألا يعني هذا استفزاز بل عدوان واضح على العراق ؟

وألا يكفي كل هذا دليلاً لتفهم إجراءاتنا في وبعد ١٩٩٠/٨/٢ ؟

الرئيس بوش يعرف كل هذه الوقائع وغيرها ، من الوقائع التي تعزز معنى وأحقية الإجراءات التي اتخذنـاهـا . فحكـومتـه كانت تتـابع الأحداث عن كثب ، وكانت الحكـومة الأمريكيـة والكونغرس يصعدان الحمـلات ضـد العراق ويعدون مشـاريع

القرارات لفرض المزيد من المقاطعة والحصار على العراق في الميادين السياسية والاقتصادية وغيرها وحصل هذا قبل ١٩٩٠/٨/٢ ، وقد كانت هذه الإجراءات من جانب أمريكا بسبب الإنذارات المتكررة التي وجهناها إلى حكومة الكويت .

وبعد الذي حصل وبغض النظر عن الاختلاف أو الاتفاق على الوسائل فهل أصبحت عملية ومنطقية تلك الدعوة إلى إعادة الأمور إلى ما كانت عليه قبل ١٩٩٠/٨/٢ ، بما في ذلك عودة شيوخ الكويت الذين كانوا يتلهون في جمع النساء والأموال حتى أن البعض منهم لم يعد قادراً على التعرف على أولاده بسبب كثرتهم فوصل الحال بأحدهم إلى حد أن يعلن عن رغبته في أن يتزوج إحدى الصبايا التي رآها مصادفة في مناسبة ما فظهر أنها إحدى بناته والعياذ بالله !..

في ١٩٩٠/٨/٥ ، اتفق على أن يعقد مؤتمر عربي على مستوى القمة يضم اليمن والأردن والسعودية ومصر والعراق ليبحث المؤتمر الحالة الناشئة ويقرر ما يرى من علاج للأزمة ، وبدلاً من أن ينعقد المؤتمر الذي وافقت عليه أطرافه فوجئنا عندما جمد أصدقاء أمريكا المؤتمر بإيعاز منها وبدخول الجيوش إلى أرض مقدساتنا العربية والإسلامية في الجزيرة العربية وبالقرارات الأمريكية الأخرى ، فضاعت علينا وعلى المجتمع الدولي في ذلك فرصة الحل العربي ، والبحث العربي الهادئ فيها بينما شجعت أمريكا وحلفاؤها على الحل العربي بالنسبة للقضية اللبنانية حيث أوكل حلها إلى لجنة عربية بتشجيع من أمريكا وبمباركة لاحقة من مجلس الأمن ، وكانت السعودية المحرك الأساس فيها ، وأنكم تعرفون أيها السادة بأن شعب لبنان أكثر حيوية للإنسانية من شيوخ الكويت ...

كيف يستطيع بوش أن يعرف صدام حسين ورفاق صدام حسين في القيادة إذا كان يرفض إجراء حوار مباشر مع صدام حسين ، أو إجراء مناظرة تلفزيونية مباشرة معه ، أليست فرصة الحوار هذه ينبغي أن لاتهتبل من قبل الذين يعنيهم الأمر ، لكي يعرف الخصم خصمه عن قرب ؟

ولو كان الرئيس بوش ينظر إلى الأمر بمسؤولية وجدية وبصورة خالية من الغرض المسبق ، وعند ذلك يستندون في قرارهم إلى حقائق بينة وملموسة ، وإننا عندما نطلب الحوار مع بوش ليس لأننا نستجديه أو نستجدي غيره ، وإنما لأننا نحترم أساساً الرأي

العام العالمي ، ومنه الرأي العام الأمريكي ، ونريد في هذا الحوار أن نكشف الكذب والادعاء غير الصحيح ، ليس غير هذا ليكون الناس على بيّنة من أمرهم ، وعند ذلك يقررون ما يقررونه ، أما كان قبل بإجراء هذه المناظرة التلفزيونية ، ولو كان بوش على حق لماذا يهرب منها ، ومن الحوار المباشر معه ؟

إن تفكير صدام حسين ليس مجهولاً كما يقول الرئيس بوش ، وإن رفاقه في القيادة وشعب العراق وأبناء أمته والخيرين في العالم يعرفونه جيداً ، ويستطيعون أن يستنتجوا ما لم يقله عن أي فعل قادم تجاه إحداث ظاهرة مطلوب قول القول فيها أو التصرف تجاهها ، وليس هنالك ما هو مخفي في سياسة العراق ، إلا أن بوش ليس لديه وكلاء في قيادتنا ، وليس لديه جواسيس كثر في مجتمعنا كما شكت من ذلك بعض الجهات المعنية في أمريكا علناً .

وإذا ما أراد بوش والآخرون من الاختصاص في السياسة في دول الغرب أن يعرفوا أكثر عن القيادة في العراق نقول ما يأتي :

إن القيادة في العراق من عباد الله ، يؤمنون بما يؤمن به عباده الصالحون المتطلعون إلى مرضاته سبحانه ، يخدمون شعبهم ، ويرفضون خدمة الطغاة .. لاتغرينا المغريات ولانخشى تهديدات الطاغوت ، نخدم شعبنا وأمتنا بعمق وأمانة ونرى فيها خدمة للإنسانية جمعاء ، ونرفض بإباء أن نخدم الطغاة ، نصون في الأحداق حقوق شعبنا وثرواته ولا نفرط بها أو نكتنزها لحسابنا في البنوك ، كما يفعل حلفاء ، بل خدم الإدارة الأمريكية من بعض حكام المنطقة .. جديون في الجد ، رحماء بيننا ، ومع كل الصالحين والخيرين من عباد الله .. أشداء على الكفر والظلم والاستغلال الذي يضطهد الشعب ويجوّع الفقراء ، لانلتوي في المنازلة دفاعاً عن الحق .. منصفون في الذي هو لنا والذي هو علينا .. نرفض أن تستعبد الشعوب من كائن من يكون ، وندعوا إلى أن يتمتع الجميع بالحرية التي كتبها الله لهم .. وبعد ، إذا ما أريد المزيد فنحن مجاهدون في سبيل الله ومبادئ الحق ، مناضلون ضد الظلم والظالمين ، صادقون في قول الحق .. وإذا ما كانت تلك الدلائل لاتكفي للاستنتاج الصحيح في الإدارة الأمريكية ، أو غيرها ، فهذا يعني أن الذين يعنيهم الأمر لايهتموا بتلك الخواص ولايرون أنها ضرورية

لمن يتعاملون معهم من حكام المنطقة الذين يعتبرونهم أصدقاءهم الخلص ، وإنهم لم يتعودوا أن يروا في صفات أولئك الحكام أياً منها ، وعند ذلك فإن الذنب ليس ذنبنا وإنما هو ذنبهم وعليهم وحدهم جريرته ..إن الحساب الذي نحسب له أساساً ، هو حساب الله يوم القيامة ، وحساب شعبنا والتاريخ عندما تشتط الخطى عن موضعها الصحيح ــ لاسمح الله ــ وإننا نحترم الرأي العام عندما يكون في موقف يستطيع فيه أن يتشكل على أسس موضوعية ومنصفة فحسب ، وما عدا ذلك فهو زرع الشيطان ، وأن زرع الشيطان لفي هاوية ، وليس هو من حصاد نافع ، ولايجلب على حاصده غير الشر والرذيلة ، وثقل عذاب الله فيه بقدر ثقل موازين من يغريه الإشتطاط .

إننا وشعبنا وأمتنا نريد السلام ، مثلما يريد الخيرون منكم السلام ، أيها السيدات والسادة ، نريد السلام ، ولكننا نريد السلام الشامل والدائم ، وليس تدابير شكلية مؤقتة تفجر الأمور على نحو أعنف في مرحلة لاحقة .. لانريد الحرب وقد خبرناها وعرفنا تفاصيلها ، وفي الوقت الذي منحتنا ظروفنا الصعبة والحرب ، الجلد الذي تحتاجه المسؤولية وشرف الدفاع عن الوطن والمبادئ ، منحتنا فرصة واسعة لنقدر بعمق وأناة أية خطوة نخطوها ، ونتحمل مسؤوليتها بشرف وصلابة ، وإننا لا نخشى تهديدات المتجبرين ، ولا نتزلق إلى مغرياتهم .

إن بوش يدفع بأبنائكم أيها السيدات والسادة إلى حرب ، لاتنطوي على أية قيمة إنسانية ، وليس لها معنى إلا الغرور القاتل الذي أغرته به إمكانات الدولة العظمى التي تقول للضعفاء أطيعوا فيطيعون .. ولكن على الجميع أن يتذكر أن الله هو الأقوى ..

المجد لا يتحقق بالقوة الغاشمة

إن المجد لا يتحقق بالقوة الغاشمة ، وإنما يتحقق بالعدل والإنصاف والقوة الحسنة ، وإن ما يعد فضيلة للإنسانية ، هو أن يتواضع الذين يمنحهم الله القوة ، وإن لم يتواضعوا فإن الله قادر على أن يسلبها منهم بعد أن تضل طريقها .. إن المجد الذي تأتي به القوة فحسب يذهب بالقوة المقابلة ، بل إنه ذاهب لا محال من لحظة اتخاذه القوة الغاشمة قاعدة له ..

إن بوش تحدث في الكونغرس في ١٩٩٠/٩/١١ عن أهمية القوة والحيوية كعنصرين

للقيادة ، ولم يتحدث عن الله ولا تحدث عن الحكمة ، بينما إذا فقد الإنسان الصلة بين عمله والله فإنه يفقد الروح ، وإن هو فقد الحكمة ، حتى وهو يملك القوة والحيوية ، فإنه يفقد الاعتبار والتأثير الإنسانيين لأنه سيفقد الدقة ، ولا أظنكم تتعارضون معي في القول أن الذي يفقد الروح والاعتبار يفقد كل شيء آخر .. بل أهم من أي شيء آخر . إن بوش يقول لكم ، بأنه جاء بجيوشه وجيوش حلفائه إلى المنطقة ليدافع عن نمط حياة الشعب الأمريكي ، وبغض النظر عن هذا القول المجرد الذي لا يرى مصلحة الآخرين عندما يرى مصلحته ، وينطوي على خطورة خاصة على الإنسانية جمعاء إن هو بقي على إطلاقه ، نقول بغض النظر عن هذا عليكم أن تسألوا بوش من الذي يهدد نمط حياة الشعب الأمريكي ، وهل هدد العرب أو العراق نمط حياة الشعب الأمريكي ؟ إنه يقول لكم .. بأنه جاء هنا إلى أرض أمتنا ليحمي النفط ، وأنه لا يجوز أن يمتلك العراق ٢٠٪ من احتياطي النفط ، فعليكم ونحن جميعاً ، أن نسأل بوش وهل سيشرب العراق النفط أو أنه سيبيعه ؟.. إن العراق يبيع النفط إلى أسواقه الطبيعية في الغرب ، إنه يبيعه إلى أمريكيا وعموم الغرب .. وهكذا كان حال العراق قبل ١٩٩٠/٨/٢ ، حيث كان يبيع ثلث نفطه إلى أمريكا وفي كل الأحوال فإذا أراد بوش أن يحدد قانوناً جديداً للنسبة المسموح بها لامتلاك أي عنصر من عناصر الثروة بما في ذلك ثروة أمريكا ومنها الحبوب ، فعليه أن يطرح هذا على الجمعية العامة للأمم المتحدة لتقرر ما تقرره وليلتزم بقرارها الجميع ويدخل عند ذلك ضمن ميثاق الأمم المتحدة .

إن بوش ، وهو يوجه كلمته إلى شعب العراق ، أراد التهديد عندما تحدث عن صفات الشعب الأمريكي حيث قال ما نصه « نحن كأمريكيين لا توجد أمة على ظهر الأرض أقوى تصميماً وأشد تمسكاً بهدفها منا » .

كما وضع الشعب الأمريكي فوق الأمم .. في إعطائه نفسه حق القيادة الإنسانية والدول كلها .. في حديثه أمام الكونغرس الأمريكي في ١٩٩٠/٩/١١ . إن بوش إنما يدعو بذلك إلى نازية جديدة .

إن الله واحد أحد ، وهو الوحيد الذي له الوحدانية والقيادة العليا للإنسانية والكون من غير منازع ، وما عدا ذلك افتراء وادعاء فارغ وبائد لا محالة ....

أما إذا تصور بوش بأنه قادر وحده على استعباد الإنسانية وقادر على التدخل بتفاصيل حياتها وثروتها ، فإنه واهم ، وإن سياسته هذه ستعزل أمريكا عن العالم لا محالة وستجعلها مكروهة ممقوتة ، وستجعل الذين يقومون بمثل هذه السياسة ملعونين إلى يوم القيامة .

ولكي لا أثقل عليكم أكثر ، عليكم أن تتذكروا أن آلاف الأطفال في العراق قد يموتون متأثرين بعامل سوء التغذية ، جراء انقطاع حليب الأطفال عنهم ، وأن الكثيرين من الناس ستتدهور صحتهم بسبب ضعف الغذاء الصحي ، وستتأثر حياتهم ، وأن انقطاع الدواء والغذاء وحليب الأطفال هو تدبير بدأته الولايات المتحدة الأمريكية وإدارة بوش خلافاً لميثاق الأمم المتحدة والأعراف الدولية ، وقد صرح بذلك الرئيس فالدهايم عندما زار بغداد في ١٩٩٠/٨/٢٥ ، وأن مثل هذا العمل اللاإنساني لا يمكن أن تقارن آثاره بأي عمل آخر مهما اختلف الوصف حوله ، وأنه اتخذ من جهة غير مهددة ، وأن العراق رغم أنه مهدد في سيادته وفي سيادة أمن أمته وأمنه لم يتخذ إجراءات تماثل هذا الإجراء أو تقترب منه في الوصف والدوافع ....

إن شيوخ الكويت نصبتهم القوة البريطانية حكاماً ، ولم تأت بهم الديمقراطية والانتخابات ، وأن الكويت اقتطعت من العراق بالقوة أيضاً ، وأن كل المحاولات الديمقراطية للوحدة مما أشرنا إليها ، والتي قام بها المجلس التشريعي الكويتي في عام ١٩٣٨ ، قد قمعت ، وأن الكويت المقتطعة من العراق استخدمت كقاعدة تآمر على العراق ، بدلاً من أن تشد أزره ، وما كان من بديل أفضل من الذي كان .

وإننا أيتها السيدات والسادة نحمد الله على الذي حصل .

إن قول بوش بأن أغلبية العرب معه هو قول غير دقيق ولا أريد أن أصفه بغير هذا الوصف ، وإذا ما أريد التأكد من رأي الأمة العربية فليوافق بوش على لجنة عمل مشتركة من الكونغرس الأمريكي تلتقي مع لجنة من ممثلي شعب العراق في المجلس الوطني ، ليستطلعوا ويجروا معاً تقيياً للمعلومات والحقائق ، على أن يعدكم بوش مسبقاً بأنه سيستطلعكم على الحقيقة كما هي ، وعند ذلك ستتأكدون من أن الأمة العربية كلها مع العراق ، وأنها كلها ترفض وجود جيوشكم على أرض مقدسات المسلمين في

الجزيرة العربية ومعها المسلمون في العالم .. وأنها مع الحق ضد الباطل .. وينبغي أن لا يغرّن أحد حفنة من المأجورين والضعفاء والخونة الذين يرتجفون منزوين في جحورهم خوفاً من غضب الشعب بعد أن انعزلوا عن طريق الإخلاص والمخلصين ..

إن الإدارة الأمريكية أيها السيدات والسادة تضعكم جميعاً في حرج شديد ، بالإضافة إلى أنها تضعكم جميعاً على حافة هاوية سحيقة ، مثلما تضعنا أيضاً ، وتضع الإنسانية جمعاء ، وأنها تضعكم أنتم كأمريكيين في حرج شديد ، ذلك لأنها تقول وتدعي بالديمقراطية في الوقت الذي تصادق فيه أكثر الحكومات تخلفاً ، وأكثر الحكومات ابتعاداً عن الشعب ، وأكثر الحكومات ابتعاداً عن الديمقراطية ، بل أكثر الحكومات ابتعاداً عن الله الواحد القدير العزيز .

لقد قال الشعب العراقي رأيه بالتظاهرات والهتافات والأهازيج التي اندفع فيها شعب العراق العظيم كالشلال الهادر إلى الطرق والشوارع ، مستنكراً ما قاله بوش في كلمته بعد أن أنهى كلامه مباشرة وذلك في مدن العراق وقصباته ، وها أنا قد قلت كلمتي نيابة عن القيادة في العراق ، بل ونيابة عن كل الخيرين المؤمنين من العرب والمسلمين والله الموفق ، والله أكبر .

﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم الله إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل .

صدق الله العظيم

خامنئي يدين الحشد الأمريكي

قبل فترة يسيرة من رحيله ، قام الإمام الخميني بشرح مستفيض عن مهام الدولة في العهد الاسلامي الجديد ، وقد انتقد بشدة ذلك الزعم القائل ، بأن عمل الحكومة ينحصر في المسائل الروحية بشكل أساسي ، فالإسلام منذ انتصاره الأول ، كان يعتبر أن السلطة التنفيذية ، هي اندماج الفعل المؤثر بين الدين والدنيا ، ولم تكن خطبة الجمعة ، في يوم من الأيام ، إلا محاكاة مع الحياة الدنيا .. والآخرة ، على حد سواء وكان الإسلام آخر الأديان ، الذي يقول بواقعية الموازاة بين حياة الإنسان وعبادته .. (عش لنفسك كأنك تعيش أبداً .. ولآخرتك كأنك تموت غداً) .

لقد وضع الإسلام على كاهل (دولته التي انتظمت منذ العصر الراشدي الأول) مهام الاضطلاع بتنفيذ الشريعة الإلهية كما نص عليها القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية الشريفة ، والاجتهاد المتسق مع نصوص الشريعة وروح العصر ...

يقول الإمام الخميني (إن الزعم بأن سلطات الدولة تنحصر في إطار الآيات الإلهية ، أمر يناقض أقوالي كل المناقضة ، إن عمل الحكومة ، **التي هي جزء من السيادة المطلقة للنبي ، يشكل واجباً أول في الإسلام ، يسبق كل الواجبات الأخرى ، بما فيها الصلاة والصيام ، بل والحج إلى مكة**) .

في شهر حزيران من عام ١٩٨٩ ، عندما تم الاتفاق على انتخاب الإمام علي خامنئي خلفاً للأمام الأكبر الراحل ، كانت الصراعات على السلطة في طهران تزداد حدة ، وقد تمخض عن ذلك انتصار التيار الذي سيقوده حجة الإسلام هاشمي رفسنجاني (**صاحب الميل للتهادن مع الشيطان الأكبر ، وأحد أطراف ايران ـــ غيت**) ..

ولم يكن للإمام على خامنئي (المرشد الجديد الذي تم ترفيعه في سلم التراتبية الدينية على عجل) لا سلطة الإمام الراحل ، ولا شخصيته الفذّة القوية ...

لقد تصالح الإمام خامنئي مع الاتجاه القائل ، بضرورة تخفيض وتيرة التصدير للثورة الإسلامي ، وكان رفسنجاني سيّد الاتجاه نفسه ، يبحث عن مخارج واقعية ، لبلد ارتفع عدد سكانه في عشرة أعوام (١٩٧٩ ـــ ١٩٨٩) بنسبة ٣٠٪ ولم يزد دخله في الفترة نفسها أكثر من ١٠٪ كان رفسنجاني الخارج بقوة من حرب ضروس مع العراق ، يريد أن يشحذ خطاً ليبرالياً من شأنه استدعاء الرساميل الأجنبية ، وصندوق النقد الدولي **وذلك (باللعب) على رغبة الأمريكيين في إشراك إيران في التحالف الكبير ضد العراق ، كذلك (بالتجاوب الحذر)** (إذ أن الحذر وإمعان النظر والتفسير المكائدي للتاريخ كلها وراثة فارسية رغم التديّن العميق لشعب إيران)

نقول (بالتجاوب الحذر) مع انفتاح صدام وعودته إلى اتفاقيات الجزائر مع إيران ، ودعوته للجهاد المقدس ...

كان المرشد الجديد ، يتشدد بخصوص حشد (الشيطان الأكبر) في الخليج ، وكانت الحكومة تريد أن تستفيد من الأزمة الناشبة .. ضمن خطوط ثابتة : ـــ

أولاً : عدم المشاركة في التحالف العسكري الدولي ضد العراق ..

ثانياً : عدم السماح بتبديل الأوضاع الإقليمية في الخليج ، أي عدم الإعتراف بضم العراق للكويت ، واستنكار اجتياحه للإمارة الصغيرة .

ثالثاً : عدم السماح لإعطاء العراق منفذاً على البحر .. بتأجيره الجزر المتنازع عليها (وربة ووبيان) ..

رابعاً : التفاوض سلمياً لحل المشكلات المتنازع عليها نفطياً بين العراق والكويت ..

خامساً : لا تسمح إيران باستخدام أراضيها أو سمائها أو مياهها لنشاطات حربية من قبل أطراف الأزمة .

تلك الخطوط الثابتة التي ظلت إيران متمسكة بها ، وهي أقرب ما تكون لموقع الحياد في الأزمة .. وهكذا إلى أن عادت ــ في نهاية الحرب ــ ففجرت ثورة الشيعة في الجنوب ، وكانت قوات التحالف قد توغلت بعيداً في الأراضي العراقية !.. فأصبحت العملية ، وكأنها الفصل الأخير من لعبة التحالف نفسه ، حيث الكارثة في اللعبة ، هي أن كلاً من الشيعة في الجنوب ، والأكراد في الشمال ، كانا يعوّلان للإطاحة بالنظام العراقي ، على مساعدة الولايات المتحدة الأمريكية (هناك مسرحيات تراجيدية طويلة أديت على خشبة المسرح السياسي الأمريكي ، عن غدر الإدارة بكل من الشيعة والأكراد في الامتناع عن تقديم مساعدة عسكرية عاجلة) .

ولم يكن أصحاب الثورة في الجنوب ، وزعماؤها في الشمال ، يدركون أن العراق ، في الإستراتيجية الأمريكية نفسها ، هو قوة إقليمية موازنة في المنطقة بين تركيا وإيران ، وأن المسلم العراقي ، لن يتحد مع المسلم التركي ، بواقع من قوميته ، وأن المسلم العراقي في الجنوب (الشيعة) يمكن أن يتحد مع المسلم الإيراني لبواعث مذهبية ، قد تطغى على الحلم القومي (الذي أظهر إحباطه) وإن (بغداد أمريكية في الوسط) هي أفضل حالة لضمان عدم الذهاب إلى أي من الاتجاهات الأربعة المحيطة بالعراق) !..

لقاء في هلسنكي ..

دون تردد ، لا زال بإمكاني ، أن أصف
الاتحاد السوفييتي بالصديق
طارق عزيز

قبل قمة هلسنكي (٩ أيلول) بين الرئيس الأمريكي والرئيس السوفييتي ، كان طارق عزيز يزور موسكو ، وقد التقى الرئيس غورباتشوف (مساء ٥ أيلول) وكانت إحدى الزيارات المهمة التي وصفها غورباتشوف بزيارة عمل صريحة ، (أي أنها صعبة في القاموس الدبلوماسي السوفييتي) ، وكانت جريدة التلفزيون السوفييتي في موسكو (فريميا) تبث تقريراً عن لقاءات الرئيس اليومية بشخصه ، وقد ذكر غورباتشوف ، جميع لقاءاته في ذلك اليوم ، عدا لقائه بطارق عزيز ، وعندما سأل الصحفيون في بهو المطار ، عن رأيه بإخفاء غورباتشوف المتعمد للقائه أجاب مبتسماً ..

(ربما يكون قد سقط سهواً ، مع ذلك ودون تردد لا زال بإمكاني أن أصف الاتحاد السوفييتي بالصديق المخلص لقضايا الأمة العربية) .

وأغاظ هذا الجواب شيفرنادزة الذي سافر مساءً إلى فلاديفوستك ، وراح يصرح من هناك :

(إن الأسرة الدولية ، لا يمكنها أن تتغاضى عن أنظمة القرصنة في العالم) .

ومن المفارقة ، أن وصف (القرصنة) ظل ملازماً في الأدبيات السياسية السوفييتية لأنظمة الامبريالية العالمية طوال تاريخه منذ انتصار ثورة أكتوبر وحتى شفرنادزة مسؤول الـ ك .ج .ب نفسه .. لقد نسي شيفرنادزة في غمرة حركة مسرحية مصطنعة وذليلة ، كل مآثر القراصنة الحقيقية في كوبا (خليج الخنازير) والفوكلاند) ، و غرنيادا ونيكاراجوا ولبنان ، وبناما ، وليبريا ...إلخ **ولا يسع المرء في هذا المشهد الاحتفالي إلا أن يصرخ مع شكسبير (أأنت السيد هنا وتضج كل هذه الأراجيف) ..**

انعقدت هلسنكي في التاسع من أيلول ١٩٩٠ وهي القمة السوفييتية الأمريكية ، التي كان جورج بوش صاحب فكرتها بالأساس ..

يقول بريماكوف في كتابه الصغير (حرب كان من الممكن تجنّبها) ص ١٥ ، (في تلك الآونة ، ويجب القول بكل تحديد ، ساد في أواسط موسكو رأي بأن المسألة لن تصل إلى حد الحرب ، وأن ترسانة الوسائل السياسية والاقتصادية واستعراض القوة سيعود بالنتائج المرجوة ، وموسكو كانت تدرك كذلك مسألة أخرى ، فقد بدأ بعد انتهاء الحرب الباردة ، إرساء أساس نظام قانوني عالمي **عادل** ، يحرم الإملاء العسكري والعدوان والتدخل في شؤون الدول الأخرى) ثم يقول (إن التفكير السياسي الجديد الذي طرحه الاتحاد السوفييتي بعد نيسان ١٩٨٥ (أي أن موعده مع بيروسترويكا غورباتشوف ، التي لم يكن من نتائجها التاريخية الحاسمة ، سوى تفتيت الاتحاد السوفييتي ، وترك شعوبه تتحاور بالمدفع والنار) .. ما تلا ذلك من تطورات على الصعيد الدولي ـــ كما يؤكد بريماكوف ـــ قد عززا الثقة في أن فكرة النظام العالمي العادل هي هدف واقعي وممكن الإنجاز ..

ويحار المرء في ماهية هذه التطورات التي عملت على تعزيز الثقة بإمكان ولادة نظام عالمي عادل ؟..

هل هو ، مثلاً ، تخفيض المخزون من الأسلحة النووية بشكل متبادل بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي من النصف إلى الربع على سبيل التبسيط .. أي من إمكانية تدمير العالم ثلاثين مرة ، إلى إمكانية تدميره تسع مرات فقط ؟! ثم ما هو الفارق لدى

البشرية ، لو أن هذا العالم لم يدمر إلا مرة واحدة ، وهل غير الدار الآخرة في انتظاره ؟ ثم ما علاقة النظام العالمي العادل بهذا ؟!..

إن الفرق بين المضي على طريق تدمير الأسلحة النووية بالكامل شيئ (وهو شيئ مهم لأمان البشرية لا لعدالة نظامها العالمي) ، وهو أمان باتت تطلبه صفوة البشرية في لياليها الحالمة أكثر مما تطلبه عموم البشرية في ليالي كوابيسها المرعبة .. وبالرغم من الفوارق — فوارق عدم العدالة — **فإنه أمان مشترك ومطلوب من قبل الجميع في جميع الأحوال** . (ليس هذا تعريفنا للعدالة كاماراد بريماكوف) وهذا ما سيقوله أصحاب الإنقلاب الفاشل في موسكو صيف عام ٩١) .

ولم يوافق بوش على طرح غورباتشوف في هلسنكي ، وهو ما يدعو لتكثيف الجهود ، والعمل من أجل حل المسألة الفلسطينية بغية (إجبار العراق بالوسائل السياسية على الانسحاب غير المشروط) ثم يؤكد بريماكوف ، (لو كانت الولايات المتحدة قد وافقت على طرحنا للمسألة الفلسطينية ، لتحمّل صدام حسين المسؤولية الجسيمة عن إحباط هذه المسألة برفضه لسحب القوات من الكويت) (المصدر السابق ص١٦) .

ومن الواضح أن السيد بريماكوف ، هنا ، يريد أن يؤكد ، أنه طرح العراق لمسألة الربط مع القضية الفلسطينية ، هو طرح مراوغ ، وأن الحقيقة التي يريد أن يؤكدها بريماكوف ، هي أن العراق لن ينسحب من الكويت ، حتى لو وافق المجتمع الدولي على حل المشكلة الفلسطينية ...

ولم يذهب بوش — مع ذلك — إلى أبعد من العبارات المبهمة بخصوص حل النزاعات في المنطقة ، علماً بأن غورباتشوف كان يحاول التركيز على ضرورة تجنب الصدام العسكري في منطقة الخليج ، وكان أخروميييف مارشال الاتحاد السوفييتي ، بوصفه أحد أبرز الخبراء العسكريين ، من أكثر المجتمعين تركيزاً على مخاطر الحرب الحديثة ، والنتائج المدمرة التي ستؤدي إليها ..

غير أن بوش المستمع ، سرعان ما انبرى لملاحظات مارشال الاتحاد السوفييتي قائلاً :

ـــ إننا نقول على أن يعطي الالتزام الصارم بقرارات مجلس الأمن الدولي الخاصة بالعقوبات الاقتصادية على العراق نتائجه بالسرعة المطلوبة ..

في نهاية القمة صدر البيان التالي :

بيان قمة هلسنكي

بالنظر للغزو العراقي للكويت واستمرار الاحتلال العسكري لها فإن الرئيسين غورباتشوف وبوش يصدران البيان التالي :

إننا متحدان في الاعتقاد بضرورة عدم التسامح إزاء العدوان العراقي وبعدم إمكانية إيجاد نظام دولي سلمي إذا تمكنت دول كبيرة من ابتلاع الدول المجاورة لها الأصغر حجماً . وأننا نؤكد من جديد البيان المشترك الصادر عن وزيري خارجيتنا في الثالث من أغسطس عام ١٩٩٠ ودعمنا لقرارات مجلس الأمن الدولي ٦٦٠ و٦٦١ و٦٦٢ و٦٦٤ و٦٦٥ واليوم فإننا ندعو الحكومة العراقية من جديد إلى الانسحاب غير المشروط من الكويت والسماح بإعادة الحكومة الكويتية الشرعية إلى السلطة والإفراج عن جميع الرهائن المحتجزين حالياً في العراق والكويت . ولن يقبل أي شيء يقل عن التنفيذ التام لقرارات مجلس الأمن الدولي ، ولا يمكن لشيء يقل عن إعادة الوضع في الكويت إلى ما كان عليه قبل الثاني من أغسطس الماضي أن يلغي عزلة العراق .. وإننا ندعو المجتمع الدولي بأسره إلى التقيد بالعقوبات التي فرضتها الأمم المتحدة على العراق ونتعهد بالعمل منفردين ومجتمعين لضمان التقيد الكامل بتلك العقوبات .

وفي الوقت ذاته فإن الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي تعترفان بأن قرار مجلس الأمن الدولي (رقم ٦٦١) يسمح لظروف إنسانية باستيراد العراق والكويت مواد غذائية ، وستقدم لجنة العقوبات إلى المجلس بشأن الظروف التي تعتبر إنسانية . كما أن الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي متفقان على أن استيراد أي مواد غذائية يجب أن يخضع لمراقبة مشددة من الوكالات المختصة لضمان عدم وصول المواد الغذائية إلى غير الأشخاص المرسلة إليهم مع إعطاء أولوية خاصة لتلبية احتياجات الأطفال .

إننا نفضل حل الأزمة حلاً سلمياً ، وسنقف متحدين ضد العدوان العراقي ما دامت الأزمة قائمة غير أننا مصممان على التأكد من إنهاء هذا العدوان ـــ وإذا فشلت

الخطوات الحالية في إنهائه فإننا مستعدان للنظر في خطوات إضافية تتمشى مع ميثاق الأمم المتحدة .

وحالما يتم تنفيذ القرارات التي حددتها قرارات مجلس الأمن المذكورة آنفاً وطالما نظهر أن العدوان لايجدي فإن الرئيسين سيوعزان إلى وزيري خارجيتهما بالعمل مع دول المنطقة وخارجها لاتخاذ إجراءات وإيجاد تنظيمات إقليمية أمنية لتعزيز السلام والاستقرار .

ومن الضروري العمل بفعالية لحل جميع النزاعات المتبقية في الشرق الأوسط ومنطقة الخليج وسيواصل الجانبان التشاور مع بعضهما والمبادرة إلى اتخاذ إجراءات المتابعة لتنفيذ هذه الأهداف الموسعة في الوقت المناسب .

هذا وقد سارعت القيادة العراقية إلى الدخول على خط هلسنكي فبعث صدام بالرسالة التالية إلى المجتمعين :

وجه الرئيس العراقي صدام حسين رسالة إلى الرئيسين الأمريكي جورج بوش والسوفييتي ميخائيل غورباتشوف جاء فيها :

من صدام حسين

إلى الرئيسين ميخائيل غورباتشوف وجورج بوش ..

السلام عليكم ..

تجتمعان اليوم التاسع من أيلول عام ١٩٩٠ م المصادف ١٩ صفر ١٤١١ هـ وعندما ينعقد اجتماعكما سيتابعه العالم باهتمام غير اعتيادي ومنهم شعوب المنطقة التي شرفنا الله بأن نكون جزءاً من أمة فيها هي أمة العرب التي شرفها الله بأن تكون مهد الأنبياء والرسالات على مر الأزمان .

وإنني لأقول لكما ولألتمس أحداً منكما ما يقرر لأن كلاً منكما يملك إرادته ويملك حرية التقرير وفق ما حباه أو أراده الله له من عقل وعلى الطريقة التي تشكل فيها وعليها ضمير كل منكما ..

ولكنني وبعد الاتكال على الله القادر العظيم أقول .. عليكما وقبل أن تقررا ما تقررانه أن يتذكر من تنفعه الذكرى منكما ما يلي :

١ ـــ إن العراق لم يغزُ بجيوشه أياً من بلديكما وليس في نيته المسبقة أن يلحق أذى بكائن من كان من الناس والدول وبالمصالح المشروعة ، وإنما هو دولة تحب السلام القائم على العدل والإنصاف ، وتحترم خيارات الإنسانية كلاً حسب اجتهاده وحسب ما يرضى اللهوالناس .. في الوقت الذي يتوكل العراق شعباً وقيادة على اللهالواحد الأحد ويعمل بما يرضي الله وبما يهديه إليه كاختيار لابد منه لبناء مقتضيات وطنيته وشرف انتمائه القومي والإنساني المؤمن وأمنه وسعادة الناس الذين رتب الله لهم حقوقاً قرر إيصالها بكتاب بل وبكتب معلومة إلى الإنسانية كافة وعن طريق أنبيائه على التوالي .

٢ ـــ إن الكعبة التي تحتل أرض دولتها جيوش الأمريكان ومن سولت لهم أنفسهم بالسوء هذه الفعلة الفاجرة قد حاول قبل ما يزيد على ألف وأربعمائة سنة أن يحتلها ويحتل أرضها أبرهة الحبشي الذي أغواه الشيطان وزين له قدرة التسلط والتوسع فغضب الله عليه وهزمه شر هزيمة فعاد منكس الرأس والأعلام ، ولم يجرؤ بعد ذلك أن يرسل جيشه أو يتجرأ على الكعبة .

٣ ـــ قبل أن يتخذ أي منكما القرار الذي يتخذه حول الكويت عليكما أن تتذكرا أن أمة العرب هي أمة واحدة وإن تجزأت إلى ما هي عليه ، وأن هذه الحقيقة لاينكرها حكامها وقادتها ولاشعبها وأبناؤها . وأن الكثرة الساحقة من أبنائها حكاماً وشعوباً يتشرفون بكونهم جزءاً من هذه الأمة العظيمة وأنهم يتشوقون إلى أن يكونوا كياناً سياسياً واحداً مهما كانت خصوصية هذا أو ذاك من أقطارهم .

وأن الكويت جزء من العراق إلى وقت ليس بعيداً وأن شعب الكويت جزء من شعب العراق وأن الاستعمار البريطاني قد فصله عن العراق لأسباب وأغراض استعمارية وأن العراق لم يسلم بهذا الإجراء حتى في عام ١٩٥٨ عندما كان رئيس وزراء العراق نوري السعيد الذي هو صديق للغرب وانكلترا صاحبة هذا القرار الاستعماري المقيت .. وأن رئيس حكومة العراق عبد الكريم قاسم الذي كان صديقاً للاتحاد السوفييتي قد اتخذ في عام ١٩٦١ نفس القرار الذي اتخذناه الآن .

إن محاولة البعض لإعادة الأمور إلى ما كانت عليه قبل ١٩٩٠/٨/٢ هي محاولات

غير عملية وعقيمة فضلا عن أنها محاولات يقصد منها الدفع باتجاه عدم استقرار المنطقة ، بل التآمر المسبق على الأمة العربية وفي مقدمة ذلك العراق الأبي .

وعلى أساس هذه الحقائق وبغض النظر عن اتفاق أو اختلاف وجهات النظر بين هذا أو ذاك من أبناء الوطن العربي أو الأجانب فالواجب في هذه المرحلة يقتضي أن تستذكروا هذه الحقائق ، وأن توطنا النفس على أن هذا الذي نقوله لكما اليوم هو حقائق الوطن العربي والأمة العربية وليس اختراعاً أو مجرد حجة لتبرير .

٤ ـ إذا ما أدخلكما البحث مدخل حامي حمى قرارات المنظمة الدولية فعليكما أن تتذكرا بأن المنظمة الدولية قد اتخذت قبل القرارات التي تخص العراق قرارات كثيرة منذ تشكيلها ، ومن بين تلك القرارات قرارات تخص قضايا عربية وأطرافها بعضهم عرب وآخرون أجانب ، وفي مقدمة هذه القضايا قضية شعب فلسطين الصابر المبتلى وشعب الجولان ، ورغم أن تلك القرارات كانت قد اتخذت في وضع يسوده نوع من التوازن على مستوى القوى الدولية العظمى والكبرى ، ولم يكن الحال الذي كنا فيه ماثلاً له الآن ، فلم يسبق لمجلس الأمن أن اتخذ فيه هذه القرارات المستعجلة والمنفعلة ، ولم تكن قراراته على هذا المستوى من القسوة والإجحاف مما يفضح معه وجود الغرض المسبق .

٥ ـ قد يكون الذي يبرز أمامكما في معالجاتكما عندما تلتقيان فقط هو العراق الذي لايزيد شعبه على ثمانية عشر مليوناً ، والذي هو دولة من بلدان العالم الثالث الذي يفصلكما عن مستوى تطوره عالمان وأنكما من العالم الأول الذي يتفوق في الميدانين المدني والعسكري ، فإذا كان هذا الذي يبرز أمامكما سيدفعكما إلى اتخاذ قرارات تعيد إليكما جانباً من الشعور بالمسؤولية التي تجنب منطقتنا شر الحروب وما تجره من مآسي ، فالخير فيما يختاره الله وعسى أن يدخل الرحمن ضوء إيمان إلى القلوب القاسية لتأخذ طريق الهدى والصلاح والإنسانية في تصرفها وخاصة قلب بوش .

إن موقف أي منكما أيها الرئيسان ميخائيل غورباتشوف وجورج بوش سيثبت وهو يتخذ قراراته في اجتماعكما هذا مكانة بلاده ودرجة ثقلها في الإنسانية وربما جانباً أساسياً من مصيرها على مدى بعيد ، وأجزم بأن الذي يشتط في فكره وعمله عن الموضع الصحيح سوف يهبط ببلده درجة أو درجات في سلم ما يسجل عليها وفي سلم

ودرجة مكانتها ، وعلى من يمثل الاتحاد السوفييتي أن يتذكر أن الهواجس والشكوك في درجة الدولة العظمى والاتحاد السوفييتي قد راودت كل سياسيي العالم منذ زمن وخاصة بعد أن راحت الولايات المتحدة الأمريكية تنفرد بالعالم وتتجبر من غير أن يظهر الذي كان يظهر في السابق ليهديها إلى الطريق الأكثر توازناً في الخلو والمسير ، فعلى من يعنيهم الأمر أن يختاروا هذا الوقت الحاسم ومن خلال هذه القضية الحاسمة ليعيدوا الاعتبار للاتحاد السوفييتي بموقف يحاكي ماهو حق وعادل ومنصف وأن يرفض الحالة الانتقائية التي تدفع إليها الولايات المتحدة الأمريكية لتبتعد عن الحل العادل لقضايا المنطقة ككل وفق الأسس التي وردت في مبادرتنا في ١٢/٨/١٩٩٠ ، وعلى الرئيس بوش الآن ألا يهبط أكثر بدرجة بلاده ومكانتها ، لأننا نجزم بأن مكانتها ستهبط عن موضعها في سلم التقدير والتأثير إذا ما انزلقت إلى هاوية الحرب وبقيت جيوشها وجيوش حلفائها على أرض مقدساتنا وبقي الحصار الظالم الذي منع عن شعب العراق حتى الغذاء والدواء ومنع عن أطفال العراق الحليب الذي يحتاجونه ، وسيكون الله على المعتدي وستتساقط رؤوس الخونة والله أكبر .

عبد الله المؤمن
صدام حسين

كان بريماكوف زائر بغداد الأول (المولود في كييف عام ١٩٢٨ وصديق غورباتشوف منذ الدراسة الجامعية في موسكو) قد وصل إلى بغداد ، بعد أن رتب لقاءً مع الرئيس العراقي ، وذلك كمبعوث شخصي للرئيس غورباتشوف .. وكان عرفات في انتظاره ببغداد ، ومنذ وصوله لم يترك وقتاً يفوته ، فقد توجه على الفور إلى بيت الضيافة حيث الرئيس العراقي ، ودارت المحاورة التالية :

ـــ سيــادة الرئيس إن الموقف خطير ، وسـوف تزداد خطورته إذا لم يبـادر العراق بالانسحاب من الكويت ..

ـــ إنك تطلب مني أن أعلن انسحاباً ، وكأن هذه **الكلمة السحرية** ، هي التي ستحل المشاكل دفعة واحدة .. دعنا نفترض أننا أقدمنا على ذلك من طرف واحد ..

هل لديكم ضمانات تقدمونها ضد أي هجوم أمريكي محتمل ؟..

وراح بريماكوف يلح على فكرة الانسحـاب ، دون الإجابة عن السـؤال المحدد والخطير .. ماهي الضمانات ؟

عاد الرئيس العراقي ليؤكد على أسئلة محددة هي :

١ ـــ ما هي ضماناتكم لشعب العراق وأمنه ؟
٢ ـــ ما هي ضماناتكم لتسوية إقليمية وبالذات للفلسطينيين في الأراضي المحتلة ؟

وأجاب بريماكوف على السـؤال الثـاني (متجـاهلاً الإجابة عن السؤال الأول) وقال :

ـــ إن الربط العضوي بين الانسحاب والتسوية الإقليمية هو ما يثير حفيظة الولايات المتحدة ، فلا بوش ولا الكونغرس ولا الرأي العام الأمريكي يقبلون بهذا الطرح ..

ثم عاد بريماكوف إلى موضوع الضمانات ليقول :

ـــ نخشى إذا ماتم التعرض لمسألة الضمانات ، أن تعتبر الولايات المتحدة ذلك من قبيل الخديعـة ، وأن الاتحاد السـوفييتي يسعى لإدخال المفـاوضـات بين العراق والولايات المتحدة ، وهو ماترفضه الإدارة الأمريكية أيضاً ..

وراح النقاش يدخل واحداً من دهاليز كافكا المظلمة .. وقبل أن يتم إقفال باب الانسحاب ، قدم بريماكوف طلبه المؤجل حتى اللحظة الأخيرة (على الأرجح فإن طلب بريماكوف بسحب الخبراء السوفييت من العراق ، هو الباعث الأول لزيارته التي

كان يتم تغطيتها على أنها مساعي مبذولة من أجل الوصول إلى حل سلمي ، علماً بأن نقطة الوسط اللازمة لأي حل سلمي ، ظلت مفقودة في المبادرات السوفييتية حتى النهاية .. وبالعكس ، فإن مواقف السوفييت من الأزمة ، كانت هرولة خلف الرغبات الأمريكية ، وأحياناً قبل تبلوّر المواقف الأوروبية نفسها ..) .

طلب بريماكوف السماح لـ ٧٨٣٠ خبيراً سوفييتياً من العسكريين والمدنيين بالسفر إلى بلادهم ، ووافق صدام حسين على الطلب ، بمعدل ١٥٠٠ خبير في الشهر .. غير أن بريماكوف كان يلح بالطلب على سفرهم على دفعتين بفارق زمني لايتعدى الشهر ، وأدرك صدام حسين أن غورباتشوف نفسه ليس مطمئناً لنوايا الولايات المتحدة المبيتة .

كان دليلاً آخر على التخطيط للحرب ، رغم كل بروفيل السلام ، الذي تقدّمه الإدارة الأمريكية .

في المؤتمر الصحفي الذي عقده الرئيسان بوش وغورباتشوف بعد الانتهاء من أعمال القمة في هلسنكي ، تطرق أحد الصحفيين لموضوع الخبراء السوفييت في العراق ، ودار الحوار كما يلي :

ـــ هل يسحب الاتحاد السوفييتي خبراءه من العراق ؟

الرئيس غورباتشوف :

ـــ إن عددهم ليس كبيراً ، وهذا العدد يتناقص منذ بداية الصراع ..

الرئيس بوش :

ـــ سوف تسهل الأمور كثيراً إذا غادروا العراق في إطار التفهم الكامل لحقيقة الأوضاع .

أضاف قائلاً :

ـــ استمعت إلى رأي الرئيس غورباتشوف بدقة في هذا الموضوع ، أما تنفيذه على النحو الذي ذكره فهو هام جداً ..

سيقول بريماكوف فيما بعد (سلسلة مقالات له في جريدة البرافدا) أنه حاول جاهداً وقف القطار المندفع نحو شفير الحرب ، إلا أنه لم يفلح (كان يمكن تجنبها ولكن ..) ، فقد قابل بوش بعد زيارته لبغداد كمبعوث شخصي لغورباتشوف ، ولم

يسأله بوش عن رأيه في الأزمة .. بل عن صدام (شخصياً) لمدة ساعتين .. بعدها .. أرسل مَنْ يقول له (جيتس نائب مدير وكالة المخابرات المركزية) .
ــ مستر بريماكوف .. الرئيس يزجيك أفضل تحياته .. ويقول بإمكانك السفر من واشنطن متى تشاء ..

ثم قابل بريماكوف (مسزز تاتشر) وقالت له بحدة :
ــ نحن لانريد لأي طرف أن يتدخل الآن لعرقلة هدفنا ، ليس هناك خيار آخر غير الحرب .

عندما حاول أن يشرح لها رأيه أجابته بغضب :
ــ لا ، أنا لاأريد أن أسمع شيئاً ..

كانت إشارة واحدة من يده ، قادرة على وقف القطارات المندفعة نحو الحرب .. كان يكفي أن يرفع مندوب الاتحاد السوفييتي في مجلس الأمن رأس سبابته ، ليقول (فيتو) ثم تتوقف جميع القطارات ..

ترى ما هي القوة الخفيّة التي منعت الاتحاد السوفييتي من ذلك ؟

كان بوش الذي أصبح يصرف (فضل القيمة) من وقته ، في السماع لأحاديث ذات صلة بطبائع الشعب العراقي ، وشخصية صدام والفروق المذهبية والسياسية بين فئات شعب العراق ، كان قد توصل بفضل شروح الأساتذة في (التاريخ وعلم الألسن وعلم النفس) وهم أمريكيون من أصل عربي ، إلى خلاصة الأقوال (الحفيضية المكثفة) التي تسبب ردات فعل قوية لدى العربي عموماً .. من أمثال (لن نسمح بإنقاذ ماء وجهك) و(ليس أمامك فرصة لادعاء النصر) و(المطلوب أن تفلت بجلدك الآن) و(عليك أن تنسحب وأنت مرفوع اليدين) .. وأمثال أخرى راحت تجري على لسان ابن (المجتمع الصالح) للساحل الشرقي دون توقف ..

لم يفت بوش ، في مناسباته الاحتفالية ، أن يستخدم بعض هذه التعابير ، تاركاً ما هو أكثر وساخة منها ، لصاحبة اللسان الذهبي مارجريت تاتشر .. وفي واحدة

من مباريات سوهو ، راحت الانثى ، زائرة مستشفيات الايدز الممتلئة ، تقدح زناد ما هو ناتئ ومخبوء فيها دون خجل ..

سيقول بريجسنكي ، بأن (المسألة باتت عاطفية بأكثر من اللازم وشخصية بأكثر من اللازم) ..

وإن رجلاً مثل السيناتور هاملتون سيقف في وجه بوش ليقول :

ـ أيها الرئيس .. لقد جعلتها حفلة شتائم وسباب شخصي ..

وقرارات إضافية :

بين الثالث عشر من أيلول والسادس عشر منه ، أصدر مجلس الأمن قرارين إضافيين (٦٦٦) و(٦٦٧) يتعلقان بأزمة الخليج ، وقد تناول الأول موضوع (ضبط وتقنين) إرسال المواد الغذائية والطبية للعراق حيث تقول المادة ٦ من القرارات ٦٦٦ ما يلي :

المادة ٦ : يشير (مجلس الأمن) على اللجنة (أي اللجنة المسؤولة عن إمداد العراق والكويت بالمواد الغذائية أو الطبية) بأن تضع في اعتبارها عند صياغة قراراتها أنه ينبغي أن يتم توفير المواد الغذائية من خلال الأمم المتحدة بالتعاون مع اللجنة الدولية للصليب الأحمر ، وغيرها من الوكالات الإنسانية ، وأن يتم توزيعها بمعرفتها أو تحت إشرافها (لضمان) وصول هذه المواد الغذائية إلى المستفيدين المستهدفين .

ويلفت القرار نظر الدول الداعية (مثل الهند) لزيادة حجم المعونات الغذائية والطبية لكل من العراق والكويت (نظراً لنشوء ظروف إنسانية جديدة) بقوله :

(يؤكد مجلس الأمن أنه هو الذي يحدد وحده أو من خلال لجنته الخاصة بذلك ، ما إذا كانت قد نشأت ظروف إنسانية ..) جديدة في المنطقة .

أما القرار الثاني رقم (٦٦٧) فقد تناول موضوع المقار الدبلوماسية في الكويت ، وانتهاك الطرق لحصانتها الدبلوماسية !.. وحرمتها القانونية ..

وبإلقاء نظرة على الطريقة الانفعالية التي كتب القرار بروحها ، يستخلص المرء أنه ، إنما صيغ في أحد مكاتب وزارة الخارجية الأمريكية دون تعديل : .

وإذ يشعر بالسخط للانتهاكات الأخيرة من جانب العراق للمقار الدبلوماسية في

الكويت ولاختطافه موظفين يتمتعون بالحصانة الدبلوماسية ورعايا أجانب كانوا موجودين في هذه المقار .

وإذ يرى أن الإجراءات المتقدمة الذكر من جانب العراق تشكل أعمالاً عدوانية وانتهاكاً صارخاً لالتزاماته الدولية ، مما يقوض الأساس الذي تقوم عليه العلاقات الدولية وفقاً لميثاق الأمم المتحدة .

وإذ يشير إلى أن العراق مسؤول مسؤولية كاملة عن أي استخدام للعنف ضد الرعايا الأجانب أو ضد أي مبان للسفارات في الكويت أو ضد أفرادها .

وإذ هو مصمم على كفالة الاحترام لمقرراته وللمادة ٢٥ من ميثاق الأمم المتحدة .

وإذ يرى كذلك أن الطابع المتطير لإجراءات العراق ، التي تشكل تصعيداً جديداً لانتهاكاته للقانون الدولي ، يلزم المجلس لابالإعراب عن رد فعله المباشر فحسب بل أيضاً بالتشاور على وجه الاستعجال لاتخاذ تدابير محددة إضافية لضمان امتثال العراق لقرارات المجلس .

وإذ يتصرف وفقاً للفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة .

١ ــ يدين بشدة الأعمال العدوانية التي ارتكبها العراق ضد المقار الدبلوماسية وموظفيها في الكويت ، بما فيها اختطاف الرعايا الأجانب الموجودين في تلك الأماكن .

٢ ــ يطالب بالإفراج الفوري عن هؤلاء الرعايا الأجانب وكذلك عن جميع الرعايا المذكورين في القرار ٦٦٤ (١٩٩٠) .

٣ ــ يطالب كذلك بأن يمتثل العراق بصورة فورية وتامة لالتزاماته الدولية بموجب قرارات مجلس الأمن ٦٦٠ (١٩٩٠) و٦٦٢ (١٩٩٠) و٦٦٤ (١٩٩٠) واتفاقيتي فيينا للعلاقات الدبلوماسية والقنصلية والقانون الدولي .

٤ ــ يطالب كذلك بأن يقوم العراق على الفور بحماية سلامة وراحة الموظفين الدبلوماسيين والقنصليين والمقار الدبلوماسية والقنصلية في الكويت وفي العراق وبعدم اتخاذ أية تدابير لإعاقة البعثات الدبلوماسية والقنصلية عن أداء مهامها ، بما في ذلك اتصالها بمواطنيها وحماية أشخاصهم ومصالحهم .

٥ ــ يذكر جميع الدول بأنها ملزمة بالتقيد بدقة بالقرارات ٦٦١ (١٩٩٠) و٦٦٢ (١٩٩٠) ٦٦٤ (١٩٩٠) و٦٦٥ (١٩٩٠) و٦٦٦ (١٩٩٠) .
٦ ــ يقرر إجراء مشاورات مستعجلة من أجل اتخاذ إجراءات عملية ملموسة إضافية في أقرب وقت ممكن ، بموجب الفصل السابق من الميثاق رداً على استمرار انتهاك العراق للميثاق ولقرارات المجلس وللقانون الدولي .

ما بين القرارين (١٥ أيلول) كان عشرات الألوف من العمال اليمنيين يغادرون السعودية ، بسبب رفض السلطات السعودية تجديد رخص عملهم في المملكة ، فيما يذكر أن هناك حوالي مليوني عامل يمني في السعودية ، وفي الوقت نفسه ، قامت السلطات نفسها بإيقاف شحنات النفط إلى ميناء العقبة .

زلة لسان أم ماذا ؟ خلف اقتراحات السلام المدعاة :

في واشنطن ، استيقظ باول مبكراً ، وكان ذلك صبيحة يوم الأحد ١٦ أيلول ، بعد عودته ، من سفرة منهكة إلى السعودية ، على رنين الهاتف ، الذي راح صاحبه على الخط الآخر يقول :

ــ سيدي ، ثمة تقرير تبثه شبكة سي إن إن حول تصريحات يطلقها رئيس أركان الجو الجنرال مايكل دوغان عن خطط الحرب ضد العراق .

فرك باول بعينيه ، حيث لم يكن قد توازن بعد ، وصرخ :

ــ ماذا .. لم استوعب .. أعد ما قلته ..

استفاق باول على دوي انفجار عسكري ، كان يعتبره من بديهيات الأسرار لدى الطيارين العاديين ، فكيف إذا كانت الغلطة صادرة عن جنرال كبير مثل دوغان ..

انتظر باول مدة أربعين دقيقة ، ريثما تصله نسخة الواشنطن بوست التي وضعت عنواناً ضخماً لتصريح دوغان يقول :

(الولايات المتحدة تعتمد على الضربات الجوية الماحقة إذا نشبت الحرب) .

وبدأ باول بالقراءة :

(لقد توصل رؤساء هيئة الأركان المشتركة إلى أن القوة الجوية العسكرية الأمريكية ، بما

فيها حملة قصف مكثفة لبغداد ، تستهدف الرئيس العراقي صدام حسين بالتحديد ، هي الخيار الوحيد الفعال لإخراج القوات العراقية من الكويت ..) .

وبدهشة وذعر متزايدين تابع باول قراءته :

(إن رؤساء الأركان الآخرين ، بالإضافة إلى الجنرال شوارزكوف يتفقون معي (أي مع دوغان) بأن القوة الجوية هي الرد الوحيد المتاح أمام بلادنا لتجنب حرب برية دموية ، قد تدمر جانباً هاماً من قوات الحلفاء فضلاً عن تدمير الكويت) .

وباستسلام مرير تابع باول ما يقوله دوغان :

(لقد فرغ مخططو الأهداف الأمريكيون ، من وضع قائمة تضم أهدافاً عراقية تشمل حسب الأولوية : الدفاعات الجوية ، المطارات والطائرات الحربية العراقية ، مواقع الصواريخ المتوسطة ، بما فيها صواريخ (الحسين) ، ومراكز الاتصالات والقيادة ، ثم هناك المصانع الكيميائية والنووية ، ومصانع الذخيرة والتشكيلات المدرعة العراقية) .

ويتابع الجنرال دوغان تصريحه الناري قائلاً :

(إنها مع ذلك قائمة جيّدة من الأهداف ، يمكنني قبولها ، ولكنني وجدتها غير كافية ، ولهذا السبب ، طلبتُ إلى المخططين في أركان الجو لدينا ، أن يقابلوا أكاديميين وصحفيين وعسكريين سابقين **ومنشقين عراقيين ، ليقرروا ما هو الشيء الفريد الذي يحتل مكانة عالية في الثقافة العراقية . وما الشيء الذي يحدث أثراً نفسياً بالغاً على السكان والنظام في بغداد ؟ ..**

كان الهدف ــ يتابع دوغان ــ معرفة مركز الثقل ، حيث تستطيع القوة الجوية أن تحدث تأثيراً مفزعاً في وقت مبكر .. **لقد نصحتنا المصادر الاسرائيلية بأن افضل طريقة لإيذاء صدام تتمثل في استهداف أسرته وحرسه الشخصي وزوجته ، لأن صدام هو الشخص الأول والحاكم الفردي ، الذي عندما نختار العنف ، يجب أن يكون (أي صدام) محور جهودنا ، وهي استراتيجية عسكرية تعرف بضرب العنق ..**

إن سيطرة القوة الجوية ، يجب أن تعبّد الطريق إلى النصر) . وأضاف دوغان :

(إن الحاجة لاستخدام القوة الأرضية لاستعادة الكويت ، بعد الضربات الجوية

الماحقة ، ستكون حاجة كالية ! ، بعد أن تكون القوات المعادية قد أصبحت أثراً بعد عين ...) . واختتم دوغان تصريحه :

(أعتقد بأن الشعب الأميركي سيدعم هذه العملية أطول مما يعتقد البعض .. فالشعب الأميركي سيؤيد هذه العملية ، طالما أن أكياس الجثث التي وعد بها صدام لن تصل إلى البلاد) .

وبدا على وجه باول المندهش ، أمارات الاستياء والغضب ، ولم يكن ليصدق بأن جنرالاً كبيراً مثل دوغان يمكن أن يفعل ذلك .. فقد قام باول منذ أسبوعين بتهنئة دوغان على سياسته الحصيفة تجاه الإعلام الأميركي لكنه كان يذّكره دائماً ، بأن الرئيس هو صاحب القرار ، للحد من جموحه .. غير أن رئيس أركان الجو ، الذي بدا مختالاً أمام ثلاثة أرباع القوة الجوية الأمريكية الضخمة التي جاءت إلى الخليج ، كان قد فقد إحساسه بضرورة الحفاظ على الأسرار العسكرية ، **لعدم لزومها** ، في حالة يأتي العالم مع الولايات المتحدة ، لمحاربة بلد من بلدان العالم الثالث .. ولم يكن دوغان مخطئاً في استنتاجه هذا ، فالأسرار واجبة الصون ، في حالة خصمٍ مكافىء .. ما عدا ذلك ، فإنه (يمكننا القيام بلعبة بوكر على المكشوف) ...

غير أن ذلك ، كان يتناقض مع شيء آخر ، غير الدواعي الأمنية العسكرية ، كان يتناقض مع أهم ما يريد بوش إخفاؤه . ألا وهو (كسب وقت السلام) في سبيل الحرب ...

اتصل باول مع شيني بعد ساعة من نهاية التقرير وقال له :

ــ هل قرأت الواشنطن بوست ؟

أجاب شيني :

ــ لا لم أقرأها .

وراح باول يحكي خلاصة التصريح لشيني ..

طلب شيني نسخة من صحيفة الواشنطن بوست ، وقرأ التصريح مرتين ، فاستشاط غضباً ، وعلى الفور قام بتدوير قرص التلفون الخاص بمكتب سكاوكروفت الرجل الأول في مجلس الأمن القومي الأمريكي ..

لاحظ سكاوكروفت ، بأن شيني بدا عصبياً ، أثناء إعلامه بتصريح دوغان .. ورد عليه (علماً بأن سكاوكروفت كان متجاوباً مع مبررات غضب شيني) قائلاً :

ـــ أمامي الآن : بعد ساعة ، برنامج (واجه الأمة) وكحد أدنى أستطيع أن أعدك ، بأن أقول معلقاً على التصريح ، بأن دوغان لايمثل سلسلة القيادة في الحكومة ..

عاد شيني بعد أن سمع ما قاله سكاوكروفت في برنامج (واجه الأمة) من أن دوغان (لايمثل الحكومة) ، واتصل بالرئيس الذي كان يلعب التنس في كامب ديفيد ..

كان بوش قد قرأ القصة في الواشنطن بوست ، لكنه كان يعتقد بأن ذلك (مكيدة) لإخافة صدام .. وأن البنتاغون هو مخترع هذه المكيدة ، ولكنه عاد عن رأيه حين أمعن النظر بتصريحات دوغان (الحقيقية) (ياإلهي إنه لايكذب .. كل ما قاله كان صحيحاً) .

لم تطل فترة حيرة بوش ، حين كان جرس الهاتف يرن للمرة الثانية ، وكان شيني على الخط الآخر .

شرح شيني بإيجاز ، قصة التصريحات ، وعندما سأله بوش فيما إذا كان في الأمر خدعة ، أجاب شيني :

ـــ كلا سيدي ، إنها لسوء الحظ ليست خدعة .. ثم أردف : إن التعليقات متطرفة جداً ، وهي تنذر بالسوء ، وقال :

ـــ إنني أرى من المناسب إعفاء الجنرال دوغان من منصبه ، هل تمانع بذلك ؟

أجاب بوش بالنفي ..

هكذا ظل شيني يعتقد أن هذا (المدفع الفالت) يجب إزاحته من المسؤولية الجوّية ، وراح يكتب على ورقة رسمية :

جنرال دوغان .

ـــ لقد أظهرت رأياً مشيناً .

ـــ لقد ناقشت خطط العمليات وأولويات الأهداف علناً .

ـــ لقد نصّبت نفسك رئيساً لهيئة الأركان المشتركة وقائداً عاماً للساحة .

ـــ هذا مثال صارخ على سوء الانضباط العسكري .

ـــ إنك تتعامل مع احتمال وقوع خسائر فظيعة بطريقة متعجرفة ..

ـــ قلت إنك ستنتهك الأمر التنفيذي الذي يُحظّر (المشاركة) في عمليات الاغتيال : (إذ إن بوش كان قد وافق على خطة اغتيال تدبرها السي آي إيه لصدام حسين ، شريطة أن تتم بأيدٍ عراقية ـــ المؤلف) .

ـــ احتمال كشف معلومات عن حجم قواتنا وتنظيمها .

ـــ لقد قمت بتشويه دور الأجهزة الأخرى .

ـــ أثرت أموراً بالغة الحساسية ، حين تحدثت عن معلومات من إسرائيل تتعلق بالأهداف العراقية .

وطوى شيني ورقة الملاحظات الانضباطية ، وطلب إلى مساعده العسكري الجنرال لويز استدعاء دوغان (إلى مكتبي صباحاً الساعة الثامنة) .

أعلم شيني نائبه في وزارة الدفاع ورئيس هيئة الأركان المشتركة الجنرال باول بعزمه على إعفاء الجنرال دوغان من منصبه ..

عندما وصل دوغان إلى مكتب شيني ، ظل واقفاً ، حين راح وزير الدفاع يقلب أوراقاً بين يديه .. ثم بدأ باستعراض تصريحاته نقطة نقطة ، ووجه لدوغان السؤال التالي :

ـــ هل أطلقت فعلاً هذه التصريحات المنسوبة إليك .

وردّ دوغان :

ـــ نعم سيدي ، لقد فعلت ..

وتناول شيني ورقة ملاحظاته الانضباطية وصار يتلوها واحدة واحدة .. وبعد أن فرغ من تعدادها ، نظر إلى الجنرال الواقف بقسوة وقال :

ـــ لقد كنت توحي من خلال تصريحاتك ، وبطريقة استخفافية ، بأن القوات العراقية هي قوات واهية .. وهي ليست كذلك ..

وصمت دوغان ولم يجب ..

وقذف شيني قراره الأخير بوجه دوغان :

ـ إذا كنتَ ، كرئيس لأركان سلاح الجو ، لاتأخذ كل ذلك على محمل الجديّة ، فلست الشخص المناسب لقيادة سلاح الجو في المستقبل .. جنرال دوغان أنت معفي من مسؤولياتك ..

تركيا على خطوط التحولات العالمية

هنـاك شـيء اسمـه خريطـة أوزال لكونفدرالية عراقية على أساس ثلاث منـاطق ، واحـدة عربيـة ، وأخرى كردية ، وثـالثـة تركيـة ، كما أن هذه الخريطـة ، بُحثت كفكرة مع الرئيس الأمريكي بوش .

جريدة حريت التركية شباط ١٩٩١

في ٢١ أيلول ١٩٩٠ بدأت تركيا أكبر حشد لها على الحدود العراقية وقد بلغ الحشد بحسب بعض المصادر الغربية زهاء ستين ألف جندي مع الدبابات والمدفعية وناقلات الجنود .. هذا وستضع تركيا قاعدة (انجرلك) الشهيرة في خدمة طيران التحالف طوال اندلاع القتال مع العراق .. وكانت من قبل قد أغلقت أنابيب النفط العراقية المارة في أراضيها ، وذلك بتنسيق مشترك مع العربية السعودية ، بناء على رغبة الإدارة الأمريكية في تشديد الحصار على العراق ..

وفي الحقيقـة فقد كانت أزمة الخليج تشكل فرصـة مناسبة لبلورة ظروف عملية التحول التركية بحيث تكون شيئاً آخر غير الانكفاء في معادلة الشرق الأوسط ..

فعلى أثر الخيبة العميقة التي هزّت أركان المدرسة السياسية في أنقرة ، نتيجة انخفاض القيمة الاستراتيجية لتركيا بعد تحولات أوروبا الشرقية ، وذروتها في الوحدة الألمانية ، راحت النظرة التركيـة للسعي وراء الغرب تضعف تدريجيـاً ، خاصـة وأن المبادلات التجارية التركية مع إيران والشرق الأوسط ، قفزت من بضعة ملايين الدولارات في عقد السبعينات ، إلى ما يفوق خمسة مليارات دولار أواسط الثمانينات ، إذ في السنتين الأخيرتين من هذا العقد ، بلغ رقم التبادل التجاري مع إيران وحدها زهاء ملياري دولار ..

لم يعد الرهان التركي إثر أزمة الخليج ، يقتصر على تفعيل دور تركيا لاستثماره في تمتين الروابط مع الغرب ، بل بات يسعى لاحتلال مركز (الدولة النجم) في سماء الشرق الأوسط ، ولم يكن ذلك يعني العزوف عن محاولات الاشـتراك في الركب المتطور للسوق الأوروبية ، وقطف ثمار التحديث من جراء هذه المشاركة ، إلا أن الاستدارة التركية ، كانت تذهب إلى إعادة تركيب المعادلة الأورو ـــ آسية ، في اتجاه ترجيح الكفة الشرقية ، مع العمل من أجل الانضمام إلى نادي الأقوياء الأوروبي رغم عقبة أثينا المستعصية ..

كانت رؤية أوزال للسياسة التركية لاتدخل في دائرة الشرق الأوسط على أن تركيا رصيد من الدين والتاريخ والجغرافية .. وبالتالي ، فهي بديل عن الهوية الأوروبية ، بل بتقديم هذا الخيـار الآسيوي (بما فيـه النظر إلى الجمهوريات الإسـلامية السوفييتية سابقاً ، على أنها أثر صالح من آثار الامبراطورية العثمانية) على تثبيت الهوية الأوروبية ..

ويقول ميشيل نوفل في بحثه الشيق تركيا تبدل استراتيجي (شؤون الأوسط عدد نيســان) (لقد ظل أوزال يعتقد بأن المفـارقة التركيـة ـــ الأوروبية هي في الجوهر ثقـافيـة ـــ دينيـة ومؤداها أن بلاد الأناضول المسـلمة لن تجد لها مقعداً في المنظومة الأوروبيـة ما دامت لاتستجيب للمقـاييس المتعارف عليها في (النادي المسيحي) المتجذر في التركيبة الحضارية اليونانية ـــ الرومانية ، ومن هنا فإن المشكلة الأساسية

التي باتت تواجه تركيا ، هي أن أوروبا في النهاية ، تحمل التزامات تاريخية ، لاتستطيع الخروج عليها ، خاصة إذا كان الخيار واقعاً بين حضارتين ، هيلينية أو إسلامية ..) .

ولهذا ، فإن أوزال راح يرنو (لتركيا أوروبية) في الشرق الأوسط ، وهو أفضل مخرج لمأزق (تركيا الشرقية) في أوروبا .. ولم يلبث الخطاب السياسي الأوزالي ، أن وجد مصداقيته في توجيه ديناميكية الاقتصاد التركي والإمكانات التكنولوجية نحو الشرق حيث يستهدف مشروع (الغاب الإنمائي) في الحوض الأعلى لنهري الفرات ودجلة تأمين شبكة الخدمات والاتصالات الضرورية لتحويل جنوب شرقي الأناضول إلى قاعدة متطورة تعمل على تأمين حركة التبادل مع العالم العربي وإيران .. هذا وتطمح الخطط المتدرجة للمشروع الطويل الأمد إلى تأهيل البنى الاقتصادية التركية لبلوغ المستوى الأوروبي في العديد من الصناعات ، كالصناعات الغذائية والكسائية والطبية .. كذلك تطلّعت تركيا ــ أوزال ، إلى نظرية التحكم بمصادر المياه الرئيسية في المنطقة لمعالجة المشكلة الحيوية التي يطرحها النقص المتزايد في المخزون المائي للشرق الأوسط ..

وتكاملت هذه المقاربة في مرحلة أزمة الخليج ، إذ تجلى بُعدها السياسي في الموقف المتشدد الذي اتخذه أوزال من العراق منذ البداية (إغلاق أنابيب النفط والدعوة لضرب العراق حيث لن تفلح العقوبات في ثنيه عما ذهب إليه ــ حسب أوزال) .

وها هو قطب آخر ، من أقطاب الإقليمية القوية في المنطقة ينزاح عن الطريق .. فالعراق (كذلك إيران) هي قوى إقليمية مرشحة للعب أكبر الأدوار في المنطقة ، ، وليس سراً ، أن أوزال ظل من المحرضين الرئيسيين ، طوال أزمة الخليج ، للذهاب إلى خيار الحرب ، كما قبل بدور المواجهة التي اضطلعت به تركيا أثناء الحرب ، **وهو دور كان يُفترض أن تقاس أهميته بالمخاوف التي أبدتها أثينا في شأن احتمال اختلال التوازن في الحوض الشرقي للمتوسط ، وبتلك التي تدعو موسكو إلى التزام الحذر حيال تحرك (التيس التركي ــ ابن المقفع) الذي سيستفيق على صوت قعقعة السلاح .**

هكذا مهدت أنقرة في اضطلاعها بدور عسكري في الأزمة ، لتمهيد الطريق أمامها

من أجل المشاركة في إدارة الأزمة اللاحقة لحرب الخليج .. وكان من أبرز طروحاتها ، مسألة التعاون الاقتصادي كعامل أساسي في بناء النظام الإقليمي الجديد ، (على أن يستمد إلهامه من تجربة الديمقراطية التركية) ..

كانت التجربة الديمقراطية التركية ، تقول بضرورة حل المشكلة الكردية في العراق (٣ ملايين) ولم تأت على ذكر المشكلة الكردية في تركيا (٦ ملايين كردي) !..

بصورة أدق ، فقد راح أوزال يصرح بأن (المنطقة الكردية في تركية متطورة جداً ولاضرورة لحكم ذاتي) ــ (حوار مفتوح مع هدى الحسيني ــ جريدة الشرق الأوسط تاريخ ١٩٩١/٤/٢٩ العدد ٥٤٣٥) .

كما ظل يشرح : (نحن نختلف عن العراق وإيران ، بمعنى أن تركيا دولة مسلمة سنيّة ، الأكراد من السنّة ، أما العراق فأغلبيته من الشيعة وكذلك إيران ، لهذا نلاحظ اندماجاً أكثر للأكراد في المجتمع التركي ، حتى جدتي ربما كانت كردية ، إذن الاندماج حاصل منذ زمن بعيد ، الدين في بعض الأحيان أكثر أهمية من القومية ، مثلاً ما يحصل في إيرلندا الشمالية حرب كاثوليكية ــ بروتستانتية (نفس المصدر) **ولم تكن مياه غزيرة قد جرت في سيحان وجيحان ، عقب هذه المقابلات ، حتى كانت جدة أوزال الكردية تنفخ في نار البارود الملعلع في شرق الأناضول ، ليخرّ أكثر من عشرين جندي تركي مضرجين بدمائهم على أيدي (ثوار أكراد تركيا) في معركة واحدة !..**

لقد استفاقت تركيا بعد اضطلاعها بدور عسكري هام في حرب الخليج على حقيقتين :

الأولى : أنها لن تستطيع التفرد بنظام إقليمي في المنطقة وأن المثلث المتساوي الأضلاع في منظومة المنطقة الشرقية للمتوسط يبقى استراتيجية ذات أهمية بالغة بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية « إذ تم منح المكافأة المالية لتركيا زهاء ٤ مليارات دولار وذلك كثواب على دورها في الأزمة وليس ثمة ثواب غيره » .

الثانية : هي أن اندماج الأقلية الكردية بالأكثرية التركية « السنية »

لم يكن أكثر من وهم دار في مخيلة أوزال أكثر من دورانه على أرض المجابهات الحقيقية جنوب شرقي الأناضول .. وأن الغفوة الكردية هناك ، لم تكن أكثر من مسألة وقت .. للتحضير ..

وبدافع من هاتين الحقيقيتين ، راحت تركيا تبحث عن مغنم راهن ، يتبدى في طرح (الكونفدرالية العراقية !..) بين ثلاث مناطق : منطقة كردية وتضم السليمانية وأربيل ، ومنطقة تركية وتضم كركوك والموصل ومنطقة عربية تضم المحافظات الأخرى !.. كما نشرت جريدة حريث التركية ، إضافة لذلك ، أن هذه الخريطة الأوزالية قد تم التشاور بصددها مع الرئيس الأمريكي بوش ولم تسفر المشاورة عن موقف واضح حتى الآن . (جريدة الشعب الأردنية بتاريخ ١٩٩١/٥/٢٠) .

قمة صغيرة في الرباط :

في العشرين من أيلول ، تم اجتماع قمة مصغرة في مدينة الرباط ، وضمت هذه القمة كلاً من الملك الحسن والملك حسين والرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد ..

لقد تناول المجتمعون آخر مستجدات الأزمة الخليجية ، ومسار التصعيد الذي أخذت الولايات المتحدة باتباعه ، فقد بلغ عدد القوات الأمريكية حتى تلك اللحظة زهاء مئة وخمسين ألف جندي ، مع خمس حاملات طائرات راحت تجوب بحار المنطقة بدءاً من الخليج العربي إلى البحر الأحمر فالبحر الأبيض المتوسط .

وتوصل المجتمعون ، بعد تحليل العوامل والنوايا ، إلى أن المنطقة ، لابد مقبلة على مخاطر محدقة ، ونتيجة لذلك فقد اتفق الثلاثة على القيام بمحاولة عربية جديدة .. وكان الاتفاق .. أن يسافر الملك حسين ، نيابه عن الجميع للتحدث مع الرئيس العراقي بما استقر عليه الرأي في الرباط .

عاد الملك حسين إلى عمان ، ورأى أن يكتب رسالة إلى الرئيس العراقي ، يعلمه فيها ، بنتائج اجتماع قمة الرباط ، وما عقد عليه العزم للمضي قدماً في محاولة عربية جديدة ، للوصول إلى حل عربي بصدد الأزمة الناشبة وكتب الملك حسين نص الرسالة :

سيادة الأخ العزيز الرئيس صدام حسين حفظه الله ورعاه

تحية المودة والأخوة ، عربية هاشمية أبعث بها إليك وبعد ،

فقد عدت لتوّي من لقاء الرباط الذي دعاني إليها جلالة الملك الحسن الثاني ، مثلما دعا إليه فخامة الرئيس الشاذلي بن جديد ، وقد كان موضوع اللقاء البحث في أزمة الخليج التي أصبحت أزمة الأمة العربية منذ تفجرها في الثاني من آب الماضي حين احتلت القوات العراقية الكويت وبدأ مسلسل الانزلاق نحو المظلم المجهول ، وما رافقه من قلق لاينتهي ، بل يزداد حدّة مع كل يوم وساعة ونحن نرى أن ما تمكنت أمتنا من تحقيقه بنضالها في مطلع هذا القرن ، مهدّد بالزوال أو الاندثار . ويحدث ذلك بعيد انتهاء فترة الحرب الباردة ، في الوقت الذي يعيش العالم فيه مرحلة انبثاق حقبة جديدة ، تتشكل فيها ملامح نظام عالمي جديد ، وتوضع للعبة الدولية فيه قواعد وقوانين تختلف عما عهدنا في الحقبة التي انحسرت ثم غربت .

وفي ظل هذه الأجواء ، ومع بواكير حقبة الأمل والوعد الجديد ، تأتي أزمة الخليج بالشكل الذي تطورت إليه ، لتمتحن العالم في توجهه ونزوعه . وأقول العالم ، لأن أزمة الخليج تتمحور حول النفط الذي تحتاجه كل الشعوب وبشكل أكثر من أي وقت مضى أهم مرتكزات الحقبة الجديدة التي تتطلع فيها الشعوب للعيش في عالم يسوده السلام والتعاون والبناء من أجل حياة أفضل للإنسان ، في منأى عن المجابهة والمنازعات التي أنهكته واستنزفت طاقاته في العهد الذي مضى .

وبناء عليه ، فإن منطقتنا العربية وفق مقاييس هذه الحقبة الجديدة ، قد أصبحت ذات أهمية قصوى لهذا العالم ، ليس فقط بسبب موقعها واتساع رقعتها وحجم سوقها التجاري ، بل لمخزونها النفطي الهائل الذي يقدر بثلثي احتياطي النفط العالمي أو يزيد ، وينعكس الاهتمام العالمي بمنطقتنا على صور شتى من أهمها الحرص على استقرارها ضمن الأطر التي ترتضيها الدول الصناعية الكبرى ، ومنها محاولات التحكم في مسار نهوضها الاقتصادي والاجتماعي والعسكري والعلمي والثقافي ، بحيث ينسجم مع تصورات هذه الدول ومطامحها ولايتعارض مع مطامعها ، ومنها تعزيز علاقاتها مع دول الجوار من غير العرب ، كي تبقى هذه الدول مصادر تهديد وإزعاج وابتزاز للعرب ، سواء فيما يتعلق

بقدرتها على التحكم بمصادر المياه المنسابة إلى الأرض العربية ، أو في ما يتصل بقدرتها العسكرية ، كما هو الحال مع إسرائيل على شن الاعتداءات المسلحة ومواصلة التوسع على حساب الأرض العربية ، أو فيما يتصل بتطلعات بعضها للقضاء على البعد القومي العربي وحلم الأمة العربية الموحدة وتذويب الشخصية العربية المتميزة باسم الدين ، أو تمزيق الجسم العربي بالعمل على تجزئة المنطقة ضمن الأطر العرقية .

على هذه الخلفية التي أعلم أنكم أكثر من يدرك تفاصيلها وأبعادها ، جاءت أزمة الخليج لترى فيها الدول الكبرى والصناعية ، الفرصة الذهبية لإعادة تنظيم المنطقة ، وفق مخططات خبيثة تتناسب مع تطلعاتها ومصالحها ، على حساب تطلعات ومصالح الشعوب العربية ، ولترى فيها أيضاً الفرصة السانحة لوضع وترسيخ قواعد اللعبة الدولية وبلورة نمط التعاون مع منطقتنا في العهد الجديد ...

وتابع الملك يقول :

إن هذا ليس رأيي فقط ، بل هو رأي جلالة الملك الحسن الثاني والرئيس الشاذلي بن جديد ، وبالتأكيد هو رأي الجماهير العربية ، فالعراق الذي يحتل هذا الموقع المتميز في القلوب يجعلنا نؤمن بأن العراق ما عاد ملك نفسه وأن قيادته ما عادت للعراق فقط . فالعراق وقيادته أصبحا لكل العرب في كل أقطارهم . ومن هنا يأتي شعورنا الصادق بالقلق عليهما وبضرورة حمايتهما والحفاظ عليهما وبحقنا في إبداء رأينا بما يدور ، كيلا تقع الكارثة التي إذا أصابت العراق ـــ لاسمح الله ـــ فإنها ستصيبنا جميعاً .

وبناء على هذا الفهم والتحليل والتقييم الذي شاطرني إياه جلالة الملك الحسن الثاني وسيادة الرئيس الشاذلي بن جديد . وعلى ضوء تطور الأزمة ووعينا الكامل على مضاعفاتها ومكتنفاتها التي ذكرت ، ومن منطلق حرصنا الأكيد على المحافظة على سلامة العراق وما يمثل ، فقد كلفت من قبلهما بطرح السؤال التالي على سيادتكم كبداية لجهد عربي جماعي مخلص ، وكلنا أمل ورجاء بالتكرم بالإجابة السريعة عليه . ما هي طلبات العراق المحددة والمعقولة والمقبولة من دولة الكويت ؟ سواء بالنسبة إلى حدوده معها ، وحاجته إلى ممر حرّ للمياه العميقة في الخليج أو بالنسبة للديون

والتعويضات المالية عن نفط حقل الرميلة أو غير ذلك إن وجد ؟ وبمعنى آخر : ما هي الطلبات العراقية بحدودها النهائية المعقولة والواقعية ، والتي يمكن أن تلقى قبولاً لدى القادة العرب ، الذين اجتمعت بهم قبل زيارتي الأخيرة لكم كي أتبناها مع جلالة الملك الحسن الثاني والرئيس الشاذلي بن جديد ونتحرك بها لإقناع الطرف المعني بها والقـادة العرب الآخرين سعياً للتوصـل إلى حل عربي للمشكلة قبل فوات الأوان ، وضيـاع الفرصــة التي أخشى ما أخشـاه ، أن تضيع وينزلق الوضع في هوّة المجابهة العسكرية المدمرة ، التي ستجلب الخسائر والكوارث ليس لعراق الأمل والرجاء وحده ، بل للأمة العربية بأسرها ..

ومضت الرسالة تقول :

أخي أبا عدي ،،

لقد أصـابني والأردن مثلما أصـاب إخوتك في اليمن ضرّ بالغ ، لايقل في حدّته وحجمه عما أصابك وأصاب العراق الحبيب ، فهل تتجاوب معنا لما فيه مصلحتك وخيرك ومصلحة وخير العراق وشعبه الذي وحّدت وقدت ، والذي قدم تحت قيادتك وبكل الرضا والسخاء ما قدم من تضحيات جسام ودماء زكية ؟ هذا ما أرجوه من صميم فؤادي .

لقد قلت لك عند وداعي لك في آخر مرة سعدت بزيارتي فيها لك : أرجو أن تطلبني إذا شعرت بحاجة إليّ . وغادرت بغداد إلى الأردن مهموماً محزوناً ، فيما كنت أتمنى أن أواصل التحرك لمنع التدهور الذي مازال يجري منذ ذلك الوقت ، فهل تسمع ندائي ونداء كل عربي مخلص قبل فوات الأوان ؟ وهل يمكن أن نعمل معاً لاستعادة الأصدقاء الذين فقدنا منذ تفجر الأزمة وكسب أصدقاء جدد ؟ إن لكم أشقاء يعانون أكثر مما تعانون منه مباشرة ، تألماً مما يهددك ، ومما يحيق بالعراق والأمة من أخطار ، فهل تعطينا الفرصـة لنتحرك نحو تصويب الأمور ، وفتح أقنية التواصـل بينكم وبين أشقائكم في منطقة الخليج الذين أصيبوا بالذعر والصدمة مما حدث فوقعوا مثلما وقع العراق في حبائل التواجد العسكري الأجنبي الضخم والمتزايد ؟.

هذه الأسئـلة أوجههـا لسيـادتكـم كتابة ، ولاأعتقد أنه يخفى على أخي حجم

المسؤولية التاريخية المترتبة على جوابه . فإن شئتم وحدّدتم إجاباتكم بشكل إيجابي ، فسأتحرك للالتقاء بكم وأخذ الأجوبة منكم مباشرة ، وإذا ارتأيت أن ترسلها مع رسول منكم ، فأرجوا أن يتم ذلك بأسرع ما يمكن . أما إذا ارتأيتم خلاف ذلك فلا حول ولا قوة إلا بالله . وحينئذ لاأجد حاجة للتحرك نحوكم حتى لاأكون مضطراً عند عودتي أن أقول بألا أمل في حل عربي ، وهو ما طلب مني أن أقوله بإلحاح ورفضته ورفضه إخواني الذين زرتهم سابقاً ولاحقاً ، وحتى لا يشكل مثل هذا القول الضوء الأخضر والمبرر للانفجار الكبير الذي جرت التهيئة له بكل إتقان ، وحتى لانكون سبباً في الأقدار التي نخشى أن تكون على درجة عالية من القسوة .

وفقكم الله وأعانكم ، وألهمنا جميعاً سداد القرار وصواب العمل ، وأخذ بيدنا في سعينا لنيل مرضاته ، وتقبلوا صادق مودتي ومحبتي ، والله يحفظكم ويرعاكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

الحسين بن طلال

عمان في ٣ ربيع الأول سنة ١٤١١ هجرية

الموافق ٢٢ أيلول سنة ١٩٩٠ ميلادية

كانت القيادة العراقية حين وصول رسالة الملك حسين (التي تعبر عن رأي المغرب والجزائر والأردن) قد عقدت سلسلة من الاجتماعات الطارئة لدراسة الأوضاع المستجدة ، وخاصة تلك التي تتصل بتطور الوضع الميداني على أرض السعودية والمنطقة :

ــ كانت السفن الأمريكية والاسترالية قد بدأت بإطلاق النار التحذيرية على الناقلات العراقية ، مع صعود جنود البحرية على ظهر الناقلات الأخرى بالقوة (القوة الأمريكية أصبحت ١٥٠ ألف جندي) .

ــ أعلنت بريطانيا من جهتها عن إرسال الفوج السابع المدرع والمكون من ١٢٠ دبابة من نوع شالنجر مع ٨٠٠ جندي وضابط من جنود الكوماندوس البريطاني (فئران الصحراء) ..

ـــ أرسلت كندا ١٢ طائرة من طراز سي إف ١٨ إلى مطارات السعودية .
ـــ أعلنت إيطاليا عن إرسال مدمرة جديدة بحماية ثماني طائرات من نوع تورنادو .
ـــ بلغت القوة الفرنسية حتى تاريخه ١٣ ألف مقاتل مع ١٤ سفينة حربية .
ـــ حشدت تركيا على حدودها مع العراق ستين ألف جندي مع الدبابات والمدفعية وطائرات الهليوكبتر ..
ـــ طلب كول مستشار ألمانيا تعديل دستور عام ١٩٤٩ ليتاح له إرسال قوات ألمانية خارج نطاق حلف الأطلسي .
ـــ وكانت لتصريحات الجنرال دوغان عن نوايا الولايات المتحدة وخططها الجوية التدميرية والوحشية وقع السخط المزلزل لا في العراق فحسب ، بل وعلى صعيد العالم بأسره .. على الصعيد السياسي في المنطقة والعالم :
ـــ كان مجلس الأمن الدولي ، يتخذ قراراته المتصاعدة ضد العراق ، بسرعة زمنية نادرة ، ولم يعد يخامر الشك أحداً ، من أن هذه القرارات باتت تصاغ في دوائر الخارجية الأمريكية دون تعديل .
ـــ كان البنتاغون يقرر مبيعات السلاح إلى السعودية بمليارات الدولارات (٢٠ مليار دولار) مع احتجاجات إسرائيلية هدفها ذر الرماد في العيون ليس أكثر ..
ـــ كانت السعودية قد شرعت في الإيعاز لمواطنيها من أرباب العمل ، والشركات الخاصة والحكومية ، بعدم تجديد رخص العمل لكل من اليمنيين والأردنيين والفلسطينيين .. كما بدأت بإيقاف شحنات النفط إلى الأردن .
ـــ بدأت حكومات المجموعة الأوروبية بطرد الدبلوماسيين والرعايا العراقيين من بلادها .
ـــ حتى السنغال أعلن في هذه الفترة عن إرسال ٥٠٠ جندي سنغالي إلى منطقة الخليج للانضمام إلى قوات التحالف هناك .

وكانت القيادة العراقية قد توصلت إلى استنتاجات مفادها :
ـــ لم تعد المشكلة في المنطقة هي مشكلة العراق والكويت ..
ـــ إن الانسحاب بات يعني هزيمة كاملة دون حرب ..

ـ إن الولايات المتحدة هي خصم المعركة الرئيسي ، وإنها لم تعد تسأل عن الانسحاب بمقدار ما هي جادة في تدمير العراق ..
ـ لم يعد بمقدور أي مسؤول عربي ، مهما خلصت نواياه ، من التأثير في مقدارات الظروف ، التي بدأت أمريكا بخلقها يوماً إثر يوم من أجل الذهاب إلى ساحة الحرب .
ـ آخر الآمال ، هي حركة الجماهير العربية والإسلامية ، التي مازال بمقدورها التأثير على مسار الأزمة .

وحمل طارق عزيز ، كل هذه الاستنتاجات ، مشفوعة بوقائعها على الأرض ، وراح يشرح للملك حسين خلاصة ما توصلت إليه القيادة العراقية قائلاً :
ـ جلالة الملك ، بمنتهى الألم أقول ، إن البحث عن حل عربي ، لم يعد فيه رجاء ، لقد خرج الأمر من أيديهم منذ ساعات الأزمة الأولى ، وفضلوا تركه للأمريكيين نهائياً ..

فإذا أتيحت فرصة للحل ، فلابد أن تجيء من مصدر آخر .

وخبت بارقة الأمل التي سطعت في سماء الرباط لتنطفئ في دياجير العتمة في الخليج ..

الجنرالات يريدون تحديدات أدق للمهمة ..:

لم يكن قد مر الأسبوع الثالث من شهر أيلول ، حتى كانت تصريحات بوش ، تبعث على البلبلة والحيرة ، في صفوف القادة المحترفين من الجنرالات الأمريكيين في الخليج .. كان شوارزكوف هائجاً ، تجاه الطلبات المتزايدة من قبل البنتاغون ، دون إعطائه مهلة كافية للرد عليها ، وكانت القيادة العسكرية العليا في البنتاغون (جنرال باول) تخشى من خطوات الانزلاق التصعيدي بشأن المهمات العسكرية في الخليج ، لقد سطع نجم هؤلاء الجنرالات خلال الحرب الفيتنامية وبعيد انتهائها ، لكن الجميع كان يتذكر كيف أن الإدارة الأمريكية وقتها ، كانت في محاولة منها لتجنب موافقات الكونغرس ، تنزلق إلى الحرب الشاملة بالتقسيط ، وكانت الاعتمادات المالية اللازمة للإنفاق على الحرب ، تؤخذ مرحلةً بعد أخرى ، غير أن بوش (الصامت) كان يدرك

الفرق بين مصـــادر تمويل حرب فيتنام (الأمريكية) ومصـادر تمويل حرب الخليج (العربية) .. كانت السعودية والكويت إضافة إلى بلدان الخليج (مع ألمانيا واليابان وكوريا) على استعداد لتمويل كافة نفقات الحرب ، كما تقرها وزارة المالية الأمريكية دون نقاش !..

كان شوارزكوف متزايد الهياج ، إزاء مدى الحشد العراقي الذي بلغ ذروته ، وراح يتساءل عن أهداف أمريكا الحربية ومستويات قوتها المرصودة لإنجاح هذه الأهداف .. ومع أن المهمـة العسكرية المعـلنة كانت ماتزال الدفاع عن السعودية فقط ، **إلا أن شوارزكوف كان يدرك مدى أهمية التصريحات الساخنة الصادرة عن الرئيس الأمريكي ، والتي تقرّب المهمة من تحرير الكويت ..**

كان الجنرال باول ، يطرح مسألة الاحتواء دون خطّة أو مذكرة أو ورقة رسمية .. كل ما تناوله وهو ذاهب إلى مكتب شيني هي ورقة مكتوبة بخط اليد .

وكانت الورقة تشرح :

ما لم يتم التـأكد من أن العقوبات ضـد العراق ، قد فشـلت فسوف يكون من الصعب التوجه إلى الحرب ، وإذا كان هناك فرصة أمام إمكانية نجاح العقوبات ، فقد يكون هناك التزام بمواصلة الانتظار ، على الأقل إلى فترة معيّنة ، فالقيام بأي شيء قبل أوانه ، حين يكون هناك فرصة لتحقيق الأهداف السياسية بواسطة العقوبات ، يمكن أن يكون غلطة فادحة .

ورد شيني قائلاً :

ـــ ليس لدي فكرة ناجزة ، لكني أعتقد بأن الرئيس لن يقبل بهذا السيناريو ..

وحاول باول إقناع شيني بعد أن قام بعرض موسع لنظرية الاحتواء (التي هي بديل الخيار العسكري) .

واكتفى شيني بالرد الحيادي قائلاً :

ـــ أوه يا عزيزي باول ، إنها طريقة أخرى لتقليب أوجه المسألة ..

ثم غادر باول مكتب شيني متوجهاً إلى وزارة الخارجية لمقابلة الوزير بيكر ، بعد موعد كان متفقاً عليه ، فقد كان بيكر حليف باول الرئيسي ، حيث طريقة التفكير

حول العديد من القضايا كانت متشابهة إلى حد كبير ، والشيء المشترك بينهما ، هو أن كلاً منهما ، كان يفضل عقد الصفقات على المواجهة أو الصراع ، وقد توصل بيكر خلال تطور الأزمة ، إلى قناعة مفادها ، هي أن الحديث عن استخدام خيار عسكري هجومي أو عن تطوره ، لن يكون في صالح العهد العالمي الجديد ، وأن على الدبلوماسية ـــ في هذا العهد ـــ أن تحقق نجاح السياسة حيث أن أكثر السياسات أضيراراً بالنتائج هي السياسات المتبعة عن طريق فوهة المدفع ـــ بيكر) .

وراح بيكر يتساءل مع رجال الخارجية ، كيف يمكن تقديم أفضل مزايا سياسة الاحتواء لعرضها على الرئيس ..

شعر باول بعد أسبوع من النقاش الحار ، أن أفكاره لاتلقى ترحيباً من قبل القمة ، واستطاع أن يلمس بكل وضوح ، أن الرئيس مصمم على رأيه بتحرير الكويت ، وعلق قائلاً : (ها هي العواطف الرئاسية تقود سفينة السياسة وسط الأنواء العاصفة من جديد) (القادة بوب وودورد ـــ ص ٢١٠ ترجمة محمود برهوم) .

كان باول يقصد في تعبيره (من جديد) مرحلة ريغان الرئاسية ، حين أدى الاهتمام الشخصي والمحموم من قبل الرئيس نفسه بمشكلة الرهائن الأمريكية في طهران ، إلى فضيحة إيران ـــ غيت ، أو إيران ـــ الكونترا ..

حاول باول أن يجرب حظه في شرح سياسة (احتوائه) أمام مستشار الأمن القومي في البيت الأبيض سكاوكروفت ، وأجاب سكاوكروفت على الفكرة المطروحة :

ـــ أرجو يا باول أن تفهمني ، فأنت مستشار سابق للأمن القومي ، وتعرف جيداً ماهي مهام هذا المنصب ، إنني لاأستطيع (اللحاق) بنشاط الرئيس غير العادي في هذه الأيام ، إن بوش يقابل أشخاصاً ذوي علاقة ويتحدث إلى آخرين ، أكثر مما كان يفعل معظم الرؤساء في أسبوع عمل كامل ، قضى معظم وقته في محاولة منه لكسب الآخرين إلى صفه .

قال باول :

ـــ ولكن هذا هو موقفي .. ما لم ترد أوامر أخرى !..

ورد سكاوكروفت :

ـــ إن الرئيس يزداد قناعة بأن سياسة العقوبات لن تنجح ، وهو أبعد الناس عن تغيير وجهة نظره ..

كان باول يلمس بأن سكاوكروفت يتفق مع الرئيس بوش في جميع خطواته ، بما فيها خيار الذهاب إلى الحرب ، وكان يبرر لمستشار الأمن القومي سلوكه ، إذ غالباً ما يعكس هذا المستشار رأي الرئيس وميله دون تعديل ..

لكن على مستشار الأمن القومي للولايات المتحدة ، مسؤولية التأكد من احتمالات البدائل الأخرى المطروحة ، بكل رويّة ودقة .

من وجهة نظر سكاوكروفت ، فإن التوجه نحو الحرب ، هو ما يجب اتباعه ، لأن الحرب في نظره ، هي (الأداة الوحيدة) لتنفيذ السياسة الخارجية في مثل هذه الحالات .. غير أن باول كان لايراها هي الأداة الوحيدة ، وأن هذه الأداة هي غير ما يراه (الشبان هناك على أرض الميدان بعيداً عن مكتب سكاوكروفت) .

كان باول قد قام بزيارات متعددة إلى أماكن انتشار القوات الأمريكية في السعودية ، وكان الجنود يتساءلون ، مع موجة من الدهشة والاستنكار (إلى متى سنبقى هنا ؟) (ما هي خياراتكم الأخرى غير الحرب ؟) (اهتمامكم بالرهائن كان ضعيفاً) (ماذا يريد الرئيس غير النفط ؟) ...

لم يكن بمكنة باول الرد ، حتى على النذر اليسير من بعض هذه الأسئلة ، إلا مواربة ودون توضيح يذكر ، فالأسئلة في معظمها تتعلق بالسياسة العليا للإدارة الأمريكية ..

قال باول لسكاوكروفت :

ـــ إنني أرجو أن تكون بدائل الحرب الأخرى ، قد تم فحصها بعناية ، فإذا كان هناك أية طريقة ممكنة لتحقيق هذه البدائل ، **فإن ذلك سيكون أفضل من استخدام القوة ، ويجب إمعان النظر جيداً في تلك الاحتمالات .**

فرغ صبر سكاوكروفت المتعاطف مع بوش وقال :

ـــ أعتقد أن الرئيس يفعل كل ما يمكن تصوره .

ازداد تحرر باول من الوهم ، وأدرك أن سكاوكروفت قد أصبح (الرفيق الأول) لبوش ، وزميله في كل الألعاب : الغولف ، وصيد السمك ، ونشاطات عطل نهاية

الأسبوع ، وألعاب السياسة العليا ، إلا أن سكاوكروفت (كان يخفق في القيام بواجبه الأكبر المتمثل في ضمان مناقشـة مفتوحة على جميع الخيارات بشكل حر ومسؤول) (المصدر السابق نفسه) .

قبل نهاية آخر يوم من أيام العمل الأسبوعي (يوم الجمعة ٢١ أيلول) سأل شيني باول :

ــ لماذا لاتذهب معي إلى الرئيس ، لتشرح له فكرتك حول الاحتواء ، ونرى ماذا يمكن أن يقول فيها .. واتفق الاثنان ، بعد أن رتب شيني موعداً للقاء في المكتب البيضاوي مع الرئيس ، وكان الوقت مخصصـاً للوزراء الكبـار ، بإضـافـة كل من سـنونو وسكاوكروفت إلى الجلسة ..

وفي الاجتماع طرح باول أفكاره عن الاحتواء ، لكنه حافظ على مسافته في إطلاق دعوته هذه ، خشية المظنّة بأنه يدعو لها بصورة شخصية ..

وتم على الفور تصحيح أفكار باول من قبل بوش ، ودخل سكاوكروفت على خط النقاش ، مستئذنا الرئيس وقال موجهاً كلامه لشيني :

ــ إن الرئيس يطلب إيجازاً حول ما تكون عليه عملية هجومية ضد قوات صدام حسين في الكويت ..

حين وصلت الأخبار إلى شوارزكوف (حول طلب الإيجاز الهجومي على القوات العراقية) تفجّر وكاد يخرج من ملابسه الميدانية ، فبعد شهرين من ترتيب القوات وفق خطط دفاعية ، هاهم الآن يطلبون إيجازاً عن الهجوم .. وزاد من الطين بلّة ، لدى شوارزكوف ، أن صحيفة نيويورك تايمز الصادرة في ذات اليوم ، نشرت بأن ليز أسبن ، صرح علانية ، بأن الحكومة تحبذ خياراً حربياً مبكراً ..

لم يكن شـوارزكوف مستعداً ، لتقديم مثـل هذه الخطط ، دون تحذير مسبق ، وكقائد أعلى لقوات التحالف في الميدان ، لم يكن شوارزكوف قابلاً لأن يرى أحداً ، يدفع به وبقواته إلى عمليات هجومية قبل أوانها ، وصرخ في وجه سكاوكروفت على الخط المأمون :

ــ أخشى أن يستيقظ ابن مومس ذات صباح ليقول لنا : هيا نبدأ الهجوم ..

كان شـوارزكوف قد أوصى منذ آب ، بأن مثـل هذه الخطط ، (بعد إعلامنـا المسبق) ، تحتـاج من ستـة إلى ثمانيـة أشهر ، (وها هم يطلبون في تشرين الأول ، مالايمكن عمله قبل شباط) .

كان باول يهدئ من روع شوارزكوف قائلاً :

ــ إنها خطط مبدئية على أي حال .. صورة أولية عما يمكن أن يؤول إليه الوضع في حالة تصاعد قتالي .. ليس أكثر .

أرسـل شوارزكوف مسـاعده الأول في القيادة الميدانية الجنرال فونو إلى واشنطن لشرح الأوضاع ، (وقد عزّ على فونو أن يرى صديقه القديم (أي شوارزكوف) وقد بات بحاجة إلى علاج نفسي ..) (المصدر السابق ص٢١٣) .

البالية الفرنسية بين ميتران وشوفينمان :

سيقول جان بيير شوفينمان المستقيل اليوم (٢٩ كانون الثاني ١٩٩١) من منصبه كوزير للدفاع الفرنسي ، أن (العالم المتأرجح للعرب ، منذ محمد علي بين إغواءات الحداثة ، وإغراءات الانكفاء إلى الداخل التراثي ، قد عومل دائماً أسوأ معاملة من قبل الغرب .. فـالانحطـاط العـربي منذ الاستعمـار التركي ، إلى الاستعمـار الفرنسـي والانكـليزي ، كان قد حفر وهدة عميقـة لقاعدة التخلف المقيم .. وقد اصبح من المغري بالنسبة للغرب ، أن يعزو ذلك ، لغياب الديمقراطية وتأثيرات الهيمنة الدينية ، وتخلف المرأة وعدم كفاءة العمل .. والثقافة .. وفي كل مرة ، كان العرب يريدون فيها هدم هوة تخلّفهـم وإقامة وحدتهم المشروعة .. كان الغرب يقف بوجههم تاركاً لهم الطريق الوحيدة المؤدية إلى السجن ، كما فعل غداة الحرب العالمية الأولى ، حين زجرهم داخل حدود مصطنعة ..) (من كتاب شوفينمان الجديد ، فكرة ما قادتني إلى .. الفصل الأول) .

ومنذ بدء أزمة الخليج ، فقد كان فرانسوا ميتران هو المدير الفعلي لإدارة المواقف تجاهها ، كان ميتران القائد الحقيقي للحملة الفرنسية في الخليج ، وفي غمرة قراراته التي بدت وكأنها غير قابلة للجدل ، نسي ميتران تاريخه كمناضل اشتراكي حين راح يكيل

التهم ضد سياسة فرنسا النووية أيام الجنرال ديغول (صاحب السلطة المطلقة في البلاد) كان الرئيس ميتران في هذه الأثناء يلقي كلمته أمام الجمعية العمومية للأمم المتحدة (٢٤ أيلول) ، وبعد أن حيا (نهاية الصراع بين الشرق والغرب) وأشار إلى أن المجابهة بين الكتل (لن تستخدم من الآن فصاعداً كذريعة لأولئك الذين يخشون خطر الديمقراطية والذين يعتقدون أن بإمكانهم أن يؤجلوا إلى الغد ما هو منتظر منهم اليوم) أكد ميتران من جديد ان (الكويت دولة ذات سيادة وعضو في المجتمع الدولي ، فباسم ماذا يتقرر أن تكف هذه الدولة عن الوجود ؟ هل باسم قانون الطائرات والدبابات والمدافع ..) إن فرنسا عقدت علاقات صداقة حميمة مع العراق منذ اندلاع القتال مع إيران) (فرنسا تضع الحق بين أعينها ، كما يحدده ذلك الحكم بين الأمم ، الذي هو مؤسستكم ، وهكذا نطبق الحظر الذي قرره مجلس الأمن .. لقد أرسلنا لهذه **الغاية قوات دفاعية إلى الخليج** .. لكننا لم نقصد أن نمارس بهذا أي تحرك استفزازي أو تهديدي لأحد) (إن منطقنا هو منطق السلم ضد منطق الحرب الذي يبدو أن السياسة العراقية ترجحه) وحدد ميتران بكلمته (بسبب غياب حل عربي فإننا نريد أن نتغلب على الحريق بالقول ، لن تكون هناك تسوية إذا لم ينضم العراق إلى صوت مجلس الأمن) ثم مضى قائلاً (ليؤكد العراق نيته بسحب قواته ، ليطلق الرهائن ، فيصبح كل شيء ممكناً .. في مرحلة ثانية ، ستكون الجماعة الدولية ، التي عاقبت العدوان قادرة على ضمان تنفيذ الانسحاب العسكري ..

عند ذلك تنفتح مرحلة ثالثة هي تلك التي ينتظرها العالم : (المقصود حل النزاع العربي الإسرائيلي ، بما في ذلك مشكلة الفلسطينيين) .

المرحلة الرابعة التي يمكن أن نتخيلها ، هي مرحلة تخفيض الأسلحة في الشرق الأوسط ، مع بناء جسر للتعاون يمتد من إيران إلى المغرب ، ومن الشرق الأوسط إلى الأطلسي ، بحيث يُفتح الطريق في وجه الاستقرار) .

كانت القوات الفرنسية المتدفقة على الخليج ، قبل هذه الكلمة ، تقارب ١٤ ألف مقاتل تدعمهم ١٥ سفينة حربية ، وكان هناك طائرات ...وقرارات ..

لم تأخذ فرنسا هيئة المتميز منذ البداية ، رغم أن ميتران ، حاول بلغته الفرنسية ـــ

الثقافية أن يقيم تمييزاً عن غيره ، حتى في العبارات الجميلة والمبهمة (على فرنسا أن تكون شيئاً آخر ، عن أولئك الذين يحملون في أدمغتهم نوايا سوداء عن الأزمة) ..

كان كل ما في كلمته ، مقابل خطوة تنفيذية مطلوبة من العراق ، أن تجلس فرنسا لتتخيل بقية المراحل الواعدة !..

لم يجرؤ ميتران ، أن يدعم مبادرته بوفد رسمي إلى بغداد لمتابعة تفاصيل أحلامه على الأقل .. كما لم يجرؤ أن يستدعي وفداً عراقياً إليه .. لم يكن شوفينمان مخطئاً حين قال (عبثاً كنت أحاول إرسال مبعوث سلام فرنسي إلى بغداد .. وهكذا إلى أن قام بيكر بزيارته إلى باريس في ٨ تشرين الثاني) وأخفق كل شيء ..

كان ميتران قد أطلق حمائم الدبلوماسية الفرنسية إلى جميع أصقاع العالم باستثناء العراق ، فقد توجه كلودشيسون وزير الخارجية السابق إلى جيبوتي وتونس ، وسافر ميشيل دورافور وزير الإدارة العامة إلى باكستان ، ثم لحقه جان بيانكو السكرتير العام لقصر الأليزيه إلى السعودية ومصر ، وسافر فرانسوا شير الأمين العام لوزارة الخارجية إلى سوريا ، كما غادرت (المعارضة الفرنسية) برئاسة جان دوليبكوفسكي إلى أندونيسيا وماليزية وتايلند ، ومن المعارضة أيضاً ، غادر جان فرانسوا بونسيه إلى الأردن ، وانطلق الأمين العام للحزب الاشتراكي الفرنسي بيير موروا إلى منطقة المغرب العربي ، وميشيل فوزيل رئيس لجنة العلاقات الخارجية في البرلمان الفرنسي إلى يوغوسلافيا ، وجان لوكانويه رئيس لجنة العلاقات الخارجية والدفاع في مجلس الشيوخ الفرنسي إلى الهند وتركيا ، كما سافر وزير الشؤون الثقافية إلى البحرين وقطر وعُمان والأمارات ، ثم غادرت أودفيج آفيس ، إحدى صانعات القرار الدبلوماسي الفرنسي ، إلى الأرجنتين والبرازيل والمكسيك وفنزويلا (مناطق أمريكا اللاتينية) ..

وقد سربت الصحافة الفرنسية النذر اليسير من المعلومات حول ثمرات هذه المباحثات ، وفيما إذا كانت جديرة بكل هذا الضجيج الذي رافقها !.. أم لا .

ومهما كانت نتائج الجولات الفرنسية في العالم ، فقد أخذ الموقف الفرنسي في الواحد والعشرين من آب ، ينتقل من رقصة الباليه على أنغام الكمان ، إلى رقصة

الفرسان على قرع الطبول .. ولأول مرة منذ نشوبها ، فقد راح ميتران يتحدث عن (منطق الحرب) في التعاطي مع الأزمة ..

(يجب ألا نترك أنفسنا لنكتشف أننا وُضعنا في المقطورة آخر المطاف) ..

هكذا عبّر ميتران على الخط المباشر مع شوفينمان ، حين راح هذا الأخير يطرح طروحات أخرى ، غير الامتثال لآراء شيني أو لملاحظات الملحق العسكري الأمريكي في باريس ..

كان هناك عاملان يدعمان تصعيد الأزمة نحو العنف (شوفينمان المصدر السابق ، الفصل الأول) :

الأول : إرادة الولايات المتحدة بتطويق الأمم المتحدة ، وذلك بوضع قوة متعددة الجنسيات (أي قوة التحالف) تحت رايتها في مسرح الحدث .

الثاني : الاتفاق مع العربية السعودية على إنزال قوات أمريكية على أرضها ، **وهو اتفاق لم يكن من الممكن أن يتم إلا على قاعدة مشروع القضاء على العراق .**

وبعد عشرة ايام من تحليلي هذا ، يقول شوفينمان ، (كان بين يدي تقرير يستنتج أن الحرب عملياً هي المصير الوحيد ، المتوقع للصراع) .

كان ميتران يبدي أسفه لحالة الرهائن الغربيين في العراق والكويت ، معتبراً ـــ دون أية همزة وصل مع بغداد ـــ أن هذه القضية (قد جعلت من الأصدقاء القدامى أعداءً كاملين ـــ ميتران في جلسة مصغرة لمجلس الوزراء الفرنسي ـــ المصدر السابق) .

ثم تابع :

(إن الجسور قد قُطعت نهائياً بين باريس وبغداد) (المصدر نفسه) .

وهكذا صار بإمكان ميتران ، أن يجد نفسه جالساً في مقدمة القطار لافي إحدى مقطوراته !..

أوروبا كانت راغبة ولكن ..:

لم تكن أوروبا من جهة أخرى ، متحمسة لقرع طبول الحرب في الولايات المتحدة ، لكن وزراء منظمة الوحدة الأوروبية ، الذين كانوا قد تلقّوا منذ أيام ، تعميماً من زميلهم الأمريكي ـــ ديك شيني ـــ يبلغهم فيه ـــ أولويات تدعيم القوات في

الخليج ــ ولم يجدوا اية صعوبة في الامتثال .. كانت ألمانيا تحتمي خلف دستورها ، وإيطاليا أقل حماسة خاصة وأن البابا راح يدين كل الدوافع اللاهوتية للحرب (هذه حرب غير مقدسـة .. إن السلام المفروض بقوة السلاح ، لن يستطيع إلا أن يهيئ لأعمال عنف جديدة ..).

(لم أكن مخطئـاً أبداً ، حين قدرت بأن المجموعة الأوروبيـة ، باستثناء بريطانيا ، كانت غير متحمسة لسماع طبول الحرب ، ولو أن فرنسا اتخذت ، موقفاً واضحاً منذ البداية ، تجاه الحلول السلمية للأزمة ، لكانت أوروباً تبعتها دون تردد .. كان يبدو لي أن ضغطاً فرنسيا ــ سوفييتياً ، كان الوحيد القادر على إقناع صدام بالتراجع ، وذلك قبل أن يقفل الأمريكيون الأبواب ، ولو أن فرنسا أقدمت على اتخاذ المبادرة واجتذبت الصين والاتحاد السوفييتي إلى موقف عاقل ، **واحتفظت بقدرة ردع دفاعية للقوات في الخليج ، لاستطاعت أن تلعب دور الوساطة في خدمة السلام .. كانت فرنسا بأداء دور مختلف ، يمكنها أن تخرج بمكاسب هائلة في المستقبل ... لكن الأمور كانت تُدفع بسرعة لاتفسير لها**) .. (شوفينان ــ المصدر السابق ــ الفصل الثاني) .

كان الأميرال لاكساند رئيس هيئة الأركان الرئاسية الخاصة لفرنسا ، قد لعب دوراً بارزاً في زيادة حشد القوة الفرنسية في الخليج ، وقد نجح في إقناع ميتران ــ مناقضاً بذلك توجيهات وزير الدفاع ــ بضرورة الانتقال من الوضعية الدفاعية إلى الوضعية الهجومية ، وقد أعلن وزير الدفاع ــ قبل تقديم استقالته مراراً ــ بأنه ليس في وسعه (أن يكون وزيراً لهذه الحرب) التي يصممها غيرنا ..

(وكانت الأمور قد وصـلت إلى درجة ، كان على ميـتران فيها أن يقرر السماح للقاذفات الأمريكية من نوع ب ٥٢ أن تعبر الأجواء الفرنسية بعد إقلاعها من قواعدها في بريطانيا ، عند اندلاع العمليات القتالية .. ووافق ميتران على الطلب الأمريكي ، علماً أنه كان قد رفضه في مناسبة سابقة ، يوم قامت الطائرات الأمريكية بشن غاراتها ضد ليبيا) (كروازيه ــ داتيس من مؤلفهما : الخليج الحرب الخفية ترجمة دار قرطبة للنشر ص ١٠٢) .

في الخامس من تشرين الأول ، كانت طائرة الملك حسين تحط في مطار ديغول

بباريس ، وقد توجه على الفور إلى قصر الأليزيه ، حيث كان موعد لقائه الثاني في هذه الأزمة مع ميتران ، وكالعادة ، كان ميتران ، جاهزاً لترتيب منطق النقاش وفق آليات تفكيره وتصوره الجدلي وفق السياق التالي :

● إن إطار الأزمة الراهن ، غير مقبول من الأمريكيين للتفاوض .. وعليه فلا بد من تفتيت هذا الإطار » .

● كما أن تفكيك هذا الإطـار ، يفـرض علينـا إعادة تركيب أجزائه وفق سينـاريو يستجيب لمنطق الأمور .

● للأمريكيـين أهداف معلنـة لابد من الأخذ بها : الانسحـاب ، عودة الشرعية الكويتية ، ثم الإفراج عن الرهائن الغربيين .

● أفضل للعراق أن يفرج عن الرهائن دفعة واحدة بصورة حاسمة ومؤثرة ، بدلاً من الإفراج بالتقسيط .. وبذلك يمكن اجتياز نصف الطريق لحل الأزمة ..

● لاضمانات يستطيع أحد أن يقدمها الآن ، لأن أمريكا تعتبر ذلك بمثابة الشرط المسبق من قبل العراق ..

كان التسلسل المنطقي في عرض ميتران ، لغة سياسية فرنسية تم نقلها أو ترجمتها عن لغة أمريكية ، مع فارق شطب الحلافة المتأصلة بسلالة اليانكي ليس أكثر ..

فتفكيك إطار الأزمة ، ليس أكثر من مغـامرة فلسفيـة هدفها الإطاحة بتعابير الدبلوماسية المألوفة والتي مفادها إعادة الوضع إلى ما كان عليه في المنطقة قبل الثاني من آب .. يضاف إليه عدم وجود ضمانات لأمن العراق نفسه ..

لم يكن حديث ميتران مع الملك حسين ، يتصل بالرؤية الفرنسية ذاتها للأزمة ، أو بصورة أدق ، بالرؤية الفرنسية الأوروبية لكيفية التعاطي مع الأزمة بامتياز خاص .. فقد تمّ نقـل ما تريده أمريكا بلغة فرنسية دون تعديل ، وكان معنى ذلك ، أن يترك

العراق نفسه لمقاديره بعد الانسحاب ، أما إعادة تركيب إطار الأزمة ، فهو نصف الأزمة المتروك على نصف الطريق ، (من حيث أن الإفراج عن الرهائن يشكل حلاً لنصف الأزمة برأي ميتران) كان على العراق أن ينسحب دون شرط ، وأن يطلق سراح الرهائن دفعة واحدة ، وأن ينتظر مجهول المخطط الأمريكي ، لإعادة تركيب إطار الأزمة على هواه ..

ركز الملك حسين أمام ميتران على مطالب العراق بإصدار تأكيد (من فرنسا والإتحاد السوفييتي) أو (من فرنسا والصين) بأن التحالف لن يشن عدواناً داخل العراق إذا ما أقدم العراق على إطلاق سراح الرهائن دفعة واحدة (في منتصف هذا الشهر ـــ أي تشرين الأول ـــ على أبعد تقدير)

وعاد ميتران يتحدث عن مشكلة تقع داخل إطار الأزمة الذي يريد تفكيكه وقال :

ـــ مثل هذا الاقتراح لن يحل شيئاً ، لأن أمريكا تعتبره شرطاً مسبقاً للإفراج ..

كانت نظرة الملك حسين (وياسر عرفات) بالأساس لمشكلة احتجاز الرهائن ، بأنها قد تسبب مخاطر إضافية :

ـــ فهي ستستحث الخطا باتجاه ضربة عسكرية (تحمل ذريعتها) وسوف يُلقى بالمسؤولية في ذلك على عاتق العراق دون غيره .

ـــ لم يتعرض البنتاغون الأمريكي ، طوال تخطيطه لسير العمليات المقبلة في الخليج ، (من الدفاع إلى تحرير الكويت إلى الهجوم على العراق) لمخاوف تتصل بوجود الرهائن في الكويت أو العراق ، فروزنامة التوقيتات ماضية دون أي اعتبار لهذه المسألة المزعجة ..

ـــ كان لمشكلة الرهائن أن تسبب هياجاً في الأوساط الشعبية الغربية ، أكثر منه في الأوساط الرسمية ، وهو ما ستستثمره لتفعيل حمى الحركة باتجاه الحرب بذريعة إضافية ..

والخلاصة ، فقد بدا كلام ميتران للملك حسين مقنعاً بعض الشيء في هذا المجال ، وعاد العاهل الأردني يحمل تصورات ميتران للأزمة ، واجتمعت القيادة العراقية في العاشر من تشرين الأول ، لتبحث تفاصيل ما جرى ، عقب الزيارة الأردنية لباريس ..

بريماكوف في بغداد مرة أخرى :

في الرابع من تشرين الأول ، أقلعت طائرة بريماكوف والوفد المرافق من مطار عمان إلى بغداد ، وصبيحة اليوم التالي ، كان بريماكوف مع رجال وفده من الدبلوماسيين السوفييت ، يجتمعون في قصر الضيافة مع الرئيس العراقي ..

كان قد جرى حديث بالأمس بين بريماكوف وطارق عزيز ، حول كافة السبل التي يمكن أن تؤدي إلى حل الأزمة ، وكان القاسم المشترك الأعظم لجميع السبل التي ذكرها بريماكوف تتمثل بكلمة واحدة : الانسحاب .

هناك كلمة ثانية ــ ستكشف خلاصة المباحثات عنها ، وربما كانت هي غاية الزيارة الرئيسية ــ سحب الخبراء السوفييت ..

ومنذ بداية اللقاء ، فقد قدم بريماكوف ، الرسالة التي كان يحملها من غورباتشوف ، (وقامت الخارجية السوفييتية بترجمتها إلى العربية) ولم تكن الرسالة في جوهرها ، سوى مطالبة (بالانسحاب من الكويت فوراً وإعادة السيادة إلى هذه الدولة) ..

ولعلّ من المفارقة الواضحة ، أن رسائل السوفييت بعد (قمة هلسنكي) كانت تأتي خالية من اللهجة الدبلوماسية المألوفة ، فهي أقرب إلى لهجة الإنذارات العسكرية ، منها إلى لغة قصور الرئاسة أو وزارات الخارجية ..

يقول بريماكوف (حرب كان يمكن تجنبها ص٢٩) لم تظهر انعكاسات مباشرة ، على وجه صدام ، **للعبارات الحازمة بما فيه الكفاية التي انطوت عليها الرسالة**) .

ورد صدام على طلب السماح برحيل الخبراء السوفييت قائلاً :

ــ كل من يريد الرحيل فبوسعه أن يرحل .. شريطة أن تنظم العملية بمعدل ألف خبير كل شهرين .

وسارع أحد أعضاء الوفد السوفييتي (إيغور بيليسوف) إلى القول ، وهو يوجه كلامه إلى بريماكوف :

ــ لاتوافق ..

قال بريماكوف :

ــ لكن سفارتنا هنا ، تلقت ١٥٠٠ طلب للرحيل في غضون شهر .

وأجاب صدام .

ــ ليكن كما تريد ..

عاد الحديث إلى جوهر الأزمة ، كما يقول بريماكوف ، (فبعد الفقرة « الإلزامية » حول انتماء الكويت للعراق .. انتقل الرئيس العراقي إلى الحديث عن المؤامرة متعددة الأطراف التي تعرض لها العراق ، بعد أن قويت عضلاته العسكرية .. كانت الولايات المتحدة وإسرائيل والسعودية ومصر وعدد من إمارات الخليج ، هم أطراف هذه المؤامرة (المصدر نفسه ص ٣٠)

ثم يعلق بريماكوف (لاأود التطرق لجوهر هذه الاتهامات التي وجهها صدام ، فبعضها كان يتفق مع الحقيقة ، **كما أن بعضها مختلق بالطبع ويعتبر وليداً للمخيلة الشكاكة المرضية**) (المصدر نفسه ص٣١) .

ثم يزعم بريماكوف أنه وجّه سؤالاً للرئيس العراقي على النحو التالي :

ــ ألا تعتقد أن لديكم قد ظهرت مثلما لدى الإسرائيليين عقدة مسّادا .. (يقصد بريماكوف الإشارة إلى الأسطورة اليهودية التي تقول بأن حصناً لليهود يقع جنوب فلسطين بالقرب من البحر الميت ، كان قد هوجم من قبل القوات الرومانية الجبارة آنذاك ، واستبسل مدافعو الحصن وآثروا الموت الجماعي على الاستسلام) .

ويضيف : ــ بدا صدام وكأنه يوافق على الكلام في دخيلته .. لقد قلت له (أي للرئيس العراقي) أن ما يحدد تصرفاتكم الآن ، هو ما ينطلق من منطق المحكوم عليه بالموت ..

وأومأ صدام برأسه علامة الموافقة .. (المصدر السابق ص٣١) وراح بريماكوف ، يشرح بإسهاب ما قاله للرئيس العراقي ، خلال الجلسة ، وما ذكره عن المخاطر الهائلة

التي تنتظر العراق ، وأن الحرب هنا ، ليست مع إيران ، وأن قوات التحالف هي قوات متفوقة بالطيران والتكنولوجيا .. وفي رأيه (أن ماقلته لصدام قد أثر فيه تأثيراً مزدوجاً) ..

غير أن بريماكوف يعود للوقوع في التناقض حين سيروي على لسان صدام قوله (ص ٣٣) :

ــ لو مثل أمامي الخيار التالي ، إمّا الاستسلام أو الحرب فسأختار الحرب .

كان بريماكوف فرحاً بما أنجزه حول الحصول على إذن بسحب الخبراء من العراق ، وهذا ما أبرق به إلى موسكو على عجل ..

ستنشر مجلة دير شبيغل الألمانية (الموثوقة والذائعة الانتشار) بعد أشهر من هذا اللقاء ، مقالاً بعنوان (أزمة الخليج : صفقة العمر)عدد /٥/كانون الثاني ١٩٩١) تقول فيه :

(إن الولايات المتحدة وضعت لكل حاكم الثمن المعقول لوقوفه معها ، لكن أحد الرابحين الكبار من الأزمة دون مشاركة عسكرية كان الاتحاد السوفييتي ، فالرئيس بوش أعطى للرئيس غورباتشوف جائزته التي يستحقها ثمناً لموقفه : إلغاء الحظر المفروض على استيراد المواد الغذائية والحبوب الأمريكية (من بين كل ثلاثة أرغفة سوفييتية هناك رغيفان أمريكيان ــ المؤلف) كما منح بوش السوفييت تسهيلات ائتمانية بمبلغ مليار دولار ، ووعد بإعفاء المنتجات السوفييتية من الرسوم الجمركية والعضوية المميزة في البنك الدولي بالإضافة إلى ٤ مليارات دولار من السعودية) .

كانت القيادة السوفييتية ، منذ انتشار البريسترويكا الغورباتشيفية قد فقدت البوصلة واعتراها الوهن (نظام مؤسسات ، بيروقراطية ، قانون السوق ، اشتراكية الدولة ..) ثم راحت في مسعاها الإصلاحي المتخبط ، تتكئ على الخارج ، بعد أن أخذت التماوجات تقذف بالداخل إلى المجهول ، وسوف يقول العديد من قادة الأحزاب الشيوعية العرب ، أن من أخطر العناصر الفاعلة في القيادة السوفييتية الآن ، هو (اللوبي اليهودي السوفييتي الذي ظل مسربلاً بالشيوعية إلى أن حانت

الفرصة) وها هو اليوم يسرح على هواه ، لا في أروقة الكرملين فحسب ، بل وفي أدق المراتب مسؤولية ، سواءً في الخارجية أو الدفاع ..

إننا فيا يتعلق بسياسة غورباتشوف الخارجية ، لانراها مقبولة من وجهة نظر مصالح البروليتاريا السوفييتية والعالمية ، كما لايمكننا أن نؤيد تلك الإجراءات الاقتصادية التي تؤدي إلى عودة ظهور البؤس والبطالة وتدني الأجور ، **كذلك نرفض تلك التسويات العفنة التي يقوم بها على حساب مصالح الشعوب الفقيرة** (أمريكا الوسطى وآسيا وجنوب أفريقيا) **إن غورباتشوف يتصرف في سياسته الخارجية من موقع مزدوج ، فهو خاضع في آن واحد ، للضغط الإمبريالي المتزايد من جهة ، ولضغط الأزمة المتصاعدة داخلياً من جهة أخرى . (إلى أين يسير الإتحاد السوفييتي . آرنست ماندل ترجمة روز مخلوف ، ص ١١٨) .**

ضيوف من أجل الضيوف :

طوال شهر تشرين الأول ، فتحت بغداد أبوابها للعديد من شخصيات العالم السياسيين ، من الشرق والغرب ، وذلك في سبيل الحصول على حرية مواطنيهم المحتجزين ، أو الحصول على إذن بتسفير (الضيوف) على حد تعبير العراق .

كان الرئيس النمساوي د . كورتْ فالدهايم ، الأمين العام السابق للأمم المتحدة (المكروه من قبل الصهيونية العالمية وإسرائيل نظراً لمواقفه الشجاعة ضد إسرائيل في مناسبات عدة ، الأمر الذي دفع بدعايات الصهيونية المغرضة إلى حد تنسيبه إلى النازية العالمية) . كان فالدهايم في مقدمة الضيوف الغربيين الذين جاؤوا إلى بغداد وقابلوا الرئيس العراقي وأجروا معه محادثات بشأن الأزمة ، كذلك بشأن الرعايا النمسويين المحتجزين في كل من العراق والكويت .. وعاد فالدهايم ومعه كل الرعايا النمسويين دون استثناء .

صرح الدكتور فالدهايم حين مغادرته بغداد ، أن العراق راغب في تسوية سياسية للأزمة ، وأن الرئيس العراقي ، أبدى كامل استعداده للتوصل إلى تسوية الأزمة عن طريق المفاوضات .

وكان القس جيسي جاكسون أحد مرشحي الحزب الديمقراطي الأمريكي للرئاسة ، قد زار بغداد ـــ كما أشرنا في فصل سابق ـــ في نهاية شهر آب ، وعندما عاد إلى الولايات المتحدة بصحبة النساء والأطفال الأمريكيين مع أربعة رجال مرضى ، أدلى بتصريح في الولايات المتحدة مفاده ، أن صدام حسين يرغب بحل الأزمة عن طريق المفاوضات ، وكان بوش قد رد على ذلك بقوله (لامفاوضات .. ولا سبيل أمام صدام غير تنفيذ قرارات مجلس الأمن الدولي بالانسحاب من الكويت فوراً ودون شروط) .

نسي بوش في غمرة نشوته باستدعاء احتياطي الجيش الأمريكي ، وعزمه على إرساله مئة ألف جندي آخر ، إضافة إلى مئتي ألف آخرين وصلوا إلى السعودية ، نسي أن القرارات الصادرة عن مجلس الأمن (المستندة إلى ميثاق الأمم المتحدة ـــ في أصول حل المنازعات الدولية) كانت تدعو عموماً ـــ سواءً في هذه الأزمة أو غيرها ـــ لحل النزاعات بصورة سلمية عن طريق المفاوضات .. وأنه ليس ثمة أزمة في التاريخ يمكن أن تحل سلمياً (دون مفاوضات) ، وأن الولايات المتحدة طوال الأزمة ، لم تسمح لنفسها بمفاوضات حقيقية مع بغداد ، باستثناء المفاوضات الملتبسة مع غالاسبي في بدء الأزمة ، ثم المفاوضات التي صممت بحيث تأتي على شاكلة استسلام علني وذليل للعراق في جنيف .. **كانت مفاوضات غلاسبي لتناول الذريعة ، ثم كانت مفاوضات جنيف لاستخدامها .**

في الثالث من تشرين الأول ، صرح في بغداد رئيس جمعية الصداقة الفرنسية ـــ العربية جيل مونييه ، أن العراق ينشد السلام ويتطلع إلى تسوية عن طريق المفاوضات ، واصطحب مونييه بعض المحتجزين من الرعايا الفرنسيين إلى بلاده .

في الرابع من تشرين الأول ، جرت في العاصمة الأردنية بين رئيس وزراء اليابان توشيكي كايفو والنائب الأول لرئيس الوزراء العراقي طه ياسين رمضان ، محادثات حول مشكلة المستضافين وأزمة الخليج ، أكد فيها المسؤول العراقي ، على أن التسوية عن طريق المفاوضات هي ما يتطلع إليه العراق ، وأن العراق يبذل قصارى جهده لمنع وقوع الحرب ..

ثم جاء إلى بغداد عبر العاصمة الأردنية رئيس وزراء بريطانية الأسبق (بين

١٩٧٠ ـــ ١٩٧٤) ادوارد هيث ، والتقى الرئيس العراقي مدة ثلاث ساعات تركزت جميعها حول الانكليز المحتجزين ، وأزمة الخليج ...

أدلى هيث بتصريحات في بغداد يوم ١٠/٢١ وفي لندن يوم ١٩٩٠/١٠/٢٤ جاء فيها :

(إن صدام بحث معي أزمة الخليج ، وأوضح أنه سيبذل كل ما في وسعه لتحقيق تسوية سلمية وأن تأكيده على العمل الدبلوماسي كان قوياً جداً ، وما يريده صدام ، هو نظام مستقر في الشرق الأوسط بوجه عام) .

وحث هيث حكومة بلاده على بذل المزيد من الجهود وقال :

(بصراحة شديدة لاأعتقد أن جهوداً كافية تبذل على الساحة الدبلوماسية ، وأن العراقيين لايريدون الحرب ولكنهم سيقاتلون حتى الموت إذا هوجموا .. إنني وجدت الرئيس العراقي هادئاً للغاية ، وهو واسع الاطلاع حين يشرح موقفه ، وقد بحث معي مجموعة واسعة من الاحتمالات دون أي التزام) .

واستطرد هيث يقول للصحافة البريطانية :

(في كل مرة أعطاني وعداً تم تنفيذ هذا الوعد ، وعندما سألته عن أسبابه لاحتجاز الرهائن أجاب : كنت أفكر في أمن بلادنا) . .

ويقول هيث ، لقد رددت عليه قائلاً :

(إنني أختلف معك في هذه النقطة ، لأن وجود الرهائن في أي موقع لايمثل حماية له إزاء تصميم لحماية مصالح استراتيجية وحيوية ، إن تاتشر لن تتردد ثانية واحدة بتوجيه أوامرها لضرب أي موقع بصرف النظر عن عدد البريطانيين الموجودين فيه .. وبالعكس فإن ذلك في افتراضها ، يعبئ لها أوسع رأي عام بريطاني) .

ويروي هيكل في أوهام القوة والنصر ص ٤٨٥ ـــ ٤٨٦ كيف راح هيث يدلي بأقواله أمام لجنة القوات المسلحة في مجلس النواب الأمريكي عن بقية لقائه مع صدام فيقول :

(تحدثنا بأسلوب مفتوح ثلاث ساعات متصلة ، تحدثنا طويلاً ، ولم يرفع صوته مرة واحدة ، تحدث معي بصراحة ، وتحدثت معه دون مجاملة ، قلت له :

ـــ إنني أريد أن أطرح عليك احتمالات لأسمع رأيك حيالها ، وسألني : معنى ذلك أنك ستطرح حالات افتراضية .

وقلت له : نعم وهذه هي الطريقة التي أريد أن أستوثق بها من آرائك .

وسألني : ما هي الفرضية الأولى ؟

وقلت له : إذا انسحبت من الكويت ، فلا يستطيع الأمريكيون أو الانكليز أو غيرهم ، ممن لهم قوات في السعودية ، إلا أن يرحلوا عائدين إلى بلادهم ، وأظن أن هذا من وجهة نظرك ، ومن وجهة نظر عربية أمر مرغوب فيه بشدة ..

ورد عليه قائلاً :

نعم ولكن أي ضمانات تستطيع تقديمها لي بأنني إذا انسحبت من الكويت فإن الأمريكان والانكليز لن يأتوا بقواتهم إلى مواقع أفضل وأقرب ثم يقصفوننا ، بمعنى أنهم سيهاجموننا من الكويت بدلاً من السعودية .

وقلت له :

ـــ ليست عندي ضمانات أقدمها ، ومن المحتمل أن يكون هناك جواب لدى دول الجامعة العربية ، فهي تستطيع أن تضع قوات بينك وبين الكويت تعطي درجة من الأمان لكل منكما ، وهذا دور سبق لدول الجامعة العربية أن مارسته من قبل ، وقد كنت أنا وزير الخارجية البريطانية حينما حدث ذلك .

ورد قائلاً :

ـــ الموقف الآن أصعب مما كان في التجربة الماضية .

وقلت له :

ـــ إنك تستطيع إبداء مرونة كبيرة ، فأنت توصلت مع الإيرانيين إلى ترتيبات تختلف كثيراً عما حاربت من أجله ، وكنا نتصور أن شعبك سوف يغضب منك ، والذي حدث هو أنه صفق لك ، وأظن أن نفس الشيء سيحدث إذا توصلت إلى ترتيبات تؤدي بك إلى الانسحاب من الكويت .

وكان رأي صدام :

الموقف بالنسبة للكويت ، يختلف عما كان عليه الحال مع إيران .

وقلت له :

ـــ ألا ترى أن العواقب يمكن أن تكون مزعجة ومدمرة ؟

أجاب باقتضاب :

ـــ أفهم ذلك .

وانتقل حديثنا ـــ يقول هيث ـــ إلى موضوع الأسلحة الكيميائية ، وأبديتُ معارضتي لهذا النوع من السلاح .

فقال لي :

ـــ أفهم أسباب اعتراضك ، وخشيتي أنه إذا احتدم القتال فإن الأمريكان والانكليز قد يستخدمون أسلحة نووية ضدنا وهكذا ستفعل إسرائيل ، والشيء الوحيد الذي أملكه هو تلك الأسلحة التي تعترض أنت عليها ..

ويتابع هيث شهادته أمام لجنة القوات المسلحة الأمريكية التابعة لمجلس النواب قائلاً :

ـــ بدا لي صدام حسين كرجل يملك الكثير من العزم والتصميم ، وعلى وجه اليقين فإنه ليس مجنوناً كما تصوره وسائل الإعلام في الغرب ، وهو بالتأكيد ليس هتلر جديداً ..

ثم استطرد يقول :

ـــ حينما قلت كلاماً من هذا النوع في مجلس العموم البريطاني ، هاج علي عدد من أعضاء المجلس ، ومازلت أعتقد ، أن استعمال أوصاف من نوع مجنون ، وتشبيهات من نوع هتلر ، هي مجازات أدت إلى أخطاء فادحة .. أنا أعتقد أيضاً أن العراق أخطأ في حساباته بالنسبة للكويت ، وقد يكون من المفيد أن نساعده على تلافي الخطأ ، خصوصاً وقد أثبت صدام أنه يستطيع أن يغير اتجاهه إذا أدرك خطأه كما فعل بالنسبة لإيران .. إن البديل لذلك ، وهو الحرب ، قد يكون مكلفاً عسكرياً ، وقد يكون مكلفاً اقتصادياً لأن الحرب سوف تجري في المنطقة الحيوية التي ينبع منها معظم بترول العالم ، وترقد تحتها أكبر كمية من احتياطياته .

في أعقاب زيارة هيث لبغداد ، قام ثلاث من الشخصيات العالمية البارزة بزيارة

بغداد كل بمفرده ، مروراً بالعاصمة الأردنية . وكان أول الزائرين في هذه المجموعة رئيس الوزراء الياباني السابق ياسوهيرو ناكاسوني (يوم٤/١١/١٩٩٠) وبعد اجتماعه مع الرئيس العراقي قال :

(لقد أبدى الرئيس التزاماً بالغ الجدية ، وكان صادقاً بسعيه لحل سلمي للموقف) (وكالة الأنباء الفرنسية بتاريخ ٤/١١/١٩٩٠ .

وفي تصريح له لجريدة القادسية العراقية بتاريخ ٦/١١/١٩٩٠ قال : وجدت الرئيس العراقي ، رجل دولة على درجة عالية من التفكير والاهتمام بأمور شعبه ، لقد لاحظت حرصه على ضرورة الإسراع بإيجاد حل سلمي وعادل للمشكلات في الشرق الأوسط ، كما لاحظت أنه كان يركز حديثه معنا على أهمية إيجاد حلول متلازمة لقضايا المنطقة ، وتأكدت أنه يريد حلاً سلمياً تفاوضياً لأزمة الخليج) .

وعن رأيه الشخصي أجاب ناكاسوني :

(أعتقد أن مشكلة الخليج يجب أن تحل بعيداً عن منطق الحرب) وقد اقترح ناكاسوني بعد عودته إلى طوكيو (إجراء محادثات مباشرة بين بغداد وواشنطن ،ولكن واشنطن رفضت الاقتراح) (وكالة رويتر ٩/١١/١٩٩٠) .

كان المستشار الألماني السابق ، رئيس الاشتراكية الدولية فيلي برانت ، الزائر الثاني في المجموعة (يوم ٥/١١/١٩٩٠) وقد حمل المستشار أفكاراً متطورة حول نوايا قوات التحالف ، وذكر أن من جملة ما قاله للرئيس صدام حسين ، أن الغرب لن يترك العراق يفلت من الحرب ، وأن الولايات المتحدة أقدمت على ارتكاب أخطر واحدة من فضائحها (أي إيران ـــ كونترا) خلال حرب الخليج الأولى ، كيلا يربح العراق الحرب .. كانوا يخافون من بروز قوة إقليمية كبيرة في هذه المنطقة الحساسة بالنسبة لهم .

كان في سياق ما قاله للرئيس العراقي أيضاً :

ـــ إذا كانت الولايات المتحدة غير مستعدة لرؤية العراق جالساً فوق بترول إيران ، فكيف تراها ستفعل إذا أحست بأن العراق يريد أن يجلس على بترول الخليج كله ؟..

وبتاريخ ١٩٩٠/١١/٢٢ نشرت صحيفة لوس أنجلوس تايمز مقالة لبرانت حول أزمة الخليج قال فيها :

(إن النزاع العراقي الكويتي ، والقضـايا العربية الأخرى ، يمكن تسويتها بالطرق السلمية ، لابقرع طبول الحرب ، إنه لمن المهم تشجيع الدول العربية على عقد اجتماع قمة لحل مشكلة الخليج سلمياً ، واقترح أن يكون جدول أعمال القمة حسبما يلي :

١ ــ انسحاب القوات العراقية من الكويت لتحل محلّها قوات عربية كمرحلة مؤقتة .

٢ ــ إجراء استفتاء شعبي في الكويت تحت إشراف الأمم المتحدة ..

٣ ــ تزويد العراق بميناء على الخليج .

٤ ــ إجراء تحكيم دولي بخصوص النزاع على الحدود ، وبالذات حقل الرميلة النفطي .

٥ ــ توقيع اتفاق بين العراق والكويت يقضي بالتشاور حول سعر عادل للنفط وتوزيع حصص الإنتاج) .

واختتم برانت مقالته بقوله :

(إن الطرق الدبلوماسية ، وليس العسكرية ، هي وحدها الكفيلة بتفادي إزهاق أرواح الألوف من الجنود والأبرياء ، في الشرق الأوسط ومنطقة الخليج) .

كان زعيم الجبهة الوطنية الفرنسية جان ماري لوبين ، هو الزائر الثالث لبغداد في غضـون أسبوعين من بداية اللقـاءات الغربية (١٩٩٠/١١/١٩) (علماً بأن هذه الزيارة الفرنسية اطلاعية وغير رسمية) .

وقد صرح لوبين بعد محادثاته مع الرئيس العراقي ، بأنه قد وجد تفهماً كاملاً من بغداد لحساسيّة الموقف ، كما أن الرئيس العراقي كان شديد الحرص على الحل السلمي لأزمـة الخـليج وقضــايا المنطقـة ، بما في ذلك القضيـة الفـلسطينيـة والنزاع العربي الإسرائيلي) .

وعلى هذا الأســاس ، أعلن لوبين أنـه يؤيد مبـادرة العراق التي أطـلقهـا في ١٢آب ١٩٩٠ ، القـائمة على أسـاس التفـاوض والحوار لحل جميع القضـايا تدريجياً وبشكل متسلسل ، بالطرق السلمية .

وخلال الأسبوع الثاني من شهر تشرين الثاني ، قام وزير خارجية الصين بزيارة إلى

المنطقة (القاهرة ، الرياض ، عمان ، بغداد) وقبل مغادرته أدلى بتصريح في السفارة الصينية ببغداد قال (إن صدام أكد استعداده لممارسة جهود كبيرة لتحقيق حل سلمي للأزمة) وأنه (أي وزير الخارجية الصيني) يؤيد عقد قمة عربية لبحث أزمة الخليج .. ويسول الدكتور عودة بطرس عودة في كتابه (حرب الخليج من المسؤول ص١١٧) ما يلي :

(كان وزير خارجية الصين هو الوحيد من وزراء خارجية الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي ، الذي زار بغداد وتباحث مع الرئيس العراقي ، أما الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا فقد امتنعت منذ البداية عن إرسال مسؤولين رسميين للتباحث مع القيادة العراقية لمناقشة السبل الكفيلة بحل الأزمة سلمياً) .

مجزرة في بيت المقدس :

على محورها الرئيسي ، راحت إسرائيل بكل قوتها ، تدفع باتجاه نشوب الحرب (اليوم قبل الغد) وفي هذا الإطار ها هو وزير الدفاع الإسرائيلي موشي آرينز يقول (إذا بقي صدام حسين في منصبه ، وإذا ظل ممتلكاً لأسلحته التي بحوزته ، ستكون لنا ، ولكل بلدان المنطقة والعالم بأسره ، أسباب تدعونا للقلق) . وعلى مجرى الأسابيع ، راح ضباط إسرائيليون كبار ، يستحثون الخطا باتجاه (**هجوم عسكري كثيف وسريع ضد العراق**) وهناك ضابط كبير في قوات الاحتياطي الإسرائيلية ، أعلن من جهته : (إن الوقت يعمل ضد الولايات المتحدة ، وضدنا جميعاً ، الواضح هو أنه إذا واصل الوضع تطوره على هذه الشاكلة ، فإن الاضطرابات قد تندلع في المنطقة وخارجها أيضاً ، حتى الأردن وفي نهاية الأمر عندنا) (الخليج مفاتيح حرب معلنة آلان غريش ودومينيك فيدال ترجمة إبراهيم العريس ص ٢٥٤) .

الرابط الآخر الذي أقامته إسرائيل مع أزمة الخليج هو عدم الربط نفسه ، فقد عكفت في جهد يومي دؤوب ، للحيلولة دون إقامة أي رابط بين مفاوضات الخليج والتفاوض حول الأراضي المحتلة (ما من رابط هناك بين أزمة الخليج والصراع

الإسـرائيـلي ــ العـربي) (من تصريح لبنجـامـين نـاتـانيـاهو نائب وزير الخارجيـة الإسرائيلي) .

المحور الثـالث يتمثل في طلب زيادة العون الاقتصـادي والعسكري الذي قدمته الولايـات المتحـدة لحلفـائها من العرب المعتدلين : (السعودية معونات عسكرية) (مصر معونات مالية) ، وعلى هذا النحو حصلت تل أبيب على شحنة من الأسلحة المتطورة قيمتها مليار دولار (في يوم ٣١ آب) ، ثم حصلت في السادس من أيلول على زيادة بلغت ملياراً آخر في حجم مساعداتها العسكرية ، وفي العاشر من تشرين الأول أفرجت واشنطن عن ٤٠٠ مليون دولار مخصصة لتوطين اليهود السوفييت ، وبقي بعد ذلك ، أن تحصل إسرائيل على ما كانت الولايات المتحدة قد وعدت مصر به : إلغاء الديون العسكرية البالغة زهاء ٤,٥ مليار دولار ..

كان كل هذا السخاء الأمريكي ينبع من ينابيع النفط السعودي والكويتي وبقية دول الخليج .. فمسح الديون ، وتقديم المساعدات المالية أو العسكرية ، ستحمّل في النهاية على كلفة حرب الخليج عموماً ، ولا شيء آخر ..

لقد أحرجت الجريمة التي ارتكبها الإسرائيليون وأودت بحياة ٢١ فلسطينياً مع جرح ١٤٠ آخرين يوم الثامن من تشرين الأول في باحة المسجد الأقصى ، أحرجت الوضع الملتف حول الولايات المتحدة في أزمة الخليج برمته ..

وصرح الإسرائيليون فوراً (إذ من عادة إسرائيل إعداد الحدث مع التصريح الذي سيليه بالوقت ذاته) أن الأحداث المروعة التي حدثت في المسجد الأقصى ، قد حركتها منظمـة التحرير الفـلسطينية بهدف إحراج إسـرائيـل ، وذهب آخرون مع الناطقين الرسميين الإسرائيليين إلى حد اتهام العراق بأنه كان المحرض الذي يقف خلف منظمة التحرير ..

كانت الحقائق التي قدمتها لجنة المحققين الغربية (تقرير من ٣٤ صفحة) تشير إلى أن مجموعات من المتطرفين اليهود (حراس الهيكـل) أرادوا هدم جانب من المسجد الأقصى ليشيدوا مكانه معبداً يهودياً ، وتصادف وصول (حراس الهيكل) مع إقبال المصـلين العرب إلى داخل المسجد لأداء فريضـة الصـلاة .. وتظـاهرت الشـرطة

الإسرائيلية بمحاولتها منع المتطرفين اليهود من الاقتراب من المسجد دون جدوى ، عندها اشتبك المصلون العرب بكل ما وصلت إليه أيديهم (ليس هناك غير الحجر ، تصله اليد الفلسطينية الصابرة) ، وخشية على مصير (حراس الهيكل) الذين أطلقوا نيران رشاشاتهم على المصلّين ولاذوا بالفرار ، راحت الشرطة الإسرائيلية تفتح النار في جميع أرجاء المسجد ، تغطيةً لانسحاب الهاربين من يهود الهيكل ، الذين أصبحوا بمأمن من الخطر ..

تقول مجموعة (بتسيليم) التي تشرف على الوجود الإسرائيلي في الأراضي المحتلة ، بأن (قوات الحكومة فتحت النار على المصلين الفلسطينيين دون تمييز بين الثائرين أو المشردين الأبرياء ، والمُسعفين ، واستمر إطلاق النار بينما كانت الجموع تتفرق في كل الاتجاهات ولم يتوقف إطلاق النار حتى عندما وصلت سيارات الإسعاف والجهاز الطبي إلى المكان) (حرب الخليج ، بيتر سالنجر ص ١٥٨) .

لم يمنع الحدث رئيس الولايات المتحدة من استقبال شامير يوم ١١ كانون الأول بحرارة ، ولم يكتف الرئيس الأمريكي بإعطاء شامير الضمان القاطع بأنه (لن يكون هناك ثمة حل لأزمة الخليج على حساب إسرائيل) ، بل إنه عمد كذلك ، وكأنه يوفر الضمانة لضيفه ، إلى أن طلب من ممثليه في الأمم المتحدة ببذل كل ما في وسعهم للحيلولة ، دون تبني مجلس الأمن لقرار يدعو لعقد مؤتمر دولي حول الشرق الأوسط (ولكن دون استخدام الفيتو) :

لقد تعمد بوش في لقائه مع شامير ، عدم الإتيان على ذكر جريمة المسجد ولو بكلمة .. ومع ذلك حين حدثت تلك الجريمة كان (رسمي إيطالي على مستوى كبير) يزمجر قائلاً (هذا امتحان حاسم للزعامة الأمريكية في الخليج ، لأن الهمجية الإسرائيلية قد يكون من شأنها إلحاق الضرر بإجماع فعلي في مجلس الأمن ، وبالعلاقات الدولية الجديدة ، وبسيادة القانون ضمن إطار الأمم المتحدة) .

واضطرت الولايات المتحدة أخيراً ، يوم ٢٠ كانون الأول ، إلى الموافقة على مسعى جديد لمجلس الأمن ، في سبيل عقد مؤتمر دولي حول الشرق الأوسط ، غير أن هذا المسعى ، لم يصدر كقرار من مجلس الأمن !.. بل كإعلان من قبل رئيسه بشكل

ملتبس ، وإن الإعلان نفســه لايلزم أحداً على أية حال .. ومع ذلك فقد أكدت واشنطن أنها تستبعد فكرة عقد أي مؤتمر دولي لتسوية الصراع العربي ـ الفلسطيني ، الذي يشكل لب المآسي في المنطقة منذ أربعة عقود من السنين ..

فأية لعبة مخادعة وغش كبير ـ يقول آلان غريش ، المصدر الســابق ص ٢٥٦ ـ يمكن تبرير الدخول مباشرة في حرب ضد العراق من أجل الكويت ، في الوقت الذي يظل العالم فيه منذ ربع قرن ، (أي الاحتلال الإسرائيلي للضفة وغزة والجولان وسيناء) خافض السلاح في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي لهذه المناطق مع جنوب لبنان ، كيف يمكن تبرير ذلك كله دون الإقرار بأن السلوك الغربي يختلف تبعاً لما إذا كان الأمر يتعلق بزيت النفط أو بزيت الزيتون !..

في ذلك الوقت ، التاسع من تشرين الأول ، كان مجلس الأمن يبدأ نقاشاً حول مجزرة الأقصى ، وســارعت الولايات المتحدة إلى رعاية مشروع قرار يكتفي بإدانة إسرائيل خشية على وضع تحالفاتها الدولية والعربية من الانفراط .. وتقرر في هذه الأثناء أن يقوم الأمير بندر بن سلطان سفير السعودية في واشنطن ، بدعوة زعامات المؤتمر اليهودي الأمريكي وفي طليعتهم هنري سيغمان ، لإجراء مشاورات تتعلق بالوضع الراهن في المنطقة ، كان أصدقاء إسرائيل من المقربين لإسحق شامير وغيره ، قد لبوا دعوة الأمير ، لمعرفتهم المسبقة بسخاء الأمير السياسي والمادي في مثل هذه المناسبات .

وأخذت الصحافة الإسـرائيلية ـ فيا بعد ـ تنشر تفاصيل اللقاء (جيروزاليم بوست ٨ تموز ١٩٩١) الذي دار على النحو التالي طبقاً لما يرويه هيكل في كتابه أوهام القوة والنصر ص٤٧٥ الترجمة العربية :

سأل سيغمان أثناء اللقاء مع الأمير سؤالاً محدداً قال فيه :

ـ إنني أريد أن أسألك ياسيادة السفير ، هل أن بلادك بعد أن تنتهي هذه الأزمة سوف تعلن بلاقيد أو شرط اعترافها بحق إسرائيل في الوجود ؟ وهل أنت مستعد لأن تؤكد لنا أن بلادك سوف تقوم بتطبيع علاقاتها بالكامل مع إسرائيل بعد التوصل إلى حل سلمي ..

ورد بندر طبقاً لرواية سيغمان قائلاً :

ــ نعم هذا هو بالضبط ما أقوله ، وأضيف عليه أن دولاً أخرى سوف تكون على استعداد لاتخاذ نفس الموقف ..

وروى سيغمان تفصيلات أخرى مما سمعه الوفد اليهودي الأمريكي من الأمير وبينه :

● إن بندر ، قال لهم : إنه نصح الإدارة الأمريكية بأن تستعمل حق الفيتو ضد قرار يدين إسرائيل بسبب عدوانها على المسجد الأقصى ، وكان رأيه أن أية إدانة لإسرائيل تعتبر في جزء منها انتصاراً لصدام حسين ، ولكن الإدارة الأمريكية لم تأخذ برأيه ، ولم تستعمل حق الفيتو مراعاة للأطراف العربية في التحالف العسكري ضد العراق .

● إن بندر قال لهم :

ــ إنه ذكر لوزير الخارجية الأمريكي جيمس بيكر بأن السعودية سوف تشترك في المحادثات مع إسرائيل فيما يتعلق بالقضايا الاقليمية مثل قضية المياه .. لكن الرياض لن تصدر تصريحاً بالاعتراف بإسرائيل ..

إن بندر قال لهم :

● إن منظمة التحرير الفلسطينية فقدت مصداقيتها بتأييدها صدام حسين ، وأنه بعد الحرب ، إما أن تظهر منظمة تحرير جديدة ، وإما أن تظهر قيادات جديدة من الداخل تستطيع التعامل مع إسرائيل بصورة أفضل .

وروى سيغمان أن بندر طلب إليهم تقدير الظروف وإعطاءهم فرصة .

خطة هجومية من أربع مراحل

في خطط القادة العسكريين الغربيين ، كما في خطط أذنابهم من المعلّقين ، ثمة فراغ يشغله البشر ، لا يوجد عراقيون أو أكراد أو تركمان ولهذا فما من داع إلى العذاب الخلقي عند إسقاط قنابل التدمير الجماعية فوق ذلك الفراغ .

الكسندر كوكبرن مجلة ذي نيشن في ١٨شباط١٩٩١ .

كان الجنرال روبرت جونستون ، من كبار ضباط المارينز ، قد وصل إلى مكتب باول في العاشر من تشرين الأول ، قادماً من السعودية ، ومحملاً بأفكار عسكرية عن حالات الردع والهجوم حسب تطورات الموقف وطلبات القيادة السياسية في واشنطن .. وكان جونستون قد أرسل من قبل شوارزكوف ، الحائر في الأوضاع التي سيستقر عليها (الفتيان الكبار ـــ كما كان يسميهم باول) في البيت الأبيض .

وبعد الظهر ، كانت غرفة العمليات في البنتاغون تضم شيني وولفوتيز وباول ورؤساء أركان مختلف الصنوف وجون كيلي ..

بدأ جونستـون ، مبعوث شـوارزكوف العسكري ، يذكر المجتمعـين بأن القيـادة المركزية كانت قد نشرت قواتها وفقاً لمهمة الردع والدفاع التي حددها الرئيس ..

وقـال : لكن إذا طـلب منـا الرئيس أن نبدأ الهجوم غداً ، ففيا يلي ما يمكن أن نفعله .. ومع أننا لم يكن لدينا وقت طويل لدراسة هذا الأمر ، ولسنا مستعدين للقول بأن هذه الخطة هي الخطة السليمة ، فإن هذا أفضل ما لدينا .

وتابع جونستون قائلاً :

لقد تم تقسيم الخطة (أي خطة الهجوم التي يمكن أن تُطلب على عجل) إلى أربع مراحل ، حيث تقتصر المراحل الثلاث الأولى على حملة جويّة متلاحقة ، بينما تكون الرابعة هجوماً برياً .

تتمثل المرحلة الأولى في هجوم جوي على :

- مراكز القيادة والتحكم والاتصالات العراقية .
- تدمير سلاح الجو ومراكز الدفاع الجوي العراقيين .
- تدمير مرافق العراق الكيميائية والبيولوجية والنووية .

وتضم المرحلة الثانية نخبة من الأهداف هي :

- تدمير المصانع والمخازن والمختبرات التي تزود الجيش العراقي بالأسلحة والذخائر .
- تحطيم شبكة المواصلات خصوصاً المطارات ومهابط الطائرات والموانئ والجسور وشبكات الماء والكهرباء والطرق البرية الرئيسية .

أما المرحلة الثالثة فخصصت بكاملها من أجل :

- هجوم جوي ضخم ضد القوات الأرضية ، وفي طليعتها فرق الحرس الجمهوري وهي نخبة الجيش .

وعلّق جونستون قائلاً :

ـــ يمكن بطريقة ما دمج المراحل ، إذ بعد أسبوع من بداية المرحلة الأولى ، يمكن شن الهجوم الأرضي للمرحلة الرابعة على القوات العراقية .

وكانت خريطة جونستون تشير إلى وجود ثلاثة أسهم كبيرة تظهر مراحل الهجوم الثلاث ، وكان أحد الأسهم يمثل المارينز الأمريكي في هجوم برمائي من مياه الخليج ،

بينما كان السهم الثاني يمثل فرق الجيش الأمريكي في هجوم مباشر عبر الخطوط العراقية ، بينما كان السهم الثالث يمثل فرقاً مصرية برية ، تقوم بهجوم جبهي مع حماية أحد الأجنحة الأمريكية ..

وسأل شيني على الفور :

ــ وهل تستطيعون الاعتماد على المصريين حسب هذا السهم الثالث (القادة . بوب وودورد . ترجمة برهوم ص٢١٣) .

وتابع أسئلته المرتبكة :

ــ ماذا عن قوات المساندة إذا رد العراقيون بهجوم مضاد ؟

كان شيني يريد أن يعرف فيما إذا كان من الممكن إرسال قوات أمريكية إلى الغرب على امتداد الحدود العراقية مع السعودية شمال الكويت وإلى الغرب من المنطقة المحايدة بعيداً عن مناطق تحشد القوات العراقية في عملية التفاف من الخلف والأجناب ، وراح يسأل :

ــ هل يمكن إعادة توزيع القوات بسرعة كافية لايعرف العراقيون بها ؟

أجاب جونستون :

ــ أظهر التحليل الأولي لرمال الصحراء العراقية ، بأنها ناعمة جداًورطبة بآن واحد ، لذا فمن الصعب على عربات الإمداد أن تنقل ما هو لازم لفرق الدبابات ..

لوى كيلي شفتيه عندما وصل الحديث إلى المرحلة الرابعة ، أي خطة الهجوم الأرضية فقد كان يعلم منذ دراساته الأكاديمية الأولى ، (بألا تهاجم قوة العدو) و(اذهب إلى حيث لاتوجد قوات للعدو) وشعر أن الخطة تفتقر إلى الإبداع والحركة والانتقال .

شعر شيني بالرضا تجاه مراحل الهجوم الجوية الثلاثة ، خاصة بعد أن أقنعه باول بالفوائد الهائلة للقوة الجوية في الصحراء ، بالإضافة إلى ذلك قال باول :

ــ إن الأهداف التي لاتصاب في الغارة الأولى يمكن ضربها مرة بعد مرة ، حسب الضرورة .

قال شيني :

ــ إن قيام وحدات المارينز والجيش بالهجوم على قوة عراقية دفاعية أكبر ــ حيث يعتمد ذلك على ما تبقى من قوات عراقية بعد القصف ــ أمر يفتقر للحكمة ، حتى بالنسبة لرجل مدني مثلي .

ثم تابع :

ــ إن كثيراً من القوات الأمريكية المحمولة جواً ذات أسلحة خفيفة وقد تضطر لمحاربة قوات مدرعة ثقيلة ، وليس هناك قوات احتياط للدعم .

وتساءل : هل بالإمكان تزويد القوات الأرضية بالوقود والطعام والذخيرة ؟..

استطاع مبعوث شوارزكوف ، الجنرال جونستون إبطال مفعول معظم الأسئلة التي أوردها شيني ، بما فيها السؤال حول حكمة توغل القوات الأمريكية وسط الجبهة ..

غير أن جونستون لم يستطع المتابعة بالنسبة لخطة الهجوم الأرضية ، من حيث أنه هو نفسه غير مقتنع بكفاية القوات اللازمة لهذا الهدف . قال :

ــ حتى مع التفوق الجوي والتكنولوجي والبحري الأمريكي ، فإن الخطة الأرضية لازالت مفعمة بالمشاكل .

وأردف قائلاً :

ــ ليس لدينا القدرة على الأرض بشكل يضمن النجاح .

رد شيني :

ــ إذن ، فإن شن هجوم بالقوات الأمريكية الموجودة الآن ، يمكن أن يكون مجازفة كبيرة ..

قال جونستون :

ــ لدينا فرصة من حوالي ستة أسابيع ، من الأول من كانون الثاني إلى منتصف شباط ، حيث يكون الجهد الهجومي أمراً مرغوباً فيه ، بعد ذلك ــ تابع جونستون ــ فإن هناك عوامل ستلعب في الاتجاه العكسي :

وسيكون الطقس من بينها حيث يمكن أن تصل درجة الحرارة إلى مئة درجة ، وحيث الأمطار الغزيرة ستنهمر في آذار ، وهناك الأشهر الدينية والأعياد الإسلامية التي ستعقبها شعائر الحج ..

واختتم جونستون ملاحظاته قائلاً :

ـ إن توقيت الهجوم من الأهمية بمكان ، إلى درجة يُخشى معه من إفراز تعقيدات في أوضاع الدول العربية والإسلامية المشاركة في التحالف ..

بوش بين خيار (آلان المبكّر) و(الغد المتأخر) :

لم يكن شوارزكوف سعيداً لأنه ظل في السعودية ، حين كان الإيجاز العسكري يُقدم لرئيسه في غيابه .

في الحادي عشر من تشرين الأول ، قدم جونستون العرض أمام بوش في البيت الأبيض بحضور شيني وسكاكروفت وباول وسنونو ، وامتد الاجتماع زهاء ساعتين ، وكان بوش يقاطع جونستون أثناء العرض ، كما تدخل سكاوكروفت (وهو جنرال قديم أيضاً) في النقاش ، وراح يعرض أسئلته بخصوص حقول الألغام العراقية ونظم الأسلحة الأخرى ..

قال جونستون في إيجازه :

ـ إن شوارزكوف سيحتاج إلى المزيد من القوات المدرعة الثقيلة كي يصبح عنده قدرة على الهجوم .

وسأل بوش :

ـ ما هي المدة اللازمة لنقل هذا الفيلق ؟

أجاب جونستون :

ـ كي تصل إلى مواقعها فهي تحتاج من شهرين إلى ثلاثة .

وعاد بوش يسأل :

ـ ما هو قوام هذه القوة المطلوبة .

وصمت الجميع ، غير أن وزير الدفاع ديك شيني ، رأى أن من واجبه الرد غير المتسرع ، فقال :

ـ أعدك سيادة الرئيس ، أن أوفر لك الإجابة على الفور .

كان بوش قد استوعب دروس فييتنام تماماً ، حين راحت هذه الحرب تتصاعد بقوتها الذاتية ، ملتهمةً المال والرجال ، بالتدريج .. وأدرك بوش ، أنه لايريد تكرار

المأساة ، بإقحام قواته في حرب بريّة مجهولة المصير ، وكان يريد التأكد تماماً من أمرين :
ـــ أن عدد قواته الأرضية كاف لخطة الهجوم ضد الكويت والعراق .
ـــ وأن توقيت ساعة الصفر ، جاء متناسقاً مع الأوضاع المناخية والاجتماعية في المنطقة .

وراح بوش يستحث خطاه للمواءمة بين خيارين صعبين ، الزمن اللازم لدفع المزيد من القوات المطلوبة للهجوم ، وضبط ذلك على عقارب ساعة مواتية ..

تذكر بوش كلام أحد كبار الاستراتيجية العسكرية الألمانية القدامى حين قال (**إن توقيت الحرب من الدقة ، بحيث يبدو اليوم مبكراً وغداً متأخراً**) وجعل يغالب جهداً مضنياً كيلا يقع ضحية اليوم المبكر أو الغد المتأخر .

الحدقات المتسعة لعيون الفضاء :

أياً كانت تلك الخطط التي سيتم اعتمادها في النهاية ، سواءً بالنسبة (لدرع الصحراء) أو (عاصفة الصحراء) . أو بالنسبة لتوقيتات الهجوم واندلاع العمليات ، فقد باشرت تكنولوجيا الفضاء الأمريكية عملها منذ ما قبل تفاقم أزمة الخليج الثانية بزمن بعيد ، وقد ارتفعت معدلات العمل المحموم ، فوق المنطقة الشرقية للبحر الأبيض المتوسط ، بحيث وصل العدد الإجمالي للأقمار الصناعية التجسسية الأمريكية في هذا الوقت إلى ستة أقمار صناعية ، وكانت هذه الأقمار ترصد كل ما يجري على مسرح العمليات وأعماق العراق ، حتى قيل ، إن هناك قمراً واحداً على الأقل يمر كل ساعتين فوق العراق ، ملتقطاً صور الأحجام والأشياء والقوات ، وتلك التي يمكن أن يكون حجمها بحجم البرتقالة .. وكانت هذه الأقمار ـــ بما فيها المخصص لالتقاط الاتصالات سواء بالسلكي أو اللاسلكي أو عبر الراديو ـــ ترسل بحصيلة عملها إلى الأجهزة والمحطات الأرضية لتقوم بتحليلها في أجزاء من الدقيقة ، ثم يعاد تحويلها إلى القيادة المركزية في الرياض .

ويقول الخبراء الغربيون ، إن من بين الأقمار الصناعية فوق العراق ، قمراً من نوع (K.H.11) يلتقط الصور بكاميرات تلفزيونية ـــ تلسكوبية ، أما شقيقه (K.H.12) فيصدر إشارات رادار تخترق الحجب والظلام كي تلتقط أجساماً بحجم كرة القدم

بمساحة ثلاثة ملاعب للصورة الواحدة .. وهناك آلاف الصور على بكرة شريط الفيلم الواحد ، وبعد التقاط الصور وتسجيل المعلومات والأصوات .. إلخ ترسل حصيلة العمل ، إلى محطة في جزيرة جرينلاند على الفور .. ومنها إلى المركز القومي للترجمة والتحليل التصويريين ، ومن هناك إلى البنتاغون ووكالة المخابرات ، فالبيت الأبيض ، لتكون على طاولة الرئيس بعد ساعة واحدة ، من لحظة تصوير القمر ذاته ..

وهناك أقمار صناعية أخرى ، فوق خط الاستواء ، هدفها تصوير أهداف جانبية في العراق والمنطقة ، وهو ما يتصل بعمل صواريخ كروز المنطلقة من البوارج البحرية أثناء العمليات ..

وقد خصصت القيادة الأمريكية ، أقماراً من نوع (K.H.4) هدفها التقاط الاتصالات عبر الهواتف المتنقلة ، كما أنها تستطيع التقاط أصوات هدير الدبابات مع متابعة اتجاهها ، ومنها ما بمقدوره التقاط درجات الحرارة مع تحديد نوع المصانع سواء كانت في حالة التسخين أو التبريد ، وتقوم محطة (فورتميد) الأرضية في ولاية ميرلاند الأمريكية بتحليل واستخراج آلاف المعلومات المبثوثة من هذا النوع من الأقمار ..

ولم تكتف القيادة الأمريكية ، في سعيها استعجال الزمن للتوجه إلى الحرب ، بكل هذه الأقمار التجسسية التي كانت تمسح المنطقة والعالم ، بل راحت تقيم منذ بداية الأزمة أكبر شبكة استطلاع عسكري وإنذار الكتروني في العالم فوق المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية .. لقد شمل ذلك شبكة إنذار مبكر (طائرات الأواكس) وأجهزة تشويش الكتروني في غاية التطور (طائرات تي يو) ويقول مسؤولون أمريكيون في جهاز السي آي إيه أن دولاً أخرى (يُقصد السعودية) كانت تقوم بتقديم حصة الممول الأكبر لهذه الشبكات ..

وكانت هذه الأقمار والطائرات الأخرى ، بمساعدة أقمار ريلاي الأمريكية وعددها ٢١ قمراً صناعياً تجسسياً ، تمسح المنطقة وتجوب الكرة الأرضية على ارتفاع ١٥٠٠ كيلومتراً ، وبمعدل ٩٦ دقيقة للدورة الكاملة حول الأرض .. كلها قد سُلّطت فوق منطقة الخليج ..

وتقول المصادر الغربية (المطرقة والدرع .. تشارلز أمرنجر ترجمة غانم زين الدين ص٣٩٠) (أن قاعدة (نورونجار) في البراري الأسترالية (٥٠٠ كم شمال غرب مدينة إديلد الاسترالية) كان هدفها تعقب صواريخ سكود العراقية منذ الثانية الأولى من إطلاقها ، وخلال دقيقة واحدة يتم إرسال المعلومة إلى القيادة المركزية في السعودية .. ويقول المحللون العسكريون إن مسار الصاروخ العراقي من منطقته غرب العراق إلى إسرائيل كان يستغرق خمس دقائق ، وكانت (نورونجار) الأسترالية ، تمنحنا فرصة أربع دقائق للتعامل مع الصاروخ العراقي بواسطة باتريوت .. لم تكن العلّة في (نورونجار) الحريصة على أرواحنا ، بل في باتريوت الذي كان علينا أن نستخدم رزمة منه ، لمجابهة صاروخ عراقي واحد ، رغم أن الأخير ، صاروخ إبتدائيٌ ليس أكثر) .

كانت محطات الأقمار الأرضية في أستراليا ، قد قامت بدور يفوق بكثير دور السفن الحربية الاسترالية الثلاث الموجودة في الخليج (المصدر السابق) .

باول إلى السعودية :

قبل رحلته المقررة إلى السعودية في الحادي والعشرين من شهر تشرين الأول ، أراد باول أن يتأكد من آراء القادة في هيئة أركان الخطط والسياسة التابعة له ، وقام بإرسال (ورقة خيار) إزاء الخليج إلى هذه الهيئة التي كانت تحمل الرمز (ج٥) . وكان يرأس هذه الهيئة الجنرال جورج بوتلر ، وهو ضابط كبير في الاستراتيجية الجوية ، وقد طرح بوتلر أربع إمكانيات على النحو التالي :

- الإبقاء على الوضع القائم للردع والدفاع .
- الإعداد لاحتواء طويل الأجل ، وتعزيز العقوبات لمدة تتراوح بين ستة أشهر وسنة حتى تكون فعالة .
- خوض الحرب .
- رفع القدرات بإضافة قوات كافية أمام تهديد هجومي محتمل .

وكان بوتلر يفضل الخيار الثاني ، الاحتواء طويل الأجل ، مع ممارسة ضغط متزايد من خلال العقوبات ، فالحرب من وجهة نظر بوتلر ، ستكون قذرة ودموية جداً ..

عاد باول حاملاً ورقة خيار هيئة أركانه للخطط والسياسة إلى مكتب شيني ، وكان شيني قد فرغ لتوه من تسجيل أبرز النقاط التي كان جونستون (مندوب شوارزكوف إلى البنتاغون) قد أوجزها في الجلسة السابقة ..

كان ما يؤرق شيني زج القوات عبر حواجز العراقيين الأمامية ، بعد استنفاذ الضربات الجوية في مراحلها الثلاث .. كان يتصور أن ما تبقى من القوات العراقية بعد القصف الجوي ، سيكون قادراً على إنزال أفدح الخسائر بالجانب الأمريكي المهاجم ، لذلك راح يطلب من باول أن يفكر جدياً بالقيام بهجوم بري داخل العراق في مكان ما من المنطقة الغربية للحدود العراقية مع السعودية ، على بعد ٣٠٠ ــ ٤٠٠ ميل من مدينة الكويت ، فمثل هذا الهجوم غير المتوقع على المسالك الغربية إلى بغداد . يمكن أن يضع قوة أرضية في موقع قد لايكون فيه أية تحصينات أو قوات عراقية .. كما يمكن أن يقطع خطوط الاتصال بين العراق والأردن ، إضافة إلى تهيئة منفذ لهجوم أرضي مباشر ضد قواعد الصواريخ العراقية في المنطقة الغربية من العراق ..

سارع باول للرد هائجاً :

ــ كلا .. كلا .. إنها منطقة بعيدة جداً .. لايمكنني أخذ القوات إليها ..

كان الجنرال باول ما يزال يخفي قلقاً يساوره من جراء الطريقة التي يمكن أن يفكر قادة البيت الأبيض بها ، خاصة وأن (تصريحات الرئيس باتت ترسم سياسته وليس العكس ــ باول) .

وفي الحادي والعشرين من تشرين الأول كان باول يقطع مسافة الـ ١٣ ساعة طيران إلى السعودية دون توقف .

ولمس باول على الفور ، أن التمزقات النفسية باتت تأكل شوارزكوف وأركان قيادته في السعودية ، فهم منذ ثلاثة أشهر يبنون خطط الدفاع والردع ، وهاهم يجدون أنفسهم على حين غرة ، مطالبين بإرسال ضابط قيادة كبير ، ليقدم خطة حربية هجومية ..

كان نورمان شوارزكوف (ذو الرأس الأسود باللغة الألمانية) واحداً من أبناء السلالات الجرمانية التي رحلت مع مطلع القرن إلى الولايات المتحدة ، وتمكن والده من العمل في صفوف الجيش الأمريكي كضابط منذ منتصف الثلاثينات ، وكان

واحداً من رجالات وكالة المخابرات المركزية الأمريكية الذين عملوا على الإطاحة بمصدق في مطلع الخمسينات . وكان شوارزكوف مغرماً بتاريخ أسلافه الجرمانيين ، حيث احتفظ بشجرة عائلته التي تروي في أحد تفرعاتها التاريخية (مفخرة) اشتراك واحد من أجداده على الأقل في الحملات الصليبية على المنطقة العربية . (ظل يحتفظ شوارزكوف طوال مدة الحرب في الخليج بكتابين تحت وسادته ، الكتاب المقدس مع العهد القديم ، وكتاب لورنس أعمدة الحكمة السبع) ..

عاش شوارزكوف في كنف والديه طفلاً في مدينة طهران ، طوال مدة خدمة والده كضابط استخبارات في السفارة الأمريكية هناك . ويتقن شوارزكوف الفارسية وشيئاً من العربية ، وقد أرسله والده بعد بلوغه سن المراهقة إلى الولايات المتحدة للالتحاق بالكليات العسكرية التي أخضعته لانضباط الغرب ومقاييس الخدمة العسكرية فيه ..

وترعرع شوارزكوف كضابط في البيئة العسكرية الأمريكية دون ميزات استثنائية ، اللهم ما عدا أقدميته ، فقد قضى سنوات عمره في هذا السلك ، لايعرف ما تقدّم من عمره ، ما فعل وما سيفعل ، ومن الجدير بالذكر ، أن شوارزكوف من ناحية الكشوف العسكرية ، كان أقدم من الجنرال باول ، إلا أن الظروف الرئاسية التي خدمت الأخير ، كانت قد رفّعته ودفعته إلى منصب رئاسة الأركان المشتركة للجيوش الأمريكية ، ومنذ ذلك الوقت ، فقد مال مزاج شوارزكوف إلى العصبية وسلاطة اللسان ، فقد كان لايتورع عن إطلاق أقذع الشتائم حين يصله أمر ما لايعجبه ، ولكن :

ـــ الأوامر هي الأوامر .

وكان ذلك ما قاله باول عند أول لقاء مع شوارزكوف .

وتابع باول :

ـــ مهما كان الوضع فإن علينا أن نخرج بخطة هجومية مدروسة بشكل كامل . وإن علينا أن نبين القوات الإضافية التي نحتاج إليها لهذه المهمة .

ورد شوارزكوف :

ـــ لكنني ذكرت أمام الرئيس ومنذ الرابع من آب ، بأننا نحتاج ثمانية إلى اثني عشر شهراً للوصول إلى مستوى كافٍ لإخراج العراقيين من الكويت .

وأجاب باول :

ـــ إنني لأحمل قراراً من الرئيس حول المرحلة التالية ، فيما إذا كان علينا أن نواصل المهمة الحالية ، أو نذهب إلى إعداد خيار هجومي .

ورد شوارزكوف بصوت خفيض :

ـــ كان له (يقصد صدام حسين) في الكويت مئة ألف جندي ، بينما له الآن أربعمئة ألف ..

وأجابه باول محاولاً أن يشد أزره :

ـــ سأتعهد بمساندة القائمة التي تطلبها يا نورم ..

قال شوارزكوف بحدّة :

ـــ إنني غير مقتنع بأن العملية الهجومية هي الحل ، إن إخراج صدام من الكويت سيكون عملاً قذراً ودموياً .. فهل يعرفون هذا في واشنطن ؟

أجاب باول باقتضاب :

ـــ إنهم يعرفون :

قدّر شوارزكوف بأن واشنطن على ما يبدو ، مصرّة على خطة للهجوم ، وراح يجري حساباته على أساس من هذا الواقع الجديد ، وقال :

ـــ سنضرب الأرقام الحالية لقواتنا باثنين .. ضعف القوة الجوية ، وضعف قوات المارينز ، وضعف قوة الجيش الأرضية .. ثم تابع غاضباً :

ـــ أريد الفيلق السابع .

وصعق باول لهذا الطلب ، فقد كان يعرف بأن الفيلق السابع هو حجر الأساس للدفاع عن أوروبا في حالة المواجهة مع السوفييت ، وأن هذا الفيلق هو (جوهرة التاج) على رأس القوات الأمريكية الأرضية من ناحيتي التدريب والتسليح ، وكانت التكنولوجيا العسكرية الأمريكية المتطورة تذهب إليه قبل كل الفيالق .. وأن سحب

هذا الفيلق من مواضعه المرسومة حسب خطط استراتيجية سابقة ، سيجعل أوروبا الغربية من الناحية العسكرية الدفاعية ، أقرب إلى وضع الفراغ ..

كان هذا الطلب مستحيلاً قبل الاختفاء الفعلي لتهديدات حلف وارسو في أوروبا ، لكن سياسة غورباتشوف ، وانهيار حلف وارسو جعلا من هذا الطلب أمراً واقعياً ومحتملاً ..

وتابع شوارزكوف بإصرار :

ـــ إذا كان الرئيس جاداً إزاء الهجوم ، فسوف يتوجب عليه إرسال الفيلق السابع .

أجاب باول وهو في حيرة من أمره :

ـــ سأدعم جميع الطلبات ، فالبناء العسكري الضخم بقدر الإمكان ، سيقلل من وقوع الخسائر في جميع الأحوال ..

كان باول ، وهو من أنصار انتظار نتائج العقوبات والتي يفضلها على خطط الحرب ، يعلم بأن البناء العسكري الضخم في الخليج ، هو ما كان معداً في الأساس ، لمجابهة مع جيوش وارسو والاتحاد السوفييتي ، وأن فرضية استقدام الفيلق السابع سترسم لوحة مجابهة كبرى ، لاتقل في تقليديتها المتطورة تكنولوجياً عن معركة كانت مرسومة على خرائط الاحتمالات العسكرية ـــ من الدرجة الأولى ـــ لنشوب حرب عالمية ثالثة بنسخة غير ذرية .

زار باول في اليوم الثاني من مهمته ، بعض مواقع القوات الأمريكية زيارة خاطفة ، وقال للجنود الغاضبين :

ـــ أفهم أنكم تريدون أن تعرفوا الإجابة عن سؤالين :

- ماذا سنفعل هنا ؟
- متى نعود إلى بلادنا ؟

ثم أجاب بنفسه :

ـــ عندما لاأستطيع أن أقدم الإجابة على السؤالين ، فإنما نقوم بعمل من شأنه إعطاء فسحة من الوقت لقادتنا السياسيين لإعطائنا الجواب الصريح في وقته المطلوب .

لم يكن باول متأكداً ، متى يمكن أن ينفذ صبر الجنود الساخطين على العيش هنا

منذ ثلاثة اشهر ، فالجنود غالباً ما سيحاربون من أجل بعضهم البعض ، وأحياناً من أجل الوطن وفي سبيل رؤسائهم وقادتهم .. ولكن من المشكوك فيه أن الجندي سيحارب من أجل مصالح الشركات الأمريكية ، ويصبح من المستحيل ، أن يحارب جيداً من أجل بلد آخر مثل الكويت ، أو تحت شعار : عدم منح مكافأة لصدام ..

في هذا الوقت تماماً ، كان الآلاف من الأمريكيين المتظاهرين يحتجون في أكثر من ١٥ مدينة أمريكية ، حاملين شعارات تقول (أعيدوا القوات إلى الوطن فوراً) (لاحرب من أجل أرباح الشركات والشيوخ) . وقد تحدث في مظاهرتي نيويورك وسان فرنسيسكو بعض الاحتياطيين الذين رفضوا الذهاب إلى الخليج : (يدفعوننا باسم تمثال الحرية وعلم أمريكا لكن الحقيقة أن مصالح الشركات وراء ذلك كله) (لانريد أن نغرق في فيتنام ثانية) (لماذا لاتدعوهم يحلون مشاكلهم بأيديهم) (بوش .. ماذا عن العقوبات .. لماذا كل هذه العجلة) .. إلخ كانت الجندية الاحتياطية الآنسة ستيفاني أتكينسون توضع قيد الاعتقال في سجن فورت كنوكس بكنتاكي ، لرفضها الذهاب إلى السعودية بدعوة احتياط موجهة إليها ، وعندما سألها المحامي عن أسباب رفضها أجابت :

ـــ لاأظن أن الولايات المتحدة ستنخرط في هذه الحرب لأسباب نزيهة .. إننا نحارب في النهاية من أجل المال والنفط ، وهي أهداف قذرة لاتستحق حتى حذاء جندي هناك .

باول مستاء وشوارزكوف هائج :

في مرحلة من مراحل توقفه في أوروبا وهو عائد من السعودية ، راح باول يسأل أحد مساعديه :

ـــ ما الذي يجري هناك ؟

كان باول قد سمع عبر شبكة سي بي إس وشبكة إيه بي سي ، حديثاً لشيني حول احتمال زيادة القوات الأمريكية في السعودية .. وكان رد شيني :

ـــ نعم نفكر في إرسال المزيد من القوات .

وسأل مندوب الشبكة :

ــ هل تفكرون بإرسال مئة ألف أخرى ؟

وأجاب شيني :

ــ إننا نُفكر في إرسال ذلك العدد الكبير .

عندما اتضحت الأمور بالنسبة لباول قال لمساعده :

ــ لن أسافر مرة أخرى .. فأنا لم أرَ الرئيس حول هذا الموضوع .

وتابع باول قائلاً :

ــ صحيح أن مناقشات عديدة كانت قد دارت بيننا ، لكنه لم يصدر أي قرار بعد حسب علمي ، لكن الحرب تظهر في لغة شيني الواضحة أمام الشبكات الأمريكية ، **لقد مللتُ من طريقة الاستفسار عن القرارات الكبيرة بعد صدورها !..**

في السعودية كان الجنرال شوارزكوف يسمع بتصريحات شيني مثل باول ، وقد أمطره المسؤولون السعوديون بوابل من الأسئلة الاستفسارية عما يدور في واشنطن ، واعترض البعض على التصريحات (التي تطلق من قبل سيّد البنتاغون بدون مشاورات مسبقة) ..

وكان شوارزكوف يراوغ في إجاباته مستنداً على حسن تملصه الشخصي ، واستمر ذلك إلى حين ، لكنه عاد لينفجر في نهاية المطاف ، عندما أجرت وكالة (أتلانتا جورنال) للإعلام مقابلة معه وراح يقول :

(لقد بدأنا نلمس الدليل على أن العقوبات أخذت تفعل مفعولها ، لذلك لماذا نقول : حسناً ، أعطيناها شهرين ولم تنجح ، إذن هيا نشن الحرب ، ونقتل عدداً كبيراً من الناس .. إنه لجنون .. جنون) .

وتطرق شوارزكوف في المقابلة مستذكراً فييتنام :

ــ (كنا نمطر فييتنام بالصواريخ والقنابل ، ولم تكن ثمة مقاومة فييتنامية تذكر ، وما هي إلا ساعات ، حتى كنت تجد الفييتناميين الشماليين يخرجون من مخابئهم مثل الشياطين) .

ثم أضاف شوارزكوف مستنكراً قرار الحرب :

ـــ (إن الحرب إثم ونجاســة ، لأن فيها طرفين متقابلين يحاول كل طرف أن يسوي خلافاته مع الطرف الآخر بقتل أكبر عدد ممكن من الناس) .

سيجد المرء في موقف الرجل (شوارزكوف) الذي كان يفخر بأجداده المشاركين في الحروب الصليبية ، شيئاً من الغرابة ، غير أن مضي قطار العمر يجعل من الإنسان ـــ الفتى ، شيئاً آخر .. فها هو شوارزكوف الذي سيحال على التقاعد بعد أشهر من أزمة الخليج قد كبر ، وسيجد نفسه قبيل الستين من عمره ، وجهاً لوجه أمام مذبحة هو بطلها ، **ولئن كان يعتبر في قرارة نفسه أن الحرب الصليبية كانت تحمل شيئاً من أثر الصليب في عالم يعج بالاستبداد ، فإن ما يدور هنا هو شيء آخر ، إذ لادخل للصليب في منطقة لاشاغر فيها لغير تاريخ الإسلام .. وقد تأكد من ذلك حين سمع البابا ذات يوم يقول : (إن هذه الحرب ستفتقر إلى كل سند لاهوتي ، يحاولون اتخاذه كذريعة من أجل شن حرب يموت فيها الإنسان) .**

ولم يكن ذلك أول تناقض يقع فيه الجنرال الموزّع وهو تناقض في جميع الأحوال ، يظهر مدى الشرخ بين رغبته الدفينة كإنسان ، وواجبه كقائد أعلى للقوات المركزية الضخمة ، وها هو إله الحرب الإغريقي يعتمر خوذته من جديد ، حين بدت رياح الحرب تهب من واشنطن ، ليجد نفسه في مرحلة لاحقة (بداية تشرين الثاني) وهو يقول عبر وسـائل الإعلام الأمريكية (إذا توجب علينا القتال ، فسنستخدم كل ما نملكـه من نيران وتكنولوجيـا هائلة التفوق والفعـالية لإحداث أكبر تدمير ممكن في القوات العراقية ، بأسرع وقت ممكن) .

وسيفكر شـوارزكوف في مرحلة لاحقـة من الحرب ، أن يصبح هانيبال القرن العشرين ، حين انتابته رغبة جامحة ، بمسح أعدائه العراقيين ، دون انتباه للتاريخ .. ساعتها لم يكن يفكر إلا بتاريخ رجل من بلاده ، إنه الجنرال أيزنهاور ، الذي تام جنرالاً وأصبح رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية .

الفصل السادس

من درع الصحراء إلى عاصفة الصحراء

إننا نسعى إلى إزالة خطر القوة العراقية من المنطقة أساساً . وإنه فضلاً عن القوة التقليدية فإننا نريد تصفية الإمكانات الكيمياوية والبيولوجية والنووية وإن هذا الهدف لن يتغير حتى إذا قرر صدام أن يسحب قواته من الكويت .

بوش . مؤتمر صحفي في ٢ تشرين الثاني .

في الأسبوع الأول من شهر تشرين الثاني ، ولم يكن قد مضى يوم واحد على انتهاء الإنتخابات الثلثية لمجلس الشيوخ الأمريكي ، حتى اتخذ بوش قراراً بزيادة عدد القوات المرابطة في الخليج إلى الضعف ، وكان ذلك يعني إرسال مئتي ألف جندي إضافي ، وهكذا رفع بوش درجة المخاطر بمعدلات عالية ، خاصة حين ألغى خطة للقيادة العسكرية تقضي باستبدال القوات القديمة بقوات جديدة ، وتحوّل الوضع برمته من درع الصحراء إلى عاصفة الصحراء .. كان الدفاع بالأمس ، وها هو اليوم يتحول إلى الهجوم ..

لا حاجة لفهم مزيد من الأسباب عن هذا التحول ، الذي كان النفط أولها وآخرها .. وقد تساءل العديد من الجناح اليميني في الحزب الجمهوري الأمريكي ، عن حمأة بوش الحربية ، علماً بأن هناك الكثير من البراهين على أن العقوبات الإقتصادية تفعل فعلها بالنسبة للعراق .

وراح جناح آخر يتساءل عن أسباب الإنهماك الأمريكي في المسألة ، طالما أن نفط القوس الشرقي للجزيرة العربية ، يهم أوروبا واليابان أكثر بكثير مما يهم الولايات المتحدة ، وأن التدخل الأمريكي ليس أكثر من حماقة صارخة تصل إلى حد الظن بأنها مشاركة مع المتنافسين النفطيين ...

لم يكن بعيداً ، أن الجواب على هذا السؤال ، كان ينطلق من داخل السؤال نفسه ، فلأن موارد المنطقة النفطية تهم الحلفاء على وجه اليقين ، فإن الولايات المتحدة قامت بإظهار قدرة فريدة ، على تشكيل مشروع قوة داخل منطقة النزاع يؤمن لها رافعة قوية في مفاوضاتها مع الحلفاء ، حول الإمتداد التجاري الأمريكي إلى أوروبا واليابان . وليس قليلاً أن طاقة العالم الإنتاجية تكمن في تلك المنطقة ، وأن الدولة التي ستسيطر على المنطقة ، ستكون قادرة قدرة مطلقة على فرض السعر والإمدادات وسياسات التخزين النفطية في المستقبل .

(ما هو أكثر دلالة أن مبيعات النفط إلى أوروبا واليابان تولّد فائض قيمة مالية ، وتعوّم هذه الفوائض بطريقة تحيلها إلى مدخرات ثم إستثمارات ، وفوائض البترودولار من الدول النفطية شرق أوسطية ، لم تعد تمثل نهر أمازون العالم الرأسمالي (تعود المقارنة هنا إلى فائض التجارة اليابانية مع الولايات المتحدة ، المؤلف) بل لعلها لا ترقى إلى مستوى نهر النيل بالنسبة لبلد مثل ألمانيا ، غير أن الخليج يرقى بالتأكيد إلى نهر المسيسيبي ، أبو المياه المالية . الذي ما زال يتدفق بجلال صوب (نيويورك ولندن) (حوافز الحرب الإقتصادية . توماس فيرغسون . ذي نيشن ٢٨ كانون الثاني ١٩٩١) .

لقد أحجمت الولايات المتحدة عن قبول شركاء لها في التعاطي مع الأزمة ، لحظة دخول العراق إلى الكويت ، فقد رفضت فكرة القوات الحليفة في المنطقة ،

وكان ذلك يفسر أسطورة تاريخية تقول : بأن من يدافع عن القلعة ، هو الذي سيعثر على الكنز في النهاية .. فكيف إذا كان كنزاً لا تطاله أجرأ أحلام علاء الدين طموحاً في التاريخ ؟ .

كانت القوة الثانية في التحالف الأوروبي ، وهي القوة البريطانية ، (القريبة إلى قلوب الأمريكيين أكثر من أية قوة أوروبية أخرى في التحالف) والتي مع ذلك ، لم تكن تشكل أكثر من ١٠ بالمئة من القوات البرية الأمريكية ، و١٤ بالمئة من السفن الحربية الأمريكية ، وصفر بالمئة من حاملات الطائرات ، و٤ بالمئة من عدد الطائرات القتالية ، ولا شيء بالمئة من قدرة الولايات المتحدة الفضائية والتجسسية التي رصدت لصالح الحرب ضد العراق .

وسيتذكر أحد المرابطين في البيت الأبيض أن النفقات الهائلة لهذه المغامرة لن تظهر أبداً في بنود الميزانية الأمريكية ، وهكذا فقد تم استبعاد استجداء الكونغرس لرصد موازنات إضافية ستقع على كاهل دافع الضريبة الأمريكي ، كان بوش يعلم سلفاً ، بأنه سيجتاز محنة فيتنام بخصوص طلبات الإنفاق الجديدة على تصاعد الحرب ، وأنه لو حصل ذلك ، لكان كفيلاً بتقسيم حزبه ووضعه هو وطاقمه على سلّم ريختر إلى السماء السابعة ، وهنا يتجلى تحليل عاصفة الصحراء ، بمصطلح النفقات التي لم تعد ذات بال بالنسبة لبوش ، فما ينقص من الأكياس السعودية والكويتية والخليجية سيعوضه اليابانيون والألمان ، رغم أن سياسة فرك الأيدي بدأت تظهر في سماء كل من طوكيو وبون وعواصم التحالف الأخرى .

كان هاجس الكابوس ، الذي ظل يحوم في سماء واشنطن ويخيم على جهود اللحظات الأخيرة في جنيف (من أن العراق سيعثر على مخرج سلمي للأزمة) يؤرق بوش في المنام والقيام ، بالرغم من أنه قد أعد للأمر عدته ، فالسياسات التي تم اتخاذها ، لسد كل منافذ الخروج سلمياً ، كانت تفتقر لرصد القرار العراقي في النهاية ، فالقوات الأمريكية لم تتجشم كل هذا العناء لترحل بلا عمل ، أو لتعود من جديد .. كما أن التسوية السلمية ستعيد العراق والكويت إلى أسواق النفط ، مما سيؤثر في الأسعار هبوطاً ، حتى لو أقدمت السعودية على خفض إنتاجها

للمحافظة على استقرار الأسعار ، فإن ذلك لن يدوم طويلاً ، حيث أن الفواتير ، كيفما جاءت النتيجة ، ستسدد من عائدات النفط في النهاية .

رئيس وشيوخ ورهائن :

قبل بداية الإنتخابات الثلثية لمجلس الشيوخ الأمريكي بأسبوع ، قرر بوش الإجتماع مع بعض الشيوخ من الحزبين الجمهوري والديمقراطي ، وكان هدفه من هذه الدعوة :

ــ جس نبض الكونغرس فيما يتعلق بخطواته السابقة إزاء الأزمة .

ــ طرح قضية الرهائن الأمريكيين من جديد .

ــ ردة الفعل المتأتية ، جراء عزمه على مضاعفة القوات في الخليج ، واستدعاء الإحتياط .

في الثلاثين من تشرين الأول ، افتتح بوش الدعوة أمام خمسة عشر شيخاً من كلا المجلسين والحزبين ، بقوله :

ــ كنت أقرأ منذ قليل كتاباً عن الحرب العالمية الثانية لمارتن غيلبرت ، وقد أدهشني أن العالم يومها ، تسبب في كارثة كبرى ، حين راح يسترضي ديكتاتوراً مثل هتلر ...

وتابع كلامه قائلاً :

ــ اليوم لنا رهائن هناك ، وقد خصص الأمريكيون والإنكليز ، بسوء معاملة خاصة ، فهم يعاملون معاملة مروعة ووحشية ، لم يمتنع العراقيون عن إطلاق النار حتى على الأطفال أمام آبائهم .. لن أسمح بحدوث ذلك مرة أخرى ..

واستشهد بيكر ببعض المعلومات الواصلة من السفارة هناك ، والتي تؤيد كلام بوش حول سوء المعاملة ..

كان توماس فولي ، رئيس مجلس النواب ، يصغي باهتمام لما يقوله الرئيس ووزير خارجيته ، لكنه خشي أن يكون ذلك فخاً جديداً من قبل الحكومة .. إذ أنه لم يسمع شيئاً جديداً عن أوضاع الرهائن الغربيين ، لا في العراق ولا في الكويت ..

كل ما سمعه آخر مرة ؛ أن العراقيين قاموا بتوزيع بعض الرهائن على المنشآت الحيوية التي كانت معرضة للقصف من قبل قوات التحالف .

همهم فولي .. ثم قال :

ـــ حضرة الرئيس ، لن نوفر جهداً للوقوف إلى جانبك في هذه القضية ، **ولكن أرجو التشاور قبل إجراء أية عملية عسكرية .**

كان فولي يشير إلى أن هذا الإستهلال من قبل بوش ، هدفه كسب التأييد لعملية عسكرية تخاض بذريعة الرهائن ..

وتدخل بوش على الفور :

ـــ لن نقوم بأي عمل دون تشاور ، ما لم يحدث شيء لم يكن في الحسبان .

أدرك فولي ، بأن الرئيس يخبىء مفاجأة لحين الطلب ! ..

قام جورج ميتشل زعيم الأكثرية في مجلس الشيوخ بتوجيه سؤال عما إذا كان هناك المزيد من سوء معاملة الرهائن ؟

وأردف قائلاً :

ـــ إذا كان هناك المزيد من سوء المعاملة ، فإن الكونغرس لا يعلم بها ، **أنا أعتقد بأن كل ما يأتينا حول موضوع الرهائن ، غير موثوق .**

من الملفت للنظر هنا ، أن الدعاية الصهيونية العالمية ، كانت قد لعبت ، بصورة خاصة ، على وتر الرهائن بحيث أقامت مسارح التراجيديا في أرجاء العالم الغربي ضد (روح التوحش) التي يتحلى بها العرب ، ومن المؤسف أن معلومات الصحافة السعودية والكويتية المبثوثة حول هذا الموضوع آنذاك ، تؤازرها الصحافة الحكومية المصرية ، كانت تلتقي بهذا المجرى مع (الحملات الصليبيه ـــ اليهودية) الهيستيرية التي شنتها وسائط الإعلام الغربية ، حيث يسيطر على مجملها أدمغة يهودية ..

ظلّ جورج ميتشل يتساءل بنفسية المرتاب :

ـــ ألا تقولون لنا أين هي تلك المعاملة السيئة الجديدة ؟ .

ورد بيكر بعد أن احمر وجهه :

ـــ أليس الحرمان من الحرية هو سوء معاملة ؟

التقط ميتشل نقطة المفارقة فقال :

ـــ لكن القضية تتمثل فيما إذا كان هناك تصعيد في سوء المعاملة كما ذكر الرئيس .

كان السيناتور وليم كوهن ، وهو نائب رئيس لجنة المخابرات التابعة لمجلس الشيوخ الذي يتمتع بذكاء نادر ، فضلاً عن سلاطة اللسان .. ما زال صامتاً حين استمر (الإشتباك) الكلامي بين بيكر وميتشل .. ثم رفع يده مستأذناً الكلام ، وقال :

ـــ بحق السماء قولوا لنا ماذا تفعل وكالات المخابرات الأمريكية ، إن (السي ، آي ، إيه) و(الدي ، آي ، إيه) قد شهدتا أمام لجنتنا في الأسبوع الماضي ، وأكدتا أنه لا يوجد أي دليل حقيقي على سوء معاملة جديدة ..

انتفض بيكر لملاحظة كوهن .. واعتبرها بأنها إهانة تصل إلى حد الإتهام بالكذب . وقال :

ـــ أريد أن أفهم ، ما هو الشيء الذي تعتبره المجموعة سوء معاملة ، أليس الخطف والقتل كافيين ؟ .

أجاب كوهين :

ـــ إن أخذ الرهائن ، قد مضى عليه ثلاثة شهور ، فهل هذا جديد ، **ثم لماذا نعتبره استفزازاً من قبل صدام الآن** ، وقد مضى عليه كل هذا الوقت ؟ تلك هي الفكرة ..

صمت بيكر بعد أن تم إلحاق الهزيمة بمناورته هذه ، فيما مضى السيناتور كوهن يقول :

ـــ أشتم رائحة سيئة من وراء طرح هذا الموضوع ، **فالحكومة قد تكون مبالغة في قلقها على الرهائن لتنتهي بقتلهم إنني لم أر منذ بداية أزمة الرهائن ، مشاعر جياشة مثلما أرى الآن ..**

أدار بوش النقاش باتجاه وضع السفارة الأمريكية في الكويت ، وراح يتحدث بطريقة مسرحية ، عن الظروف اللاإنسانية التي يقضيها (ستة أمريكيين هناك) ثم تساءل بعد تصعيد دراما كلامه :

ــ ماذا يعني إنزال العلم الأمريكي واعتبار الدبلوماسيين ضيوفاً من قبل صدام ، لن نقبل بذلك أبداً ..

قالها بوش وقد نطت عروق رقبته تمشياً مع الدور الدرامي الذي رسمه لنفسه ..

التفت كوهن إلى شيني ــ وزير الدفاع ــ الذي لم ينطق بحرف خلال الجلسة كلها (القادة بوب وودورد . ترجمة برهوم ص ٢٢٤)

وقال :

ــ لقد استطعت أن تتفادى إعطاء رأيك حول موضوع الرهائن ، **لكننا سنعود إليك لنسمع خياراتك التي تفكر بها ..**

ابتسم شيني ابتسامة صفراء ، وانفض المجلس .

جلسة الخيار الهجومي :

ما كادت تنفض الجلسة الصباحية مع الشيوخ ، حتى كان بوش يدعو لجلسة طارئة في غرفة الأوضاع المتأزمة في البيت الأبيض .

كان موعد الجلسة الطارئة في الساعة الثالثة والنصف من عصر الثلاثين من تشرين الأول ، وقد التأمت بحضور كل من الرئيس ، وبيكر وزير الخارجية ، وشيني وزير الدفاع ، وسكاوكروفت مستشار الرئيس للأمن القومي ، وباول رئيس هيئة الأركان المشتركة للجيوش الأمريكية .

وكان أول المتكلمين في هذه الجلسة (الجنرال) سكاوكروفت فقال :

ــ هل سنمضي في سياستنا الدفاعية ، أو أنها يمكن أن تتحول إلى تطوير خيار هجومي .. هذا ما أراه مناسباً للنقاش .

كانت عينا باول ترقب حركات الجنرال القديم وهو يجر الحديث إلى ساحة رغبته المولعة بالقتال ، وقد ساءه أن الأفكار تطرح في هذه الجلسة الهامة ، بطريقة التداعي ، أو بطريقة التذكر ..

كان بوش وسكاوكروفت يسعيان لتطوير خيار هجومي فعّال ، أما بيكر فقد وقف في نقطة الوسط (بين خيار الهجوم أو انتظار العقوبات) وكان يريد أن يتلمس

حقيقة موقف الكونغرس والرأي العام الأمريكي بصورة متأنية ، قبل الإقدام على تحديد خياره النهائي ..

كان باول صامتاً ، لا يريد أن يدلي برأيه القديم المعروف فقد تحدث سابقاً ، بما فيه الكفاية عن فضائل انتظار نتائج العقوبات الإقتصادية ضد العرّاق ، وقد فهم أن ذلك يقع في دائرة القرار السياسي الذي هو بعيد عنه ، فهم باول أيضاً ، أن الرئيس لا يرتاح لمثل هذه المبادرات ، خاصة إذا كانت تصدر من قبل ضابط قضى معظم عمره في ميادين القتال والاستراتيجيات العسكرية ، أكثر من ميادين السياسة وطرقها الوعرة ..

كان بوش يريد من باول ، أن يتحدث بلغته العسكرية التي يمكن أن تلقي ضوءاً على خيار هجومي مقبل ، وهكذا فعل .

قال بوش :

ــ حسناً ، حسناً ، دعونا نسمع من كولين ما يرغب بقوله .

تحدث باول بهدوء ، وراح ينسق أفكاره مثل تنسيقه لأدوات خطة عسكرية ، فبدأ بشرح عناصر الوضع الميداني حيث كان عائداً لتوه من السعودية ، وتعرض للأحوال اللوجستية ومواضع القوات الدفاعية ، التي كان الجنرال شوارزكوف قد سهر من أجل ترتيبها مدة ثلاثة أشهر ، ثم راح يسأل قائلاً :

ــ سيدي الرئيس ، إذا كان قراركم ، وهذا ما نريد أن نعرفه جيداً ، هو المضي لتطوير خيار هجومي ، فإن هناك قائمة طلبات جديدة ، إضافة إلى وقت إضافي .

تهلل بوش لمرأى الجنرال وقد بدأ يدخل في حقل اختصاصه الحقيقي دون تردد .

سأل بوش :

ــ ما هي هذه القائمة ، والوقت المطلوب لها ؟ .

أجاب باول وهو يضغط على أسنانه :

ــ الفيلق السابع مع ثلاثة أشهر ..

جن جنون سكاوكروفت لدى سماعه اسم الفيلق السابع ، وراح يطلق صيحات استهجان عالية ومسموعة .

حدجه بوش بنظرة ثابتة لخروجه عن قيافة الجلسة وصمت سكاوكروفت .

واستطرد باول دون أن يعير اهتماماً لصيحات سكاوكروفت المستنكرة وقال :

ــ هذه توصيات نورمان (أي شوارزكوف) وأنا أؤيدها .

وتابع :

ــ إنه أمر بالغ الأهمية ، وستكون المهمة مكلفة جداً .

دخل شيني على خط النقاش الدائر وقال :

ــ أؤيد باول وشوارزكوف دون شرط . وتابع شيني قائلاً :

إذا كنا نريد الذهاب إلى الحرب ، وأن نضمن النجاح فيها ، ودون أن تقول القيادة العسكرية غداً ، أرسلوا المزيد من القوات ، فصدام ما زال يضخ قواته في الكويت بقوات إضافية .. علينا أن نقرر الموافقة على طلبات العسكريين وبصورة فورية ..

تدخل بوش في النهاية حاسماً أمره وقال :

ــ حسناً ، ليكن ، إذا كان ذلك ما ترونه ملائماً ، فسوف نفعله .

في اليوم التالي ، أصدر بوش قرارين حاسمين هما :

١ــ الموافقة على مضاعفة القوات في السعودية .

٢ــ التوقيت لساعة الصفر بدءاً من منتصف كانون الثاني .

وأصدر توجيهاته ، بأنه هو شخصياً سيعلن ذلك على الملأ ، في توقيت ملائم يقرره بعد الإنتخابات الثلثية لمجلس الشيوخ في السادس من تشرين الثاني .

في لحظة ما ، وهو يجلس إلى جانب بوش ، همس سكاوكروفت :

ــ سيدي ، أرى أن هذا التعزيز العسكري سيتيح لنا إقناع العالم بحقيقة الخطر العراقي ، كما أنه يمثل رسالة عزم إلى صدام .

هز بوش متشككاً ونظر إلى سكاوكروفت قائلاً :

ــ هل تعلم ، لدي مشكلة حقيقية مع هذا المخلوق (يقصد صدام) فهو لا يأخذني على محمل الجدّية عندما أهدده .

كان بوش الذي استقر على فكرة تعزيز القوات ، يفكر باستصدار قرار من

مجلس الأمن يخوله استعمال القوة ، بعد إنذار للعراق ينتهي في منتصف كانون الثاني ..

وطلب إلى بيكر ، أن يعد نفسه لجولة جديدة في بريطانيا وفرنسا والإتحاد السوفييتي سعياً للحصول على التأييد من قبل هذه الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن ، شريطة أن يخفي زيادة القوات حتى موعد لاحق .

وقد أجاز لبيكر أن يبوح بسر مضاعفة القوات للأمير بندر فقط ، الذي عليه أن يقوم بواجبه في هذا الموضوع تجاه الملك فهد .

أجاب بندر وهو يستمع إلى شروحات بيكر حول هذا الموضوع :

ــ سأنقل هذا الطلب إلى الملك . ثم أضاف ضاحكاً :

ــ أحياناً وبينما تنوي اصطحاب صديق إلى الجنة ، ينتهي بك الأمر بأن تدفع به إلى طريق جهنم .

في الخامس من تشرين الثاني ، وبعد أن توقف جيمس بيكر في العربية السعودية ، حيث قام بزيارة بعض القوات الأمريكية المرابطة في الأراضي السعودية ، توجه إلى قصر الملك فهد ، لأخذ موافقة على الإنتشار الجديد ، كما بحث في موضوع زيارة الرئيس بوش للقوات الأمريكية في مواضعها على البر والبحر بمناسبة (عيد الشكر) وهو يوم هام في تاريخ الولايات المتحدة الديني والوطني ..

في اليوم التالي توجه بيكر إلى موسكو حيث التقى شيفارنادزة وزير الخارجية السوفييتي ، الذي بدا محبطاً بسبب تعثّر خطوات البيروسترويكا ، ومجهول مصير التعاون الوثيق مع الولايات المتحدة في كافة المجالات ، حيث لم يعد بالإمكان أن يتم انتشال الوضع دون معونات عاجلة ..

دعا الرئيس السوفييتي بيكر إلى حفلة عشاء يقيمها على شرفه ، وتحت جو مليء بالتعب والتقزز ، التأمت جلسة العشاء في أحد مباني الحكومة وفي ضاحية من ضواحي موسكو ، لم يشأ غورباتشوف الذي بدا غاطساً في لجّة المشكلات الداخلية أن يطيل في كلمته الترحيبية ببيكر ، واكتفى بعد ذلك بالسؤال عن آخر تطورات الموقف في الخليج ، والخطوات التالية .. غمغم بيكر بكلمات ملتوية ،

عن ضرورة استصدار قرارات قوية من الأمم المتحدة ، لإرغام العراق على الإنسحاب من الكويت ، وأن يكون ثمة وقت محدد ، يعطى على شكل إنذار لإخلاء الأمارة من الجيوش العراقية .. لم يكن صريحاً بمقدار ما كان ممهداً لتقبّل فكرة قرار يجيز استخدام القوة ..

عاد غورباتشوف ليتحدث عن فضائل سياسة الصبر ، التي يراها الإتحاد السوفييتي كأفضل سياسة للوصول إلى الأهداف المطلوبة .. وبعد كلمات مجاملة ، خرج بيكر بعد أن امتلأ بشعور واضح ، بأن الإتحاد السوفييتي بات حليفاً ضعيفاً .

في واشنطن كان البنتاغون يفكر بالطريقة التي سيعرض بموجبها خطط الإنتشار الجديد على مجلس الشيوخ ، وكان أول ما فكر فيه شيني هو الإتصال مع السيناتور سام نان رئيس لجنة القوى المسلحة في المجلس .

كان نان من أكبر المعارضين المتشددين لبوش وسياساته ، وقد استطاع كسيناتور من الديمقراطيين أن يحصل من مجلس الشيوخ على رفض ترشيح بوش لجون تاور كوزير للدفاع قبل شيني ، وكانت أول خسارة حقيقية في حياة بوش الرئاسية في مواجهة مع مجلس الشيوخ ، وقد بقي طعم المرارة في فمه من حيث أن المجلس لم يرفض ترشيحاً كهذا في حياة الولايات المتحدة كلها إلا ست مرات .

قال شيني لسام نان :

ــ سام ، يريد الرئيس بعد ساعة الإعلان عن إرسال قوى جديدة إلى العربية السعودية ..

وعلى الطرف الآخر من الخط بقي سام نان صامتاً لبعض الوقت ، قبل أن يسأل بلهجة قارصة .

ــ ما هو عدد الرجال المنوي إرساله إلى هناك .

أجاب شيني :

ــ مئتا ألف رجل . وتابع شيني يشرح لسام نان بعض المعلومات عن عدد الفرق البرية والتعزيزات البحرية والجوية الجديدة .

استمع نان لكلمات شيني ثم سأل :

ــ ولم لم تقل ذلك لي أثناء إدلائك بشهادتك أمام اللجنة يوم ٢٤ تشرين الأول المنصرم .

وأجاب شيني متردداً :

ــ لم يكن قد تقرر شيء بعد .

وعلى الفور أجابه نان :

ــ إذن ، أنا لم أُستشر .. هذا ما يمكنني اعتباره .

ثم أقفل الهاتف دون أن يمكّن شيني من الدفاع عن نفسه ...

في الثامن من تشرين الثاني ، أعلن بوش على الرأي العام الأمريكي عن نيته زيادة عدد القوات العاملة في الخليج وقال :

(إن العدد الأمريكي الذي يزيد على مئتي ألف رجل في السعودية ، سيرتفع إلى أكثر من أربعمئة ألف رجل قبل أواخر شهر كانون الثاني . بغية جعل العملية العسكرية الهجومية جديرة بالثقة) .

بعد إعلان بوش هذا ، ظهر سام نان على الشاشات المتلفزة ، ليعلن أن الرئيس يطبق استراتيجية خاطئة ، لا بل يمارس لعبة صدام نفسه ، إن لجنتنا (أي لجنة القوات المسلحة في الكونغرس) ستعلن عن افتتاح مجالس عامة للإدلاء بالشهادات .

كان سكاوكروفت وسنونو يخشيان من أن يؤدي هجوم الديمقراطيين هذا إلى عملية إحباط في الرأي العام ، فضلاً عن خلق جو معادٍ للحرب ، لاسيما وأن العراق أخذ بإخلاء مجموعات من الرهائن الغربيين ..

وبعد خمسة أيام من إعلان بوش زيادة القوات الأمريكية إلى الضعف ، دعا إلى مأدبة غداء في البيت الأبيض ، عدداً من رجال الكونغرس الجمهوريين والديمقراطيين ، وبعد كلمات مجاملة راح الرئيس يسأل :

ــ أرجو أن نتحاور برحابة صدر كاملة .. أريد أن أفهم منكم إذا كنت قد اقترفت خطأً في معالجة هذه المشكلة ؟ .

(لقد بدا بوش حسب أقوال بعض المشاركين ، مشغول البال ، مهتماً بالحصول على أوسع تأييد من الكونغرس والرأي العام ، متأثراً بالإنتقادات التي كانت تشيع

بأنه تورط في هذا النزاع لأسباب مردها فقط ، المراهنات النفطية) (عاصفة الصحراء . إريك لوران . ترجمة منيرة أسمر . ص ٩٤)

في اليوم نفسه ، كان السيناتور الديمقراطي دانيال باتريك موينهان ، من نيويورك يصرّح بحدة :

(يبدو الأمر كما لو أن القوة المسلحة الضخمة التي أوجدت لمحاربة الحرب الباردة قد وضعت تحت تصرف الرئيس لأي تحول يريده بغض النظر عن تكاليفه .. إنه سيحطم مؤسستنا العسكرية وسوف يحطم حكومته وسوف يحبط أية فرصة لتأمين نظام إجتماعي أمني .. إنه لأمر مفجع) (القادة بوب وودورد ترجمة برهوم ص ٢٢٨) .

ظل سكاوكروفت يعتقد بأن الحكومة تواجه مشكلة من نمط العلاقات العامة ، أكثر منها مشكلة عسكرية ، لكنه بقي حائراً تجاه تردي شعبية بوش حسب استطلاعات حديثة نشرتها صحيفة يو . إس . إيه . تودي . وذكرت الصحيفة وقتها ، أن ٥١ بالمئة وافقوا على معالجة بوش للأزمة ، وهي نسبة منخفضة جداً بالقياس إلى ٨٢ بالمئة قبل ثلاثة أشهر ..

ورأى باول أن هذه القصص مثيرة للذعر ، لكن وهذه هي المشكلة فالقصص وليست الحكومة هي التي تحدد القضايا (نفس المصدر السابق)

الحرب الباردة في حفلة تشييع :

بعد ثلاثة أشهر ونصف على اندلاع أزمة الخليج ، أي في ١٨ تشرين الثاني ، هرع رؤساء أربع وثلاثين دولة وحكومة ، من أوروبا الغربية والشرقية ، مع الولايات المتحدة وكندا ، إلى العاصمة الفرنسية ، في حفلة قمة مهيبة ، لتشييع مرحلة الحرب الباردة ، وإعلان ولادة عهد جديد سيتمتع بالأمن والإستقرار . كان من أفضل التعليقات على هذه الولادة الجديدة ، ما كتبته ماري كالدور في مقالتها حرب المخيلة ، والذي ترجمه وحرره صبحي حديدي في كتابه (حرب العالمين الأولى) ص ٣٥ حيث تقول :

(لم تكن الحرب الباردة بمصطلح انهيار النظام القديم ، لتتجلى بمعناها التبسيطي ،

وهي أن الولايات المتحدة ، باتت الآن هي القوة العظمى الوحيدة ، بل بالمعنى الأكثر عمقاً ، المتمثل في تسلسل انهيار القديم ، والعواقب بعيدة المدى للجديد ، على المجتمع العالمي بأسره .. فالحرب الباردة كانت أسلوباً في تنظيم العلاقات الدولية ، أما التكوين الأصولي للحرب الباردة ، الذي اشترك فيه يمين العالم ويساره ، فقد نهض على توصيفه بأنه أزمة مستفحلة بين الشرق والغرب ، والتهديد باستخدام القوة العسكرية أو الردع ، هو الذي كان يحول دون نشوب الحرب دائماً ، وقد اختلف اليسار واليمين حول طبيعة هذه الأزمة فاليمين رآها مستوطنة بين تناقضي الحرية والتوتاليتارية ، أما اليسار فاعتبرها بأنها أزمة بين عدالة التوزيع واستبداديته بين الرأسمالية والإشتراكية ، ثم ظهرت مقولات أخرى ، إذ تبادل الجميع في مرحلة لاحقة مقولة بأنها صراع القوى العظمى ..

(ثمة وسيلة لفهم الحرب الباردة ، لا بصفتها أزمة ، بل نوعاً من التواطؤ ، رغم أن هذا التعبير ينطوي على قسط كبير من القصد الواعي ، لقد توافر نظامان متميزان في الشرق والغرب ، يكمل أحدهما الآخر ، وهما التنويع الفوردي (نسبة إلى فورد) للرأسمالية ، والتنويع الستاليني للإشتراكية .. لقد ارتبط النظامان وأكملا بعضهما دون صراع (إلا على أراضي الغير) وظلاً معاً في سياق نظام عالمي مشترك امتد من ١٩٤٨ إلى ١٩٨٩) (حرب المخيلة . ماري كالدون . مجلة الماركسية اليوم . آذار ١٩٩١) .

إن الحرب العالمية الثانية ، كانت حرباً فوردية ، ولقد كان المزج بين الإنتاج الجماعي ومحرّك الإحتراق الداخلي هو المسؤول عن انتصار الحلفاء ، أما العامل الحاسم ، فقد كان قدرة الحلفاء على التصنيع بمعدلات أعلى من معدلات ألمانيا بكثير .. الحرب الكورية كانت شبيهة بذلك تماماً ، وإذا وجدت فروقات نسقية على الجانبين (الشرقي والغربي) فهي تفسّر بمصطلح الإختلافات على الجبهتين ليس إلا ، إنهما لا يقاتلان بعضهما البعض بمقدار ما يحاربان جيشاً ألمانياً في المخيّلة .
حروب فيتنام والشرق الأوسط أدخلت بُعداً جديداً على الحسابات الإستراتيجية ، فقد طرأت قدرة تدميرية هائلة لمختلف القنابل والصواريخ .. وهكذا زادت معدلات الإستنزاف بالنسبة للطائرات والدبابات ، ونشأ على أثر ذلك تفكير

مالي يحاجج بأن العمليات الهجومية المتحركة لم تعد ممكنة .. وكان أفضل ما تم إنجازه في أوروبا الغربية استراتيجية دفاعية قادرة على صد الهجوم . ولم تكن مفاوضات خفض الأسلحة النووية ، وتقليص أعداد الصواريخ متوسطة المدى ، إلا جزءاً من مدرسة التقنية الدفاعية ..

إلا أن مدرسة العمليات الهجومية المتحركة لم تطأطيء الرأس ، وراحت تدافع عن نفسها بشراسة ، فتصميم التكنولوجيا العسكرية بما يضمن صيانة المهام الهجومية هي مشاريع للمستقبل غير المنظور ، هذا مع عدم نسيان برامج الدفاع الحيوية .. (وهكذا ظهرت إلى مدرسة الإستراتيجيات العسكرية مفاهيم جديدة مثل (تكنولوجيا الإنبثاق) (المعركة الجوية ـــ الأرضية) (ضربة العمق المؤثرة) وغيرها من المفاهيم المعقدة ، التي راحت تمزج بين مختلف صنوف الأسلحة بناء على التكنولوجيا العسكرية المزدوجة لحالتي مهمات الهجوم والدفاع بآن واحد) (المصدر السابق)

قبل حرب الخليج بزمن طويل حذر وزراء دفاع أمريكا وبريطانيا وفرنسا من التهديد الجديد القادم من الجنوب (شمال العالم الغني وجنوبه الفقير) ، وفي خطبة عصماء تنبض بالبلاغة تحدث جورج وولدن عضو مجلس العموم البريطاني المحافظ في حزيران من عام ١٩٩٠ ، عن التأثير الثوري لانهيار الشيوعية على المؤسسات الغربية ، والدور التضخيمي الذي رسمته الولايات المتحدة لبريطانيا في حرب المجابهة مع الشيوعية العالمية . فقال (ما الذي يمكن أن يرفع المعنويات أكثر من مشهد الحكومة وهي ترفع ألوية الإنتصار في وجه شرور الشيوعية والحماقات الإجرامية لجنرالات الأرجنتين ودسائس الفرنسيين الغادرين ؟ . **الآن انقضى ذلك كله ، الشيوعيون ألقوا المنشفة وتركونا نرقص على الحلبة بحثاً عن غريم ، وباستثناء الشرق الأوسط فإن البؤر الساخنة في العالم الثالث تبرد بسرعة .**)

ويتابع وولدن (ثمة إحساس مزعج حول أمر ما يجري في العالم رغماً عن أنف بريطانيا ومصالحها ، فحين ينهار الطلب على بضاعتك لسبب خارج عن إرادتك كلياً ، فإنك لن تضيع وقتك في التفتيش عن زبون جديد ، بل تقوم بتبديل نمطية إنتاجك ونوعه ، ويتوجب علينا هنا ، ألا نطيل التسكع تحت منحدرات القمم ،

التي بدأت شمس بريطانيا تأفل عن ذراريها ، بل بقضاء وقت أطول في حفر قنوات الحيازة الوطنية الصغيرة .. **بانقضاء الحرب الباردة وصعود أوروبا الجديدة يقترن حس الأمل في بريطانيا مع حس متوتر بالفقدان**) .

إذا كان الحال هكذا في بريطانيا ، لدى استقبالها نهايات الحرب الباردة ، فما هو الحال بالنسبة للولايات المتحدة ؟

يبدو ، بإجراء مقارنة سريعة ، بأن شمس النهار لليوم الأمريكي ، ما زال أطول بكثير من شمس اليوم البريطاني الغارب .. فالمعجزة الأمريكية ، يمكن اشتقاقها من اسم الدليل السياحي للخارطة الأمريكية ، يقول الإعلان :

(نحن لا نتجاوز ١٥/١ من مجموع سكان العالم ، ونشغل النسبة ذاتها من مساحة الكرة الأرضية ، ونمتلك ما يقل عنها من المواد الطبيعية ، لكننا أكثر من ثلاثة أرباع إنتاج العالم من القمح ، ونصف إنتاجه من النحاس والمطاط ، وثلثي إنتاجه من الحرير والنفط الخام ، وربع إنتاجه من الفحم ، لدينا أكثر من ثلاثة أرباع الخطوط الحديدية في العالم ، ومثلها بالنسبة للأوتسترادات الدولية ، كما لدينا أكثر من ثلاثة أرباع السيارات في العالم ، وأكثر من نصف هواتفه وشبكات إرساله البرقي والإذاعي ، ولدينا الآن ، أكثر من ٧٠ بالمئة من نجوم السماوات الإصطناعية نقوم بتحريكها فوق أرجاء الكون) غير أن القطبية الإقتصادية الأمريكية ، تلقت ضربات موجهة ، من حليفتيها الأوروبية واليابانية ، طوال مرحلة الحرب الباردة ، فحين كانت الولايات المتحدة ، تندفع إلى واجهة المشهد العسكري ، مع ما يترتب على هذا المشهد من نفقات مروعة ، كانت أوروبا واليابان تحت جناح النسر الأمريكي ، تطور أبحاثاً تكنولوجية وصناعية وصلت إلى حد المنافسة الخطيرة ، لكل ما ستقذفه المعجزة الأمريكية من حصاد ..

والآن ، مع تراجع دور النسر المسلح لأمريكا ، هل تقبل أوروبا أو اليابان مع دلافينه الأربعة (هونغ كونغ ، تايوان ، كوريا الجنوبية وسنغافورة) باستمرار الدور القيادي للولايات المتحدة ؟ .

سيجيب السيناتور بورين في الكونغرس الأمريكي (لا أعتقد ذلك) .

ولأن فكرة فقدان هذا الموقع القيادي الكوني (كما يقول صبحي حديدي في مقدمته لكتاب حرب العالمين الأولى ص ١٥) تجثم ككابوس على وجدان جيل الحرب الباردة من القيادات الأمريكية ، فقد صرف محللو الإدارة ساعات عمل إضافية طويلة وشاقة لاستخلاص سياسات جديدة تضمن الهيمنة الأمريكية على حقبة ما بعد الحرب الباردة ، وكانت أبرز الصياغات تصب في محورين : جيو ــ إقتصادي . جيو ــ استراتيجي .

المحور الأول يقول : ما لم تستعد أمريكا قدرتها على المنافسة من خلال استثمارات هائلة في ميادين العلوم والتكنولوجيا والصناعة والتجارة والتربية .. فإن حرية تحركها في العالم وأمنها القومي سيتعرضان لأفدح المخاطر . (يجب الكف عن حماقة رصد الأموال الطائلة لأبحاث تتعلق بتطوير القدرات العسكرية دون سواها) هذا ما يقوله المستشار الرئاسي الأسبق في الحكومة الأمريكية ، تيودور سورينسن .

المحور الثاني ويقول : إن دوراً راسخاً ومتعاظماً للولايات المتحدة في رعاية العالم الغربي وحماية طرقه التجارية ووارداته من المواد الخام ، ضد مخاطر الكارهين لنظام العالم الحر ، هو الذي حقق في النهاية ظفره التام ، ضد عالم (الشر الشيوعي) وحلفائه ، والحق فإن (الحارس الساهر فوق أسوار حصن الحرية في العالم) كما يريد أن يعبر جون كندي عن أمريكا هو الذي يستحق حضور الدعوة الكبرى لتقليد الأوسمة الرفيعة دون غيره .

ويقول السيناتور الجمهوري جون مالكين ، وهو أبرز دعاة هذاالمحور . (قد لا تكون الولايات المتحدة تريد لنفسها لقب شرطي العالم . لكن قوات انتشارها السريع ستبقى « بوليصة تأمين » للعالم الحر) .

كما أكد الجنرال غراي ، وهو قائد قوات المارينز ، وقد حضر معمعة غرينادا وغزو بناما والهجوم على العراق ، **بأن موقعنا كدولة قائدة للعالم ، هو نتيجة مباشرة لاستعدادنا تطوير مستويات عسكرية عالية مهمتها حماية مصالحنا ، ومصالح أصدقائنا في كل بقعة من هذا العالم)** .

هذا وصرح كولن باول ، وهو رئيس هيئة الأركان المشتركة للقوات الأمريكية في كولورادو في شهر آب ١٩٩٠ بما يلي :

(إن العالم يظل مكاناً غير آمن بالنسبة لمصالح الولايات المتحدة ، علماً بأن التهديد ، لا علاقة له هذه المرة ، بالأنساق السابقة للعلاقة الأمريكية ــ السوفيتيية) .

ولأن هذه التهديدات تنطوي على عدوان عسكري يشنّه جيش إقليمي جبار ، فإن على الولايات المتحدة ، أن تحتفظ بقوة جبارة جاهزة لمواجهة هذا النوع من التهديدات الذي يمكن أن يصدر عن قوة إقليمية كبيرة .

لقد طور دعاة الخط الجيو ــ استراتيجي ، نظريتهم قبل الدخول العراقي إلى الكويت ، والتقط بوش الفرصة الذهبية النادرة لهذا الحدث ، على أنه تأكيد لفكرته القائلة بأولوية الإنفاق على المحور العسكري ، من حيث هو أساس زعامة أمريكا للعالم ، (لا يشككن أحد اليوم في مصداقية ما ذهبنا إليه ، لا يشككن أحد بقوتنا التي عملنا على تنميتها) ويتابع الأستاذ حديدي تحليله فيقول : (المصدر السابق) (كانت الأحاديث قد بدأت تتعالى بوجوب الإحتفاظ باستراتيجية (حربين ونصف الحرب) (حرب لحلف وارسو ، وحرب لقوى العالم الثالث الكبرى (العراق ، إيران ، الباكستان) (وحرب النصف قوى (ليبيا مثلاً أو بعض القوى في أمريكا اللاتينية ..) حرب الخليج لم تكن (حرب ونصف الحرب) فقط ، بل كانت (الحربان ونصف الحرب) معاً ، فهي حرب وارسو ، وحرب القوى الإقليمية وحرب نصف هذه القوى ، إنها حرب ضد دولة من العالم الثالث ، كما وقفت ضدها جميع العوالم الأخرى ، بجميع استراتيجياتها وتكتيكاتها وبرامجها وخططها العسكرية والإقتصادية والسياسية ، جميع (معسكراتها) وكتلها وأحلافها وتجمعاتها ..

جولة واسعة في إجتماع باريس :

وصل بوش يرافقه بيكر إلى باريس في ١٨ تشرين الثاني ، للمشاركة في مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا ، وقد اجتمع في باريس لهذه الغاية أربعة وثلاثون رئيس دولة وحكومة ، وفضح المجهود المحموم للوفد الأمريكي ، منذ الساعات الأولى

للإجتماع ، وخاصة تجاه الفرنسيين والسوفييت ، **أن أزمة الخليج هي موضع اهتمامه الإستثنائي والوحيد .**

وفي إعلانه المفاجىء ، راح بيكر يتحدث عن استعداد فرنسا لتأييد قرار صادر عن الأمم المتحدة يجيز استخدام القوة ضد العراق ، ولم تكن حفلة العشاء التي ضمت بوش وميتران ، قد انتهت ، حتى أذاع الأمريكيون رسالة أوسع تتحدث عن مضمون ما أعلنه وزير الخارجية الأمريكي ..

وتتدخل الأليزيه مضطراً ، ليعلن أن اتفاقاً من هذا القبيل لم يحصل .

في الحقيقة ، فإن اختلاف الموقفين هنا ، كان يتعلق بالتوقيتات والمهل ، لا بالسياسات والاستراتيجيات ، ففيما يريد الرئيس الأمريكي أن يحصل على موافقة المجتمعين في باريس ، على استصدار قرار يسمح باستخدام القوة العسكرية (وهو أول قرار من نوعه في تاريخ الأمم المتحدة) في غضون تسعة أيام ، كان ميتران يأمل بفسحة زمنية أطول ، فقد أكد على مهلة الشهر على الأقل .. غير أن بوش ، اعتبر مهلة الشهر طويلة (إنها مهلة طويلة ، قد تمكّن الرجل (المقصود صدام) كي يناور بغية تفكيك وضعية التحالف) (عاصفة الصحراء . إريك لوران ترجمة منيرة أسمر ص ٩٥) .

لم تكن المجاملة ، آخر ما طبع اللقاء بين الرئيسين الأمريكي والفرنسي ، فالرئيس الفرنسي الذي كان ميالاً لعدم الإلفة بطبعه ، بدا مغتاظاً حين راح بوش يناديه باسمه الأول (فرانسوا) على الطريقة الأمريكية ، ولشد ما زاد في حيرته ، أن بوش كان يستحث الخطا ، وبدا وكأنه على عجلة من أمره ، في كسب الموافقة على استصدار قرار القوة المطلوب من مجلس الأمن .. ولم يكن ميتران يدرك لتوّه ، أن بوش كان في سباق مع الزمن .. نفس الزمن الذي سترسمه معالم الجزيرة ، ومناخ الصحراء وطقوسها الدينية المقبلة .. وإزاء إصرار بوش الملح ، فقد استجاب ميتران لحل وسط ، يقع بين خيار تسعة أيام وشهر ، حين أعلن في مؤتمر صحفي بعد نهاية الجلسات :

(إن ثمة قراراً ستتبناه الأمم المتحدة في **الأسابيع الثلاثة المقبلة** (تركها مفتوحة ــ

المؤلف) **ومن المحتمل أن يجيز استخدام القوة** (وفيها عنصر الإحتمال أيضاً ــ المؤلف)

لقد أزعج هذا الإستحقاق موسكو ، حيث ستجد نفسها مضطرة للحاق دون ثمن .. وكان قد أزعجها من قبل ، موضوع الإنتشار العسكري الأمريكي الواسع في الخليج .. وشكا من ذلك ، وزير الخارجية السوفييتي ، الذي راح يتحدث أمام بيكر عن المتاعب الإقتصادية للإتحاد السوفييتي دون مناسبة ..

عندما تقابل بوش وغورباتشوف في نهاية إجتماع باريس ، حاول الرئيس السوفييتي أن يستبق الموقف قبل طلبه ، فأشار إلى صدام واصفاً إياه (بأنه أصبح في منتهى الخطورة) ثم راح يتدفق وهو يضم قبضة يده في وجه بوش قائلاً : (يجب أن نبقى هكذا « مشيراً إلى قبضة يده المضمومة » ، يجب علينا أن نبقى متحدين بعزم ..) .

بدا غورباتشوف ، وكأنه فقد الثقة بنفسه ، وانفضحت خطته ، حين انتقل بشكل مباغت ، إلى **ضخامة الصعوبات التي يمر بها الإتحاد السوفيتي** . وهي صعوبات كما وصفها : (يستغلها الرجعيون (يقصد الماركسيين الشيوعيين) والأصوليين (دعاة التيارات القومية أو الدينية) على حد سواء) .

وأجاب بوش مقطباً :

ــ إن العديد من دول الخليج ، قدرت الموقف السوفيتي حق قدره ، **أقترح عليك طلب مساعدة من الحكام السعوديين للإتحاد السوفييتي** (إريك لوران . المصدر السابق ص ٩٦) .

وحسب قول أحد المشاركين الأمريكيين (لم يشأ لوران ذكر اسمه) فقد كان أمراً مستغرباً ما بدا عليه غورباتشوف وقد فقد حيويته .. إذ راح يعترف بأن البيروسترويكا خلقت مشكلات أكثر مما كان يرتقب .

في نفس الوقت الذي كانت تشهد فيه باريس إجتماع القمة الأوروبية مع أمريكا وكندا ، كان راديو بغداد يدخل هذه القمة دون استئذان ، حين أعلن بأن جميع

الرهائن سيطلق سراحهم اعتباراً من عيد الميلاد . (في الحقيقة تم إطلاق سراحهم في الخامس من كانون الأول ، أي قبل عشرين يوماً من الميلاد)

وكانت ردة فعل بوش الفورية تقول :

(إن كان صدام يرغب في حل سلمي فما عليه إلا أن يفعل في الكويت كما فعل في إيران .. **أعني بذلك أن يعود على أعقابه** ، فلا أحد بحاجة إلى أن يطلق طلقة واحدة **إذا قام بواجبه** ، وهو أن **يخضع** لتنفيذ الشروط التي نصت عليها قرارات الأمم المتحدة) .

كان كيسنجر يصرح على الطرف الآخر من الأطلسي :

(مهما كانت درجة الوداعة في المبادرات التي تطلق اليوم ، **فإن أقل من نزع القوة العراقية** ، سيكون بمثابة حل مؤجل للأزمة) .

كانت تعابير بوش (يرد على أعقابه) و(القيام بواجبه) و(الخضوع ..) قد أدمنت عليها بغداد ، حين كان الرجل ، يحوّل المعركة في العديد من المناسبات إلى معركة إستفزاز وشتائم ، غير أن ما أثار الظن هو تصريح كيسنجر وبقليل من المفاجأة ، استقبلت بغداد إرسال كيسنجر ، **فقد أصبح المطلوب هو القوة العراقية ، وليس تحرير الكويت** .

لم تكن باريس سوى محطة وقوف في الجولة الواسعة التي سيقوم بها الرئيس الأمريكي إلى عواصم التحالف ، مستثمراً يوم عيد الشكر الأمريكي (٢٢ تشرين الثاني) لقضائه بين قواته هناك .

كان بيكر قد مهد لجولة بوش المرتقبة في المنطقة قبل أسبوعين من موعدها المقرر ، حيث شرح أهداف الزيارة ملخصة بما يلي :

ــ شرح المقاصد جراء زيادة القوات الأمريكية في السعودية والبدء بحديث مفتوح عن الخيار الهجومي المقبل .

ــ المفاتحة في مشروع استصدار قرار يجيز استخدام القوة من مجلس الأمن .

ــ قضاء الوقت المخصص لإجازة يوم عيد الشكر مع القوات الأمريكية في قواعدها الميدانية .

لم يكن ثمة وقت ، في عواصم التحالف العربية ، لسماع مسوغات الزيارة الرئاسية الأمريكية ، فالزيارة كانت من دواعي سرور هذه العواصم ، فضلاً عن الترحيب الذي لاقته سلفاً قبل مجيء بوش إلى المنطقة .

ـ ففي الطائف ، يريد الأمير وعائلته سماع لعلعة الرصاص في الكويت . اليوم قبل الغد (مقابلة بوش مع الأمير جابر أكدت ذلك) ولا وقت للمبررات أو الخطط ! ..

ـ وفي جدة ، يسود اندهاش في أرجاء القصور الملكية (حول التأزيم الذي تخلقه أجواء مناقشات الكونغرس المفتوحة) ولعله قد خطر في بال أحد الشيوخ تساؤل من نوع (كيف يسمح بوش بذلك ؟ ؟)

ـ في القاهرة ، ظلت الرئاسة تنظر للزيارات الأمريكية ، عموماً بعين ملؤها اللهفة والرضا ، فكيف إذا كانت الزيارة ، من قبل سيد البيت الأبيض نفسه ؟ . ها هو فتح جديد على طريق تنمية العلاقات الأمريكية ـ المصرية ، يؤذن باقتراب موعد الثمرة المؤملة ! ..

كان السؤال الذي بدا وكأنه يشغل عاصمتين من عواصم التحالف ، القاهرة والرياض ، هو أن بوش لم يضع على جدول زيارته ، مسألة مقابلة الرئيس حافظ الأسد في دمشق .. وقد اعتذر بلباقة عن زيارته للعاصمة السورية بذريعة ضغط مواعيده المقبلة .. وأظهر الملك فهد والرئيس مبارك رغبتهما القوية بضرورة إجراء المقابلة الأمريكية ـ السورية المطلوبة ، فإذا تعذرت دمشق ، فبأية عاصمة عربية أو أوروبية أخرى ...

وبالفعل فقد قضى بوش يوم الشكر في الثاني والعشرين من تشرين الثاني ، بين قصر الملك وقواته العاملة هناك ، وصلى صلاة الشكر فوق إحدى مدمراته البحرية ، تجنباً لحساسية الجزيرة ، التي لم تر منذ بزوغ فجر الإسلام ، صلاة لغيره فوق رمالها ، ولم ينس بوش أن يمر في طريق إيابه من الصلاة على الطائف ، حيث قصر المنفى لأمير الكويت .

ويذكر هيكل في كتابه أوهام القوة ، الترجمة العربية ص ٤٩٧ ، أن تصريحات

بوش كانت صدامية إلى درجة أنه قال (إن صدام حسين جعلها معركة .. إما أن يبقى هو فيها ، وإما أن أبقى أنا .. وسوف نرى من يستطيع منا)

كما يذكر هيكل ، نفس المصدر ، أن بوش عندما قابل أمير الكويت سأله وهو يبتسم (سؤال العارف ببواطن النفس ـــ المؤلف)

ـــ متى تريد الحرب ؟ .

وأجاب الأمير بلهفة :

ـــ هذه الساعة ، هذه الدقيقة ..

وقال بوش ضاحكاً (إذ هو يسخر من عالمٍ عربي مظلم ، لم يعد يضيء فيه إلا النفط ، وكأن الإعداد للخطط والتوقيتات لحرب عاصفة مقبلة ، لا لزوم لها ، وكأن التاريخ لم يضع حكمته في سجلات المعارك ، أن الإنتصار في الحرب هو توقيتها ـــ المؤلف)

ـــ سمو الأمير .. في المرة القادمة سيكون لقاؤنا في قصرك هناك .. وأشار إلى الكويت .

وخرج بوش وهو ما زال يضحك ويهزّ برأسه .. في طائرته الرئاسية ، التي أقلته إلى القاهرة ، محطته التالية ، وفيما جلست زوجته إلى جانبه ، قال لمن حوله ، وقد جعل التأثر يعتري قسمات وجهه (لقد راقبت وجوه رجالنا ونسائنا المهددين بالموت) ولم يترك العنان لهذا التأثر ، إذ عاد مصمماً على ما ذهب إليه ، وهو أن لكل رئيس في الولايات المتحدة ، فرصته التاريخية التي عليه أن يتلقفها ، فالتماثيل الصغيرة لرؤساء أمريكا في البيت الأبيض ، تنتظر ميلاد واحد يضاف إليها . بكل المهابة والجدارة ، على متكأ الأدراج الداخلية للبيت الأبيض ..

لم يكن بوش في الأساس ، يكنّ المودة للرئيس حافظ الأسد ، وقد قرأ بوش ذات مرة ، مذكرة أعدتها دوائر غايتس ، صادرة عن السي آي إيه ، تقول : (إن النزاع بين حافظ الأسد وصدام حسين ، هو نزاع على زعامة حزب البعث ، لا فرق بين الاثنين ، سوى أن الأسد ، لا يمتلك وسائل العراق القوية لتحقيق طموحاته) .

وكما تصف المصادر الغربية ، فإن لقاء الرئيس الأمريكي بالرئيس السوري في جنيف ، تعلّق في معظمه بمخاطر التهديد الارهابي ، فقد نقل مركز قمع الارهاب الأمريكي C.T.C وهو الفرع القائم داخل أجهزة السي أي إيه ، معلومات مقلقة إلى البيت الأبيض مفادها : أن العراق يسعى إلى تنشيط علاقاته من جديد مع المنظمات الارهابية الاقليمية والدولية .

(وعبر القنوات السرية ، فقد أرسل للعقيد الليبي على عجل ، تنبيهاً واضحاً وشديد اللهجة يشير إلى أن كل عمل توصي به طرابلس ، سيعقبه انتقام على الفور) (لوران . عاصفة الصحراء . ترجمة أسمر ص ٩٩) .

وبرأي مسؤول أمريكي حضر اجتماع جنيف (فإن سوريا هي البلد المفتاح القادر وحده على فتح أو إغلاق صنبور الارهاب) (المصدر السابق) . كما اتخذت إيران من جهتها تدابير احترازية لتحييد أعمال العنف ضد المصالح الأمريكية ، ناصحة جماعاتها بتجاهل الدعوات العراقية للحرب المقدسة ، وقد علق أحد المقربين من بوش ساخراً (حتى الجماعات الارهابية لا تحب مجاورة خاسر) .

لم يلتق جورج بوش الملك الحسين ، بعد مقابلاته المتعددة في المنطقة وخارجها ، علماً بأن اتفاقاً كان قد تم على لقاء مشترك ، بل وحدد موعده في باريس يوم ١٧ تشرين الثاني ، وتم الاعتذار عبر مكالمة هاتفية ، جاءت على لسان أحد موظفي البيت الأبيض ، في اليوم المقرر للاجتماع نفسه ..

لم يحتمِ الناطق يومها ، خلف تعابير الضغط والمواعيد والارتباطات الرئاسية ، بل راح يتحدث كسبب للاعتذار ، أن الملك بات يمثل في نظر الكونغرس والرأي العام الأمريكي ، مفاوضاً بالنيابة عن صدام حسين ، وهو ما لا تستطيع الادارة أن تقبل به .

ومن الحقائق غير القابلة للالتباس ، أن واشنطن قررت منذ وقت مضى ، مخاصمة الدول العربية ، التي ناصرت الحل العربي ، ورأت في الحشود الأمريكية الهائلة ، خطورة لا على الخليج فحسب ، بل والمنطقة بكاملها ، ولم يكن خصام واشنطن بعيداً عن روح التحريض والتأليب وسياسات إلحاق الأذى ، فقد تم

حتى ذلك الوقت طرد نصف مليون عامل يمني من السعودية وحدها ، في جائحة مفضوحة راحت تختفي تحت اسم القانون والأوضاع المالية للشركات السعودية ، ولحق باليمنيين ، مئات الألوف من العمال والموظفين الفلسطينيين والاردنيين والسودانيين والسوريين من السعودية والخليج .. ثم شنّت حكومات السعودية والإمارات وقطر والبحرين حملة عقوبات اقتصادية ضد الأردن وفلسطين واليمن والسودان .

كانت واشنطن قد وضعت على جدول أعدائها ، الأردن وفلسطين واليمن والسودان بالدرجة الأولى ، ثم ليبيا والجزائر وتونس والمغرب وموريتانيا بالدرجة الثانية ، ولم يكن الشعب العربي من خليجه لمحيطه ، يكتسب (الصفة الرسمية) كي تضعه واشنطن على جدول أعدائها القادمين .

قرار الشرعية الدولية . قرار للأجيال

تمكّن الرئيس الأمريكي ووزير خارجيته ، خلال اجتماع الأمن والتعاون الأوروبيين في باريس ، وبعده ، في جولاتهما التي وصلت إلى مختلف أرجاء العالم ، وبصورة خاصة الاتحاد السوفييتي والصين ، من إقناع العديد من الدول الأوروبية والآسيوية والعربية ، والدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن ، بضرورة اتخاذ قرار صادر عن مجلس الأمن يجيز استخدام القوة مع مهلة إنذار نهائية ضد العراق للانسحاب كانت الآراء المتفاوتة أحياناً ، بخصوص استصدار القرار بين الدول الكبرى ، تنصب على الأشكال والتوقيتات والاجراءات .. بأكثر مما تنصب على الجوهر الصادر عن مغزى التشريع في استصدار القرار المطلوب من الولايات المتحدة نفسها ، من الناحيتين الشرعية والعسكرية .

ــ كان الأمريكيون يرون أن المادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة تكفي وحدها لإجازة استخدام القوة ، دون حاجة لقرار جديد من مجلس الأمن .

ــ كان السوفييت يرون على العكس ، أن مثل هذا القرار يحتاج إلى استصدار قرار جديد .. ومعلل .

ــ كان الفرنسيون يعتقدون أن التوقيت لاستصدار هذا القرار سابق لأوانه ، ما دامت العقوبات المفروضة على العراق ، لم تأخذ بعدها الزمني بعد .
ــ كان الصينيون يرون خطورة اتخاذ مثل هذا القرار ، ولا يستطيعون الوقوف ضده ..
ــ وكانت بريطانيا ، وهي أم القوانين الغربية ، تجد في هذا الجدال مضيعة للوقت ، وأن ميثاق الأمم المتحدة (ونحن من أبرز صنّاعه يجيز لنا التحرك على الفور) .

وبامتناع الصين عن التصويت ، ووقوف اليمن وكوبا ضد القرار ، تكون الموافقة قد تمت من قبل ١٢ دولة .. وهو ما يكفي للحديث عن الأكثرية !..

النص الحرفي للقرار ٦٧٨

«إن مجلس الأمن إذ يشير إلى قراراته ٦٦٠ / ١٩٩٠ و٦٦١ / ١٩٩٠ و٦٦٢ / ١٩٩٠ و٦٦٤ / ١٩٩٠ و٦٦٥ / ١٩٩٠ و٦٦٦ / ١٩٩٠ و٦٦٧ / ١٩٩٠ و٦٦٩ / ١٩٩٠ و٦٧٠ / ١٩٩٠ و٦٧٤ / ١٩٩٠ و٦٧٧/ ١٩٩٠ ويعيد تأكيدها .

وإذ يلاحظ على رغم كل ما تبذله الأمم المتحدة من جهود أن العراق يرفض الوفاء بالتزامه تنفيذ القرار ٦٦٠/ ١٩٩٠ والقرارات اللاحقة ذات الصلة المشار إليها أعلاه مستخفاً بالمجلس استخفافاً صارخاً ، وإذ يضع في اعتباره واجباته ومسؤولياته المقررة بموجب ميثاق الأمم المتحدة حيال صون السلم والامن الدوليين وحفظهما ، وتصميماً منه على تأمين الامتثال التام لقراراته ، وإذ يتصرف بموجب الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة .

١ــ يطالب بأن يمتثل العراق امتثالاً تاماً للقرار ٦٦٠ / ١٩٩٠ وكل القرارات اللاحقة ذات الصلة ويقرر في الوقت الذي يتمسك بقراراته أن يمنح العراق فرصة أخيرة لفتة تنم عن حسن نية للقيام بذلك .

٢ــ يأذن للدول الأعضاء المتعاونة مع حكومة الكويت ، ما لم ينفذ العراق في ١٥ كانون الثاني ١٩٩١ أو قبله القرارات السالفة الذكر تنفيذاً كاملاً كما هو

منصوص عليه في الفقرة ١ أعلاه ، بأن تستخدم كل الوسائل اللازمة لدعم قرار مجلس الأمن ٦٦٠ / ١٩٩٠ وجميع القرارات اللاحقة ذات الصلة وتنفيذها وإعادة السلم والأمن الدوليين إلى نصابهما في المنطقة .

٣ــ يطلب من جميع الدول أن تقدم الدعم المناسب إلى الاجراءات التي تتخذ عملاً بالفقرة ٢ من هذا القرار .

٤ــ يطلب من الدول المعنية أن توالي إبلاغ المجلس تباعاً التقدم المحرز في ما يتخذ من إجراءات عملاً بالفقرتين ٢ و٣ من هذا القرار .

٥ــ يقرر أن يبقى المجلس في حالة انعقاد بسبب هذا الموضوع .

وكان تعبير (حق استخدام كل الوسائل الضرورية) وهو التعبير السوفييتي عوضاً عن التعبير الأمريكي (حق استخدام القوة) يشكل فارقاً دبلوماسياً ــ شكلياً لمعنّى واحد ، وهو استخدام القوة في النهاية .

لقد خيضت معارك قانونية عديدة ضد هذا القرار ، وقد رؤي بأن القرار وهو يستند إلى ميثاق الأمم المتحدة ، إنما يخالف هذا الميثاق من الناحيتين النّصية والقانونية فقد رأى شوفينمان (وزير الدفاع الفرنسي المستقيل إبان الحرب) وهو يستند إلى آراء كبار مشرعي القانون الدولي في السوربون ، أن الميثاق والمادة ٤٢ منه يجيزان استخدام القوة ، للأمم المتحدة التي يجوز لها وحدها استخدام هذا الحق دون غيرها ، حيث لا تجوز الوكالة في تجيير هذا الحق ، تحت أي ظرف من الظروف ، (إن القوات التي ذهبت إلى الخليج لم تعتمر القبعات الزرقاء ــ دي كويلار) .

ــ إن جو الميثاق ، كما يرى شوفينمان ، هو جو بالغ الحساسيّة والخطورة ، خاصة في فصله السابع ومدى انطباق المادتين ٤١ (العقوبات الاقتصادية) أو ٤٢ (العقوبات العسكرية) ، والفصل يشير نصاً وروحاً ، إلى ضرورة توفر (القناعة المشبعة) بشأن موجبات استصدار القرار من كافة الجوانب ، ففي الوقت الذي لم تبلغ العقوبات مداها ، وفي الوقت الذي يمتنع فيه بلد دائم العضوية كالصين

عن التصويت ، إلى أي مدىً يمكن اعتبار القناعة المشبعة ، متوفرة لدى الأعضاء حين اتخاذ القرار ؟..

وبحسب رأي الدكتور عدنان الباجهجي ، كما يشير هيكل (أوهام القوة والنصر . الترجمة العربية ص ٥٠٠ــ) فإنه (كان يحق لمجلس الأمن أن يستعمل أي إجراءات يراها ضرورية سواء في ذلك العقوبات الاقتصادية طبقاً للمادة ٤١ أو القوة المسلحة طبقاً للمادة ٤٢ وفي هذه الحالة ، **فإن التدخل العسكري لحفظ الأمن يكون بعد ثبات فشل العقوبات الاقتصادية طالما أن مجلس الأمن اختارها أولاً والقرار رقم ٦٧٨ يشير إلى العقوبات ولا يتحدث عن فشلها)** .

ويذهب الدكتور باجهجي ، وهو وزير سابق لخارجية العراق ، ومندوبه الدائم لدى الأمم المتحدة لمدة عشر سنوات ،(بأن القرار ٦٧٨ قد يكون هو نفسه مخالفاً لميثاق الأمم المتحدة ، ذلك أن نص المادة ٥١ من الميثاق التي استند إليها ، تعطي للدولة المعنية الحق في الدفاع عن نفسها إذا هوجمت ، وأن نطلب من غيرها من أعضاء الأمم المتحدة مساعدتها في رد هذا الهجوم . وذلك حتى يتخذ مجلس الأمن ما يراه ضرورياً من اجراءات وذلك ما حدث فعلاً حين اتخذ المجلس سلسلة من الاجراءات ابتداءً من القرار ٦٦٠ إلى ما بعده ، وبذلك يكون قد تم استيعاب المادة ٥١ من الميثاق .. **إن مفهوم ذلك ، أن أحكام حق الدفاع الشرعي عن النفس بمقتضى المادة ٥١ تنطبق قبل تدخل المجلس وليس بعده** .والدلالة أن مفعول المادة ٥١ حق مؤقت ينتقل الى مجلس الأمن طالما قرر هذا المجلس أن يقوم بمسؤولياته .. وهذا تم) (المصدر السابق) .

وتضيف الدكتورة عائشة راتب ، وقد شغلت منصب وزيرة الشؤون الاجتماعية في مصر لمدة طويلة ، (أن نص القرار ٦٧٨ قد يحتوي على إباحة باستعمال القوة لتحرير الكويت ، ولكنه لا يبيح إعلان الحرب على دولة العراق ، لأن ميثاق الأمم المتحدة يدين الحرب أياً كانت مبرراتها ، ثم إن نصّ القرار يتضمن تخلياً من مجلس الأمن عن مسؤولياته التي يلقيها عليه الميثاق .) .

ويشير دي كويلار في تقريره السنوي (بعد اتخاذ القرار بعشرة أشهر) ما

معناه ، أن مجلس الأمن حوّل استعمال القوة لبعض الدول ولتحالف نشأ بينها ..

والخلاصة ، كما يريد هيكل أن يقول ، فإن مؤدى كلام دي كويلار يذهب إلى أن القرار :

ـ ليس بالضبط قانونياً .

ـ لكنه بالواقع كان ضرورياً .

وهذه قاعدة في توصيف الشرعية الدولية تحتاج إلى مراجعة وتدقيق .

قبل اتخاذ قرار القوة من قبل مجلس الأمن ، كان طارق عزيز قد توجه إلى موسكو ، بناء على طلب من الاتحاد السوفييتي ، قبلها قام بريماكوف بزيارة للسعودية دشّن فيها بداية مرحلة جديدة من التعاون والانفتاح ، خاصة بعد إعادة العلاقات الدبلوماسية بين السعودية والاتحاد السوفييتي ، المقطوعة منذ ستين عاماً (قطعت العلاقات بين البلدين في بدايات الثلاثينيات من هذا القرن) .

لم تكن الكلمات الوردية ، التي همس بها بوش في أذن غورباتشوف إبان انعقاد مجلس الأمن والتعاون الأوروبي في باريس ، قد غابت عن الذاكرة بعد ، فالسعودية باتت قانعة بضرورة تقديم معونة سخيّة للأصدقاء الجدد ، خاصة قبل التصويت على قرار القوة بيوم واحد (٢٨ تشرين الثاني) ، حين ذهب الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودي ، يحمل البشائر إلى موسكو ، من أن السعودية والكويت والإمارات ، ستقدم قرضاً بمبلغ ٤ مليارات دولار لموسكو (نفس الرقم الذي همس به بوش في أذن غورباتشوف قبل تسعة أيام فقط) .

ظل طارق عزيز ينتظر (٢٦ تشرين الثاني) دون أن يعرف شيئاً عن خبايا اليومين المقبلين ، وظن أن شيئاً جديداً يقف وراء الدعوة السوفييتية له إلى موسكو

وحسبما أشارت الوكالات في حينه ، فإن كلمات غورباتشوف الجافة للوزير العراقي ، كانت تخرج عن المألوف ، خاصة و أن طارق عزيز ، كان قد جاء بناء على دعوة مسبقة ، ولم يجيء من تلقاء نفسه ، إذ في مثل هذه الحالات ، فإن التوقعات المنطقية تشير إلى أن الداعي يمتلك أفكاراً جديدة يريد أن يطرحها .

لم يكن شيئاً من هذا القبيل قد حصل ، وكممتهن للدبلوماسية الحصيفة ، فقد وقف عزيز ينتظر ما سيقوله الرئيس له ، كان كل ما قاله ، حسب وكالة تاس (إذا كان العراق يريد حقاً التوصل إلى تسوية في المنطقة ، وإذا كان يرغب في تفادي الأسوأ فقد حان الوقت منذ الآن ، ليؤكد بالفعل جلاءه عن الكويت ، وتحريره لكافة الرهائن ، وليعلن أنه لا ينوي منع الأجانب من مغادرة العراق ، وإلا فإن مجلس الأمن سينتهي إلى تبني قرار صريح منذ الآن ، وسوف يكون قراراً قاسياً) .

وكانت كلمات أمريكية ، بلغة روسية !.

عرض جديد ، ماذا كان وراءه ؟

كان الأمير بندر بن سلطان ، سفير السعودية في واشنطن ، يتابع على شاشات التلفزة بفرح غامر ، قرار مجلس الأمن رقم ٦٧٨ ، حين دق جرس الهاتف ، وكان على الطرف الآخر من الخط ، سفير العراق لدى الأمم المتحدة ..

كان الهاتف مفاجئاً في مثل ذلك الوقت ، خاصة وأن بندر لم يلتق السفير العراقي منذ وقت طويل ، ولم يتحدث السفير عن شيء محدد ، لكنه طلب مقابلة بندر لمراجعة التطورات بصورة مشتركة ، (خاصة وأننا لم نلتق منذ فترة طويلة) .

أجاب بندر على طلب السفير بالايجاب ، وحدد موعداً للقاء في اليوم التالي .

وفي صبيحة ذلك اليوم (٣٠ تشرين الثاني) الساعة العاشرة والنصف ، عاد جرس الهاتف يرن من جديد .. وكان الطرف الآخر في هذه المرة ، متحدثاً من البيت الأبيض .

طلب المتحدث من بندر ، أن يسعى إلى ترتيب مكالمة هاتفية مع الملك فهد ، (يرغب بإجرائها رئيس الولايات المتحدة) . وأضاف المتحدث قائلاً : آمل أن يكون ذلك عند الظهر ..

سأل بندر :

ـــ حول ماذا ؟

وردَّ المتحدث :

ـــ لا أدري تماماً ، قد يكون تلفون مجاملة .
وأقفل الخط

بعد المكالمة بقليل تلقي بندر خبراً يقول ، بأن الرئيس بوش سوف يظهر على شاشات التلفزة ، في الساعة الحادية عشرة صباحاً . ولم يكن قد مرت ثلاثون دقيقة على المكالمة الواردة من البيت الأبيض .

انتابت بندر الوساوس ، لكنه راح يجري تحليلاً سريعاً لمعطيات اليوم السابق وصبيحة يومه ..

بالنسبة للسفير العراقي ، ظن بندر ، أن قرار القوة الصادر عن مجلس الأمن ، قد أدى مفاعيله في بغداد ، وأن طلب السفير العراقي للمقابلة ، هو مبادرة خفية لإعادة ترتيب الطاولة بين السعودية والعراق من جديد .

بالنسبة لرغبة الرئيس الأمريكي في محادثة عمه ، الملك فهد ، فقد تتعلق بشرح جوانب ميدانية جديدة ، تريد الولايات المتحدة اتخاذها ، بعد حصولها على قرار القوة .

أما بالنسبة لخطاب بوش الصباحي ، **فقد يكون لتفسير المغزى الصادر عن استصدار قرار القوة ، وأن ذلك لا يعني الحرب ، بأكثر مما يعني السلم ، وأن قرار القوة يمكن أن يؤدي إلى انسحاب العراق من الكويت دون حاجة للجوء إلى الحرب** .. خاصة بعد أن تم تحديد مهلة للانذار تنتهي في الخامس عشر من كانون الثاني .. وأن ذلك يعني أن هناك فرصة أمام صدام للانسحاب تطاول خمسة وأربعين يوماً اعتباراً من حينه . وكان ذلك تفسيراً للرأي العام الأمريكي ، الذي أخذ يتحسّب لاقتراب ساعة صفر المجابهة المقبلة

جلس بندر أمام شاشة التلفزيون يترقب خطاب بوش ، ظهر بوش ، وأخذ يتلو بياناً مسهباً ، يتألف من عشرين فقرة ، وكلها تتعلق بأزمة الخليج ، منذ اندلاعها ، وحتى ساعة تلاوة البيان . ماذا فعل ، وماذا بقي عليه أن يفعل . ولكن سرعان ما أثارت مبادرته الأخيرة في البيان موجة من الدهشة المستغربة حين قال : ـــ

ـــ في جميع الأحوال ، فأنني سوف أستقبل وزير الخارجية العراقي هنا في واشنطن ، وذلك من أجل إتاحة فرصة جديدة للسلام ، بعد ذلك سوف أكلف الوزير بيكربالذهاب إلىبغداد لمقابلة صدام حسين ، في وقت ملائم للجهتين يقع بين الخامس عشر من كانون الأول والخامس عشر من كانون الثاني .

وكاد السفير السعودي أن يقفز من مكانه ، حين سمع مبادرة بوش الأخيرة ..

كان بندر يعتقد أن بوش قد بعث بالرسالة الخاطئة للعراق ، فهي رسالة ضعف أمريكية ، سيستثمرها صدام في إدارة اتجاه الأزمة من جديد ، خاصة وأن بندر كان قد تحدث مراراً مع المسؤولين الأمريكيين عن نجاعة أسلوب القوة ضد العرب عموماً .. وأن هذه اللغة هي الوحيدة المفهومة في المنطقة العربية ، يقول بوب وودورد في كتابه القادة تأييداً لذلك (كاد بندر أن يقفز من مقعده من هول المفاجأة وعدم تصديقها ، وفكر أن ذلك غباء مطبق ، **فالأمريكيون لن يفهموا العرب**) (القادة ترجمة برهوم ص ٢٣٧) .

رد سكاوكروفت على شكوى بندر من المبادرة ، وعدم استشارة السعودية فيها ، بما يلي : ـــ

ـــ إن الرئيس يرغب في استنفاد كل البدائل الدبلوماسية قبل الذهاب إلى الحرب ، هذه خطوة مطلوبة ، لتثبت للكونغرس والشعب الأمريكي صدق نوايا العمل الدبلوماسي بالدرجة الأولى .

أجاب بندر : ـــ

ـــ ربما كان ذلك مناسباً من الجهة المحلية ، لكنه هاتف خاطىء لصدام ، **لقد سخط الملك لعدم التشاور معه** ، ماذا برأيك إذا ما وقعت الحرب ، هل سنتلقى مكالمة تقول : بالمناسبة .. لقد بدأناها .. هيا ..

كان سكاوكروفت يعرف ما يدور في مخيلة الرئيس ، لكنه لم يشأ أن يفصح عن ذلك أمام بندر !..

عاد بندر ، يهتف لمقر البعثة العراقية في الأمم المتحدة ، ليسأل من جديد عن

مصير اللقاء الذي طلبه السفير العراقي قبل يوم من بيان بوش .. لكنه اجيب بأن السفير الأنباري قد غادر الولايات المتحدة الى بغداد .

كان بيكر رغباً في التخفيف عن بندر حين راح يهاتفه في اليوم التالي لبيان بوش قائلاً :

ــ إنك لا تزال تثق بي أليس كذلك ؟.

أجاب بندر :

ــ هالو جيم .. كيف تسير الأمور لديكم ، هل من جديد ؟

تابع بيكر :

ــ لدي خبر أعلمك به ، أمامي الآن نتائج استقصاء الرأي العام ستنشرها (الواشنطن بوست) في الصباح الباكر ، إنها تبين اتساع المساندة الشعبية للرئيس ، منذ أن تقدم بمبادرته التي لا تروق لك .

وأضاف بيكر قائلاً :

ــ هل ترى ، لقد نجح هدفنا ، وهذا ما كنا نريده ..

لم يكن بوش ، الذي صمم على المضي باتجاه هدفه المرسوم ، يريد أن يذهب لخيار الحرب ، دون إشاعة قناعة كاملة ، في أوساط الشعب الأمريكي ، من أنه فعل كل ما في وسعه حتى اللحظات الأخيرة .. ولم يفلح ، وأن التصلّب المتأتي عن عناد بغداد هو المسؤول .. وأن خيار الحرب في النهاية لا مندوحة عنه ، (لأن الأمم الكبيرة كالرجال الكبار ،يجب أن تفي بوعدها ، وعندما تقول أمريكا شيئاً ما ، فيجب عليها احترامه سواء كان اتفاقاً أم معاهدة أم قسماً حفر على وجه الرخام) .

وكان ذلك بعد يومين من مبادرته في الكابيتول الأمريكي .

كانت ردود الفعل تجاه مبادرة بوش الأخيرة ، متفاوتة على الصعيد العالمي ..

ــ فقد اعتبرها السوفيت ظاهرياً ، بأنها خطوة شجاعة على طريق صيانة السلم العالمي ، وحل الأزمة بلغة الدبلوماسية لا بلغة المدفع ، وأخفى السوفيت (لغة دفينة) وقديمة لديهم ، من أن النظم الرأسمالية ! إنما هي كباش تتناطح وإنْ لم يظهر

ذلك على السطح أحياناً ، وقد ورد في مخابىء التحليل السوفيتي ، أن أمريكا تريد التفرد بالمنطقة دون حلفائها ، وفي رسالة أعربت عن تأييد الكرملين للمبادرة الجديدة ، الا إنها راحت تحذر من طارق عزيز ، (وأن الثقة بهذا الرجل تتضاءل) (من كلمات شيفر نادزة لبيكر عشية المبادرة) .

ــ واعتبر الفرنسيون على لسان وزير خارجيتهم رولان دوما ، الذي تلقى النبأ بمفاجأة غير منقوصة ، وكان لا يزال يحضر مأدبة عشاء أقيمت له في مقر البعثة الفرنسية في الأمم المتحدة ، أن مبادرة بوش تخريب في تخريب ، وأن القصد من ورائها احتكار الأزمة بيد الولايات المتحدة دون غيرها .

ــ واعتبر الايطاليون ، أن العراق يجب أن يتلقف هذه المبادرة بكامل حسن النية والمرونة ، إذ أنها مبادرة اللحظات الأخيرة في عمر النزاع .

ــ واعتبرت تاتشر ، التي اعتمرت خوذة إله حرب اغريقي ، أن هذه هي الفرصة التي على صدام أن يغتنمها قبل فوات الأوان .

ــ واعتبرت كندا أن المبادرة الأمريكية ، يجب أن تكون لحظة تأمل بالنسبة للرئيس العراقي ، وإلا (فإن حكومتنا مستعدة للانضمام إلى أي هجوم عسكري ضد العراق ، دون انتظار موافقة الأمم المتحدة .. وينبغي ألا نستبعد مع ذلك ، عدم عودة شبان كنديين للاحتفال بالنصر هنا ، إذ نكون قد دفناهم هناك بعيداً في الصحراء) (من كلمة لوزير الخارجية الكندية جوزيف كلارك أمام البرلمان الكندي يوم ٢٥ تشرين الثاني) .

ــ واعتبرت اسرائيل المبادرة ، بأنها نذير شؤم يوحي بأوخم العواقب ، فعندما زار شامير الولايات المتحدة بعد المبادرة كان يسأل : ــ

ــ سيدي الرئيس ، هل ستتخلون عن هجوم وقائي ضد العراق ، إنها بالنسبة إلينا ، أهم نقطة في الأزمة ..

ويجيب بوش :

ــ حضرة الرئيس ، إنك تعلم أننا قد نجحنا حتى الآن بابعاد العلاقة بين هذه

الأزمة ، والخلاف العربي ـ الاسرائيلي ، عليك أن تتحاشى خلق صلة بمد أيديكم إلى الأزمة ..

وعاد شامير يقول متشنجاً : ـ

ـ لكن اسرائيل لا تقبل أبداً أن تكون ضحية .

ونظر بوش إلى شامير قائلاً : ـ

ـ إن هدم كل الأسلحة العراقية التي باستطاعتها تهديد اسرائيل ، ستكون الهدف الأول للحلفاء . إني أتعهد بذلك رسمياً .

هز شامير رأسه وقال : ـ

ـ إذن نحن نقبل .

□

لم يكن أعضاء التحالف الغربين ، لأسباب مشتركة او متباينة ، على وفاق تام مع المبادرة الأمريكية ، التي أخذت طابع التفرد والمفاجأة ، باستثناء بريطانيا (التي كانت تعلم سلفاً ، أن تصميم المبادرة وعناصر تفشيلها ، قد تم توليدها في مخيلة بوش إثر اقتراح من بيكر ، بكل الحساب الدقيق) وأن أياً من المشاركين الغربيين في التحالف لم يبد اعتراضاً على ما حصل .

فالمجموعة الأوربية ، خاصة ألمانيا وفرنسا وايطاليا ، كانت تفّضل في الأساس خيار انتظار العقوبات ، قبل قرار القوة الذي كان سابقاً لأوانه .

كذلك كان يرى القادة السوفيت ، نفس الرأي الأوربي ، بصورة بدا معها ، وكأن لهجة الاعتراض في أوساط الجيش الأحمر ، أخذت تتعالى ، ضد مخاطر الانزلاق نحو الحرب ، أو ضد المخاطر التي يمكن أن تتعرض لها المناطق الجنوبية من الاتحاد السوفيتي ، إذا ما نشبت العمليات القتالية (وكان أمراً قد صدر لسلاح الجو السوفيتي وقيادة الدفاع الجوي ، بالتصدي لأي هدف يخترق اجواء الاتحاد السوفيتي ، وقد رفع الأمر درجة الاستعداد بالنسبة لسلاح الجو وجعله في حالة تأهب كاملة) .

وكانت ردة الفعل في الأوساط العربية المشاركة في التحالف ، تبعث على

الكآبة ، فحين راحت بعض الأطراف تضرب أخماساً في أسداس ،بعد أن أُخطرت على عجل ، كانت الأطراف الأخرى جاهلة بما حصل .

ـــ فالرياض كانت قداستشيرت ، قبل عشر دقائق من إلقاء بوش لبيانه .

ـــ والقاهرة كان يجري اعلامها ، في نفس الدقائق التي كانت فيها شبكة سي إن إن ، تبث المبادرة عبر شاشات التلفزة إلى مصر .

ـــ وكانت دول الخليج المشاركة في التحالف ، قد نُسيت تماماً من واجب التبليغ .. حتى قيل بأن (أمير الكويت راح يبكي وهو يتلقى النبأ) (هيكل . أوهام القوة .ص٥٠٤) .

ولم تخطر دمشق ، إلا بعد ساعة من المبادرة .

كانت بغداد تعيد قراءة المبادرة ، حين حطت الطائرات (الملك حسين أولاً ، ثم لحقه عرفات وعلي سالم البيض نائب الرئيس اليمني) في مطار بغداد .

(وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) وكانت الآية الكريمة ، بادئة الرد العراقي على المبادرة الأمريكية .

□

بوش على طريق اللاعودة

في الحقيقة ، فإنه منذ اليوم مئة وعشرين على الأزمة ، أي حتى نهاية تشرين الثاني ، أدرك بوش تماماً أنه بلغ نقطة اللاعودة إذا لم يرضخ العراق لكل مطالبيه التي باتت تتسع يوماً بعد يوم ، فهناك حالة استسلام مطلوبة من العراق دون حرب ، الانسحاب غير المشروط ، الغاء النزاع على الحدود لصالح الكويت ، عدم التدخل في حصص النفط ، تقليص القدرة العسكرية للجيش العراقي ، تدمير الاسلحة الكيميائية والبيولوجية والنووية ، ثم وضع العراق تحت مراقبة المنظار الأمريكي بصورة دائمة .. وحصل بوش من مخابراته القوية ، أن العراق لن يرضخ مهما كانت النتائج ، إذ كان العراق قد وضع أمام خيارين : اذلال غير محتمل أوحرب غير متكافئة .. وأمام ذلك ، لم يكن بمقدور العراق أن يفعل سوى ما فعله ..

النصيحة السرية التي قدمها الخبراء العسكريون لبوش ، والتي لم تعلن قط ، حددت الخسائر الأمريكية من ٥٠٠ إلى ١٠٠٠ قتيل ، والحرب لن تستغرق أكثر من أيام معدودات ، غير أن الخبراء ، كانوا قد أوردوا ، أن الحرب لا يمكن أن تكون مضمونة بصورة كاملة ، وأنها في لحظة ما من لحظات التصعيد ، يمكن أن تتطور إلى مواجهات بالاسلحة الكيميائية أو البيولوجية ، وبالتالي بردة فعل نووية ، هذا مع احتمال انزلاق الوضع إلى رد اسرائيلي ، يعقبه تصدع في وضع التحالف على الجانب العربي .

وفي التحليل النهائيّ لسيناريو الحرب ، فإن الرأي العام الأمريكي ليس بمقدوره تحمل غياب أربعمئة ألف جندي أمريكي بعيداً في الصحراء لمدة طويلة .

في اليوم ١٤٠ من الأزمة ، أي بعد إطلاق بوش لمبادرته الأخيرة ، (اجتماع عزيز مع بوش ، وبيكر مع صدام) ألغى الرئيس الأمريكي مواعيده ، واختلى بنفسه في كامب ديفيد ، برفقة أفراد عائلته وأقرب المقربين إليه ، وكان يقلب الأمر في الخيارات ، **فقد وضعت مبادرته ، كل حلفائه بعيداً عن متناول الأزمة ، وتم تطويق الأزمة بقميص حديدي من الصناعة الأمريكية ، ثم إن المبادرة كلها ليس فيها إلا عبارة واحدة (انسحب وإلا ..) . وهكذا تم ضبط المدة المتبقية (شهر ونصف) لمتابعة الهدف المرسوم ، بدون تدخل الداخلين ...**

لقد وقع بوش ، مع ذلك ، في سوء ، الحساب ، حين اعتقد أن العراق ، سيرضخ في النهاية ، لكل مطالبيه المتصاعدة ، خاصة بعد أن أصبح أمامه نصف مليون جندي ، وما يساوي تريليون (واحد إلى يمينه ١٢ صفراً) دولار من المعدات العسكرية المعقدة التي كانت ذاهبة لقتال المعسكر الشيوعي برمته ، كان على بوش خلال شهر من تاريخ عزلته في الكامب ، أن يتخذ قراراً بالحرب ، وكان عليه قبل ذلك ، خلال المهلة التي أعطاها لنفسه ، أن يضبط ايقاع الحركة على خطا تحول دون مبادرات مشؤومة قد يقذف بها من الخارج .

كانت بغداد خلال الاسبوع الأول من المبادرة ، قد اتخذت من جهتها خطوات ، من شأنها إزالة العقبات عن الطريق ، فقد أشار راديو بغداد ، إلى

قضية الربط ، التي طرحها العراق في ١٢ آب بما يلي : —
(إن العراق يفهم الربط بين المشاكل المتعددة في الشرق الأوسط ، والذي جاء في مبادرة الرئيس صدام حسين يوم ١٢ آب ، على أنه ربط سياسي ، وليس ربطاً بتواريخ الأيام) .

ويرى بعض المراقبين السياسيين ، أن هذه الخطوة الجديدة في تفسير مفهوم الربط يومذاك (حيث كان العراق يرى في شرحه للمفهوم ، أن يتم حسب تسلسله في وقائع التاريخ ، بدءاً من القديم للحديث) ، إنما يعتبر بمثابة امتصاص للحدة الأمريكية تجاه مسألة الربط (على عكس الحلفاء الأوربيين) خاصة بعد أن تم اطلاق الوعود الأمريكية لاسرائيل ، بضمان رفض الربط واغلاق ملفّه .

وفي السادس من كانون الأول ، سمح العراق بسفر كل الرعايا الأجانب من العراق والكويت ، مع تقديم الاعتذار عمّا أصابهم في أيام حجزهم هناك ..

واكتفى بوش ، ساعة إذاعة النبأ بقوله (إذا كان العراق يريد السلام فعلاً ، فما عليه إلا أن يفعل كما فعل مع ايران) .

□

كانت واشنطن بالمقابل ، تذهب إلى السعودية (شيني وباول . منتصف كانون الأول) لمراجعة الخطط الكاملة ، لتحدد التاريخ النهائي لتفاصيل الهجوم.

وكان أن مُد خط مباشر ومأمون بين البيت الأبيض ومقر قائد قوات الحلفاء في السعودية ، الجنرال شوارزكوف ، أما (الدب) — كما كان يلقبه معاونوه — فقد كان قلقاً من جراء عدم قدرته على المواءمة ، بين آخر موعد لانذار قرار القوة الصادر عن مجلس الأمن ، والمدة اللازمة لاستقرار القوات الوافدة حتى تاريخ نهاية الانذار ، وقال شيني رداً على هذه المصاعب : —

— نورم (يقصد نورمان شوارزكوف) من المستحيل الرجوع عن ذلك التاريخ .

وتدخل القائد القديم لحلف الأطلسي الجنرال أكهرست في النقاش الدائر حول المدد : —

(على أي حال ، لقد قطعنا شوطاً كبيراً ولم يبق إلا القليل ، أهم ما فعلناه حتى الآن ، هو التنسيق التام بين القوات البحرية والجوية والبرية ، وهذا بحد ذاته انتصار على عنصر الزمن) .

واقترح الجنرال اكهرست ، أن تكون القوات العربية المشتركة في التحالف ، تحت إمرة الجنرال خالد بن سلطان ،وأن تكون القيادة له . في حال دوران المعارك فوق الأراضي السعودية فقط .

كان الجميع يتفحصون الأهداف المختارة للغارات الجوية ، بعد أن ارتفع عددها من ثمانين إلى أربعمئة هدف .. (لم يشطب بوش منها سوى ثلاثة أهداف ، نصب تذكاري لشهداء العراق ، وتمثال للرئيس العراقي ، وفندق الرشيد).

كان من مهام صواريخ كروز وقاذفات القنابل من نوع ستيلث الخفية ، ضرب مناطق الأسلحة النووية والكيميائية ، وقواعد الصواريخ والمراكز الصناعية والأجهزة الهاتفية ومراكز القيادة ، على أن يصار في المرحلة الثانية إلى تدمير المطارات ومراكز الدفاع الجوي لبطاريات صواريخ أرض ، جو ، وقواعد الرادارات ، وطرق التموين بشكل يمكن من خلاله فصل شمال العراق عن جنوبه ..

□

بوش ومواعيد المبادرة .

غادر بوش واشنطن بتاريخ ١٨ كانون الأول ، لتمضية أعياد آخر السنة مع عائلته ، وكان يفكر أن يبقى غائباً طوال اثني عشر يوماً ، وقد شغلت هذه الفترة المقترحة من قبله ، جميع معاونيه ..

نجح مستشاروه في ثنيه عن عزمه ، لكنه احتفظ لنفسه بحرية المدة التي سيقضيها من الآن فصاعداً في كامب ديفيد .

وقبل أن يسافر ، اكد بوش ثانية أنه مُصر على ابقاء التواريخ التي عرضت للقائه مع عزيز في واشنطن كما هي ، وتلك التي مع بيكر في بغداد . أي ما بين ٢٠ كانون الأول والثالث من كانون الثاني .

وكانت بغداد تريد أن تكون هذه المواعيد بين تاريخين :

الأول : ١٧كانون الأول حيث يزور بيكر فيها بغداد .

الثاني : ١٥ كانون الثاني حيث يزور عزيز فيها واشنطن .

وقبل ساعات قليلة من مغادرته إلى كامب ديفيد ، اجتمع بوش مع مقربيه في البيت الأبيض ، وقال لبيكر : ـــ

ـــ لن يكون هناك اجتماع باستثناء المواعيد التي حددتها واشنطن ، وكل مَنْ يتصوره بعد الثالث من كانون الثاني ، يعتبر من باب التكهن .

كان بوش في هذا الاجتماع القصير ، قد بدا مرتبكاً لأول مرة منذ اندلاع الأزمة في الثاني من آب ، فقد خشي أن تفلت الرقابة من يده خلال مهلة الشهر الباقية ، كما راحت يده ترتجف وهو يوقع قرار التاريخ النهائي لبدء العمليات ، على شكل أمر تحذير يوجه إلى الجنرال شوارزكوف فقط ، وقد رأى بوش ، أن يكون هذا الاخطار في حوزة شوارزكوف اعتباراً من ٢٩ كانون الأول ، وبالفعل فقد خرج قرار الحرب من واشنطن يوم الأحد في التاسع والعشرين من كانون الأول ، الساعة الحادية عشرة والربع بتوقيت واشنطن ، وطواه شوارزكوف ووضعه في ملفه السري الخاص .

□

في مسعاه التضليلي قام الجنرال كالفن ، معاون نورمان شوارزكوف في السعودية ، باطلاًق تصريحات تقول (بأن قوات التحالف لن تكون مستعدة للقتال يوم الخامس عشر من كانون الثاني ، وأنه يلزم من أجل ذلك وقت إضافي) . وكان الرئيس الفرنسي في اليوم نفسه يحضر مؤتمراً صحفياً في الاليزية ، حول أزمة الخليج ، وقد راح يعالج الأزمة ، أسبابها ونشوءها ، وتباين المواقف منها ، بروح الجمهورية تاركاً مسافة صريحة بين الموقفين الأمريكي والفرنسي ، خاصة بعد أن تم تنبيه أوربا من قبل الولايات المتحدة ، (إلى ضرورة تحاشي الاشارات الخاصة ، التي يمكن أن تضيف بلبلة إلى موقف التحالف) .

كان ميتران يقول في (١٩ كانون الأول) أمام مؤتمره الصحفي : ـــ

(إن الأهداف المحددة هي اعادة سيادة واستقلال الكويت وليس احتلال العراق ، كما يقول البعض ، فإذا ما تم تحرير الكويت أو جرى الاعلان عن ذلك قبل ١٥ كانون الثاني من قبل العراقيين ، فإن من حق العراق أن ينال ضمانات ...

إننا نُصِّر على عقد مؤتمر دولى ، لسنا نحن مَنْ يحدد موعده ، نحن لا نقول أنه يجب أن يختتم عند عيد الفصح ، ولا عند أي عيد آخر ، لكننا نعتقد أنه سيكون الأداة الضرورية لإقامة التقارب بين شتى الطروحات) .

وانتقد ميتران الولايات المتحدة (التي لا تكف عن المطالبة بتأجيل صدور النص الذي يتضمن إشارة إلى مؤتمر دولي يتعلق بالصراع العربي ـــ الاسرائيلي)

ثم خلص ميتران إلى القول (إن فرنسا ، المُنفِّذ الأمين لقرارات مجلس الأمن ، والتي تعتبر نفسها جندي الحق ، سوف تستكمل ، ضمن الحدود التي رسمتها ، ما هو من واجبها) .

كان ميتران قد رسم للجمهورية في تصريحه هذا ، خطوطاً بعيدة ، بل ومتناقضة مع جوهر السياسة الأمريكية من الأزمة ، وبالرغم من أن العديد من هذه المواقف ، قد تم تبديلها من قبل ميتران نفسه فيما بعد ، إلا أنه من قبيل الإفادة ، أن يشار اليها بلغة الصراحة السياسية ، بعيداً عن أجواء الدبلوماسية المّلغزة :

ـــ فالحرب إذا ما نشبت ، سيكون هدفها تحرير الكويت وليس احتلال العراق . وهذا في فرنسا

في واشنطن (السؤال هو : هل ترانا سنتقاتل في الكويت وحدها ، أم سنسحق بغداد .. ما هو المطلوب ؟) (تصريح ديك شيني في السعودية يوم ٢٢ كانون الأول)

في واشنطن أيضاً ، يسأل بوش (حين يُهزم العراق ، هل سيكون احتلال البلاد واجباً) ولما أجاب باول بالنفي القاطع ، سأل بوش (لماذا ؟) (لوران عاصفة الصحراء ص ١٢٠ ترجمة اسمر)

ـ الضمانات التي يمكن أن تعطى للعراق ، ضرورية في حالة الانسحاب من الكويت .. من وجهة النظر الفرنسية .

وهي مرفوضة قطعياً ، بأكثر من تصريح رسمي أمريكي .

ـ لا صلة بين المشكلات في المنطقة ، الربط مرفوض أمريكياً ، ولا إتيان على ذكر المؤتمر الدولي لحل الصراع العربي ـ الاسرائيلي .. بينما ـ رأي ميتران عكس ذلك تماماً .

ـ إن دوافع فرنسا وراء اصدار قرار القوة عن مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة ، هي غير دوافع الولايات المتحدة ، وإلا لما كان هناك مدعاة للقول بأن (فرنسا هي المنّفذ الأمين لقرارت الأمم المتحدة) . ففي حين كان ميتران يرى في (قوة القرار) تلويحاً بالقوة دون استخدامها ، (ولاظهار مزيد من جدّية الموقف العالمي) ، كان بوش يرى في (قرار القوة) خطوة على طريق استيراتيجية مقررة ، لا تعني بعد تاريخ محدد ، غير التوجه إلى الحرب .

كان ثمة اختلافات ، بين (قوة القرار الفرنسي) و(قرار القوة الأمريكي) .
ثم أصبح موقف المصالح الفرنسية يطغى على موقف تاريخ الجمهورية ، حين أقدمت العربية السعودية ، باشارة من الولايات المتحدة ، على ابرام عقد ضخم ، مع شركة تومسون وصل إلى حد ٢ مليار دولار ، لتوريد محطات رادار فرنسية ، مما دفع بباريس أن تدير موقفاً اكثر تقرباًمن دول الخليج المتحمسة للحرب ..

وزاد من حدة الافتراق ، عن دور فرنسا المستقل ، أن الشركات الأمريكية والبريطانية ، كانت قد وقّعت حتى تاريخه ، عقوداً تزيد قيمتها عن ٢٠ مليار دولار ، لاصلاح ما ستخلفّه الحرب من دمار ، (وبالفعل فإن القصف الجوي للحلفاء ، عندما نشبت الحرب ، كان يطال أهدافاً لا قيمة حربية أوإستيراتيجية لها ، غير توسيع رقعة العقود المذكورة) .

وفي تزامن غير مألوف ، عندما كان البابا يوحنا بولس الثاني يقدم رسالته الميلادية إلى الملأ ، كان ميتران يطلب من الأميرال جاك لاكساند رئيس أركان

قصر الأليزية ، ونقيض شوفينان السياسي ، أن يخطر (الأصدقاء الأمريكيين أن باستطاعتهم الاعتماد على فرنسا ، مثل اعتمادهم على بريطانيا تماماً) .

□

كان البابا ، الذي غيبته وسائل الاعلام الأمريكية عن سابق تصميم ، يقول في رسالته إلى العالم :

(إن نور المسيح مع الأمم المعذبة في الشرق الأوسط ، وبالنسبة لمنطقة الخليج التي تعيش قلقها ، نحن بانتظار أن ينقشع خطر الأسلحة ، ألا فليقتنع المسؤولون أن الحرب مغامرة مشؤومة ، والأرض المقدسة هي الأخرى ، تنتظر هذا السلام منذ سنوات ، **تنتظر حلاً سلمياً لمجمل المشكلة التي تتعلق بها ، حلاً يأخذ باعتباره التطلعات المشروعة للشعب الفلسطيني** .وكذلك الشعب الذي يعيش في دولة اسرائيل .)

وكانت دولة اسرائيل ، خلال أسبوع الرسالة الميلادية ، تستقبل ١٢ ألفاً من المهاجرين السوفيت اليهود ، و٤٠ ألفاً حتى نهاية الشهر ، و٢٠٠ ألف مع تسليم العام النازل نفسه للعام الجديد .

□

بوش الباحث عن مستندات لاهوتية لحربه .

خلال عطلته في كامب ديفيد ، قضى بوش وقته بين أفراد عائلته وبعض أصحابه تارة أخرى ، وكان في بعض الوقت يختلي بنفسه لممارسة الصلاة ، حيث غلب عليه تديّنهُ في هذه الأوقات العصيبة ، وقد أخذ يكثر من لقاءاته مع المطران براوننغ رئيس الكنيسة الانكليكانية ، وقد اقترح المطران ذات مرة فكرة التريث قبل الدخول في الحرب . لكن بوش المنزعج رد بعصبية : —

— انظر ما فعل جيش بغداد بالكويت ، ثم أين كانت الكنائس عندما نفى هتلر اليهود البولنديين ؟..

كان بوش ، باقتراح من زوجته بربارا ، يفكر بانشاء منصب جديد ملحق

بمناصب البيت الأبيض ، وهو تعيين رجل دين هناك ، وراحت السيدة الأمريكية الأولى ، تجمّل الاقتراح بقولها : ـــ

ـــ عساه (أي رجل الدين) أن يقيم لنا الذبيحة الالهية ، ويحتفل كل عام بقداس زواجنا ، وقداس زواج المعاونين !..

وماهي إلاساعات ، حتى طافت في مخيلة الرئيس أفكار ظلت تزدحم في دماغه منذ وقت طويل .. (أخيراً وجدت حلاً لكل مشاكلي الأخلاقية ، فالاشياء إما سوداء أو بيضاء ، إن صراعنا مع الغير ، هو صراع الخير ضد الشر) .

وها هو رجل السي آي إيه الأول ، يتحول إلى كاهن ، بومضة طهر لامعة .

كان الساسة الأمريكيون ، يطالبون رجال الدين بمباركة ما أصبح يُسمى (بالحرب العادلة) واسباغ زخم روحي سام على مَنْ يشنها ، لكن رعايا أبرز الكنائس الأمريكية أدانوا خيار الحرب ، مع بعض استثناءات متوقعة صدرت عن أمثال الكاردينال برنارد وهو رجل دين تنبع رؤيته من حماسه المفرط لتصميم ممارسات الملكة الاسبانية ايزابيلا ، مؤسسة محاكم التفتيش وحرق المسلمين واليهود على حد سواء .

في بريطانيا ،كان الأساقفة اكثر تأقلماً ، فقدأوصى اسقف كانتربري (ابناءه بالحرب العادلة) مؤكداً أن (هناك حقيقة جارحةفي التاريخ الانساني ، هي أن استخدام القوة قد سببته السجايا الانسانية مثلما سببه الضعف على حد سواء) .

يبدو أن التاريخ الوطني هو الذي يحدد شروط الموقع الأخلاقي ، فرئيس أساقفة ايرلندا الدكتور دالي ، صرح أن مبدأ الحرب العادلة ، غير وارد على الاطلاق ، وإننا (بدأنا بالحديث عن الضربات النظيفة ، متناسين وساخة الضربات التي ستلقي بآلاف الجثث والأشلاء والضحايا في المقابر) .

ويقول شوفينان في استعراضه لموقف البابا معلقاً على التعتيم الأمريكي : ـــ

إن موقف ديبلوماسية الفاتيكان لم تكن يوماً إلا محط اهتمام الاعلام ، لكن البابا الذي كان يحظى بتسابق وسائل الاعلام لتغطية موقفه عندما أدان لاهوتية التحرير وتجنيد المقاتلين ، وجد نفسه مقاطعاً ، ممنوعاً ، محذوفاً ، عندما قال

قداسته : **لأن الأسباب الحقيقية العميقة للعنف في هذه المنطقة من العالم لم تُمس** ،فإن السلام المفروض بقوة السلاح ، لن يستطيع إلا أن يهيء لأعمال عنف جديدة) وقال ايضاً ، (إن الظلام زحف على العالم عندما تم اختيار العنف وانتهاك القانون الدولي ، وعندما تم الادعاء ، بأن حل التوترات بين الشعوب ، يمكن أن يتم بواسطة الحرب ، التي لا تزرع غير الخراب والموت) .

□

في المنطقة العربية ، همد النشاط السياسي في مكانه بقنواته العلنية والسرية ، وذلك بعد أن طرحت الولايات المتحدة مبادرتها للقاء الأمريكي ـــ العراقي ، مغلقة على الجميع منافذ الحركة والتقّرب ، ومع تقدم الساعات والأيام ، كانت تشعر بغداد ، أن طبول الحرب التي تم ايقافها عن عمد ، لم تكن أقل من إعلان صامت ، عن تجمع سريع لنذر السحب السوداء ..

كانت عواصم الحل العربي ، في حالة انتظار يائس لما ستقذف به الأقدار إلى ساحة المنطقة ، بعد أن صُدّت آخر المحاولات الفرنسية ـــ الأردنية لتهدئة الموقف عقب اطلاق سراح الرعايا الغربيين من العراق .

وكانت العواصم العربية المشاركة في التحالف ، ترقب بحذر ما ستنطوي عليه المبادرة الأمريكية من نتائج ، بعد أن أرسلت بآخر جندي لها في حصة مشاركتها العسكرية إلى الجبهة .

وكانت عواصم أوربا الغنية مع اليابان ، تفرك يديها ، منتظرة انبلاج الصبح على تحركات بيكر ـــ عزيز ، بعد أن انهمرت عليها فواتير الدفع ، مثل زخات المطر ..

وكان السوفييت ، يتحدثون من غير اعجاب عن (عقدة الماسادا) لدى العراقيين الذاهبين إلى الموت الجماعي المحتم ، وباعجاب أقل ، عن قطّارة القروض ، التي لن تمنع البيروسترويكا من الإنهيار .

كان العالم كله ، وهو يحتفل مع أول خيط من تباشير الأمل الوليد ، والعام

الجديد ، بذكرى ميلاد سيّد المحبة والسلام ، يخشى مع اختلاط الأشياء ، أن الميلاد بات بعيداً عن أرض السلام وناس المسرّة .

□

بوش العائد من غار العزلة

كان بوش الذي ظل بعيداً في كامب ديفيد ، يأمل بأقل قدر ممكن من السياسة ، واكبر قدر ممكن من الخلوة والحياة العائلية أثناء قضائه عطلته هناك .. لم يكن يقطع عليه اختلاءه بنفسه ، سوى أجراس الهواتف والكنائس ، وعندما عاد إلى واشنطن (يوم الثلاثاء في ٩١/١/١) ، استدعى غداة وصوله كبار معاونيه ، شيني ، سكاوكروفت ، سنو نو ، باول ، وروبرت غيتس ، وبصورة مباغتة ، بعد الترحيب ، راح يسأل : ـــ

ـــ هل يترتب علينا احتلال العراق بعد هزيمته .

وبعد أن حقق بوش مفاجأة الجميع ، رد باول : ـــ

ـــ سيدي الرئيس ، أعتقد أنه من واجبنا فعل كل شيء لتحاشي ذلك .

وبنظرة مركزة سأل بوش :

ـــ لماذا ؟

ـــ لأن الاحتلال دائماً مسألة دقيقة ، وقد تكون قواتنا سريعة العطب في حال نشوب حرب عصابات . أجاب باول .

وتدخل شيني في النقاش الدائر : ـــ

ـــ لقد سبق أن تم اعلامنا من قبل حلفائنا العرب ، أنه في حال اجتيازنا حدود الكويت إلى العراق ، فسينجم عن ذلك في نظرهم وضعاً جديداً ذا عواقب غير مرتقبة .

وصمت الجميع ...

في الساعة السابعة من مساء نفس اليوم ، عاد بوش للاجتماع مع كل من بيكر وسكاوكروفت وسنونو ، وكان موضوع الاجتماع ، هو المباشرة بصياغة أمر رئاسي ، يبين التبرير السياسي للتوجه إلى الحرب (ولأن هذا التوجيه سيكون وثيقة

تاريخية) فقد طلب بوش أن يصاغ بمنتهى العناية والدقة ، بعد أن تم التصديق على أمر التحذير المرسل إلى شوارزكوف .

كان بيكر يغالب شيئاً من التردد حين سأل :

ــ هل يمكن التدقيق ، بأننا وصلنا إلى نقطة استنزاف كل الامكانيات الدبلوماسية ؟

أجاب شيني ، فيما بقي بوش صامتاً : ــ

ــ أعتقد أن شركاءنا العرب في التحالف ، باتوا يخشون أن الولايات المتحدة تبحث دائماً عن سبب لعدم التحرك .

لم تكن الولايات المتحدة قد توصلت مع العراق إلى اتفاق بخصوص المواعيد ، وقد شارف آخر موعد وضعته الولايات المتحدة على الانتهاء (٣ كانون الثاني) ، وظل العراق مصراً على تاريخه(١٢ كانون الثاني) ، وبدا أن اللقاءات المرتقبة ، بين بوش وعزيز ، وصدام وبيكر ، قد راحت تفلت من الأيدي ... وعلق سكاوكروفت على هذه الفكرة قائلاً : ــ

ــ بالنسبة لنا ، لقد حان الوقت كي نستعيد المبادرة ونضخّ حضوراً أمريكياً في هذه الجهود الدبلوماسية .

بالفعل ، فقد بدا العالم يتحرك مع اقتراب آخر موعد للمبادرة الأمريكية ، إذ لم يكن قد بقي لانذار مجلس الأمن بالانسحاب سوى اسبوعين ، خاصة بعد أن تم تسريب معلومات من السي آي إيه ، تفيد بأن الحرب واقعة مع انتهاء آخر دقيقة من مهلة الانذار المحددة في قرار مجلس الأمن .. وأن تصويت الكونغرس على قرار الحرب هو أمر نافل ، بوجود الصلاحيات الدستورية الصريحة ، الممنوحة للرئيس في مثل هذه الحالة ...

وبدأت علامات التحرك من جديد ، في منقطة الشرق الأوسط ، ففي نهاية كانون الأول ، كان الرؤساء حسني مبارك وحافظ الأسد والقذافي والبشير يجتمعون في ليبيا ، وقد بدا أن مقترحات جديدة تريد أن تأخذ طريقها للظهور ،

ثم بعيداً عن ليبيا ، كان الرسميون الايرانيون والباكستانيون والأتراك ، يجتمعون في اسلام أباد ،وكانت مبادرات إسلامية تدور في الأفق ...

وكان ميشيل فوزيل ، رئيس لجنة العلاقات الخارجية في الجمعية الوطنية الفرنسية ، يسافر بمهمة شخصية إلى بغداد ..

وحتى تلك اللحظة ، فقد بدت فرنسا ، وكأنها تريد الاحتفاظ بمسافة ما من الولايات المتحدة وبريطانيا .. وقد لعبت خطوط سياسية داخلية في فرنسا على تعزيز هذا التقليد الفرنسي الخاص ، تجاه الأزمة والمنطقة وشمال أفريقيا .. هذا فضلاً عن موقف شوفنمان (وزير الدفاع) الصريح ، بأن الفرص الدبلوماسية لم تستنفد بعد ، وأن التشريع الأمريكي يثير الظنون بأن الولايات المتحدة ، تسعى لشيء آخر ، يتعدى مسألة تحرير الكويت .. وأن مصالح فرنسا ، في ايران والعراق وليبيا ، تشكل (خليجاً) آخر لفرنسا ، لا يقل بأهميته ، عن الخليج العربي الذي سيصبح بحيرة أمريكية كاملة .

وشعر بوش أن هذه التحركات قد لا يمكن السيطرة عليها ، مع اقتراب نهايات المواعيد والانذارات ، خاصة وأن اجتماعاً موسعاً لوزراء خارجية الأسرة الأوروبية يحين موعده في الرابع من كانون الثاني ، أي بعد يوم من آخر موعد أمريكي للمبادرة .

وفي صباح مبكر ، من يوم الثالث من كانون الثاني ،أُدخلت جماعة من الصحفيين تم اختيارهم بعناية إلى مكتب بوش في البيت الأبيض ، وبعد لحظات من التودد والمصافحة ، راح بوش يقرأ نصاً مطبوعاً :

(إنني أقترح لقاء بين بيكر وعزيز في سويسرا بين السابع والتاسع من كانون الثاني الحالي ، إنني هنا ، لست بمعرض التجديد لعرض سابق ، حيث أن الأمر هنا ، يتعلق بالمجهود الأخير لايجاد حل سلمي للأزمة) .

بعد ساعة من التصريح الذي تلاه لتوه أمام الصحفيين ، كان بوش يجتمع مع لفيف من أعضاء الكونغرس ، فيما كان لي أسبن ممثل ولاية لويسكونسن الديمقراطي ، يسأل بمزيج من الحيرة والتعجب :

ـــ سيدي الرئيس ، لماذا اعتبرنا الثاني عشر من كانون الثاني يوماً تاريخياً متأخراً للقاء صدام حسين ، بينما الثامن أو التاسع يليق تماماً بلقاء منفرد مع طارق عزيز ؟

انني اخشى أن تضعنا هذه المبادرة في موقف حرج بالنسبة لآخرين ، قد يقيمون حواراً مباشراً مع صدام حسين .

أجاب بيكر :

ـــ إن الولايات المتحدة هي القوة العظمى والزعيم الوحيد لهذا التكتل . أي شيء لن يضعف موقفنا ، إن لصوتنا وحده التأثير الأقوى .

وكان الهدف من اللقاء ، هو جس النبض لفحص موقف الكونغرس تجاه الموافقة على خيار الحرب ..

قال بوش :

ـــ أريد من الكونغرس أن يوافق على استخدام القوة ، أو الموافقة على عبارة (استخدام كافة الوسائل الضرورية) الواردة في قرار الأمم المتحدة .. إن هذه الموافقة ضرورية لأنها بقيت الجزء الوحيد غير المتوفر في الاستراتيجية بكاملها .

كان نقاشاً طويلاً ، قد جرى قبل ذلك ، حول عدد المرات التي خرج فيها رئيس ما من رؤساء الولايات المتحدة ، الى الحرب ، دون موافقة الكونغرس ، وتم احصاؤها فبلغت ٢٢١ حالة ، بينما خمس حالات فقط هي التي حظيت بموافقة الكونغرس عبر تاريخ الولايات المتحدة منذ تأسيسها وحتى ولاية بوش نفسه .

ولم يتمالك شيني نفسه فقال :

ان الحكومة والتحالف والجنود لا يمكن أن يحتملوا تصويتا سلبياً ، وفي الحالتين ، إذا نجح استخدام القوة بأقل قدر من الخسائر وبصورة سريعة ، فلن يهم نوع التصويت الذي حصل .. وفي الحالة المعاكسة (خسائر اكبر مع اطالة أمد الحرب) حتى لو صوّت الكونغرس الى جانب الحرب ، فسوف ينقلب الجميع على الرئيس .

وأضاف شيني معززاً رأيه :

ـــ لا أرى أي مكسب في هذا الأمر ، سوى الاقدام على مجازفة خطيرة .

لم يتحمس أحد من المجتمعين (خاصة باول) لأفكار شيني ، وتأجل الاجتماع الى صبيحة السابع من كانون الثاني .

□

على الصعيد الرسمي ، تم نقل العرض الامريكي للقاء سويسرا إلى العراقيين ، عن طريق القائم بالأعمال الأمريكي في بغداد ، وهو دبلوماسي في الأربعين من عمره اسمه جو ولسون ، وقد سلم العرض للسيد نزار حمدون نائب وزير الخارجية العراقية ، وكان ذلك في الثالث من كانون الثاني .

بعد يوم واحد ، ردت بغداد بالقبول ، مع التعليق على الغطرسة الأمريكية في مثل هذه المناسبات دائماً .

□

وصلت موافقة بغداد على حضور لقاء سويسرا في الرابع من كانون الثاني ، **وفي الخامس منه كان بوش يلقي خطاباً اذاعياً مشحوناً بلهجة لم يترك فيه أي شاغر لأفكار التسوية .**

قال في خطابه :

(اننا مهددون بدفع خسائر فادحة في الأرواح البشرية إذا ما تركنا لصدام حسين الوقت الكافي لكي يتهيأ للحرب . لن يكون هناك دبلوماسية سرية ، سينقل وزير الخارجية بنفسه **رسالة** إلى صدام حسين مفادها ، **«انسحبوا فوراً من الكويت دون شروط وإلا العواقب الوخيمة ستكون في انتظاركم»**) .

ثم راح يستعرض خطورة العراق على المنطقة فقال :

(يشكل العراق تهديداً استراتيجياً على عواصم ومدن مصر ، والعربية السعودية ، واسرائيل ، والخليج ، وسوريا ، بمقدار الخطر الذي يشكله على شبابنا وشاباتنا الموجودين هناك ، والواقع أن صدام حسين ، سبق واستعمل اسلحة كيميائية ضد مدنيين أبرياء ، وعلى مرور الأيام ، يقوي قدرته على تطور أسلحته البيولوجية والكيميائية ، والصواريخ اللازمة لأطلاقها) .

وبصدد الوضع الاقتصادي الذي يهدد العالم قال :

(سيصبح ارتفاع أسعار البترول ، عبئاً ثقيلاً لا تستطيع الديمقراطيات الجديدة في أوروبا الشرقية وأمريكا اللاتينية أن تتحمله) .

وبعد أن ألقى خطابه غادر إلى كامب ديفيد ليقوم بنفسه بتحرير نفس الرسالة التي سيبعث بها مع بيكر إلى لقاء جنيف

كان بوش قد رفض كل المساعدة من لجنة «speech writers» المخصصة لكتابة معظم خطابات الرئيس السياسية ، وقد اضطر بوش لاعادة كتابة نص الرسالة عدة مرات ، حيث حسب أحد المقربين ، في كل مرة ، كان يحاول أن يبذل جهداً من أجل إضافة زخم جديد في التصعيد .

يقول إريك لوران في كتابه عاصفة الصحراء ترجمة منيرة أسمر في الصحفة ١٢٧ عن نفس الموضوع ما يلي :

(عندما سأله أحد المقربين :

ــ ما هو الهدف من الرسالة

أجاب بوش : ــ

ــ القول لصدام حسين لديك خياران (إرحل أو ستكون الحرب) . (وانقطع الرئيس قليلاً عن تحرير الرسالة ، ليستقبل بيريز دي كويلار الأمين العام للأمم المتحدة ، ودخل الرجلان إلى قاعة مضاءة ، لها شرفة زجاجية مزينة باشتال من الزهور ، وجلس الأمين العام للأمم المتحدة إلى جانبه بعيداً عن الطاولة المعدة للاجتماعات ... وكان بيريز دي كويلار يريد أن يعرف فيما إذا كان الخامس عشر من كانون الثاني ، يعني بداية الصراع ، ثم أخبر الرئيس برغبته في الذهاب إلى بغداد قبل هذا التاريخ) (المصدر السابق) .

كان جواب بوش على الاقتراح الذي قدمه الأمين العام للأمم المتحدة ، يقع بين التشكيك والتسليم ، وقد أعطى هذا الموقف قليلاً من الجرأة الاضافية لدى كويلار حين عبر عن آرائه بأنه (لا زال متمسكاً بامكانية الحل عن طريق المفاوضات ومقتنعاً أن صدام حسين ، ينتظر آخر لحظة لأخذ المبادرة المفاجئة) .

لم يعترف بوش وأعوانه الحاضرون ، أن ذلك ما كانوا يخشونه تماماً ، خاصة وأن جون سنونو كان قد تنبأ قبل يوم واحد فقط أنه (بمقدور هذا الرجل أن يهيء لنا مفاجأة كريهة) .

□

في السابع من كانون الثاني ، أعلن رئيس الكونغرس ، أن حواراً سيدور في الاسبوع المقبل في المجلس ، يتناول موضوع السماح للرئيس باستخدام القوة لحل أزمة الخليج ، وطلب من الأعضاء أن يستعدوا للتصويت .

علق زعيم الأغلبية في مجلس الشيوخ ، متشيل ، (بأننا نستعد منذ زمن طويل لهذا اللقاء !..).

وبدأ بوش بالاتصال مع زعماء الجمهوريين في المجلس ، لتأمين الأصوات اللازمة (لآخر ما تبقى في الاستراتيجية الكاملة) ولو في حدود الموافقة على تعبير مجلس الأمن في القرار : (استخدام كل الوسائل الضرورية) .

كان باول من أنصار الحصول على موافقة صريحة من الكونغرس اذ لم يشأ ، أن تكون حرب الخليج ، على شاكلة كوريا ، حيث كانت (حرباً اشتراطية) أو فيتنام حيث كانت (حرباً تصاعدية) تتفاقم من تلقاء نفسها دون ضابط .. وقد علق قائلاً (حين تكون البلاد في حرب ، فإن عليها أن تقول أنها في حرب ، وعليها حينئذ أن تتحدث بصوت واحد) (القادة بوب وودورد . ترجمة برهوم ص٢٥٣) .

طلب بوش تقييماً آخر لصلاحياته الدستورية ، وقد أجابه ويليام بار ، نائب المدعي العام . قائلاً : ــ

ــ إن الدستور يعطيك صلاحية استخدام القوات ، أما دور الكونغرس فإنه يتمثل في توفير القوات والقوانين التمويلية ، التي ستتحرك بموجبها ، وقد فعل الكونغرس ذلك ، وإذا لم تعجبهم الطريقة التي تستخدم بها القوات فإنهم يستطيعون أن يسحبوا الأموال المخصصة لذلك .

كان بار يعلم أنه هنا ، ليس في كوريا ولا في فيتنام فالقوانين التمويلية التي

يقرها المجلس ، لن تحمل أهمية تذكر ، طالما أن التمويل (وما فوقه) ، سوف يأتي من مصادر لا علاقة للموازنة الأمريكية به ..

غير أن بار المخضرم في الشؤون القانونية والسياسية ، نصح بأن يكون الرئيس فعّالاً وساعياً إلى الاعلان الأوضح من الكونغرس حول التأييد ، وكانت فكرته تنصب على مبدأ المشاركة (فالمجلس يملك صلاحية إعلان الحرب ، إلاأنه عادة ما يصوت بعد وقوعها ، وكما هو الحال في أية صلاحية مشتركة ، فإن يدك ستكون الأعلى ، في حالة الموافقة ، وسوف تكون في موقف أضعف إذا بادر الكونغرس لاعلان رفضه ، ومع أن الكونغرس لا يستطيع شيئاً سوى سحب الأموال المخصصة أو الدعوة لحل القوات ، لكنه يستطيع أن يضعك في موقف سياسي صعب) .

كان بوش يستمع حائراً لبار ، لكنه راح يتأكد من المحامين الآخرين ، الذين استدعاهم من جميع الوزارات ، عن النتائج البديلة إذا أسقط أعضاء الكونغرس هذا القرار ، وكانت الآراء متحدة حول الأرضية الدستورية الراسخة التي يقف عليها الرئيس ، (مع أنك غير محصن أمام أي تحدٍ قانوني قد يطرأ) .

كان سكاوكروفت قد بقي صامتاً يستمع إلى آراء كبار القضاة والمحامين في البيت الأبيض ومختلف الأجهزة القضائية والتنفيذية الأخرى .. غير أنه اهتبل فرصة سانحة حين قال : ـــ

ـــ حتى إذا كان الرئيس يمتلك الصلاحية الدستورية ، فإنه يتوجب تعزيز صلاحية الرئيس السياسية بمساندة الكونغرس ، فالرئيس لن يرغب بخوض حرب ، تكون البلاد فيها ، منقسمة على نفسها .

اقترح بوش أن يتوجه برسالة إلى الكونغرس ، يشرح فيها ، ضخامة الهدف ، ومصالح أمريكا ، ودقة الموقف وحساسيته ، وعواقب الانتظار أو العرقلة (لقواتنا التي لن تبقى هناك معلّقة في الخليج) . وخلال ساعة كانت الرسالة في طريقها إلى مبنى الكونغرس الأمريكي .

□

استقصاءات إضافية

لم يكتف بوش ، بأكوام المعلومات التي تحققت لديه عن واقع العراق الاقتصادي والعسكري والسياسي والاجتماعي ، وكل ما يتعلق بوادي الرافدين ، منذ نبوخذ نصر وحتى صدام حسين بل ومنذ أول قطرة ماء تدخل مع النهرين بدءاً من أقصى الشمال إلى الجنوب العراقي ، بما في ذلك خرائط التاريخ والجغرافيا ، والعشائر والأنساب والمذاهب والعتبات المقدسة ، وتكريت ، والموصل ، وصلاح الدين ، وحطين ..

ففي الثاني من كانون الثاني ، جلس بوش في مكتبه البيضاوي يحيط به كل من شيني وباول وويبستر (مدير وكالة السي آي ايه) وسنونو وسكاوكروفت وغيتس .. وكان رئيس قسم الشرق الأوسط في مجلس الأمن القومي الأمريكي ، ريتشارد هاس ، قد استدعى ثلاثة من كبار الأخصائيين في الشؤون العربية ، وذلك للتحدث عن الوضع العراقي أمام الرئيس الأمريكي .
وكان الثلاثة على التوالي :

١ ـــ آبريل غالاسبي . السفيرة الأمريكية في العراق ، التي غادرت سفارتها قبل ثلاثة أيام من الاجتياح العراقي و لم تعد وبقيت تعمل في دوائر الخارجية الأمريكية .

٢ ـــ وليام روف ، وهو ضابط قديم ، عمل لفترة طويلة في جهاز الخدمة الخارجية ، وكان سفيراً لحكومته في اليمن . (أصبح فيما بعد من كبار ضباط السي آي ايه المختصين بشؤون الشرق الأوسط) .

٣ ـــ الضابط الكبير المتقاعد في السي آي إيه ، بات لانغ ، وهو من كبار المختصين في تحليل صور الأقمار الصناعية التجسسية في الوكالة ، وكان قد تنبأ باجتياح العراقيين للكويت قبل اسبوع من تاريخه ، وقد حسب نفسه أنه في مجلس حرب مماثل لتلك المجالس ، التي كان يعقدها لنكولن في الأيام العاصفة قبيل اندلاع الحرب الأهلية الأمريكية .

. . .

بدأت الجلسة بتوجيه السؤال لأبريل غلاسبي ، حول الوضع المعنوي للجيش العراقي ، وامكانية حدوث انقلاب عسكري ضد صدام ؟ وفيما إذا كان سينسحب في آخر لحظة ؟

أجابت السفيرة السابقة :

ــ لا أظن أن القوات العراقية يمكن أن تستسلم بسهولة ، إلا أذا وصلت حد المستحيل ، وليس من الثابت أن تثور قطعات الجيش لمجرد شعورها بأن عائلاتها يمكن أن تتعرض لأذى الحرب ، كما أن امكانية انقلاب عسكري غير قائمة ، لأن صدام يحكم سيطرته على مؤسسات الجيش والأمن .

كما أضافت :

ــ حسب رأيي ، فإن صدام لن ينسحب من الكويت ، وأن الحشد المتزايد هناك يدل على أنه يتأهب لخوض القتال .

سأل سنونو مندهشاً :

ــ هل تقولين أن صدام يعرف أننا سنحاربه جدياً ؟

قالت غالاسبي بهدوء :

ــ نعم . إنه يعرف .

اعترض سنونو قائلاً :

ــ وكيف عرفت ذلك ؟.

أجابت وهي ترمقه بعين ملؤها الحذر :

ــ من خلال ما يقوله ، وما قاله سابقاً ، إنه رجل ثابت .. ثم سأل باول :

ــ ماذا تفسرين خطاب صدام بالأمس ، في ميلاد جيشه السبعين ، (كان صدام قد ألقى خطاباً عاصفاً في السابع من كانون الثاني ، في الذكرى السبعين لتأسيس الجيش العراقي) .

وردت غالاسبي :

ـــ إنها **رسالة داخلية** للجيش كي يستعد للحرب التي ستستعر حسب تقديره للوقائع ..

ثم أضافت من تلقاء نفسها دون سؤال :

ـــ إن قطاعاً كبيراً من الشعب العراقي يؤيد صدام ، هذا أكيد ، مع أن الغرب لا يعترف به كرئيس شرعي ، صحيح قد لا يحبه بعض العراقيين ، لكنهم يفتخرون ببرامجه ، من الوهم القول ، بأن صدام لا يلقى تأييداً على المستويين المحلي والعربي .

. . .

وجاء دور وليام روف في الاجابة على اسئلة مشابهة فقال : ـــ

ـــ كلما طال أمد الحرب ، كلما كسب صدام شعبية أوسع ، إنه بنظر العرب ، الزعيم الوحيد الذي يتصدى للغرب ، وحتى لو خسر الحرب أمام هذه القوى العظمى التي تقف في مواجهته ، فسيستنبط العرب أن النتيجة طبيعية لانكسار التكافؤ ، لكنه مع ذلك (أي صدام) يظل بمقدوره أن يلعب دور البطل ، نظراً لتحديثه جيش الصدام مع اسرائيل ، وربطه القضية الفلسطينية بمصير بلاده ، واثارته المشاكل في وجه أمريكا ، وإقامته الفوارق بين العرب الأغنياء والعرب الفقراء ..

. . .

وكان آخر المتحدثين بات لانغ ضابط السي آي إيه المخضرم فقال :

ـــ ان الحرب من أجل اخراج العراقيين من الكويت تستدعي تجريد حملة ضخمة جداً ، فقد درست هذا الشعب مدة خمس سنوات ، وزرت العراق خمس مرات ، وما توصلت اليه أنهم لن يتراجعوا إلا إذا لم يبق مَنْ يتراجع ، وسوف يحاربون بصلابة ومهارة .. إنهم أشداء ، ولا تخيفهم فرقعة القنابل ولعلعة الرصاص .

كان باول يهز رأسه مرات عديدة ، كلما سمع لانغ وهو يتوغل في التقييمات ..

وقال لانغ :

ـــ صحيح إن قواتنا متقدمة جداً ، ولكن الحرس الجمهوري ذو تدريب جيد ، ويمتلك معدات حديثة ومتطورة ..

دخل سكاوكروفت على خط الجدل فسأل :

ـــ اذا حطمنا الحرس الجمهوري ، فهل يستسلم باقي الجيش ؟

أجاب لانغ :

ـــ لا بالتأكيد .

ثم تابع لانغ قائلاً :

ـــ ليس صحيحاً أن صدام لا يتمتع بشعبية في بلاده ، أو حتى في البلدان العربية الأخرى .. إنني أتفق مع السفيرة غلاسبي أن صدام يحظى بالتأييد ، وأن الوهم القائل بحرب سهلة وقصيرة مع العراقيين ، سيكون في غير محله .. وبالعكس ، فأنا أتصور أن الحرب ستكون صعبة وقاسية .

أجاب بوش على الفور :

ـــ لكن غيركم يقول عكس هذا ، أنا لم أسمع من أحد غيركم هذا الكلام .. هذه ليست فيتنام أخرى ، ولن تكون عملية طويلة ، شامير رئيس وزراء اسرائيل أكد ذلك أيضاً ، (**حسني مبارك يقول : نحن دربنا الطيارين العراقيين .إنهم يحققون اخفاقاً ذريعاً**) (القادة بوب وود ورد . ترجمة برهوم ص ٢٤١)

وضجت القاعة بالضحك !..

ثم تابع بوش قائلاً : بندر سفير السعودية لدينا ، قال أنها لن تكون اكثر من عملية جراحية سريعة ...

نظر لانغ إلى بوش ، بعد أن ساد مرح (للنكتة) التي كان الرئيس المصري قد أطلقها !.. وقال :

ـــ سيدي ، إذا جاز لي الحديث ، فإنه لا شيء غير المصلحة تقف وراء تقييم مَنْ ذكرت .

قال بوش :

ـــ حسناً .. لا أعرف بماذا سيخرجون على بيكر في الغد .

اوربا تراوح على الأبواب

في الوقت الذي كان يطير فيه بيكر إلى لندن ، بادئاً جولة جديدة في أوربا ، لتكون محطته الأخيرة جنيف ، حيث موعد اللقاء مع عزيز كان ميشيل فوزيل ، رئيس لجنة الشؤون الخارجية في الجمعية الوطنية الفرنسية ، يعود من بغداد ، بعد أن اجتمع مع الرئيس العراقي مدة أربع ساعات ونصف الساعة .

أجرى بيكر محادثات مع رئيس وزراء بريطانيا الجديد ، جون ميجر ، الذي كان قد خلف لتوه مارغريت تاتشر ، حيث أبدى بوش أسفه المرير لهذا الغياب (لسيدة حديدية كانت معنا منذ بداية الأزمة) .

ما عدا المستجدات السياسية ، التي سيطرحها بيكر أمام ميجر ، لم يكن ما هو مشترك ، بين ابن بهلوان السرك ووريث تاريخ من البطالة والفقر المدقع ، وبين ابن تكساس الموسر .

وفي لحظة ما ، سأل ميجر وزير الخارجية الأمريكية عن لقائه القريب في جنيف مع طارق عزيز :

ـــ ما الذي ستقوله له ؟

أجاب بيكر بعزم :

ـــ غادر الكويت أو ستخسر الحرب .

وهكذا ، كان اجتماع جنيف لا يتعدى خمس كلمات تقال .. بعد يوم واحد ، التقى بيكر وزراء الخارجية الأوربيين المجتمعين في لندن ، بعد أن ودع رئيس الوزراء البريطاني الذي سيقوم بزيارة للقوات البريطانية في الخليج ، وقد كرر بيكر أمام المجتمعين في لندن ، سياسة واشنطن الرافضة لكل مبادرة يقام من خلالها رابط بين أزمة الخليج والقضية الفلسطينية ، وقد بدا أن بيكر ، يحاول التعريض ببعض المبادرات الأوربية الصادرة من هنا أو هناك .. وقد شدد على عبارات أثناء النقاش قائلاً :

ــ ليترك الجميع سياسة إرسال الاشارات المتناقضة ، لأن من شأن ذلك أن يجعل الأمور اكثر غموضاً .

ثم أضاف قائلاً :

ــ ان صدام حسين ، بالنسبة لنا ، هو شخص انقطع عن العالم ووقائعه منذ خمسة أشهر ، ومن السذاجة بمكان ، الاعتقاد بأنه قد يتغير لاحقاً . إن الولايات المتحدة ، لا تفكر إطلاقاً بمهلة إضافية تُزاد على آخر موعد للانذار ، الذي سينتهي في ١٥ كانون الثاني ، بصورة حتمية .

على مسافة من بحر المانش ، بمقربة من عاصمة الهزيمة الانكليزية في دنكرك ، كان ميشيل فوزيل ، يسترد انطباعاته عن اجتماعه في بغداد ، وراح أمام الجمعية الوطنية يقول :

ــ إن ثمة ضرورة للقيام بتحرك تبديه المجموعة الدولية يسمح بتحرك تبديه بغداد ، لقد حددتُ مطالب محدثي (يقصد صدام حسين) ، واستنتجت أن العراق قد يكون اتخذ من الكويت كرهينة يمكن استعادتها مقابل شيء ما .. إنني أرى أن هذا الشيء قد يكون منفذاً على مياه الخليج ، أوحل القضية الفلسطينية ..أو أي شيء آخر يساعد على حل المشكلة سلمياً .

ثم تعرض فوزيل إلى احتمالات اخفاق لقاء جنيف فقال : ــ

ــ في حالة فشل لقاء جنيف ، يجب أن يكون هناك مبادرة فرنسية جديدة ، أو مبادرة فرنسية ــ عربية مشتركة .

وفي طريقه إلى جنيف مروراً بباريس ، كان بيكر يستعرض الوضع مع وزير الخارجية الفرنسية رولان دوما ، وقد طرح دوما العرض الذي عبر عنه ميتران ، والقاضي باقتراح اجتماع أخير لمجلس الأمن قبل الحرب ، إذا فشل اللقاء ، ورد بيكر بتصلب (ان رئيس الولايات المتحدة ، غير موافق على هذه المبادرة) .

كان بوش في حالة غثيان ، من جراء تدفق سيل المبادرات الأوربية في هذه الفترة ، وقد طلب إلى بيكر بصورة جازمة ، أن يعمل على ايقاف هذا السيل المتدفق (الذي لا معنى له سوى تفكيك التحالف) . وبالفعل ، واعتباراً من الثامن

من كانون الثاني ، صمتت باريس وبون وروما ، عن إذاعة أية مبادرة علنية .

بعد وزير الخارجية الفرنسية ، انتقل بيكر إلى الأليزيه للاجتماع بالرئيس الفرنسي ، وقد قام ميتران بعرض مبادرتين جديدتين لم يفرح بيكر لسماعهما .

كانت الأولى ، هي أنه إذا ما فشل لقاء جنيف ، فإن ميتران يمكن أن يبعث بوزير خارجيته إلى بغداد للتوسط من جديد .

وكانت الثانية ، أن ميتران سيعقد مؤتمراً صحفياً فورياً بعد سماعه نبأ الفشل من جنيف ، تمهيداً لزيارة دوما المرتقبة إلى بغداد .

وأضاف ميتران : مع ذلك أتمنى لهذا اللقاء ألا يفشل ..

أعاد بيكر قراءة الرسالة السياسية التي يحملها من واشنطن أمام ميتران (وكان قبل ذلك قد قالها للمستشار الألماني هلموت كول ولوزير الخارجية الايطالي جياني دوميكلليس) .

قال بيكر :

ـــ بقدر ما يزداد صدام حسين شكاً بأن القوة لن تستعمل بعد الخامس عشر من كانون الثاني ، بقدر ما تخف ارادته في الانسحاب من الكويت .

في المساء ، قبل توجهه إلى المطار ، صرح بيكر أمام حشد من الصحفيين قائلاً :

(إن اتفاقاً شاملاً وكاملاً بين فرنسا والولايات المتحدة ، قد تم ترسيخه) .

وطار إلى جنيف .

□

كانت الطائرة العراقية ، التي تقل طارق عزيز والوفد المرافق له تحط في مطار جنيف ، قبل لحظات من وصول طائرة بيكر إلى المطار ..

صرح عزيز على الفور : ـــ

(جئت بكامل حسن النية ، أنا مستعد لعقد محادثات ايجابية بناءة ، إذا شاركني وزير الخارجية الأمريكية ، النوايا نفسها .).

واتجهت أنظار العالم ، نحو البلد المحايد ، فللمرة الألف ، في هذا القرن ، يكون

هذا البلد ، موئل الحمائم الوادعة في سبيل السلام ، ومن المثير حقاً ، أن الصقور السوداء تجد مكاناً لها في سماء جنيف ، فالبحيرة التي خبأت تحت رمال شطآنها بكل الوداعة الآمنة ، ملايين بيوض الطيور المسالمة ، كانت تخبىء في الوقت نفسه ، أسرار كهنة المكيدة في التاريخ ، منذ بال وحتى الآن .

. . .

حسب إجابة أحد الشيوخ الأمريكيين عن توقعاته بخصوص جنيف قال :

يبقى هناك بصيص أمل ، فعندما تكون هناك مواجهة ، تؤول الأشياء دائماً إلى التطور ، ويصبح الخط الفاصل بين المناقشات والمفاوضات بدءاً من وقت محدد ما ، مستحيلاً تمييزه .

□

غير أن تمييز الخط الفاصل ، بدا جلياً ، منذ أن عكف بوش على تحرير رسالته إلى الرئيس العراقي بنفسه : —

● السيد الرئيس

إننا نقف اليوم على حافة حرب بين العراق وبقية العالم ، وهذه حرب بدأت بقيامكم بغزو الكويت ، وهي حرب يمكن أن تنتهي فقط بانسحاب عراقي كامل ، وغير مشروط وفق قرار مجلس الأمن رقم ٦٧٨ .

وأنا أكتب الآن مباشرة لك لأنني حريص على ألا تضيع هذه الفرصة لتجنب شعب العراق مصائب معينة . وأكتب لك مباشرة أيضاً لأنني سمعت من البعض أنك لست على علم بمدى عزلة العراق عن العالم نتيجة لما وقع .

وأنا لست في مركز يسمح لي بأن أحكم ما إذا كان هذا الانطباع صحيحاً أو لا ،وقد وجدت أن خير ما أستطيع عمله هو أن أحاول بواسطة هذا الخطاب أن أعزز ما سوف يقوله وزير الخارجية بيكر إلى وزير خارجيتكم ، وحتى أزيل أى أثر للشك أو الالتباس قد يكون في فكركم فيما يتعلق بموقفنا ، وما نحن مستعدون لعمله .

إن المجتمع الدولي متحد في طلبه إلى العراق أن يخرج من كل الكويت بلا شرط

وبلا أدنى تأخير ، وهذه ببساطة ليست سياسة الولايات المتحدة وحدها ، وإنما هي موقف المجتمع العالمي ، كما يعبر عنه ما لا يقل عن ١٢ قراراً صادراً عن مجلس الأمن .

إننا نفضل الوصول إلى نتيجة سلمية ، ولكن أي شيء أقل من التنفيذ الكامل لقرار مجلس الأمن رقم٦٧٨ ــ هو أمر غير مقبول بالنسبة لنا . ولن تكون هناك مكافأة لعدوان ، ولن تكون هناك مفاوضات ، لأن المبادىء ليست قابلة للمساومة .

وعلى أى حال ، فإن العراق إذا قام بالتنفيذ الكامل للقرارات يستطيع أن ينضم إلى المجتمع العالمي . وفي المدى القريب فإن البنيان العسكري العراقي يستطيع أن يهرب من التدمير . ولكن إذا لم تقم بالانسحاب من الكويت انسحاباً كاملاً غير مشروط ، فإنك سوف تخسر ما هو أكثر من الكويت .إن ما هو مطروح الآن ليس مستقبل الكويت ، فالكويت سوف يتم تحريرها وحكومتها سوف تعود اليها ــ ولكن المطروح هو مستقبل العراق ، وهو خيار يتوقف أمره عليك .

إن الولايات المتحدة لن تنفصل عن شركائها في التحالف ، فهناك ١٢ قراراً من مجلس الأمن ، و ٢٨ دولة شاركت بقواتها العسكرية لضمان تمثيل هذه القرارات ، وأكثر من ١٠٠ حكومة التزمت بتنفيذ العقوبات . وهذا كله كاف ليؤكد لك أن القضية ليست العراق ضد الولايات المتحدة ، ولكنها العراق ضد العالم . إن معظم الدول العربية والاسلامية تقف ضدك وهي جميعاً مستعدة لتعزيز ما أقول . والعراق لا يستطيع ، ولن يستطيع أن يبقى في الكويت ، أويحصل على ثمن لقاء خروجه منها .

ولقد يغريك أن تجد راحة في اختلاف الآراء الذي تراه في الديمقراطية الأمريكية ، ونصيحتي لك أن تقاوم هذا الاغراء . إن اختلاف الآراء لا ينبغي خلطه بالانقسام ، ولا ينبغي لك ، كما فعل آخرون غيرك ، أن تقلل من أهمية الارادة الأمريكية .

إن العراق بدأ يشعر فعلاً بآثار العقوبات التي قررتها الأمم المتحدة ، وإذا جاءت

الحرب بعد العقوبات ، فستكون تلك مأساة أكبر لك ولشعبك ، ودعني أنبهك إلى أن الولايات المتحدة لن تتسامح مع أى استخدام للأسلحة الكيماوية أو البيولوجية ، أو أى تدمير للمنشآت البترولية في الكويت . وفوق ذلك فإنك سوف تعتبر مسؤولاً مسؤولية مباشرة عن أى عمل إرهابي يوجه إلى أى دولة عضو في التحالف . في هذه الحالة سوف يطلب الشعب الأمريكي أقوى رد ممكن عليك ، ولسوف تدفع أنت وبلادك ثمناً فظيعاً إذا أقدمت على عمل من هذا النوع .

إنني لا أكتب لك هذا الخطاب لكي أهددك ، وإنما أكتبه لمجرد إخطارك . ولست أفعل ذلك بسعادة ، فالشعب الأمريكي ليست لديه معركة مع الشعب العراقي .

السيد الرئيس

إن قرار مجلس الأمن رقم ٦٧٨ يحدد فرصة لاختبار حسن النوايا تنتهي يوم ١٥ يناير حتى تنتهي هذه الأزمة دون عنف . واستغلال هذه الفرصة للهدف الذي أتيحت من أجله لتجنب العنف هو خيار في يدك ، وفي يدك وحدك . وإني لآمل أن تزن خياراتك ، وأن تنتقي منها بعقل لأن كثيراً سوف يتوقف على ذلك .

(إمضاء)

جورج بوش ●

أقام العراقيون والأمريكيون في فندق الانتركونتنتال حيث سيتم اللقاء ، وقد حضر على هامشه ، كل من وزير الخارجية الجزائري ، ورئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية .

وفي الساعة الحادية عشرة صباح يوم التاسع من كانون الثاني ، جلس الوفدان في إحدى قاعات الفندق المخصصة للمؤتمرات ، وقد نسقت الطاولة المستطيلة بعد أن وضع عليها رزمات من الورق الأبيض وزجاجات من المياه المعدنية .

أبدى جيمس بيكر وجهاً مملوءاً بالتشنج ، فيما حافظ طارق عزيز على ابتسامة

خفيفة ، وتوقع رجال الاعلام ، أن تبدأ المصادمة منذ اللحظة الأولى للقاء ، إلا أن مصوراً فرنسياً طلب إلى بيكر وعزيز أن يتصافحا ، ولحقت أصوات الصحفين والمصورين تنادي بضرورة التصافح قبل الشروع بالحوار ، ومد بيكر يده وهو غارق في مقعده وصافحه عزيز بعد أن وقفا قليلاً تحت الحاح عدسات المصورين التي بدا وكأنها لن تتوقف . وعندما غادرت الصحافة ، كان يرين جو من الصمت لف أرجاء القاعة ، ولم يقطعه سوى وقع أقدام حراس الأمن الأمريكيين ، الذين كانوا آخر المغادرين .

دبلوماسية المدفع تعود من جديد ●

قال بيكر . . هذا اجتماع مهم جداً نحن نجتمع كممثلين لـدولتين ذات سيادة ان الغرض من هذا الاجتماع ليس بأي صفة الضغط على بعضنا البعض ولكن يجب ان لا يكون مفاجئاً لكم اني لست هنا لإعادة التفاوض بشأن قرارات المجتمع الدولي التي صدرت عن مجلس الأمن ، ولكن انا هنا لكي اتصل بكم وهذا يشمل ليس الحديث فقط ولكن الإنصات ايضاً ولذا فإني لست راغباً في مجرد الحديث ولكن الانصات ايضاً وامل انكم هنا ايضاً بروح الانصات الى جانب الحديث وسأبدأ بالطريقـة التي تفضلونها اما ان تبدأوا اذا فضلتم او ابدأ أنا ولكن قبل ان تبدأوا أود ان اسلمك رسالة من الرئيس بوش الى الرئيس صدام حسين وهذه نسخة من الرسالة لكم .

قال الاستاذ طارق عزيز (شكراً سيادة الوزير انني ارغب فعلاً في ان يكون هذا اللقاء لقاء مثمراً واعتقد ان السبيل الى ذلك هـو ان ننصت الى بعضنا البعض انا اعرف موقفكم واعرف ان بيننا خلافات كبيرة ولكني كما قلت مستعد للانصات لكم كما ارحب باستعدادكم للانصات لما اقول .

أما بالنسبة الى الرسالة التي سلمتني اياها اسمح لي اولاً ان اقرأها .

قال بيكـر تفضلوا ولهـذا السبب قـدمتهـا لكم وستسلم نسخـة من الترجمة العربية الى سفيركم في واشنطن .

وقال وزير الخارجية سيـادة الوزيـر في بدء حـديثكم قلت ان هدف

● أخذت وقائع اللقاء من وثيقة هامة صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر بعنوان نصوص الحرب

الاجتماع ليس الضغط على بعضنا البعض وقد قرأت رسالة الرئيس جورج بوش الى رئيسي وهي مليئة بعبارات التهديد كما ان فيها لغة غير مألـوفة في التخاطب بين رؤساء الدول لذلك فإني اعتذر عن تسلمهـا وبامكـانكم ان تنشروا هذه الرسالة في وسائل الاعلام وسنرد عليها بوسائلنا .

إنني ارجو ألا يعطل ذلك اجتماعنا لأننا نرغب فعلاً في ان نتحـدث فنحن لم نتحدث منذ بدء هذه الأزمة كما هو معروف فإن شعبينا مقبلان على مواجهة ومن المفيد قبل ان ندخل في مثل هذه المـواجهة ان نستكشف كـل الامكانيات التي يمكن ان تبني تفاهماً بين بلدينا لذلك فـإني لا استطيـع ان اقبل اللغة في رسالة الرئيس بوش مع انه ذكـر انه لا يقصـد التهديـد وانما يقصد الابلاغ ، أنا أفضل ان نبلغ مواقفنا بعضنا البعض بأسلوب متحضر يعبر عن الاحترام المتبادل واذا وفقنا الله في الوصول الى تفاهـم فهـذا امر جيد واذا لم نتوفق وهذا ما لا نتمناه فعندئذ كل يعرف طريقه حول بدء العمـل ارغب في الاستماع الى الوزير بيكر اولاً .

قال بيكر اولاً ارجو ان اكون واضحاً انني لا ارى في هذه الرسالة لغة غير متحضرة . . ثانياً من الضروري جداً ان نفهم بعضنـا وان الهدف من هذه الرسالة ان نجعل ما نقوله منذ اشهر عـديدة واضحـاً جداً كـما تظهـر الرسالة ان المجتمع الدولي جاد جداً في فرض القرارات الأثني عشر الصادرة عن الأمم المتحـدة . لا استطيـع ان اجبرك عـلى أخذ هـذه الرسـالـة ولن احاول .

أما فيما يتعلق بنشر الرسالة في المستقبل فهذا امر ننظر فيه وقد نقوم او لا نقوم به ولكن الشخص الوحيد الذي يعرف مضمون ومحتوى الرسالة هو انت ويبدو ان هذه مسؤولية ضخمة لشخص واحد يحملها على عاتقه ولكن اذا اردت ذلك فليكن ذلك هذا بدءاً من وجهة نظرنا في ٢ آب عندما غزوتم الكويت هذا العمل الذي جرت ادانته من خلال (١٢) قراراً لمجلس الأمن هـذه القرارات لا تستنكـر فقط العمل ولكن تصر عـلى اعـادة الأمـور الى نصابها .

لا نستطيع ان نناقش احكام قرارات مجلس الأمن ولا ان نعيد التفاوض حولها وانتم اكثر من اي شخص آخر تعتقدون بهذه الحقيقة وخاصة بموقفكم من القرار (٥٩٨) حول نزاعكم مع ايران . ان قرارات مجلس الامن ليست لاعادة التفاوض ، لذلك فإن التساؤل الوحيد هو بأية طريقة تغادرون الكويت سلمياً أو هل تجبرون على ذلك وشيء واضح لو هناك حل سلمي للأزمة وانسحبتم فإن هؤلاء الذين يقودون العراق الآن سيكون لهم قول في مستقبل العراق . اما لو كان الانسحاب نتيجة استعمال القوة فإن آخرين سيقررون ذلك المستقبل .

نحن لدينا شعور بأننا مدينون لكم ولرئيسكم ولشعبكم وفي الواقع لشعوب العالم التي دعمت قرارات الأمم المتحدة ان نشرح وبعبارات واضحة كما نرى العواقب نتيجة عدم الاستجابة للقرارات قد ترى في جهودنا من اجل الاتصال نوعاً من التهديد ولكن امل ألا تنظر هكذا وامل ان تفهم ان علينا مسؤولية ان نقول لكم وللاخرين الحقائق كما نراها فيما يتعلق باستعمال القوة وهذا هو واحد من الاسباب التي جعلت الرئيس بوش يطلب مني ان اقابلك وان يكتب هذا الخطاب لأنه لو اتى الصدام ونأمل ألا يأتي ولكن لو اتى فيجب ألا يكون نتيجة عدم تفهم للنوايا بالنسبة للاطراف او للحقائق دعني اقول ان الرئيس اخبرني ايضاً اننا سنغلق سفارتنا في بغداد في ١٢/١ ونحن نريد ان نخرج الدبلوماسيين الخمسة الباقين في بغداد ولن نسألكم ان تسحبوا كل دبلوماسييكم من واشنطن واذا اردتم ان تتركوا اثنين او ثلاثة هناك فالخيار لكم ولكن امل انه ما زالت هناك فرصة لحل سلمي لهذه المشكلة وهذا ما يدعو اليه القرار (٦٧٨) ألا وهو الوقفة المؤقتة من اجل السلام هذه المحادثات من اجل السلام لا تغير من قرارات مجلس الامن ونحن نقول ان هذه القرارات تدعو الى انسحاب فوري وغير مشروط من الكويت وتطلب استرجاع سيادة الكويت والحكومة الشرعية لها ونحن ليس لدينا اية صلاحيات هنا لأن نناقش او نتحدث عما اقره المجتمع الدولي من خلال الامم المتحدة المجتمع الدولي من وجهة نظرنا قد اقر هذه المسائل .

ان المعلومات التي سأحاول ان اعطيها لكم ولزملائكم هي لكي تفهموا وجهة نظرنا فيما يتعلق بمدى عزلتكم في هذا الصراع وان نحاول ان نوصل لكم بأننا نؤمن بأمانة ان العواقب ستكون مدمرة للعراق لو استخدمت القوة العسكرية ودعني اقول مرة اخرى ان المقصود ليس التهديد ولكن الابلاغ قد تختارون ان ترفضوا هذا او لا تؤمنوا به ولكن نعتقد ان علينا مسؤولية ان لدينا تفوقاً تكنولوجياً فائقاً وتفوقاً كاملاً من حيث الثقل الكلي للقوات الموجودة في المنطقة بما فيها القوى الدولية وفي رأينا انه لو حدث الصراع فإن قواتكم ستواجه قوات تتمتع بقدرة تدميرية ساحقة . . ومرة اخرى أود ان اقول ان هذه القوى ستدمر قابليتكم على ان تديروا البلد وستدمر قدرتكم على قيادة قواتكم .

اود ان اقول لو حدث الصراع وانني لا اريد هذا واعرف انكم لا تريدون هذا فنحن سوف نعطي قواتكم في الكويت الفرصة لانقاذ نفسها ليس في خططنا ان ندمر هذه القوات بشكل فوري وسريع وليس بطريقة حربكم مع ايران ولكن هؤلاء الذين يختارون ألا ينقذوا انفسهم سيكونون عاجزين على ان يدافعوا عن انفسهم تجاه القوات الجوية والبحرية والبرية التي ستدمرهم .

كذلك ان من واجبي ان اقول لك انه لن تكون هناك وقفة في وجهة نظرنا ولو حدث هناك صراع فلن تكون هناك هدنة من قبل الامم المتحدة من اجل خلق ساحة للتنفس والتفاوض ولا بد انكم سمعتم في الشهور السابقة اذا بدأ الصراع فإنه سيكون ضخماً ولن يكون فيتنام اخرى ولن نضع جيوشنا في موقف لا تستطيع فيه انجاز العمل واذا بدأت الحرب فإنها ستحارب من اجل نهاية سريعة وحاسمة .

هناك نقطة اخرى فيما سأصفه بالجانب المظلم من هذه المسألة وقبل ان نذهب الى الجانب الآخر وهو اذا بدأ الصراع لا سمح الله واستعملت الاسلحة الكيماوية او البايولوجية ضد قواتنا فإن الشعب الاميركي سيطالب بالثأر ولدينا استخدام لمثل هذه الاسلحة فإن هدفنا لن يكون فقط تحرير

الكويت ولكن سيكون ايضاً الاطاحة بالنظام الحالي وان اي شخص مسؤول عن استخدام هذه الاسلحة سيكون عرضة للمساءلة في المستقبل .

وكما اظهر الرئيس في خطابه لن نتسامح في الارهاب الموجه ضد الامريكان او شركائنا في التحالف وكذلك ايضاً تجاه اية محاولة لتدمير حقول النفط الكويتية .

أخيراً في وجهة نظرنا ووجهة نظر حلفائنا ايضاً فإن الحرب ستدمر كل شيء كافحتم من اجل بنائه في العراق . وبفضل عدم رغبتكم في انهاء عدوانكم على الكويت فسوف يحول العراق الى دولة ضعيفة جداً ومتخلفة نحن نأمل ان يكون هناك طريق آخر ونأمل ألا نترك امام هذه الطريقة لتكون الوحيدة لتنفيذ قرارات مجلس الامن .

اني سعيد لاتاحة الفرصة لعقد مثل هذا الاجتماع لأننا نتزعج لفكرة عدم القيام بحسابات دقيقة من قبل الجانب العراقي واعتقد ان رئيسكم قد اساء التقدير فيما يتعلق بارادة المجتمع الدولي عندما غزا الكويت ونأمل ألا تقوموا بأساءة أخرى في التقدير فيما يتعلق بارادة الولايات المتحدة .

كان هناك حكام مستبدون في السابق كانوا يعتقدون ان الديمقراطية الاميركية غير مستعدة لخوض القتال وقد دفعوا الثمن الأعظم لاساءة التقدير وألح على عدم تكرار هذه الاخطاء .

لا تسيئوا تفسير الاحداث الكثيرة التي تسمعونها والتي تأتي من مجتمعنا الديمقراطي .

تعرفون ان نظامنا يشجع على هذا ولكن بفضل هذا الحوار المفتوح والديمقراطي نشعر ان هذا النظام اقوى نظام في العالم وان الاميركيين سوف يتحدون للحرب لو تركوا دون خيار .

دعني اذهب من هنا بجانب المشرق .

قال وزير الخارجية على قاعدة الجزرة والعصا .

قال بيكر انت شديد الملاحظة اولاً علمنا انكم قلقون فيما اذا انسحبتم او لن تنسحبوا اود ان اعيد التأكيدات التي قالها بوش والتي كررتها انا لن تهاجموا اذا استجبتم لقرارات مجلس الامن لن نهجم على بلدكم او قواتكم وذلك في حالة وجود استجابة كاملة للقرارات .

ثانياً . . ان الوجود العسكري الاميركي الكبير في الخليج الآن هو هناك بسبب ما عددناه في آب تهديداً كبيراً وخطيراً وكنتيجة لتفاوت قوتكم العسكرية في المنطقة مقارنة بالقوة الموجودة في شبه الجزيرة العربية .

وليست لدينا اية نوايا للاحتفاظ بقوات عسكرية كبيرة وخاصة تلك المجهزة لاعطاء قدرة هجومية ضد العراق وذلك فور انسحاب العراق وذهاب التهديد .

ثالثاً . . اننا نؤيد فكرة حل الخلافات بين العراق والكويت سلمياً بعد الانسحاب كما يدعو لذلك القرار (٦٦٠) .

لذا دعني اقول انني سعيد ان لدينا الفرصة لأن نتقابل واني سعيد ان رئيسك قد قرر ارسالك الى جنيف .

وأنا قد قلت ان هذه افضل فرصة من اجل السلام وانا حقيقة اؤمن بهذا وامل ان نجد طريقاً لحل هذه المسألة سلمياً وسياسياً ودبلوماسياً .

قال وزير الخارجية . . سيادة الوزير . . انتم قلتم ان كل هذا بدأ في ٢ آب لكن لدينا وجهة نظر مختلفة ويسعدني ان تتاح لي الفرصة لأشرح لك ولزملائك وجهة نظرنا ولكن قبل الدخول في هذا الجانب أود ان اعلق على الجانب الآخر الذي ورد في حديثك :

منذ اشهر عديدة ونحن نسمع منكم شخصياً ومن الرئيس بوش ومسؤولين اميركيين اخرين ان العراق لا يعرف ما الذي يحيط به ولا يقدر الاخطار التي يمكن ان تنشأ عن المجابهة العسكرية . كنا نتمنى لو كنا التقينا

منذ وقت مبكر لنزيل سوء الفهم هذا حول هذه المسألة وحول مسائل اخرى .

سيادة الوزير نحن نقود بلادنا منذ (٢٢) عاماً ومتوسط العمر في القيادة العراقية هو في الخمسينات انا عمري (٥٥) عاماً ورئيسي عمره (٥٤) عاماً واعتقد انك تتفق معي بأن هذا السن هو سن النضوج والحكماء يقولون ان الحكمة تبدأ بعد الاربعين .

لدينا خبرة طويلة في ادارة بلادنا وفي التعامل في القضايا الدولية واعترف ان خبرتنا مع الولايات المتحدة قليلة وخبرتكم في التعامل معنا قليلة الآن نحن مقبلون على مواجهة انا التقيت بك في اكتوبر ١٩٨٩ لأقل من ساعة والسيد جون كيلي زارنا في شباط الماضي . اعرف الرئيس بوش خلال لقاء قصير عام ١٩٨٤ المسؤول الاميركي الوحيد الآن في الادارة الذي قابل رئيسي هو السيد كيلي ونستنتج من هذا اننا لا نعرف بعضنا البعض جيداً ولكن كثيرين غيركم يعرفوننا ومنهم حلفاؤكم ولا اقصد حلفاءكم في المنطقة هؤلاء يعرفوننا أقصد حلفاءكم في الغرب مثل الفرنسيين والالمان والايطاليين نحن نفهم تماماً ما يجري حولنا ومنذ الثاني من آب كنا نتوقع عملاً عسكرياً امريكياً ضد العراق ونحن نعرف ما هي الولايات المتحدة صحيح كما قلت ان خبرتنا معكم قليلة على صعيد القيادتين ولكن نحن نعرف الحقائق الاساسية في العالم ومن هذه الحقائق ان الولايات المتحدة هي قوة عظمى وفي الآونة الاخيرة اصبحت القوة العظمى الوحيدة لذا فعندما نتصرف كما تصرفنا فيجب ألا يكون عندكم اي شك بأن هذا التصرف جاء من الجهل بهذه الحقائق . انتم بلد متقدم تمتلكون اسلحة جبارة وقد نقلتم الكثير من هذه الاسلحة الى منطقتنا وأؤكد لك اننا نعرف بالضبط ماذا لديكم هناك ونعرف الكفاءة والقوة التدميرية لكل سلاح اميركي موجود في المنطقة نحن حكومة نشيطة تشتغل كثيراً نقرأ ونحلل ونتابع وقد اثبتنا ذلك في حالات غير قليلة تعامل معنا بعض الاميركان واعتقد انهم لمسوا ايضاً أننا لا نكذب ولا نخدع نحن اناس مباشرون لدينا اراؤنا قد لا تكون هذه الاراء مقبولة من قبل

الآخرين ولكنها نابعة من الصدق ولكننا دائماً منفتحون للتبادل المفتوح للاراء بيننا وبين الآخرين وأود ان إقول لك ايضاً سيادة الوزير نحن نتابع النقاشات التي تجري في الولايات المتحدة .

هذا جزء من عملنا اليومي ونشاهد بعض النقاشات على التلفزيون الاميركي بعضنا يفهم الانكليزية بشكل متواضع مثلي ونعرف ما يدور في الكونغرس وما يكتب في الصحافة ولكن ليس لدينا اوهام حول نواياكم نعرف ان بلادكم مركز قوي لرئيس الدولة وعندما يقرر فإنه يستطيع ان يقرر ونحن نفهم الديمقراطيات وكيف تشتغل .

صحيح ان نظامنا السياسي ليس مشابهاً لنظامكم ولكن كما قلت لك نحن في قيادة بلادنا منذ (٢٢) عاماً وقد تعاملنا مع الكثير من البلدان وزرناها ونعرف كيف تعمل الديمقراطية عندكم وفي فرنسا وبريطانيا والمانيا فالموضوع ليس قلة معلومات وليس الاوهام حول امكانياتكم ولا سوء التقدير . او الحسابات الخاطئة حول نياتكم وقدرتكم على اتخاذ القرار وكما قلت لك نحن كنا نتوقع العمل العسكري من جانبكم ضدنا منذ بداية الاحداث ومع هذا اتخذنا المواقف التي اتخذناها وكنا ندعو باستمرار لكي نلتقي ونتحدث رئيسي اعلن هذه الرغبة في التلفزيون الاميركي ولكنكم كنتم تقولون لا لقاء ولا تفاوض إلا اذا قام العراق بكذا وكيت . . نحن فسرنا هذا على انه تصميم على المضي في الخيار العسكري من جانبكم لأننا نفهم سبب رفضكم اللقاء معنا الآن نلتقي انا وانت انت تسمعني ما تريد ان تقول وانا سأسمعك ما اريد ان اقول وكلانا رجلان ناضجان ولن يخدع احدنا الآخر ولا يمكن ان اقنعك بوجهة نظري إلا اذا وجدت فيها شيئاً مقنعاً بالنسبة لك وكذلك الامر بالنسبة لي اذن الحديث ليس ضاراً ولكنه بالتأكيد مفيد بنسب متفاوتة الجانب الآخر نحن نعرف تكاليف الحرب نحن كنا في حرب مع ايران صحيح ان ايران ليست الولايات المتحدة ولكن هناك صفحات في الحرب مع ايران كانت صعبة جداً جداً انت كنت في الادارة السابقة ولا بد انك كنت تتابع الموقف في سنوات الحرب بيننا وبين ايران

كان قليل من الاميركان يعتقدون بأننا يمكن ان نخرج من الحرب سليمين .
قال بيكر . . كدتم ان لا تخرجوا سليمين .

قال وزير الخارجية . . هذا تقدير ليس دقيقاً نحن خرجنا من الحرب منتصرين نحن انهينا الحرب بعمل منتصر وقمنا بانجاز مهم حمينا بلادنا من نظام كان في ذلك الوقت توسعياً وعدوانياً نعم تحملنا تكاليف كثيرة واكثر التكاليف التي بقيت بعد الحرب تؤثر علينا هي الوضع الاقتصادي كان اقتصادنا يعاني من النقص في الموارد لذلك ليس لدينا اوهام حول تكاليف الحرب انا لدي ابني الأصغر عمره (١١ عاماً) كل تجربته في الحياة هي الحرب توقع الغارات الجوية والصواريخ الايرانية اذن الحرب ليست امراً غريباً بالنسبة لنا وهي مكروهة وفي الدين الاسلامي هنالك آية في القرآن الكريم تصف الحرب بأنها كره والآية تقول بالنص ﴿ **كتب عليكم القتال وهو كره لكم** ﴾ اذن نحن نعرف كل هذه الحقائق نعرف قوتكم ونعرف اصراركم ونعرف ان الحرب مدمرة ومع هذا كنا نتخذ المواقف التي اتخذناها خلال الفترة الماضية لا بد ان تسألوا انفسكم لماذا . . هل هؤلاء الناس لا يفهمون . . هل هم معزولون كما تقولون . . نعم خلال الأشهر الخمسة الماضية لم نجر اتصالات مع العديد من الدول او هم امتنعوا عن ذلك ولكننا نعرف هؤلاء جيداً دوماً واندريوتي وغيرهم تحدثنا كثيراً وتعشينا سوية اذن نحن لم نكن معزولين قبل ٢ آب والآن حتى مع عدم وجود اتصالات فإن لدينا معلومات كافية عن العالم اذن لا بد ان تكون هناك اسباب جوهرية وقبل ان اعرج على الحديث عن تلك الاسباب اود ان اعلق على بعض الملاحظات التي جاءت في حديثكم .

انتم قلتم ان العراق اذا لم يفعل هذا وهذا فإن القيادة الحالية لن تكون قادرة على تحديد مستقبل العراق . . ولكن سيكون هناك آخرون . اعتقد ان هذا تقدير خاطىء من جانبكم . . القيادة في بلادنا ليست عملية سهلة . . صحيح ان نظامنا لا يشبه نظامكم ولكن هؤلاء الذين يصلون للقيادة في العراق ويبقون الفترة الطويلة التي بقيناها لا بد وان تكون لديهم اسباب قوية جدا ليستمروا هذه الفترة . وأقول لك بدون تبجح ورغم ما

يتضمنه كلامك حول هذا الموضوع من اهانة . . أقول لك ان القيادة الحالية ستبقى في حكم العراق الآن وفي المستقبل والذين سيختفون عن المسرح السياسي ليس القيادة العراقية وانما بعض حلفائكم في المنطقة . . هكذا نرى الأمور شعبنا يقف الى جانبنا وهو مقتنع بموقفنا انتم تسمون نظامنا بأنه مستبد وهذا وصف غربي . .

قال بيكر . . وانا غربي

قال وزير الخارجية . . نعم . . انا افهم . . ولكن في بلادنا لدينا تاريخ مختلف اعتقد انكم تعرفون ان العراق كشعب عمره ستة آلاف سنة وقامت فيه دول وممالك وامبراطوريات وكان هناك قادة وزعماء ومساهمة في الحضارة الانسانية ونحن احفاد هؤلاء . . صحيح نحن نعيش في هذا العصر ونتأثر به . . ولكن لدينا قيمنا الخاصة في ادارة شؤون البلاد وهذه القيم هي التي تجعل شعبنا يقف معنا . . وهذا الشعب لا يؤيدنا فقط . . وانما يحبنا . . هذه هي الحقيقة اذا قدم لكم احد معلومات مغايرة فهو مخطىء ويريد ان يخدعكم . .

كيف ستنتهي المواجهة بيننا وبينكم . . انتم دولة عظمى تمتلكون اسلحة قوية ولديكم تقديراتكم عن فعالية هذه الاسلحة . . ولديكم خططكم وانتم مقتنعون بأنكم اذا ما بدأتم بالحرب ضد العراق فإنكم ستنتصرون وانكم ستسحقوننا نحن لدينا قناعة مختلفة واقول لك بصدق وبدون ادعاء بأن (١٩) مليون عراقي ومنهم القيادة العراقية مقتنعون انه اذا ما نشبت الحرب بيننا وبينكم فإننا نحن الذين سننتصر اقول هذا بدون غرور . . هذه هي قناعتنا .

قال بيكر . . انا قلت ما قلته دون أي ادعاء او غرور ولذا ارجو ان نتحدث هكذا ايضاً وانا ايضاً متأكد مما قلته بنفس القدر .

قال وزير الخارجية . . انا اقدر نغمة الحديث وكل واحد لديه قناعته وأسبابه. وهذا لا يعني انني لا اريد ان اصل معك الى تفاهم لأننا كبشر

متحضرين يفضل ان نصل الى تفاهم ويفضل ان نعيش في هذا العالم بسلام وعلى أساس التفاهم ونصنع مستقبلاً افضل لشعبينا وللانسانية ونتجنب الحرب ولكن ما اريد ان اقوله هو ان الحرب لا تخيف العراق هو لا يريدها وانت قلت هذا وانت مصيب وانا متأكد ايضاً انكم لا تريدون الحرب من وجهة النظر الانسانية ولكنك قلت لي اذا لم تفعلوا كذا وكيت فإنكم ستقدمون على الحرب .

قال بيكر . . ان ما قلته ان هناك ١٢ قراراً للامم المتحدة لا نستطيع ان نعدلها او نتفاوض بشأنها وهذه القرارات يجب ان تنفذ ومنذ خمسة اشهر لا توجد اشارة من العراق بأنه مستعد ان يستجيب لهذه القرارات برغبته ودون استعمال اية قوة لذا فإنني اقول اننا نقترب بسرعة من الوقت ونرى كيف ستطبق هذه القرارات .

قال وزير الخارجية انا فهمت ما قاله الوزير تماماً ولكن في النهاية انت قلت وانا لا اشك فيما تقول بأنك قد تلجأ الى قرار الحرب ويعني هذا انك لا تخشى من هذا الاحتمال وانا ايضاً اقول انني لا اريد الحرب ولكن اذا وقعت فنحن لا نخشاها .

اذن الموضوع بالنسبة للحرب ليس مسألة خوف انا كنت اميناً فيما قلته نحن لم نسيء التقدير لما قيل في الولايات المتحدة والصحافة وارجو ألا يكون هناك سوء تقدير بالنسبة لقدرتنا على تحمل الحرب . . . السؤال هو لماذا ؟ لا بد ان تكون لدينا اسباب جوهرية نحن في السلطة منذ ٢٢ عاماً وخضنا حرباً لمدة ثماني سنوات مع ايران وكانت فيها تكاليف كثيرة اذن كيف نقدم على تحمل مخاطر حرب جديدة اذا لم تكن لدينا اسباب جوهرية .نحن ايضاً بشر نحب الحياة واذا كانت كريمة ولدينا نساء واطفال وبعضنا لديه احفاد . اذاً نحن نعرف ماذا تعني الحرب القتل الدمار والاثار الاقتصادية الكبيرة اذن لا بد ان تكون لدينا اسباب جوهرية تعود الى ما قبل وبعد الثاني من آب .

انا زرتك في واشنطن في اكتوبر ١٩٨٩ وقلت لك اننا نرغب بعلاقات طيبة مع الولايات المتحدة علاقة التبادل والتعاون واقول لك بصدق اننا اذا

وضعنا جانباً الخلاف بيننا فيما يخص الصراع العربي الاسرائيلي فإن العراق لا يعتبر نفسه عدواً للولايات المتحدة او دور الذي يهدد مصالح الولايات المتحدة حتى الآن لم يساهم العراق في قتل مواطن امريكي ولم يساهم العراق في تهديد اية مصلحة امريكية والآن نجد انفسنا وجهاً لوجه لنقاتل بعضنا البعض سنقتل الكثير منكم وتقتلون الكثير منا هذه لم تكن رغبتنا .

نحن خرجنا من الحرب ونحن نمتلك قوة عسكرية كبيرة كيف نشأت هذه القوة نحن لم نكن نمتلك هذه القوة في عام ١٩٧٩ او في عام ١٩٨٠ اذن هذه القوة نشأت في غضون الحرب من اجل الدفاع عن بلادنا كيف كان بامكاننا ان نواجه الايرانيين في كانون الثاني عام ١٩٨٧ قام الايرانيون بهجوم على البصرة بـ ٤٠٠ ألف شخص ـ ٤٠٠ ألف شخص مصممون على الموت كنا نقاتل اربعاً وعشرين ساعة في النهار وكنا نقتل منهم الآلاف والآلاف كل يوم وتأتينا موجة بعد موجة انتم تعرفون الموقف كنتم تراقبون اذن ينبغي علينا ان نمتلك قوة تمكننا من مواجهة هذا الخطر وهذا الخطر لم يكن علينا فقط ولكن على اولئك ايضاً الذين جئتم لحمايتهم ولو لم ننجح لكنتم الآن ارسلتم قواتكم لمواجهة ايران وليس العراق اعتقد انك تقر بهذه الحقائق .

اذن قوتنا كانت قوة لحفظ التوازن ولحماية امن المنطقة واستقرارها وثرواتها وزمن ذلك مصالحكم نحن لم نخدم مصالحكم لم نعرض انفسنا كخدم لمصالحكم ولكن النتائج واضحة وهذا يشير الى تداخل المصالح في العالم ولكن كيف ووجهنا بعد انتهاء الحرب بالشك بالاتهامات بالضغط والشتائم واذا رجعت الى محضر لقائي معك في اكتوبر ١٩٨٩ ستجد اني لفت انتباهك الى انه كان هناك تشكيك بقدرتنا وعندما جاء السيد كيلي الى بغداد تحدثنا مطولاً أنا وهو وكذلك اثناء مقابلته لرئيسي حول هذه المسائل كيف كانت الأوضاع قبل ٢ آب بالنسبة لنا في عام ١٩٩٠ كانت هناك حملة اعلامية واسعة جداً ضد العراق تشهير بالقيادة العراقية وتحريض ضدها مقاطعة اقتصادية من الناحية الواقعية انتم علقتم وجمدتم الاتفاق بيننا

وبينكم حول مسائل الحبوب والزراعة وهي المسألة التي ناقشناها في مكتبك في اكتوبر هذا حصل قبل ان تدخل قواتنا الكويت وقد اتخذتم اجراءات بالمقاطعة الاقتصادية والتكنولوجية ضد العراق قبل ٢ آب .

صحفكم كانت تصف رئيسي بأنه اخطر رجل في العالم هناك عدد من مجلة يو اس نيوز اند ورلدريبورت في ٤ حزيران فيه صورة للرئيس العراقي ومعه عبارة اخطر رجل في العالم وهناك عدد من نيوزويك يقول ان صدام حسين عدو الشعب رقم واحد وانا قلت لك اننا لم نساهم في قتل امريكي واحد لحد الآن ولم نهدد اية مصلحة امريكية في اية بقعة من العالم فكيف يصبح رئيسي عدو الشعب رقم واحد في امريكا نحن نعرف السبب ففي اذار ١٩٩٠ كنا نتوقع هجوماً اسرائيلياً على العراق كان الاسرائيليون يهددون بضرب منشآتنا العلمية والعسكرية والصناعية نحن اخذنا احتياطاتنا وبواقع الحكمة قلنا لنحذر الاسرائيليين ربما يتوهمون ان باستطاعتهم ان يضربونا ونحن لن نرد فقلنا لنحذرهم ولنكن واضحين وصارمين رئيسي قال في ٢ نيسان ١٩٩٠ اذا ضربتنا اسرائيل فنحن سنرد ونحرق نصف اسرائيل وكان يقصد اذا ضربتنا بالسلاح النووي .

السيدة تتوايلر خرجت بتصريح فوري قالت فيه ان هذا الكلام شنيع والرئيس بوش طلب من رئيسي ان يسحب تهديده نحن قلنا اذا هاجمتنا اسرائيل ولكن « اذا » حذفت من الموقف الرسمي الامريكي .

نحن لم نلتق على الصعيد الرسمي ولكن زارتنا شخصيات مهمة مثل السناتور دول ومعه اخرون جاءوا واخذتهم الى الموصل ليقابلوا رئيسي والسيد الرئيس كان واضحاً قال اذا ضربتنا اسرائيل بالسلاح النووي فنحن لدينا السلاح الكيمياوي المزدوج سنستخدمه ضد اسرائيل على قاعدة الدفاع الذاتي عن النفس واذا ضربتنا اسرائيل بالاسلحة التقليدية فسنرد عليها بالأسلحة التقليدية .

قال بيكر . . هذا لم يوضح على الاطلاق والتصريح الأصلي لم يكن

مشـروطاً لهجـوم نووي اسـرائيلي والـطريقة التي جـاء بها الى الـرأي العام الامريكي هو تهديد واضح من رئيسكم بضرب اسرائيل .

انا لا اجادل ولكن ببساطة اقـول انه كـان هناك سـوء تقديـر ولكن عليك ان تفهم انه اذا استخـدم البعض اسلحة كيميـاوية ليس فقط ضـد ايران ولكن ضد الاكراد ويهدد باستعمالها ضد دولة مجاورة فـإنها قضية لهـا اهمية كبيرة وتثير القلق ما تقوله انها كانت اشارة فقط ولكن لا اجادل معك هنا .

قـال وزير الخـارجيـة . . ربمـا فهمتم الأمـر هكـذا ولكن لا بـد ان السناتور دول بعد عودته من بغداد قد ابلغك بذلك او انه ابلغ الرئيس بوش بمحتوى حديثه مع الرئيس وانا قرأت تصريحات له بعد عودته من بغداد اذن فنحن لم تكن لدينا نية للبدء باستعمال أي سلاح ولكن كنا مصممـين على الرد فيها اذا تعرضنا الى عدوان .

في ذلك الوقت كنا نتوقـع الحرب من جـانب اسرائيـل ضدنـا وعلى الاردن ولا بد ان الاردنيين قد عبروا عن قلقهم لكم .

قال السفير روس . . لم نسمع شيئاً من الاردنيـين ولكن سمعنا من مصر تعبيراً عن انه قد يكون هناك اساءة في التقدير بين اسرائيل والعراق .

قال وزير الخارجية . . هناك رسالة من الملك الحسين الى بوش فيها كلام واضح جداً . . الملك الحسين يقول للرئيس بوش كيف تتوقعون من العراق ألا يكون حذراً من الولايات المتحدة في الوقت الذي تعمل الولايات المتحدة على تهديد حياة رئيسها وتذكر انني اثرت هذا الموضوع بشكل عام في اكتوبر ١٩٨٩ .

قال بيكر . . نعم اتذكر هذا .

قال وزير الخارجية . . ان رسالة الملك الحسين واضحة اذن اللوحـة في عام ١٩٩٠ هي تهديد اسرائيلي للعراق واحتمال قيام حـرب بيننا وبـين اسرائيل وتهديد اسرائيلي لأمن الأردن وتهديد اسرائيلي للفلسـطينيين بسبب

الهجرة الكثيفة لليهود السوفييت الى اسرائيل وهذا هو الموضوع الذي نوقش في قمة بغداد والقرارات التي صدرت عن قمة بغداد كلها تعاملت مع التهديدات الاسرائيلية للعراق وللاردن والفلسطينيين وتعاملت مع المقاطعة الامريكية والغربية للعراق وفي نفس الفترة بدأت عملية زعزعة الاقتصاد العراقي .

انت تعرف يا سيادة الوزير ان العراق بلد يمتلك ثروات كبيرة من جميع الانواع ليس فقط النفط ونحن لدينا اقتصاد نشيط ونحن نشتغل في الليل والنهار وننتج وليس هناك اي سبب كي يصل العراق الى حافة الانهيار الاقتصادي ولكن حكام الكويت السابقين اوصلوا العراق الى حافة الانهيار الاقتصادي .

في كانون الأول ١٩٨٩ وكانون الثاني ١٩٩٠ كنا نبيع النفط بسعر ٢١ دولاراً،وفي شباط بدأ حكام الكويت يغرقون السوق بالنفط واوصلوا السعر الى ١١ دولاراً او اقل كل دولار ناقص في سعر برميل النفط يعني خسارة مليار دولار للعراق سنوياً . هذا يعني ان النتيجة هي تدمير الاقتصاد العراقي وهذه هي حرب على العراق .

في قمة بغداد الرئيس صدام حسين تحدث مع كل القادة العرب بحضور الملك فهد وجابر وزايد وقال ان ما تقوم به بعض الدول باغراق السوق بالنفط هو حرب على العراق والذي ليس في نيته شن الحرب عليه ان يتوقف عن هذه السياسة هذا كلام موجود بالصوت والصورة وهو وثيقة هناك عشرات من التصريحات التي صدرت عنكم تقول ان ما قام به العراق في ٢ آب هو عمل غير مستفز . . هذا هو التعبير المستعمل من قبلكم وكان هذا اول تحذير من الرئيس صدام حسين وقبله كانت هناك اتصالات دبلوماسية بيننا وبينهم بعد قمة بغداد ارسل السيد الرئيس نائب رئيس الوزراء الى فهد وجابر وزايد ودعاهم إلى عقد قمة في السعودية لمعالجة هذه المسألة لأن العراق وصل الى حافة الانهيار الاقتصادي بدون اي سبب سوى تصرف حكومة الكويت وحكومة الامارات لم يوافقوا على القمة وعقدوا

اجتماعاً لوزراء النفط وقرروا العودة الى معايير الانتاج السابقة ولكن وزير النفط الكويتي صرح بعد الاجتماع مباشرة وقال اننا سنعود الى موقفنا بعد شهرين وهذا يعني استمرار الحرب ضد العراق .

الذي اريد ان اشرحه لك كخلاصة عن هذا الموضوع ان منطقتنا تعاني من خطر التهديد بالحرب منذ اربعين عاماً وقد دخلت حروباً وعانت من الكثير من الآلام بسبب عدم الاستقرار وبسبب الصراع العربي الاسرائيلي .

العراق كان مهدداً من قبل اسرائيل . . وفي عام ١٩٨١ اسرائيل ضربت العراق . . لو ان اسرائيل قامت بهجوم على الاردن فهذا تهديد للعراق وفي الوقت نفسه هذه الأنظمة في الخليج الغنية جداً بشكل غير معقول لم تكتف بغناها ولكن ارادت تدمير بلد مثل العراق فعندما يوضع شعب وبلد في وضع التهديد لعشرات السنين او يوضع بالذات في هذه الفترة في وضع التهديد بالحرب . . وبالمقاطعة الاقتصادية وبالتدمير الاقتصادي ماذا نتوقع منه . . لا بد ان يتصرف وقد تصرفنا نحن نقول وبايمان عميق ان ما حصل في ٢ آب هو عمل دفاعي من جانبنا . نحن اردنا ان نحمي بلادنا وضربنا الذين يتآمرون علينا . انا اعرف ان لديكم وجهة نظر مختلفة .

في ٦ آب جاء الرئيس الى وزارة الخارجية وطلب مني ان استدعي القائم بالأعمال الامريكي جو ولسن وقال له في مقابلة طويلة اريد ان تنقل هذا الكلام كرسالة للرئيس بوش . . انني لست مستغرباً من موقفكم لما حصل في ٢ آب انتم دولة عظمى لديكم مسؤوليات عالمية ومن الطبيعي ان تنظروا لما حصل نظرة مختلفة . . ولكن ما نأمله ان تتفهموا موقفنا .

انا لا ادعوك للتفاوض حول قرارات مجلس الامن ليست هذه هي المسألة الاساسية . . المسألة الاساسية هل نعمل معاً نحن والآخرون في المنطقة وفي العالم هل نعمل من اجل سلام شامل ودائم وعادل في كل المنطقة لكي تعيش كل شعوب المنطقة بأمن وسلام واستقرار ام لا . . انتم

الآن مهتمون بالوضع في الخليج وتعتبرون ان هذه هي الاولوية الأولى . .
واذا لم يحل وفقاً لقرارات مجلس الامن التي صدرت بشأنه فالحرب ستكون
نحن لدينا اهتمامات اخرى نحن نهتم بالقضية الفلسطينية ونعتقد بصدق
ان عدم حل هذه القضية يهدد امن العراق انت تقول انني ارفض الربط
نحن سمعنا هذا . . ولكنني اقول لك بصدق ان الربط هناك الربط
واقعي . . انه مسألة من مسائل الحياة في المنطقة اذا اردنا ان نحقق الامن
والاستقرار والسلام فعلينا ان نتعامل مع كل هذه القضايا . . انت تطلب
مني ان اطبق قرارات معينة لمجلس الأمن ولكن هناك قرارات اخرى لمجلس
الامن لم تطبق ولم ترسل الجيوش لتطبيقها ولم تتخذ قرارات المقاطعة لارغام
من لم يطبقها على تطبيقها ونحن نشعر بالألم والغضب للمعايير المزدوجة التي
تستخدم مقابل قضايا المنطقة نحن نريد ان تطبق معايير واحدة . . انا اقول
لك بصدق وجدية الشرعية الدولية وقواعد العدل والانصاف لو طبقت هذه
المبادىء في كل المنطقة فإن هذا ينطبق مع مصالحنا ومع امالنا . . ليس لدينا
مشكلة في ذلك ولكن ليس في موضوع واحد فقط . . اذا طبقت في موضوع
واحد فهذا يعني المعايير المزدوجة وهذا يعني استمرار التهديد لأمننا لحياتنا
كشعب وكأمة هذا هو شعورنا اذا كنتم مستعدين للعمل من اجل ان يستتب
السلام والعدالة والاستقرار والأمن في كل المنطقة فستجدوننا في مقدمة
المتعاونين معكم .

قال بيكر قلت لك اني جئت للاتصال وهذا يعني الحديث والاستماع
وهناك قضايا لا نتفق فيها معكم وسأحاول ان ابينها دعني اتوجه الى النقطة
الأخيرة التي اشرت اليها حول امن المنطقة كلها ومسألة المشاكل الاخرى في
المنطقة . . واقول لك بصراحة انتم لم تغزوا الكويت لمساعدة الفلسطينيين
وان كان ذلك فإنكم احدثتم النتائج العكسية تماماً وفي وجهة نظرنا فإن
احتلالكم للكويت هو عقبة كبرى في وجه السلام في المنطقة وليس حافزاً
للحل .

قد تستطيع ان تكيف عدوانكم غير المستفز ضد دولة صغيرة بأنه

خطوة دفاعية ولكن بكل صراحة معظم الناس يعتقدون ان هذا الطرح يدعو للسخرية . . واقول ايضاً اذا اردتم ان تساعدوا الفلسطينين فعليكم بالانسحاب من الكويت بدون شروط لا توجد هنالك معايير مزدوجة لقرارات مجلس الأمن وطريقة تعاملنا معها كما تعرفون ان قرارات مجلس الامن الخاصة بالصراع العربي الاسرائيلي تقدم اسساً للمفاوضات وانها لا تتطلب انسحابا فوريا وشاملاً كما تشترط عليه القرارات الخاصة بالكويت .

القرارات الخاصة بالصراع العربي الاسرائيلي اتت نتيجة حرب شنت ضد اسرائيل . . وهناك فروق واسعة بينها وبين القرارات التي تتحدث عنها اعتقد انك تعرف انني مهتم كثيراً بحل سلمي للصراع العربي الاسرائيلي واني قضيت ١٤ شهراً من ٢٤ شهراً من عملي في الخدمة لمحاولة التوصل الى حل سلمي لهذه القضية واعتقد اننا اقتربنا كثيراً من هذه النقطة واعتقد ان اصدقاءكم من الفلسطينيين سيقولون ذلك لكم ولكن هذا كان طريقاً عملياً لإعطاء امل للفلسطينيين وللتقدم والانجاز ولاعطاء فرصة للفلسطينيين لتحسين احوالهم وطموحاتهم .

اذكرك بأننا عندما التقينا في تشرين الأول / اكتوبر ١٩٨٩ طلبت منكم المساعدة مع الفلسطينيين المعتدلين للمشاركة وانت رفضت بشدة وقلت انه لا يكون ملائماً لك اعطاء نصائح للفلسطينيين . والآن فجأة بعد اجرائكم الدفاعي في الكويت الذي لم يكن سوى غزو للكويت . . الآن تريدون ان تضعوا القضية الفلسطينية في صدر القضايا بنفس الصراحة اقول اننا نعرف انكم لم تغزوا الكويت من اجل دفع القضية الفلسطينية الذي اريد توضيحه اننا عملنا بشكل شاق وان سياستنا الآن وفي السابق هي ان نستمر بتنمية السلام بين العرب واسرائيل بعد ان تحل هذه الأزمة انت على علم بتصريح الرئيس بوش في الأمم المتحدة عندما تحدث عن امكانية الفرص بعد حل ما ينظر اليه المجتمع العربي على انه عدوان وبعد انسحابكم من الكويت فإن احتمالات تقدم حقيقي في عملية سلام عربي اسرائيلي سوف تتحسن والسبب لأنه سيظهر ان العنف والعدوان لن يفلحا

وسيكون كل من العرب والاسرائيليين احراراً للمصالحة بعيداً عن الشعور بالتهديد ولأن هؤلاء الملتزمين بالتصالح بدلاً من الصراع سيكسبون في المنطقة . . ولذلك نحن نصر على عدم الربط .

دعني اتحول لحظة الى ما جاء بمجلة « يو اس نيوز اند ورلد ريبورت » و« نيوزويك » انت على علم بالولايات المتحدة وتعرف ان لدينا صحافة حرة والافراد لهم الحق بالكتابة والنشر كما يريدون . . ولكن بصراحة بعد عملية غزو الكويت هناك الكثيرون في العالم الذين سيقولون ان ما قالته هاتان الصحيفتان وما وصفت به رئيسكم كان صحيحاً والقادة العرب الاخرون في التحالف مع المجتمع الدولي مؤمنون بأن رئيسكم لم يقل لهم الحقيقة ومن الصعب علينا ان نقبل الطرح بأن هناك صفة دفاعية لعملية الاخضاع الوحشي الذي قمتم به تجاه دولة ضعيفة مجاورة . . ومن الحقائق ان العراق كان يواجه صعوبات اقتصادية انكم كنتم تنفقون ثراءكم الكبير للحصول على قوة عسكرية كبيرة والمقاطعة التي تحدثتم عنها جاءت فقط بعد التهديد باستعمال الأسلحة الكيمياوية ضد اسرائيل . . وجاءت فقط بعد ان اصبحنا قلقين جداً من الجهود الكبيرة كما نحن قلقون الآن من جهود حكومتكم للحصول على القدرة النووية .

قال بيكر : انها ليست رغبتكم بأن تكونوا على حافة الحرب مع الولايات المتحدة وهذه ايضاً ليست رغبتنا ، اننا لسنا وحدنا ، وهذه ليست قضية الولايات المتحدة ضد العراق فهناك ٢٨ دولة لها قوات عسكرية في الخليج .

لقد قلت ان القوة العسكرية العراقية ضد ايران استخدمت لتنمية الأمن والاستقرار في المنطقة ، ولكنكم استخدمتم ذلك ضد الكويت وبهذا لم تسهموا باستقرار المنطقة. انت تشتكي انكم عوملتم بالشك في صيف ١٩٩٠ ولكن عملكم اللاحق ضد الكويت ، يبرر ذلك الشك قد ترغب في الجواب او ان ترفع الجلسة لمواصلتها بعد الغداء .

ـ قال عزيز ـ نرغب بمواصلة الحديث بعد الظهر .

قال بيكر ـ لقد ابتدأت هـذا الاجتماع بقـولي انه اجتمـاع مهم وانه الفرصة الاخيرة للسلام وقد لا تكون هنـاك فرصـة اخرى لقـد قلت انك مهتم بحل سلمي وانا لا اعرف طريقة اخرى او وقتاً آخر لذلك ولهذا فأنا تحت تصرفكم .

الجلسة الثانية

ـ قال عزيز لدي بعض التعليقات حول الحديث الذي سمعتـه من السيد الوزير .

في البداية اود ان اوضح بعض الوقائع . .

اولاً ـ كيفية تناولنا للمسألة الفلسطينية اثناء لقائي معكم في اكتوبـر ١٩٨٩ اذا كانت ذاكرتي دقيقة انت قلت لي اريد معاونتك بشأن الخطة ذات النقاط العشر ، وفي حينها قلت لكم اننا تابعنا هذا الموضوع وقد اطلع عليه الفلسطينيون والمصريون ، نحن بشكـل عام نؤيـد المساعي التي تؤدي الى السلام .

أما اشارتـك الى المعتدلـين الفلسطينيـين ، فإذا كنت تقصـد القيادة الشرعية الفلسطينية برئاسة السيد عرفات ، فنحن نـدعمهم بكل قـوة منذ زمن طويل جداً ، ولم نقف اطلاقاً بوجه مساعيهم للتوصل الى السلام ، بل على العكس نحن ساعدناهم ، ولهذا تجد الآن ان تأييدهم لنا تأييد قوي ، مما يدلل على ان عـلاقتنا صحيحـة وسليمة وبقـدر معرفتنـا لنوايـاهم فهم يريدون فعلاً سلاماً حقيقياً وقد عبروا عن رغبتهم هذه في مناسبات كثيرة .
والآن اتكلم حول بعض الوقائع الأخرى .

الاجراءات الاقتصاديـة التي اتخذتهـا الولايـات المتحدة ضـد العراق بدأت قبل نيسان ١٩٩٠ وقبلها بفترة ملموسة .

قال بيكر هذه الاجراءات تخص السلاح . .

ـ قال عزيز ـ الاجراءات الامريكية في الجـانب الاقتصادي اتخـذت قبـل نيسـان ١٩٩٠ اي قبـل خطاب رئيسي وخـاصـة الاجـراءات حـول

المنتجات الزراعية اتخذت قبل هذا التاريخ جمدت في كانـون الثاني ١٩٩٠ وبعدها جاءت وفود فنية الى بغداد .

قال بيكر ـ ولكننا تكلمنا عن هذا عند زيـارتك والسبب في ايقـافها وهـو التحقيق الجنائي والـذي كـان فيـه اشـارات الى ان بعض المسؤولـين العراقيين لهم علاقة بذلك ولم تكن اسباب ذلك سياسية .

ـ قال عزيز ـ لقد استجبت لمطالبك بالتحقيق في القضايـا التي قلت انها سلوكيات خاطئة مزعومة وقد استقبلنا بعثة امريكيـة في بغداد وبحثت هذه القضية ولم يظهر شيء .

وفيما يخص اجراءات المقاطعة في الميادين التكنولوجية وميدان التسليح كانت قبل وبعد نيسان ١٩٩٠ .

قال بيكر حول هذا لا نقدم اي اعتذار .

ـ قال عزيز ـ هذا موقفكم ، ولكنني شرحت انكم اتخذتم اجراءات مقاطعة اقتصادية وتكنولوجية ، وكنتم تشنون علينا حملة سياسية واعلاميـة شديدة جدا ، حلفاؤكم الاسرائيليون كانوا يهددوننا بالضربة العسكرية كل هذا كان قبل ٢ آب .

فيما يخص موقفنا من القضية الفلسطينية انت تصف مـوقفنا عـلى انه غير صادق ، نحن ملتزمون بالقضية الفلسطينية منـذ عقود عـديدة كشعب وليس كحكومة .

قـال بيكر ـ لم أقـل انه ليس لـديكم التزام حقيقي بـالنسبة للقضيـة الفلسطينية ما قلته هذا ليس السبب في غزوكم الكويت . .

ـ قال عزيز ـ التزامنـا بالقضيـة الفلسطينيـة التزام حقيقي والقضيـة الفلسـطينية بقـدر تعلقها بـالعراق تتعلق بـأمنـه ، العـراق سـاهم في كـل النزاعات المسلحـة بين العـرب واسرائيـل ، والإسرائيليـون كانـوا يهددون العراق كما كانوا يهددون بقية دول المنطقة ، وفي عام ١٩٨١ قامـوا بعدوان

واضح مكشوف ضدنا ، ولو كانت لدينا الامكانيات لرددنا عليهم ، ولنشب نزاع مسلح بيننا وبين اسرائيل .

علاقة الاحداث التي وقعت في آب بالقضية الفلسطينية ، انا شرحتها لك نحن كنا مقتنعين بأن هنالك تحالفاً بين الولايات المتحدة واسرائيل ، وحكام الكويت السابقين لتدمير العراق ، وقد ضربنا احد اطراف هذا التحالف وهو الذي كان باستطاعتنا ان نضربه مباشرة ، ومن هنا يأتي الربط ومن هنا يأتي وصفنا لعملنا بأنه دفاعي ونحن مقتنعون بذلك .

الآن هنالك مواجهة انتم موجودون فيها ومعكم بعض حلفائكم وهناك اسرائيل موجودة ، لو حدثت المواجهة العسكرية من هي الأطراف التي ستشترك في هذه المواجهة الاطراف معروفة ، اذا اردنا ان نصنع السلام فلا بد ان تشترك الأطراف هذه في صناعة السلام ، وهنا هو دور القضية الفلسطينية ، نعم انا اقول لك بصدق وواقعية ، ان الاحداث التي وقعت في آب ، وبعد ذلك لها صلة مائة في المائة بالقضية الفلسطينية ، هكذا نحن نرى الأمور واعطيك امثلة على ما اقول .

لا بد ان التقارير تصلكم بأن الشعب الفلسطيني في الاراضي المحتلة يؤيد العراق وهم يرفعون صور الرئيس صدام حسين مع صور الرئيس عرفات لماذا . . انهم اكثر الذين تضرروا من جراء الاحداث التي وقعت في ٢ آب من الناحية المالية ، ومع هذا فهم يؤيدون العراق ، القيادة الفلسطينية تقف مع العراق ، اعتقد هم الذين يتحدثون عن قضيتهم أفضل مني ومنك ، وعندما يقول الفلسطينيون اننا نرى في الاحداث فرصة ذهبية للحصول على حقوقنا ، فإنهم لا ينطلقون من فراغ لا بد ان تكون أسباب جوهرية تدعوهم لهذا الأمر .

فيما يخص القوة العسكرية للعراق وما تشكله من تهديد ، وما ذكرته ان ما قالته المجلة الامريكية يو اس نيوز اند ورلد ريبورت ثبتت صحته بعد اشهر نحن اعلنا بشكل صريح لا لبس فيه ، في الفترة التي تلت تصريح السيد الرئيس وفي ٢ نيسان بأن العراق مستعد لإزالة كل اسلحة الدمار

الشامل في المنطقة من كل المنطقة ولكن اسرائيل تمتلك اسلحة نووية وليس في ذلك سر .

وكان الحديث المستمر عن الأسلحة الكيماوية لدى العراق ، وان هذه الأسلحة تشكل خطراً نحن قلنا نعم هنالك اسلحة عندنا وعند الطرف الآخر ، فعلينا ان نعمل على تصفيتها جميعها وابدينا استعدادنا لذلك .

في محضر اللقاء بين الرئيس صدام حسين والسناتور دول ، ذكر هذا الموضوع بكل وضوح ، وسفيرتكم في بغداد كانت حاضرة ، وفي قمة بغداد في الشهر الخامس اكدنا هذا الموقف وما يزال هذا هو موقفنا .

الآن نحن مستعدون للبحث في اطار البحث للتسوية الشاملة للاوضاع في المنطقة ، نحن مستعدون لتصفية كل اسلحة الدمار الشامل في المنطقة النووية والكيماوية والبيولوجية . وحول المخاوف والشكوك والادعاءات حول امكانيات العراق النووية نحن بلد موقع على معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية ومنشآتنا المتواضعة جداً تخضع للتفتيش المستمر ، لكن حليفتكم اسرائيل التي لا تثيرون اية ضجة حول امتلاكها للسلاح النووي ، ليست موقعة على هذه الاتفاقية ، وترفض التوقيع عليها وترفض الزيارة والتحقيق في منشآتها .

اذن عندما نتحدث عن المعايير المزدوجة فنحن لدينا اساس قوي لذلك ، اساس ملموس ؛ يبدو لنا ان موقف الولايات المتحدة ، هو ان اسرائيل تستطيع ان تمتلك ما تريد من اسلحة ، ولكن محرم على العرب ان يمتلكوا اية اسلحة حتى للدفاع ، هذا هو موقفنا من موضوع اسلحة الدمار الشامل . . انه موقف واضح ومسؤول وعادل ، اذا امتلك الناس الذين يهددوننا اسلحة ، فمن حقنا ان نمتلك اسلحة ، ولكن اذا كانت هناك ترتيبات مضمونة وعلى قاعدة التعامل بالمثل لازالة مثل هذه الأسلحة ، فنحن مستعدون .

انت اخذت هذا التعهد مني الآن بشكل لا لبس فيه ولكنك لا

تستطيع ان تأخذ ما يشتبه من وزير خارجية اسرائيل ، او من رئيس وزرائها .

قال بيكر ـ شكراً لهذا العرض ، ولكن للاسف هناك فروق اساسية في هذا العرض ، وفي المنطق هذا من استخدامكم فعلاً لهذه الأسلحة المدمرة .

ـ قال عزيز ـ انا سأتوجه لهذا الموضوع . .

كان هناك صراع دموي بيننا وبين ايران ، وكان بلدنا مهدداً في كيانه ومصيره وحياة شعبه ، وقد اضطررنا الى اتخاذ اجراءات لحماية شعبنا ، انا تحدثت مرة مع زميلنا غينشر حول هذا الموضوع ، قلت له في ايران عندما كانوا يعتقلون فتيات من المعارضة ويحكمون عليهن بالاعدام ، كانوا يغتصبون هؤلاء الفتيات العذراوات لأنه حسب اعتقادهم اذا اعدموهن وهن عذراوات سيذهبن الى الجنة ولكي يمنعوهن من الذهاب الى الجنة كانوا يغتصبوهن قبل الاعدام ، قلت له انا لدي بنتان ، ولن اسمح لهؤلاء ان يتصرفوا ازاء بناتي كما يتصرفون ازاء البنات الايرانيات . لذلك من حقي ان استخدم اي سلاح للدفاع عن بلدي وشعبي ، حول حديثكم ان السلاح الكيماوي استخدم ضد الاكراد ، هناك حادث حلبجة .

في صحيفة الواشنطن بوست نشر خبر نقلاً عن اوساط البنتاغون وعن دراسة قامت بها مؤسسة امريكية ، ان الايرانيين كانوا هم البادئين في استخدام السلاح الكيماوي في حلبجة ، اما الادعاءات حول استخدامها بعد وقف اطلاق النار فلم تثبت ، انتم اتهمتمونا وغيركم كذلك ، ولكن لم تستطيعوا ان تقدموا اية ادلة لذلك ، يمكنكم التأكيد اذا كانت لديكم شكوك بأن العراق والقيادة العراقية تتصرف بشكل مسؤول ، نعم نحن نمتلك اسلحة ، ولكننا لن نستخدم هذه الاسلحة بشكل غير مسؤول ، نستخدمها للدفاع عن بلادنا اذا اقتضى الأمر ، واذا اردتم اختبارنا بهذا الشأن فنحن مستعدون ، اعني بشأن ازالة كل اسلحة الدمار الشامل ، ما هي الضمانات بعدم استخدام هذه الاسلحة ، ان نقتل من يمتلكها ، ام

ندخل معهم في تفاوض حضاري ، تصل انت وهم الى اتفاق حول تصفية هذه الاسلحة ، نحن اقترحنا ذلك والعرض ما يزال قائماً ، الطرف الآخر اسرائيل هو الذي يرفض ، واذا استطعتم اقناعه ، وانتم لديكم تأثير كبير عليهم ، فلن تكون هناك مشكلة حول اختلاف القرارات في مجلس الامن هل المسألة اختلاف في الصياغات ، ام المسألة هي جوهرية اي المشروعية الدولية .

طبعاً قرارات مجلس الأمن تختلف من قرار الى آخر ، ولكن ما هو الهدف منها ، الهدف هو تحقيق السلام والعدالة والانصاف .

القرارات التي صدرت عن مجلس الأمن بخصوص القضية الفلسطينية يفترض ان هدفها هو تحقيق السلام والعدالة والانصاف ، ولكن هذه القرارات لم تطبق حتى الآن ، والشعب الفلسطيني ما يزال يعاني من الاحتلال والظلم والارهاب وهذه حقائق معروفة ومكشوفة على التلفزيون ، اسرائيل قامت بعملية ضم في الجولان رسمياً وضمت القدس وهي مدينة عربية ، وحتى الآن المسؤولون الاسرائيليون يتحدثون عن الضفة الغربية ويسمونها « يهودا والسامرة » وقبل ايام قليلة اسحق شامير قال صراحة نحن نحتاج الى هذه الاراضي لأمن اسرائيل .

النتيجة بالنسبة للمواطن العربي بالنسبة لنا في العراق والأردن وفلسطين ، الشعوب والقيادات في المنطقة ، النتيجة العملية ، ان قرارات مجلس الأمن لم تنفذ ، ولم تتخذ ضد اسرائيل اجراءات ، لأنها رفضت تنفيذها ، بل على العكس انتم في الولايات المتحدة ، تساعدونها مالياً وعسكرياً ، وتساعدونها سياسياً في مجلس الأمن ، والاحتلال ما يزال قائماً في حين اتخذت بحقنا قرارات قاطعة وحاسمة ويصر على تنفيذها واذا لم تنفذ تطبق المقاطعة بأقصى صورها حتى الغذاء والدواء واخيراً التهديد بالحرب .

اذن المعايير المزدوجة واضحة اذا كانت المسألة صيغة نقاش قانوني ، حول هذا القرار او ذاك فلدي الكثير مما اقوله .

انا وانت نعرف كيف اتخذت هذه القرارات انت قلت لي انت في

المسؤولية في ٢٤ شهراً وانت لم تسافر الى اية عاصمة من العالم ، من اجل ان يصدر قرار من مجلس الأمن ، ولكنك سافرت عشرات الألوف من الأميال لكي تقنع الدول الاعضاء في مجلس الأمن ، بصدور القرار الأخير ، واعرف انا ايضاً كيف تمت القرارات الأخرى ، وماذا كان دوركم فيها .

اذن نحن ننظر الى هذه القرارات على انها قرارات امريكية ضد العراق ، واحد الأدلة على انها قرارات امريكية ضد العراق هو ، اننا وأنت نجلس هنا اليوم ، أن الحوار لا يجري بيني وبين الأمين العام للأمم المتحدة ولا بيني وبين وزير خارجية اثيوبيا وساحل العاج ورومانيا ، تحولت هذه المواجهة الى مواجهة بين امريكا من جهة ، والعراق من جهة أخرى ، نعم انتم لديكم حلفاء ونحن ايضاً لدينا حلفاء ، يمكن ان حلفاءنا لا يبدون على السطح مثل حلفائكم اي دول يمكن ذكر اسمائها وذلك بسبب الظروف المعقدة في المنطقة العربية ، ولكننا لسنا بعيدين عن شعبنا ، أقصد الأمة العربية ، العديد من العرب الى جانبنا ، واذا حصلت مواجهة بيننا ، سيكون لكم حلفاؤكم وسيكون لنا حلفاؤنا .

مرة اخرى نعود ، هل نمضي الى المواجهة ، أم نفتش عن طرق عملية عادلة ومبدئية نحو تحقيق السلام ، ونحن مقتنعون ومؤمنون ان السلام لا يتحقق في المنطقة إلا اذا كانت هناك تسوية شاملة لكل قضايا المنطقة وخاصة القضية الفلسطينية ، هذه هي ام المشاكل، هذه هي السبب الذي ادى الى الزعزعة وعدم الاستقرار في المنطقة .

انا اتخيل احياناً لو ان العراق بكل ما يعنيه الآن ، بقيادته الحالية بجيشه الحالي ، بامكانياته السياسية ، كان موجوداً في آسيا او في امريكا اللاتينية ، اذن لن يكون بيني وبينك ، اية مشاكل ، لأننا وكما قلت في السابق ، نحن لا نعتبر انفسنا اعداء للولايات المتحدة ، مشكلتنا مع الولايات المتحدة هي اسرائيل وتأثركم بالسياسة الاسرائيلية ، هذه هي المشكلة معكم قبل وبعد ٢ آب ، لو عالجنا هذه المسألة بشكل جدي وشمولي وعلى قاعدة المشروعية الدولية وعلى قاعدة العدل والانصاف فكثير

من الخلافات بيننا ستتغلب عليها ولن نجد انفسنا في وضع المواجهة ستجدني في واشنطن ، أبحث معك قضايا التعاون الاقتصادي والثقافي وكذلك اجدك في بغداد لنفس الهدف ، نحن لا نشكلْ تهديداً لكم ولمصالحكم وهنا سآخذ شيئاً من وقتك ، انتم لا تنظرون الينا من زاوية امريكية صرفة ، انتم احياناً كثيرة تضعون نظارات اسرائيلية على عيونكم وتنظرون الينا .

قبل أيام كانت تزورنا شخصيتان امريكيتان ، حاكم تكساس السابق كونالي ومعه شخص من ولايتكم في تكساس اسمه وايت ، يشتغل مع العراق منذ ١٥ سنة ، سألته قلت له ، اعطني انطباعك عن تعاملك معنا في السنوات الماضية ، قال ان تعاملي معكم كان مثمراً ونظيفاً ، قلت له ارجوك قل هذا للمسؤولين الامريكان عندما تعود الى بلادك .

نحن نمتلك قبل ٢ آب احتياطيات كبيرة من النفط ، وكنا نتعامل مع العالم بشكل مسؤول ، نحن كنا نبيع في السوق الامريكي ٧٠٠ ألف برميل يومياً من أصل ٣ ملايين برميل ، وهذه نسبة عالية جداً ، وهذا يعني ان بلداً مثل العراق ، يهمه الوضع الاقتصادي في الولايات المتحدة ، لأن البائع يهتم بوضع المشتري ، ومهما اسفرت عنه الأوضاع الحالية فالعراق لا ينوي تهديد المصالح الامريكية اذا اعتدي علينا سنرد بشجاعة واقدام ومسؤولية ، ولكن في كل الأحوال وعندما تزول الغيوم ، نحن لا نرغب في تهديد احد ولا تهديد الولايات المتحدة بشكل خاص .

من المؤسف اننا مقبلون على احتمال نزاع مسلح ، ونحن لا نعرف بعضنا جيداً ، وانتم لا تعرفوننا جيداً ، انكم ستحاربون بلداً لا تعرفونه ، واسمحوا لي ان اقول لك انكم ستندمون على ذلك .

قال بيكر ـ من الواضح اننا نختلف في عدد كبير من المسائل الجوهرية ، أنت قلت انكم لا تشكلون تهديداً لمصالحنا ، ولكن منذ زمن روزفلت كان واضحاً ان للولايات المتحدة مصالح كبيرة في الخليج ، الآن انتم لا تهددون هذه المصالح لا لأننا تحركنا بشكل سريع جداً حتى لا تهددوا

شركاءنا في التحالف من الدول العربية ، قلتم لهم حتى الصباح الباكر ، انه ليست لكم اية رغبة بغزو الكويت وهذه حقائق يجب ان نفكر فيها ، ليس انكم تهددون اليوم المصالح الامريكية الموضوع الرئيسي هل سيكون هناك نظام عاصي مبني على المبادىء ونظام دولي يسعى الى حماية هذه المبادىء والقوانين ؛ انا لا أشك في اعتقادكم ، ولكن يذهلني بعض الشيء انك متأكد جداً من صواب موقفكم تجاه غزو الكويت ، بينها استنكر العالم اجمع هذا الغزو ، حتى حلفاؤكم وقد يكونون معكم ، بما سيحدث من الآن فلاحقاً ، وكلنا قلنا في خلال الشهور السابقة ، انه بالنسبة لنا في هذه القضية هناك عنصر مهم كبير ، هو الصواب مقابل الخطأ ، لا نستطيع ان ندع للعدوان طريقة لحل الخلافات بين الدول الكبيرة والصغيرة تستطيع رفض قرارات الأمم المتحدة ، وتقول ان كل الدول كانت تتبع الولايات المتحدة ، كالكلاب الصغيرة ، ولكن لو لم يكن موقفنا صحيحاً وعادلاً ، لم نكن نستطيع ان نجعل الدول الأخرى تتعاون وتتحالف بشكل لم يسبق له مثيل ، في هذه القضية اسأتم التقدير بشكل فظيع وأملنا ألا تقوموا بإساءة التقدير مرة اخرى .

دعنا نقول اننا لا نتبع ازدواجية فيما يتعلق بتنفيذ قرارات مجلس الأمن او بخصوص اسلحة الدمار الشامل انتم تعرفون ان اسرائيل نفسها كانت عرضة للعدوان وانها احتلت الاراضي في عملية دفاعها عن نفسها ولا اعتقد انك ايضاً ستجادل ان هذا مشابه لما قمتم به في الكويت .

قال عزيز . . انا لدي تحفظ شديد على هذا الوصف .

قال بيكر . . حول اسلحة الدمار الشامل . . الولايات المتحدة ايضاً مهتمة باجراء الحوار حول هذه القضية وقد اقترحنا امكانية اجراء مباحثات بين اسرائيل وجيرانها العرب واجراءات لبناء الثقة كما تم في أوروبا ولكن ليس كشرط لاستجابتكم لقرارات الأمم المتحدة او انسحابكم من الكويت دعني اقول اننا لا نثير كضجة كثيرة حول الدول التي في حوزتها اسلحة دمار شامل ولكن لا تستعملها كما نفعل تجاه الدول التي تمتلك هذه الاسلحة وتستعملها وانا اخذت علما بالنقطة التي ذكرتها حول عدم استخدام هذه

الأسلحة ضد الاكراد ولكن هناك خلافاً بيننا ودعني اتفق معك حول ما قلته عن قرارات مجلس الأمن بغض النظر اين ومتى اخذت ولكن هناك فرق بين القرارات التي تدعو الى انسحاب غير مشروط والقرارات التي وضعت اسساً من اجل المفاوضات .

دعني اتحدث عما ذكرته بأن القيادة الفلسطينية وجدت فرصة ذهبية في هذه الأحداث لتدفع قضيتها أقول ان هذه كانت افضل مجادلة سمعتها ضد الربط لأننا نؤمن تماماً بأن العدوان يجب ألا يخلق فرصا والعدوان لا يستطيع ان يمدنا بأساس مستمر من اجل حل الصراع العربي الاسرائيلي .

انا سأحاول وأقول ان الفرصة الوحيدة للفلسطينيين ستخلق من خلال انسحابك وليس عدوانكم ولهذا السبب نحن غير راغبين في الربط بين القضيتين كلمة اخرى سريعة حول تعليقك حول الحرب الاقتصادية من قبل الكويت اعتقد ان الكويت كانت كريمة جداً في دعمها المالي للعراق في حربه ضد ايران في منتصف تموز كان هناك اقتراح في الأوبك حول اسعار النفط وقد وافقت الأوبك على سعر ٢١ و٢٢ دولاراً لا يمكن ان نقبل وكذلك المجتمع الدولي غزواً عسكرياً واستبعاد المواطنين نتيجة خلاف اقتصادي وخاصة وان الكويت قدمت مساعدة للعراق اثناء الحرب .

قال عزيز . . مهما كانت اختلافاتنا فإن اللقاء يبقى مفيداً وهو يساعد على توضيح الكثير من الأمور .

لقد ذكرتم مرتين او اكثر بأن حلفاءكم قد قالوا لكم اشياء حول نوايانا انا اعرف ما تقصد قصة الرئيس مبارك انا حاضر هذه القصة . . .

قال بيكر . . هذه واحدة .

قال عزيز . . ولكنها الأساسية حصل اجتماع في تونس في ١٥ تموز وانا القيت كلمة في ذلك الاجتماع فسرها المصريون تفسيراً خاطئاً وزعلوا وعندما علمنا بذلك اتصل رئيسي بالرئيس مبارك هاتفياً وقال له انت زعلان

على طارق فأنا سأرسل لك طارق ليوضح لك كل شيء انا اعرف الرئيس مبارك منذ سنوات وعلاقاتنا طيبة ذهبت ودخلت الى مكتبه قلت له ها انا موجود امامك تستطيع ان ترسلني الى سجن بأبو زعبل ضحكنا ثم جلسنا تحدثنا عن موضوع الكويت لأن رسالتي الى الأمين العام للجامعة العربية كانت قد اعلنت وبعد انتهاء الحديث استأذنته بالسفر اذ كان لدي لقاء مع الملك الحسين قال كلا انت تبقى وتقابل الملك الحسين هنا واتصل هاتفياً بالرئيس صدام وقال له ان طارق باق هنا انا بقيت مساء جاءني اسامة الباز وقال لي ما رأيك ان نقوم نحن بمبادرة حول موضوع الكويت نحن الآن في جلسة تاريخية وليس من عادتي ان اتحدث بسوء عن رئيس دولة عربية حتى لو كان الآن يقف ضدنا ولكن لذكر حقائق التاريخ لا بد ان اقول ما سأقوله .

عندما قال الباز ان رئيسه يرغب بالتوسط في قضية الكويت شعرت بالقلق لأنني اعرف الرئيس مبارك جيداً كنت قد التقيت معه في الصباح ووجدته يجهل التاريخ ماذا جرى في المنطقة ماذا كان عليه الحال في العشرينات والخمسينات والستينات وكانت المعلومات التي تقال له كلها مفاجآت وشعوري كدبلوماسي انه عندما يقترح شخص من هذا النوع التوسط في قضية فإن هذه الوساطة ستكون متسمة بالخربطة مع ذلك قلت له ان سعود الفيصل التقى مع رئيسي ووعد ان يأتي مرة اخرى للنظر ماذا يفعل سعود قضينا ليلة في الاسكندرية والتقينا مع الملك الحسين في اليوم التالي وعدنا الى بغداد جاء الرئيس مبارك بعد ايام قليلة واجتمع مع السيد الرئيس ثم خرجوا من الاجتماع وكنا ننتظر من الجانب المصري كان موجوداً عصمت واسامة وصفوت الشريف ومصطفى الفقي ورئيس ديوان حسني مبارك زكريا ومن جانبنا انا والسيد رمضان والسيد حمادي ووزير الاعلام السيد الرئيس خرج من الاجتماع يضحك ويقول له اخي حسني لا تدع الكويتين يطمئنون لا تدعهم يطمئنون قبل الاجتماع شيء انت كدبلوماسي ماذا تستنتج بعده جاء الملك الحسين جرى نفس الحديث معه الملك الحسين استنتج استنتاجاً مختلفاً الرئيس لم يقل له ماذا سنفعل ولكن الملك الحسين ذكي ويعرف تاريخ المشاكل ويفهمنا تماماً لذلك عندما ذهب الى الكويت

قال لهم ان الوضع خطير جداً ولكنهم لم يهتموا بتحـذيراتـه مع الأسف ان الرئيس مبارك لم يتصرف بدقة سواء كـان بنية سيئـة او لأسباب اخـرى لا تخفى عليكم .

نحن لدينا تاريخ في التعامل مع بلدان المنطقة ونحن لم نكذب عليهم عنـدما نختلف معهم نعلن نحن رأينـا بصراحـة ونحن ندفـع ثمنـاً كبيـراً لصراحتنا ونحن ليس لدينا سياستان سياسة في الظاهر وسياسة في الباطن .

قال بيكر قلتم هذا بقدر كبير من القناعة .

قال عزيز انا كنت شاهداً وهناك اخرون .

قال بيكر اعـرف انك تقـوله بـدرجة كبيـرة من القناعـة ولكن هناك اخرين بجانب مبارك قالوا لنا انهم ضللوا او انه قد اكد لهم من قبل ممثلين من حكومتكم انه لن يكون هناك عمل عسكري تجاه الكويت .

ومرة اخرى هذا ليس الموضوع الجوهري الذي نناقشه .

قال عزيز . . اهميته تأتي المصداقية سواء كان العمل الـذي قمنا بـه يعجبك او لا ولكن المهم المصداقية نحن مجتمعون الآن اذا وفقنا الله يمكن ان نواصل العمل في المستقبل لذلك يهمـك وتهمني المصداقيـة في كلامـك وكلامي اعتقد انك تتفق معي مهما كانت الخلافات .

قال بيكر . . قال اخرون ما قاله مبارك .

قال عزيز . . ولكن الملك الحسين قال شيئاً آخر .

قال بيكر ولكن الملك الحسين اتصل قبل الاحداث واكد انه لن يكون هناك غزو وكذلك فهد ومبارك وطلب بيكر من مساعدته جرلس ان تتحدث عن هذا الموضوع قالت السيدة جارلس عضوة الوفـد الامريكي كنا قلقين لحجم الـوجود العسكـري على الحـدود العراقيـة الكويتيـة وكذلـك لبعض التصريحات حول سياسة الكويت . الرئيس بوش يشعر ان من المهم جداً ان يناقش هذه المسائل مع اصدقائه في المنطقة ومنهم الملك الحسين .

قال عزيز . . متى .

قالت السيدة جارلس بضعة ايام قبل الغـزو وكذلـك مع الـرئيس مبارك . . الذي قال . .

قال عزيز . . هذا الاتصال جرى قبـل العمل العسكـري . . الملك الحسين قال انه سيذهب الى بغداد وهذا يعني ان هذا الاتصال حصل قبل ذهابه الى بغداد .

قالت السيدة جارلس لقد تحدث قبل وبعد الزيارة وبعد ان تحدث مع الكويتيين وكذلك تحدث بوش مع فهد في ١/٨ ليتكلما عن محادثات جـدة وما هو شعور الملك لما حدث لأن المحادثات انتهت بسرعة .

قال عزيز . . انا متأكد ان الملك الحسين خرج بانطباع يختلف تماماً عن الانطباع الذي نقله مبارك لاحقاً وان الملك الحسين قال كلاماً للكويتيين يختلف عن كلام مبارك وانا مستعد لتدقيق هذا انـا وانت سويـة مع الملك الحسين .

قال بيكر . . انا سعيد بأن ارسل رسـالة الى الملك الحسـين وترسـل انت رسالة له ولكن صدقني اني اعـرف من محادثـاتي الشخصية مـع بعض هؤلاء بعد ما حدث في ٢ آب بأن الكويتيين والمصريين والسعوديين وغيرهـم كانوا يعتقدون انه كان هناك تأكيد من حكـومتكم بأن عمـلاً عسكريـاً لن يتخذ ضد الكويت وانا اقبل ما ستقوله وارجو ان تفهم ان اخوتك العرب في المنطقة الذين كنت تتعامل معهم يعتقدون انهم ضللوا .

قـال عزيـز . . ان موقفهم الآن يـوضح اسبـاب قولهم هـذا لذلـك اعطيك مثلاً عن دولة اخرى الملك الحسين الذي لا يؤيدنا في كل ما نقوله ولكنه لا يفتري علينا الآن مبارك وفهد وحكام الكـويت السابقـون هم في المعسكر الآخر . . اضاف الوزير ارجو ان تراجعوا لقاء الملك الحسين مـع الرئيس بوش في منتجعه .

قال بيكر . . انا كنت هناك .

قال عزيز حول الموضوعات التي اثرتها أبين ما يلي :

انت تتحدث عن النظام العالمي النظام العالمي الذي يقوم على القانون الدولي ومبادىء العدل والانصاف انا معك انا اريد مثل هذا النظام ولكن مثل هذا النظام يجب ان يطبق على الجميع وليس على حالة واحدة من وجهة نظركم انتم فقط عليكم ان تأخذوا بعين الاعتبار وجهة نظرنا اهتماماتنا ما الذي يهدد امننا ما الذي يهدد مصالحنا اذا وفرتم ذلك سنشترك معكم ومع العالم في بناء هذا النظام العالمي مهما كانت مساحة العراق او عدد سكانه ففي نظام عالمي جديد يستطيع العراق ان يكون بلداً سعيداً لأن لديه امكانيات وعنده عمق حضاري وقيادة نشيطة لذلك النظام العالمي الجديد لا يخيفنا ولا يتناقض مع مصالحنا حول وصفكم لما قمنا به في ٢ آب وعدم اقتناعكم بأن ما قمنا به كان عملاً دفاعياً انت رجل مجرب وخبير وانت تعرف ان القوى تختلف لو نقارن بين الولايات المتحدة واليابان من الناحية العسكرية فإن اليابان هي قزم والولايات المتحدة هي عملاق ولكن في الجانب الاقتصادي اليابان تستطيع ان تزعزع اقتصادكم وانتم تشتكون وهناك خلافات عميقة بينكم .

بيكر . . ولكن نحن لم ولن نحمل السلاح ضدهم .

قال عزيز . . ولكنكم قمتم بذلك .

قال بيكر اذا هوجمنا نعم .

قال عزيز ولكن النظام السابق في الكويت كان عملاقاً اقتصادياً وكان يستطيع وقد فعل ان يهدد العراق في أمنه ووجوده. عندما تعود الى نقطة اخرى وهي وضع اسرائيل والاراضي العربية انت ذكرت مرتين او اكثر ان اسرائيل كانت ضحية لعدوان وقع عليها وتقصد احداث ١٩٦٧ .

إن هذا عرض خاطىء للتاريخ لأن اسرائيل هي التي بدأت بالضربة الأولى في حزيران ١٩٦٧ عندما ضربت مصر وسوريا هذه حقيقة معروفة انا كنت حياً وأتابع الاحداث وانت ايضاً والمؤرخون كتبوا عن ذلك اسرائيل احتلت الاراضي العربية كنتيجة لعدوانها في ١٩٦٧ وما تزال تحتفظ بهذه الاراضي عدا سيناء بعد ٢٣ عاماً بعد هذا الاحتلال وقد ضمت رسمياً

الجولان وهي جزء من بلد ذي سيادة والقدس التي لها قرار خاص من الأمم المتحدة يحدد طبيعتها اذن هناك حقائق مختلفة حول هذا الموضوع .

انا تناولت موضوع اسلحة الدمار الشامل كي اشرح لك موقفنا وبعد احداث ٢ آب والسبب الذي يدعوني الى ذلك انكم تتحدثون عن هذا الموضوع بشكل قوي انا سمعتك انت والرئيس بوش تقولان بأن العراق يشكل خطراً وأنا اقول لك كيف يمكن ان نعالج هذه المسائل اذا كان هناك اي خطر كما تتصورون فنحن مستعدون لمعالجة هذه المسألة بأسلوب يحقق التوازن في المنطقة ويوفر الأمن لجميع اطرافها .

اما حول الفرق بشأن من يستخدم ومن لا يستخدم فنحن شرحنا موقفنا ليس لدي ضمانات ان اسرائيل لا تستخدم فمن يضمن ذلك .

اذا قلت لي ان هناك ضمانات غير النزع الشامل لهذه الاسلحة فأنا اطمئن على كل حال في اي وقت من الأوقات عندما نسعى الى تحقيق سلام شامل ودائم في المنطقة فإن موقف العراق سيكون واضحاً وهو انه يرغب بازالة كل اسلحة الدمار الشامل وان تكون هناك ضمانات ملموسة كما تفعلون الآن انتم والاتحاد السوفياتي .

أما حول الفرصة الذهبية للقضية الفلسطينية فقد شرحت لك شعور الفلسطينيين هم يعرفون مصلحتهم هذا شعب معذب قاسى الكثير خلال الخمسين سنة الماضية وهو يعرف ما هي مصلحته لديه غريزته التي تدله على ذلك وفي نفس الوقت فإن القيادة الفلسطينية قيادة ذكية وهي تعرف من الذي يعبر عن مصلحتها ومن الذي لا يعبر عنها .

وحول تهديدنا لمصالحكم انت ترى في وجودك العسكري في المنطقة حماية لمصالحكم مقابل تهديدنا انا اقول لك ليست لدينا الرغبة في تهديد مصالحكم هذا هو موقفنا جربنا في مرة سابقة قلت اننا لا نصدق بأنكم فعلتم ما فعلتم في ٢ آب حول قضية فلسطين وانا أقول مرة ثانية جربنا ضعونا في التجربة .

ما هي الاعتبارات التي لديك والمخاوف والشكوك .

قال بيكر انا سأختبرك الآن لدينا شكوك كثيرة نتيجة لما عملتموه في الكويت نتيجة رفضكم المستمر الالتزام بقرارات الأمم المتحدة تستطيع ان تتغلب على هذا ليس فقط مع الولايات المتحدة ولكن مع بقية المجتمع الدولي عن طريق الالتزام بهذه القرارات وارجوك ان تعتبر نفسك مختبراً هذا طلب يأتي قبل ستة ايام من الميعاد النهائي الذي قرره قرار الأمم المتحدة الذي لا تقبلونه .

ولكن اقول لك بنفس الصراحة بأن هذا التاريخ حقيقي جداً في عيون المجتمع الدولي اعتبر نفسك مختبراً في هذا الطلب وهذا سيسمح للعراق بأن يعيد نفسه للمجتمع الدولي وينهي التهديد الأكبر لامتكم وهو لا يمس القضية الفلسطينية ولا اسرائيل ولكن حقيقة انكم تستمرون على استحواذكم على جارة صغيرة في تحد للمجتمع الدولي الذي يقول لكم اتركوها . ارجوك صدقني اعتقد انه جيد عقد هذا الاجتماع بيننا .

لا اعتقد ان اي شخص في العالم سوف يقبل طرحكم حول دخولكم الكويت لا اعرف اي شخص في العالم بما فيه من يقول انهم حلفاء لكم من يقول انه دفاع عن النفس لذلك لن اكون اميناً اذا قلت اننا نرفض هذا لأنه لا يتضمن اية حجة انا لا اضع معتقداتك عرضة للتساؤل هنا ولكن هذا لن يجدي مع بقية العالم .

وحول الفرصة الذهبية حول النظام العالمي الذي قلتم انكم تريدون ان يكون موجوداً هذا ليس نظاماً تخلق فيه الفرص نتيجة العدوان هذا ليس النظام العالمي الذي نريده .

ودعني اقول انا اسف لأن هناك خلافاً في الرأي تجاه الحقائق حول القضية الفلسطينية والاراضي المحتلة .

حول موضوع احداث ١٩٦٧ طلب بيكر من السفير روس عضو الوفد الامريكي اذا عاد الشخص الى عام ١٩٦٧ ونظر الى تتابع الاحداث يجد ان الرئيس ناصر طلب من الأمم المتحدة ان تزيل قواتها من سيناء هذه

القوات كانت مصر قد طلبتها عام ١٩٥٧ وعندما استجابت الأمم المتحدة لهذا الطلب فإن مصر لم تحرك قـوات كبرى الى سينـاء فقط ولكنها اغلقت مضائق تيران وبالاضافة لذلك فإن المصريين حركوا خمس فرق الى الحدود .

قال عزيز في داخل حدودهم .

قال روس ولكن تجاه دولة لها مساحة صغيـرة وفي نفس الوقت فـإن وزير الدفاع المصري قال ان هذه القوات سترمي بكل اليهود الى البحر وفي هذه الظروف اسرائيل لم تنتظر وفي نفس الوقت قالت للاردن ابتعـدوا عن هذا النزاع لكن النار فتحت من الجزء الأردني في القدس وبعد هـذا ردت اسرائيل .

قال عزيز اذن النظرية التي استنتجها من كلام السيد روس انه عندما يكون هناك تهديد او استفزاز فإن هذا يعطي الحق للدولة ان تتصرف حتى بالعمل العسكري . . سيادة الوزير انت رجل قانون وانت تعرف ما يسمى بـالحكم الغيابي انت تتحـدث عن قرارات مجلس الأمن عبـر خمسين عاما. العرب لم تكن لديهم مشاكل مع مجلس الأمن والعراق قبل كل القرارات عن مجلس الأمن حول النزاع العراقي الايراني قبل القرارات عندما كـان قويـاً وقبـل القرارات كـان يبدو لـلآخرين انـه ضعيف وبقي ملتزمـاً بها وهـذه القرارات شاركنا فيها وقدمنا افكـارنا وتنـاقشنا مـع اعضاء المجلس بشـأنه وعنـدما صـدرت قبلناهـا . الايرانيـون كانـوا هم الذين يـرفضون لنـأخذ القرارات التي صدرت بعد احداث ٢ آب بعد ساعات من الاحداث السفير الامريكي بيكر ذهب واخـذ سفير النـظام الكويتي الى مجلس الامن وقـدم مشروع قرار الى المجلس ممثلنا الدائم لم يكن في نيويورك كان في طريقه الى بغداد في اجازة حضر الاجتماع نائب الممثـل الدائم لم ادع انـا للاجتمـاع لالقاء بيان وقفز المجلس فوراً الى الفصل السابع لأول مرة في تاريخ الأمم المتحدة .

ومن وجهة النظر القانونية الشكلية في ذلـك الوقت الـوضع كـان في المنطقة كما يأتي .

قوات دولة اجتازت اراضي دولة اخرى نعم هذا صحيح ولكن هذا حصل في السابق عشرات المرات والمجلس لم يلجأ الى الفصل السابع من الساعات الأولى للازمة ولم يحصل ان مجلس الأمن ناقش مسألة دولتين من دون ان يدعو وزير خارجية الدولة المعنية للادلاء برأيه لماذا جرى ذلك . . .

قال بيكر نتيجة عملكم يا سيادة الوزير .

قال عزيز . . انتم لديكم تفسيركم ونحن لدينا تفسيرنا وصدرت بحقكم ادانات كثيرة حتى من قبل حلفائكم الحاليين ولكن بالطبع انتم لديكم حق الفيتو لذلك لا يستطيع احد ان يصدر قرارات ضدكم وعلى كل الذي حصل قد حصل هل يمكن ان يصدر قرار دون الاستماع الى الدولة المعنية .اذن هذا قرار صدر بحكم غيابي .

اذا اتهم مواطن امريكي بتهمة وعقدت محكمة لمحاكمته ولم يدع للمحكمة ولم يأت بمحام قدير مثلك ليدافع عنه فإن هذا الحكم يكون باطلا ومن حق هذا المواطن ان يستأنف هذا الحكم وما ينطبق على الافراد ينطبق على الدول .

- قال وزير الخارجية العراقي - القرار ٢٤٢ كان بالتفاوض كان هناك وزير خارجية مصر والاردن وسوريا واسرائيل والاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة كلهم عملوا لأسابيع لصياغة القرار ولكن القرار ٦٦٠ لم يصدر هكذا قلت انكم رفضتم اعادة التفاوض حول القرار ٥٩٨ ولكن القرار ٥٩٨ بُديء العمل بشأنه في كانون الثاني ١٩٨٧ واقر في ٢٠ تموز ١٩٨٧ اي سبعة اشهر من النقاش بين العواصم وبين الممثلين زرت واشنطن وموسكو وباريس الخ والايرانيون كانوا يناقشون القرار بشكل غير مباشر اذن هذا قرار يكتسب مصداقية وقد خضع لمناقشة واعتبارات كل الاطراف نحن في ٢ آب اعلنا اننا سنبدأ عملية انسحاب انتم قلتم هذا كذب وغير صحيح .

قال بيكر ونتج في النهاية انه لم يكن صادقاً .

- قال عزيز ولكننا قلنا هذا الكلام وقدمنا بعض الشواهد ولكن انتم قلتم هذا غير صحيح وليس الأمم المتحدة .

القرار الثاني صدر بعد بضعة ايام من القرار الأول نحن ليس لدينا مشكلة مع مجلس الأمن كمؤسسة قائمة على حفظ السلام على أساس العدالة والانصاف اذا تصرف بهذا الشكل واذا تعامل مع جميع الاطراف بعدالة واذا سمح لهم بحضور المحكمة والدفاع عن انفسهم والاتيان بشهود .

قال بيكر هذه مجادلة قانونية عقيمة اولاً عندما انضممنا الى الأمم المتحدة كلنا وقعنا على اجراءات مجلس الامن واجراءات مجلس الامن تمت متابعتها في كل القرارات التي صدرت عنه ، القرار الأول تم تبنيه في وقت قصير وانت على حق والسبب لأن العالم كان وما يزال مذهولاً نتيجة فعلتكم وانتم قلتم ستنسحبون ونحن قلنا لن ينسحبوا وكنا على صواب وبعد ذلك قلتم اننا ادعينا ولم يصدق هذا احد انذاك ولم يصدقه احد الآن وفي الواقع سقطت كل هذه الادعاءات .

اذن لا يمكن ان تعمل على نظام عالمي جديد بمؤسسة مسؤولة عن سلام العالم ونعمل على اساس ان الدول ستعمل على قاعدة ان الدول ستختار وتحترم القرارات التي يحبونها ان نائب ممثلكم الدائم كان هناك وبصراحة ان العالم يؤمن بأن ما فعلتموه في الكويت يبرر اتخاذ هذا القرار ولذلك كان التصويت عليه لقد كانت هناك مناقشة في الجمعية العامة حيث صوتت كل دول العالم في اتجاه والعراق فقط في اتجاه اخر والعراق كان ممثلاً هناك وشارك في هذا النقاش الاجتماعات على مستوى وزير الخارجية انت دعيت لكي تحضر وانت اخترت ألا تحضر .

- قال عزيز اني لم اتسلم اية دعوة .

قال بيكر انت كنت ممثلاً من قبل ممثلكم الدائم والسبب في رفض الموافقة على طائرتك هو لأن العراق كان يحتجز رهائن مدنيين ودبلوماسيين انتهاكاً لجميع القوانين الدولية ولا اعتقد ان هذا السلوك يساعد موقفكم هذا اصبح في ذمة الماضي ولكن لا استطيع ان اتجادل معك لساعات ولا اثير هذا .

ـ قال عزيز انا وزير خارجية وكنت اريد الذهاب للأمم المتحدة التي مقرها في بلدكم قلت اريد ان اتي بطائرة خاصة وفي كل زياراتي السابقة كنت استعمل طائرة خاصة .

قال بيكر ليس لدينا اعتراض ولكن عندما تحتجزون مدنيين امريكيين ضد رغبتهم فيبدو من الصعب محاولة ارضائكم او ارضاء دبلوماسييكم .

ـ قال عزيز افهم ما تقوله ولكنني ممثل دولة مدعوة لحضور اجتماعات الجمعية العامة وانتم ملتزمون بموجب اتفاقية المقر .

قال بيكر نعم نقدم سمة الدخول وليس تقديم الخدمات ولكي لا نخرج بخلاف حول هذا الأمر فالسبب كما قلت كان احتجازكم رهائن ابرياء كدروع بشرية .

ـ قال عزيز في العام الماضي اضطررنا لعقد الجمعية العامة في جنيف .

قال بيكر عرفات لا يمثل دولة عضواً في الأمم المتحدة وهو ايضاً لم يقدم طلباً رسمياً للحصول على سمة .

ـ قال عزيز لقد اعلنتم انكم لن تعطوه السمة .

قال بيكر هذا ليس صحيحاً كما ان الموضوع حصل في الادارة السابقة وكنت حينها مواطناً عادياً .

ـ قال عزيز اننا نتحدث عن التزامات الولايات المتحدة وليس عن هذه الادارة او تلك .

قال بيكر ولكننا ملتزمون بالتزاماتنا القانونية اضافة اريد ان اسألك هل رأيت تقرير منظمة العفو الدولية حول احتلالكم للكويت .

ـ قال عزيز : هذا التقرير مليء بالافتراءات انا اعرف ان بعض الاحداث قد وقعت هناك في المدينة بسبب التغيير الذي حصل ووجود عدد كبير من الأجانب وهذا يحصل عندكم عند انقطاع القوة الكهربائية تماماً

الذي حصل في نيويورك ليلة واحدة عام ١٩٧٧ حصلت اعمال قتل ونهب وانتم بلد متحضر فكيف اذا ما حصل تغير في السلطة في منطقة سكانها في ذلك الوقت اقل من ربع الاجانب .

ان الكويتي الذي يملك قصراً جميلاً ومليئاً بالتحف ترك خادماً هندياً وذهب يصيف بالرفييرا الفرنسية وتغيرت السلطة فالهندي يستطيع ان يأخذ ما يشاء .

قال بيكر هل تعتقد ان الهنود هم الذين فعلوا تلك الأعمال .

ـ قال عزيز ان العراقي الذي فعل عملاً من هذا النوع اعدم علناً وقد اعدمنا ضباطاً انتم لديكم انتقادات كثيرة لنظامنا ولكن ليس من بينها تساهلنا في السرقة .

قال بيكر ان التقرير وثيقة درامية شديدة منظمة العفو الدولية منظمة مسؤولة عبر منظمة لطرف معين وكما قلت اننا نتابع الموقف خلال الشهور السابقة ولم نر ان هناك اي عمل تأديبي تجاه العساكر وسيكون مفيداً لو كلفتم شخصاً لكي يحضر لكم هذا التقرير الذي يفضح بشدة اعمالكم في الكويت .

ـ قال عزيز هل تعرف انه في النظام السابق للكويت هناك ثلاث درجات للمواطنة مثل ما موجود في جنوب افريقيا التي يطبق العالم المتحضر العقوبات عليها ولكن منظمة العفو الدولية لم تشر الى ذلك في تقاريرها ومن المؤسف انكم ترسلون ابناءكم كامة ديمقراطية للدفاع عن نظام من هذا النوع .

قال بيكر النقطة الاساسية هي مبدأ عدم مكافأة العدوان غير المستفز وهي في غاية الأهمية ونحن لا نستطيع ان نجلس صامتين ونرى تغييراً سياسياً نتيجة العدوان وبغض النظر فيما اذا احببنا النظام السابق لهذه الدولة الصغيرة ام لا فالقضية هي ان احداث تغيير سياسي يتم من خلال الحوار والتفاوض وليس من خلال العدوان .

- قال عزيز : مسألة الاستفزاز شرحتها ولدي وثائق منشورة وفي المرة القادمة عندما نتناقش حول هذا الموضوع سأطلب من السيد روس ان ينضم الى وفدنا لأن النظرية التي اعتمدها في شرح احداث ٦٧ تسمح للدولة عندما تشعر في خطر ان تتصرف بالطريقة التي تراها هي ملائمة ومع ذلك اذا كان الموضوع موضوع نزاع قانوني فنحن مستعدون للدخول في مثل هذه المناقشة .

لم تتح لنا فرصة للحديث معكم إلا هذا اليوم ولا مع حلفائكم وخاصة في اوروبا تحدثنا فقط مع اثنين من الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن السوفييتي والصيني ولم تتح لنا فرصة حضور مجلس الأمن في اليوم الأول لنعرض قضيتنا طبعاً عندما نعرض قضيتنا لا يعني هذا بالضرورة ان يقتنع بها الآخرون ولكن على الأقل نعطي الفرصة وفي النهاية ومهما كانت الخلافات بيننا حول تاريخ احداث المنطقة خلال العشرين او الاربعين سنة الماضية فنحن مستعدون كما قلت لك واؤكد ذلك بالقبول بحكم المشروعية الدولية وقواعد العدل والانصاف عندما تطبق على جميع الحالات وبمشاركتنا ومشاركة الاطراف المعنية حيث تتاح لنا فرصة لعرض قضيتنا كما تتاح للآخرين الفرصة لعرض قضيتهم بأسلوب منصف وعادل يشعرنا اننا لا نعامل بمعايير مزدوجة وحسب هذه المبادىء والقواعد نحن مستعدون للعمل معكم ومع الآخرين لاقامة السلام العادل والدائم في المنطقة والمشاركة في بناء النظام الدولي الجديد .

قال بيكر دعني اعود لما قلته هذا الصباح عندما قلت انني انتقل من الجانب المظلم من العرض الى الجانب المشرق دعني اؤكد لن تكون هناك اية مفاوضات بالنسبة لهذه القرارات سواء اتفقت على اتخاذها ام لا فإن المجتمع الدولي مؤمن بهذا انا استمعت باهتمام شديد لما ذكرته وانا اقدر نغمة ما قلته وارجو ان يكون الشيء نفسه من قبلك استمعت باهتمام لتقديرك لما يحدث اذا حدث صراع واذا سمحت لي في روح الابلاغ وليس التهديد اود ان اقول كلمة اخرى تجاه هذه النقطة .

اعرف انه نتيجة خبرتكم في الحرب مع ايران تعرفون التكلفة في الحرب واشك في قناعتكم بهذه القضية او تقديركم لما ستواجهونه هذا اعتقادكم ولكن دعني اضيف ارجوك ألا تجعلوا قادتكم العسكريين يقنعونكم بأن الاستراتيجية التي استخدمت ضد ايران ستنجح هنا وانا اقصد المجتمع الدولي انكم في الحقيقة ستواجهون قوة مختلفة تماما نحن سمعنا تصريحاتكم انه لو جرى هناك صراع ستكون هنا اصابات كثيرة ولكن في اعتقادنا هذا لن يحدث اعتقد انه من المهم جداً وهذا ليس تهديداً ولكن فقط لتبليغكم ما هو اعتقادنا انه بسبب تفوق قوات المجتمع الدولي هناك فنحن من سيحدد شروط اي صراع وليس انتم وانا لا اقول هذا لأعني بأنكم لا تقدرون التكاليف الكبيرة للحرب او اننا لا نقدر،انا اقدر انكم تقدرون ذلك ولكن يجب على من يقوم بحساباته ان يجري ذلك على اكبر قاعدة ممكنة من المعلومات .

اعرف انك لا تريد ان تجيب على ما قلته ولكننا انجزنا محادثة جادة جداً نحن هنا بنية حسنة ونسعى الى حل سلمي لهذه الأزمة بالرغم من اني اعرف انك لا تتفق على هذه النقطة بالنسبة لنا وبالنسبة لشركائنا في التحالف ان منتصف ليلة ١٥/١ هو تاريخ حقيقي جداً الوقت بدأ ينقضي في منتصف ليلة ١٥/١ وهو ستة أيام على مهلة او تأجيل سواء اخترت ان تصدقنا أو لا فهذا شأنكم .

اضاف بيكر هناك نقطتان اخريان اريد ذكرهما وسأقولهما لمجرد التثبيت انت ذكرت بنها وامل ان تلاحظوا مدى السرعة التي خرجنا بها من بنها انا اقترحها عليكم كمثال الشيء الثاني اذا كان ممكنا كزميل دبلوماسي الحصول على تأكيدك الشخصي بأن جو ولسن القائم بالأعمال في بغداد والدبلوماسيين الاربعة الاخرين يستطيعون ان يغادروا بغداد دون اي تأجيل او تأخير او قيود .

- قال عزيز : سيادة الوزير لقد اشرتم في حديثكم الأخير الى الفوارق بين الحرب مع ايران وبين ما يمكن ان نواجهه في حالة قيامكم

بالعمل العسكري ضدنا لقد عالجت هذا الموضوع في السابق ولا بأس من العودة اليه من اجل الايضاح ان العسكريين في بلادنا رجال شجعان ولكنهم ليسوا متهورين ولهم خبرة طويلة في الحرب ولهم خبرة طويلة في معرفة كفاءة كل سلاح من اسلحة الحرب سواء كان الأسلحة الجوية او البرية او البحرية وهم يتابعون تحشداتكم بشكل دقيق ولديهم دراسات صحيحة عن اسلحتكم اعرف ان المواجهة بيننا وبين ايران تختلف عن المواجهة التي تنوون القيام بها نحن نعرف هذا ولكن الحرب مع ايران لم تكن نزهة كانت حرباً صعبة جداً بكل ما تعنيه الكلمة بجوانبها العسكرية وبجوانبها السياسية والنفسية ومع ذلك تحملنا وخرجنا منها منتصرين نحن لسنا الذين نحكم على مقدار تحملكم لنتائج الحرب واعتقد انه ليس من الصواب من جانبكم ان تحكموا على تحملنا لنتائج الحرب نحن لدينا خبرتنا ولدينا تقديرنا والأهم من هذا نعرف عزمنا نحن نشعر بأننا مظلومون هذا هو شعورنا وعندما يكون هناك مثل هذا الشعور لدى شعب وعندما تفرض عليه الحرب فهو سيقاتل نعم انتم قوة كبيرة ومعكم امكانيات دول اخرى ولكن لا تشكوا اطلاقاً بعزم شعبنا على الصمود ونحن نعيش في منطقة مترابطة بمشاعرها وفي تاريخها وهذا يخلق تعقيدات كبيرة جداً في حالة نشوب حرب بين بلد عربي مسلم وبين قوة اجنبية مثل الولايات المتحدة .

قال بيكر ستحاربون قوى عربية

ـ قال عزيز اعرف ان هناك قوات تابعة لدول عربية ولكن بروح الصراحة التي سادت اجتماعنا هذا انت قدمت لي بعض المعلومات على شكل نصائح وانا سأسمح لنفسي ان اقدم بعض التقديرات على شكل نصائح عندما تنشب الحرب بين بلد عربي ومسلم وقوى اجنبية مثل الولايات المتحدة وبريطانيا واخرين فإن المقاتلين لن يتذكروا انهم يقاتلون من اجل قرارات الأمم المتحدة هذا اهتمام جدي في زمن السلم وخاصة بين السياسيين والدبلوماسيين والقانونيين ولكن عندما يدخل الناس في معركة وتشتعل النيران وتسيل الدماء فإن الناس تعود الى اصولها واحياناً تتصرف

بدافع الغريزة وانا اتحدث هنا عن تجربة قريبة نحن كنا في حرب قبل سنتين ونصف ولدينا تجربة مباشرة لذلك فإن الحشد الذي جمعتموه لن يلغي الحقيقة الكبيرة من ان الحرب ستكون بين العراق والولايات المتحدة صحيح هناك بريطانيون ولكن عددهم قليل وفرنسيون اقل والآخرون اقل اما المصريون والسوريون وغيرهم من العرب والمسلمين فقد تقول لكم قياداتهم بأنهم سيشاركون معكم ولكن في منطقتنا الجندي لا يقاتل بالاوامر وانما يقاتل بدافع الاقتناع انتم دول مؤسسة منذ فترة طويلة جداً انتم منذ مائتي سنة بريطانية دولة قديمة ربما هناك نظام في الحرب بحيث ان الجندي يقاتل سواء أكان مقتنعاً سياسياً أم لا ولكن في منطقتنا الأمر يختلف وتجارب الماضي تؤكد ذلك واقول لك ايضاً بصدق بسبب خلفية علاقاتكم مع اسرائيل واذا ما قمتم بعمل عسكري ضد بلد عربي فإن الشعور ضدكم سيكون معادياً في المنطقة وفي كثير من البلدان الاسلامية وفي الجانب العسكري الصرف صحيح اننا لسنا قوة عظمى ولم ندع اطلاقاً مثل هذه المكانة فنحن نعرف حجمنا تماماً ولكننا نملك قوة مهمة وهذه موجودة على ارضنا نقاتل على ارضنا .

قال بيكر هل تضع الكويت في هذا التعريف !

ـ قال وزير الخارجية انت لم تقطع هذه المسافات على سيارة هذه المناطق متشابهة من حيث الطبيعة من الناحية الجغرافية هناك حوض دجلة والفرات ثم جنوبه في العراق والسعودية هناك ما يشبه الصحراء وبعض الاجزاء صحراء ارضنا ليست صحراء تماماً بالمعنى الحرفي للصحراء فعندما يسقط المطر ينمو العشب ولكن بسبب نقصان المياه فهي تبدو وكأنها صحراء لذلك سيادة الوزير نحن لا نريد الحرب ولكننا لا نخشى الحرب بكل ما تعنيه من اسلحة وامكانيات كالتي لديكم واقول هذا ليس بدافع الغرور واقوله لسببين الأول حاولت ان اشرحه لك وسأعيده باختصار نحن نعيش الحرب وتهديدات الحرب منذ عشرات السنين ومنطقتنا تعيش حالة تكاد تكون حالة احباط ويأس من المستقبل وشعور الناس ازاء الحياة شعور قدري

وكـذلك ازاء المـوت جانب منـه بسبب العقيـدة الـدينية سـواء المسلمين او المسيحيين لأنهم يؤمنون بالجنة وان هناك حياة اخرى أفضل من هذه الحياة وهذا موجود في الانجيل وفي القرآن والناس عنـدنا يـأخذون هـذا بجديـة وكحقيقة انسانية عندما لا يجد الانسان حياة مرضية في الارض فـإن الموت يهون بالنسبة له هذه حقيقة انسانية والحقائق الانسانيـة نسبية حينـما توجـد امكانية لحياة افضل فالتعلق بالحياة يكون اشد ونحن كنا نموت خلال العقود المـاضية بسبب النـزاعات المـوجودة في المـنطقـة واسـاسـاً الصـراع العـربي الاسرائيلي نموت على أقساط .

وكما شرحت لك الوضع في عام ١٩٩٠ وكنت مخلصاً في شرحي كان الشعور في بلادنا وفي المنطقة اننا مقبلون على دورة موت جديدة بسبب مـا شرحته لك من تهديدات اسرائيلية والوضع المأسـاوي في الأراضي المحتلة والحالة التي وضع فيها العراق لكل هذه العوامل هناك شعور بالاطمئنان اذا الحـرب وقعت فـإنها قـدر يمـوت من يمـوت ويبقى من يبقى ومن النـاحيـة السياسية لم يحصل في تاريخ المنطقة ان نظاماً سياسياً دخل في معـركة مـع اسرائيل او مع الولايات المتحدة وخسر سياسياً خذ تجربة عبد النـاصر عام ١٩٦٧ هزم هزيمة عسكرية كبيرة وغير مبررة نحن نعرف كعرب نعرف انها غير مبررة واستقـال ولكن الجماهـير اعادتـه الى السلطة وعندمـا غاب عن المسرح لم يكن ذلك نتيجة انقلاب سيـاسي او ثورة لقـد مات ميتـة طبيعية وهذه حقيقة يجب ان تؤخذ بالاعتبار نحن نرغب في نية ان نصل الى حـل سلمي ولكننا نعتقد بعمق ولا يمكن زعزعة هذا الاعتقاد بأي شكل انه لا يمكن تحقيق سلام في المنطقة اذا لم تحل القضية الفلسطينية هناك سؤال هل حل المشكلة الحالية سيؤدي الى السلام .

قال بيكر ان حل هذه المشكلة لا يمكن ان يحقق السلام بين العـرب واسرائيل ولكن يستطيع ان يمنع حرباً مدمرة وحرباً ستكون مدمرة اسـاساً لشعب العراق .

ـ قال عزيز قبل سنـوات كنا في حـرب مع ايـران انتهت الحرب ولم

نحصل على السلام انت قلت لي انه يمكنكم ان تبذلوا جهوداً اضافية في حالة حل هذه المشكلة لحل النزاع العربي الاسرائيلي وذكرت ان الجهود التي بذلتها شخصياً انا اقول لك بصدق نحن لا نثق بهذه الوعود وارجو ألا تعتبر هذا نوعاً من الكلام المسيء هذا هو شعور العراقيين والفلسطينيين .

قال بيكر اولاً دعني اقل انه ليس وعداً .

ـ قال عزيز انت اشرت الى خطاب الرئيس بوش في الجمعية العامة .

قال بيكر أنني لا اقترح عملاً خاصاً في هذا الصدد لاستجابتكم لقرارات الأمم المتحدة انا فقط كنت اوضح موقف الولايات المتحدة .

ـ قال عزيز ولكن هذا ما نسمعه من مصادر مختلفة منذ حصلت الاحداث الاخيرة انتم زرتم المنطقة مرات عديدة ولكن لا اذكر انك زرت المنطقة قبل ٢ آب وبالنسبة لبلادنا لم يزرنا سوى السيد كيلي .

قال بيكر لقد ذهبت الى المنطقة مرات عديدة للمالية لقد كانت لدينا اشياء كثيرة مهمة مثل وحدة المانيا والعلاقات مع الاتحاد السوفييتي .

ـ قال عزيز اعرف كنتم دائماً مشغولين وقضايانا تأتي في آخر القائمة وفي حديثي عن الحوار بين اسرائيل والفلسطينيين وهذه النقطة قضيت الكثير من وقتي بشأنها وقد اقتربنا كثيراً وان لم نحقق النجاح من الواضح ان هذه القضية احدى المشاكل الكبرى في المنطقة .

ـ قال عزيز ـ انا لدي فهم آخر ولدي اسبابي . الفلسطينيون كانوا يبلغوننا اولاً بأول ونعرف ما كان يقال ويعمل وكان تقديرنا ان ما يجري لا يحل القضية الفلسطينية على أساس عادل وإنما هو مجرد كسب للوقت وذلك في الوقت الذي تستمر فيه اسرائيل في الاحتلال وفي اقامة المستوطنات وتنظيم هجرة اليهود السوفييت .

قال بيكر ـ اني لم ادخل في هذه الجهود لأكسب وقتاً ، ولربما كنت وحيداً ولكني قلت لم يكن هذا سبب بذل جهودي .

ـ قال عزيز ـ اني لا أتحدث عن النيات ، ولكن عن النتائج لقد قلت ان تاريخ ١٥/١ هو حقيقي ، ونحن لم نجادل في هذا ، ولكننا قلنا اننا لم نعترف بالقرار الأخير لمجلس الأمن ، وكذلك القرارات الأخرى لأنها ظالمة ومجحفة وانها صدرت كأحكام غيابية ، ضد بلد مستقل هو العراق ، لذلك فالتعامل مع هذا التاريخ هو امر متروك لكم . وأقول لك بالنسبة لنا ، الأمر لم يتغير ، انا قلت لكم منذ بداية الأحداث ونحن نتوقع العمل العسكري ، وقبل صدور القرار الاخير من مجلس الأمن انتم والسيدة تاتشر كنتم تقولون ان المادة ٥١ من الميثاق كافية لعمل عسكري ، وكنا نأخذ هذه التصريحات على محمل الجد .

الآن انا مسرور ان هذا اللقاء قد تم ، صحيح ان الخلافات عميقة بيننا ولكننا استطعنا تبادل وجهات النظر ، ولو حصل هذا في وقت مبكر ، ربما كنا حصلنا على نتائج افضل ، الآن انتم تضعون موعداً نهائياً .

قال بيكر ـ المجتمع الدولي ، قال هذا منذ خمسة واربعين يوماً .

ـ قال عزيز ـ المهم هناك تاريخ تشيرون اليه ، والوقت المتبقي قصير جداً ولو اننا فكرنا في عملية دبلوماسية جديدة ، فإن الوقت لا يسمح بمثل هذه العملية ، انا لا ادري ماذا يعني هذا الموعد بالنسبة لكم ، اذا كنتم تعنون ان بعده يمكن ان تشنوا الحرب ، طبعاً باستطاعتكم ان تفعلوا ذلك ، ولكن اذا كنتم مهتمين بالمزيد من المحادثات ، فيمكن ان تكون هناك محادثات ، وعندما تلمسون انكم في وضع يدفعكم للقيام بالحرب يكون الأمر متروكاً لكم .

انا لدي اقتراح ، سبق للرئيس بوش ان اقترح ان ازور واشنطن ، وان تزور انت بغداد ، ونحن وافقنا على هذا الاقتراح ، واختلفنا على المواعيد انا اقترح كما اقترح بوش ، ان اقوم انا بزيارة واشنطن ، واذا حددت لي موعداً فيمكن ان نتفق عليه ، وان تقوم انت بزيارة الى بغداد ، انا شخصياً يهمني ان التقي مع الرئيس بوش ، لكي انقل انطباعاتي عن اللقاء الى رئيسي ، وان رئيسي لا يعرف الرئيس بوش ، وكذلك الرئيس

بوش لا يعرف رئيسي ، وكل واحد يسمع عن الآخر من مصـادر مختلفة ، بعضها يمكن ان يكون مغرضاً ، وستتاح لك الفرصة لمعرفة الرئيس صدام حسين ، وان تنقل انطباعاتك المباشرة الى رئيسك ، واعتقد ان مثل هذه العملية ، في تصوري ، يمكن ان تكون مفيدة هذا مقترح من جانبنا واترك الموضوع لكم .

قال بيكر ـ هذا اول اقتراح من جانبكم من اجل محادثات مباشرة ، ويأتي قبل ستة ايام ، لما نقول انه تاريخ حقيقي ونهائي ، عندما قدم الرئيس بوش اقتراحه ، كنا على استعداد لاستقبالك في السابع عشر من كانون الأول ، وطلبنا منكم فقط ان تحددوا ميعاداً لزيارتي الى بغداد ، واقترحنا ان تختاروا اياً من خمسة عشر يوماً ، ولكنكم اصررتم بأن تاريخاً واحداً مقبولاً وهو يقع ٧٢ ساعة فقط قبل انتهاء الميعاد النهائي ، وقلنا ذلك في السابق وأقوله الآن ، انكم اخترتم هذا التاريخ للتلاعب بالميعاد النهائي ، والرئيس بوش ، قال دعني اقول لك ، انه بعد انسحابكم من الكويت ، واعادة الحكومة الشرعية للكويت سيسعدني ان اتي الى بغداد .

انا احب ان احصل منك على جواب بالنسبة الى جو ولسن والدبلوماسيين الأربعة الآخرين ، اننا قلنا في مناسبات عديدة قبل العشرين من كانون الأول ان يوافق العراق على اي من التواريخ الخمسة عشرة ، بدلاً من ان تتلاعبوا بما يؤمن المجتمع الدولي بأنه تاريخ نهائي وحقيقي .

ـ قال عزيز ـ نحن حقيقة لم نفهم موقفكم من مسألة المواعيد ، انتم اقترحتم زيارة الى واشنطن والى بغداد ، والرئيس بوش اقترح ان تكون زيارتي في النصف الثاني من الاسبوع الذي يبدأ في العاشر من كانون الأول ، نحن جلسنا انا وزملائي في الوزارة ، لنبحث الموعد في ضوء هذا المقترح ، وجدنا ان النصف الثاني من ذلك الاسبوع يقع يوم الاربعاء او الخميس .

قال بيكر ـ اي يوم من الثلاثاء الى الجمعة كان ملائماً فقط كنت انتظر عودتي من تكساس .

- قال عزيز - اذا ذهبنا الاربعاء سيكون شامير في واشنطن . شيفاردنادزة هناك ايضاً ، وستكونون منشغلين ، وأنا لا اريد ان اكون في واشنطن في الفترة التي يكون فيها شامير .

قال بيكر - قلنا حسناً تعالوا يوم السابع عشر .

- قال عزيز - تعرفون السفر يحتاج الى نهار كامل وكذلك الحاجة للراحة من السفر ويتم اللقاء الجمعة بعدها يأتي السبت والأحد وكنت راغباً برؤية الناس لدينا اصدقاء اردنا الحديث معهم اقترحت الاثنين كي نذهب عطلة الاسبوع .

نحن اقترحنا يوم الثاني عشر لزيارتك وانتم زعلتم وقلتم هذا سيؤدي الى استغلال يوم الخامس عشر نحن لن نفهم كان بامكانك القدوم في الثاني عشر .

قال بيكر - كان من الممكن ان تروني في بغداد خلال خمسة عشر يوماً .

- قال عزيز - كان باستطاعتك القدوم في الثاني عشر .

قال بيكر - وكنا سنتحدث عن تأجيل التاريخ المحدد في الخامس عشر .

- قال عزيز - انت لم تأت ، وكان باستطاعتك عند عدم رؤية نتيجة ان تعود لواشنطن وتبدأون الحرب يوم ١٥ ثم اننا قلنا عبر صديقنا المشترك غينشر ، ان هناك قاعدة ان كل رئيس يحدد موعد استقبال الوزير الآخر ، واذا وافق الجانب الامريكي على المقترح فنحن على استعداد ان نحدد للسيد بيكر ، موعداً اقرب من يوم ١٢/١ .

قال بيكر - هذا لم ينقل لنا ، ولكن اذا اردت ان تبدو عملياً لماذا لم تقبل عرض الرئيس بوش .

ـ قال عزيز ـ المقترح الأول للرئيس بوش ، انه يرغب بارسال بيكر الى بغداد ، بين ١٥ كانون الأول ، و١٥ كانون الثاني .

قال بيكر ـ وذلك في وقت مناسب للجانبين ، ولم يكن مناسبا لكم ، إلا اليوم الثاني عشر ، ولم يكن مناسباً لي القدوم بعد اليوم الثالث ، رئيسكم استطاع ان يقابل محمد علي كلاي ، وكونالي وهيث ، ولكن الحقيقة ان لم يكن له وقت خلال خمسة عشر يوماً ليقابل الوزير بيكر ، انتم اخترتم ذلك لذا لا استطيع ان اتي الى بغداد .

ـ قال عزيز ـ ذكرت زيارات لبغدادٍ وهذه تمت بترتيب مسبق ، وقد انتظر بعضهم اياما ، وزيارتك تختلف ، انت تقابل الرئيس يوم وصولك او في اليوم التالي بعد استراحتك ، على كل هذا مقترحي ، نحن نرغب بمواصلة المباحثات ونرغب ان التقي مع الرئيس بوش ، وانت مع الرئيس صدام ، واذا كنتم اتخذتم قراراً بالحرب فبإمكانكم ان تنفذوا هذا القرار في أي وقت .

قال بيكر ـ اننا لم نأخذ هذا القرار ، ولا نريد ان نأخذ هذا القرار ، ولكن الحرب بدأت في ٢/٨ ، وما نحاول ان نقوم به ، هو ان نعكس هذا العدوان ضد دولة عربية صغيرة ، لقد مضت خمسة شهور ورأينا اثني عشر قراراً للأمم المتحدة لذا فالوقت للحديث بدأ ينقضي انه وقت لاجراء فعلي من قبل العراق لكي يستجيب لقرارات الأمم المتحدة .

قال عزيز ـ لدي سؤال ، لماذا لا تشجعون ما يسمى بالحل العربي ؟

قال بيكر ـ لا اعرف ما هو هذا ، توجد دول عربية تقول ان الحل هو قرارات الأمم المتحدة ، وانا لا اعرف اية دولة صوتت ضد هذا ، وكما قلت لا توجد دولة عربية لم تدن غزوكم للكويت ، قد يكون هناك متحالفون معكم بشكل آخر مثل السودان واليمن والى حد ما الاردن ، ولكن هؤلاء ايضاً ادانوا غزو الكويت فما هو الحل العربي .

اننا نعمل على حل دعمته ست من دول الخليج وسوريا ومصر

والمغرب وعدد كبير من الدول العربية ، تـريد تنفيـذ هذه القـرارات فماذا تقصد بالحل العربي ؟

ـ قال عزيز ـ اذا كنت تتحدث عن قرار قمة القـاهرة ، فهـذا قرار باطل شرعياً ، باستطاعتك ان تكلف مستشارك القانوني ، ان يدرس المادة السادسة من ميثاق الجامعة العربية ، هذه المادة تشترط الاجماع في اي قرار من النوع الذي صدر في ذلك الاجتماع ، وكثير من القادة العرب يعتبرون ما حصل في القـاهرة مهـزلة ، تسـأل ما هـو الحل العـربي ، هناك حلول عربية ، كان هناك وضع في لبنان ، وتم حل عربي لهـذا الوضـع ، واتفاق الطائف انتم ايدتموه ، اذن هناك تاريخ وتجارب سابقة تسمح بالتفكير بحل عربي ، اي ان يجتمع عدد محدود في البداية من القـادة العرب ، من بينهم العراق والسعودية ، ويفكرون بحلول ويمكن لهـذه الحلول ان تعرض عـلى الهيئة الدولية في المستقبل .

انا قابلت الرئيس اليمني ، بعد لقائك به في صنعاء ، وهو قال لي انه قال لك بأنكم تدخلتم في اجتمـاع الربـاط بين الملك الحسن والـرئيس بن جديد والملك حسين ، لمنع حصول تقدم ، وهكذا ماتت تلك المحـاولة ، الشائع في منطقتنا هو ان الولايات المتحدة تقف في وجـه مثل هـذا الحل ، ونحن نسأل هذا السؤال ، لماذا لا نجرب هذا الاسلوب ؟

قال بيكر ـ يمكن ان يكـون هناك حـل عربي ، العـراق يستطيـع ان ينسحب من الكويت بالطريقة التي طلبها المجتمع الدولي ، قال البعض ان الحل العربي كان قبل ٢ آب وانتم لم تقبلوا به ، ولكن كما قلت ان الغالبية من الدول العربية صوتـوا في الهيئة الـدولية ضـدكم ، وأيدوا تـطبيق هذه القرارات . وأضاف ولكن كيف تشرح ما تم في الجمعية العامة .

ـ قال عزيـز ـ اعرف كيف تمت هـذه التصويتـات ، واعرف ان مـا جرى ليس جدياً ، وهناك مـواقف عربيـة جيدة ، ونحن كنـا على اتصـال خلال الفترة الماضية مع عمان ، وعمان مع الحل العربي واليمن مـع الحل العربي ، وانت سمعته مباشرة ، والأردن مع الحل العربي ، وليبيا مع الحل

العربي ، وقد اقترح الرئيس الليبي لقاء بين رئيسي وبين الملك فهد ، تونس والسودان والجزائر مع الحل العربي ، والمغرب مع حل عربي وموريتانيا مع حل عربي وفلسطين مع حل عربي ، والعراق اذن الأغلبية مع الحل العربي .

وانا اعطيك بعض الوقائع ، الملك الحسن دعا لاجتماع عربي ، والملك الحسن دعاني للاجتماع مع سعود الفيصل في الرباط ، وتونس دعت رسمياً الى حل عربي من الذي عارض ؟

قال بيكر ـ انتم اساساً ، لأنكم قلتم لا ، الكويت لنا ، نحن ضممناها ، ولا نهتم بما تقوله الأمم المتحدة ، هذه هي المشكلة الرئيسية ، انا اسف لهذا الاختلاف ، وانا قلت لك اننا لم نتخذ قرارا ، ولكن هذا لا يعني ان يوم ١٥/١ ليس حقيقياً . انا اعرف انكم تتوقعون الاشياء منذ فترة طويلة ، لأنكم عندما تبدأ فعلاً عسكرياً ، تفترض ايضاً ، انك تتعرض لنفس الشيء ، لقد كنا واضحين جدا في فترة الخمسة والاربعين يوماً السابقة ، انه لن يكون هناك هجوم ، لأن ذلك لم يخول من قبل الأمم المتحدة ، لكن الوقت بدأ ينفد ، وقد يكون ما رمزت له سيحدث ، وهذا بدون شك شيء مؤسف ، ولكن هذا التاريخ النهائي بالنسبة لنا حقيقي ، وفي هذا التاريخ بعد ان جلستم لمدة خمسة شهور ، ورفضتم لفترة سبعة عشر يوماً ، ان تبادروا ، فنحن لن نتراجع ، نحن منفتحون وصريحون ، حول هوة النقطة ، وقلنا اي يوم من الخمسة عشر ، يكون مناسباً ، وقلنا نأمل ان يستغل العراق الفرصة ، واردنا تاريخا مناسبا لنا ، وانه يمكنك ان تأتي للولايات المتحدة في ١٢/١٧ ، الآن هذا تاريخ ، ولكن الرئيس ، قال انكم لم تأخذوا ، عرضه الأصلي ، لذلك لن يكون هناك سفر الى بغداد .

ـ قال عزيز ـ على كل حال هذا هو قراركم نحن نرغب باستمرار الحوار بيننا ، انا لا استطيع ان اتجاهل حقيقة كبيرة جدا وخطيرة جدا ، ان اللقاء الوحيد الذي جرى بيننا يجري في ظل التهديد بموعد معين .

قال بيكر ـ كان هذا حقيقة لمدة اربعين يوماً . .

ـ قال عزيز ـ حتى الاربعون يوماً لا ازعم الخبرة في تاريخ

الدبلوماسية ، ولكن لا توجد سابقة من هذا النـوع ، وهو ان تفكـر بحل سلمي لمسألة خطيرة في منطقة متفجرة ، تتداخل فيها المشاكل والمخـاطر ، ويقال ان عليك ان تعالج هذه المسألة خلال خمسة واربعين يوماً ، او خلال اثني عشر يوماً أو ستة ايام ، العمـل السياسي والـدبلوماسي لـه قواعـده ، ويجب ان تشعر الاطراف التي تقبل على العمل السياسي بأنها ليست مهددة وموضوعة تحت مطرقة ، ولكي تفكر بشكـل بناء تفكيـراً من النوع الـذي يفتـح افاقـا للمستقبل ، وليس بـاتخاذ قـرارات تحت الضغط ، هـذا ليس سلاماً هذا استسلام ، ونحن لن نقبل الاستسلام ، وشرحت لك الاسباب الجوهرية التي تدفعنا الى هذا .

نحن نريد سلاماً شاملاً ودائماً ، سلاماً قائـماً على العـدل والانصاف والمشروعية الدولية ، هذه هي رغبتنا المخلصة .

قال بيكر ـ لقد اخذ منكم يومين الذهاب الى الكويت ، ولقد مرت الآن خمسـة شهور ، نحن قمنـا بانجـاز اجتماع طـويل ومـركز ، واشكـر الفرصة التي اتاحت مناقشة هذه القضايا ، انـا اشعر بخيبـة امل ، لعـدم وجود طريقة لحل سلمي ، ولكن اذا اعتقدت ان الأمر سيأخذ فترة طويلة ، لمناقشة قضايا اخرى في المنطقة ، فنحن لن نربط هذه المشكلة معها ، نحن سنعمل لحل المشاكل الاخرى ، كما فعلنا في السابق وبشكل مكثف ، ولكن يجب ان نسـألك ان تحتـرم قرارات المـنظمة الـدوليـة ، وليس هنـاك شيء نستطيع ان تقوم به بهذا الصدد ما زلت لم احصل على اجابة بشأن قضية جو ولسن .

ـ قال عزيز ـ نحن سنطبق قواعد القانون الدولي في هذه المسألة .

قال بيكر ـ شكراً جزيلاً .

ـ قال عزيز ـ فيما يخص الربط اذا وقعت العمليات العسكـرية فـإن جميع الاطراف في المنطقة ستشترك فيها ، واذا اشتركت هذه الاطراف فبعد فترة من الزمن ستتوقف الحرب ، بعد سنة او سنتين او ستة اشهر ، انا لا اجـادل على الـزمن ، انتم تظنـون انها ستكون قصيـرة ، ونحن مصممون

وواثقون انها ستكون طويلة ، ولكن بعدها هل ستترك المنطقة بدون سلام ، هل ستترك لمزيد من الحروب اللاحقة ، اذا كان الجواب هو انه يجب ان يكون سلام في المنطقة ، فلا بد ان يجتمع المعنيون بالحرب ليصنعوا السلام ، فلماذا لا يفعلون ذلك اليوم .

قال بيكر ـ لماذا لم يقوموا بذلك لغاية ٣/١/١٩٩١ .

ـ قال عزيز ـ انا لا اقصد العراق والولايات المتحدة ، فقط وإنما اقول الاطراف التي ستشترك في الحرب ، من المؤكد ان هذه الاطراف الولايات المتحدة ، العراق ، السعودية واسرائيل .

قال بيكر ـ اذا استجبتم لقرارات مجلس الأمن ، فإن هناك الكثير الذي يمكن ان يحدث ، ولكن اذا لم تطبقوها ، واستمريتم بقول لا ، انها لنا وسنحتفظ بها ، فيجب ألا نتكلم بعد خمسة اشهر ونصف .

يمكن ان هذا لم يتم سابقاً لم اقم ببحث ، ولكن اقول انه لم يحدث سابقا اجماع دولي مثل هذا ، تستطيع ان تقول انها الولايات المتحدة فقط ، وقد يكون البعض يتحدث عن الربط ، ولكن هذا عدد قليل جدا ، ولا يمثلون ثقلاً ، وبصراحة لا توجد رغبة بهذا من قبل ٢٨ دولة ، الذين توجد لديهم قوات في المنطقة ، وحتى الذي سيقبلون الفكرة ، وعددهم قليل ، فإنهم سيكونون هناك وقواتهم هناك ، وسيكونون ملتزمين ، قد يكون هذا ليس له سابقة ، ولكن هناك اجماع دولي كبير ، واعتقد انكم منعزلون ، كما لم يحدث لدولة اخرى منذ زمن طويل .

اشكرك مرة اخرى لاعطائكم التأكيدات في قضية الدبلوماسيين التي طرحتها عليكم ، وأطلب انه يسمح لهم بمغادرة العراق في ١٢/١ .

ـ قال عزيز ـ حول موضوع الربط بين قضايا المنطقة ، انا سمعت اكثر من تصريح منك ، ومن الرئيس بوش ، بأننا لن نسمح باعطاء جائزة للعدوان ، كما وصفتموه ، وانكم لا تريدون ، اعطاء جائزة للرئيس صدام حسين ، نحن لم ننظر الى المسألة من زاوية الجوائز .

انت في الولايات المتحدة دولة كبيرة وقوية وغنية ، هنالك مشاكل في العالم تهتمون بها ، ولكن لم يحصل ان ضرب عاصمتكم بصاروخ ، او هاجمتها طائرة ، وكذلك مدنكم الأخرى كما حصل لبغداد والقاهرة ودمشق ، لذلك مسألة السلام بالنسبة لنا ، هي ليست مسألة جائزة ، مثلما يذهب احد الى استوكهولم ليتسلم جائزة نوبل ، هذه ليست المسألة المسألة لنا هي حياة او موت ، هل نعيش كأمة بكرامة ، ويكون لنا مستقبل ولأبنائنا ولاحفادنا ، ام يستمر الصراع والقتل فإذا ساهمت الولايات المتحدة في صناعة السلام الشامل والدائم في المنطقة ككل ، فلتكن الجائزة لها ، نحن سنكتفي بجائزة الحياة الكريمة وهناك مستقبل ابنائنا واحفادنا .

قال بيكر ـ اقول انكم تستطيعون ان تعيشوا بكرامة ، اذا وافقتم على تنفيذ القرارات ، ثم بعد هذا تكون المناقشات مع اي طرف تعتقدون انه مناسب ، ولكن لا نستطيع ان نضع شروطاً للاستجابة لقرارات الأمم المتحدة ، تتعلق بعوامل وقضايا اخرى .

ـ قال عزيز ـ ولكن تلك المشاكل فيها قرارات للأمم المتحدة .

قال بيكر ـ كما ذكرت قرارات حول الصراع العربي الاسرائيلي ، تتحدث عن حل عن طريق التفاوض ، ولا نقول انسحب دون شروط ، انا لا اريد ان اجادل في الكلمات .

ـ قال عزيز ـ انا ايضاً لا اريد ان اجادل في القرار ٦٦٠ ، لأني لا اعترف به ، ولكني سمعت من يقول ان المفاوضات عنصر جوهري في ذلك القرار ، هذا لا يعني اني اتعامل مع القرار ، ولكن لغرض الشرح ، وهذا لم يقله عراقي .

قال بيكر ـ ٦٦٠ يشير الى حل خلافاتكم مع الكويت عن طريق التفاوض بعد الانسحاب .

قال السفير روس ، هل انت مستعد للانسحاب والدخول في مفاوضات مع الكويت .

- قال السفير القيسي - القرار لا يذكر بعد بل يقول فوراً للمسألتين .

- قال عزيز - لا ادخل في جدال ، ولكن بيكر قال ان تلك القرارات « حول القضية الفلسطينية والشرق الاوسط » تتضمن مفاوضات ، وهذا لا يتضمن ان القرارات التي تخص القضية الفلسطينية والوضع في الشرق الأوسط ، مضى عليها ثلاث وعشرون سنة في حين ان لهذه القرارات سيف مسلط وهذا هو موضوع المعايير المزدوجة ، لقد قلت ان المسألة هي احترام الأمم المتحدة ، وقرارات الأمم المتحدة والمشروعية الدولية ، فهناك ايضاً قرارات الأمم المتحدة يجب ان تحترم .

قال بيكر - ان جميع القرارات يجب ان تحترم .

- قال عزيز - اسرائيل لم تحترم هذا المبدأ ولم تطبقوا على اسرائيل ، قرارات الحظر والحصار الاقتصادي والجوي ، فهل افهم ان هذا هو مجهود لتطبيق قرارات مجلس الامن ، انه عمل عدائي ضد العراق ، لو قمت بربع جهدك تجاه اسرائيل لم اكن لاتجادل معك .

قال بيكر - لقد استنفدنا جهودنا .

قال كمت وكيل الخارجية الامريكية - نذكر هنا القرارين ٢٤٢ و٣٣٨ .

قال بيكر - ان الظروف هنا مختلفة تماماً ، حول الطريقة التي تم بها الاحتلال ودون الدخول في تفاصيله الفنية ، لقد تحركت القوات نحو الحدود الإسرائيلية وصدرت التهديدات بدفعهم الى البحر ، وحاربت اسرائيل ضد عدد من الدول ، وانتصرت ومن هنا جاء الاحتلال .

اما هنا فنجد دولة لها قوة عسكرية وتفاوت كبير في القوة ، ذهبت واحتلت وقمتم بالتعامل بشراسة مع دولة عربية صغيرة ، نحن نرى الشيئين مختلفين ونحن لم نجلس مكتوفي الأيدي .

- قال عزيز - وهنا تأتي المعايير المزدوجة .

قال بيكر ـ الاتفاقية الموجودة التي تمت « كامب ديفد » تمت من خلال وساطتنا .

قال كمت ، توجد قوة عسكرية امريكية في المنطقة ، منذ اكثر من عشر سنوات في سيناء للتأكد من تنفيذ الاتفاقية .

ـ قال عزيز ـ ان هذه القوة التي تتحدث عنها ، هي ضمن القوة متعددة الجنسيات لحفظ السلام ، المهم ان الاراضي العربية الفلسطينية محتلة منذ ثلاث وعشرين سنة ، هذه الحقيقة ، وان الجولان قد ضمت بقرار اسرائيلي ، وان القدس قد ضمت بقرار اسرائيلي ، ويومياً اسحق شامير يقول ان هذه الارض هي يهودا والسامرة والمستعمرات مستمرة في البناء ، والقتل مستمر وما تسميه بالقسوة مستمر يومياً ، وليس من خلال تقرير مشكوك في مصداقيته ، ولكن من خلال وقائع حية تعرض يومياً على التلفزيون منذ اربع سنوات .

انا هنا ارى ان المعايير مزدوجة فعلاً ، هذا هو شعور الفلسطينيين . القرار الأخير كم يوماً اتخذت مناقشته في مجلس الأمن في حين ، وفي نفس الوقت صدرت قرارات عديدة ضد العراق .

قال بيكر ـ السبب الذي اخذ القرار وقتاً طويلاً هو اننا لم نصوت ضده .

ـ قال السفير القيسي ـ وهل هذا موقف صحيح .

قال بيكر ـ اذا لم تعجبك طريقة العمل في الامم المتحدة ، فيمكن لك ان تنسحب .

ـ قال عزيز ـ نحن انتمينا الى الأمم المتحدة . ولكن الامم المتحدة قامت من اجل العدالة والسلام وعندما تطبق معايير مزدوجة فإننا نشعر بالأسى ، انت قلت ان القرار الأخير تأخر لأنكم لم تستخدموا الفيتو .

قال بيكر ـ لقد عملنا بشكل شاق .

- قال عزيز - انتم تقدمون الحماية لاسرائيل ، ولو كان العراق عميلاً للاتحاد السوفييتي لما صدرت هذه القرارات ضده .

قال بيكر - لقد كانوا يصوتون بالفيتو في السابق .

- قال عزيز - اذا رجعت للمناقشات في الأعوام ١٩٦١ - ١٩٦٣ ، لوجدت ان الاتحاد السوفييتي كان معنا وعرقل دخول الكويت الى الامم المتحدة ، نحن ليس لدينا من يحمينا ، وانتم تحمون اسرائيل .

قال بيكر - اذا كنتم فقراء ، فذلك لأنكم صرفتم كل اموالكم على الاسلحة .

- قال عزيز - اذا تحدثنا عن الاسلحة والفقر ، فإن الكثير من الفقراء في الولايات المتحدة ، يقولون نفس الشيء ، لأن الحكومة الامريكية تصرف المال على السلاح .

قال بيكر - لأن هناك معايير مزدوجة في الولايات المتحدة ، فإن هذا يبرر ان نغزو ونعامل بطريقة شرسة دولاً عربية صغيرة ، لكي نكون متساوين مع اسرائيل انا لا افهم ذلك .

- قال عزيز - حصل اعتداء على العراق ، والعراق حذر منه مرات عديدة واعطيتك امثلة مذكرات ارسلت للجامعة العربية ، وخطاب للرئيس صدام حسين في قمة بغداد وخطاب في ١٦ تموز ، بلدنا كان مهدداً وقد تصرفنا للدفاع عن بلادنا .

قال بيكر - لن يصدق اي شخص هذا ، ولا اعتقد ان اي شخص سوف يصدقه ، اضاف لقد تعقبنا المكالمة بين الملك حسين وبوش .

قالت السيدة جارلس لقد حصلنا على النصوص وكنت مخطئة في نقطة واحدة الرئيس تحدث مع الملك حسين مرتين في ٢٨ تموز و٣١ تموز . في ٢٨ تموز قال الرئيس انا منزعج وآمل الا يخرج الموقف عن حدود المعقول.الملك حسين رد لا توجد هناك امكانية لحدوث هذا ولن تصل الى هذه النقطة .

في ٣١ تموز قال الملك حسين للرئيس ، العراقيون غاضبون ، ولكن انا آمل ان شيئاً يمكن ان يتم لمصلحة وتعاون اكبر في المنطقة ، سأل الرئيس ، دون اي حرب ، قال الملك حسين نعم آمل ان هكذا سوف تكون القضية .

ـ قال عزيز ـ ان المكالمة الثانية تمت اثناء قمة جدة ، وهذا لن يغير الحقيقة لأننا كنا نأمل ، والملك حسين ايضاً ، ان تؤدي محادثات جدة الى اتفاق ، والملك كان يعبر عن الأمل ، نحن كنا نأمل في الجانب العراقي ، ان تؤدي المحادثات بنتيجة الى السلام ، ولكن تأكد لنا ان الحكومة الكويتية كانت ماضية في المؤامرة لذلك تصرفنا .

قال بيكر ـ فهمت قولك قلت ان الملك حسين ، قال لنا انكم ستقومون بهذا العمل .

ـ قال عزيز ـ الملك دقيق جداً ، وقال العراق غاضب ، وهذا ما قاله في الكويت ، انه لم يقل ان العراق سيقوم بعمل عسكري ، لأننا لم نقل له ذلك ، ولكنه كسياسي ذكي ، يعرف ويستطيع ان يستنتج كيف تتطور الأمور ، في مثل هذه الحالة ، ولذا جئت بهذه المقارنة لأبين ان ما قاله مبارك ليس صحيحاً ، لأن استنتاج مبارك كان خاطئاً ، سواء كان بحسن نية او بسوء نية ، ولكن استنتاجه كان خاطئاً تماماً ، وكلامه عن الرئيس صدام حسين ، بأنه لم يكن وفياً لكلمته كان افتراء .

. وفي الوقت الذي أشرف فيه لقاء جنيف على نهايته ، استقبل بوش في البيت الابيض خمسة عشر برلمانياً . ثم دخل سنونو فجأة الى القاعة .

ــ سيدي الرئيس ، أمين عام سر الدولة (أي وزير الخارجية) بانتظارك على الهاتف . اعتذر بوش وتغيب ثماني دقائق عاد بعدها منقبض الوجه وتلفظ بكلمتين : لا تقدم .

وسأل أحد البرلمانيين : إذن ، لماذا طال اللقاء ؟

أجاب الرئيس باقتضاب :

ــ لقد ألقى العراقيون دروساً في التاريخ .

خرج بيكر من قاعة الاجتماع ، ليجد زهاء أربعمئة من مراسلي ومصوري الصحافة والاعلام في انتظاره ، كان وحيداً ولم يظهر معه الوزير العراقي ، فأدرك العالم أن اللقاء قد فشل .

قال بيكر :

ــ سوف أتحدث بما عندي ، بعد ذلك سيتحدث السيد طارق عزيز .

ثم مضى قائلاً :

ــ منذ لحظة كنت أتحدث مع الرئيس بوش وأعطيته ايجازاً كاملاً عن مضمون لقائنا ، وكان مما قلته في هذا الايجاز ، أننا قد فرغنا منذ لحظات من اللقاء الدبلوماسي حيث دارت نقاشات طويلة وجادة للوصول الى حل سلمي لأزمة الكويت ، وقد أفهمت الوزير عزيز ، أننا جئنا الى هنا للاتصال ، لا للتفاوض ، فقرارات مجلس الأمن ، غير قابلة للتفاوض (بل للفيتو لأكثر من ثمانين مرة خلال عقدين من الزمن ــ المؤلف) . وقد كان الاتصال كي نسمع ونتكلم . وفعلنا ذلك . ثم تحدث بيكر أمام رجال ونساء الاعلام عن رسالة بوش إلى الرئيس صدام فقال : ــ

ــ نعم . لقد سلمت الوزير عزيز ، رسالة من الرئيس بوش الى الرئيس صدام ، وكان فحواها ، أن ينسحب من الكويت ، وإلا فإنه سوف يطرد من

هناك بالقوة . ومع ذلك ، وأنا آسف لما أقوله لكم : انني لم أسمع أي شيء يوحي بالمرونة العراقية مهما كان نوعها .

. . .

ودخل طارق عزيز إلى قاعة المؤتمر الصحفي وبدأ قائلاً :

ــ لقد جئت إلى اللقاء بعقل مفتوح ونية صادقة ، وكنت أتمنى لو أن مثل هذه الاتصالات كانت قد تمت منذ مدة كافية لا في اللحظات الحرجة الأخيرة ، فقد لاحت العديد من الفرص ، إلاأنها كانت تهددالواحدة بعد الثانية ، وقد تصرفت الولايات المتحدة منذ بداية اللقاء بطريقة لا تترك مجالاً للظن في نواياها المبيّتة ، رغم أننا لم نبخل بالقاء الأضواء على قضايانا العادلة المرة تلو المرة . . ولم يكن للأمريكيين أي استعداد لسماعنا ..

وهنا ، دخل طارق عزيز في موضوع رسالة بوش إلى الرئيس العراقي فقال : ــ

ــ تلقينا رسالة من الرئيس بوش إلى الرئيس العراقي ، لم يكن فيها من الدبلوماسية غير لغة المدفع ، فإذا ما خطر للولايات المتحدة أن تعتدي على العراق ، فإن ذلك ليس بجديد ، ولن نستغرب ، فقد أنفقوا خمسة أشهر في لغة التهديد ، ولم يكلفوا أنفسهم مرة واحدة ، بالاعتماد على لغة الدبلوماسية .. وقد قلت للوزير بيكر ، إننا سندافع عن بلادنا بكل ما أوتينا من قوة ، وإن الشعب العراقي من الشعوب الشجاعة ، **ولن تقبل أمتنا العربية اخضاع شعب العراق أو كسر ارادته ، لأن إرادة العراق جزء من إرادة أمته العربية ، وإن ارادتنا جميعاً هي تحرير فلسطين .**

في نهاية التصريح . سأل أحد الصحفيين طارق عزيز :

ــ إذن ، هل ستهاجمون اسرائيل إذا اندلع القتال .

أجاب عزيز بصورة جازمة :

ــ نعم . قطعا . نعم .

وانتهت رواية جنيف .

□

بيكر إلى السعودية بعد جنيف .

بعد فشل جنيف ، وفي اليوم التالي ١٠ كانون الثاني ، غادر جيمس بيكر سويسرا متوجهاً إلى الرياض ، وفور وصوله انتقل إلى القصر الملكي حيث كان الملك فهد في انتظاره ،

كان السعوديون قد تلقوا بذهول نبأ اللقاء في جنيف ، وكانت الخشية من إتمام صفقة لا تبقي ولا تذر ، وكان بوش قد اتصل هاتفيا عقب انتهائه من تقديم عرضه للقاء جنيف بالملك فهد وقال له : ـ

ـ بوسع جلالتكم التأكد من أنه لن يكون هناك أقل تسوية .غير أن هذا الوعد الرئاسي لم يكن ليطمئن الملك ، الذي ظل حتى آخر لحظة في لقاء جنيف يتلهف لسماع النتائج . .

عندما انتهى بيكر من عرض تفاصيل لقائه بطارق عزيز أمام الملك ، رغب الملك في ليلة من ليالي الرياض البديعة (حيث الطقس في هذا الوقت من السنة يبعث على الخيال) أن يتنزه بين ممرات المروج الخضراء في الحديقة الخارجية للقصر ، وقد طلب إلى بيكر وحده أن يرافقه بمصاحبة المترجم الذي ظل يسير إلى الخلف قليلاً بين الاثنين . وسأل الملك : ـ

ـ أحقاً . ليس هناك أي اتفاق سري بينكم وبين العراقيين ؟.

وراح بيكر حسب طريقته ، يدحض الشائعات المغرضة التي ظلت تتحدث عن صفقات أمريكية ـ عراقية ، طوال فترة العرض المقدم للعراق لحضور لقاء جنيف ،وأن بعض وسائل الاعلام ، لم تكن تصدق نتائج جنيف حتى بعد المؤتمر الصحفي الذي تم الاعلان فيه عن فشل اللقاء بصورة صريحة . ثم قال : ـ

ـ تأكد ياجلالة الملك أن هذا اللقاء هو الأخير بيننا قبل اندلاع القتال .

وعاد الملك يسأل : ـ

ـ ما هو التاريخ المحدد للدخول في الحرب .

لم يتحدث بيكر عن ساعة الصفر بدقة عسكرية لكنه قال : ـ

ـ بعد الخامس عشر من كانون الثاني بيومين أوثلاثة ..

طلب الملك فهد إعلامه قبل مدة كافية من اعلان الحرب ، ووافق بيكر قائلاً : ــ

ــ سوف نعلم الأمير بندر قبل أي هجوم .

لكنه نصح باستخدام الهواتف المأمونة ، إذا دعت الضرورة للاتصال بين واشنطن والرياض . .

اتفق الملك فهد مع ابن أخيه الأمير بندر ، على طريقة أخرى للاعلام عن ساعة الصفر ، إذ كان الحديث يدور حول طباع موظف قديم لدى العائلة الملكية السعودية ، اسمه سليمان ، حين كان بندر طفلاً ، وعلق الاسم في ذهن بندر على الفور ، فإذا ذكر بندر اسم سليمان وموعد حضوره ، في مكالمة هاتفية مع عمه الملك فهد ، فإن ذلك يعني الحرب وساعة اندلاعها ..

طار بيكر إلى الأمارات وهناك التقى الشيخ زايد مع بعض أعضاء الحكومة من آل نهيان ، ووعد بيكر بزيادة الدعم المادي للمجهود الحربي في الأمارة ، حيث أن الأمارة كانت قد دفعت حتى حينه زهاء ملياري دولار لصالح هذا المجهود . ثم انتقل بيكر بعدها إلى الطائف ، لمقابلة الأمير جابر هناك ، وقد كانت الكويت قد دفعت حتى حينه خمسة مليارات دولار لصالح المجهود الحربي ، وقد وعد الأمير بزيادة الحصة الكويتية في الإسهام بصورة مهمة مع دخول العام الجديد .

قال بيكر للأمير الغارق في مقعده : ــ

ــ إنها المرة الخامسة التي نلتقي فيها يا سمو الأمير . .

وارتسمت على وجه الأمير ابتسامة منقبضة ، راح بيكر يعالجها بقوله : ــ

ــ آمل ،كما وعد الرئيس ، ان نلتقي المرة القادمة في الكويت .

□

موافقة مستعجلة .

في يوم السبت الثالث عشر من كانون الثاني ، بعد ثلاثة أيام من الجدل والنقاش ، أعطى الكونغرس لبوش صلاحية التوجه إلى الحرب ، وقد شمل القرار الصادر عن الكونغرس ، عبارتي (استخدام كل الوسائل الضرورية حسب مجلس

الأمن) و (استخدام القوة العسكرية) كانت نتائج التصويت متقاربة ، ففي مجلس الشيوخ صوّت ٥٢ شيخاً مقابل ٤٧ وفي مجلس النواب حظي القرار بأغلبية ٢٥٠ صوتاً مقابل ١٨٣ رفضوا القرار أو امتنعوا عن التصويت . .

أبلغ شيني الرئيس بوش بنتائج التصويت متهللاً وأضاف : —

— لقد كنت مخطئاً سيدي الرئيس ، فأنت تفهم الكونغرس اكثر مني .

وحين سئل بوش فيما إذا كان قد اتخذ قراراً بالحرب أجاب :

— ليس بعد . وآمل أن يكون هناك حل سلمي .

كان أول تصريح لبوش بعد تلقيه النبأ : —

— إن هذا التعبير الواضح من الكونغرس ، يمثل آخر وأفضل فرصة من أجل السلام .

اسرائيل والأزمة والحرب .

عندما أعلن طارق عزيز في مؤتمره الصحفي ، عقب لقاء جنيف ، عن عزم العراق مهاجمة اسرائيل إذا اندلع القتال ، كانت واشنطن تتوقع ردود الفعل الاسرائيلية التي يمكن في حال انفلاتها ، أن تؤدي إلى صدع في وضع القوات العربية المشاركة في التحالف . خاصة وأن شامير الذي كان في زيارة للبيت الأبيض قبل اسبوع ، لم يوافق على بقاء اسرائيل مكتوفة اليدين ، (إذا قام العراقيون بالهجوم علينا ، فلن نكون الكبش الذي يحرقونه على مذبح تحالفهم ضد صدام) .

وكان بوش قد أقنع شامير ، بأن هدف التحالف الأول هو تدمير تلك الآلة العسكرية العراقية التي تهدد اسرائيل ، وستكون بطاريات صواريخ سكود في المنطقة العراقية الغربية هي من أولى الاهداف المقررة للطائرات الامريكية (من محضر لقاء بوش شامير) (وأنا أتعهد بذلك يا حضرة الرئيس) . (من أقوال بوش لشامير في اللقاء) .

غير ان موافقة شامير على عدم التدخل ، لم تكن مقنعة بصورة كافية لرجل السي آي إيه السابق ، فقد تذكر لتوه — السفينة ليبرتي ، وكيف قام الطيران الاسرائيلي باغراقها ، بينما كان يلوح قائدها بالأعلام الامريكية !.. وادعاء اسرائيل

فيما بعد على عدم معرفة هويتها الحقيقية ثم صمم بوش إرسال الجنرالين ايجلبرغر وولفوتيز ليقيما في اسرائيل لمراقبة التحركات عن كثب ، وبالفعل فقد أقام الضابطان الأمريكيان طوال فترة العمليات القتالية في الخليج قريباً من مبنى مجلس الوزراء الاسرائيلي .. وقد فهم شامير حقيقة المهمة ، لكنه حاول اخفاء المهمات السرية الأخرى للضابطين الامريكيين ..

فقد شرعت القيادة الأمريكية ، عبر جسر جوي ضخم ، إرسال بطاريات باتريوت المضادة للصواريخ العراقية ، إلى اسرائيل على عجل ، وكانت هذه البطاريات تنقل من مواضع مختلفة لحلف الأطلسي في أوربا ، وكانت تلك هي المهمة السرية الأولى ، حتى ذلك الوقت .

والمهمة السرية الثانية ، كانت تتمثل في الاشراف على حلقة الاتصال الصوتية المأمونة والسرية ، بين مركز العمليات في البنتاغون ، ومقر وزراة الدفاع الاسرائيلية ، وسوف يقوم رجال أمريكيون في اسرائيل ، بمراقبة وتشغيل الأجهزة الخاصة بالشيفرة والتي تشكل جزءاً من النظام ، كما سيستطيع وزير الدفاع الأمريكي ، أن يدخل على الخط المأمون الذي أعطي الاسم الرمزي (هامر أبي المطرقة) ، كما أبلغ شيني الاسرائيليين ، بأن الرئيس بوش ، سوف يعطيكم اشعاراً مسبقاً قبل البدء بأية عملية هجومية ..

وتمييزاً عن (هامر) بين واشنطن وتل ابيب ، فقد أقيمت محطة اتصال مباشر تحت اسم رمزي فرعي (هامر ريك أي كومة المطارق) **بين القيادة العسكرية الأمريكية في السعودية (الظهران) وتل ابيب ، وذلك بتصريح خاص من المملكة العربية السعودية .**

كان بمقدور هذه المحطة ، أن تضع اسرائيل في (فيديو)العمليات الآنية الجارية لحظة انطلاقها في الجو والبحر والبر ، كما كان باستطاعتها انذار اسرائيل قبل أربع دقائق من وصول الصاروخ العراقي إلى نقطة ما في اسرائيل ، حيث يحتاج هذا الصاروخ مدة خمس دقائق من العراق إلى اسرائيل ..

وقد باشرت هذه المحطات عملها اعتباراً من العاشر من كانون الثاني ، بشكل تجريبي ، والثالث عشر منه بشكل نهائيٌ .

كانت اسرائيل قد حظيت كمرتبة أولى من بين دول التحالف العربية ، على أول إخطار بخصوص ساعة الصفر النهائية لبدء العمليات ، وكان ذلك قبل اسبوع من (سليمان) بندر بن سلطان ، وهي كلمة سره لعمه عند بدء العمليات . فقد ذكر شامير لعدد منتقى من وزرائه المخلصين ، أنه كان يعرف بموعد الصفر منذ التاسع من كانون الثاني ، أي نفس اليوم الذي تمت فيه مقابلته مع بوش !..

. . .

لم تكن اسرائيل تخشى اندلاع الحرب ضد العراق ، بل بالعكس من ذلك تماماً ، فقد ظلت تنفخ في نارها منذ بدء الأزمة ، وما كانت تخشاه اسرائيل ، هو الوصول إلى حل للأزمة دون حرب ، حيث يمكن أن يخرج العراق سليماً بقواته ومراكز صناعاته وتكنولوجياته ، وبالرغم من معرفة اسرائيل بحقائق القوة العراقية المتنامية ، فإنها كانت تتشاءم من أسطورة نبوخذ نصر جديد ، ولطالما حفلت الصحافة الاسرائيلية ، بمقالات كانت تشكل رجع صدى لتاريخ بابل ، ورغم أن التهديد العراقي بحرق نصف اسرائيل ، كان انذارياً بالدرجة الأولى ، ومعنوياً بالدرجة الثانية ، فإن اسرائيل ، راحت تتصرف على أساس من التوتر التصعيدي الكامل ، لاحتمالٍ وشيك بقرب اندلاع حرب تدميرية شاملة ، فلاول مرة منذ نشوءها . تعترف اسرائيل بحيازتها القنابل النووية ، يقول زئيف شيف في يومياته الاستيراتيجية في جريدة هاآرتست (نهاية شهر تشرين الأول) ، **(إن استيراتيجية اسرائيل تملي رداً مباشراً وكثيفاً بغية ردع الطرف الآخر ، فالسيناريو الفوري ، لاطلاق صاروخ عراقي ، مضافاً إليه الغرائز الصراعية لحكومة اليمين في اسرائيل ، قد تؤدي بها إلى مبدأ استخدام القوة المدمرة ، بل والاسلحة النووية)** .

كان بوش ، قد أطلق تصريحات عديدة ، عن فضائل سياسية ضبط الأعصاب

الاسرائيلية ، وكان في هذه التصريحات ما يتعلق بحاضر الأزمة ومستقبل المنطقة بآن واحد .

وقد أهرق المسؤولون والسياسيون الأمريكيون حبراً غزيراً على برامج معّدة لما بعد الخليج مثل كيسنجر ونيكسون ، وبريجنسكي .. وقد تحدث بوش في هذه المرحلة المتأزمة عن تحولات في الصراع العربي ــ الاسرائيلي بعد الأزمة ، واعداً بتسوية شاملة بين الأطراف في منطقة الشرق الاوسط : ــ (إن اسرائيل أمامها أن تفقد أعصابها وتتدخل في معركة معقدة لتضاعف من تعقيداتها ، أو أن تضبط أعصابها وتنتظر لتدخل بعد ذلك شريكا كاملاً في مستقبل الشرق الأوسط بعد الحرب ومن خلال التسوية العامة المنتظرة في أعقابها).

كما راح بوش يشير إلى الاتصالات الايجابية التي يجريها الأمير بندر بن سلطان مع زعماء اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة ، معيداً إلى الذاكرة ، ما كان بندر قد وعد به ، من أن السعودية ودولاً عربية أخرى ، ستعترف بحق اسرائيل كدولة شرعية في المنطقة ، دون قيد أو شرط ، وأن المملكة سوف تشترك مع اسرائيل في المستقبل في محادثات إقليمية ...

وقد يفسر حضور بندر مؤتمر مدريد للسلام باصرار من جيمس بيكر فيما بعد ، سريان التعهدات والوعود التي أطلقها بندر قبل الحرب .. كما ان اشتراك بندر في مؤتمر مدريد للسلام ، كعضو عادي في الوفد الخليجي (إذ كان برئاسة عبد الله بشارة أمين عام مجلس التعاون الخليجي) يشير إلى رمزية الاشتراك السعودي العلني في المفاوضات لأول مرة .

وقد علق العديد من الصحفيين الأمريكيين على (لمسة الحنان) الأمريكية الجديدة بالنسبة للاسرائيليين ، فقد بالغت اسرائيل في طلب اشراكها في القتال ، خاصة وأن التهديدات العراقية بدت جدية اكثر من أي وقت مضى ، لكن اسرائيل كانت تعرف تماماً ، أن القوات الضخمة لأمريكا وحلفائها ، لن يمكنوا العراق من تنفيذ تهديده بشكل ناجز ، وهاهي حرب بالنيابة عن اسرائيل وجيشها ، فلماذا كان هذا الاندفاع الاستعراضي ، رغم ما قيل عن كشف

الأغطية عن الرؤوس النووية لصواريخ أريحا الاسرائيلية .. (وكانت عملية سمسرة متقنة) فلا شك أن عيون أمريكا الفضائية ، تعرف الكثير عن واقع هذه الصواريخ ، ومخابئها ودخولها وخروجها باكثر مما يعرف شامير نفسه ، وأن مثل هذه التحريكات المقصودة ، هدفها تقريب الملعقة الذهبية (النفطية) من الفم الاسرائيلي الفاغر : ــ

أولاً/ ان الولايات المتحدة حسمت موضوعات الربط ، بأكثر مما كانت تأمل اسرائيل نفسها ، وهاهي معركة سياسّية مظفّرة تم خوضها بالنيابة أيضاً .

ثانياً/ بدأت الولايات المتحدة بارسال آخر ما في ترسانتها الحربية من تكنولوجيا متقدمة ، حين راحت تنقل عبر جسر جوي ضخم ، بطاريات صواريخها من نوع باتريوت مع أطقمها الأوريكية العاملة عليها .

ثالثاً/إن وعداً رئاسياً أمريكياً كان قد تم ، على أساس إدخال اسرائيل كشريك كامل ، أمام أطراف كَبَث أحصنتها ، وفقدت قدرتها على امتشاق السيف (اللازم لأية مفاوضات في التاريخ) بعد أن يكون قد كسر نصله في بغداد ..

رابعاً/ إن وعداً أميرياً ، يمثل المملكة السعودية ، قد تمّ من قبل بندر ، مفاده ، أن السعودية وعرباً آخرين ، سيتقدمون بطلب اعتراف باسرائيل دون قيد أو شرط بعد انتهاء الحرب في الخليج .

خامساً/ ان شتاء السخاء النفطي ، في أشهر الشتاء الخليجية ، كان قد انهمر على اسرائيل ، مثلما انهمر على غيرها (مصر تحديداً)وتركيا والاتحاد السوفيتي والصين ... الخ وقد ظل تحويل قيم الفواتير المستحقة يطارد البنوك الأمريكية ، التي راحت بدورها تحيلها على البنوك السعودية والخليجية ، بما فيها ضمانات القروض (عشرة مليارات) التي ستنفق على حياة وسكن وتسليح المهاجرين اليهود الجدد ، والتي يمكن أن تضاف إلى قائمة الحساب الأمريكية لتكاليف حرب الخليج ..

لماذالا نجعل من اسرائيل ولاية أمريكية ؟

كتب ريتشارد ديفز في بليتمورصن عدد ١٨ أيلول ١٩٩١ مقالة من واقع الابتزاز الاسرائيلي واستجابة الادارة الامريكية ، في مناخ الأزمة السائد ، فقال : ــ اعتقد ان الوقت حان لجعل اسرائيل الولاية الامريكية الواحدة والخمسين فهذه هي الوسيلة الوحيدة لمساعدة اصدقائناهناك .

بالطبع فان الولايات الخمسين الاصلية تنال من واشنطن اقل فاقل من المال في الوقت الذي تغدق فيه على اسرائيل المزيد والمزيد من الاموال . وبالتالي فانه يمكننا حتى ، وبما ان مساحة اسرائيل ليست كبيرة الحجم ، ان نجعل منها مدينة ونسميها مثلا «ديترويت» وهكذا لن يحصل الشعب الذي سيعيش فيها على بنس واحد ، او اقل بكثير من الـ ١٠ مليارات دولار التي تطلبها اسرائيل كقروض مضمونة لبناء مساكن للمهجرين القادمين حديثا من الاتحاد السوفياتي .

ان الولايات المتحدة تقدم بشكل عام حوالي ٦ر٥ بليون دولار لاسرائيل في العام على اشكال مختلفة من المساعدة الخارجية المباشرة اي ما يساوي ١٫٢٧٠ دولارا لكل رجل وامرأة وطفل في البلاد .

هذه الصورة ليست صحيحة تماما . ولا اعتقد ان احدا هنا او هناك يعرف الارقام الصحيحة . لانه وعلى مدى السنوات كانت الاموال توزع على اسرائيل باشكال مختلفة وضمن ميزانيات لم ينظر اليها احد مليا .

فكانت هناك مثلا هبات ومساعدات طارئة ، قروض وضمانات قروض غالبا ما ترافقها بيانات اعفاء من الضرائب . وهذا ما يقال اليوم بشأن الـ ١٠ مليارات دولار التي تريدها حكومة اسرائيل لبناء مساكن في الضفة الغربية التي تحتلها اسرائيل منذ حرب ١٩٦٧ .

لكن وفي العام الماضي ، وحين اقر الكونغرس مبلغ ٤٠٠ مليون دولار لاسرائيل كضمانات قروض لاسكان المهاجرين السوفيات قال زعيم الاقلية في مجلس الشيوخ السيناتور بوب دول ان فائدة القروض في المصارف التجارية تجعل

قيمتها اكثر بكثير من المبلغ المعلن عنه ، وبالتالي ، يضيف دول «انه سيكون من الحماقة اعطاء اسرائيل المال ونسيانه» .

ان الولايات المتحدة تضع عامة حدوداً للقروض الطارئة المقدمة للحكومات الخارجية بحوالي ٢٥ مليون دولار . الا ان اسرائيل اليوم معفاة من هذا القانون ومبلغ الـ ١٠ مليارات دولار يفوق باربعمائة مرة الحدود القانونية لحاجة العالم .
الى جانب ذلك فان اسرائيل سبق وحصلت على مليارات الدولارات كقروض من الولايات المتحدة بعض منها جرى تناسيه ، واهماله مع الوقت . ثم هناك ايضا القروض اليتيمة المباشرة مثل مبلغ الـ ٦٠٠ مليون دولار التي دفعت لاسرائيل هذه السنة للتعويض عن الاضرار التي اصيبت بها نتيجة قصف صواريخ سكود العراقية خلال حملتنا العسكرية في الخليج .

يضاف الى ذلك ، مقدار وافر من المساعدات الخارجية السرية التي قدمها بعض اعضاء الكونغرس بصورة شخصية لاسرائيل . وهناك مبلغ الـ ٣٦٥ مليون دولار هذا العام كمساعدة مباشرة لمصر بموجب اتفاقيات كامب ديفيد والتي تدفع لها منذ اكثر من عشر سنوات ، والتي هي في الحقيقة دفوعات سنوية لمصر حتى لا تجتاح اسرائيل مرة جديدة .

مع كل هذا ، فان الاسرائيليين مستاؤون وغاضبون منا او على الاقل من رئيسنا ، لانه يريد تأخير مسألة القروض البالغة ١٠ مليارات دولار . وفي وقت يسعى فيه العالم الى اقامة سلام دائم في الشرق الاوسط يعتقد الرئيس ان بناء المستوطنات بشكل متزايد في الاراضي التي يطالب بها العرب قد يظهر ان ليس لدى الاسرائيليين اي نية باعادة هذه الاراضي لمالكيها الاصليين مقابل تحقيق عملية السلام .

والاكثر من ذلك ، فان رئيس الوزراء الاسرائيلي اسحق شامير بعث برسالة الى البيت الابيض مضمونها : «كيف تتجرأون وتتدخلون في شؤوننا ؟» ويبدو ان لهذا الزعيم الاسرائيلي خطة جاهزة للاميركيين وان كل ما يريده منهم هو : «وقعوا هنا واسكتوا !».

يصعب اليوم تصور ان يقوم حاكم لويزيانا ، الذي يحكم على عدد السكان نفسه الذي في اسرائيل ، بالتصرف بهذا الشكل مع الرئيس والتحدث اليه بهذه الطريقة ، لابداء تذمره من احتمال تأخر بعض الشيكات لفترة قصيرة هذا العام ، في حين ان رئيس بلدية «ديترويت» يطالب بقروض لاسكان المشردين في ولايته ؟ فلننته ! فطلبه لن يتعدى لوحة مفاتيح البيت الابيض .

هناك مراحل صعبة في الداخل ايها الاصدقاء . مراحل صعبة هنا وليس فقط في اسرائيل واذا كان الاسرائيليون يقومون بعمل انساني لباقي العالم من خلال توطين شعب يهودي تواق الى مغادرة الاتحاد السوفياتي . فكذلك نحن ، فاننا نقوم بعمل انساني وسنبقى نقوم بهذه الاعمال حتى بعد ان يغادر كل من يريد مغادرة الاتحاد السوفياتي .

والحقيقة ان العديد ان لم يكن معظم اولئك السوفيات الذين يصلون يوما بعد يوم الى تل ابيب ، يطمحون الى الوصول الى الولايات المتحدة . انهم شعب متحضر ومثقف قد يفضل بشكل عام ان يكون في بروكلين او لوس انجلوس وليس في منازل حديثة حيث لا مدن .

واذا جعلنا اسرائيل الولاية الواحدة والخمسين فسيتحقق السلام ، لان اي هجوم على اسرائيل حينها سيكون هجوما على الولايات المتحدة الجبارة . وحينها يستطيع الرئيس بوش ان يقول للحاكم شامير ان ليس هناك اي هدف من انفاق المال لحل المشاكل وان رفاهية الدولار تؤدي الى التبعية . وان اي اضطراب اقتصادي يمكن ازالته مباشرة وعادة من خلال تقليص الضرائب على الارباح الرئيسية والبحث بين الاف نقاط المصالح .

وكعلاوة على ذلك ، وحين سيقول المهاجرون السوفيات انهم يريدون الانتقال الى امريكا ، سيتمكن حينها السيد شامير من القول :«نحن هنا اهلاً بكم في ارض الميعاد ، في الولايات المتحدة الاميركية !».

روايتان متضاربتان عن السكرتير العام

يقول اريك لوارن في كتابه عاصفة الصحراء وهو الجزء الثاني من حرب الخليج

الملف السري . ترجمة أسمر . ص ١٢٨ في روايته عن الزيارة الاخيرة ، التي قام بها الأمين العام للأمم المتحدة إلى العراق ما يلي : ـــ

انقطع بوش عن عمله قليلاً ليستقبل الأمين العام للأمم المتحدة بيريز ديكويلار ، دخل الرجلان إلى قاعة مضيئة ، لها شرفة زجاجية مزدانة بأصص الزهور ، جلس بوش على كرسي أبيض وإلى يمينه طاولة من (الأكاجو) وضع عليها قنديل قديم ، وبعض من صور العطلة التي يظهر فيها الرئيس الأمريكي مع عائلته ، وجلس الأمين العام على كرسي من طراز انكليزي اكثر علواً من سابقه ، كان يرتدي كل منهما بزة فضفاضة كناية عن سترة من القماش تحتها قميص مفتوح .

أراد ديكولار معرفة ما إذا كانت نهاية الانذار يعني ١٥ كانون الثاني ، وفيما إذا كان هذا الموعد يشير إلى حقيقة اندلاع القتال فعلاً ، وفيما كان يتكلم بحذر وقلق ديبلوماسيين **أعلم الرئيس انه يتمنى الذهاب إلى بغداد وقبل تاريخ الخامس عشر من كانون الثاني .**

أجابه بوش بلباقة مبدياً شكوكه بأنها فرصة من شأنها تليين موقف العراقيين ، غير انه أشعر ديكويلار عن عدم معارضته لاهتبال الفرصة .

ويضيف لوران : كان هذا الدبلوماسي ما يزال متمسكاً بامكانية الحل عن طريق المفاوضات في اللحظات الأخيرة ..

لم يعترف بوش وأعوانه بأن ذلك ما كانوا يخشونه تماماً ، فقد تذكروا كلام جون سنونو بالأمس عندما قال عن ديكويلار (قد يهيء لنا الرجل مفاجأة كريهة) .

. . .

في كتابه أوهام القوة والنصر ، ص ٥٣٣ ، يقول هيكل عن زيارة ديكويلار لبغداد ، أن الرئيس بوش ، اتصل بالسكرتير العام للأمم المتحدة ، يطلب اليه أن يصحبه إلى كامب ديفيد (لقضاء عطلة نهاية الاسبوع هناك) ...

وعلى الهاتف ، لفت ديكويلار نظر بوش إلى أنه ذاهب بعد غد إلى أوربا (أي

في ١٤ كانون الثاني) . وقال له بوش أنه (يريده على العشاء وبعده يستطيع مغادرة الكامب) إذا أراد .

وعلى العشاء فوجىء ديكويلار بالرئيس بوش يقول له إنه يريده أن يذهب إلى بغداد ولو لساعات يقابل فيها صدام حسين .

وحاول ديكويلار أن يعتذر عن المهمة ... ولم يكن بوش على استعداد لقبول الاعتذار ... وأصر بوش قائلاً :

ــ إنه يريده أن يذهب إلى بغداد ولو ساعة واحدة ثم يتوجه منها إلى اوربا ، لأن ذهاب السكرتير العام للأمم المتحدة شخصياً ، وفي الدقيقة الأخيرة سوف يجعل العالم كله يحس (بدراما الموقف) .

. . .

والخلاصة ، فإن بغداد أخذتها المفاجأة بسبب هذا الطلب العاجل والغريب ، خاصة وأن حبر محضر جنيف ، لم يجف بعد .

كانت بغداد التي أدهشتها الطريقة الأمريكية في جنيف ، قد بدت وكأنها مرتابة في كل ما يجري حولها ، فقد أفلح الغرب في انتزاع الرهائن دون أي كسب يذكر ، وراحت ايران في جولة من جولاتها البراغماتية تلعب على حبْلَي (خصم الاستكبار) (وخصم المنطقة) بينهما مصلحة ايران الاقليمية ، كما ذهبت تركياموغلة في اصطناع خصومة مع (الجار الاقتصادي المسلم) دون ذرائع كافية غير اهتبال الفرصة ، والاقبال على المشاركة في حصص المستقبل .. بل واكثر من ذلك ، فقد راحت تركيا تجدد عمل القواعد الجوية الأمريكية وتستقبل طيران التحالف ، وتعطي الأذن بانطلاق عمليات هجومية من أراضيها ...

كان كل شيء غائماً في سماء بغداد .

وكان طلب الزيارة الذي تقدم به الأمين العام للأمم المتحدة ، مبعث شك اكثر مما هو مبعث ارتياح . فالعراق بعد كل هذه الأشهر من طلب الضمانات الانسحابية ، لم يعد قادراً على تحقيق انسحاب بلحظة دون ضمانة ، خاصة وقد ضنّ الخصوم عن تقديم مثل هذه الضمانات للعراق من قبل ، والسكرتير العام

للأمم المتحدة ـــ الذي زار بغداد ثلاث مرات في هذه الأزمة ، لم يعرب عن استعداده للافصاح ، غير ما يكفي للاشارة أنه ممثل شخصي عن نفسه ، وأنه لا يمثل أحداً ، وأن مجلس الأمن لا يضع بين يديه التفويض اللازم للحوار .

ومساء يوم الأحد الواقع في ١٣ كانون الثاني كان السكرتير العام للأمم المتحدة جالساً وجهاً لوجه أمام الرئيس العراقي .

سيزعم لوران في (عاصفة صحرائه ص ١٥٤) على لسان ديكويلار ، أن الرئيس العراقي أساء معاملته ، يقول لوران بالحرف : ـــ (نهار الاثنين في ١٤ كانون الثاني ، تلقى بوش مكالمة هاتفية مطولة من أمين عام الأمم المتحدة بيرز ديكويلار بعد عودته من بغداد ... وكان صوته على شيء من الحدة والغيظ ، وهو يصف الاذلال الذي تعرض له في العاصمة العراقية على يد صدام حسين ، فقد فرض عليه البقاء في غرفة الانتظار لساعات طويلة قبل أن يتنازل الزعيم العراقي ويستقبله)

وسيعرف لوران كيف يتلاعب بالكلمات حين راح يؤكد على لسان ديكويلار من جديد :

(كما قال الأمين العام في مكالمته لبوش : كل هذا الكيد كان قد انتهى مونولوجاًطويلاً أجراه الرئيس العراقي المتمادي في صلابته ولامبالاته إزاء الضغوط الخارجية «أتعلم يا سيادة الرئيس» **وقد قالها السكرتير بلهجة بريئة** [مثل براءة لوران تماماً ـــ المؤلف] (لقد أساؤوا معاملتي) . **هكذا أراد لوران أن يضع في فم الأمين العام كلاماً لم يقله ، والحقيقة أن ما حصل هو شيء آخر .** فطبقاً لمحضر الاجتماع الذي يذكره رولان جاكار في كتابه الأوراق السرية لحرب الخليج ، ترجمة د . مخلوف ، فإن الأحداث جرت كما يلي : ـــ

يوم الأحد ١٣ كانون الثاني ١٩٩١ ، سافر بيرز ديكويلار إلى بغداد في آخر مسعى للسلام قبل يومين من الموعد المحدد في ١٥ كانون الثاني ، لم يكن ديكويلار يعتقد أن هناك حظوظاً لنجاح مهمته ، وقد أسرّ بذلك لفرانسوا ميتران يوم الاثنين

صباحاً وهو في طريقه إلى موسكو وقال (**أنا منهك ، لكن بالرغم من تعبي فإنني أعتقد أن هناك شيئاً ما يمكن أن يتغير**) .

لقد فاجأته بشاشة الرئيس العراقي (عكس رواية لوران تماماً ــ المؤلف) الذي كان قد فرغ منذ قليل من تصريح له بالاذاعة (إن الجهاد واجب على كل مسلم ومسلمة) ..

وكان حواراً طريفاً بين صدام وديكويلار .

قال ديكويلار : ــ

ــ لست ساذجاً إلى الدرجة التي أتصور معها أنه يمكن حل مشاكلنا هذه الليلة ، لكنني أود أن أعود بشيء ما نتمكن بواسطته ومن خلاله تخفيف التوتر ونحرم تجار الحروب من فرصهم في جمع الأموال .

قال صدام ويبدو أنه لاحظ علامات الارهاق على وجه الأمين العام : ــ

ــ هل تأخذ قهوة عربية .. إنها تطرد النعاس .

أجاب ديكويلار : ــ

ــ كلا شكراً ، إنني أسافر كثيراً ، اكثر مما ينبغي ، وبعد ساعة محددة لا أتناول القهوة ، ثم إن هذا لا يُنصح به لرجل بمثل سني ، وتعرفون جيداً أن الرأس هو الذي يدير كل شيء .

ورد صدام : ــ

ــ نعم . الرأس هو المنظّم لكل شيء ، ولا اكتمك كنت أريدك أن تأتي وأن لا تأتي إلى بغداد ، فأنت الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة وكلنا أسرة فيها ، فنحن جزء من هذه العائلة في العالم ، ومن الطبيعي أن نحرص كي تأخذ الأمم المتحدة دورها في حياة الدول .

كنت أريدك أن تأتي لأنك سبق وتعرفت علينا وتعاملت معنا وقد تآلفت مع أسلوبنا في التفكير . لكنني قلق من مجيئك إذ أن مالكي القوة في هذا العالم الداعين إلى استخدام السلاح بأسرع وقت ممكن قد يجدون في زيارتك حجة للبدء بالحرب ، إذا لم تستطع أن تقدم لهم ما يريدون ...

وسحب الرئيس العراقي من حافظة خارطة وفرشها على الطاولة وراح يشرح للأمين العام قائلاً : ـــ

ـــ انظر ، كانت حدود الكويت عندما كانت محمية إلى هنا ، ثم توسعت إلى هذه النقطة التي اسمها (المطلاع) . أرى أن تسجل هذا الاسم في ذاكرتك ، كان هذا حالهم إلى عام ١٩٦٣ ، جواز سفر السيد ياسر عرفات مختوم في هذا المركز الحدودي ، منذ عام ١٩٦٣ وحتى ١٩٦٩ حكم العراق أخوان ضعيفان (عبد السلام وعبد الرحمن عارف) وأثناء حكمهما زحف شيوخ الكويت مرة أخرى من المطلاع إلى هنا ، ثم في فترة الحرب مع ايران تقدموا كيلو مترات اضافية وراحوا يستغلون حقول نفط معروفة منذ البداية أنها ضمن الأراضي العراقية .. عندما كانت الكويت ضمن السور في هذا المكان (مشيراً إلى نقطة على الخريطة) قتل أحد البريطانيين داخل السور ، فخاطب المقيم العام البريطاني شيخ الكويت لتسليم الجناة ، وسارع أعوان الشيوخ إلى حمل جثة القتيل ورموها خارج السور ، وكتب شيخ الكويت إلى المسؤول البريطاني ، إن عملية القتل حصلت خارج السور وأن الأمر يخص حكومة بغداد .. وفعلاً حققت حكومة بغداد بالأمر ...

ومضى صدام حسين يشرح للأمين العام شيئاً من التاريخ : ـــ

ـــ لم يوافق مجلس (المبعوثان) أي ما يسمى في أيامنا بالبرلمان العثماني إلا على كويت ضمن السور ليس اكثر ، وكل هذا الكلام معزز لدينا بوثائق محفوظة ، اذن في ضوء هذا التعقيد ، لماذا لا يناقشون الحقائق التاريخية ، البريطانيون يعرفون كل هذه الحقائق وهي موجودة في ملفاتهم ، السيد ادوارد هيث يعرف ذلك ويعترف به ..

نظر ديكويلار إلى الرئيس العراقي وقال : ـــ

ـــ سأضمّن تقريري كل هذه المعلومات ، غير إنني أخشى ألا يعتبر ما آخذه معي ملموساً لتخفيف التهديد المفروض علينا مثل السيف المسلط فوق رؤوسنا .. وتعرفون سيادتكم التوقعات والآمال الكبيرة التي علقت على زيارتي ، لقد زاركم

العديد من الشخصيات العالمية المهمة ، لكن أحدهم لم يحمل هذه الرسالة الكونية التي أحملها الآن .

قال الرئيس العراقي وهو يهز رأسه : ــ

ــ في الوقت الذي يتقابل فيه الجيشان ، الأمريكي والعراقي ، وأصبح عمر الحرب محسوباً بالساعات ، لا يمكن لأحد أن ينطق بكلمة الانسحاب .. فالنطق بهذه الكلمة مع وجود كل أسباب التهديد حولنا ، هو انتصار للعدو علينا ، نحن نعرف جيداً ، ماذا تعني كلمة الانسحاب الآن .. وهذا لن يحصل على الاطلاق .

□

أقلع ديكويلار من مطار بغداد فجر الرابع عشر من كانون الثاني ، متوجهاً إلى أوربا ، وكانت بغداد ما زالت مندهشة لزيارته المفاجئة في اللحظات الأخيرة ..

كان عرفات على اتصال مع رئيس الوزراء الايطالي أندريوتي ، وقد رجاه التوجه إلى بغداد ،لحمل مبادرة أوربية جديدة ، الاأن الجماعة الأوربية ، كانت قد تراجعت عن مبادراتها الأخيرة بضغوط شديدة من واشنطن ..

وفكر عرفات في الاتصال بالبابا نفسه ، عله يقتنع بالقيام (بمعجزة مسيحية) في هذا العصر ، إلا أنه عاد وتذكر أن موقف الفاتيكان كله كان قد ختم عليه من قبل واشنطن ..

. . .

كان بندر ينتظر بلهفة مكالمة من شيني ، فقد كان يرغب في اسماع صوت (سليمان) إلى عمه بأقرب وقت ممكن .. غير أن الهاتف بقي صامتاً .. قام بندر يطلب شيني بعد أن أعياه الانتظار وسأله : ــ

ــ متى ؟؟..

أجاب شيني بهدوء : ــ ليس قريباً جداً .. وليس بعيداً جداً .

وشعر بندر أن القريب والبعيد ، أصبح يقاس بالساعات ، ولن يطول الانتظار .

□

محاولات أخيرة ختم عليها

في محاولة منه لقطع الميل الأخير ، على طريق أزمة مأساوية ، راح وزير خارجية اللوكسمبورغ جاك بوس (وهو وزير مالي للأسرة الأوربية) يتصل بجورج بوش حول آخر المبادرات المتعلقة بالسلام ، شرح بوش للوزير الأوربي ، إن الرئيس العراقي لم يبد اهتماماً بحل الأزمة سلمياً ، وقد تقصّد بوش إظهار الصعوبات التي تكتنف وضع بغداد والتي تمنعها من (تقديم خطوة على طريق الانسحاب) ، وأشار إلى اصرار العراق على موضوعات الربط والضمانات .. وغيرها مما لا يسمح للولايات المتحدة بالموافقة عليه .

أبدى بوش قلقاً وحيرة عميقين من التطورات الدراماتيكية التي شرحها بوش ، وراح يتصور الوضع المأساوي الذي سينجم عن تدهور المفاوضات ووصولها إلى طريق مسدود .

في رأي الادارة الأمريكية ، التي تلقت في الفترة نفسها ، اقتراحاً مماثلاً من وزير الخارجية الايطالي ، (بارسال وفد يمثل الترويكا الأوربية إلى بغداد) أن ايطاليا كانت أضعف الحلقات في السلسةالأوربية ، وأن جميع العقبات الدبلوماسية تم ازاحتها ، باستثناء واحدة ، **ما انفكت فرنسا تسميها (اتفاقية الدقائق الأخيرة)** .

حاول ميتران تركيز جهده على حالة (الدقائق الأخيرة) التي يمكن أن تلعب دوراً مؤثراً حسب قناعاته (ربما اكثر من جميع الفرص السابقة) ، وقد اتصل بالرئيس الأمريكي بعد أن اكتملت المبادرة في ذهنه . وراح يقول : ـــ

ـــ سيادة الرئيس ، إنها مبادرة صغيرة قد تنقذ الموقف برمته ، وهي تتألف من ثلاث عبارات : ـــ

☐ تعهد عراقي بالانسحاب الكامل من الكويت دون شروط .

☐ ضمانة من التحالف بعدم الاعتداء عليه .

☐ وعد بمؤتمر دولي للسلام يخص المنطقة .

أبدى بوش أسفه لعدم قبوله بمبادرة كهذه لأنها تشكل (مسعى غير مناسب في هذا الوقت) .

وفيما بقيت اللهجة لطيفة بين الرجلين ، فقد أبدى بوش حزماً أذهل به الرئيس الفرنسي) (لوران عاصفة الصحراء . ترجمة أسمر ص ١٥٥) .

لم يكن تعنت البيت الأبيض ، بمثابة مسرحية تتصل برجل مريض يعاني من تفاقم سيكولوجي يصب في خانة العناد المجاني ، بل إن هذا التعنت كان ينبع ، قبل أي شيء آخر ، من عزم الولايات المتحدة على الخروج من أزمة الخليج ، وهي زعيمة على العالم زعامة تفوق أي زعامة لها في الماضي ، فالأمر بالنسبة للولايات المتحدة ، ظل يقوم على مبدأ تعزيز هيمنتها المطلقة على المنطقة ، **والحفاظ على سيطرتها على صعيد العالم ، بما في ذلك ، سيطرتها في مواجهة حلفائها الذين باتت تغريهم ألعاب دور الوسيط** ، وكان من السهل على بوش أن يكتشف أسرار هذه الألعاب المقيتة بسرعة قياسية ، فأية (مبادرة صغيرة) ستكون بكل وضوح ، محملّة بالنتائج ، وستكون كافية للبدء في العد التنازلي (لتخفيض بروفيل الأزمة المتفجرة) وهو ما لم يكن في الحسابات الأمريكية على الاطلاق .

يوم ١٥ كانون الثاني ، الذي اندلع القتال بعده بعنف ، كان واضحاً أن الولايات المتحدة ، مهما كان شأن السيناريوهات المتأتية عن الأزمة ، سوف تحتفظ لنفسها ، بابقاء ملفات المنطقة على حالها بصورة مؤقتة ، وقد بدا أن الولايات المتحدة بعد الانتهاء من الحرب ، ستقدم على فتح هذه الملفات الواحد بعد الآخر ، لا بسيناريو مجابهات المنطقة القديم ، بل على ايقاع النظام العالمي الجديد ، الذي باتت تمثّله دون شراكة من أحد ، يستتبع ذلك ، أن ملف الصراع العربي ـــ الاسرائيلي ، هو أول الملفات ، يعقبه ملف ليبيا وما يسمى أمريكياً بالارهاب الدولي ، ثم ملاحقة الملف العراقي ، واللبناني .. وملف تركيز النظام الاقليمي في زوايا المنطقة الأربع ، ويأتي على الطريق ، ملف الأكراد ، وإيران وتركيا .. ومن الطبيعي ، أن زعامة متفردة للعالم ، ستؤدي إلى الغَرَق في مشكلات العالم بأسره ..

وسيظل الشرق هارباً من استقراءات كومبيوتر مخيف ، فما تم الذهاب اليه ينبغي التحسب منه ، إذ مَنْ كان بوسعه أن يستقرىء صبيحة اندلاع

القتال ، أن الانفجار سوف لن يحل المشكلات بمقدار ما سيقيم العثرات في وجهها

فأمام عشرات بل مئات الألوف من الضحايا ، الذين دفنوا أحياء ، أو سقطوا نتيجة الصراع (وقد تم تعميم ذلك) وأمام استئناف أعمال العنف (داخل فلسطين وجنوبي لبنان) التي تؤدي إلى تفاقم حجم الخسائر ، هل يمكن لأحد أن يتصور امكانية أن يترسخ أخيراً نظام دائم أو بالأحرى تعاون راسخ بين البلدان المتطورة والعالم العربي فوق أطلال حرب الخليج ؟ فوق جثث مئات الألوف من المدنيين والعسكريين ؟.

من الطبيعي أن أوروبا هي الخاسر الأول جراء هذه الحرب ، على صعيد المصالح الدولية ، خاصة وأن العمل الشرعي الذي كانت تسعى له الجماعة الأوربية لفرض احترام الحق ، كان أن حلّ محله ، صدام مروع وجبهي بين الشرق والغرب ، كتكرار لتلك الحملات الصليبية التي لا تنتهي في كل قرن ، ومن المؤكد أن الجرح هذه المرة ، سيحتاج إلى وقتٍ طويل وطويل قبل أن يلتئم .

هل كان الأوان قد فات يوم ١٥ كانون الثاني ١٩٩١ للختم على مصير كل مبادرة حقيقية .. (أنا متأكد أنه لو تم العمل وفق أسلوب الأخوة العربية الحقيقية ، وكثيراً ما يتصارع الأخوة أنفسهم ، لأمكن الوصول إلى حل بأسرع مما يظن أي عنصر طارىء على المشكلة) (الملك حسين) .

أخيراً ، يقول آلان غريش في كتابه الخليج مفاتيح لحرب معلنة ترجمة ابراهيم العريس ص ٢٥٩ (كان علينا العمل بنصيحة رابليه التي تقول : أنا لن أخوض الحرب إلا بعد أن أكون قد حاولت كل فنون وأساليب السلام بالتأكيد) .

الفصل السابع

كُتب عليكم القتال

مهما كانت نتائج الحرب في الخليج ، فانه ليس بإمكان أحد التبجح بالتباهي أو البهجة .. إن ما نشهده هو هزيمة مريعة للأخلاق والعقل والسلام وحكمة الإنسان على مر الدهور .

فرنشيسكو كوسيغا
رئيس جمهورية ايطاليا

أيها الشعب العراقي العظيم .

يا أبناء أمتنا المجيدة .

أيها النشامىٰ في قواتنا المسلحة الباسلة .

أيها الناس حيث ما اشتد عزمكم ضد الباطل وأهله الكافرين وأعوانهم وحلفائهم .

في الساعة الثانية والنصف من منتصف هذه الليلة (ليلة ١٦على١٧/١/١٩٩١ غدر الغادرون ، فارتكب صديق الشيطان بوش جريمته الغادرة هو والصهيونية

المجرمة وابتدأت المنازلة الكبرى في أم المعارك بين الحق المنتصر بعون الله وبين الباطل المندحر لا محالة إن شاء الله .

وكان النشامى أبناؤكم وإخوانكم سليلي التوحيد المحمدي وسليلي الانبياء والرسل وسليلي أولئك المؤمنين الذين حملوا مشعل الإسلام نوراً وضياء وهدًى إلى الإنسانية ، كانوا لهم بالمرصاد بيقظة عزهم بها الله .

ألا خسىء المجرمون . إن الله معنا أيها الأخوة . إنه سبحانه مع المؤمنين الصابرين الصامدين المجاهدين . وإنه ناصرهم لا محالة . إن شاء الله .

أيها الأخوة :

مع اشتداد المنازلة الكبرى وصمود المؤمنين يقترب الفرج من الفتح أمام الأمة كلها ، بعد أن تسقط العروش القائمة على الفساد وبعد أن تتحطم ارادة الشر والشيطان في البيت الأبيض وكذلك كفر التسلط في وكر الدبابير السامة والعدوان في تل أبيب المجرمة .

ستتحرر فلسطين الحبيبة وأهلها الطيبون المجاهدون الصابرون . وسيتحرر الجولان وجنوبي لبنان ، ويتحرر الانسان في أرض العرب ، وفي كل مكان ظلم فيه الظالمون المستكبرون ، الشعوب والأمم .

الله اكبر . الله اكبر . الله اكبر .

وكان ذلك أول نداء من الرئيس العراقي ، للاعلان عن وقوع العدوان والتصدي له .

. . .

فقد شنّت ألف طائرة مقاتلة وقاذفة تابعة لقوات التحالف تقلع أسراباً من مطارات السعودية والأمارات والبحرين وقبرص وتركيا ومن حاملات الطائرات في مياه الخليج والبحر الأحمر ، لتضرب الأهداف المحددة لها في كامل العراق والكويت .

كانت لوحة التقابل في نسبة القوى والوسائط . تشير الى موازين مكسورة في كل شيء .

فقد بلغ حجم القوة الجوية المشاركة في العمليات عند بداية عملية «عاصفة الصحراء» أكثر من ٢٢١٥ طائرة مقاتلة موزعة كالتالي :

الولايات المتحدة	١٨٠٠ طائرة من مختلف الأنواع ٩٦ منها مرابطة في تركيا .
بريطانيـا	٧٢ طائرة من طراز «تورنادو» و «جاغوار» ، وغيرها .
فرنســا	٤٤ طائرة من طراز «جاغوار» و«ميراج ٢٠٠٠» ، وغيرها .
كنــدا	٢٤ طائرة من طراز «ف ــ ١٨» .
إيطاليـا	٨ طائرات من طراز «تورنادو» .
السعوديـة	١٨٠ طائرة من مختلف الأنواع .
الامــارات	٨٠ طائرة من مختلف الأنواع .
الكويــت	عدد غير محدد من طائرات «سكاي هوك» .
قطــر	٧ ؟ عدد غير محدد من طائرات «ميراج ف ــ ١» .
المجمــوع	+ ٢٢١٥ طائـرة .

ولا تشمل هذه القائمة الأعداد الضخمة من طائرات النقل ذات الأجنحة الثابتة أو الهليكوبتر .*

ولا يمكن تقدير حجم قوة هذه الاعداد من الطائرات دون أن نأخذ في اعتبارنا قدراتها القتالية وانواع الذخائر التي تحملها ومدى فاعليتها ودقتها في اصابة الهدف . وتمتاز الطائرات الاميركية بحمولات حربية كبيرة ، يصل بعضها الى اكثر من ١٣ طناً كما في طائرات «ف ــ ١١١» ، واكثر من ٩ أطنان لطائرات «آ ــ ٧ كورسير» ، واكثر من ٧ أطنان مثل طائرات «ف ــ ٤ فانتوم» ، وآ١٠ آ توندربولت و«ف ــ ١٥ ايغل» ، واكثر من ٥ أطنان لطائرات «ف ــ ١٦» ، هذا عدا عن الحمولة غير العادية لقاذفات «ب ــ ٥٢» والتي تصل الى ٢٧ طناً عدا حمولتها الضخمة من الوقود اللازم لمداها الواسع . وتتكون هذه الحمولات في اغلب الاحيان من ذخائر خاصة توجه بوسائل حديثة مثل اشعة اللايزر ، او الرادار ، او الاشعة تحت الحمراء ، أو تلفزيونياً ، ويمكن اطلاقها بدقة بالغة ومن ارتفاعات شاهقة وبعيدة . وتفوق قدرات هذه الذخائر

* حرب الخليج الأسلحة والتكتيكات المؤسسة العربية للدراسات والنشر اعداد هشام عبد الله .

التدميرية كل ما سبق واستخدم من قنابل تقليدية في اي من الحروب الحديثة الكبرى المعروفة ، سواء الحرب العالمية الثانية ، او حرب فيتنام ، مثل القنابل الفراغية ، والانشطارية ، والانزلاقية . ويعني هذا ان فاعلية القصف الجوي كانت اعلى من اي وقت مضى لأن تحقيق الاصابات كان اعلى ، كما ان الطاقة التدميرية للكثير من الاصابات كانت اعظم . وكانت المصادر الاميركية قد ذكرت أن الطائرات الأمريكية استخدمت من الذخائر المتطورة ضد العراق خلال اربعين يوماً اكثر مما استخدم خلال ٩ سنوات من الحرب في فيتنام .

*وبالمقابل قدّر ما لدى العراق من طائرات حربية بحوالي ٥٥٠ طائرة من ثلاثة مصادر رئيسية هي ، الاتحاد السوفياتي ، وفرنسا ، والصين ، وتشمل :

أ ــ طائرات مقاتلة متعددة الأغراض فرنسية طراز «ميراج ــ ف ١» .

ب ــ طائرات مقاتلة معترضة متعددة الاغراض سوفياتية «ميغ ــ ٢٩» ، و«ميغ ــ ٢٥» التي يمكن استخدامها في مهام الاستطلاع من ارتفاعات عالية ، و«ميغ ــ ٢١» .

ج ــ طائرات تفوق جوي ، واسناد جوي قريب من طراز «ميغ ــ ٢٣» .

د ــ طائرات اسناد جوي قريب سوفياتية من طراز «سوخوي ــ ٢٥» ، و«سوخوي ٢٠ و٢٢» ، و«سوخوي ــ ٧» .

هـ ــ طائرات تعرضية من طراز «سوخوي ــ ٢٤» .

و ــ قاذفات قنابل سوفياتية من طراز «تو ــ ١٦» ، و«تو ــ ٢٢» .

ز ــ طائرات مقاتلة نهارية ، واسناد جوي قريب من طراز «كسيان جي ــ ٧» و«ف ــ ٧ م» صينية .

ح ــ طائرتان للانذار المبكر والحرب الالكترونية من طراز «عدنان ــ ١» مركبة على طائرة نقل من طراز «اليوشن ــ ٧٦» طورت وجهزت في العراق .

ان تحليلاً ادق لقدرات الطيران العراقي تظهر انه يفتقر الى التكامل في القوة الذي توفر لطيران قوات التحالف . وعلاوة على ان اعداده لا تكاد تصل الى

ربع اعداد طائرات التحالف ، فإن عدد طائرات الصف الأول لديه تبدو قليلة مقارنة مع طائرات الطرف الآخر . فجزء كبير من الطائرات العراقية من طراز «ميغ ــ ٢١» الخفيفة او «سوخوي ــ ٧» القديمة جداً ، او القديمة وغير الصالحة للقيام بأي دور بسبب ظروف المواجهة في الخليج مثل قاذفات القنابل من طراز «تو ــ ١٦» ، و«تو ــ ٢٢» التي لا بد من توفر حماية جوية لها لا يستطيع الطيران العراقي تأمينها في تلك الظروف ، هذا في حين نرى ان فرنسا وبريطانيا وايطاليا وكندا قد دفعت بأحدث ما لديها من طائرات مقاتلة ، وان الغالبية العظمى من الطائرات الاميركية هي طائرات حديثة جداً . يضاف الى ذلك ان العراق يفتقر الى اعداد كافية من الطائرات عالية التخصص ، مثل طائرات المراقبة وادارة العمليات الجوية والبرية .

توزعت طائرات التحالف المقاتلة في قواعد بعيدة نسبياً ، وذلك لعدة اسباب : اولها ، ابقاء الطائرات في مناطق بعيدة داخل الاراضي الصديقة لضمان فترة انذار كافية من اي هجوم معادٍ . وثانيها ، البقاء في اماكن ابعد من مدى الصواريخ العراقية ، ا و لبقاء في مناطق لا تكون هذه الصواريخ دقيقة الاصابة فيها إن طالتها وهكذا انتشرت الطائرات في مواقع يتراوح بعدها عن الأهداف العراقية ما بين ٦٠٠ كم الى ١٥٠٠ كم ، رغم وجود قواعد اقرب ، فقد كان في امكان الطائرات الاميركية المرابطة في قاعدة قريبة من ديار بكر التركية بدل قاعدة «انجرليك» . هذا عدا عن قاذفات «ب ــ ٥٢» التي كانت تنطلق من قاعدة فيرفورد غربي بريطانيا التي تبعد مسافة تزيد عن ٥٠٠٠ كم عن اهدافها في العراق والكويت او جزيرة دييغو غارسيا في المحيط الهندي . اما السبب الثالث ، فهو نشر هذه الطائرات على مساحات واسعة تتجاوز قدرة الطيران العراقي المحدودة على المراقبة او الاستطلاع .

وقد توزعت طائرات الحلفاء على قواعد احاطت العراق من شماله وجنوبه والجزء الجنوبي الغربي منه . ففي البحر الأحمر رابطت ثلاث حاملات طائرات هي «اميركا» ، و«ساراتوغا» ، و«جون ف . كينيدي» ، انضمت اليها حاملة رابعة

بعد اسبوع واحد من نشوب القتال هي الحاملة «فورستال» ، وابحرت حاملتا الطائرات «تيودور روزفلت» و«رانجر» في بحر البحر جنوبي خليج عُمان . في حين ابحرت حاملة الطائرات «ميداوي» في الخليج العربي . اما في البر فقد انتشرت طائرات قوى التحالف في قواعد خميس مشيط ، والطائف ، وجدة ، جنوب غرب المملكة العربية السعودية ، وقاعدة الخرج جنوب الرياض ، والرياض ، وقواعد الظهران والدمام ، وتبوك شمال غرب السعودية ، والمحرّق في البحرين ، والدوحة في قطر ، وفي الشارقة في الامارات العربية المتحدة . وفي قاعدة السيب وثومريت في عُمان ، وقاعدة انجرليك جنوبي وسط تركيا . واستفادت من المرافق الجوية التابعة لمعظم دول التحالف ، ومن غير دول التحالف في بعض الاحيان ، في عمليات النقل والامداد او التزود بالوقود ، سواء في بريطانيا ، او فرنسا ، او ايطاليا ، او مصر ، او تركيا ، او قبرص .

كانت عملية حشد القوات البرية اكثر تعقيداً من حشد القوات الجوية . وذلك بسبب الاعداد الضخمة من الجنود التي تتطلبها وضخامة اوزان المعدات التي تستخدمها القوات البرية عادة . ابتداء من الدبابات ، والمصفحات ، وناقلات الجنود المدرعة ، وانتهاء بالمدافع والأنظمة الصاروخية والأسلحة المضادة للدبابات ، والطائرات ، علاوة على العربات وشاحنات النقل من مختلف الحمولات .

وقد بذلت حكومة الولايات المتحدة جهوداً ضخمة وضغوطاً كبيرة لضمان مشاركة اكبر عدد ممكن من الدول في العملية . وكانت المرة الأولى التي تتفق فيها دول من الكتلة الشرقية مع دول غربية على تأييد عمل مشترك ضد احدى الدول . فقد ايدت رومانيا ، العضو في مجلس الامن الدولي ، جميع قرارات مجلس الأمن ، اضافة إلى الاتحاد السوفياتي العضو الدائم في مجلس الأمن . كما شاركت تشيكوسلوفاكيا بوحدة في العملية ، ورغم ضآلة حجم المشاركة التي لم تزد عن ٢٠٠ جندي من المختصين بالحرب الكيماوية فقد كان لتلك المشاركة دلالة خاصة .

قسمت الولايات المتحدة عملية الحشد الى مرحلتين : «المرحلة «أ» ، وتهدف الوصول الى مستوى يمكّن القوات المتواجدة في السعودية من صد أي هجوم عراقي وقد اتمت القوات الاميركية والمتحالفة هذه المرحلة بعد ثلاثة أشهر تقريباً من بداية أزمة الخليج . وهدفت ، اضافة الى حشد القوات والاسلحة ، الى رفع مستوى تدريب القوات السعودية ، واعادة تنظيمها بما يتناسب ومستجدات الوضع الجديد ، وتنسيق التعاون بين مختلف القوات المحتشدة في المنطقة ، وتذليل الصعوبات الناجمة عن الاختلافات بين قوات تتبع مناهج عسكرية متباينة وتتحدث لغات مختلفة . وكانت المرحلة «ب» ، هي حشد قوة قادرة على شن هجوم ضد القوات العراقية لاخراجها من الكويت .

وقد تزايدت اعداد القوات الاميركية باضطراد فلم يكن يمضي يوم دون ان تهبط طائرة محملة بالجنود أو المعدات أو ترسو سفينة تفرغ مئات الاطنان من الذخائر والمعدات ، ومئات الجنود . وخلال الشهر الأول للأزمة أرسلت الفرقة ٨٢ المحمولة جواً ، اللواء الأول منها وجزء من اللواء الثاني جواً الى المنطقة ، كما أرسل لواءان من فرقة المشاة الآلية ٢٤ ، اضافة الى وحدات اخرى ، من ضمنها لواء المدفعية المضادة للطائرات الحادي عشر من «فورت بلس» في تكساس وهو مسلح بصواريخ «باتريوت» و«ستنجر» المضادة للطائرات . وخلال تلك الفترة ، نقلت اعداد من طائرات الهليكوبتر التابعة للجيش تضمنت ١٤ هليكوبتر للنقل التكتيكي من طراز «يوهـ ــ ٦٠ آبلاك هوك» تابعة للواء الثاني ، و١٥ هليكوبتر هجومية من طراز «آهـ ــ ٦٤ اباشي» تابعة للواء الأول ، الى الظهران لمساندة الفرقة ٨٢ المحمولة جواً . وكان يتواجد في الظهران ما لا يقل عن ٨ هليكوبتر خفيفة للمراقبة من طراز «و هـ ــ ٥٨ كيوا» وعدد من هليكوبترات النقل المتوسطة طراز «سي هـ ــ ٤٧ شينوك» .

وحشدت تركيا ١٠٠ الف جندي على الحدود الشمالية للعراق ، كان الهدف منها تشتيت الجهود العراقية اكثر من فتح جبهة ثانية ضد العراق . وكان حلف شمالي الاطلسي قد قدم الى تركيا دبابات ومصفحات خفيفة شملتها اتفاقات نزع

السلاح بين الشرق والغرب في اوروبا ، واستثنيت تركيا من شروطها ، رغم عضويتها في حلف شمالي الاطلسي . وقد وصلت هذه الاسلحة في نهاية تشرين الثاني/ نوفمبر وتم نشرها مع القوات التركية على طول الحدود مع العراق بين ماردين ومركز الخابور الحدودي .

وفي الاسبوع الاخير من العام ١٩٩٠ وصلت طلائع الفرقة المدرعة الرابعة المصرية وقوامها ١٥ ألف جندي لتنضم الى ٢٠ ألف جندي مصري سبق ونشروا في منطقة حفر الباطن شمال شرق السعودية . وفي الوقت نفسه تزايدت اعداد القوات الفرنسية والبريطانية ، ووصلت الى السعودية قوات سورية وباكستانية ومن دول اخرى . ومع بداية العام ١٩٩١ كان حجم القوات البرية ومشاة البحرية الاميركيون قد وصل الى ٢٥٠ ألف جندي تساندهم ١٠٠٠ دبابة و ٢٠٠٠ مصفحة وناقلة جنود مدرعة و ١٥٠٠ طائرة هليكوبتر اضافة الى قوات الدول الحليفة الاخرى ، وكان قد بقي على المهلة التي حددها مجلس الأمن لإنسحاب العراق من الكويت أقل من اسبوعين .*

□

عدد القوات البرية المتحالفة عند بدء العمليات الجوية يوم ١٩٩١/١/١٧

البلد	قوات برية	هليكوبترات	دبابات ميدان رئيسية	ناقلات جنود مدرعة ومصفحات
الولايات المتحدة	٣٤٥٠٠٠	١٧٠٠	١٢٠٠	٢٢٠٠
/مشاة بحرية	٧٥٠٠٠			؟
بريطانيا	٣٢٠٠٠	١٢	١٦٣	
فرنسا	١٢٠٠٠	٧٢	٤٠	٢٦٠
المملكة العربية السعودية	٣٨٠٠٠			
/حرس وطني(*)	٥٦٠٠٠	٨٢	٥٥٠	+١٩٠٠
مصر	٣٥٠٠٠		٣٠٠	؟

سوريا	١٦٠٠٠		٣٠٠	؟
الامارات العربية المتحدة(*)	٤٠٠٠٠	٤٦	٢٢٠	٢٣٥
المغرب	١٧٠٠			؟
باكستان	١٠٠٠٠			؟
بنغلادش	٢٥٠٠			؟
نيجيريا	٤٥٠			؟
السنغال	١٠٠٠			
تشيكوسلوفاكيا	٢٠٠			
بلغاريا	٣٠٠			
سلطنة عُمان(*)	٢٥٥٠٠	٣٥	٥٣	٦٦
قطر★	٩٠٠٠	١١	٢٤	٦٥
المجموع	**٦٥١٫٦٥٠**	**١٩٥٨**	**٢٩٣٠**	**+٤٧٢٦**
العراق	**٥٤٠٠٠٠**	**٣٨٠**	**٤٠٠٠**	**٢٥٠٠**

الحشد البحري :

يبين الجدول التالي حجم القوة البحرية التى احتشدت في المنطقة ، ويجدر الذكر ان هذا الجدول يضم مجموع القوات البحرية للدول الاجنبية المشاركة والقطع البحرية الرئيسية لدول المنطقة . فعلاوة على ما هو وارد في الجدول ، تمتلك المملكة العربية السعودية اعداداً كبيرة من زوارق الدورية الخفيفة ، منها ٩ زوارق طوربيد زنة الواحد ١٩٠ طناً ، المانية الصنع ، و٨ زوارق دورية ساحلية زنة الواحد ٩٠ طناً فرنسية الصنع ، و١٥ قارب دورية من زنة ٢٦ طناً ، و٨ زوارق حوامة زنة ٥٥ طناً ، و١٦ زورقاً حواماً من زنة ١٠ أطنان . اضافة الى عدد من كاسحات الألغام الساحلية وسفن الامداد ، والسفن المساعدة الاخرى . ويبلغ قوام القوات البحرية السعودية حوالي ٧٢٠٠ بحاراً . وتمتلك الامارات العربية المتحدة ٦ زوارق دورية من زنة ٢٣٠ طناً ، و٦ زوارق دورية من زنة ١٧٥ طناً ، و٣ قوارب دورية من زنة ٣٨ طناً ، اضافة لاعداد اخرى

من القوارب الصغيرة وقوارب حرس السواحل . ويبلغ قوام القوة البحرية لدولة الامارات ١٥٠٠ رجل . وللبحرين ايضاً قوة بحرية قوامها ٦٠٠ جندي يشغّلون عدداً من زوارق الصواريخ من زنة ٢٢٨ طناً ، وزوارق الهجوم من زنة ١٨٨ طناً . علاوة على بعض القوارب الخفيفة الأخرى ، وقوارب خفر السواحل . وشارك الكويتيون بعدد غير محدد من الزوارق التي لم يستولِ عليها العراقيون ، أو التي تمكنوا من الحصول عليها بعد الاحتلال ، ويذكر ان الكويت كان يمتلك قبل الاحتلال العراقي ٦ زوارق صواريخ سريعة من زنة ٢٥٥ طناً ، وزورقي دورية سريعين من زنة ٤١٠ أطنان . ولم نورد هذه القطع البحرية الخفيفة في الجدول ، لأنها لا تصلح للعمل في اعالي البحار ، وليس لها قدرة على مواجهة الفرقاطات والمدمرات والطرادات الضخمة نسبياً ، ولا يكاد مجموع اوزانها يصل لوزن فرقاطة خفيفة .

القوى البحرية المشاركة في عملية الخليج ١٧ كانون الثاني ١٩٩١

البلد	عدد السفن	بحار	ملاحظات
الولايات المتحدة	١٠٨	٦٠٠٠٠	من ضمنها ٦ حاملات طائرات + بارجتين
بريطانيا	١٦	٣٤٠٠٠	مدمرات + ٤ فرقاطات + ٣ كاسحات
فرنسا	١١	٢٥٠٠	
بلجيكا	٣		٢كاسحة الغام + سفينة امداد
كندا	٣	١٧٠٠	
الدنمارك	١		طراد
اليونان	١	٢٠٠	فرقاطة
إيطاليا	٥		٣ فرقاطات + سفينتان
النرويج	١		سفينة حراسة
اسبانيا	٣		فرقاطة + ٢ طراد
استراليا	٣	٦٠٠	مدمرة + فرقاطة + سفينة امداد
الأرجنتين	٢		فرقاطة + مدمرة
المملكة العربية السعودية	٨		٤ فرقاطات + ٤ طرادات
العراق	**٩**		**فرقاطة + طرادان + ٦سفن انزال**

تبدو قوى جميع الدول المشاركة في الحشد البحري متواضعة مقارنة بالقوة الاميركية ، وفي الوقت نفسه تبدو القوة البحرية العراقية ضئيلة للغاية مقارنة بكل القوى المواجهة . فالعراق لا يمتلك سوى فرقاطة واحدة من منشأ يوغسلافي هي الفرقاطة «ابن خلدون» ، التي يبلغ وزنها ١٨٥٠ طناً ، هي في الأصل سفينة تدريب لها قدرة على العمل كفرقاطة ، وطرادين من منشأ ايطالي فئة «موسى بن نصير» زنة الواحد ٦٨٥ طناً . وتتسلح الفرقاطة والطرادين بصواريخ سطح ـــ سطح من طراز «اوتومات» ، وتستطيع كل سفينة حمل طائرة هليكوبتر مضادة للسفن من طراز «اغوستابيل ٢١٢» . كما تمتلك البحرية العراقية ٣ سفن انزال دبابات من منشأ دانماركي من فئة «الزهراء» تستطيع الواحدة حمل ٢٠ دبابة و٢٥٠ جندياً ، وطائرة هليكوبتر . و٣ سفن انزال متوسطة حمولة الواحدة ١٨٠ جندياً و٦ دبابات ، من فئة «بولنوسني» سوفياتية ، هذا بالاضافة الى عدد كبير من زوارق الصواريخ السريعة من اوزان مختلفة ، وزن بعضها اقل من ٢٥٠ طناً ، ومعظمها يقل وزنه عن مئة طن ، جميعها تقريباً من منشأ سوفياتي .

كما يتضح ، ليس لدى العراق قوة بحرية تضاهي بأي حال من الأحوال قوات التحالف البحرية ، والسبب في ذلك أن ليس للعراق شواطيء واسعة فمنفذه البحري الوحيد على الخليج ضيق للغاية ، وهو لا يمتلك سوى قاعدة بحرية واحدة هي «أم قصر» في البصرة . وكان تواجد القوة البحرية العراقية في الخليج خلال الحرب ، في مواجهة قوات التحالف البحرية الهائلة التي كانت تساندها العشرات من طائرات الدورية البحرية وطائرات الهليكوبتر المضادة للسفن ، بمثابة فخ كبير للسفن والزوارق العراقية ، لا يقلل من خطورته انتشار تلك القوات في المناطق القريبة من القواعد الكويتية او قرب الشواطيء الايرانية .

(المصدر السابق) .

حرب صامتة :

كانت القوات الجوية لقوى التحالف هي رأس الحربة في عملية «عاصفة الصحراء» ، وكان ذلك منطقياً ويتمشى مع الأهداف الاساسية للخطة

الأميركية ، فالقوة النارية لطائرات التحالف من الضخامة بحيث تستطيع توجيه ضربة قاصمة للمواقع العسكرية والاستراتيجية العراقية في عمق اراضيها ، وحسم الأمر بأسرع ما يمكن . كما ان الخسائر ستكون محدودة جداً فلن يتعرض للخطر سوى عدد قليل من بضع مئات من الطيارين . اضافة الى ان القوات الجوية الاميركية تستطيع الافادة من تفوقها التقني الساحق في مجال الحرب الالكترونية ، مما يعني تقليل هذه الخسائر اكثر ، واضافة تفوق نوعي الى تفوقها العددي والنوعي الاساسي .

منذ الأيام الأولى للحشد ، كانت تدور رحى حرب شديدة صامتة تمهد للعمليات الحربية القتالية ، هي الحرب الالكترونية . وتركزت النشاطات ، في تلك الفترة ، على الاستطلاع وجمع المعلومات الاستخبارية عن القوات العراقية ، ومختلف الأهداف الاستراتيجية والاقتصادية في العراق . وقد حشدت قوات التحالف اكبر قدر من معدات الحرب الالكترونية جرى حشدها أما أوجه استخدام هذه المعدات فلا حصر لها ، وبشكل عام فإنها تحظى بدور تتزايد أهميته باستمرار في المجالات العسكرية ، إلا ان استخدامها الرئيسي في حرب الخليج كان يهدف الى :

١ ــ تضليل وسائل الدفاع الجوي العراقية خاصة الصواريخ التي توجه بالرادار ، او بتتبع مصادر الحرارة المنبعثة من عوادم الطائرات .

٢ ــ اعماء اجهزة الانذار الرادارية والتشويش عليها وتضليلها .

٣ ــ التشويش على اجهزة الاتصال اللاسلكية وتعطيلها ، وتتبع مصادر الارسال السلكي واللاسلكي وجمع المعلومات الاستخبارية عنها لضربها .

٤ ــ استخدامها في ادارة العمليات الحربية ، سواء منها الجوية او البرية ، حيث تقوم طائرات مزودة بغرف عمليات كاملة بجمع المعلومات الاستخبارية بواسطة اجهزتها الخاصة او من مصادر اخرى ، وتقوم بفرزها وتنسيقها وتوجيه القوات الجوية او البرية بموجبها .

٥ ــ القيام بعمليات الاستطلاع الالكتروني وجميع الاستخبارات .

ويمكن تقسيم معدات الحرب الالكترونية التي استخدمت في حرب الخليج الى ثلاثة اقسام رئيسية :

١ ـــ معدات الحماية الذاتية الخاصة بكل طائرة على حدة .

٢ ـــ معدات جمع الاشارات الاستخبارية (SIGINT) .

٣ ـــ المنصات الطائرة المختصة بالحرب الالكترونية .

وتتراوح معدات الحماية الذاتية الخاصة بكل طائرة بين أجهزة رادار للانذار باقتراب الخطر ، الى معدات التشويش على الاسلحة التي قد تطلق ضدها وتضليلها ، مثل اطلاق مشاعل حرارية تضلل الصواريخ التي تتبع مصادر الحرارة ، او نثر رقائق معدنية لتضليل الصواريخ التي توجه بالرادار .

تضم طائرات جمع الاشارات الاستخبارية التي شاركت في عمليات الخليج الطائرات الاميركية من طراز «يو ـــ ٢ ر» و«ت ر ـــ ١ آ» و«ارسي ـــ ١٣٥» اضافة الى طائرتين بريطانيتين من طراز «نمرود ر ـــ ١» ، وطائرة فرنسية من طراز «سي ١٦٠ غابرييل» كانت ترابط في قاعدة الحسا شرقي المملكة العربية السعودية . ويعتقد بأن الطائرات الاميركية من طراز «يو ـــ ٢ ر» ، و«رس ـــ ١٣٥ في» كانت تقوم بجمع الاستخبارات عن الاتصالات (COMINT) ، في حين كانت طائرة «سي ١٦٠ غابرييل» تقوم بجمع الاستخبارات التكتيكية عن الاتصالات اضافة لعملها كنظام استخبارات الكتروني (ELINT) . كما قامت طائرات «ت ر ـــ ١ آ» بمهام جمع الاستخبارات عن الاتصالات اضافة الى عملها كمنصة مراقبة رادارية .

وتقول المصادر الغربية ، أنه خلال التجارب الحديثة التي أخضعت لها طائرة ستيلث F117-A ، التي اشتركت في أول موجة بمعدل أربعين طائرة ، كانت على درجة كبيرة من المخاطرة ، حيث طُلب إلى طياريها الاقتراب من شبكات رادارات دفاعية سوفيتية (قبل اندلاع الحرب في الخليج) ، وتفيد معلومات عسكرية فرنسية ، أن السرب اقترب مسافة ١٥ كم ، من احدى الشبكات الرادارية

السوفيتية ، وكان مفترضاً أن هذه الشبكات تلتقط على مسافات تتجاوز مئات الكيلومترات ، إلا أن الشاشات لم تكن لتلتقط شيئاً ..

كانت الطائرات مجهزة بأجهزة رؤية ليلية تعمل على أشعة الليزر ، وآلات تصوير تحت الحمراء ، وأجهزة تلفزيونية مجهزة بمكبرات ضوئية ، وتقذف هذه الطائرات وهي على ارتفاعات شاهقة ، قنابل موجهة بالليزر تزن حوالي ۹۰۰ كغ ، كما زودّت بصواريخ مضادة للرادارات التي تلحق الموجات التي تبثها الرادارات المعادية ، وهناك صواريخ جو ـــ أرض متقدمة جداً ، وصواريخ جو ـــ جو شديدة السرعة . وبوسع رادار هذه الطائرة ، رصد ما يجري حوله بكل دقة . ويقول ملحق عن أسعار الحرب التكنولوجية بأن كلفة هذه الطائرة بلغت ٤٦ مليون دولار وأن وزنها عند الاقلاع بحمولتها الكاملة تبلغ ٢٣٫٨ طن . ولا تترك هذه الطائرات على شاشات الرادارات إلا ذبذبات بسيطة لا تختلف كثيراً عن تلك التي يتركها طائر من طيور النورس .

كانت طائرة ستيلث ، سراً من أسرار آخر ما في ترسانة القوى الجوية الأمريكية من تكنولوجيا ، وهي من الموديلات التي ظهرت لأول مرة ، أثناء غزو بنما ، وقد أبدى الجنرال باول آنذاك عدم رضاه عن أدائها لعدم دقة إصابتها (قد يكون ذلك تضليلاً أو أنه جرى تطوير رماياتها فيما بعد) وفي جميع الأحوال ، فإن ستيلث كانت واحدة من أهم أسرار الأسلحة المتقدمة التي قدمتها التكنولوجية الأمريكية (بمشاركة تكنولوجيات الكترونية يابانية هامة جداً) ، وكان ذلك قبيل انتهاء مرحلة الحرب الباردة بقليل .

إن السر الحربي الثاني ، الذي أظهرته حرب الخليج ، كان يتمثل باستخدام الصاروخ الجديد من نوع توماهوك ، وهو صاروخ تم اطلاقه من الطرادات والمدمرات والغواصات الأمريكية على أهداف عراقية ، وكان ذلك بمعدل (٤٥ صاروخ) في اليوم الواحد ، بحيث تم احصاء اكثر من (١٧٠٠ صاروخ) من طراز توماهوك ، كانت قد سقطت على العراق مع انتهاء العمليات القتالية .

وتقول المصادر الغربية المختصة ، إن النجاح الأمريكي في التحكم بمسار هذا

الصاروخ ، بعد عدة تجارب فاشلة ، كان قد قلب موازين القوى بين الغرب والكتلة الشرقية ، وتصف المصادر هذا الصاروخ بقولها :

(يحمل هذا الصاروخ الصغير نسبياً في رأسه ، أرقى ما أنتجته صناعة الالكترونيات والمعلوماتية الأمريكية ، وهو يشبه الطائرة الحقيقية يقودها طيار من نوع الروبوت الصغير، ويحفظ توماهوك في ذاكرته الصورة الواقعية للمناطق التي يجتازها أثناء طيرانه ، وينطلق بسرعة تجاوز ٨٠٠ كم/ساعة على ارتفاع بين ١٥ إلى ٨٠ متر ، وفي نهاية رحلته يتعرف الصاروخ على هدفه ويصيبه بدقة متناهية ، بفارق ثلاثة أمتار بعد أن يكون قد اجتاز مسافة ١٣٠٠ كم .

تزود الأقمار الصناعية الصاروخ بكشف طوبوغرافي للطريق التي يسلكها نحو هدفه النهائي ، وعلى عكس الصواريخ البالستيكية التقليدية (التي ترتفع في الفضاء . لتسقط بعد ذلك على مسافة تبعد نحو عشرة آلاف كم عن منصة اطلاقها) يعتمد صاروخ توماهوك ، اثناء رحلته على المعلومات الخاصة بالأراضي التي يجتازها أثناء طيرانه ، وتتيح له ذاكرته الداخلية ، في كل لحظة ، تحديد موقعه بالنسبة الى نقطة انطلاقه ، وتسمح له رؤيته الخاصة ، برصد الخاصيّات الطوبوغرافية لمطابقتها مع المعلومات المحفوظة في ذاكرته ، كما يجعله حجمه الصغير أقل عرضة للخطر الذي يهدد المقاتلات العادية) (الخليج ـ الحرب الخفية جان بول كروازيه . شركة الأرض للنشر المحدودة . ص ٣٤) .

. . .

ولم تكتف واشنطن بتسليط ستة أقمار اصطناعية على العراق والكويت ، لكنها حركت أيضاً في اتجاه المنطقة قمرين إضافيين لمراقبة متقدمة بوسعها رصد الحرارة التي تلفظها عوادم الصواريخ قبل اطلاقها ، كما وجهّت قمرين آخرين من نوع لاكروس تخترق راداراتهما كتل الغيوم وسطح الأرض إلى عمق يتجاوز خمسة أمتار .

كانت أكثر من عشرة أقمار اصطناعية ، قد سُلّطت على كامل العراق والكويت ، وعلى ارتفاعات ما بين ١٥٠ ـ ٢٠٠ كم ، واستطاعت بواسطة

أجهزة فيديو حساسة تصوير مساحات بحدود المتر المربع الواحد بمعدل ١٢ فيلم في الساعة ، (مدة الفيلم ٥ دقائق) ، وقد أحصت هذه الأفلام قبل اندلاع القتال زهاء عشرة آلاف هدف عراقي تمت برمجتها على طائرات الحلفاء ، دون حاجة لأية تمرينات واقعية من قبل الطيارين على الأهداف المطلوبة .

كان يطير في الفضاء إضافة إلى الأقمار الاصطناعية الأمريكية ـــ أقمار تجسسية أخرى تابعة للتحالف (بريطانية وفرنسية) أو لغير التحالف (أقمار سوفيتية) ، وكانت سماء الخليج قد تحولت إلى ما يشبه شجرة ميلاد مضاءة ، بمصابيح النار لا السلام ..وكانت سماء بغداد هي تلك الشجرة ليلة السابع عشر من كانون الثاني ، وهي ليلة الهمجية والخراب والتقتيل ..

بعد الأغارة الأولى ، توالت الاغارات على الأهداف العراقية حوالي أربعين يوماً دون توقف ، وكان عدد الطلعات اليومية يصل إلى حدود ٢٥٠٠ غارة جوية ، مما يشير إلى وقوع نحو ١٢٥ ألف غارة خلال مدة الحرب ، ويختلف العسكريون في تقدير أوزان الحمولات من الأطنان المتفجرة التي أُلقيت خلال الغارات الجوية على مدى أربعين يوماً ، وقد أشار الدكتور أنطوان حداد في نشرة شؤون الأوسط الصادرة عن مركز الدراسات الاستراتيجية عدد نيسان ١٩٩١ ، أن الوزن الأجمالي لما ألقي على العراق من قنابل وقذائف وصواريخ يصل إلى ما يزيد على ١٢٠ ألف طن . (حيث يمكن احتساب ذلك من خلال مؤشر وسطي الحمولات ما بين ١٠ طن للطائرة F16 و٣٢ طن للقاذفة B52 ، مع ضرب هذا المتوسط بمجموع الغارات الجوية ، بعد معرفة تقريبية بعدد الطائرات المغيرة في الغارة الواحدة ، هذا غير الصواريخ والقذائف الموجّهة من حاملات الطائرات والمدمرات والفرقاطات البحرية) .

كانت الأهداف المطلوبة حسب قائمة أعدتها القيادة الأمريكية العليا قد اشتملت على سبعة وعشرين هدفاً ، ثم زيدت إلى ستين قبل اندلاع الحرب . وعشية اندلاع الغارات الجوية ، راحت القيادة الأمريكية تزيد في أعداد الأهداف

المطلوبة إلى أن وصلت إلى ما يقارب سبعمئة هدف عسكري واستراتيجي . وقد قسمت هذه الأهداف إلى ثلاث عشرة مجموعة كانت كما يلي :

ـــ مراكز القيادة والاتصال والسيطرة .
ـــ قواعد الدفاعات الجوية .
ـــ المطارات الحربية حسب توزعها .
ـــ مستودعات التخزين المشتملة على أسلحة التدمير الشامل .
ـــ محطات السكك الحديدية والخطوط الأخرى .
ـــ الجسور .
ـــ مواقع الصواريخ البالستية .
ـــ المصانع الحربية .
ـــ مستودعات تخزين الذخائر التقليدية .
ـــ محطات انتاج النفط .
ـــ محطات توليد الطاقة الكهربائية حراري . مائي . غازي .
ـــ ميناء أم قصر ومخابىء الطوربيدات البحرية .
ـــ مواقع الحرس الجمهوري .

كان السرب الأمريكي يتألف من أربع طائرات ف ٤ وأربع أخرى من طراز آي ف ١١١ الخاصة بالتشويش الالكتروني ، ومهمة الطائرات الثماني ضرب بطاريات الصواريخ العراقية أرض ـــ جو ، بغية تمهيد الطريق لخمس عشرة طائرة من نوع ف ١٦ خلفها أربع مقاتلات من نوع ف ١٥ لتأمين الحماية . وفي أثناء ذلك ، تكون أربع طائرات من نوع أواكس (تعمل على مدار ٢٤ ساعة ، ويعمل على أجهزة الواحدة منها ٤٥ شخص أمامهم تسع شاشات رادارية تستطيع كل شاشة ملاحقة ٢٥ هدف بآن واحد .

وكان تركيب السرب يخضع لتبديلات جذرية ، حسب التاكتيكات والأهداف المطلوبة .

وقد اتبعت القيادة الجوية الأمريكية ، العديد من التاكتيكات في حرب الخليج ، نظراً للتفوق الجوي الكامل .

فمنها على سبيل المثال ، ما كان يُسمى بـ(سجادة القنابل) وتقوم بفرشها ثلاث طائرات من نوع B52 دفعة واحدة على مساحة محددة لا تتجاوز ٣ ــ ٥ كم٢ (تحمل الطائرة الواحدة من هذا النوع حوالي ٣٢ طن من القنابل) . وقد سبق وأن اتبع هذا الأسلوب في حرب فيتنام .

وبموجب هذا التاكتيك تحلّق مجموعتان (٣ + ٣) أو ثلاث مجموعات (٣ + ٣ + ٣) على ارتفاعات شاهقة ثم تلقي حمولتها دفعة واحدة على مساحات أرضية محددة (هناك أثر نفسي فضلاً عن الأثر التدميري) ، وغني عن القول ، أن حمولة مجموعتين (ست) من هذه الطائرات تعادل ما يطلقه ٢٠٠ مدفع من عيار ١٥٥ ملم (الهاوزر) بشكل متواصل على مساحة لا تتجاوز ٣ كم٢ لمدة ربع ساعة .

وقد مورس هذا التاكتيك بشكل خاص ضد قوات الحرس الجمهوري ، وأماكن تجمع القوات في الجنوب أو في الكويت ، كما استخدمت هذه القاذفات لتدمير مدينة تاجي العسكرية ، وهي مدينة تقع جنوب بغداد ، وتضم مُجمعات ومستودعات ضخمة تشتمل على دبابات وصواريخ وقطع غيار وذخائر من كل نوع . وكانت هذه القاذفات الضخمة تقلع من قواعدها في تركيا (قاعدة انجرلك) أو في السعودية (قاعدة الظهران) أو من قواعد بعيدة في اليونان وأسبانيا أو في جزيرة دييغو غارسيا في المحيط الهندي .

كان التاكتيك الجوي الثاني المتبع ، هو ما يتصل بالطائرة الشبح (ستيلث) وطبيعة المهمات المنوطة بها .

فقد اكثر التحالف من استخدام هذه الطائرة في الهجمات التمهيدية الأولى ، فبالاضافة إلى كونها طائرة فالتة من رقابة الرادارات ، وهي ميزة لا تتمتع بها أية طائرة قتالية أخرى في العالم ، فهي طائرة استراتيجية تستطيع ثمانٍ منها ، أن تؤدي فعل ٧٥ طائرة قاذفة تقليدية أخرى ، شريطة أن تكون متبوعة بطائرات صهريجية

لتعبئة الوقود في الجو ، ونظراً لدقة تجهيزاتها المتطورة ، وتكنولوجيا توجيه الصواريخ والقنابل المزودة بها ، فقد انيط بها ، ما يسمى بلغة سلاح الجو الأمريكي ، (بالضربات المبضعية) أو الجراحية ، ولا يضاهي هذه الطائرة من حيث التجهيز الالكتروني المتطور ، إلا القاذفات ف ١١١ الأمريكية. لقد استخدم هذا النوع من الطائرات في قصف مراكز القيادة والسيطرة والأهداف الهامة شديدة التحصين ، كما كانت طائرة ستيلث في مقدمة الموجات الجوية الأولى (حيث استخدم التحالف ما بين ٤٠ ــ ٥٦ طائرة منها طوال الحملة الجوية) ، التي فتحت ثغرات في مراكز الدفاعات الجوية العراقية ، وغيرها من الاهداف الثمينة على قوائم التحالف الجوية .

أما التاكتيك الثالث الذي اتبعته قيادة التحالف الجوية ، فكان يتمثل بقصف الأهداف المختارة بقنابل الاسقاط الحر (أي عكس القذائف الموجهة باحدى طرق التوجيه المتعددة) . وقد اتبع هذا الأسلوب الدوار على مدى أربع وعشرين ساعة ، بحيث لا يتاح للخصم فرصة لالتقاط الأنفاس (٢٠٠ طائرة من أنواع مختلفة A7E. A6E. F.15 F.16 ثورنادو . جاكوار ، ميراج ٢٠٠٠) كانت تحوم ليل نهار في سماء العراق والكويت لمدة ثلاثة اسابيع على التوالي .. وقد استخدم هذا التاكتيك (الذي يتطلب قوة اقتصادية عظمى) لضرب التجمعات الصغيرة أو مشاغلة التجمعات الكبيرة ، وقصف القواعد الجوية والمطارات والمرافق الاقتصادية والعسكرية (مثل الجسور ومحطات توليد الطاقة الكهربائية ومستودعات الجيش وسكك الحديد ، وقوافل المؤن والذخيرة ..) .

☐

لقد أباح أحد الاخصائيين الأمريكيين : (إنها الحرب الأولى حيث تشارك الأقمار الصناعية بمساعدة مباشرة في العمليات الجارية على ساحات القتال) . ورغم السرية التي أحاطت باطلاقها ، فبالامكان اعطاء أهمية اكبر لسبعة من الأقمار الأمريكية التي دخلت في النزاع مباشرة . فقد رُكزت جميعها على ارتفاع

٢٣ ألف ميل في الفضاء وقد سمحت هذه الأقمار باكتشاف انطلاق أي صاروخ عراقي ، قبل وقت كاف لانذار صواريخ باتريوت المعترضة . كان القمر الصناعي فور اطلاق الصاروخ العراقي ينقل الخبر في الوقت المحدد إلى محطة القوات الجوية الأمريكية المتمركزة في منطقة (أليس سبرنغ) في استراليا ، ويقوم الخبراء بتحليل الارسال المصور في غضون ثلاثة أرباع الدقيقة ، ويقررون نقله أو عدم نقله إلى مقر القيادة العامة في كولورادو في الولايات المتحدة ومن ثم الى الخليج .. وكان ذلك يستغرق بين دقيقة ونصف ودقيقتين ، هذا ويبقى للرد حوالي دقيقتين ، وهو وقت كاف للرد على صاروخ عراقي يحتاج الى خمس دقائق للانقضاض على اسرائيل .

كان بوش في مساء السابع عشر يتناول وجبة العشاء في جناحه الخاص مع مدير وكالة حماية البيئة الأمريكية ، عندما اتصل به سكاوكروفت ـــ الباقي في مكتبه ـــ حتى الساعة السابعة مساء . وبدا صوت رئيس مجلس الأمن القومي حزيناً :

ـــ سيدي الرئيس ، لقد أطلقت صواريخ عراقية باتجاه اسرائيل ، لم نعرف عددها حتى الآن ، لكن هدفها تل أبيب وحيفا ، إني بانتظار معلومات دقيقة .

وأجاب بوش :

ـــ شكراً برانت ، اتصل ثانية عندما تحصل على المعلومات .

كانت ردة فعل بوش الأولى ، هي الاسراع إلى المكتب البيضاوي حيث يسمح له الوضع هناك ، بتحقيق اتصالات عاجلة مع قادته العسكريين للاطلاع على ما يجري .

بدأت الايضاحات تصل تباعاً ، فقد شن العراق هجوماً صاروخياً . برشقتين من صواريخ الحسين ، استهدفت احداها مدينة حيفا (ثلاثة صواريخ) والثانية (أربعة صواريخ) استهدفت مدينة تل أبيب .

وقد سقطت الصواريخ العراقية في المدينتين بفارق بضعة أمتار عن أهدافها المقررة ..

كان هذا الهجوم الصاروخي على اسرائيل مدمراً على الصعيد النفسي ، فلأول مرة منذ تأسيسها ، تعيش اسرائيل حياة الملاجىء والخوف من الموت الذي يمكن أن يسببه سلاح عربي ، وخلال ٤٢ عاماً على قيامها ، لم يصل سلاح عربي إلى قلب سكانها مثلما فعلت الصواريخ العراقية ، بغض النظر عن وزنها الاستراتيجي في تقرير مصير الحرب الدائرة ، وتقول مصادر عديدة أنه عندما تناقلت أجهزة الاعلام نبأ الهجوم الصاروخي العراقي على اسرائيل ، راح الجنود العرب في التحالف ، يطلقون النار في الهواء . احتفاءً بالحدث الكبير على الصعيدين التاريخي والقومي ، مما أدى الى نشوء حالة استنفار لدى القوات الغربية التي أعطت للحالة مغزاها الخطير .. وقد طلب شوارزكوف إلى القيادة العسكرية العربية في السعودية ، فتح تحقيق عاجل لتفسير الحالة الناشئة ، ومحاسبة المسؤولين من ضباط هذه القوات على ما حصل .

. . .

(فجأة أصبحت الحرب أمراً واقعاً حيث لأول مرة منذ العام ١٩٤٨ يضرب صاروخ عربي معاد أراضي الدولة العبرية ولم تستعمل بطاريات الصواريخ المضادة من طراز باتريوت التي تسلمتها اسرائيل من الولايات المتحدة ، لعدم وجود مَنْ يحسن استعمالها) (عاصفة الصحراء . لوران . ترجمة أسمر ص ٢٠٠) .

□

أصبح كل شيء بالنسبة لبوش أقل سهولة ، فقد عمّت صواريخ العراق ضد اسرائيل ، أفق التفكير بأكمله لدى الادارة الأمريكية ، وقد بدا لبوش أن شيئاً ما قد أسي تقديره ، وراح يقلّب احتمالات الموقف من جديد ، ويتساءل عما يمكن أن يسبب خروجاً على السيطرة ، كانت ردة فعل بوش على نبأ سقوط الصواريخ العراقية حائرة ، وذهب يفتش في الخيارات كإنسان يسير ببطء في غرفة غرقت فجأة في الظلام الدامس .

كان هاجس الولايات المتحدة الأول ، هو ألا تقع اسرائيل في الفخ الذي نصبه العراق لها ، فتدخل الحرب ، ويربح العراق الرهان .

كما هو الحال في الولايات المتحدة ، فقد ولدت الهجمات الأولى على العراق حالة نشوة في اسرائيل ، وقد تحدث شمعون بيريز بلغة اكثر الخبراء علماً حين قال ان العراق سينهزم أمام الهجوم الأمريكي خلال مدة تترواح بين عشر وأربع وعشرين ساعة ، لكن ذلك الشعور تلاشى بعد أن مر يومان على الحرب .

أما العراق فقد وعد منذ اندلاع الأزمة ، بأنه سيهاجم اسرائيل إذا وقع هجوم من التحالف عليه ، وقد اكتشفت تل أبيب ليلة السابع عشر من كانون الثاني ، أنه كان صادقاً في وعده .

كانت المدينة التي عايشت خمس حروب دون أن تتعرض لأي هجوم في حياتها ، في حالة شبه هيستيرية ، فعند غسق كل يوم كانت شوارعها العريضة مهجورة من قبل السكان المنفعلين ، أما الأثرياء الذين كانوا يضعون أقنعتهم الواقية بكل مهابة ، فكانوا ينطلقون إلى سياراتهم لينضموا إلى ازدحام السيارات المتوجهة إلى القدس ، فقد افترضوا أن العراق لن يضرب القدس ، وكان افتراضهم صحيحاً ، **وقد اكتشف عشرات الآلاف من الهاربين** (كما وصفهم تيدي كولك رئيس بلدية القدس) ــ **أن الحاجة أصبحت ملحة للذهاب إلى أوروبا في زيارة عمل !.. أو لقضاء عطلة استجمام بالقرب من المياه الدافئة في إيلات !..**

لم يكن مطار اللد (بن غوريون) قادراً على الاستيعاب ، كما لم تكن ثمة شركات طيران باستثناء العال ، التي راح الطلب على تذاكرها ينهال مثل زخات المطر ، وقد استدعى الوضع في مرحلة من المراحل ، أن يبقي حاجز التذكرة ، مدة عشرة أيام أو أكثر في انتظار دوره في الإقلاع .

وكانت رياح كانون القارسة ، تلفح وجه تل أبيب لأول مرة ، وقد زاد من كآبة المدينة الغارقة في الظلام ، تلك الأضواء النيلية المنبعثة من شبابيك المطاعم أو الصيدليات العاملة في ليل قهرٍ مُعتمْ ، وعلى طرف شارع (أزرلوروف) وهو شارع مكاتب الموساد والمخابرات العسكرية ووزارة الدفاع والأركان ، ومكاتب كبار رجال الأعمال المختصين في صناعة الاستخبارات وتجارة الاسلحة والمخدرات والرقيق في جميع أنحاء العالم ..

كان على طرف هذا الشارع المؤدي الى فنادق الشاطىء من الدرجة الأولى ، لوحة كبيرة كتب عليها ، بالانجليزية :

(SADAM Passed Through. SADAM 1945-1991 The Real Connection) .

أما اللوحة فكانت بمثابة اعلان للزائرين تقول :

(صدام مر من هنا . صدام منذ ١٩٤٥ إلى ١٩٩١ هو الربط الحقيقي) .

وكانت تلك إشارة إلى سقوط صواريخ عراقية في المكان ، وأن صدام عازم على تدمير المصالح الغربية بربطه بين مشكلات تحمل قاسماً مشتركاً ، وهي تقع في صلب الأمن القومي الأمريكي (النفط + اسرائيل) وذلك ما لم يحدث طوال الحرب الباردة منذ ١٩٤٥ وحتى ١٩٩١ .

في ذاك الوقت ، لم يكن في تل أبيب مجموعات سياحية ووفود تضامنية ، كما لم يكن مطار بن غوريون يستقبل طائرات البوينغ والجمبو ، بل طائرات النقل الأمريكية العملاقة (سي ٥ غالاكسي) التي ظلت تعمل بلا انقطاع لنقل قواعد الصواريخ الجديدة (باتريوت) والعاملين عليها ، وكانت طائرات أخرى أكثر أهمية بالنسبة لاسرائيل ، تحمل المهاجرين اليهود السوفييت ، الذين كانوا يتدفقون بمعدل أربع طائرات في اليوم الواحد بعد بداية الحرب .

كانت أول هدية للوافدين الجدد ، هي قناع واق من الغاز ، وكان عليهم أن يحضروا دروساً عاجلة في أصول فن الحقن بمادة (الأتروبين) الخطرة وهي مادة مضادة لغاز الأعصاب ، وكانت الهدية الثانية ، مبلغ عشرة آلاف دولار للعائلة الواحدة ، لتيسير دخولهم في المجتمع الاسرائيلي ..

كانت اسرائيل مثل سفينة تتقاذفها الأمواج العاتية ، بحيث تسد الموجة مجال النظر عما بعدها ، فمن مليون مهاجر إلى قرض المليارات .. ومن رد العراق إلى عدم رد اسرائيل ..

ومن اسرائيل فاعلة في الحرب الباردة ، إلى اسرائيل عادية ، مكتفية بما قسمت المرحلة لها .. وكان الاتحاد السوفيتي قد دفع الثمن على صعيد العالم، وكان العراق يدفع الثمن على صعيد المنطقة .

فوضى في خلايا الأزمة ..

اتصل شوارزكوف بوزير الدفاع الأمريكي عبر الهاتف المأمون ، كما أتصل بيكر بالسفراء العرب الذين يمثلون الدول المشاركة في التحالف ، وبدا الوضع كأنه خلايا نحل غابت عنها ملكاتها ، فهناك خوف من رد اسرائيلي مباشر ، وهناك خشية على المشاركة العربية من الصدع ، وهناك تحسب من أن يربح العراق رهانه ، وهناك فزع من استدارة الموقف الشعبي العربي والإسلامي يؤدي إلى قلب قواعد اللعبة بأكملها .

أكد بيكر لسفراء السعودية ومصر وسوريا . أننا :

(سنمارس أقصى حد ممكن من الضغط على تل أبيب ، لكن أفهموا حكوماتكم أننا لسنا بقادرين على منع اسرائيل من ردة فعل مباشرة) .

واعترض السفير السوري بطريقة أقرب ما تكون إلى التهكم :

(كنت أجهل يا حضرة الوزير ، أن اسرائيل تستطيع أن تفلت لهذه الدرجة من سيطرتكم) .

أما السفير المصري ، فكان على شاكلة نظامه السياسي ، حين وصف الهجوم العراقي بأنه **عمل من أعمال البربرية** ، وأضاف :

(بالنسبة لنا إنه شيء رهيب أن يكون صدام عربياً) .

أما العروبة التي راحت تجري على لسان السفير فكانت قد غادرت مفرداتها ومعانيها ، منذ وقت طويل ، **أي منذ أن أصبح مفهوم الدبلوماسية الحديث ، يتجلى في تمثيل (بلد السفارة) لا (سفارة البلد ــ الوطن) الذي جاء يحلف بشرفه ..**

سفير عربي آخر ، من سفراء (بلد السفارة) سيقول لبيكر :

ــ ليس هناك سوى حل واحد ، وهو أن تحموا اسرائيل ، كما تقومون بحمايتنا في المملكة .. أقترح أن ترسلوا لها بطاريات باتريوت مع أطقمها .. واطلبوا اليها ألا تدخل في القتال .

كانت أفكار بندر المغرية والحاذقة ، قد استولت على تفكير بيكر ، وأخذت منه كل مأخذ .

وسيقول بيكر في طويته **(إنه لشيء رهيب أن يكون بندر عربياً ، أيضاً)** !..

في الحقيقة ، كانت اكثرية الطاقم الحكومي في اسرائيل ، وبشكل أساسي اسحاق شامير وموشي آرينز وديفيد ليفي ، ضد أي تدخل عسكري اسرائيلي في الحرب الدائرة ، ما دامت اسرائيل قادرة ـــ مبدئياً ـــ على امتصاص الأضرار الناجمة على الهجمات الصاروخية العراقية ، وما دام العراق لا يستخدم اسلحة غير تقليدية . غير أن تيارات أخرى في دوائر الحكومة والكنيست ، كانت ترى في القصف العراقي لاسرائيل فرصة لدخولها الحرب ، خصوصاً وأن سيناريو هذا التيار (الذي يتزعمه شارون) كان قد افترض اجتياحاً أمريكياً للعراق من ثلاث جبهات :

الجبهة الأولى/ ويفتحها الجيش التركي في الشمال ، وتكون الوجهة ، مدن الموصل وكركوك وحقول النفط في المنطقة .

الجبهة الثانية/ ويبدأها الايرانيون في الجنوب حيث يمكن ان يكون نصيبهم من الكعكة العراقية قد آن أوانها .

الجبهة الثالثة/ وتفتحها اسرائيل من خلال اقتحام الأراضي الأردنية صوب غربي العراق ، وتكون وجهتها قواعد اطلاق الصواريخ العراقية هناك .

لقد توقع دعاة هذا السيناريو أن تسارع سوريا إلى خوض حرب دفاعاً عن الأردن ، ووضعوا لهذا السيناريو المتفرع ، كل احتمالاته وطرق الرد عليها ، وقد لخص شارون فضائل هذه العملية بقوله **(إن اسرائيل تستطيع أن تحقق هدفين بآن واحد ، إذا ما تمت الموافقة على اتباع هذا السيناريو ، تدمير البنية العسكرية العراقية بالمجابهة الأرضية . وتحويل الأردن تلقائياً إلى فلسطين ثانية)** .

كان الأمريكيون قلقين جداً ، من احتمال تمدد الحرب نحو الغرب ، حيث سيؤدي ذلك إلى توريط الأردن فيها ، وقد أخذت الادارة الأمريكية في حسابها ،

مسارعة السوريين للخروج من المشاركة في التحالف ، والاعلان عن موقف جديد يتضمن مساعدة الأردن عسكرياً .

وقد أجرى الأمريكيون (لعبة الحرب) في البنتاغون ، وأُخطرت اسرائيل جدياً بعدم اللعب على حبال مثل هذه السيناريوهات التي قد تقلب قواعد اللعبة من أساسها .

كان كبار العسكريين في اسرائيل ، أمثال رئيس الأركان آنذاك . دان شومرون ، وخلفَه الجنرال باراك ، ورئيس الاستخبارات العسكرية الجنرال شاهاك ، على وفاقٍ مع سياسة الحكومة في (ضبط النفس بصورة كاملة) . وكان الهدف الاسرائيلي من الحرب هو تدمير العراق الشامل ، بحيث لا يعود إلى التهديد لفترة طويلة ، وكان ذلك يتحقق على أيدي التحالف دون حاجة لأي تدخل اسرائيلي مباشر . **وكان الخوف في تل أبيب ، أنَّ مَنْ لا يشترك في الحرب ، لن يشترك في مائدة القسمة بعدها ، لكن هذه المخاوف تمّ نفيها ، حين قام شامير بزيارة للولايات المتحدة في الأسبوع الأول من شهر كانون الأول ،** ولخّصت دافار هذا الوضع بقولها :

(عندما تنتهي الحرب ويتم التوجه نحو صياغة وضع جديد للمنطقة ستحرر اتفاقيات سلام مع دول عربية أخرى ، إضافة إلى مصر ، ولن تشمل هذه الاتفاقيات دولة فلسطينية ولا تسوية مفروضة ، ولا انسحاباً اسرائيلياً اكراهيا ، والخلاصة أن هذه الاتفاقيات لن تشذ عن الاطار العام لمعاهدة كامب ديفيد) (دافار ١٩٩١/١/٦ الدكتور آفشاي آرليخ استاذ العلوم السياسية في جامعة تل أبيب) .

. . .

في سياق العمليات الحربية ، لم تفاجأ اسرائيل ، كما يقول موشي آرينز وزير الدفاع ، بالأساليب القتالية أو نوعية الأسلحة المستخدمة من قبل التحالف (نحن لم نفاجأ بقنابل اللايزر التي أصابت [هدف النقطة] فهي معروفة لنا جيداً ، وهي قيد استخدام سلاحنا الجوي منذ اجتياح لبنان) كما رأى اللواء احتياط ديفيد عفري ، وهو من الجنرالات الكبار في اسرائيل (مدير عام وزارة الدفاع) ، أنه

لا يجوز لاسرائيل أن تنظر إلى فنون القتال ، وأسلحة التكنولوجيا الراقية بمنظار دولة عظمى ، إن الدرس الأساسي الذي يجب أن تستخلصه اسرائيل من جراء هذه الحرب ، هو استثمار وتطوير نظم دفاعية (وهو هنا يعلق على النظام الدفاعي لصواريخ باتريوت ، حيث قال : لن أتبجح لأعرض هذا الصاروخ كمؤهل للدفاع عن أراضي الدولة العبرية ، حيث فشل في ٥٠٪ من مهماته الأساسية) . وتابع يقول :

(إن نظاماً دفاعياً مطوراً من قبل اسرائيل ذاتها ، سيعطي الرد بحيث يصبح ممكناً الحصول على الحد الأقصى في الجانب الهجومي المرتقب) .

□

في الأسبوع الثاني من الحرب ، شق طابور عراقي مدرع ، طريقه باتجاه مدينة الخفجي السعودية ، حيث تبعد عن الحدود الكويتية حوالي ٢٠ كم ، وقد عمد قائد الطابور اظهار الخدعة ، حين أدار مدافع دباباته إلى الخلف ، وهي علامة الاستسلام بمفهوم حروب الدروع التقليدية ، وعندما تأكد الطابور من وصوله إلى مشارف المدينة ، عادت أبراج الدبابات تأخذ وضعاً قتالياً على الفور ، وقد تمكن الطابور من دخول المدينة بعد معركة ضارية استمرت زهاء ٣٦ ساعة وقد وصفها أحد الجنرالات الأمريكين من قوات المارينز ، أنها كانت معركة جهنمية .

وعلى الفور فقد تم استدعاء طائرات الهليكوبتر من نوع آباتشي وهي متخصصة بالدروع (لما فيها من تقنيات متقدمة جداً وأجهزة رؤية ليلية في مختلف الأجواء) . كما تم استدعاء قوات كبيرة من المارينز ، كانت تساندها قوات سعودية وقطرية ، لقد أسفرت المعركة حسب المصادر الأمريكية عن سقوط ١٢ جندياً أمريكياً وأسر اثنين من جنود المارينز ، غير أن هذه المصادر لم تتعرض قط لعدد القتلى من الجانب السعودي أو القطري ، وحسب هذه المصادر فقد تم تدمير ٢٢ دبابة عراقية وقتل بعض أطقمها ، وأسر آخرين قدر عددهم بأربعمئة جندي (تبين في نهاية الحرب أن إعلام الحلفاء كان يضرب خسائر العراقيين من القتلى أو الجرحى

أو الأسرى برقم خمسة أما على الصعيد المدني فكانت ماكينة اعلام الغرب تسمي همجية القتل الجماعي ، بعمليات جراحية ــ نظيفة) .

لقد استطاع الاستاذ صبحي حديدي أن يجمع في كتابه الشيق (حرب العالمَين الأولى ص ٢٠٤) مفردات الحرب المأخوذة من الصحافة البريطانية بصورة حرفية خلال الأسبوع الأول من اندلاع القتال ، وتم تصوير الوضع حسب اللوحة التالية :

التحالــف		**العــراق**
نحن نملــك	:	**هم يملكــون**
جيشاً وبحرية وقوات جوية		آلة عسكرية شريره
مبادىء توجيهية في الصحافة		رقابة
اجتماعات لوضع الصحافة في الصورة		دعوات مبتذلة
نحن	:	**هم**
نخرج إليهم		يدمرون
نضغط عليهم		يدمرون
نحيدهم		يقتلون
نعزلهم		يقتلون
نقطع خطوط امدادهم		يقتلون
نتحصن في الخنادق		يختبئون في الجحور
نحن نشن	:	**هم يشنون**
ضربات أولى		هجمات أ مختلة ،
بشكل وقائي متوقع		بشكل استفزازي همجي
رجالنا	:	**رجالهم**
فتيان		قوات
شبان		قطعان
فتياننا	:	**هم**
محترفون		مغسولو الأدمغة
قلوب الأسود		نمور من الورق
حذرون		جبناء

واثقون		يائسون
أبطال		خائفون
مثال الجرأة		مثال التعطش للدم
فرسان السماء		أوغاد بغداد
مخلصون		ممتلئون بشكل أعمى
جرذان الصحراء		كلاب مسعورة
عقلاء		أغبياء
شجعان		مهووسون
فتياننا يحركهم	:	**فتيانهم يحركهم**
الاحساس العالي بالواجب		الفزع من صدام
فتياننا	:	**فتيانهم**
يحلقون في قلب الجحيم		يرتعدون هلعاً في الملاجيء
عدم الرد الاسرائيلي	:	**عدم الرد العراقي**
عمل يدل على وعي سياسي رفيع		عمل يدل على الجبن والخسة
صواريخنا تسبب	:	**صواريخهم تسبب**
ضرراً مجاوراً		خسائر مدنية
نحن	:	**هم**
نسدد على أهدافنا بدقة		يطلقون برعب على السماء
بوش	:	**صدام**
في سلام مع نفسه		مجنون ملتاث
متعقل		مستفز
رجل دولة رصين		طاغية شرير
واثق		وحش مضطرب

آراء عسكرية بخصوص هجوم الخفجي :

كان واضحاً ، أن القوات العراقية التي هاجمت مدينة الخفجي ، وبقيت فيها زهاء يومين ، لن تطيل مدة بقائها هناك ، فقد كان الهجوم في أساسه تكتيكاً يرمي من وجهة النظر العسكرية للقيادة العراقبة إلى اثبات الحقائق التالية :

ـ رفع الروح المعنوية للجنود العراقيين الذين طال انتظارهم في مكامن الدفاع ، نظراً للسيطرة الجوية المطلقة لقوات التحالف ..

ـ مناورة ناجحة لجس نبض القوات المتقدمة للتحالف من جهة ، مع تقدير واقعي لحجم هذه القوات من جهة أخرىٰ .

ـ اشعار الحلفاء أن اسبوعاً من القصف الجوي الجهنمي ، لم يُفّت في عضد المقاتل العراقي من الناحية النفسية .

ـ الحصول على معلومات من خلال الأسرىٰ . وهو ما يسمى بلغة الحرب . الاستطلاع بالقوة .

ـ محاولة لدفع قوات التحالف ، بشن هجوم بري مبكر .

ـ هذا وقد علق خبير عسكري أمريكي يومها بما يلي :

ـ نجح العراق في تحريك ما يعادل لواء ميكانيكي مع كتيبتين من الدبابات تحت سيطرة جوية مطلقة من قبل الحلفاء .

ـ لم تنجح القوات المتقدمة في التحالف من صد هذا الهجوم الذي اتسم بالجرأة والمناورة .

ـ قطعت القوة العراقية مسافة ٥٠ كم منها ٢٠ كم في الأراضي السعودية ، وخاضت القتال بفاعلية كبيرة رغم تعرضها لهجمات شرسة من قبل مروحيات الأباتشي الخطرة على الدبابات .

ـ تمكنت من الحفاظ أثناء القتال والانسحاب من الاحتفاظ بخطوط مواصلاتها مع الأنساق الخلفية للجيش العراقي .

وقد وصف الجنرال شوارزكوف هذه العملية بأنها (محاولة من ذبابة للوقوف على ظهر فيل) ، ومع أن شوارزكوف كان من أقدم الجنرالات في الولايات المتحدة (ولكن ليس من المعهم) فإن تقييماً تكتيكياً حربياً لم يصدر عنه تجاه عملية الخفجي ، وأن تقييمه السابق يدخل تحت مفهوم نسبة القوى والوسائط (الذبابة إلى الفيل) وهي حالة ليس لشوارزكوف أن يفخر بها ، لأنها حالة مقررة ، سواء به أو بغيره من الجنرالات ..

. . .

تصعيد القصف الجوي :

رغم اعتراف التحالف بتدمير ٨٠ بالمئة من الأهداف العراقية خلال ثلاثة أيام من بدء الحملة الجوية ، إلا أن تراجعاً مفاجئاً عن هذه التقديرات قد صدر بتاريخ ٢١ كانون الثاني ، وقد عُزيت الأخطاء في التقدير إلى قيام العراق قبل الحرب ، بعمليات تمويه فنية ومكثفة ، الأمر الذي أدى بقيادة التحالف إلى الوقوع في خطأ الحساب والتقدير (ثمة آراء كانت تتحدث عن تقدير التحالف المراوغ ، لأسباب تتصل بتسويغ مواصلة القصف ثلاثين يوماً إضافياً !.) .

ومع اقتراب نهاية شهر كانون الثاني . كان العراق قد تعرض لأربعين ألف طلعة جوية ، شملت اكثر فأكثر أماكن تجمعات المدنيين في بغداد والمدن الأخرى .

في تفسير له عن مبررات قصف المدنيين في العراق ، سيتحدث الجنرال شوارزكوف يوم ١٣ آذار . وكان حجم التدمير الذي أصاب العراق قد بدأ يتضح :

(إن أهداف الضرب الجوي للعراق جرى توسيعها ، وهذا صحيح ، لكن التدمير لم يلحق بأبرياء ، فالشعب العراقي كله ليس بريئاً لسببين : السبب الأول أن كثيرين من أفراده تحمسوا لغزو الكويت ، والسبب الثاني أن الشعب العراقي لا يقاوم حكم صدام حسين) ثم أضاف الايجاز الصحفي لشوارزكوف (إننا بحاجة إلى تعريف جديد لمعنى المدنيين الأبرياء) .

أثناء مقابلة مع الجنرال مردخاي غور يوم العاشر من أيار من عام ١٩٧٨ ، سأل المراسل الانكليزي (وكان الطيران الاسرائيلي يقصف مدن وقرى الأردن ولبنان) .

ــ سيادة الجنرال ، هل صحيح ما يقال عن حملة إبادة تستهدف المدنيين من الفلسطينيين واللبنانيين ؟.

ويجيب الجنرال :

ــ هؤلاء السكان ليسوا بمدنيين . لقد آووا الارهاب . ويسأل المراسل الانكليزي :

ــ ألا تعتقد أن ثمة أطفالاً وشيوخاً ونساء بين هؤلاء المدنيين ؟.

ويجيب الجنرال :

ــ إنه حدث تاريخي ولا يفيد بشيء أن يكون الانسان طيباً أو رقيقاً في مثل هذه الأحوال .. إنها الحرب يا سيدي .

ويرد الانكليزي بهدوء :

فرضيتك إذن سيدي الجنرال ، مبنية على أن هؤلاء السكان جميعهم يستحقون العقاب .

ويجيب الجنرال وقد نفذ صبره :

ــ بالطبع .. أنا لا يخامرني أدنى شك في ذلك .. إننا بحاجة إلى تعريف ما هو مدني حقاً في مثل هذه الأيام !..

□

في ١١ نيسان من عام ١٩٩١ ، سيتحدث شيني عن الانتقادات الموجهة لحملة القصف الجوي ، التي استمرت ٤٥ يوماً ، علماً بأن الحملة كانت قد حققت معظم أهدافها خلال الأسبوع الأول من القصف .. ويرد شيني قائلاً :

(إذاكان علينا أن نحقق كامل أهدافنا بأقل قدر ممكن من الخسائر في الأرواح الأمريكية ، فإنه لا يمكن فعل سوى ما فعلناه .. لا أظن أنه كان أمامنا اختيار آخر ، ولو كنا قد اكتفينا بالحد الأدنى من استعمال القوة الجوية ، لكان عدد العائدين من أفراد قواتنا في الخليج أحياء ــ أقل من العدد الذي عاد إلينا بالفعل) .

كانت الآراء متباينة ، بخصوص مواصلة القصف الجوي لمدة تزيد ثلاثة أو أربعة أمثال المدة اللازمة لتدمير الأهداف العراقية الموضوعة على قوائم الخطط الجوية للتحالف :

أولاً/ إن ثلاث مراحل من أربع في الخطة أساساً هي لسلاح الجو . وكان معنى ذلك أن الهجوم البري لم يكن أكثر من ملحق حربي ، هدفه استرداد الكويت بواقع لا أثر للمقاومة فيه ، هذا فضلاً عن احتلال أجزاء من الأراضي العراقية .

ثانياً/ إن أرض وسماء الصحراء سيسمحان لسلاح الجو المسيطر بصورة مطلقة ــ لأول مرة في التاريخ العسكري ــ أن يربح الحرب دون مشاركة حاسمة من قبل حرب برية قد تحمل الكثير من المخاطر والخسائر ..

ثالثاً/ان القصف الجوي المشبع ، هو وحده سيعيد العراق (إلى العصر الحجري ــ بوش) بحيث يبقى طويلاً قبل أن يعود لاثارة المتاعب مع النفط أو اسرائيل من جديد .

رابعاً/ان الحملة الجوية المزلزلة مع تعزيز الحصار المتواصل يمكن أن يؤديا إلى خلخلة حالة الشعب الوطنية ، وتدمير قدرته على التحمل .. بحيث (مع اعتمادات مالية إضافية من قبل السي آي إيه) يصبح الاحتمال مفتوحاً أمام قلب النظام السياسي (في بغداد ومن بغداد) ، أي بمعنى آخر ،انقلاب يؤدي إلى وضع العراق ، على الطريق الأمريكي لمسيرة الخليج العربي برمته ..

خامساً/ان اسلحة جوية جديدة جديدة كل الجدة ، نزلت لأول مرة في تاريخ الحروب العسكرية (ستيلت .ف ١١١ .توماهوك باتريوت . أداء أجهزة التجسس القمرية، كرؤية واستماع) وهي أسلحة باتت في ساحة الضرب المفتوح، بحيث يصبح من المفيد تجربتها ، واستخلاص العبر من تقنياتها المؤداة في مجال حرب دائرة .

لقد قامت شركات انتاج السلاح الأمريكية والانكليزية والفرنسية ، باعلانات تجارية تفوح منها راحة الدم ، عبر فيديو الحرب ضد العراق .. وراحت بعض الصحف العربية ، أثناء قصف ملجاء العامرية وهو لطخة السواد في جبين التحالف ، تعرضها بألوان وبغير ألوان ، كمن يتاجر بأشلاء أهله ودماء شعبه :

☐ كانت جريدة الحياة اللبنانية ، التي باتت تؤزع في الرياض ، وتنبت في لندن ، قد نشرت بتاريخ ١٩٩١/١/٢٠ (العدد ١٠٢١٣) دعايات عريضة على صفحاتها الأولى (حيث المزاد يجري على كل شيء) تقول الجريدة :

ــ لا سلاح يستطيع مواجهة باتريوت . (خدمة لوس أنجلوس تايمز)

ــ صواريخ باتريوت . أنجح سلاح للقضاء على صواريخ سكود العراقية . (وفي طرف الاعلان الأيمن من الأسفل [حقوق النشر محفوظة للحياة]

ــ مقاتلات تورنادو البريطانية تشارك في اصطياد سكود . (والحقوق المحفوظة نفسها على الطرف الأيسر) .

ــ النظام الصاروخي للراجمات الجديدة سيحقق الانتصار في الهجوم (راجمة

باثنتي عشرة فوهة لاطلاق الصواريخ يحمل كل منها ٦٤٤ قنبلة) (يرجى الاتصال على الأرقام ....)

□ ثم جاء دور مجلة الدفاع العربي في عددها الصادر في شهر آذار ١٩٩٢ كي تروج لتكنولوجيا السلاح الذي هزم العراق ، وتقول :

ـ مَنْ يحتاج إلى دليل أقوى على أن التكنولوجيا تكسب الحروب .

ـ ميراج ٢٠٠٠ ذروة الكمال . (باريس . شارع .. تلكس .. فاكس) .

ـ الناقلة السويسرية سيرويير . نظام محكم وقوي : تلكس .. فاكس ..

ـ آي . ت .ت . الرائدة في نظام الرؤية الليلية .. شيء لا مثيل له M.S.A. مع اسم المدينة والشارع والأرقام اللازمة الأخرى .

ـ دبابة (م آي إيه واحد) الأمريكية . خلاصة التكنولوجيا . وإلى جانبها :

ـ هناك خطورة من تعزيز القدرات العسكرية الايرانية) .

ـ راداراتنا تعطيكم رؤية فريدة لأهدافكم A.E.W هي المقاول الوحيد المجرب في وزارة الحربية البريطانية .

ـ حواماتنا للدعم القتالي ، تؤكد لكم صحة تفكيرنا القائم على أساس صلب .

. . .

وراحت تجري مليارات النفط ، طلباً للقوة المستهلَكة بعد أربعة أعوام أو أقل .. أو طلباً لرباط الخيل القادم ، من دنيا مملوءة بالحقد ضد الاسلام ... ولإرهاب الاسلام نفسه .

. . .

طائرات إلى بلاد الاسلام !..

بعد عشرة ايام من القصف المتواصل ، أي منذ بداية الهجوم الجوي في ١/١٧ وحتى غروب شمس ١/٢٦ (زهاء ٢٤ ألف طلعة جوية حتى ذلك الوقت) قررت القيادة العراقية بعد مداولات مع قيادة سلاح الجو . السماح للعديد من طائراتها في الملاجىء ، التوجه إلى سماء ايران والهبوط في مطاراتها حين تؤذن الفرص ،

وذلك في محاولة انتحارية لانقاذ ما يمكن انقاذه ، وقد خشي الحلفاء أن يكون ذلك قد تم الاتفاق عليه ، بحيث يصبح من المحتمل أن تسمح ايران بمنح كوريدورات جوية للطيارين العراقيين ، حيث الكوردور الجوي الايراني في مثل هذه الحالة ، يقصر مهلة الانذار بالنسبة للقطع البحرية في الخليج إلى النصف تقريباً .. الأمر الذي يصبح معه وصول طائرة أو اكثر إلى إحدى هذه القطع محتملاً ، وقد ظل لغز اقلاع الطائرات الحربية العراقية إلى مطارات ايران قائماً ، وراحت الماكينة الدعائية الغربية ، تشير إلى وقوع تمرد في سلاح الجو العراقي تارة ، وإلى حصول اتفاق مسبق مع ايران كدخول غير مباشر في الحرب ، تارة أخرى ..

والحقيقة أن ايران كانت قد وافقت على طلب عراقي مسبق ، بأيواء الطائرات بعض المصادر ، أن هبوط الطائرات الحربية المفاجيء ، كان قد وقع قبل أن تتمكن بغداد من إخطار طهران بذلك .. ثم وصل طلب بغداد بعد اضطرار الهبوط ، وقد تضمن الطلب رجاءً من بغداد ، أن تعتبر الطائرات العراقية الحربية ، **بمثابة وديعة إلى ما بعد الحرب ..**

لقد ركز الاعلام الغربي عموماً ، واعلام ايران بوجه خاص ، **على قلة الكفاءة بالنسبة للطيارين العراقيين . الذين راحوا أثناء هبوطهم على المدرجات الايرانية ، يرتطمون بطريقة ، كانت تؤدي غالباً إما إلى احتراق الطائرة أو تكسير أجنحتها وهياكلها ، وكانت طريقة ملائمة لحساب عدد الطائرات فيما بعد، أو حتى عدد الناجين من الطيارين العراقيين، فقد أنكرت ايران عدد الـ(١٧٤) طائرة عراقية** (حسب مصادر التحالف.ويضاف إلى ذلك جان بول كروازيه المقرب من المخابرات الفرنسية وصاحب كتاب الخليج . الحرب الخفية) (مصادر هيكل في كتابه أوهام القوة والنصر تشير إلى ١٣٥ طائرة) ..

والخلاصة فإن طهران لم تعترف بغير ٢٣ طائرة وصلت اليها ، **وقد اعتبرت هذه (الوديعة) جزءاً من تعويضات الحرب المستحقة على العراق .**

يقول اريك لوران في كتابه عاصفة الصحراء ، ترجمة أسمر ص ٢٥٨ تحت عنوان (لجوء سياسي للطائرات) مايلي :

في صباح يوم ما ، اتصل القائم بأعمال السفارة السوفيتية هاتفياً بسكاوكروفت يطلب استقباله ، وحدد رئيس مجلس الأمن (القومي ، موعداً له في المساء ، جلس الدبلوماسي السوفيتي مقابل الجنرال السابق في سلاح الجو وقدم له نسخة وثيقة مصدرها طهران . وكان القادة الايرانيون قد طلبوا من موسكو تبليغ هذا النص لواشنطن ، ووصفه كمربون إضافي عن حُسن نيتهم ، ويتعلق ذلك النص بنقل محادثة سبق وأن جرت في بداية شهر كانون الثاني قبل أسبوع من لقاء بيكر ــ عزيز في جنيف . كان عزت ابراهيم وهو الرجل الثاني في العراق قد انتقل بسرية تامة إلى طهران للقاء الرئيس الإيراني رفسنجاني ودار مضمون الحوار أساساً حول نقطة رئيسية تمثلت بقبول ايران في حالة النزاع استقبال الطيران المدني والحربي ، ويحتمل أن يكون رفسنجاني ــ وفقاً للنص المنقول لسكاوكروفت ــ قد أجاب بالموافقة على استقبال الطائرات المدنية ، غير أنه سيحتجز الطائرات العسكرية ، وقد استطرد بالتالي مستذكراً خسائر الحرب التي يجب على العراق أن يدفع تعويضاتها إلى طهران .

مما أثار العجب في هذا الحوار ، كان على الأرجح تفاؤل عزت ابراهيم الشديد. وهو يكرر قائلاً : على أي حال . أمريكا بلد مريض . ولن يجرؤ أبداً على شن هجوم علينا .

في أوائل شباط عقد رفسنجاني مؤتمراً صحفياً تحدث فيه عن لجوء الطائرات العراقية إلى المطارات الايرانية ، وقد أظهر ايران بمظهر الدولة الوحيدة القادرة على أن تكون قناة اتصال مقبولة مع العراق .. وقد عرض استعداده للقاء صدام حسين للبحث في سبل إنهاء الحرب .. وقال :

(إذا كان احتمال السلام سيبرز في هذه الحرب ، وإذا كان ذلك ضرورياً لهذا السلام فمن المنطقي أن نتحدث إلى الأمريكيين) .

وفي هذا المؤتمر كشف رفسنجاني النقاب عن اتصالات جرت مع الأمريكيين بواسطة السفارة السويسرية في ايران ، وهو ما يعني بوضوح أن الرئيس الايراني يرى ضرورة عقد اتصالات مع الأمريكيين من أجل وقف الحرب ، أو أنه يرى

في الحرب ذريعة لأجراء اتصالات مباشرة مع واشنطن ، لكسر الحظر الذي فرضته الثورة الاسلامية على اقامة علاقات مع الأمريكيين .

وكان الرئيس الايراني ، قبل الحرب بكثير ، قد سعى إلى اقناع المسؤولين الايرانيين بضرورة إقامة علاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية .. مرة باسم التذرع من أجل اطلاق الودائع الايرانية في أمريكا ، ومرة أخرى بذريعة الحصول على أسلحة متطورة ، وأخرى ثالثة في سبيل الحصول على تمويل خارجي لخطة اعادة اعمار البلاد بعد الحرب .

وفي ظرف الحرب المستعرة ، أصبح من الصعب رفض مبررات رفسنجاني داخلياً ، خاصة **إذا كانت نتيجة اللقاءات مع الأمريكيين ستجلب السلام إلى شعب العراق المسلم** . وتساءل قائلاً :

(إذا كان الأمر كذلك ، لماذا لا اكون مستعداً لاجرائه ؟)

لقد تضمن أخطر مؤتمر صحفي لرفسنجاني في ذروة الحرب ، نقطتين أساسيتين :

الأولى/ ان ايران لن تدخل الحرب حتى لو شاركت تركيا فيها ، وظاهر الكلام هنا ، أن ايران لن تدخل حرباً ضد العراق (وهو جانب مشرق من الموقف الرسمي الايراني) **غير أن «حتى» الموجهة لتركيا بالذات ، ليست أقل من إشارة صريحة بجواز الذهاب إلى الحرب من قبل ايران** ، ذاك أن اكثر ما يؤرق السياسة الايرانية ، هي أطماع تركيا بجيرانها ، فكيف إذا جاءت نتائج القسمة لصالح أحد المشاركين في الحرب مثل تركيا ؟..

النقطة الثانية/ هي أن رفسنجاني خلال التصريح كله ، لم يحدد موقف ايران إذا ما تدخل الاسرائيليون في الحرب .

وهذا ما يتعارض مع أساس قيام الجمهورية الاسلامية التي أعلنت نفسها عدواً للشيطان الأكبر ، واسرائيل .

كان رفسنجاني مأخوذاً بموقف سويسرا أثناء الحرب العالمية الثانية ، وقد عبر عن ذلك صراحة حين قال (علينا أن نحذو حذو سويسرا من الأزمة الآن) ،

فهل كان سعي الامام الخميني لاقامة دولة اسلامية معادية للنفوذ الغربي في المنطقة والعالم ، أم أنه سعى لاقامة سويسرا محايدة لا علاقة لها بمعاناة الشعوب ، ولا بالصراعات التي أخذت تلفح وجه المنطقة بسعيرها ؟ وهذا ما لم تجب عليه الطائرات العراقية المحتجزة في ايران ؟..

□

موقف .. وموقف !..شوفنمان المنحاز للعدالة

قبل تصريحات رفسنجاني المحايدة بقليل ، كان يوضع على طاولة مهيبة في الأليزيه ، نص كتاب يعلن موقفاً متخاصماً مع الدرس الافتتاحي الذي استهل فيه بوش ، نظام العالم الجديد .

وكان ذلك كتاب استقالة وزير الدفاع الفرنسي جان بيير شوفنمان :

سيدي الرئيس

إن فكرة معينة عن الجمهورية تقودني إلى أن أطلب اليكم التفضل باعفائي من المهمات التي شرفتموني بها .

وبناء على طلب الأسباب الأساسية التي قمت بعرضها عليكم في بداية كانون الثاني ، يبدو لي أن الأحداث تندفع الآن بكل جبروتها ، **وأضيف أن منطلق الحرب يبعدنا يوماً فيوم ، عن الأهداف التي حددتها الامم المتحدة .**

أرجو أن تثقوا يا سيدي الرئيس ، بثبات تقديري لكم ، وبمشاعري المخلصة .

جان شوفنمان .

كانت أسباب شوفنمان الأساسية ، التي ورد ذكرها في نص الاستقالة ، موجودة في ايجاز كان شوفنمان قد قدمه لرئيس الجمهورية منذ بداية كانون الثاني ، وكانت تلك الأسباب كما يذكرها في كتابه الأخير (فكرة ما تقودني إلى ...) كما يلي : ـــ سيدي الرئيس

في الواقع إذا كان الواجب العسكري يفرض نفسه دون نقاش أحياناً ، فإن المسؤوليات السياسية يجب أن يتحملها السياسيون ، أنا لا أستطيع وجدانياً أن أعطي موافقتي على العملية العسكرية الأمريكية ، خصوصاً وأن عملياتنا تندرج

فيها ، هذا الامتناع ليس لاسباب سياسية عامة فقط ، كنت قد شرحتها في ايجاز سابق يوم ٧ كانون الأول الماضي ، (إذ أن الحصار والضغط الدولي يظلان من وجهة نظري كافيين لانسحاب العراق من الكويت) . بل لأسباب جوهرية تتعلق بخطة العمليات نفسها :

١ ــ اخضاع مجمل القوات العراقية لقصف جوي مكثف يمتد طيلة خمسة عشر يوماً ويستهدف حوالي ألف هدف عراقي ، بقصد تدمير ٥٠٪ من قدرة العراق دفعة واحدة .

يبدو لي أن هذه الخطة تعكس منطقاً أمريكياً نموذجيا ، فعلى الجانب العسكري (وهو جانب يتعلق بالسياسة الداخلية الأمريكية) فإن المقصود هو تخفيض عدد الخسائر الأمريكية للحد الأدنى ، بثمن يعادل أقصى حد للخسائر المرتفعة في الجانب العراقي .

وهكذا ، فإن بين الهدف المقصود ،المعلن عنه رسمياً ، وبين الخطط المتبعة ، **عدم تناسب هو عكس العدالة تماماً** ، إن حرباً كهذه إذا ما اندلعت فمن شأنها أن تشكل خطر فقدان الثقة في الأمم المتحدة بصورة دائمة ، كما ستؤدي إلى **تلويث صورة فرنسا في العالم** ، إذ كيف يمكن أن نُفهم شعوب العالم الثالث ، أن حياة مواطن أمريكي ، تساوي عشرات أو مئات الأرواح العراقية ؟ ـــ

إن خطة أولية لقصف يمتد خمسة عشر يوماً ستكون لها نتائج كارثية على الرأي العام الدولي ، وسيضع حياة العديد من جنودنا في خطر .

سيدي الرئيس

إن أقل الأشياء هو أن تحصل من الرئيس بوش على ما يلي :

آ)أن يخفض مدة القصف الجوي إلى المدة الكافية لتقليم أظافر العراقيين بتدمير مواقع الصواريخ أو جزء من القوات الجوية (٣ ـــ ٨ أيام كحد أقصى) .

ب) ان يُعطى بعدها مدة ثلاثة أيام كهدنة ، يفسح المجال فيها لاعادة النظر ، أو لاعطاء فرصة للمفاوضات مع العراقيين من جديد قبل استئناف القصف ثانية .

ج) فيما يتعلق بالقوات الفرنسية أرى ما يلي :

١ ــ يبدو لي مهماً وأساسياً أن نحصر غارات قواتنا الجوية في المرحلة الأولى بحدود الأراضي الكويتية فقط .

٢ ــ بالنسبة للمرحلة البرية فإن عملية (I.M) التي عرضها الجنرال شميث هي ما يبدو لي ، أنها أقل الخسائر في الأرواح البشرية ، كما تحفظ لنا هامش استقلال مميز ولو نسبياً .

وفي كل الأحوال يبدو لي أنه من الضروري الحصول من الأمريكيين على التزام كامل بتقديم الدعم الضروري لقواتنا إذا تبين أن المقاومة العراقية اكبر مما هو متوقع .

في التطبيق العملي يبدو لي ضرورياً ما يلي :
١ ــ أن تحدد ، سيدي الرئيس ، تعليماتك للجنرال شميث بدقة .
٢ ــ ان توافق لاحقاً على نتيجة أعمال التخطيط التي ستحصل بين أركاننا وأركان الجنرال شوارزكوف قبل ١٥ كانون الثاني .
٣ ــ أخيراً أن تحافظ على حريتك في الالتزام بالمشاركة حتى النهاية (أي ما قبل ٧٢ ساعة ليس اكثر) .
٤ ــ وقبل أن تصل الأمور إلى هنا ، يبدو أن من واجب فرنسا أن تبقى على مسافة مما أعتبره مأساوياً .. وأن تعمل كل ما في وسعها لتقديم طريق سلمي دون كلل .

من أجل ذلك ، لا أرى إلا عرضاً تقدمه بنفسك لافتتاح مؤتمر دولي حول قضية الشرق الأوسط ، بمجرد أن يخلي العراق الكويت تماماً .

ومن البديهي أن يسبب هذا العرض توتراً ما في العلاقات مع الولايات المتحدة ، إذ سيعطي صدام حسين المخرج الذي يريده للانسحاب من الكويت ، وحيث أنني أدير عملي ، وبالتالي عمل وزارتي من منظور ليس بالعسكري فقط ، بل والسياسي أيضاً ، فإنني أتحمل وحدي قطعياً ، المسؤولية السياسية لتقييمي هذا .

أنا بالطبع في خدمتكم من أجل الوصول إلى استنتاجات مفيدة . وأرجوكم أن تثقوا ، سيدي الرئيس ، بثبات قراري .

جان بيير شوفنمان

. . .

وبعد وقتٍ من استقالته ، كتب شوفنمان في الصحافة الفرنسية ما معناه : ـــ

غداة انتهاء الحرب ، سمعنا أصواتاً تصيح ها هي الوقائع ، وقد بدأنا اليوم نرى أين هي الوقائع فعلاً :ـــ

ـــ دُمّر العراق وأعيد إلى ماقبل العصر الصناعي فريسة لحرب العنف والدمار والتقتيل .

ـــ واعيد أمير الكويت من جديد وأجلت الديمقراطية هناك إلى أجلٍ غير مُسمى .

ـــ طُرد الفلسطينيون والاردنيون واليمنيون من دول الخليج والسعودية بمئات الألوف .

ـــ تأججت القضية الكردية من جديد بعد أن وضعت في دائرة الضوء ولكن بثمن عذابات هائلة دون أن تلوح في الأفق بوادر حل دائم .

ـــ وضع لبنان في السديم غير المستقر اجتماعياً أو اقتصادياً دون معرفة ما ينتظر مستقبله أو مصيره .

ـــ انتعشت البراغماتية الايرانية الجديدة .. بقدر الهوة التي فتحت وما رافقها من معاناة وفشل واحباط ،

ـــ تصاعَدَ المد الأصولي الاسلامي الذي هو البديل التاريخي للانهيار الذي أصاب دعاة القومية العربية .

ـــ بدت الأمم المتحدة كأعجز حَكَمٍ في تاريخها منذ تأسيسها وحتى الآن .

هذه هي الوقائع الآن .. ولن تستطيع المفاوضات الهشة التي بدأت في مدريد ، وانتقلت إلى سواها تحت رعاية الولايات المتحدة وحدها ،التي باتت تملك منفردة

في عالم ما بعد يالطا القدرة العسكرية بعيدة المدى والتي لن تتأخر عن استخدامها في المواجهة التي بدأت منذ زمن بعيد بين الشرق والغرب .. والتي يشكل الصراع العربي ـــ الاسرائيلي أحد وجوهها ... لن تكون حرب الخليج أكثر من مرحلة .

جميع التاكتيكات الجوية ضد العراق

في نهاية شهر كانون الثاني ، كانت الحملة الجوية للتحالف قد طالت جميع مرافق الحياة المدنية والعسكرية في العراق .

فقد شمل القصف الجوي ، إضافة إلى الأهداف العسكرية ، جميع المنشآت والمجمعات العائدة للصناعات الحربية ، كما شمل المصانع المدنية والغذائية والجسور (حتى تلك التي لا تصلح لأي مجهود حربي) ، وحسب مفهوم (الضربات المجاورة) الغربي ، فقد أصاب القصف عدداً من الأماكن الأثرية وقسماً من العتبات المقدسة ، ولم يوفر القصف شبكات المياه ومراكز الصرف الصحي ومقاسم الهواتف وتجمعات وسائل النقل ومخازن المؤن ، وجميع المحطات الكهربائية . وأصبح منطق العمليات الحربية ، وطابع التحركات العسكرية ، يشكلان تهديداً سافراً لحياة شعب بأسره ، بحيث بدا واضحاً ، أن الولايات المتحدة كانت قد تجاوزت حدود القرارات ، التي أصدرتها بنفسها ، عن طريق مجلس الأمن ، بصورة علنية ..

لقد تحدث تقرير صادر عن جامعة هارفارد ، عن جانب من التدمير الذي لحق بالمحطات الكهربائية وحدها ، فرسم صورة سوداء لهمجية التحالف تخرج عن حدود الوصف ، وقد قسم التقرير محطات العراق الكهربائية إلى ثلاث مجموعات حسب مصادرها كما يلي :

☐ المجموعة الأولى/ حرارية : وتشمل ثماني محطات بطاقة اجمالية قدرها ٥٥٩٥ ميجاواط ، لم يسلم منها سوى محطة واحدة هي محطة النجيبية بطاقة قدرها ٢٠٠ ميجاواط فقط .

☐ المجموعة الثانية/ مائية : وتتضمن خمسة خزانات تولد طاقة اجمالية قدرها

١٦٢٨ ميجاواط ، لم يسلم منها سوى ٣١٠ ميجاواط ، وهي تمثل ما تبقى من عمل لعنفات خزاني دوكان ودربندوخان.

□ المجموعة الثالثة/ غازية : وتشمل سبع محطات بطاقة اجمالية قدرها ١٧٢٠ ميجاواط ، لم ينج منها سوى ٣٨٠ ميجاواط ، وهذه الطاقة المتبقية تمثل انتاج (محطة المولى عبد الله التي نجت من الدمار ، وكانت طاقتها ٢٤٠ ميجاواط) (ومحطة صلاح الدين بطاقة قدرها ١٤٠ ميجاواط) .

كما يظهر تقرير وضعته لجنة تابعة للأمم المتحدة كان يرأسها الأمير الباكستاني صدر الدين آغاخان ، ممثل سكرتير الأمم المتحدة للجوانب الانسانية بعد الحرب ، صورة كارثية للنتائج التي أسفر عنها ضرب طيران التحالف للمرافق المدنية في العراق .

. . .

تقديرات متضاربة عن نتائج القصف !..

كان التقدير الدقيق للخسائر العراقية نتيجة الحملة الجوية ، قد أصبح يشكل هاجساً لدى الادارة الأمريكية ، لتضارب التقديرات بين ركنين أساسيين من أركان المعلومات الأمريكية . السي آي إيه والدي آي إيه من جهة ، وشوارزكوف وأركانه من جهة أخرى .

ففي ٦ شباط أعلنت واشنطن أن الحرب ستكون طويلة وصعبة ، وقد عطف الرئيس الفرنسي ميتران على هذه الملاحظة بقوله ، إن الحرب الأرضية ستكون شاقة ، وفي الفترة نفسها ، رد بوش على طلب من العاهل الأردني الملك حسين لوقف الحرب ، بالرفض ..

كان بوش في مكتبه البيضاوي صبيحة السادس من شباط ، حين دعا لاجتماع عاجل يضم رجال البنتاغون والمخابرات بفرعيها (سي آي إيه و دي آي إيه) وكان يمثل البنتاغون وزير الدفاع ديك شيني ، أما أجهزة المخابرات فكان يمثلها القاضي وليم وبستر .

أدار بوش النقاش بتوجيه السؤال إلى شيني :

ـــ ديك . كيف تقيمون نتائج العمليات حتى الآن ؟

وأجاب تشيني :

ـــ هناك ضخامة في حجم التدمير الذي لحق بالأهداف العراقية بما فيها القوات المرابطة في الكويت وجنوب العراق .

والتفت بوش إلى وبستر وقال :

ـــ هل تؤيد هذه الأقوال يا وليم ؟

أجابه وليم بلهجة الواثق :

ـــ إن وكالتي الدي آي إيه ، والسي آي إيه ، ليس بأمكانهما أن يقدران إلا نسبة ضئيلة من التقدير الذي تدعيه القيادة المركزية .

وساد صمت مطبق ، قبل أن يخترقه شيني بقوله :

ـــ إنني أثق بوسائل واستنتاجات الجنرال شوارزكوف وأركانه .

آثر بوش انهاء الجلسة بعد أن وصلت إلى طريق مسدود ، وراح يسأل عن روبرت غيتس الذي كان مديراً مساعداً في الوكالة .

لقد شكل هذا التفاوت في طرق احصاء خسائر العراق لدى بوش ، عاملاً مقلقاً ، إذ كيف يستطيع تعيين موعد للهجوم البري ، دون الحصول على معلومات دقيقة عن خسائر القوات العراقية في الحملة الجوية ؟.

كان منشأ الخلاف بين البنتاغون وأجهزة الاستخبارات في مواضيع التقييم ، يعود إلى اسلوب كل منهما في الحصول على المعلومات ، ففيما يعتمد البنتاغون على آلات التصوير والفيديو المجهزة بها الطائرات ، وكذلك على أفلام طائرات التجسس للجيل الحديث من طائرة U2 ، فإن أجهزة المخابرات كانت تعتمدعلى تحليل الصور التي ترسلها الأقمار الصناعية ، وهي قراءات فنيين ، ورغم الفوارق الفنية والزمنية بين صور الأقمار ، التي يمكن لرمال الصحراء المتسارعة أن تكون قد غطت أهدافها المدمرة (بين صورة وأخرى بعدها) وصور الطائرات ، التي يمكن أن تلعب المؤثرات البصرية المخادعة ، دوراً في تدقيق تفاصيلها وزواياها ..

وكان اكثر ما نشب الجدال بشأنه ، هو وضع فرقة مدرعة عراقية في الكويت

بعد القصف ، ففيما راحت هيئة الأركان تؤكد أن خمسين بالمئة من هذه الفرقة دُمر ، كانت السي آي إيه تشير إلى نسبة تدمير لا تتجاوز عشرين بالمئة ، مما حدا بالفريقين أخيراً إلى الاتفاق على طريقة جديدة في التقييم ، وقد اعتبرت هذه الطريقة ، أن الهدف يكون مدمراً بصورة نهائية إذا أثبتت طائرات الاستكشاف إصابته بحسب الصور التي تلتقطها .

كان هذا الشك احد الأسباب التي دفعت بوش إلى أرسال شيني إلى ساحات القتال من جهة ، وإلى بدايات نزع الثقة من مدير وكالة الاستخبارات الأمريكية وليم وبستر .

فبعد أقل من ثلاثة أشهر من انتهاء حرب الخليج ، قدم وبستر استقالته من مركزه ، وقد وصفت نيويورك تايمز في تعليق لها على الاستقالة (ان الخطوة كانت إحدى النتائج غير الرسمية لحرب الخليج . فبعد الكلام السيء أو المزدوج الذي قيل عن سلفه وليم كايسي ، فإن تصرف ويبستر المعتدل كمدير لوكالة المخابرات المركزية جاء تغييراً مجدداً للوكالة .

فقد منع العمليات السرية غير القانونية ، وأعاد بناء الثقة لدى مجلس الكونغرس ، وبذلك أرضى الكونغرس وضايق البيت الأبيض . وقد أبدى وبستر رغبته باعطاء مهل زمنية قبل الشروع بالعمليات السرية ، **ورفض تشكيل تقاريره الاستخبارية بناء على الحاجات السياسية للادارة الأمريكية** ، وفي الوقت ذاته ، أبدى انتقادات مريرة لتقصير أجهزة المخابرات في اكتشاف بوادر الانهيار الاقتصادي في الاتحاد السوفيتي بصورة مبكرة ، **كما انتقد بعنف مراوغة الولايات المتحدة بخصوص الموقف من احتلال الكويت في البداية** ،ورغم الضغوط التي مورست على الرئيس الأمريكي من أجل إقالة وبستر قبل أزمة الخليج ، فإن بوش أبدى تصميماً حيال بقائه في منصبه ، وقد قوضت أزمة الخليج كل دعم حظي به وبستر لدى الادارة الأمريكية ، **فقد أثار حنق البيت الأبيض عندما عكس باخلاص تقديرات وكالته ، وارتأى أن القيود الاقتصادية كافية لإرغام العراق على الانسحاب ، دون حاجة لشن حرب دموية .)**

. . .

في الثامن من شهر شباط ، حط شيني وباول في قاعة جوية شمال غرب السعودية ، وكانت قاعدة خاصة بطائرات ف ١١١ المتقدمة جداً في الأعمال التجسسية ، وعندما سئل شيني من قبل الطيارين عن نتائج أعمالهم ، وفيما إذا كانت مرضية أم لا أجاب :

ـ قد يكون التدخل البري والبحري من الامور الضرورية لاخراج الجيوش العراقية بعد استكمال عمليات القصف الجوي .

كانت كلمات شيني غاية في التضليل الاخباري ، وفعلاً فقد كان احتمال الانزال البحري وارداً فقط لخداع العراقيين ، وأثناء زيارة لهما (شيني ـ باول) للطائف في طريقهما إلى الرياض ، **اشتكى أمير الكويت أن السعوديين لا يعلموه بشيء** . وكان الأمير شديد الالحاح لمعرفة موعد الهجوم البري .

التقى كل من شيني وباول الجنرال شوارزكوف في الساعة التاسعة من صبيحة اليوم التالي ٩ شباط ، في مقر قيادته في الرياض ، وكان يحيط به كبار معاونيه وعدد من ضباط الجيش السعودي بقيادة الجنرال خالد بن سلطان ، وقد عبر شوارزكوف عن امتعاضه من تأخر سير العمليات ، بسبب ملاحقة السكود ورداءة الطقس ، وطلب من ثلاثة إلى أربعة أسابيع لتركيز لوجستية الحرب البرية .

أجاب باول :

ـ مستحيل . يجب تسريع الأمور لتحديد استحقاق يدور حوالي الواحد والعشرين من شهر شباط .

كان شوارزكوف يرى في هذا الرجل الجامايكي (باول) ، وقد اقتنص فرصته في رئاسة الأركان المشتركة ، ليس اكثر من مستثمر لظروف قربته من أسياد البيت الأبيض الذين وضعوه في هذا المنصب ، وقد جاء الآن ينفخ في نار الطلبات المستعجلة لماكينة السياسة ، بعيداً عن الاعتبارات التي تفرضها وقائع الحرب الميدانية التي يعرفها باول جيداً .

أجاب شوارزكوف بحدة :

ـ حررنا حتى الآن اكثر من ثمانية سيناريوهات لفرضية واحدة ، قد تتغير

العناصر في كل لحظة وتتحول الأزمنة باستمرار ، لكن الخطوط العريضة للمخططات هي هي ، وآمل أن تتغير الأزمنة ايجابياً بحيث تأتي على ما ترغبون .

. . .

وكانت أسباب أخرى ، قد دعت التحالف إلى حث الخطا باتجاه تسريع عمليات الهجوم البري :

أولاً/ دبلوماسية ونفسية : فقد أخذ السوفيت يدخلون من جديد على خط الأزمة ، بواقع من الضغط الداخلي الذي أخذت تشنه الجماعات العسكرية في موسكو على الجناح السياسي في الكرملين ، وكان بريماكوف قد عاد لتوه إلى موسكو قادماً من بغداد عن طريق طهران ، وقد بدأت تلوح في الافق مبادرات سوفيتية جديدة مفادها (انسحاب عراقي كامل من الكويت مقابل انسحاب التحالف من المنطقة خلال شهرين) .

وقد لعبت العوامل النفسية دوراً هاماً ، في وضعية الانتظار بالنسبة للجيوش البرية ، خاصة وأن توقيتات المراحل الجوية دخلت اسبوعها الرابع ، فيما كان مقدراً لها حسب شوفنيان ألا تتجاوز مدة اسبوعين .. وبدا وكأن الحرب ستكون كلها من اختصاص سلاح الجو وليس غيره .

ثانياً/ أسباب عسكرية ، فقد التقطت طائرات التجسس الأمريكية (أواكس و إف ١١١) صوراً تشير إلى بدء تحركات عسكرية مدرعة في الجانب العراقي المرابط في الكويت ، وكانت القوافل المدرعة تتحرك تحت جنح الظلام باتجاهات الشمال والغرب إلى داخل العراق .. وبدا أن قواتاً عرراقية محمولة وخفيفة تحل محلها بالتدريج ، وقد استنتجت قيادة التحالف ، أن هذه التحركات المريبة ، لا تفسير لها ، سوى أن العراق يحاول سحب قواته النخبوية إلى الخطوط الدفاعية داخل العراق ، وأن معلومات سرية عن الهجوم البري ، يمكن أن تكون قد تسربت إلى بغداد عن طريق أحد مصدرين :

الأول/ عن طريق أقمار السوفيت الصناعية حيث يمكن أن تكون قيادة الجيش السوفيتي قد أبلغت بغداد بوسائلها الخاصة عن طبيعة تحركات قوات التحالف

البرية بهدف تطويق الجيش العراقي في الكويت أو تمديد العملية البرية باتجاه تطويق الكويت ومنطقة البصرة معاً بحيث يتم شطر جنوب العراق عن شماله .

(كان هذا الاحتمال ضعيفاً ــ إذ لو كان حقيقياً وقبل وقت كاف ــ لوقع الخطاف اليساري لجيش التحالف الذي اخترق العراق في شؤم مصيره المحتوم .. وقد يكون من المرجح أن مثل هذه المعلومات من قبل السوفييت قد تسربت إلى بغداد بصورة متأخرة ، أي ما يكفي من الوقت الثمين لانسحاب سريع .. وسريع جداً) .

المصدر الثاني/ ويمكن أن يكون قد تم نقله إلى بغداد عن طريق الأعراب المتنقلين في مناطق الصحراء الشاسعة ، وكانوا قد شاهدوا من فوق جمالهم منذ ١٧ كانون الثاني تحركات قوات التحالف باتجاه جنوب وغرب منطقة الكويت في أراضي المملكة العربية السعودية .

كان هدف التحالف كما رسمه المجتمعون في (الحجر الاسود) (وهو اسم أطلقه شوارزكوف على مقر قيادته في السعودية) هو عزل القوات العسكرية الموجودة في الكويت ، وذلك بواسطة الفيلق الثامن عشر من الجيش الأمريكي المتحرك ، فيما يتم التدمير بواسطة الفيلق السابع (الذي كان مخصصاً في أوربا لمواجهة حلف وارسو) ، ووضع المجتمعون (شيني ، باول ، شوارزكوف واركانه ، مع قائد القوات العربية المشاركة في التحالف خالد بن سلطان) سيناريوهات لعمليات الهجوم الأولى ، التي يمكن أن تبدأ من قبل جناحي الخطوط المؤلفة من جيوش التحالف على الأجناب ، فيما تقوم الفرقة المدرعة الفرنسية السادسة ، يؤازرها لواء من الفرقة الأمريكية ٨٢ المحمولة جواً ، بهجوم من الجهة الغربية بعيداً عن الكويت ، وتقوم قوات المارينز مع مشاة البحرية بهجوم تضليلي من جهة البحر في الشرق ..

وكان مخصصاً للقوات العربية المشاركة أن تقوم بهجوم ابتداءً من الزاوية الجنوبية الغربية من الكويت ، بعد فاصل زمني من بدء هجوم قوات التحالف !..

كانت هذه السيناريوهات المفترضة ، قد تم وضعها من قبل القيادة المركزية في السعودية ، قبل زيارة تشيني وباول إلى السعودية (٩ شباط) بوقتٍ طويل ..

ولم يكن ثمة إضافات جديدة ، سوى **تقريب روزنامة التوقيتات من نهاية شباط إلى ٢٤ منه وذلك كاستجابة لمتطلبات سياسية يدركها البيت الأبيض ، وقد تم الاتفاق على ذلك .**

□

بريماكوف في بغداد من جديد :

في الوقت نفسه ، وفيما كانت بغداد تطلق نداءات الانتقام مجددة عزم العراقيين على القتال حتى الشهادة أو النصر ، كان مبعوث الرئيس غورباتشوف ، يفغيني بريماكوف ، يعقد اجتماعاً في مطار طهران مع نائب وزير الخارجية الايراني ، قبل توجهه إلى بغداد . وكان الرئيس الايراني قد أطلق مبادرة من جهته قبل اسبوع (٤ شباط) يعرب فيها عن استعداده لمقابلة صدام حسين ، **ويشفع المبادرة بتنديد عنيف ضد اولئك (المتهورين ، المتشددين في بغداد) ..**

وقد سمحت السلطات الايرانية بتحليق الطائرة التي تقل بريماكوف من طهران إلى بختران (كرمان شاه سابقاً) ، ومن هناك غادر بريماكوف المطار باتجاه الحدود العراقية براً .

يقول بريماكوف في كتابه (حرب كان تجنبها ممكناً) :

(نزلنا في فندق الرشيد حيث وصلناه في الساعة الحادية عشرة مساء ، وقيل لنا إن هذا هو أفضل مكان آمن في بغداد ، بالنظر لأن الصحفيين الاجانب ينزلون في هذا الفندق ، لم تكن هناك أضواء والمصعد لا يتحرك ، وازدانت غرفتي بمصباح نفطي خصصت به عن زملائي الآخرين ... كان الهدوء سائداً ، أما الغارات التي غالباً ما كانت تبدأ في مثل هذا الوقت ، فقد تأخرت لسبب مجهول ، ولكنهم على ما يقال جلبوا النحس بقولهم هذا ، فبعد ساعة ارتفعت أصوات صفارات الانذار الجوي ، وشهدت الليلتان اللتان قضيناهما في بغداد ، باعتراف الكثير مما قدر لي مقابلتهم أشرس قصف للمدينة) .

ويتابع بريماكوف :

ـ كان موعد لقائنا مع الرئيس العراقي في اليوم التالي ، فحين نقلنا إلى بيت من بيوت الضيافة ، كان كل شيء في بغداد أقرب إلى الحياة العادية ، جلس الرئيس العراقي إلى جانب مدفئة نفطية ، بعد أن خلع معطفه العسكري ، وقد بدا عليه النحول ، فقد هبط وزنه منذ لقائنا الأخير حوالي ١٥ كغ ، لكن مظهره كان يدل على الهدوء وعلى قدر كاف من الاعتداد) (المصدر نفسه ص ٩١) .

وطبقاً لمحضر اجتماع تلك الجلسة فقد دار الحوار التالي :

قال صدام :

ـ مهما آلت المواقف بيننا وبين رفاقنا السوفيت ، فإن العراق لن يبدل موقفه تجاه أصدقائنا القدامى ، الذين نعترف لهم بما قدموه للعراق من مساعدات فنية وعسكرية ، لكن العراق باق على حاله وسيصمد حتى النهاية .

أجاب بريماكوف :

ـ إن الأمريكيين يميلون بحزم إلى بدء عملية برية واسعة النطاق يتم خلالها تدمير القوات العراقية في الكويت .

سأل صدام :

ـ برأيكم .. ما هو المطلوب إذن ؟

أجاب بريماكوف :

ـ سيادة الرئيس ، إن السياسة هي فن الممكن ، ولم يبق إلا الاعلان عن سحب القوات من الكويت على أن يحدد في هذا الاعلان أقرب المواعيد للانسحاب .. وهذا هو رأي الرئيس غورباتشوف .

ـ سأل صدام :

ـ مَنْ يضمن أن النار لن تطلق على ظهور جنودنا الخارجين من الكويت .. ثم هل يضمن السوفيت وقف الغارات على العراق بعد الانسحاب ، وهل سيتم الغاء العقوبات الاقتصادية المفروضة على العراق ، ثم ماذا عن طبيعة النظام القادم إلى الكويت ؟..

وكان جواب بريماكوف :

ـــ لا أمتلك الصلاحيات التي تخولني الاجابة على جميع هذه الاسئلة ، لكن الجواب الأهم يجب أن يدور حول استعادة الوضع الذي كان قبل الثاني من آب .

وران جو من الصمت المتوتر ، وفهم الرئيس العراقي أن السوفيت يريدون انتزاع كلمة الانسحاب من العراق ، دون ضمانات حقيقية ، بما فيها حتى حماية ظهر القوات المنسحبة من الكويت ..

قال صدام :

ـــ بعد ساعات سيحمل طارق عزيز جوابنا عقب اجتماع القيادة إلى سفارتكم في بغداد ، وأقترح أن يصل مندوباً عن العراق لمواصلة الاتصال بموسكو .

واستطرد بريماكوف (علماً أن جواب صدام حسين الأخير كان ايذاناً بانتهاء الجلسة) :

ـــ سيادة الرئيس . إن الزمن لا يرحم ، وضرورة تقليص وقت الانسحاب ضروري جداً ، كما أرى أنه من الضروري أيضاً ، الكف عن فكرة مواصلة ضرب اسرائيل بالصواريخ ، لأن ذلك لن يوقف الخطوات العسكرية ضد العراق ..

ابتسم صدام ابتسامة تقع بين الهزء والمرارة :

ـــ لا اعتقد أن شيئاً سيوقف عدوان الغرب على العراق !...

□

كان بريماكوف ، بإسم المنصب والصداقات والروابط القديمة له في المنطقة ، يتجول كوسيط بين الأطراف طوال الأزمة ، **ولم يكن في فم الرجل سوى عبارة : الانسحاب أو أوخم العواقب .**

وكان العراق في هذا الوقت المتقدم من الأزمة (زهاء ٦٦ ألف طلعة جوية لطيران التحالف) يرى الانسحاب وأوخم العواقب وجهين لعملة واحدة ، ولم تكن الولايات المتحدة تهدف إلى اكثر من هذا ، فبدلاً من أن ترسل بيكر أو روس أو مورفي إلى بغداد ، لابلاغ هذه العبارات ، كان بريما كوف يقوم بتقديمها على طبق من النصائح المؤداة باسم الصداقة .. لكن الحقيقة أن بريماكوف لم يجعل أية مسافة بينه وبين جوهر عبارات التحالف ، فخلال زياراته الثلاث إلى بغداد ،

لم يتفوه الرجل بعبارة واحدة يؤسس فيها لمصداقية تمايز الموقف السوفيتي عن موقف التحالف ، حتى لو كان ذلك في الشكل ، وبالعكس ، فقد كان يقدم بلاده كرديف للولايات المتحدة في كل ما تشاء وترغب .. (سيفعلون كذا .. وسيقومون بكذا .. الولايات المتحدة لا تقبل .. الرئيس الأمريكي يرفض .. الخ)

وفي الواقع ، فإن بريماكوف (الصديق القديم) الذي أضحى ماشياً على خط براغماتية النظام العالمي الجديد ، كان مراسلاً حقيقياً لواشنطن عبر موسكو .. وكان بانتظار المشاركة في جائزة نوبل جديدة تؤدى في نهاية المطاف .

□

بوش وبرقية الكرملين

في الرابع من شباط تلقى الرئيس الأمريكي برقية مطولة من غورباتشوف وتتضمن لمحة شاملة عن المناقشات التي أجراها مبعوثه الخاص بريماكوف مع الرئيس العراقي في بغداد .

كان جواب العراق الذي وعد به صدام ، والذي قُدم إلى السفارة السوفيتية في بغداد ، قد وصل لتوه إلى الكرملين ، وقد أشار غورباتشوف في برقيته إلى البيت الأبيض إلى أن العراق أبدى ليونة ملحوظة في موقفه ، وأنه انسجاماً مع قرارات الأمم المتحدة يوافق على انسحاب فوري وغير مشروط من الكويت ، وهو ما جاء عليه نص القرار ٦٦٠ الصادر عن مجلس الأمن بتاريخ ٢ آب ١٩٩٠ ، وأن هذه الموافقة ينبغي أن تلغي ما صدر عن المجلس من قرارات ضد العراق .

وتمنى غورباتشوف في نهاية البرقية أن يتم (البحث عن جميع امكانيات الحل السلمي ، وأن يتم التريث بخصوص الهجوم البري) .

علق سكاوكروفت بطريقة لاذعة :

ـــ لا زال هذا المسكين عرضة للمزيد من ضغوطات العسكريين الميالين إلى حليفهم القديم ، العراق .

وقال غايتس ساخراً :

ـــ كان عليه أن يظهر مقدرته بعيداً عن الصراع ، وأن يعمل على انقاذ بغداد من التدمير أيضاً .

وعاد سكاوكروفت ليستلم الكلام :

ـــ نعلم جميعاً أن غورباتشوف ولأسباب داخلية يحتاج إلى لعب دور ، غير أن ما يجب خشيته هو أن مبادرات اللحظات ما قبل الأخيرة هذه ، قد تفكك الائتلاف الذي أشرف في نهاية المطاف على تحقيق أهدافه .

كان بوش جالساً يستمع إلى مناقشات فريقه حول برقية موسكو ، لكنه سرعان ما خرج عن صمته قائلاً :

ـــ يجب علينا أن نرفض مبادرات غورباتشوف .. ولكن بطريقة لا تضعه في موقف محرج .

. . .

كان الاتحاد السوفييتي مايزال دولة عظمى ، ولم تكن القضية فيما إذا كانت المسألة هي مسألة احراج أم لا ، فقد سبق لبوش رفض مبادرة غورباتشيفية قبل بداية القصف الجوي بساعات قائلاً (آسف . لقد فات الوقت) لكن بوش من الناحية الواقعية ، **كان يخشى حتى في اللحظات الأخيرة انقلاب صاعق في الموقف السوفيتي قد يضطر العسكريون إلى استلامه أو القيام به .**

فقد بات واضحاً أن الولايات المتحدة القائمة على قيادة التحالف خرجت منذ وقت طويل على قواعد اللعبة بصورة فاضحة ، وظهرت الحرب السافرة وكأنها فعلاً تدور بين الولايات المتحدة والعراق ، خاصة وأن طائرات التحالف كانت قد قصفت قبل يوم واحد (١٣ شباط) **ملجأ مدنياً في العامرية وهو حي من أحياء بغداد ، أدى إلى مقتل المئات من الأطفال والشيوخ والنساء ، وقد**

انتثرت أشلاؤهم في الشوارع المحيطة ، وظلت كوثيقة حية تحمل تواقيع مخالب الوحوش الضارية على الأرض الدامية .

لقد أشار بيان صادر عن الانقلابين صيف ١٩٩١ في موسكو ، إلى هذه المخازي علانية ، وأوضح بجلاء أن الاتحاد السوفيتي وهو الدولة العظمى الوحيدة المساندة لقضايا الشعوب العادلة تاريخياً ، بات يجرجر نفسه بفضل بيروسترويكا غورباتشوف وراء السياسات الأمريكية الذاهبة للسيطرة على العالم .

. . .

في الخامس عشر من شهر شباط ، أعلن العراق رسمياً عن امكانية انسحابه من الكويت ، وتحدث هذا البيان عن استعداد العراق للامتثال إلى قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٦٦٠ على أن يجري بالمقابل رحيل قوات التحالف بمعداتها خلال مدة شهر من المنطقة على أن يتم لاحقاً بحث انسحاب اسرائيل من الأراضي المحتلة ، مع دفع تعويضات حرب للعراق ، والغاء الديون المترتبة عليه ، ورفع الحصار عن العراق .

كانت عقارب الساعة في واشنطن ، عندما راحت اذاعة بغداد تبث مضمون البيان ، تشير إلى تمام الساعة السابعة صباحاً ، فيما كان بوش يتناول فطوره في جناحه الخاص في البيت الأبيض .

وقد أنهى الرئيس الأمريكي فطوره على عجل ، ونزل فوراً إلى المكتب البيضاوي ، بعد أن استدعى فريق عمله في الحالات الطارئة ، بيكر وتشيني وسكاوكروفت ، وفي غضون دقائق كان الرجال الثلاثة يحيطون بالرئيس الأمريكي داخل أبواب موصدة .

طلب بوش نص العرض العراقي ، وطلب سكاوكروفت من وكالة الانباء الحكومية (ف. بي . آي . إس) أن تقوم فوراً بارسال نص البيان العراقي ، (ويقول أحد الشهود ، أن وابلاً من البرقيات الصادرة عن الوكالات الكبرى كانت تصل إلى البيت الأبيض ومنه إلى المكتب البيضاوي ..) (عاصفة الصحراء . اريك لوران . ترجمة أسمر ص ٢٧٦) .

كان بوش ومعاونوه غارقين في تفحص دقيق ، وفي لحظة معينة ، قطع الرئيس الصمت متمتماً : «كلما تقدمت في القراءة ، كلما ازداد النص رداءة» . وقد عبرت لهجته عن الذهول والارتياح بآن واحد ، كان العراق فعلاً ما يزال يربط مغادرته الكويت بانسحاب اسرائيلي من الأراضي المحتلة ، ويشترط أنه في حال الرفض يجب أن تعاقب اسرائيل بالعقوبات ذاتها التي فرضت على العراق . كما طلب العراق الغاء الديون العراقية ، ورفع الحصار ، وسحب الأسلحة والتجهيزات التي كانت بعض الدول قد أمدت اسرائيل بها ... كان ما أغاظ بوش بنوع خاص ، هو طلب العراق في البيان ، إعادة إعمار ما هدمه العدوان في العراق) (المصدر السابق) .

قال بوش :

ــ لم تأت المبادرة بشيء جديد .

وطوى نص البيان العراقي ووضعه جانباً ، فيما راح يدير قرص الهاتف إلى ميجور (رئيس الوزراء البريطاني) ، ثم إلى الرئيس الفرنسي والملك فهد والرئيس التركي ..

لقد تم تبليغ الجميع ، رفض المبادرة العراقيةالأخيرة ، حيث تحمل من الشروط اكثر من سابقاتها ، ولم يعلق بوش على ردود فعل الرؤساء والملك فهد ، باستثناء ملاحظة أبداها عن الرئيس الفرنسي . قال :

ــ كنت مشغولاً بالموقف الفرنسي ، لكن الرئيس شاركني الشعور نفسه الآن ..

...

كانت استنتاجات الادارة الأمريكية ، من خلال قراءات متعددة لنقاط البيان العراقي ، تشير إلى استخلاص ملاحظات أهمها :

ــ إن البيان رغم ملحق الشروط المربوط بذيله ، ينطوي على موقف ايجابي ، إذ لأول مرة منذ الأزمة ، يمتثل العراق لقرار صريح من قرارات الأمم المتحدة دون شروط ، وقد خص ذلك بفقرة مستقلة في البيان وهي من أولى فقراته .

وقد شكل ذلك في مفهوم فريق عمل بوش ، بداية التراجع بالنسبة للعراق ، وقد علق سكاوكروفت على ذلك قائلاً :

□ ها هي الآلة العسكرية العراقية ، تمارس طقوس الانحناء منذ الآن .

ان الشروط اللاحقة (حسبما أوضحها بريماكوف للكرملين ومن ثم إلى الادارة الأمريكية ، إنما هي من قبيل الشعارات الدعائية التقليدية .. هدفها السوق الداخلية) (حرب كان تجنبها ممكناً . بريماكوف ص ٩٥) .

ـــ إن العبرة التي يجب أن تستخلصها الولايات المتحدة ، هي مواصلة الضغط من أجل اسقاط صدام حسين عن طريق القوات المسلحة .

كان السياسيون الأمريكيون قد توصلوا من خلال هذا البيان إلى قناعة ، (أن عرض صدام الأخير إنما يهدف قبل كل شيء .للاحتفاظ بالسلطة إذا توقف القتال) (عاصفة الصحراء . لوران ص ٢٧٨) .

وعندما سأل أحد الصحفيين بوش وهو يتجول في فناء البيت الأبيض عن رأيه بخصوص البيان العراقي الأخير . أجاب !

ـــ لقد سعدت لدى سماعي البيان .. لكن ويا للأسف ، فقد بدا في النهاية ، وكأنه تراجيديا مؤلمة .

تدخل شيني على الفور ، بعد أن فهم الاتجاه جيداً ، مع شبكة سي إن إن ، ليطلق أول تصريح له ، مستقى من ايجاز البيان المستخلص وقال في (١٥ كانون الثاني) :

(يجب أن يذهب صدام ، سيشجع رئيس الولايات المتحدة ، رسميين عراقيين ، أو ربما بعض القادة في الجيش ، إذا رغبوا بتشكيل حكومة جديدة في العراق) .

وأضاف شيني :

ـــ إن في حوزتنا تقارير تكشف عن خلافات داخل صفوف الجيش .

. . .

كانت حفلة الاكاذيب الاعلامية من قبل ماكينات الغرب ، قد تم تدشينها منذ

وقت طويل ، لكنها ما عتمت أن بلغت نقطة الذروة ، **حين راحت تضع مستويات للاكاذيب التي يراد اطلاقها في سبيل الخداع ، حسب موقع المسؤول القائم على أدائها :**

ـــ فمستوى الرئيس مثلاً ، ينبغي أن يناط به مهمة أكاذيب استيراتيجية لا تحتمل عدم التصديق (هكذا رأينا بوش يكذب في نية العراق مهاجمة السعودية بعد الكويت .. كما رأيناه يكذب في روزنامة مواعيد اكتمال الاستعدادات النهائية لشن الحرب في الخليج .. الخ) .

ـــ كان بيكر يكذب في مستواه التكتيكي الدبلوماسي ، وقد رأيناه وهو يكذب على شيفرنادزة حين راح يسأله عن رأي الاتحاد السوفيتي بارسال قوات الحلفاء إلى الخليج ، وكان الموقف قد اتخذ ، وأسراب الطائرات قد حطت ، وطلائع القوات بدأت بالابحار نحو الخليج .. رأينا بيكر وهو يكذب في حقيقة النية وراء اجتماع جنيف (إن الولايات المتحدة حتى اللحظات الأخيرة ، ستمنح فرصة من أجل السلام) ..

ـــ وكان شيني يكذب في مستواه التكتيكي العسكري ، وقد رأيناه وهو يكذب على شوفنهان حين تحدث عن مدة .. أقصاها ١٥ يوم للقصف الجوي (فيما هي الحقيقة ثلاثة أضعاف المدة تقريباً) وحين رأيناه يمارس الخديعة حين أشار بجدية إلى أن انطلاق الهجوم البري سيكون صاعقاً سواء **من جهة البحر** أو البر . **ثم أضاف لتأكيد قوة الكذبة (سيكون البحر من نصيب المارينز ومشاة البحر)**

ـــ وكان سكاوكروفت يكذب في مستوى الخطورة الجهنمية ، التي بات يمثلها العراق على الأصعدة النووية والبيولوجية والعسكرية .

ـــ وكان سنونو يكذب في كل شيء يمس العرب ، حاضرهم أو تاريخهم ، حياتهم ومماتهم ...

□

غورباتشوف : لا نريد ملحق شروط مع قرار الانسحاب ..

مساء السابع عشر من كانون الثاني ، وصل طارق عزيز إلى موسكو على متن طائرة سوفيتية أرسلت له إلى طهران .

وعلى الفور ، فقد عقد اجتماعاً مع طاقم الخارجية السوفيتية برئاسة الوزير الجديد الكسندر بسمرتنيخ وحضور يفغيني بريماكوف .. وقبل منتصف الليل . عقد اجتماعاً آخر مع القيادة السوفيتية برئاسة ميخائيل غورباتشوف .

قال عزيز : بعد أن استهل غورباتشوف اجتماعه دون ترحيب :

ــ سيدي الرئيس ، الاستسلام هو آخر كلمة يفكر فيها العراقي ، بعد الموت !.. جئت لأقول بعد كل هذا الذي رأيناه ، ورأيتموه ، ورغم الضربات الضارية التي نتعرض لها ، ان العراق لن يستسلم ، وهو مصمم على ذلك ، ولكن لو كانت هناك فرصة للسلام المشرف ، فإن القيادة العراقية على استعداد تام لبذل كل ما تستطيعه ، من أجل اغتنامها .

أجاب غورباتشوف :

ــ إن موقفكم يبدو متناقضاً جداً ، فالبيان الأخير الصادر عنكم ، يعتبر بمثابة خطوة هامة نحو التسوية السياسية ، لأنكم تعترفون صراحة بالقرار رقم ٦٦٠ الذي يطالب كما هو معروف ، بالانسحاب دون قيد أو شرط . ومن جهة أخرى يبدو هذا الموقف غير مقبول ، لأنكم تضعون شروطاً مسبقة للأنسحاب ، فقد ذكرتم العديد من المسائل الهامة ، وهي واقعية ، لكن الربط بشكل وثيق بين هذه المسائل والانسحاب ، سيكون سبباً في تصعيد القتال ، كحل يكاد أن يكون دون بديل .

أجاب عزيز :

ــ القرار ٦٦٠ يطالب باعادة الوضع إلى ما كان عليه في المنطقة قبل الثاني من آب ، فهل كان قبل هذا التاريخ ثمة تواجد للأمريكيين أو الغرب في المنطقة ؟. **كل ما طلبناه هو رحيل القوات الأجنبية من الخليج ، وإعادة الوضع كما كان**

عليه أيضاً .. نحن سننسحب قبل انسحابهم ، وسنترك لهم مسافة زمنية كافية لرحيلهم مع معداتهم .. ولا شيء اكثر من هذا .

حدق غورباتشوف في وجه عزيز وقال :

ـــ وماذا تقول عن المسائل الأخرى التي عرضت كشروط (كان غورباتشوف يقصد . انسحاب اسرائيل من الأراضي المحتلة ، وسحب المعدات العسكرية التي زودها بها الأمريكيون ، وفك الحصار عن العراق ، والغاء الديون ، والتعويض عليه بسبب التدمير الناشيء عن العدوان الأمريكي) .

وأجاب عزيز :

ـــ سيدي الرئيس ، لا أحد بمقدوره أن يفرض شروطاً على أمريكا ، نحن نعرف ذلك تماماً ، وما عرضناه ليس شروطاً للانسحاب ، بل إن المسائل هي بمثابة برنامج للمستقبل ، إنها برنامج العراق لمستقبل منطقته ...

غيّر غورباتشوف من نبرة صوته وسأل :

ـــ لماذا لم تذكروا في بيانكم كلمة (الكويت) في معرض الحديث عن سحب القوات .

ردّ عزيز وهو ينظر من خلال نظارته السميكة نظرة ثابتة :

ـــ لأن الانسحاب يجري كَرْهاً ، بالنسبة إلينا الكويت جزء من العراق ، والعراق جزء من الجزيرة العربية ، والجزيرة ، جزء من وطن أشمل يقع بين الأطلسي والخليج ...

ثم صمت عزيز لثوان وأضاف :

ـــ سيدي الرئيس ، قد يعز على المرء أن يقول : **إنه ينسحب من بلاده** !..

في هذه الأثناء ، اقترح غورباتشوف إقتراحاً مختصراً فقال :

ـــ حسب رأيي . أمامكم الخطة التالية . يعلن العراق عن سحب قواته كافة من الكويت ، **أريد منكم تحديدها بالأسم ، كما يحدد البيان أقصر مدة لهذا الانسحاب ، ولا لزوم لملحق الشروط** .. الضمانات الوحيدة التي يمكن أن

نؤيدها ، هي عدم إطلاق النار على جنودكم من الخلف ، والحفاظ على دولتكم ، وازالة العقوبات في المستقبل .

وأضاف :

ــ إن عامل الزمن يلعب دوراً بالغ الأهمية ، إذا كنت حريصاً ، على حياة مواطنيك ومصير بلدك ، فيجب أن تتصرف على الفور .

. . .

كان الثلج ينهمر فوق موسكو ، عندما غادرها عزيز ، وفي الطريق إلى طهران ، راح يسترجع شريط التاريخ البشري ، فقد كان معجباً بعبارة أطلقها ماركس ذات مرة ، وذلك بعد اندلاع ثورة الكومونة في باريس ، وكان ماركس قد أوصى الفتية من ثوار الكومونة بعدم الاقدام على ما يشبه حالة الانتحار (لا تطلقوا العنان لنفوسكم الغاضبة ، علينا الانتظار ريثما تنضج الظروف وتتحرك نسب القوى) ، وبعد أن تناهى لاسماعه نبأ اندلاع الثورة عاد وقال :

ــ الآن .. وبعد أن حصل ما حصل .. فما علينا إلا أن نلتحق باولئك الرجال الذين صعدوا لقطف النجوم من السماء .

. . .

في مطار طهران ، حاول عزيز جاهداً ، اللقاء مع كبار المسؤولين الايرانيين لبحث مستقبل الطائرات العراقية التي حطّت في الأراضي الايرانية ، وسبل إعادتها مع طياريها إلى العراق ، وقابل عزيز كبار المسؤولين ، ولكن أياً منهم رفض البحث في هذا الموضوع ، وصدر القرار باعتبار (الوديعة) ديون حرب مستحقة !...

□

كان المستشار الألماني هلموت كول ، أول السامعين لعرض غورباتشوف على الهاتف ، وراح يلخص رؤيته لنقاط السلام :

١ ــ انسحاب العراق غير المشروط من الكويت .

٢ ــ التزام الاتحاد السوفيتي بعد الانسحاب بالحفاظ على دولة العراق .
٣ ــ معارضة موسكو لكل عقوبة إضافية ضد العراق .
٤ ــ البحث في المشكلات العالقة في منطقة الشرق الأوسط .

وأكد الرئيس السوفيتي لكول ، أن هذه النقطة الأخيرة ، كان قد تم الاتفاق عليها مع الأمريكيين ، إلا أن الإعلام الأمريكي راح ينتقدها بشدة ، (وأعتقدُ أن الادارة الأمريكية سحبتها من التداول الآن ــ وهي آخر عبارات غورباتشوف لكول) .

كانت ردة فعل كول الأولى ، هي الحماس للخطّة ، وقد أكد من جهته على ضرورة (اخراس المدافع) وإتاحة المجال للدبلوماسية كي تنشط من جديد .

أرسل غورباتشوف نسخة من خطته إلى البيت الأبيض ، لكن بوش كان في ولاية ماساشوست يزور المصنع المختص بإنتاج صواريخ باتريوت ، كمبادرة منه لرفع الروح المعنوية لدى الشركة المنتجة ، بعد أن راجت أخبار مفادها ، أن فاعلية الصاروخ الحقيقية لم تزد عن ٦٠ بالمئة من الاداء الذي كان مطلوباً منه ..

في المعمل كان العمال يصرخون ، وهم يستقبلون بوش ، عاشت أمريكا U.S.A U.S.A ورداً على الحفاوة قال بوش (كمدير اعلان تجاري) :

ــ صاروخكم هذا ، هو فخر التكنولوجيا الأمريكية ... الخ واضاف :

ــ هناك سبيل آخر لايقاف حمى الدم .. على العسكريين العراقيين أن يأخذوا بزمام الموقف ويجبروا صدام على التنحي ..

كان بوش يطلق كلماته الموشاة بفخامة رئاسية مهيبة ، ويشرط سياسة الابادة الجماعية لشعب العراق ، بمصير شخص الرئيس العراقي ، وبدا الاختيار لبلد حقوق الانسان ، كواحد من اثنين :

ــ إما رحيل الرئيس العراقي أو قتله ، وإما قتل شعب العراق برمته .

. . .

بوش أنت سافل وغير أخلاقي :

في طريقه الى ممتلكاته في (كينيبنكبورت -الماين) ، بعد زيارته لمصنع الباتريوت ، فكر بوش بقضاء عطلة نهاية الاسبوع هناك .

كان يفكر كيف سيجد الرد الأنسب ، لزيادة الضغوطات السوفيتية أو الأوربية ، كلما اقترب موعد الهجوم البري ، ويقول لوران في عاصفة الصحراء ص٢٨٠ ما يلي :

(في هذه الاثناء اقترب أحد المقربين من بوش ، وهو من «ستاف» الإدارة ، وقال للرئيس : كان عليك أن تطبع قبلة الموت على جبين غورباتشوف قبل أن يعطينا مبادرات جديدة) .

تحدث بوش مع البنتاغون موجهاً أوامره :

ــ يجب الرد بفاعلية وعنف على أية حركة من حركات العدو ، والأهم ، هو أن تحتفظوا بالسيطرة الكاملة على المواقيت التي حددناها سابقاً .

صباح السبت ، وفيما كان بوش يحضر قداساً في كنيسة المدينة ، هجم عليه أحد الأمريكيين واسمه (جون شوشاردت) وعمره واحد وخمسون عاماً ، وقد أوقفه حراس الرئيس على الفور ، لكنه راح يصرخ بصوت قوي ، فيما كان صوته يدوّي في أرجاء الكنيسة :

ــ فكرّ بعشرين مليون عراقي ، إن نصفهم من الأولاد ، إنهم كالذين يجلسون هنا يا فخامة الرئيس ، يجب أن تذكر ما معنى أن تقصفنا هنا في الولايات المتحدة ، اكثر من ألفي طائرة يومياً ..

بقي بوش جامداً لا يتحرك ، وقد لاحت علامات الشحوب على وجهه المطأطىء نحو الأرض ، فيما بدا أنه لا يريد أن يلتفت إلى الرجل ، الذي باشر الحرس بإخراجه من الكنيسة ، وعند المدخل صاح الرجل بأعلى صوته وهو يحاول أن يرفع يديه اللتين ثبتهما الحرس خلف ظهره :

ــ بوش . ألا تريد أن ترد .. أنت سافل وحقير .. أنت غير أخلاقي ..

وراح صوته يغيب مع ضجة المُصلّين في الكنيسة ، ومع ابتعاده وسوقه إلى إحدى سيارات الشرطة الأمريكية أمام الكنيسة .

. . .

اطلع بوش بعد عودته إلى البيت الأبيض ، على نص الاقتراح السوفيتي الأخير ، وعلق قائلاً :

ــ يبدو أن السوفييت يريدون انقاذ الموقف بحركة سريعة .. ثم التفت إلى سكاوكروفت وقال بحدة :

ــ لماذا لا يطلعنا غورباتشوف مسبقاً على أفكاره .. اتصل هاتفياً بجون ميجور ، وشرح له مضمون (الهجوم الدبلوماسي) الذي أخذ يشنه الكرملين على التحالف ، بضغط من عسكريي الجيش والكي جي بي في الاتحاد السوفييتي . ثم قال :

ــ هذا الاقتراح السوفيتي غير مقبول ، ويجب أن يرفضه الشركاء في التحالف .

وأضاف :

ــ (هناك لائحة طلبات يترتب على بغداد قبولها ، قبل إعلان التحالف وقف الحرب) ... وراح بوش يشرح بنود القائمة .

أجاب ميجور : إن بريطانيا تقبل الانضمام لمبادرتكم الجديدة فيما يخص وقف اطلاق النار في الخليج .

استدعي القائمان بالأعمال السوفيتية في كل من واشنطن ولندن ، وتم تسليمهما قائمة الطلبات الجديدة ، تمهيداً لنقلها إلى بغداد عبر موسكو ..

كان بيكر يتصل بدوره مع بسمرتينخ وزير الخارجية السوفيتي ، ليقول له ، إن الإدارة قد فوجئت تماماً بالأفكار الجديدة للكرملين ..

فأجاب الوزير السوفيتي بشيء من التوتر :

ــ إننا لا نفعل شيئاً في الخفاء ، ولم نصبح قوة من الدرجة الثانية حتى نستأذن غيرنا فيما يخص أفكارنا .

بدا بسمرتينخ بالنسبة لبيكر ، وكأنه شخص آخر ، مختلف تماماً عن سلفه شيفرنادزة ، وظن أن وراء هذا الرجل ، صقور الجيش السوفيتي في موسكو .

تعددت التصريحات الأمريكية في هذا الوقت من عمر الأزمة ، وكان أهمها تلك الشهادة التي أدلى بها بيكر أمام الكونغرس ، والداعية إلى الإطاحة بصدام كسبيل وحيد لمساعدة العراق ، وقال

ــ إذا أُبعد صدام عن الحكم ، فقد تساعد الولايات المتحدة وغيرها من الدول على إعادة اعمار العراق ، وإذا بقي صدام في بغداد كالنمر الجريح ، فسوف ينسف كل هذه المساعي ، وسيستحيل ساعتئذ تأمين هذه المساعدة .

□

عزيز في موسكو للمرة الأخيرة :

في مطار موسكو وقبل منتصف الليل بقليل ، كان بسمرتنيخ محاطاً بكبار موظفي الخارجية السوفيتية ، بإنتظار وصول الطائرة السوفيتية التي تقل طارق عزيز إلى موسكو من جديد . وقد وصلت الطائرة في الساعة الحادية عشر من ليل الواحد والعشرين من شهر شباط ، وقبل وصول الطائرة بقليل توجه أحد مراسلي وكالات الأنباء الأمريكية بالسؤال التالي إلى بسمرتنيخ :

ــ ماذا تعلق على انتقادات الرئيس الأمريكي لمخطط السلام الذي قدمه الاتحاد السوفيتي قبل يومين ؟

نظر بسمرتنيخ إلى المراسل الأمريكي وأجابه بلهجة انكليزية متقنة :

ــ كان هذا المخطط موجهاً إلى زعماء العراق ، وهم وحدهم بإستطاعتهم أن يرفضوه .. **هذا المخطط لا يخص بوش ولا الولايات المتحدة .**

بقي غورباتشوف في مكتبه حتى وقت متأخر من الليل ، حيث كان يتوقع وصول وزير الخارجية العراقي قبل ذلك ، لكن متاعب فنية في مطار طهران كانت قد أخرت إقلاعه ، وعلى الفور قال غورباتشوف وهو يرد التحية على عزيز :

ــ ها هنا نحن ، فقد وصلنا إلى نقطة حساسة ، لتبدأ المفاوضات دون تضييع ساعة واحدة .

ودار نقاش على شكل رؤوس أقلام ، انطلق بعده (فيتالي ايجناتنكو) وهو المتحدث الرسمي باسم غورباتشوف ، ليبلغ الصحفيين المتدافعين أمام المبنى :

ـــ لقد تم التوصل إلى اتفاق يغطي معظم النقاط بين الاتحاد السوفيتي والعراق ، وهو إتفاق يستكمل الانسحاب الفوري . وإن الرئيس غورباتشوف على اتصال بالرئيس بوش الآن .

كان ذلك في الحادي والعشرين من شباط مساءً ، وقبل أن يسلم الليل نفسه لصباح اليوم التالي ، كان بوش يعلن في مؤتمر صحفي :

(إننا نعطي العراق مهلة ٤٨ ساعة ليبدأ انسحابه من الكويت دون شروط ، فإذا لم تبدأ القوات العراقية انسحابها من الكويت بحلول ظهر يوم السبت ٢٣ شباط فإني سوف أوجه الأوامر ببدء الهجوم البري) ..

وهكذا فإن بوش لم يقدم حتى الضمانة اللازمة لحماية ظهر القوات العراقية التي ستنسحب .

كان غورباتشوف قد فرغ لتوه من نقل بنود الاتفاق السوفيتي ـــ العراقي لبوش على الهاتف السريع :

ـــ يقبل العراق بانسحاب كامل وغير مشروط من الكويت .

ـــ يبدأ الانسحاب في اليوم التالي بعد وقف اطلاق النار .

ـــ يستأنف العراق سحب قواته في أقصر مدة لازمة للانسحاب .

ـــ ترفع العقوبات الاقتصادية بعد انسحاب ثلثي القوات العراقية .

ـــ ترفع بقية قرارات الأمم المتحدة ضد العراق ، حين انجاز عملية الانسحاب بالكامل .

كان بوش وهو يستقبل بنود الاتفاق السوفييتي ـــ العراقي ، قد عقد جلسة طارئة ، مع فريق عمله ، شيني ، بيكر ، سكاوكروفت الجنرال توماس كيلي رئيس العمليات في الأركان ، وقد حضر الاجتماع نائب الرئيس دان كويل .

كان الجو العام للجلسة مشحوناً ضد موسكو ، بسبب دخولها على خط الأزمة

بشكل متلاحق . وقد سأل بوش وزير الدفاع بعد انتهائه من استقبال هاتف غورباتشوف :

ـــ ديك ، ما هي التأثيرات المحتملة على القوات في حال ايقاف القصف ، أو وقف اطلاق النار عموماً ؟.

أجاب شيني وقد بدا متردداً :

ـــ وقف القصف سيتيح لصدام إعادة تجميع قواته ، في الواقع لا اكتمك ، ان كل توقف عن اطلاق النار الآن ، ستكون له أوخم العواقب بالنسبة لقواتنا .

تدخل كويل ، نائب الرئيس . في النقاش وقال بانفعال :

ـــ لنهمل غورباتشوف هذا ، لا يبعث لنا سوى المبادرات المتعبة . نظر بوش إلى كويل بقسوة وقال :

ـــ في مثل هذه الحالات ، يجب أن نكون أكثر هدوءاً .

وجد سكاوكروفت أنه أصبح من الملائم التدخل فقال :

ـــ كانت تلك لعبة غريبة من السوفييت .. فغورباتشوف يحاول مع كل عرض جديد ، أن يوصلنا إلى نقطة حيث لا يعود بإمكاننا رفض اقتراحاته المصحوبة مع الانسحاب العراقي ، **وكان علينا في كل مرة أن نجهد لنضع شروطاً إضافية تسمح بتأخير هذا الخطر . لكن يجب أن تنتهي الحرب عندما نتخذ نحن القرار وليس قبل ذلك ولو بساعة واحدة .**

ثم اقترح سكاوكروفت مهلة الـ ٤٨ ساعة التي أطلقها بوش في مؤتمره الصحفي .. وقد أضاف على إنذاره المقدم ، واصفاً المبادرة السوفيتية الجديدة ، أنها خدعة قاسية من جانب العراقيين .

كان عزيز ما يزال في موسكو حين أطلق بوش إنذاره الأخير ، وقد استمع من هناك لصوت الرئيس العراقي يقول من محطة بغداد (لقد قالت القيادة السوفيتية إنه إذا انسحب العراق ، فإن الحرب ستتوقف وسوف تبدأ المفاوضات بعدها ، وقد قلنا أن العراق سينسحب ولكن ماذا قال بوش . قال إنها خدعة عراقية وإن

الحرب سوف تستمر . الأمريكيون لا يريدون السلام ، لسبب بسيط هو أنهم لم يلتفتوا أبداً لما نقوله ..

عاد غورباتشوف ، بعد أن شرح مبادرته الجديدة ، لزعماء غربيين وعرب ، يتصل ببوش ويصر على تأجيل موعد الهجوم البري إذ (ما زال هناك فسحة أمل كبيرة) .

رفض بوش بصلافة وقال :

ـ إن حدود انذاري تمثل موقف الائتلاف برمته . وهو الأخير .

رد غورباتشوف وهو يغلي لأول مرة منذ بدء الأزمة :

ـ إن حدود موقفنا النهائي ، هي المحافظة على سيادة الأراضي العراقية أيضاً .

لم يأخذ بوش على عاتقه أي التزام من هذا القبيل ، لكنه عاد يلطف الجو ، ويشكر للرئيس السوفيتي جهوده ..

في الساعة الثامنة صباحاً بتوقيت العراق والثانية عشرة بتوقيت واشنطن من يوم ٢٣ شباط انتهت مهلة انذار بوش .

. . .

في مركز قيادته في الرياض ، ظل شوارزكوف مضطرباً خشية وقوع خسائر جسيمة ، وقد صرح صبيحة انتهاء مهلة الانذار لفريق عمله من كبار العسكريين الأمريكيين :

ـ في الواقع أنا أتازع .. حقيقة أنازع .. استيقظ كل ليلة حوالي عشرين مرة ، كي أعيد مراجعة القرارات ومدى فاعليتها .. إن احتمال خسائر ضخمة هو كابوسي .

وبالرغم من التطمينات الكاملة التي يتلقاها يومياً من أجهزة مخابرات الجيش ، والصور المحوّلة إليه يومياً من قبل سلاح الجو ، أو محطات استقبال نشاطات الأقمار التجسسية في أمريكا أو استراليا ، فإن شوارزكوف كان ينتابه القلق خوفاً من حدوث مفاجآت غير متوقعة ، وكان أكثر ما يشغل باله ، هو كيفية ايصال صور (طائرات التجسس U.2) إلى قادة فرق الدبابات خلال مدة أقصر من المدة التي

كانت تأخذها حسب طريقتها البيروقراطية المؤداة (من ٤ ــ ٥ أيام) ، وقد اضطر شوارزكوف ، حين أُعلم أنه بات سيد الموقف في اختيار ساعة الصفر لبدء المعارك البرية ، اضطر إلى إلغاء التراتبية العسكرية في موضوع ايصال الصور اليومية الملتقطة من قبل طائرات التجسس ، وأمر بارسالها مباشرة من قبل سلاح الجو إلى قادة الفرق دون حاجة لروتين الايصال عن طريق (دزينة من القيادات) . وقد اختصر شوارزكوف بهذه الطريقة زهاء يومين من المدة المألوفة ، هاجس شوارزكوف الثاني ، كان ينصب على فرضية استخدام العراق للأسلحة الكيميائية أو البيولوجية ، وقد اضطر ، أمام هذا الاحتمال ، أن يصدر أوامر إلى ٢٦٠ ألف جندي أمريكي من القوات المتقدمة في الجبهات ، لارتداء بزاتهم الواقية تحسباً من اندلاع مجابهات بيولوجية أو كيميائية .

الهجوم البري بعد ست قنابل نووية :

كان طيران التحالف عند البدء بانطلاق العمليات البرية ، قد أسقط أو قذف ما حمولته مئة ألف طن من القنابل والصواريخ ، هذا غير القذائف والصواريخ الموجهة من المدمرات البحرية وحاملات الطائرات .

ومن المؤكد أن هذه الكميات المتفجرة ، تعادل القوة التدميرية لست قنابل نووية من عيار قنبلة هيروشيما .

وقد احتسبت المصادر الغربية الحمولات المتفجرة الملقاة على العراق خلال أربعين يوماً ، واعتبرت أنها تعادل ما أُلقي على فيتنام خلال تسع سنوات ، مع فارق دقة الإصابات وفارق سماء صافية وسماء مكفهرة ، وبين أراض مليئة بالأدغال وأراض مليئة بالرمال ..

لقد صرح الجنرال ماك بيك قائد سلاح الطيران الأمريكي بقوله :

(وفقاً لقناعتي الشخصية ، فإنه لأول مرة في التاريخ ، تستطيع قوة جوّية أن تحقق ربح معركة برية سلفاً) .

كما يؤكد لوران في كتابه عاصفة الصحراء . ترجمة أسمر ص ٣٣٠ ما يلي :

(لقد أُخضع العراق لقصف جوي لا مثيل له في التاريخ العسكري فخلال ثلاثة وأربعين يوماً من الغارات الكثيفة والمتواصلة ، أُلقي على العراق ، ما أَلقاه الحلفاء على ألمانيا النازية ، خلال السنتين الأخيرتين من الحرب العالمية الثانية) .

ويقول هيكل في أوهام القوة والنصر ص ٥٦٠ ، على لسان نائب مارشال الجو (و . ج . وراتن) حسبما رسمه عن صورة الحرب الجوية في تقريره ، ما يلي :

(إن الطيران العراقي لم يكن بمقدوره خوض الحرب الجوّية التي واجهته ، وسوف يسجل التاريخ أن حرب الخليج ، كانت أول حرب جوية بالكامل تقريباً ، ولم يكن ذلك في ذهن العراقيين ولا في خيالهم ، ولا كانوا على استعداد له) .

ثم يروي نائب مارشال الجو (وراتن) (أن الطيران العراقي كان قبل أزمة الخليج ، يقوم بتدريبات لا يزيد عدد الطلعات فيها يومياً عن ٢٠٠ طلعة جوية ، وعندما بدأت الأزمة وتدفقت الحشود على السعودية ، راح الطيران العراقي يقلل إلى حد كبير من تدريباته) ... ولم يكن في مقدور الطيران العراقي أن يقوم بأي دور هجومي ، نظراً لاحتلال السماء من قبل ٢٠٠ طائرة مطاردة للحلفاء على مدار ٢٤ ساعة ، هذا غير الطيران المتأهب للإقلاع في غضون مهل قياسية ، وحسبما يقول شوارزكوف في تقريره النهائي ، فإن طيران التحالف قام ب (١٠٩٨٧٦) غارة على العراق ، منها (٦٤٨٢٦) غارة للطيران الأمريكي حوالي (٦٠٪) التابع لسلاح الجو الرئيسي ، و(١٦٤٦٩) غارة قامت بها طائرات الأسطول الأمريكي (حوالي ١٥٪) و(٩٨٧١) غارة قامت بها طائرات البحرية الأمريكية (حوالي ٩٪) و(١٨٧١٠) غارة قامت بها طائرات التحالف الأوروبية ، وهي تمثل (١٨٪ بالمئة) من مجموع الغارات الجوية ضد العراق .

وحسب طارق عزيز ، في مؤتمر قمة الأرض المنعقد في مدينة ريو دي جانيرو بتاريخ ٩٩٢/٦/١٠ ، فإن مجموع ما أُلقي على العراق من قبل سلاح الجو التابع

للتحالف يعادل (١٠٨٠٠٠) طن من المتفجرات ، نصيب الأمريكيين منها (٨٨٥٦٠) طن والباقي من نصيب طائرات التحالف الأوروبية ...

على الصعيد الاستراتيجي . فإن قوات التحالف كانت تطبق نظرية عسكرية رائجة تجمع بين دروس التجربة الأمريكية في فيتنام ، ومزايا البلاد الواقعة في محيط الصحراء ، وقد أطلق على هذه النظرية اسم (المعركة الجوية ــ البرية ٢٠٠٠) (Airland Battle 2000) ، وكانت كليات الأركان الأمريكية قد شرعت بتدريسها عبر كتيب تعليمي يحمل الرمز (F.M .100-5) لدورات الأركان في الجيوش الأمريكية ، وجيوش حلف شمال الأطلسي . وترتكز النظرية إلى محورين رئيسيين :

الأول/ توجيه الضربات الجوية الأولى لما يسمى بمراكز القلب والدماغ (أي مراكز القيادة والتحكم) ، والمطارات والدفاعات الجوية ، ثم توجيه الضربات مباشرة إلى مراكز الطاقة الصناعية أو التكنولوجية ذات العلاقة بالمجهود الحربي ، ثم إلى وحدات الدعم والإحتياط واللوجستية ...

الثاني/ اعطاء الأولوية في المعركة البرية **للمناورة والالتفاف أولاً . ثم الانتشار الواسع ثانياً ، فالمواجهة المباشرة .**

ثالثا/ (أي المجابهة الوجهية وما يعرف بـ ((Frontal attack)) هذا مع التركيز على قوة نار هائلة أثناء تطبيف أي من التاكتيكات السابقة .. أو في حال تطبيقها بصورة مجتمعة .

. . .

بدء المعارك البرية :

سيسمي جورج بوش هذه المعركة أنها (معركة المئة ساعة) فأكثرية مستشاريه كانوا يدفعونه للعب على تعابير تستهويهم ، سواء في الألفاظ أو الرموز أو الصيغ ، فقد تحمس أحدهم (الجنرال سكاوكروفت) قائلاً : ستكون هذه الكلمات على واجهة الصفحات لكل الصحف ، تذكروا جيداً ، إن حرب الأيام الستة ما زال

ذكرها ماثلاً لدينا حتى الآن . وكان الربط نموذجياً ، بين الانتصارات الاسرائيلية والهزائم العربية ، خاصة عندما يجيء على لسان رئيس مكتب الأمن القومي الأمريكي نفسه !..

في الثالث والعشرين من شهر شباط انتهت (المهلة الأسطورية) التي حددها بوش لانسحاب القوات العراقية من الكويت . ورغم أن العراق لم يصدر أي بيان بخصوص الأنذار ، فقد كانت هناك تحركات توحي أن القوات العراقية بدأت الانسحاب فعلاً ، (تقول بعض الروايات أن الانسحاب بدأ فعلاً منذ ١٥ شباط) . وقد ذكرت بعض المصادر الخاصة في الكويت ، ان العراقيين انسحبوا من المدينة قبل خمسة أيام من انذار بوش ، دون أن يشعر بهم أحد .
وهو ما يؤكد عدم حدوث مصادمات جدية ، حين باتت قوات الحلفاء على مشارف الكويت ..

من جهة اخرى ، فقد بدأت الفرق الأمريكية المدرعة ، تؤازرها طائرات الهليوكبتر الهجومية (بلاك هوك . أباتشي) بعمليات قصف لا مثيل لها على العوائق الأمامية التي أقامها العراقيون كخطوط للدفاع الأول . وفي تمام الساعة الرابعة من صبيحة يوم ٢٤ شباط ١٩٩١ بدأ هجوم التحالف الشامل وشمل عدة محاور هي :

المحور الأول : فجر ٢٤ شباط بدأ مشاة البحرية الأمريكية ، المارينز انطلاقاً من الساحل الشرقي للسعودية ، بالهجوم على المواقع الأمامية الساحلية للخطوط العراقية شديدة التحصين ، وظلت الاشتباكات بالمدفعية بعيدة المدى والصواريخ والطيران ، زهاء ثماني ساعات متواصلة ، وعاد القصف يتجدد عند حلول الظلام ، واعلنت قيادة التحالف أنها استردت جزيرة فيلكا ، فيما نفى العراقيون أي انزال فوق الجزيرة ، وأن الجزيرة ما زالت صامدة في يد العراقيين ، وقد تبين فيما بعد ، أن هذا السيناريو كان تضليلياً تماماً ، وأن هدفه تثبيت الحاميات العراقية المرابطة على السواحل ، وأن هجمات أخرى تقع على محاور مغايرة إلى الشمال الغربي من الأمارة .

المحور الثاني : فجر ٢٤ شباط أيضاً ، الساعة الرابعة وخمس دقائق تماماً ، شنت فرقتان من مشاة البحرية الأمريكية ، الأولى والثانية ، يساندهما لواء مدرع من الفرقة المدرعة الثانية الأمريكية ، هجوماً على الواجهة الحدودية الجنوبية للكويت ، وقد أوكلت مهام فتح ثغرات في حقول الألغام العراقية ، لكتيبتين من سلاح الهندسة السعودي ، وتمكنت الكتيبتان السعوديتان من فتح معابر وقص حواجز الأسلاك الشائكة ، تحت تغطية كاملة من مدفعية التحالف التي ظلت تدك ضواحي الكويت مدة أربع وعشرين ساعة متواصلة ، فيما راحت فرقتا مشاة البحرية الأولى والثانية تواصل تقدمهما شمالاً باتجاه الكويت ، حيث تمكنت الفرقتان من دخول ضواحي الكويت وتطويق محيط المطار في اليوم الثالث من بدء العملية البرية .

المحور الثالث : وكان أخطر المحاور على الأطلاق ، إذ تبدت فيه حركة التفاف واسعة النطاق (٢٠٠ كم إلى الشمال الغربي من الكويت) وقد استهدف هذا الخطاف (بمقدمة قوامها أربع فرق مدرعة أمريكية وواحدة فرنسية ولواء من الفرقة الأمريكية ٨٢ المحمول جواً ووحدات نخبة بريطانية) بأرتال دبابات بلغ تعدداها ١٠٠٠ دبابة تؤازها زهاء ٤٠٠ طائرة هليوكوبتر من طراز شينوك وبلاك هوك وأباتشي وكوبرا ، وقد بدا أن هذا الخطاف الخطير يستهدف الإحاطة بالجيش العراقي المتواجد في الكويت وجنوب العراق ، كما أن من أهدافه فصل جنوب العراق عن شماله .

ففي الساعة الرابعة والنصف من فجر يوم الرابع والعشرين من شباط ، شنت الفرقة الفرنسية السادسة ، يدعمها لواء من الفرقة الأمريكية ٨٢ المحمول جواً هجوماً داخل الأراضي العراقية من جهة الغرب إلى الشمال من الكويت وقد عرقل الليل وسوء الأحوال الجوية هذا الهجوم حيث توقف زهاء ثلاث ساعات كاملة ، وفي الساعة الثامنة من صباح اليوم نفسه ، اندفعت مجموعة ألوية من الفرقة ١٠١ الأمريكية المحمولة جواً لتعزيز وضع هجوم الفجر الذي توقف ، وساندت ١١٨ طائرة هليوكبتر من طراز (سي إتش ٤٧ شينوك) و(يو . إتش

٦٠ بلاك هوك) عملية الهجوم ، بنقل ٣٠٠٠ جندي من الفرقة ١٨ مسافة ٨٠ كم داخل الأراضي العراقية لاقامة قاعدة متقدمة سُمِيت (كوبرا) ، وقد أقامت هذه القوة قاعدة للخدمات اللوجستية ومحطة لتزويد طائرات الهليوكبتر بالوقود ، ونقلت لهذا الغرض ٢٢ ألف ليتر من وقود الطائرات ، كما أنزلت خمسين عربة تحمل صواريخ ضد الدبابات من طراز تاو ، ومدافع هاوزر من عيار ١٠٥ مم تكفي لخدمة كتيبة مدفعية ، وقد تبع هذه القوة ٢٠٠٠ جندي آخرين وصلوا إلى قاعدة كوبرا على ظهر ٧٠٠ شاحنة حملوا معهم المزيد من الوقود والذخائر والأسلحة المضادة للدبابات . وعلى مجنبة من الفرقة الفرنسية السادسة هاجم الفيلق السابع (أربع فرق مدرعة إضافية) باتجاه الشرق ، وتمكن من فتح ممر للفرقة البريطانية المدرعة الأولى ثم تقدم الفيلق السابع (الفرقتان الأولى والثالثة المدرعة منه) بحركة التفاف حول القوات العراقية المرابطة في الكويت ، ومن المحور ذاته أي محور الفيلق السابع تقدمت بعده فرقة الفرسان المدرعة الثانية والفرقة الرابعة والعشرون الآلية الأمريكيتان ، وقد واصلت الفرقة الرابعة والعشرون الآلية الخفيفة تقدمها إلى بلدتي السماوة والناصرية على حوض نهر الفرات والتقت هناك بطلائع الفرقة ١٠١ المحمولة جواً ، فيما ظلت تقوم الفرقة الفرنسية السادسة بحماية المجنبة الغربية للقوات المهاجمة إلى أن وصلت بلدة السلمان على حوض الفرات الغربي .

وقد أمنّت ٣٠٠ طائرة هليوكبتر قطع الطريق العريض الذي يصل بين بغداد والبصرة .

كانت القوة التي تجاوزت الحدود العراقية ـــ السعودية من خلال عشرين مسرباً تتألف من ١٥٠٠ دبابة ، ومن آلاف الآليات المصفحة ، وكانت تتقدمها أسراب من مروحيات القتال بحدود ٤٠٠ مروحية من مختلف الأنواع ، وقد استقر مجموع الفرق المشاركة في عملية الالتفاف وفق اللوحة التالية :

١ ـــ الفرقة الفرنسية السادسة .

٢ ـــ الفرقة الأمريكية المدرعة ٨٢ المحمولة جواً .

٣ ـــ الفرقة المدرعة الأمريكية ١٠١ المحمولة جواً .

٤ ــ فرقة الفرسان المدرعة الثانية الأمريكية .
٥ ــ الفرقة الآلية الأمريكية ٢٤ .
٦ ــ فرقة المشاة الأمريكية ٧ .
٧ ــ فرقة المشاة الأمريكية ١٨ .
٨ ــ الفرقة البريطانية المدرعة الأولى .
٩ ــ الفيلق الأمريكي المدرع السابع (بقوام خمس فرق كانت معدة لمواجهة حلف وارسو في أوروبا) .

ومع أن هذه الفرق الثلاث عشرة ظلت تتحرك إلى نقاط ازدلافها (مشارف الحدود العراقية) طوال عشرة أيام . بحيث من المؤكد أن الأقمار الصناعية السوفيتية كانت قد كشفت تحركاتها قبل مدة كافية من الزمن ، فإن المصادر تشير إلى احتمالين :

١ ــ إما أن موسكو قد صمتت عن هذه التحركات الخطيرة التي تستهدف سيادة الأراضي العراقية ، وهو الهدف الذي أكد عليه غورباتشوف في آخر مكالمة له مع بوش قبل اندلاع العمليات البرية .

٢ ــ أو أنه بحسب مصادر الغرب ، قامت موسكو بابلاغ الطرف العراقي بواقع هذا الالتفاف قبل مدة قصيرة من وقوعه ، الأمر الذي أدى إلى سحب معظم قوات النخبة العراقية من الكويت قبل نفاد مهلة الإنذار الأمريكي ، ولكن ليس قبل وقت كاف للقيام بخطة اعتراضية ضد الالتفاف .

المحور الرابع : اندفعت قوات مصرية وعربية من جهة الحدود الجنوبية الغربية للكويت ، متوغلة في الكويت حتى مستديرة المطار دون مقاومة جدية تذكر ..
وقد علق شوارزكوف على اشراك القوات العربية في هذا المحور قائلا :

الهدف من ذلك أن نظهر للعراقيين ، أن قيادة التحالف تستطيع أن تتحرك كما تشاء وبمن تشاء من قواتها .

. . .

في الحقيقة ، فإنه لم يكن ممكناً ، تحقيق حركة التفاف سريعة وواسعة بهذا

الحجم ، **لولا الدور الحاسم للقوة الجوية في المعركة البرية** ، فقد احتلت السماء العراقية والكويتية أثناء زحف قوات التحالف البرية ، زهاء سبعمئة طائرة مروحية كانت تجري تبديلات مع ألف مروحية أخرى قابعة إلى جانب مراكز القيادة للقوات المتقدمة رهن إشارة منها لأية طلعة استكشافية أو هجومية ..

ومع أن الدبابات الأمريكية من نوع (MI. Abrams) كانت متفوقة من ناحية النظام المتطوّر جداً لإدارة نيران متسقة مع نظام الرؤية الليلي وقائس المسافات الليزري ... فإن سوء الأحوال الجوية الذي حال دون طلعات المروحيات الأمريكية ليوم واحد فقط ، أدى إلى حدوث (معركة تصادمية شرسة) (لوران . العاصفة ص٣٢٦) بين فرقة (المدينة المنورة) من الحرس الجمهوري وفرق أمريكية وبريطانية مدرعة (الفرقة ١٠١ والفرقة المدرعة الأولى) جنوب شرقي العراق ، ولم يتوقف الاشتباك إلا حين أعلن بوش من جهته وقف إطلاق النار نهائياً في الخليج .

. . .

من الجدير بالذكر أن العراق كان قد أعلن رسمياً يوم ٢٥ شباط بدء الانسحاب من الكويت ، وأنه سيتابع الانسحاب في اليوم التالي ، وتحت سماء مكشوفة وسيطرة جوية مطلقة ، كانت الطوابير العسكرية العراقية المنسحبة تتعرض لأعنف الهجمات الجوية ، بحيث بدت الحرب وكأنها ليست سياسة منفذة بوسائل أخرى ، بل عمليات انتقام هدفها (التسليف على مستقبل العراق ، وليس حاضره فقط) حيث يعود انكسار التوازن بين اسرائيل ومجموع العرب ، إلى سابق عهده ..

كانت الأيام الإضافية من عمر الحرب ، سواء على صعيد الحملة الجوية ، أو الهجوم البري ، عربون صداقة لإسرائيل ، واللوبي الصهيوني خلفها ، وكان ذلك شرط اسرائيل المتكرر (تدمير قدرات العراق العسكرية بصورة شاملة) . للبقاء خلف واجهة الحرب ، مع العلم أنها كانت مشتركة فيها بكل المعاني الاستراتيجية والسياسية والاستخباراتية .

. . .

مغامرات النظر في موضوع الحرب :

لم يكن ثمة أوهام في حساب نسبة القوىٰ والوسائط لجبهة العراق المقابلة لجبهة التحالف ، هذا قبل الهجوم الجوي (لمدة أربعين يوماً) فكيف بعده ؟

فقد كان التفوق ماثلاً في كل شيء منذ الساعات الأولىٰ لأزمة الخليج ، وقد تبين لاحقاً ، أن التحالف بالغ حتى في العديد البشري للقوات العراقية في الكويت ، لتسويغ استقدام زهاء ٧٠٠ ألف جندي (منهم زهاء نصف مليون جندي أمريكي في التحالف) .

ولم يكن صعباً على الأساطيل الراسية في بحار المنطقة أو في أعالي البحار ، أن ترسل بطائراتها إلى منطقة الأحداث في **غضون أيام فقط** ، لتقصف القوات العراقية في الكويت ، **لكن المخطط كان تدمير العراق وليس قصفه** ، فالمخططات الموضوعة في ملف ١٠٠٢/٩٠ كانت تشتمل على استراتيجية متكاملة ، ولم تكن القضية أكثر من مسألة مسافات ووقت وقرارات !..

وقد غامر بعض الاستراتيجيين المتخصصين في العلوم العسكرية ، سواء كانوا من الجيوش الغربية أو العربية ، بتسمية أخطاء استراتيجية قاتلة بالنسبة للعراقيين ، أدت إلى ما استقرت عليه الحرب في النهاية :

أولاً/ إن أول خطأ استراتيجي فادح ، ارتكبه العراقيون في نظر هؤلاء الاستراتيجيين ، هو التوقف عند الحدود الكويتية ـــ السعودية وعدم التقدم مثلاً ، للاستيلاء على قاعدة الظهران الجوية (حوالي ٢٨٦ كم عن الحدود) أو قاعدة حفر الباطن (حوالي ١٢٠ كم عن الحدود الكويتية) عندما كانت قوات التحالف في بداية تحشدها في المملكة العربية السعودية ، وبذلك يأخذ العراق زمام المبادرة ويزيد في تعقيدات العملية اللوجستية الأمريكية ، وكان ذلك ممكناً .

والصحيح ، أن ذلك كان ممكناً بالفعل ، ولكن ثمة حقائق على درجة من الخطورة يغفلها دعاة هذه النظرية ، على الصعيدين السياسي والعسكري :

☐ على الصعيد السياسي ، فإن العراق أصلاً ، لم يكن في نيته ولا في خططه ، مهاجمة المملكة العربية السعودية ، بل ظلّ يريدها كحكَم عادل في

مسألة النزاع العراقي ـــ الكويتي ، وأن فرضية استكمال الهجوم ضد السعودية ، يتم بدواعي لاحقة ، عندما أجازت السعودية للأمريكيين دخول أراضيها ، وأعلنت عن موقفها السافر كطرف في الحرب بالنيابة ، علماً أن فلسطين لم تشهد في تاريخ نكبتها مثل هذه الحمية السعودية في دخول الحرب ...

كان المطلوب من السعودية أن تكون حَكَماً وليس طرفاً ، وكان العراق قابلاً بإعطاء كل الدور للسعودية ، حتى بعد اجتياحه للكويت ، وكم من الفرص ، كانت السعودية قد ضيّعتها لتسوية الأزمة سلمياً تلبية لهمزات الايماءات الخارجية ، وقد يكون من الانصاف القول ، أن أدواراً عديدة كانت من اختصاص السعودية ، جرى تسليمها كمفتاح في اليد إلى القيادة المصرية للإضطلاع بذلك ، وفي المرحلة اللاحقة حاول العديد من الحكام العرب (عشر دول عربية) استعادة الأزمة وارجاعها إلى أصولها ، تمهيداً لوضعها على **طريق الحل العربي** ، فلا يعقل مثل هذا المناخ ، **أن يتطوع العراق لتقديم ما يريد العدو إثباته ، من أنه دولة اقليمية تسلطية ساعية لابتلاع جيرانها واحداً بعد آخر** .

ففي شرطه وظرفه وزمانه ، فإن الهجوم على السعودية ، كان معناه كسر نصل القوى الشعبية والرسمية ، العربية والاسلامية المساندة ـــ ربما لا في إحتلاله الكويت ـــ بل في تأييدها المطلق لعدالة قضيته ، طلباتها ومتطلباتها ..

كان حق التاريخ ، وكان حق الدم ، وكان حق الأخ على أخيه ، وكان (ما آمن بي ، من بات شبعان وجاره إلى جانبه جائع وهو يعلم) ..

☐ على الصعيد العسكري ، فإن تقدم الجيش العراقي في الأراضي السعودية ، فرضية تتحمل مخاطر استراتيجية كبيرة :

ـــ إن طائرات سلاح الجو الأمريكي ، وطائرات سلاح الأسطول ، ستدخل الحرب عند أول عشرة كيلومترات تدخلها الجيوش العراقية في الأراضي السعودية ، وقد يؤدي التصعيد الفالت من الضبط ، في حالة من حالات هياج الثور الأمريكي ، إلى التهديد بإستخدام اسلحة التدمير الشامل إذا لم ينسحب العراقيون من الأراضي السعودية على الفور ، وقد دأبت الولايات المتحدة على

تدريب العالم منذ الخمسينات ، من أجل قبول هذا (الحق الأمريكي) مع إستخدام أعنف الوسائل العسكرية ، إذا تم الاقتراب من مصالحها الاستراتيجية العالمية ، وكانت السعودية على رأس هذه المصالح ، لا بالنسبة للعراق ، بل بالنسبة للاتحاد السوفيتي نفسه ، الذي كان يرى في هذا السيناريو أسباباً لنشوب حرب عالمية ثالثة ، والحقيقة . **فإن حرباً عالمية ثالثة بنسخة غير ذرية ، كانت قد شنت على العراق ، من أجل الكويت وهي مصلحة استراتيجية ثانية بعد السعودية ، فكيف إذا اتصل الأمر بالمصلحة الاستراتيجية الأولى في العالم كله ؟..**

ـ إن توغل الجيش العراقي في القارة السعودية تكتنفه مخاطر لوجستية لا قبل للعراق بها ، فقد ظل هذا الجانب الهام والخطير ، ضعيفاً في معظم الجيوش العربية ، وكانت القواعد اللوجستية آخر ما يُتوقف عنده أثناء المناورات أو التدريبات العسكرية ، وجوهر التقييم في هذا الجانب ينطلق عادة من الجندي وليس من قبل كبار الضباط المسؤولين ، فعمليات الإمداد بالعتاد والوقود والذخيرة ، والتموين بالطعام والماء ، وقدرة المستشفيات العسكرية بأطبائها وممرضيها على الثبات في ميادين القتال ، وفاعلية الشؤون الفنية القادرة على تلبية متطلبات الاستبدال والاصلاح والقطر ، ونفوذ التوجيه المعنوي المبني على أسس سيكولوجية واجتماعية وتاريخية وفلسفية ... الخ هي ميدان الفعل الأهم في ساحات القتال ، وطالما نظر الإستراتيجيون إلى الشؤون الخلفية وحكموا على مصير الحرب من خلالها ..

كان من المتوقع أن يكون على رأس أهداف الحملة الجوية الأمريكية (في فرضية تقدم القوات العراقية داخل السعودية) أن تقوم باديء ذي بدء ، بقطع القوات المتقدمة عن القوات الاحتياطية بما فيها الشؤون الخلفية .. هذا إذا أضفنا هيجان الرأي العام العالمي جراء هجوم من هذا القبيل .

الخطأ الاستراتيجي الثاني ، برأي بعض الاستراتيجيين ، **هو ما يتمثل بنظرية الدفاع الحصينة الثابتة عموماً** ، وفيما إذا كانت هذه التحصينات القوية على

الحدود مع السعودية أو المقامة على شاطيء البحر . عصّيه أو ممتنعه على جيوش قوية تتمتع بقدرة نارية هائلة حرة تحت غطاء جوي عالمي ..

والجواب الذي نستقيـه من خلال معارك هذا القرن الحديثة اعتباراً من خط ماجينو ، إلى ارتكـاب الخطأ نفسـه ، حين أقدم الألمان على إقامة تحصينات هائلة للدفاع عن أوروبا قبيـل إنزال النورماندي ، إلى خط بارليف ... ثم سـائر خطوط الدفاع الثابتة ، وكان جواب الحرب الحديثة ، هو أن هذه الخطوط ليست عصيّة على الاجتياح مهما كانت ، وخطوط القتال من الدفاعات الثابتة ، وممرات الخنادق ، هي نمط من أنماط الحروب العالمية ، ليس آخرها الحرب العالمية الأولى ، وقد غيرت طبيعة الحرب الحركيـة (منذ غودريان القـائد الألماني للقوات المدرعة التي لم تتوقف منذ اندفاعهـا إلا عند مشـارف دنكرك على البحر الإنكليزي) غيّرت نمطيّة الدفاعات وجعلتها أكثر انتشاراً ومرونة ، والحقيقة ومنذ ذلك اليوم الحاسم في تاريخ الحروب ، فإن خطط المناورة والالتفاف والتطويق ، بعيداً عن قلاع العدو المحصنة ، باتت تأخذ مكان الصدارة في دروس الكليات العسكرية لدورات الأركان والجيوش (كلاوزفيتز ـــ ليدل هارت) والحقيقـة فإن حركات المنـاورة البعيدة ، وغزارة النيران المتواصـلة تحتاج ، **بالإضـافة إلى سيطرة الطيران الكاملة ، لقدرات عسكرية جبارة واقتصادية هائلة** (كلفة حرب الخليج الشهرية ١٥ مليار دولار بينما كلفة الحرب العالمية الثانية الشهرية ٦ مليارات دولار) . وكان الأمريكيون يصرفون على القطعات بسخاء منقطع النظير (كانت كلفة الجندي اليومية ، تعادل راتب طبيب أو مهندس لمدة نصف شهر في بلد عربي متوسط ، هذا غير رواتبه ومهمـاته) وكان هذا السخـاء يلقى تشجيعـاً من الكونغرس الأمريكي ، طالما أن هناك مَنْ يدفع .

كانت مشكلة الجيش العراقي ، الذي بات مكشوفاً أمام طيران مسيطر ، أنه لا يستطيع القيام بتغطية مساحات صحراوية لا تستطيع جيوش العالم على تغطيتها ، وكان فارقه الحاسم ، أن عيون التحالف وآذانه في الأرض والسماء ، كانت تغطي مساحة العالم وليس المنطقـة فحسب ، ولم يكن بمقدور وسـائل الاستطلاع العراقية المحدودة أمام

إمكانات التحالف ، الكشف عما يدور في المناطق النائية تحت جحيم القصف الذي بدا أنه لن يتوقف .

كان خياراً من خيارين :

إما أن تخرج القطاعات العراقية للمناورة في صحراء مكشوفة فتصبح فريسة للأباتشي والبلاك هوك (صائدات الدبابات في مروحيات التحالف ، وكان في حوزته زهاء ١٧٠٠ مروحية كلها من موديل ١٩٨٠ فما فوق) .

أو أنها ستضطر للالتصاق بتحصيناتها الدفاعية ادخاراً للمجابهة البرية ، وكان من المستحيل معرفة أين ستكون هذه المجابهة بالفعل ، خاصة بعد أن ثَبُتَتْ قدرة التحالف التكنولوجية موجات تشويش وتعمية كاملتين بالنسبة لمحطات الرصد والاستطلاع العراقيين ، وكانت قوات التحالف قبل ذلك ، قد تمكنت من تدمير ثلاث شبكات اتصال عراقية بين القيادة ، والقوات في الجبهات ..

ويقول بعض المراقبين ، أنه كان يمكن الاستنتاج أن قوات التحالف بكافة صنوف أسلحتها المتطورة ، كانت تستهدف العراق وليس تحرير الكويت ، وعلى هذا الأساس فإن الخطوط الدفاعية وكثافة الحشد ، يجب أن تكون موزعة بنسبة أربعة أخماس للعراق وخمس للكويت ، وليست مركزة على جبهة محتملة هي الكويت ، خاصة وأن طيران التجسس الأمريكي سيشير إلى مواقعها وأدق خباياها ، وبالتالي يتم تفاديها أثناء الهجوم .

كان برأي الخبراء المختصين ، أن التحالف سيجعل الكويت وراءه لا أمامه ، أثناء الهجوم البري الحقيقي ، وأن قوات التحالف الجبهية ، سواء في البر أو البحر ، كان هدفها مشاغلة وتثبيت القوات العراقية في الكويت ليس أكثر .. ولم يخف جنرالات البنتاغون فضائل الحرب الحركية ، حتى أن جنرالاً في البيت الأبيض هو سكاوكروفت ، كان قد صرَّح : (أن هذه الحرب لن تشهد جيشين يتقاتلان كصراع الثيران .. على العراق أن يفهم أنه يواجه جيشاً لا يشبه جيش إيران في أي شيء !)

في الحقيقة ، ومع أن هذه الفرضيات وسواها ، صارت مبنيّة على النتائج الماثلة ، وليس على السيناريوهات المفترضة قبلها ، فإنه من المفهوم ، مهما بلغت التكييفات في

خطط الدفاع الاستراتيجية العراقية وتكتيكاتها ، فإن التوازن كان مكسوراً من أساسه ، وإن سوق هذه الفرضيات يجئُ ليس كتعديل لميزان الحرب أو نتائجها ، بقدر ما يلبي رغبة دفينة ، **في إيقاع أكبر الخسائر الممكنة في قوات الغزاة فوق أرض العراق التاريخية .**

في أسرار الحرب وخفاياها ، تبقى أسئلة معلقة ، تنتظر الإفراج عن إجاباتها ، وقد دخلت في عالم الأسرار المحيِّرة ، بالنسبة للمواطن العربي :

ــ لماذا أعلن بوش وقف إطلاق النار ، فيما بدا هذا الإعلان مفاجئاً للجميع ، هل لفسح المجال لتمردات الشيعة في الجنوب ، أو لتمردات الأكراد في الشمال ، كي تكون سبباً في إسقاط النظام على يد الجيش في بغداد ؟ .. أم لأنه استمع لنصيحة كولن باول من أن جيش التحالف لم يذهب لخوض معارك غوار في العراق ؟

ــ لماذا لم يستخدم العراق أسلحته الكيميائية أو الجرثومية حين دخل التحالف أرض العراق ، وكان بمقدوره استخدامها من منصّات شمال العراق أو غربه ؟ وهل يعود الامتناع عن ذلك ، كما يقال ، لأسباب تتعلق بتهديد نقلته موسكو عبر قنواتها السريّة ، بأن استخدام هذه الأسلحة ، سيؤدي بالمقابل إلى استخدام أسلحة نووية تكتيكية ، ضد العراق ، وأن بوش وقع أمراً عسكرياً بذلك ؟

ــ هل كان العدد العسكري البشري في الكويت أقل مما أُعلن عنه العراق ، وصادقت عليه قيادة التحالف من أجل استقدام أكبر قوة عسكرية أمريكية للمنطقة ؟

ــ هل تم سحب القوات العراقية من الكويت ، عندما وصلت معلومات بقرب اندلاع تمردات الجنوب أو الشمال ، وأن هذه التمردات من الحجم بحيث يمكن معه تهديد مصير العراق وليس مصير قطعاته المسلحة فحسب .

ــ هل صحيح أن أنظمة الدفاع الجوي العراقية المندمجة في أدائها مع محطات الرادار ، قد جرى نقل رموزها وشيفراتها وذبذباتها من قبل مصادرها الشرقية أو الغربية إلى قوات التحالف ، وأن نجاح التحالف في تدميرها ، يعود لا لسحر التكنولوجيا الغربية ، بقدر ما يعود لمحطة (هولتن) التي كانت تؤدي عملها على أحسن وجه ، طيلة أيام حرب الخليج ، بين موسكو وواشنطن ؟ (وهي محطة أُحدثت أثناء اندلاع

أزمة الخليج) .

ـ هل جرت (خيانات قادة) في مواقع الميادين البريّة أو الجوية ، وهل حقاً ، تمكّن السعوديون من خلال أكياس دولاراتهم المحشوة ، من شراء بعض الضمائر المتهافتة ، المتآمرة لا على مصير العراق فحسب ، بل على مصير أمة تتعرض للنهش من كل جانب ...

ـ ما هو حصاد الخسائر البشرية ، من شهداء وجرحى وأسرى ، ثم ما حجم الزلزال الهمجي الذي ضرب البنية التحتية في العراق تلك الأسرار وسواها ، ستظل رهينة المحبسين ، الغرب والعراق بآن واحد ... وهكذا إلى أن يكتب العراق ـ مع أمته ـ مذكرات تاريخه بطلقات ناره من جديد .

مَنْ يستفيد من لبننة العراق ؟

من المرجح أن وقف إطلاق النار الذي أعلنه بوش يوم ٢٧ شباط ، والذي جاء على شكل مفاجأة ، لم يكن مفاجأة في حد ذاته إلا بالنسبة للمراقبين الخارجيين ، فبناء على نصيحة باول ، وآخرين من كبار الاستراتيجية الأمريكية ، فإن حرب المدن ، والكمائن ، والصراعات الداخلية في العراق ، لم تكن تُعتبر من مهمات عاصفة الصحراء (من الناحية العسكرية البحتة) وقد استقى أحدهم (سكاوكروفت) أن الدخول في حروب شعبية مسألة عقيمة ، ويمكن أن تكون طويلة ، (ومن المرجح أنها ستكون بداية حقيقية لإرسال النعوش الأمريكية التي وعد بها صدام حسين) .

كانت الإدارة الأمريكية تعي جيداً ، مسائل الفروق الاستراتيجية بين حرب نظامية بين قوتين غير متكافئتين ، وحرب لا نظامية يقوم الطرف الآخر منها بدور الشبح ..

إلا أن إسقاط النظام العراقي ، كان على رأس الأولويات بالنسبة للحملة الأمريكية العسكرية والسريّة والدبلوماسية ، ولم يكن ذلك خافياً على أحد ، وبالعكس تماماً ، فقد راحت أجهزة الإعلام الغربية ، بناء على تصريحات كبار المسؤولين الأمريكيين بدءاً من بوش ومروراً ببيكر وانتهاء بكل موظفي البيت الأبيض والبنتاغون ، يركّزون على وجوب التخلص من (صدام شخصياً) كحل وحيد لخروج العراق من المحنة ، وكان ذلك قبل اندلاع الحرب بأشهر ، وقد دأبت ماكينات الغرب الإعلامية ، بصورة

متقنة ومدروسة على إخراج العديد من مسلسلات الانقلابات العسكرية ، كذلك إقدام صدام على ترحيل عائلته وأبنائه خارج العراق ، وعلى قرب انهيار النظام بين عشية وضحاها . وفي كل يوم من أيام الحرب وما تلاها ، لم يتوقف الإعلام الغربي عن ذكر (روايات عن شهود العيان ، أو أخبار عن وكالات ما ● .

ولم يكن ذلك سوى مونتاجات إعلام غربي متواطئ ، ومع هبوط ليل الثامن من آذار ، جاءت الأحداث برهاناً على ما كان يؤسس له الإعلام الغربي ، فقد أقحمت إيران عشرات الألوف من حرسها الثوري ضمن جماعات حزب الدعوة العراقي المعارض (المقيم في إيران) وبدأ الحديث عن ثورة الشعب العراقي ! .. في كافة أرجاء دنيا العراق ، ووصفت الصحافة في حينه ضخامة الخراب والتقتيل على يد التمرد الهائج ، بحيث بدا وكأن مسّاً من الخبال قد أصابه ..

كانت غوغائية التمرد وفظاعاته ، **هي الشرك الذي نصبه الأمريكيون لإفشاله** بعد منحه الضوء الأخضر في البداية (إن مدينة البصرة أصبحت مناصفة بين الجيش والثوار وإن الجيش يستخدم الدبابات لسحق الانتفاضة وتدمير المنازل ـــ رويتر عن مهجرين من البصرة) . فقد كانت واشنطن تريد إسقاط النظام في بغداد ، **بسبب هذه التمردات ولكن ليس على يدها** ، وراحت تغض النظر عن تحركات الجيش العراقي ، إمعاناً في توسيع دائرة المجابهات التي ستسوغ حركة انشقاقات في الجيش تؤدي إلى وقوع انقلاب عسكري ، **وكانت فظائع الخراب على يد المتمردين والجيش ! .. على حد سواء ، قد أخذت تحتل عناوين الصحافة الكبرى في كل من واشنطن ولندن** ، وكان المقصود بذلك توجيه الاتهام الجرمي لقيادة التمرد وقيادة الجيش الموالية لصدام بآن واحد ، على أن تتجمع الأسباب المؤدية إلى انبثاق (قوة عسكرية سنيّة ثالثة) تعلن أن

● ذكرت إذاعة لندن يوم ٩ تموز ١٩٩٢ في نشرتها الصباحية وقائع فضيحتين مجلجلتين بهذا الخصوص .. **الأولى** : هي أن شاهدة العيان الكويتية التي شهدت أمام الكونغرس الأمريكي عن فظائع العراقيين في الكويت لم تكن سوى إبنة السفير الكويتي نفسه في أمريكا وهي لم تكن في الكويت لا أثناء الاحتلال ولا قبله .. **الثانية** : هي أن السفير الأمريكي في البحرين تقاضى رشوة قدرها خمسة ملايين دولار من صندوق خاص لصالح الكويت هدفه تأليب العالم ضد العراق وتحريض أمريكا على الإسراع بدخول الحرب وقد أحيل السفير ساعة إذاعة النبأ إلى القضاء الأمريكي بتهمة الرشوة من خلال استغلال المنصب ..

هدفها (وقف إراقة الدماء ، واسترجاع وحدة وسيادة الأراضي العراقية) ..

وقد صبرت واشنطن على هذا السيناريو مدة خمسة أيام ، قبل أن تعلن إذاعة كردستان (أن الثوار الأكراد بعد أن سيطروا على أربيل يواصلون التقدم نحو كركوك ، وأن جيش صدام يقوم بقصف الأكراد بالمدفعية والمروحيات العسكرية) .

كان روبرت غايتس معاون مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، يضع على طاولة بوش ، خريطة لدويلة صغيرة في جنوب العراق ، يمكن أن تشرف عليها المملكة العربية السعودية ، بعد أن يشكل الأسرى العراقيون من الجيش ، نواة قوة عسكرية لهذه الدويلة .

فقد حاول الأخصائيون الأمريكيون إعادة استخراج سيناريو الشريط الموجود جنوب لبنان ، حيث تحتفظ إسرائيل ، بمنحدر مزوَّد بميليشيا مسلحة وممَوَّلة تسيطر عليه تماماً . كانت فضائل هذه الصيغة تكمن في إضعافها للعراق وذلك بتفتيته وتأمين منطقة عازلة للسعوديين تقيهم من (شرور طموحات بغداد المتواصلة) .

غير أن السعوديين أنفسهم ، رفضوا هذه الحماية **التي تسد الطريق على بغداد ، وتفتحها على طهران** ، وقد درست الرياض بدقة مثل هذه السيناريوهات ، واستنتجت أن هذا الشريط يمكن أن يمتد (مذهبياً) إلى مناطق الشيعة في السعودية ، وتتحول المشكلات من (مخاوف على الحدود) إلى (صراعات داخل الحدود) ووافق بوش قائلاً (إن مثل هذه السيناريوهات ستزيد في تعقيد المشكلات بالنسبة لهذه المناطق الحساسة) .

غير أن البيت الأبيض ، كان يرى صدىً ملائماً في إقامة شريط ضغط مماثل في الشمال ، وكان هذا الصدى يرتطم بمشكلتين إقليميتين : تركيا وإيران وبمشكلة عالمية هي الاتحاد السوفيتي نفسه في الوقت ذاته ، كان أخصائيون أمريكيون ، قد وصلوا عبر الأراضي التركية إلى منطقة كردستان ، **وهمسوا في أذن الزعماء الأكراد ، بدعم ضمني ، فيه من الالتباس ما يكفي لأن يُكذّب في أول مناسبة .**

كانت المأساة الكردية برمتها ، تبدو بالنسبة لدهاقنة الإدارة الأمريكية ، **وكأنها (لعبة المراحل) المفيدة** ، وبالنسبة لجزئها العراقي ، فقد تم استخدامه كممحاة كبيرة ،

تستخدمها الولايات المتحدة لتمحو تلك المأساة الدموية التي قامت بها قوى التحالف في قصفها الهمجي للعراق .

غير أن المسألة الكردية ، لم تكن بالنسبة للهيمنة الأمريكية ، مجرد ممحاة للمآسي التي يرتكبها الغرب حيال الشرق ، بل ظلَّت تُستخدم كجسر للهيمنة ، وإلى ضحية هذه الهيمنة في الوقت نفسه .

(إذ يذكر دافيد كمحي في مذكراته الأخيرة بعنوان (الخيار الأخير) أنه كان هو نفسه مندوب الموساد لدى الملا مصطفى البرازاني وأن إسرائيل بتشجيع من الولايات المتحدة ، أقامت جسر اتصال مع بعض قيادات الحركة الكردية شمال العراق منذ عام ١٩٦٥ . وأنها ظلت تتعاون مع شاه إيران في شمال العراق مع الأكراد ، وفي جنوبه مع بعض تنظيمات الشيعة حتى عام ١٩٧٩ . ص ١٩٠ دافيد كمحي . الخيار الأخير) .

لم تكن ثمة إدانة موجهة إلى المشكلة الكردية بشكل عام ، فالمشكلة الكردية مطروحة بالأمس ، مثلما هي مطروحة اليوم ، وكما هي ستطرح غداً ، **لكن وقع الكارثة التي سببت المرارة ، أن تمرد الشمال وانتفاضة الجنوب ، قد وقعا في ظل حراب الاحتلال الأمريكي لاجزاء من العراق** (لا مانع لدينا من تدخل أمريكي لإسقاط نظام صدام حسين ، شريطة ألا يؤدي هذا التدخل « الذي نريده وحيداً » إلى تدخل في الشؤون العراقية الداخلية في المستقبل) (من تصريح للشيخ محمد باقر الحكيم زعيم المعارضة العراقية في إيران يوم ١٩٩١/٣/٨) (ولكن كيف ؟ كيف يمكن إجازة وحدانية التدخل اليوم ، ومنعه غداً ؟ .. المؤلف) .

إن مشكلة الأقليات في العالم العربي ، هي مشكلة ماثلة لا يمكن التغاضي عنها ، بإطلاق شعارات جاهزة في وجهها ، فهي مشكلات من الدرجة الأولى ، وتتميز بأبعاد ثقافية سياسية ، داخلية . وهي في كل مرة ، تسمح (بطبيعة تعاطي الأنظمة معها) بتشكيل عنصر تفكيك أو تحطيم اجتماعي في ساعات الأزمات الكبرى .

وقد ظلت الإجابات الرسمية العربية ، أو القوى السياسية والشعبية ، تستند في مجابهاتها لمشاكل الأقليات ، إلى ركيزتين أساسيتين : الهروب إلى التراث .. أو تضخيم المشكلة عبر تحويلها إلى الخارج .

كان الهروب إلى الماضي ، وسيلة استنجاد بالتاريخ ، متكئة على سماحة الإسلام ، وعدم التمييز (بين مسلم وأخيه المسلم) وكان على هذه السماحة أن تثبت نفسها عبر ملايين الصور إبان الذروة العربية ـ الإسلامية ، في امبراطورية أمية ، أو خلال الازدهار الأكبر لبني العباس .. وكانت الأندلس نموذجاً راقياً لهذه الصور المستمدة من التاريخ ... غير أن هذه المراجع القادمة من بطون التاريخ ، لم تجد لها مرتكزاً في لغتنا الثقافية والسياسية الحديثة .. ولم تكن هذه المراجع أكثر من حادي عيس يغيب صوته خلف كثبان الرمال في صحراء التاريخ .. ولم يكن العالم العربي بعد مصادرة (خمسمئة سنة عثملية) بقادر على إشادة صرح فكري ، وممارسة سياسية فعليّة ، تندغم فيها الأقليات كعنصر رفدٍ وغنى ، وليس كعنصر تم قبوله برغم الأنف ... كانت الأقليات بدورها ، تخشى من الغلبة الكاسحة لأكثرية المنطقة ، قومياً أو مذهبياً .. وكانت الأكثرية ينتابها شعور الخوف من الخارج ، ولأن التراث هو سند الأكثرية في دفاعها عن نفسها ، أمام داهمات الغزو الخارجي ، فإن اللجوء إلى الماضي ، كان بمثابة الملاذ الحصين ، منذ ثغور الروم في الشمال ومروراً بصلاح الدين وحطين ، وانتهاء بفلسطين ...

وكان الهروب إلى الماضي ، يخفي حقائق مشكلات الحاضر الواقعية . ومع خوف الأقليات من الداخل ، وخشية الأكثرية من الخارج ، راحت قوى العالم الكولينالية ، والاستعمارية ، والامبريالية ... على هدي من (بروتوكولات حكماء صهيون) تثير الأقلية على الأكثرية والأكثرية على الأقلية ، داخل الأمة الواحدة ، أو المذهب الواحد .

الركيزة الثانية : هي أن إحالة مشكلة الأقليات على حساب الخارج الأجنبي ، قد أدت إلى انسداد الأفق ، واكتساب حالة من استحالة الحل ، وبالتالي إلى حالة دائمة من العداء المبطن والتجاهل (ونموذجها الطائفة المارونية في لبنان) **وبين حلم الاستغاثة بالتاريخ ، وواقع الإحالة إلى الخارج ،** كانت الأقليات تلعب دوراً تحطيمياً بالنسبة للمجتمع العربي ، وترتهن أكثر فأكثر لقوى العالم الكبرى حسب مراحل التاريخ ...

يقول إلياس خوري في مقالة له نشرت في جريدة السفير يوم ١٣/٤/١٩٩١ تحت عنوان الأقليات والمسألة العربية :

(هكذا دُفعت الميليشيات الكتائبية لارتكاب مذبحة صبرا وشاتيلا عام ١٩٨٢م من أجل تغطية مذبحة الغزو الإسرائيلي للبنان ، وهكذا اليوم تتحول مأساة الأكراد إلى غطاء للمذبحة الكبرى التي ارتكبت بحق العراق) .

لقد تحولت مشكلة الأقليات في المنطقة العربية (والعالم عموماً) . إلى ما يشبه الرهينة بيد القوى العالمية الكبرى ، وأصبحت قضاياها تثار في الإعلام الغربي ، عندما تكون ضرورية لتغطية مشروع محدد ، وإلا لماذا السكوت عن مأساة ١٣ مليون كردي في تركيا يُمنعون من مجرد الكلام بلغتهم ، أو كيف غاب ذلك النباح ، أو العويل ، على مآسي مسيحيي الشرق ، وكيف تمت التضحية بأبناء المسيح ، من خلال سوقهم إلى المذابح في إطار الحروب اللبنانية المتتابعة . لقد تمت تسوية قضايا الأقليات في معادلة علاقتها بالقوى الكبرى ببساطة ، فهي مجموعة أضحيات أو قرابين تساق إلى المذبح عند كل ضرورة ، أما مصالحها وحقها في العيش الحر والكريم . فهي آخر هموم القوى الكبرى ، إذ لا ترى فيها أكثر من طُعم ، على طريق صيد المجتمع الشامل بعده ، أليس ذلك ما جرى بالنسبة للأكراد ، وهل يمكن الإنكار أن المأساة الكردية ، تستعيد صورها في كل حلقة من حلقات التاريخ المغلقة ، وفي كل مرحلة تحتدم فيها أحداث المنطقة وتضطرم ..

فكيف إذا كان الوطن محتلاً من قبل أعداء مشتركين .. وعلى رجع الأسطورة ، ألا يحق لنا أن نتسائل تساؤل الحالم ، أي رغم الشروط والظروف ومراحل التاريخ ، ماذا لو قام صلاح الدين من قبره ؟ تراه هل يقيم حطين ثانية عند السماوة أو الناصرية ؟ ألن يصرخ في الجَمْعَين والجموع صرخته الشهيرة : أما من رائحٍ إلى الجنّة ..؟..!

المشكلة الوبيلة ، أن الأقليات لا ترى سوى نفسها أو أوضاعها من خلال التعامل مع أنظمة المنطقة ، وهي لا تُقدّر أبداً ، أن الديمقراطية ربما تكون (مغيَّبة) عن الأكثرية أضعاف ماهي كذلك بالنسبة للأقلية ، وكمجتمعات من العالم الثالث ، فإن مجتمعنا لا يمتلك آلية ديمقراطية . تستطيع أن تؤسس لمصداقية علاقة السلطة بالمجتمع ، أي علاقة الديمقراطية بالوطنية في ظل تفتح ثقافة متصالحة ، تطأ أرض التاريخ لاستخراج كنوزه ، وتفتح عينيها على الحاضر في سبيل المستقبل .

حسابات أمريكية أخرى لما بعد الخليج :

لقد ارتكزت الحسابات الأمريكية على تأكيدين :

الأول : أن النظام السياسي في العراق ، لم يعد بقادر على التصدي لعصيان ما ، وأنه كان يعدّ أيامه طبقاً لسيناريوهات وضعتها وكالة السي آي إيه ، وراحت تعمل على تغـذيتهـا بعد أن وضعت لها اعتمادات مالية إضـافية تقدر بـ ٤٠٠ مليون دولار (للإطاحة بصدام مموَّلة من خزائن النفط العربي) .

الثاني : أن إدارة بوش في الوقت نفسه كانت ترى أن قوى المعارضة العراقية (التي دعت السعودية لتجميعها) . ما زالت أقرب إلى الضعف والانقسام ، من أن تكون مرشحة للعب دور بديل ، قال غايتس نائب مدير وكالة المخابرات (ومديرها في الوقت الراهن) : « لم ننجح في تحديد هوية مجموعة عراقية سياسية تستطيع أن تحل محل صدام . ومن الواضح أننا فضّلنا إيجاد بنية سياسية لا يسيطر عليها البعث غير أنها لم تكن موجودة) وخلال شهر ، كان النظام السياسي في بغداد يعيد الأمن إلى ثماني عشر محافظة ، ووجدت الإدارة الأمريكية نفسها بلا سيناريو مرض بعد أن انتظرت طويلاً سماع (البلاغ الأول) على يد القوات العراقية المسلحة ، وقد وجد بوش نفسه بعد انتهاء المعارك أمام حالتين في العراق :

ـ لم يتزعزع العراق كما كان مقدراً له ، وأن ما بقي من فرقه العسكرية اكثر من فرقتين كما حدد شوارزكوف ، وأن هناك ما يزيد عن عشرين فرقة عسكرية تم سحبها وإعادة تجهيزها في أماكن شتى من العراق ، ولم يكن وارداً أن تعود الولايات المتحدة لشن الحرب من أجل إعادة تصويب ما أخطأت فيه القيادة المركزية في الرياض ، وأن ذلك قد خرج من اليد بخروجه من رزمة التبريرات السابقة لضرب العراق .

ـ لم يتحقق هدف الحرب الثأري بالنسبة لبوش ، وهو اسقاط صدام حسين شخصياً ، وبالعكس ، فقد خرج الرئيس العراقي من تجربة النار بعدما أسس لظاهرة فريدة ، مفادها هدم جدار الخوف من التنين الأمريكي ، (**قد يهزم صدام ، وقد**

يُقتل ، غير أن ظاهرة صدام ستعيش ، ولعلّها ستغذى بفعل الحقد على الغرب ، إنها ظاهرة الغضب من كل شيء يفتقر إلى العدالة ، ظاهرة هي محض نتيجة للفقر والاحباط والعجز أمام الثروات المنهوبة والثقافات التاريخية المدمرة ــ (ماري كالدور . حرب المخيلة . مجلة الماركسية اليوم . آذار ١٩٩١) إن حرب الخليج قدتكون الشهقة الأخيرة للامبريالية الأمريكية على طريق النزاع (المصدر السابق) ــ ولم يكن في مقدور بوش أن يقنع العالم من جديد ، أنه سيعود إلى ميدان القتال لمجرد الخلاص من شخص الرئيس صدام حسين ، رغم أن ذلك كان بين أول أهدافه ، وقد اقتنع تدريجياً ، أن الأيام القادمة ، كفيلة بأن تحقق له ما يريد ، شريطة أن يواصل تشديد الضغط على العراق : ــ

ــ بتشديد الحصار خاصة من معبر الأردن ، الذي أخذ بالفعل يضايق الولايات المتحدة ، لدرجة أنها طلبت وضع مراقبين دوليين على الحدود العراقية ــ الأردنية .

ــ بتدمير قدراته العسكرية الباقية ، باسلوب أقرب ما يكون إلى الصفاقة والاستفزاز .

وفيما وافق العراق على كافة قرارات مجلس الأمن ، بما في ذلك قرار التعويض (تعويض الفقير على الغني) وعلى تدمير منشآته العسكرية المتطورة * ظلت

---

* يصف الغرب السلاح الكيميائي بأنه يشكل القنبلة النووية بالنسبة للفقير ، وقد دمر التحالف تحت رايات الأمم المتحدة خمسة مواقع عراقية يضم كل موقع منها خمسة معامل ، وكانت مخصصة لإنتاج غاز الخردل والتابون ومادة الزارين ، كما دمر ٧٠٠٠ صاروخ حربي من عيار ١٢٢ م لحمل مادة الزارين ، و٦٠٠ قنبلة من طرازD.B.2 للموضوع نفسه ، كما أتلف مخزونات ومواد وسيطة من الغاز المزدوج مخصصة لأحدث ما في الترسانة الجوية العراقية ، و١٤٠ قنبلة من غاز الخردل من عيار ٢٠٥ م و٢٠٠ قنبلة من عيار ١٥٥ م تعبأ بغاز الخردل ، وشمل التدمير زهاء ٢٠٠ صاروخاً من صواريخ سكود والحسين والوليد . وكاد العراق أن ينجو بأسراره النووية ، خاصة الكنز المتمثل في ٣٠ كغ من اليورانيوم ٢٣٥ المخصب ، والذي تم إنقاذه من الغارة الإسرائيلية في هجومها على المفاعل العراقي اوزيراك عام ١٩٨١ وهكذا إلى أن ساقت الظروف الخفية عميلاً كان يعرف الكثير عن أسرار العراق النووية ، وكان هارباً مع الهاربين شمال العراق ، حيث دخل إلى أحد مكاتب الـ C.I.A المخابرات الأمريكية على الحدود العراقية ــ التركية ، وباع وطنه بثمن بخس ، (هجرته وأهله إلى الولايات المتحدة الأمريكية) .

الولايات المتحدة ممعنة في اصرارها على تشديد الحصار ، وراح الموقف العربي الرسمي ، يتراقص على لهيب روما ، فيما ذهب بعضه الآخر (الكويت والخليج عموماً) إلى حد السعار بابقاء هذا الحصار وإدامته ، رغم ألوف الضحايا الذين يسقطون يومياً بسبب نفاد الغذاء والدواء خاصة بالنسبة للأطفال والكهول والنساء ..

. . .

زعم لا أساس له

لقد زعم بعض المراقبين أو المنتقدين الضالعين في مؤامرة الاعلام الغربي ، أن الادارة الأمريكية إذا كانت قد وعت الحرب تماماً ، فإنها أهملت المشاكل التي قد تنشأ بعدها .

ويرد لوران في عاصفة صحرائه ص ٣٣٣ (إنه تحليل لا أساس له .

فمنذ شهر كانون الثاني ومسؤولو البنتاغون والبيت الأبيض ووزارة الخارجية يعملون على انجاز سيناريوهات ما بعدالحرب * والدور الذي يجب أن تضطلع به الولايات المتحدة ، وقد قام موظفو الخارجية الأمريكية (دنيس روس وطاقمه) بعرض مخطط كبير على بيكر منذ منتصف شباط ١٩٩١ يرتكز إلى خمس نقاط هامة :

الأولى/ وتتمثل بعقد اتفاقات جديدة فيما يتعلق بالأمن مع بلدان الخليج ، ومنها ايران والعراق ، لترسيخ توازن القوى في المنطقة مع إبعاد كل محاولة من شأنها تسليط بلد على جيرانه .

الثانية/ تحقيق اتفاق ناجح بخصوص السيطرة على التسلح مع متابعة القيود المفروضة على البلدان المنتجة لمنع دولة كالعراق من العودة إلى التسلح * .

الثالثة/ وترتكز على ضرورة ايجاد حل للمشكلة الفلسطينية والخلاف

---

* من الطريف أن تلامذة كيسنجر في الخارجية الأمريكية يضعون برامج تخص المنطقة تتطابق تماماً مع أفكاره حتى وهو خارج المسؤولية فقد كتب كيسنجر في نيويورك تايمز مقالة بهذا المعنى تحت عنوان (برنامج لما بعد الخليج) في شهر كانون الثاني ١٩٩١ أي قبل شهر واحد من هذه الاستراتيجية الصادرة عن الخارجية رسمياً .

العربي ـــ الاسرائيلي المعتبرين أساساً لعدم الاستقرار في المنطقة (هذه المعادلة التي تجمع بين الدول العربية الرئيسية ومعها دول الخليج والمجموعة المغاربية من جهة واسرائيل من جهة ثانية برعاية الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، ينبغي ترجمتها إلى جهد دبلوماسي رئيسي خلال أشهر قليلة بعد تحقيق الانتصار في الخليج (كيسنجر . برنامج لما بعد الخليج . نيوزويك ك ٢ ١٩٩١) .

الرابعة/ وتذهب بعد دراسات متوازنة ، إلى ضرورة إقامة (برنامج إعادة وفاق اقتصادي) بين دول المنطقة الغنية والفقيرة من أجل تهدئة المشاكل فيما بينها . (المسائل المتنازع عليها ، يقول كيسنجر ، مثل آبار النفط الحدودية وحقوق التنقيب أو ترسيم الحدود ، يمكن عرضها على محكمة العدل الدولية ، أما بقية المسائل كبرامج التعاون الاقتصادي بين الدول العربية المتفاوتة ، فيمكن معالجتها ضمن إطار مجلس التعاون الخليجي) (المصدر السابق) .

الخامسة/ وتتبنى استيراتيجية جدية للتخفيف من حدة سياسة الاخضاع بالقوة ، واحلال سياسة التوازن بدلاً عنها ، لكن التوازن العسكري لا يمكن أن يكون الهدف الوحيد للسياسة الأمركية في الخليج ، إذ ينبغي أن (يتعلم الأمريكيون كيف يقللون من اعتمادهم على النفط ، وأن يشرعوا في برنامج طاقة فعال . ليس بوسعنا أن نظل نعاني من أزمات الطاقة بين عقد وآخر ، يجب أن نشدد على التخزين ونطور مصادر بديلة للطاقة ، وتتفادى حالات الثمانينات حين قادت وفرة النفط إلى نبذ الأبحاث حول مصادر بديلة للطاقة) (المصدر السابق) .

وقد ركّز المخطط على نقطة بالغة الأهمية ، وهي طبيعة الوجود العسكري في منطقة الخليج ، إذ أوصى بالابقاء على قوة بحرية (معقولة) في الخليج ، واخرى (كبيرة) في أعالي البحار ، إضافة إلى اتفاقات منفردة مع دول خليجية يمكن بمقتضاها ايداع معدات عسكرية أمريكية في أراضيها ، فضلاً عن مشاركة القوات الأمريكية في مناورات وتدريبات عسكرية مشتركة مع دول المنطقة الخليجية .

وهكذا تحددت الأولويات الأمريكية أمنياً في :

- ☐ دائرة القوى الاقليمية الثلاث (تركيا ، ايران ، العراق) .

□ دائرة السعودية والخليج أو (دائرة النفط) .
□ دائرة الكثافة السكانية حول (النفط) .
كما تحددت الأولوية الأمركية سياسياً في الدائرة الأهم !
□ تسوية نهائية ومعتمدة للصراع العربي ــ الاسرائيلي الذي اعتبر بمثابة (مركز الهزات الذي لا يهدأ) .

. . .

كانت الولايات المتحدة تعرف اكثر من غيرها ، أن النظام العالمي الجديد الذي تقوده لن يطفىء مراكز البراكين الفوّارة في هذا العالم ، كما أنه سيشهد (إلى حين) ، مراكز قوة اقليمية سواء بين مساحات الجغرافيا أو ضمنها ، وهي تعكس تواريخ وتصورات متصارعة موروثة عن فترة الحرب الباردة ، وفي عالم كهذا ، لا يمكن إقامة السلام سوى بواحدة من طريقتين ، بالإخضاع أو بالتوازن ، والولايات المتحدة لا تستطيع أن تعتمد مبدأ الاخضاع إلى ما لانهاية ، (لأسباب أهمها وضع الاقتصاد الأمريكي) لذلك كان لا بد من التوجه لاعتماد مبدأ التوازن ، كونياً واقليمياً .

ويعتمد هذا المبدأ ، على عدم السماح للبلدان الراديكالية بالانسياق وراء (فراغ ما يحدث بين حين وآخر) ، مما يضطر الولايات المتحدة إلى إعادة انتاج الأزمات العالمية واحدة بعد أخرى ، بغض النظر عن تبدل اللاعبين أحياناً . فسياسة الاخضاع تأتي بعد أزمة ، أما سياسة التوازن فتنفي احتمال وقوع الأزمة من أساسها ، وقد اكتشفت الولايات المتحدة (بمنظور قرنها) أن أزمة الخليج الأخيرة ، ما كانت لتحدث لولا غياب أمن الخليج نفسه ، فضلاً عن أن القوة التحالفية الهائلة التي تم جرها إلى الخليج ، تشير بوضوح إلى قوة العراق الكبيرة ، مما يعني وجود هوّة ضخمة بين قدرات العراق العسكرية وقدرات جيرانه النفطيين ، أو حتى الاقليميين ، وكان معنى ذلك ــ بعد نشوب الأزمة ــ أن أي حل دبلوماسي لا يؤدي إلى خفض جذري في قوة العراق العسكرية كان سيشكل نصراً للعراق ، بعدها لن يكون العراق بحاجة إلى الانخراط في عمليات مماثلة ،إذ يكون

قد ضمن موقعه الاقليمي والنفطي ، وحقق اختلال التوازن بينه وبين جيرانه من جهة ، وبينه وبين إسرائيل من جهة أخرى .

بيد أن إعادة التوازن في المفهوم الأمريكي ، كان يعني إعادة العراق إلى سابق عهده كقوة ضعيفة أمام اسرائيل ، وكقوة معتدلة أمام جيرانه الاقليميين ..

فتفكك العراق وانضمام أجزائه إلى إحدى القوى الاقليمية بجانبه (سوريا أو ايران ، أو دولة حدود شمالية متفاهمة مع تركيا) سيؤدي إلى خلق قوة اقليمية جديدة ، وخطرة بآن واحد ، الأمر الذي سيعيد التوازن إلى اختلاله السابق .

لم تكن أمريكا تريد افراطاً في قوة العراق ، كما لم تكن ترغب في رؤية مصير العراق وقد انتابه الضعف المفرط ، يقول كيسنجر بهذا الخصوص (إن إحدى أسباب الأزمة الراهنة ـــ أي أزمة الخليج ـــ هو إسراع الدول الغربية لمساعدة العراق في حربه ضد ايران ، ناسية أن الافراط في ذلك سيجعل العراق هو المعتدي التالي ، ولسوف يكون من سخرية الأقدار أن تنتج هذه الرؤية النفطية عراقاً على درجة من الضعف تجعل جيرانه يسرعون لملء الفراغ) .

من الناحية النموذجية ، بالنسبة لدائرة القوى الاقليمية الثلاث .

أن يكون أحد الأهداف العسكرية لحرب الخليج ، نزع مخالب العراق الهجومية دون تدمير قدرته على مقاومة تعرضه للغزو من قبل تركيا أو ايران ، وفي سياق هذا الهدف ينبغي الحرص على عدم إدخال صواريخ متوسطة المدى ، وأن يُمنع العراق من جلب أجهزة التكنولوجيا الراقية بما في ذلك الطائرات ذات الأداء المتميز أو بعيدة المدى ... غير أن قدرة العراق التقليدية يجب أن يتم الحفاظ عليها مع تطويرها نسبياً لمواجهة سير التطور لدى القوى الاقليمية الأخرى .

...

بالنسبة لدائرة أمن السعودية والخليج ، فإن ذلك سيظل من اختصاص البنتاغون حتى يثبت النفط عدم جدواه ، وقد استبعد ديك شيني في مرحلة لاحقة بعد إيقاف الحرب ، فكرة المشاركة العربية العسكرية في أمن الخليج ، وقد بدا ـــ إعلان دمشق ـــ وكأنه يخدم فكرة مرحلية تجاوزتها الظروف والخطوط ، لسببين أمريكيين : ـــ

الأول :وهو أن فكرة إشاعة أمن عربي قريب من كنوز النفط العربية ، هي فكرة خطرة وتعتمد على ايدولوجيا الأنظمة السياسية التي تتبعها قوات المشاركة ، فضلاً عن احتمال مطالبات مالية باهظة الثمن .

الثاني :ويتعلق في أن كفاءة هذه القوات هي موضع مساءلة إذا ما تعرضت لخطر عدوان اقليمي قادم من المنطقة ، ولا يحتاج لخطط لوجسنية معقدة من أجل حضوره .

(لقد أدت فكرة اعلان دمشق دورها في وقتها ، ومن المستحسن الآن تركها تتوارى وتختفي) (هيكل أوهام القوة ، ص٥٨٧) .

إن دول الخليج على حد تعبير استعمله وزير الدفاع الأمريكي ديك شيني تستطيع أن تصوغ علاقاتها من جديد على امتداد عمق العالم العربي الذي هو وراءها على نمط ما كان وما يزال حتى الآن بين هونغ كونغ والصين . علاقة قريبة وبعيدة ، منفصلة ومتصلة في نفس الوقت . (المصدر السابق) .

إن توازن القوى الجديد في المنطقة يستدعي أن تبقى دول الكثافة السكانية (مصر وسوريا مبدئياً) بعيدة عن مواقع النفط الحساسة ، فوجود هذه القوى ـــ كما يتحسب كيسنجر ـــ يمكن أن يخلق حالات راديكالية أو قومية ، تكون المنطقة بغنى عنها ، وهذا لا يعني قطع الوريد بين دول النفط الموسرة ، وبين دول الكثافة السكانية المعسرة فيما يشكل استمرار سريانه على شكل جدول خفيف ،ينقطع أيام الصيف ويجري خلال أشهر ما بعد الشتاء ، حفاظاً على الشعرة الأموية ، لكن دون غابر مجدها التاريخي ..

وكان وزير الدفاع الأمريكي ، هو الذي تولى مهمة الاعداد لهذا الجانب من الخريطة الأمنية ، وذلك عن طريق عقد اتفاقات أمنية ثنائية ، بدأت بالكويت ومنها إلى غيرها .

. . .

وكانت دائرة الكثافة السكانية ، أو منطقة القلب المتوسطية تحظى باهتمامات أوربية تاريخية وجغرافية ، تطمح لتحويل علاقات الصراع التاريخية ، إلى علاقات

وئام معاصرة ، ومنها إلى تحويل المتوسط إلى بحيرة مشاركة (أورو ـــ أفرو آسيوية) بعد أن عاثت أساطيل الحرب الأمريكية فساداً في مياهه منذ نصف قرن من الزمان .

وكان هذا الترتيب المتخيل بشاعرية التاريخ وحقائق الجغرافيا يلقى صدوداً أمريكيا خشية تفرد أوربا بدول البحر شديدة الحساسية والنادرة بالنسبة للمصالح الأمريكية ، ومع تعديل السيناريو وإضافة خطوط تمازج جديدة ، كانت الفرضية موضع قبول أمريكي ، لتحقيقها براغماتية تبادلية أورو ـــ أمريكية يمكن أن تتحقق في الأهداف التالية :

● إن دول الفرضية المتعاونة تمتد على محيط دائرة بيضوية تشمل فيما تشمل اعتباراً من صدر المتوسط ، سوريا ولبنان واسرائيل .. وهكذا بمتابعة الاستدارة فسوف يلتقي الخط مع مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب . إلى أن تتجه الاستدارة نحو الشمال بادئة باسبانيا وفرنسا وايطاليا واليونان وتركيا ، وهكذا إلى أن ينغلق التاريخ على نفسه مرة أخرى ، ولكن على شكل مواد وأسواق وسنابل وأيدي عاملة ، بدلاً من الأيدي العاملة فوق صهوات الخيل بالسيوف والرماح وهشيم الحرائق المستعر .

● إن اتساع دائرة الفرضية تتسم بخاصية تحديد كثافة القومية العربية ، وتحجيم دور الجامعة العربية (على حجمه) مع توسيع دائرة النفوذ لمنظمة المؤتمر الاسلامي الرسمية .

● إن الوعد باعادة تشكيل دائرة متعاونة على نحو السوق ، حول المتوسط ، تضم ثلاث قارات متدافعة تاريخياً ومتشابكة جغرافياً ، من خلال المؤثرات الحضارية المتبادلة عبر البحر وعلى سواحله ، يمكن أن يعمل على اذابة الصراع العربي ـــ الاسرائيلي واحتوائه ، بحيث يكون العرض مغرياً لدخول عالم واسع من تبادل المنافع القائمة على أسس اقتصادية وثقافية .

● إن التسهيلات المؤداة من قبل الولايات المتحدة لدول الترتيب المتخيَّل ، تهدف إلى ضبط تفاعلات المنطقة ، سواء أكانت على شكل هجرات آسيوية أو أفريقية

مفرطة إلى أوربا ، أو على شكل أزمات وصدمات ، يكون بمقدور دول المشروع المتوسطي امتصاصها دون حاجة أمريكية للمضي في لعب دور الشرطي كلما لاحت أزمة أو انفجر موقف ..

● إن التساهل الأمريكي بصدد المشروع المتخيل ، يرضي أوربا بترك جوارها التاريخي والجغرافي يسبح في مجموعتها الشمسية والسياسية ، على أمل أن تلتحق المجموعة بشكل ما ، لتسبح في الفلك الأمريكي دون عناء أو حساسية فيما بعد ...

□ كان البنتاغون لأمن الخليج .

□ وكانت أوربا لأمن وأمان البحر المتوسط .

□ وكانت الخارجية الامريكية لحل مشكلة الصراع :

الفلسطيني ــ الاسرائيلي أولاً .

العربي ــ الاسرائيلي ثانياً .

على أن يجلس الجميع بمواجهة بعضهم بعضاً ، لأول مرة في تاريخ الصراع الطويل .

. . .

كانت الخارجية الأمريكية ، بعد مراجعات مستفيضة لتاريخ الصراعات في المنطقة ، وعقب زيارات بيكر التسع لأطراف النزاع في المنطقة ، مع رسائل التطمين الأمريكية ، قد توصلت إلى أن الشرق الأوسط ، هو اكبر منتج للأزمات في العالم ، فقد استثار جموحات عاطفية كبرى باعتباره مهداً لثلاثة أديان كبرى ، ولهذا فمن غير الممكن لجولة مفاوضات واحدة أن تحل الهدوء والسلام في هذه المنطقة المضطربة ، ومفاوضات عربية ــ اسرائيلية لن تضع حداً للغليان المستعر ، دون تدخل القوى العظمى ، الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي (سابقاً) مع الحكومات العربية المعتدلة (السعودية والخليج ومصر) وبقية الأطراف من سوريين واردنيين وفلسطينيين .. واسرائيل .

كان بيكر قد استعار من كيسنجر صيغة ما لحل بديل يمكن أن يسعى إلى

ادخال عناصر يمكنها أن تؤدي إلى خفض مساحات الأراضي التي تُطالب اسرائيل بردها مقابل وضع يفضل صيغة سلام شكلي ويقل عن صيغة سلام تام في المرحلة الأولى (أقل من دولة واكثر من حكم ذاتي) .

وكانت المقاربة الممكنة تدور حول محاورة مبدئية هي : ــ

● يعقد مؤتمر تحت اشراف الأمين العام للأمم المتحدة ، يتألف من الولايات المتحدة واسرائيل والدول العربية المتحالفة مع الولايات المتحدة في أزمة الخليج .

● توافق الدول العربية المعتدلة على القيام بدور مجلس أمناء للأراضي التي تعاد إلى السيادة العربية ، وذلك لفترة محددة من الزمن لتقل أنها بين خمس إلى عشر سنوات .

● تلتزم الدول العربية المعتدلة بضمان نزع سلاح تلك المناطق تحت اشراف الأمم المتحدة .

● تعيد اسرائيل غزة بأكملها ومعظم المناطق ذات الكثافة السكانية العالية في الضفة الغربية ، محتفظة بتلك المناطق ذات الأهمية الجوهرية لأمنها ، وسيكون لها الحق في تدقيق نزع السلام من أية منطقة تعيدها

● يجري اتخاذ اجراءات ادارية محددة وفق اتفاقية ناظمة ، لكنها لا تقود في الفترة الموقتة ، إلى تشكيل دولة مستقلة ، وكاجراء عملي تقوم القوى المؤتمنة بتأسيس ادارة من أفراد تقبلهم منظمة التحرير الفلسطينية .

● إذا تبين أن هذه الأجزاء من السيناريو ليست عملية ، فيجب البحث عن مقاربة أخرى مؤقتة لتفادي الطريق المسدود . **وعلى العرب المعتدلين أن يعودوا لعلاقة معدلة مع منظمة التحرير الفلسطينية بعد أزمة الخليج ، بحيث يمنعوا حقها في استخدام الفيتو السابق من قبلها ضدهم .**

أما اسرائيل ، كما ينصح كيسنجر ، فيتوجب عليها تفادي كابوسين محتملين ، إذا أصرت على الاحتفاظ بكل بوصة مربعة من الأراضي المحتلة ، فمن المحتمل أن تواجه نفس مصير افريقيا الجنوبية وتجد نفسها منبوذة بعيدة ومبعدة ، ولعلها ستخضع لعقوبات اقتصادية تفرضها الأمم المتحدة ، من جهة ثانية إذا اتبعت

اسرائيل المنطق السليم وأعادت جميع الأراضي المحتلة فإنها ستجازف بالتحول إلى (لبنان جديد) محشورة تدريجياً في نقطة الاختراق ..

وفي سبيل مصلحتها فإن على اسرائيل أن تعثر على حل وسط ، **وليس ثمة لحظة أفضل من الآن ، حين انهزم ألد أعدائها واكثرهم خطراً .**

وكانت الخارجية الأمريكية قد جاء دورها لدفع خطة السلام ونقلها من الأنساق الخلفية لتداعيات الخليج ، إلى المُدرّجات الأمامية لمشهد الفصل التالي ، وهي مشكلة القلب ، أي مشكلة الصراع العربي ـــ الاسرائيلي .

كان تصور الخارجية الأمريكية لمؤتمر التسوية على ثلاث مراحل : ـــ

المرحلة الأولى/ وتمثل لحظة الحسم المؤدية إلى كسر جدار الخوف دفعة واحدة ، على ألا يبقى خارج السيناريو أي لاعب معارض ، بحيث يجتمع العرب كلهم في لقاء بانورامي مع إسرائيل ..

كانت سوريا والاردن وفلسطين الداخل مدعوة للحضور .. وكانت مصر مدعوة .

ثم مجموعة النفط كلها وعلى رأسها السعودية .

وهناك مجموعة دول المغرب العربي .

وكان الهدف ألايظل طرف عربي خارج التسوية التي يمكن أن تنعقد مع اسرائيل ..

وكان مقرراً لهذه المرحلة ألا تطول .. ثم تعود من حيث أتت لتفسح المجال للدخول في المرحلة الثانية ..

وهكذا أدى مؤتمر مدريد الأول ، دوره المطلوب .

المرحلة الثانية/ وهي مرحلة اللقاءات الثنائية بين دول الطوق (باستثناء مصر طبعاً) واسرائيل .. سوريا مع فرع من الوفد الاسرائيلي ، الأردن مع فرع آخر ، وفلسطين الداخل مع فرع ثالث .. **وكان من المقرر ألا تتأثر (مباحثات ثنائية) مع ثنائية أخرى ، فكل الثنائيات مستقلة في جدولها وموضوعها وحركتها دون تداخل أو تفاعل .**

المرحلة الثالثة/ وهي مرحلة الدخول في نفق المتعددة ، بصرف النظر عما آلت إليه المفاوضات في المرحلة الثانية ، وتتعلق هذه المرحلة بآفاق المستقبل المرتكزة على مبدأ التعاون الشامل في محاور التنمية والمياه والمواصلات والبيئة والتطبيع .. وما يؤدي إلى تعاون اقليمي مفتوح ، دون حدود .

كان شرط هذه المرحلة ، أن تتحقق دون انتظار ما تحققه سابقتها من نتائج ، ولأول مرة في تاريخ المفاوضات تمضي الدبلوماسية إلى هدفها الكلي ، غير آبهة بما يحدث على الطريق ، فالتعاون الاقليمي حسب منطق هذه المرحلة ، قد يجيء سابقاً على وثيقة السلام ، ووثيقة السلام قد تأتي متقدمة على مشكلة الأرض ، والأرض تدور حول نفسها ، بلا شمس تنير حقيقة مصيرها النهائي والصريح ..

وكان أول من اعترض على هذا السيناريو المقلوب ، سوريا ، وذلك بعد أن بات واضحاً ، أن تصاعد الدراما في هذا المسلسل يمكن أن يفضي إلى سلام مجاني ، أو أن يؤدي إلى ما وعدت اسرائيل نفسها به (السلام مقابل السلام) .

كان على الجميع ألا يعترض أو يشترط .. وكانت اسرائيل تنشر أشرعتها في بحر بدت رياحه سانحة وموانية :

ــ فهي لا تريد وفداً فلسطينياً على صلة من أي نوع مع منظمة التحرير الفلسطينية .

ــ وهي لا ترضى باكثر من دون مراقب فقط لأوربا الغربية .

ــ وهي تقبل بمندوب دمية عن الأمم المتحدة ، له فم يأكل وليس له فم يتكلم .

ــ وهي ترفض شروطاً اوقف الاستيطان ، أو حديثاً عن القدس ، أو انسحاباً من كامل الأراضي المحتلة ..

اكثر من ذلك ، كما يقول هيكل في أوهام النصر ص ٥٩٠ ، (فقد كانت بعض شروط اسرائيل املاء غير قابل للمراجعة وبينها أنه : لا دولة فلسطينية ، ولا تعامل مع منظمة التحرير ، ولا أرض في مقابل السلام ، وإن هضبة الجولان ليست مطروحة للمناقشة على الأقل ، الآن) .

استشارة من هارفارد :

قامت الخارجية الأمريكية خلال التمهيد لمؤتمر مدريد ، ومع تطيير رسائل التطمين إلى اسرائيل والفلسطينين وبعض الدول العربية المعنية بالصراع المباشر ،وبطلب اقتراحات أو وجهات نظر بخصوص آلية التفاوض ، من المختصين في جامعة هارفارد . وقد وصل إلى مكتب العلاقات العامة في الخارجية الأمريكية العديد من الاقتراحات ، كان أهمها وثيقة الاقتراحات التي قدمها استاذ القانون في الجامعة الدكتور روجيه فيشر .

وقد جاء في الوثيقة حسبما نشرتها الهيرالد تربيون آواخر عام ١٩٩١ .

قد يكون عزم وزير الخارجية الاميركية جيمس بيكر قد أدى إلى اقناع العرب واسرائيل بالجلوس إلى طاولة واحدة معا في مدريد الا ان عناصر التفاؤل بنتيجة مؤتمر مدريد تبقى قليلة جدا . وهناك من يجهل فعلياً قضايا عملية السلام وما تتطلبه لانه يركز في درجة اولى على «ما هو مهم حقيقة : الجوهر .. اذ لا يهم الطريق الذي سنسلكه طالما أنه يؤدي إلى هنا» .

غير أن الطريق الذي نختاره هو الذي يحدد أين سننتهي .

حتى اليوم ، اعتبرت الأطراف المعنية اي مفاوضات مجرد مساومات وصفقات كمكافأة على تصلبها . فالتصلب الاسرائيلي (لا انش ارض مقابل السلام) ، والتعصب الاسرائيلي يقاومان احتمال تقديم اي تنازل ويتشبثان بالاحتفاظ بالاراضي المحتلة .

من جهتهم ، الفلسطينيون يتعرضون للضغط لتبني مواقف متطرفة (لا اعتراف باسرائيل) .

وبالنسبة لاسرائيل من المستبعد ان تؤدي المفاوضات المباشرة إلى أي اتفاق مع أي كان : الفلسطينيون سوريا ، الأردن او لبنان .

وبما انه من الارجح أن يكون السلام الفلسطيني هو محور ولب القضية فهناك اسئلة رئيسية تطرح : كيف التوصل إلى خطة يتكيف الاخرون معها لاحقاً ؟ وكيف نخطط لتقدم فعلي نحتاجه فعلاً لادراك مسألتين :

مسألة أن كل طرف ، يقول وبكل وعي لا لما يطالب به الطرف الآخر ، ومسألة أن أيا من الطرفين عاجز عن أن يضع مسبقاً مقترحات واقعية عن مطالبه الخاصة .

ان المطلب الاكثر أولوية ورئيسية للفلسطينيين هو قيام دولة لهم ، واذا تساءل اسرائيلي «هل يجب أن نوافق حالياً على دولة فلسطينية ؟ فإن العواقب السلبية للرد الايجابي على هذا السؤال سرعان ما تتدفق : سنثير عداوة العديد من الناخبين ، سنزيد من خطر خسارة الضفة الغربية ، وسنولد تهديداً كامناً لامننا وسنكافىء العنف الفلسطيني ، وسيطالب الفلسطينيون بالمزيد .

وبالنسبة لاسرائيل يبدو ان عواقب الرد بالسلبية على هذا السؤال تجذبهم اكثر : فالقول «لا» ، يبقي على الدعم الشعبي للحكومة ويزيد من فرص الاحتفاظ بالضفة الغربية ويقلل من مخاطر وجود دولة فلسطينية عدوانية ويبقي الخيارات مفتوحة .

بقولها لا ، تتصرف اسرائيل وبشكل صائب من وجهة نظرها ، وبالتالي فهي تصر على أن يتخلى الفلسطينيون عن فكرة الدولة .

فكيف يبدو هذا الخيار لاولئك الذين يطلب منهم ان يتخلوا عن هدف الدولة الفلسطينية ؟

فاذا قالوا «نعم» ، فإن العواقب السلبية ستشمل : ايضاً بالنسبة لهم تخليهم عن تقرير المصير ، التخلي عن حقوقهم بموجب قرار التقسيم ، الخضوع للقوة العسكرية الاسرائيلية ، القبول بسيطرة لا نهاية لها لاسرائيل عليهم ، التخلي عن كل اولئك الذين قاتلوا وماتوا من اجل القضية ، عدم كسب أي حق اليوم يعني تقليص فرصة كسب أي شيء في المستقبل .

اذن بالنسبة للفلسطينين فإن دوافع قولهم «لا» للتخلي عن دولة لهم ناتجة عن اسباب يخضعون لها .

ومن هنا فاننا في طريق مسدود .

ولايمكن توقع اجابات افضل الا عندما يتم طرح مقترحات افضل على طاولة

المفاوضات ، رغم ذلك فإنه من غير المتوقع أن تتقدم اسرائيل او الفلسطينيون بأي مقترحات أفضل .

لم يحصل ابداً لأي حكومة اسرائيلية أن اقترحت رسمياً ما يجب أن تكون عليه الحدود الاسرائيلية ولاسباب مبررة بالنسبة اليهم ، فإن أي اقتراح لهذه الحدود من شأنه أن ينفر مجموعات عديدة من الناخبين : أولئك الذين يريدون الأحتفاظ بالأراضي ، وأولئك الذين يريدون مفاوضة ومعاملة كل السكان بشكل ديمقراطي ، أو أولئك الذين يريدون دولة يهودية بأغلبية يهودية ساحقة .

غير أن اسرائيل لا يمكنها أن تكون دولة كبيرة ديمقراطية وبأغلبية يهودية ساحقة .

(...) هذا هو السبب الذي بسببه وجدت اسرائيل دائماً أنه يصعب عليها جدا القبول بأي اقتراح يضعه الآخرون مسبقاً ، ان كان قرار التقسيم ، القرار ٢٤٢ أو اتفاقيات كانب ديفيد .

من جهتهم يعاني الفلسطينيون مشكلة مماثلة ، فإن أي اقتراح محدد وواضح سيغضب مجموعات عدة وسترفضه اسرائيل لعدم ملاءمته .

هذه العوائق والمصاعب لن تزول بوضع الفلسطينين والاسرائيلين في محادثات وجهاً لوجه ، ولن تزول عبر محاولة التوصل إلى اتفاق في المبدأ أولاً واضافة التفاصيل الضرورية في مرحلة لاحقة . ان مثل هذه العملية تنجح فقط حين تقوم بين الاطراف ثقة كبرى بعضهم ببعض فحيث يكون العداء وانعدام الثقة ، سيرغب كل فريق بمعرفة ما سيكسبه قبل أن يقدم أي تعهد أو التزام .

ان الحديث عن «عملية سلام» لن ينتج سلاماً . ففي الماضي ، حصل تقدم فقط حين قام أحد غير الاطراف المعنية باعداد ورسم شروط الاتفاق واذا تم القبول بهذا التمهيد ، تصبح الاسئلة حول ما الذي يجب التخطيط له ، وكيف ومن قبل من ؟

يبدو بوضوح أن السيد بيكر يريد من مؤتمر مدريد أن ينتج اتفاقاً مؤقتاً يوفر نوعاً من الحكم الذاتي للفلسطينين لسنوات قليلة ، الا ان مثل هذا الاتفاق من

المحتمل أن لايوقف اعمال العنف ، أو أن يحد من اقامة مستوطنات جديدة في الضفة الغربية وان يتم تضييع الوقت .

الا ان الاطراف ستدرس وبكل ارتياب كل كلمة في مثل هذا الاتفاق ــ حول القدس ، الحدود ، الارض ، المياه ، الكهرباء ، القوة الامنية ، القضاء ، الانتخابات ، لتأثيراتها وانعكاساتها الممكنة في أي تسوية نهائية . وان مرور الوقت قد يجعل التوصل إلى تحقيق السلام اكثر صعوبة ، لذلك يبدو انه من الأفضل وربما الأسهل حالياً العمل على التوصل إلى تسوية نهائية .

ان مقاربة مقبولة لعملية السلام يجب أن تكون مرتكزة على مقاربة ناجحة تم اللجوء اليها في كامب ديفيد للتوصل إلى اتفاقات اسرائيلية ــ مصرية . وأنه يمكن لفريق صغير من الأطراف الخارجية في مدريد أن يلجأ إلى ما أدعوه «نهج النص الواحد الموازي» .

وهذا يشمل العمل ليس على مخطط تمهيدي وحيد بل على صيغتين ممكنتين للتسوية أحداهما تكون نص اتفاق ــ لا يلحظ وجود دولة فلسطينية ــ وينشد أكبر وافضل امكانية للتوفيق بين المصالح المشروعة للاسرائيلين وللفلسطينين معاً . والصيغة الثانية تنشد التوصل إلى التوفيق بين المصالح في حال قيام دولة فلسطينية هذا المخطط التمهيدي يجدر أن يتخذ شكل قرار من قبل مجلس الأمن الدولي يقبل بفلسطين كعضو في الأمم المتحدة شرط قبولها بشروط متعددة ، على أن تشمل مثل هذه الشروط كونها دولة محايدة منزوعة السلاح وبحدود مفتوحة .

أن النصوص قد تكون مخططات غير ملزمة لكل من لا يريد الالتزام بها ، الا انها تشكل ما يعتبره الخبراء الاتفاقات الافضل للتوصل اليها بالنسبة لكل المعنيين بالافتراضات البديلة : ان يكون هناك او لا يكون عضو في الأمم المتحدة أسمه فلسطين .

ويمكن مقارنة المخططين التمهيديين بطريقة تسوية خلافات التعويض في لعبة البيسبول : فاللاعب وصاحب النادي يقدم كل منهما اقتراحاً لحكم ما يقرر بنفسه أي الافتراضين أكثر عدالة .

وبشكل مماثل ، يمكن لمجلس الأمن الدولي أن يصلح كحكم يقرر المخطط الأفضل ، ويجدر بانصار كل مخطط أن ينافس الآخر ليجعل مخططه الأكثر انصافاً وعدلاً .

كيف يجب التحضير لمسودة الاتفاقات ؟

قد لاتكون الولايات المتحدة الفريق الافضل . فهي عرضة للقيود والضغوطات السياسية مثل تلك التي يتعرض لها الأطراف ، مما يجعل أي مخطط تمهيدي يعيق القدرة الأميركية على تأدية دورها كعضو اساسي وحاسم في مجلس الأمن والذي سيكون عليه أن يختار بين هذه المخططات التمهيدية .

ومن ضمن المرشحين لوضع هذه المخططات الدول الاسكندينافية ، والبلاد الواطئة وكندا ، ولا يجب أن تكون الحكومات هي التي تضع هذه المخططات بل كيانات غير حكومية تمول من قبل مؤسسة خيرية أو مصادر لا مصالح نفعية لها ، بحيث تؤلف مع بعضها البعض (أي الكيانات غير الحكومية) فريقاً صغيراً يترأسه شخص مميز مشهور ، وأن قوة هذا المسار ستكون رهناً ليس فقط لمدى حيادية الفريق ، بل رهن لدرجة كفاءته وبراعته وقدرته على توفير حلول عملية تلفت اعضاء مجلس الأمن الدولي والأطراف المعنية بعدالتها .

وأخيراً فإنه من المستبعد أن توقع الأطراف على أي اتفاق سلام ما لم يكن هناك اتفاق للتوقيع عليه .

غير أن المسألة في نتائج التصورات الصادرة عن الأخصائيين الأساتذة في الجامعات الكبرى ، تختلف كلياً عن نتائج تصورات نظرائهم في مكاتب الإدارة ومَنْ يجول حولها ، فعندما يقول فيشر أن الولايات المتحدة (لن تكون الفريق الأفضل لرعاية التفاوض) فإنه يصل إلى استنتاج متجانس مفاده :

ــ(أن المرشحين للعب دور كهذا ، هي البلدان الاسكندينافية والبلاد المنخفضة وكندا على أن تتشكل المجموعة الراعية من مؤسسات لا مصالح نفعية لها .. وليس من حكومات) .

من جهة مقابلة ، فإن كيسنجر عندما يؤكد أنه (ما من أمة عاقلة ستقبل بالقاء

نفسها طواعية في هذه الحمأة) .

فإنه يصل إلى استنتاج مراوغ مفاده (أن الولايات المتحدة والأتحاد السوفيتي ، مع دول الخليج المعتدلة ، وبحضور أوربا بصفة مراقب ، والأمم المتحدة بصفة محايد) يجب أن ترعى المؤتمر .

وبالفعل ، فإن الأتحاد السوفيتي ، بعد أن رُفض طويلاً على موائد مفاوضات الشرق الأوسط ، قد جيء به الآن .. لماذا ؟

ــ لأن المسافة بين غورباتشوف وتل أبيب ، أصبحت المسافة نفسها بين بوش وتل أبيب .. إن لم تكن أقرب .

ــ ولأن أوربا ، بعد حرب الخليج ، لم يعد في خططها ، أو بمقدورها ، أن تلعب دوراً شاذاً أو انفرادياً بالنسبة لمشكلة الشرق الأوسط .

ــ ولأن الأمم المتحدة صارت في ظل الهيمنة الأمريكية بمثابة الخاتم في الأصبع ، لا يتحرك إلا بمشيئة اليد الأخرى .

ــ ولأن دول مجموعة الخليج ، كان قد عبر عن موقفها أمين عام منظمة التعاون الخليجي عبد الله بشارة حين قال :

(إن التهديد علينا ليس من إسرائيل ، ولكن من بعض العرب) .

كانت الأطراف العربية المدعوة تذهب إلى مدريد ، حاملة دواعيها ومبرراتها التي بدت وكأنها أقدار لا ترد .

فالولايات المتحد ، بعد درس الخليج ، هي صاحبة الدعوة ، والستارة أسدلت على آخر فصل من فصول الأتحاد السوفيتي ، وخرجت جمهورياته المفككة تتهارش مع نفسها وتتقاتل مع جوارها ، وكأنها برميل بارود أُفلت صمام أمانه ، ثم راحت هذه الجمهوريات تحت وطأة الأماني والحاجة ، تستنتصر من الخارج ، إخوة لها (في الدين) أو التاريخ والجغرافيا .. وكان ذلك بعد أن ضرب الزلزال كل دول المنظومة الشيوعية حتى وصل إلى يوغسلافيا .

فالقومية ضد القومية الآخرى ، والدين الواحد في حالة حرب مع الدين الآخر ، والمذاهب في الدين الواحد ضد المذاهب الآخري فيه نفسه ، وسلسلة

من الأنفجارات بدت وكأنها غير قابلة للتوقف .

وكان العالم العربي ، قد ودع آخر فرصة له في الأحتكام إلى القوة إذا واظبت اسرائيل على عنادها ، وكان ميزان التقابل العربي ـ الاسرائيلي في مدريد ، مكسوراً ، عند أخطر مفصل من مفاصل عظمه في الخليج ، بعد أن تم كسر عظم الترقوة في كامب ديفيد ، وراح العالم العربي يغيب في مدريد بعيداً عن روائح الدماء الساخنة التي ما زالت تجري هناك ، وكان البترول العربي مشغولاً في حرب أخرى ، أسمها معاقبة العرب في الخليج !..

ذهب العالم العربي إلى مدريد ، وليس في يده غير ورقة لعلها مالت إلى الاصفرار (على يد العرب) ، وهي ورقة الأنتفاضة الفلسطينية ، والغريب أن التفاوض يجري مع طرف بيده كل الأوراق الرابحة (الأراضي المحتلة ، التفوق العسكري الحاد ، الهجرة ، وموقف الاعتدال العربي الجديد !..) ، ورغم ذلك فإن اسرائيل راحت تتدلل ، وقد بدا ذلك أمام عيون بيكر ، وكأنه دلال عجوز متصابية ..

كان الأمل الوحيد بالنسبة لوفود مدريد ، أن تعدل الولايات المتحدة من موقفها بصورة تنسجم مع ترويجها لبشائر عالم جديد ، وأن تستدعي الشرعية الدولية ، عندما يصل المسار إلى عنق الزجاجة ، وكانت الشرعية الدولية تجد طريقها خجلى إلى تل أبيب ...

كان شرط المؤتمر أنه إذا أخفق ، فلا مساءلة ولا ترتيب مسؤوليات ، كما ليس له أن يفرض حلولاً على الأطراف ، وكان كل ما في المؤتمر ، أنه يستطيع أن ينعقد في مناسبة أخرى إذا فشل ..

وقد تصورت الولايات المتحدة شكل التمثيل الفلسطيني ، على نحو يرضي اسرائيل ، فبالإضافة إلى استبعاد أية فكرة تقول بوجوب حضور منظمة التحرير ، واقتصار ذلك على فلسطينيي الداخل ، فإن الوفد الفلسطيني جاء مشتركاً مع الوفد الأردني ..

كما تصورت الولايات المتحدة سيناريو الوضع الفلسطيني من خلال مروره

بعدة (أكشنات) أو لقطات ، ففي المرحلة الأولى يمكن أن تبدأ محادثات حول ترتيبات الحكم الذاتي المؤقت ، والسقف الأعلى لعمر هذه المحادثات سنة واحدة ، أما عمر الحكم الذاتي المؤقت فخمس سنوات ، على أن يتم اعتباراً من السنة الثالثة للحكم الذاتي المؤقت ،بحث تفاصيل الوضع الدائم للشعب الفلسطيني .. وقد أغفل التصور الأمريكي عن عمد ، أوسعياً وراء انقاذ المبادرة الجديدة ، وضع الفلسطينيين في الخارج ، واكتفت وزارة الخارجية الأمريكية بتسريبات تحتمل التأويل والتراجع خاصة بعد أن راح الأعلام يتساءل عن وضع الفلسطينيين في الشتات ، وهل يتم الحاقهم بالدول العربية المضيفة مع منحهم الجنسية والتعويض ؟ أم هل يجوز لهم الأختيار بين حق العودة وقرار التوطين ، أم أنهم مجبرون على الامتثال لمصير مقرر ، هو التوطين ولاشيء آخر !..

ولم تكن المشكلة الفلسطينية بحد ذاتها هي موضع غموض بالنسبة لمداولات المؤتمر ومساره ، فقد تركت المشكلات العربية الأخرى كعملية جرح مفتوح ، عليها أن تلتئم من تلقاء نفسها ، ففوق القدس ، تأتي هضبة الجولان ، وقد أصبحت هي الأخرى نهباً للسؤال والتساؤل ، إذ ما هو تصور اسرائيل لمستقبل الهضبة حقاً ، وما هي حقيقة الضم فعلياً ، هل تتنازل اسرائيل عن الهضبة ، أم هل تتنازل عنها من غير تنازل ، هل تُعاد العضبة كأرض منزوعة السلاح على شاكلة سيناء مثلاً ؟ أم هل يُعاد جزء منها ، مع الأحتفاظ بقوة مراقبة اسرائيل على الجزء الآخر من الهضبة ، ما هو دور قوات الطوارىء الدولية في اتفاق ما ، ما هو مصير الهضبة أخيراً ، وما هو مفهوم السيادة ؟.. وغير ذلك من الأسئلة الشاقة على سوريا ..

إن من يدرس خط الهدنة الكيسنجري على الهضبة بعد تشرين ، يستنتج مدى الالتواء في المخططات الأمريكية ، حين يصل الأمر إلى حد تقرير مصير المنطقة التي تعيش فيها اسرائيل .. والمشكلة أن الولايات المتحدة صامتة الآن عن تصورها المستقبلي تجاه الأردن ، ولم تصدر تعليقات على تأكيد اسرائيل ، باستحالة نشوء دولتين غرب النهر ، كما لم تقم الولايات المتحدة ، بابداء أية ملاحظات على

المساحة التي يمكن أن تتنازل عنها اسرائيل للعرب بحجة دواعيها الأمنية ، والسؤال الأهم ، الذي لم تشأ السياسة الأمريكية أن تحشر نفسها فيه ، هو ، ماذا يعني القول : (أن الأراضي العربية أرحب من أن تكون ساحة اقتتال على هذا الشريط أو ذاك ، أو على هذا الممر أو غيره ، أو عند ذاك النهر أو خلفه ـــ مصادر أمريكية أو اسرائيلية منذ اجتياح لبنان) .

هل تفجر المبادرة الأمريكية حرباً بين العرب أنفسهم بعيداً عن المساس بالنفط واسرائيل مرة أخرى ؟..

أما الجواب فسيكون عند حزب العمل الاسرائيلي ، الذي فاز بقوة ، عشية الانتخابات التي جرت في الثالث والعشرين من حزيران ، ١٩٩٢ .

إن (يمامة السلام هذه) التي طارت فجأة فوق الكنيست الاسرائيلي من جديد ، تريد أن تثبت نفسها على أنقاض منافسها المهزوم ، بعد أن ألحق شامير المحنّط ، خسائر جدية بالمصالح الاسرائيلية نتيجة ألعابه المقرفة مع بوش ، فبعد أن أبقى شامير الكرة في الملعب الاسرائيلي ردحاً من الزمن غير آبه برغبات واشنطن أحياناً ، جاء رابين لينظر كيف يمكن أن يعيد الكرة إلى ملاعب العرب ، (وبعيداً عن عصر أمريكا ونفوذها !) راح شامير وحزبه يدفع الحساب ، فقد تمكنت الولايات المتحدة بطريقة ما ظلت خافية حتى عن شامير وحزبه ، من ربح الناخب الاسرائيلي (والعربي الذي يحق له الانتخاب في اسرائيل) وليس واضحاً فيما إذا كانت منظمة التحرير الفلسطينية على المسافة نفسها في التأثير (عربياً) على مجرى الانتخابات الاسرائيلية ، وراحت وسائل الاعلام الغربية الكاسحة ، تصور نتائج الانتخابات الاسرائيلية ، على انها نتائج تصويت على السلام ، وحيث أنه ليس في صالح حزب العمل الاسرائيلي ، الحكم عليه من خلال ماضيه ، فإن ما تقوله وسائل الاعلام الغربية ، يبقى في موضع الريَبِ والشكوك ، فيما اذا كان حزب العمل مستعداً للخروج من جلده السابق أم لا ؟..

يمكن القول مبدئياً ، أن اسرائيل عادت إلى خط الوئام مع السياسة الأمريكية كما كانت من قبل ، كما يمكن القول أن رابين هو ممثل الخط الأمريكي الصريح

في اسرائيل ، (على أن تكون الخطوط مندمجة وغير قابلة للافتراق) ، ويجيء السؤال :

ما الذي تريد أن تفعله أمريكا الآن ، بعد أن تجمعت الخيوط كلها في يد واشنطن ، وبعد أن خلت الساحة من المنافسين ، ولم يعد يعكر صفو الأحلام الوردية لأبن المجتمع الصالح للساحل الشرقي الأمريكي .. كابوس يذكر .

□

ثم ماذا .. عن النتائج ؟!

لثلاث مرات خلال قرن واحد ، بدءاً من محمد علي ومروراً بعبد الناصر ، وانتهاء بصدام حسين يحطم الغرب بوحشية السلاح ، حلم نهضة عربية ، ودخولاً عربياً عريضاً إلى خط صناعة التاريخ العالمي المعاصر .

جان بيير شوفنمان . وزير الدفاع الفرنسي المستقيل

(لا يمكن تصدير الديمقراطية على رؤوس العصي ، فكيف بالأحرى على رؤوس الصواريخ ، إلا إذا أريد أن نحصد في النهاية جواً من الوحشية الدولية؟

لقد قيل كل شيء عن علاقات القوى والحقوق ولكن ألم تتمثل جميع جهود الحضارة في تنظيم القدرة على قول الحق ؟

إن هذا الأخير يعود مبرءاً من أي أثم رسمته الماركسية فوق رأسه .. وها هو الحق البرجوازي يتمكن أخيراً من الإنتصار على هواه ..)

هذا ما قاله شوفنمان في كتابه الأخير (فكرة ما تقودني إلى ...) تعبيراً عن أزمة الخليج الأخلاقية لدى أحرار الغرب ..

ويتابع ! إن أول نجاح كبير في الاستراتيجية الجوية ، كان اسمه هيروشيما ونازغازاكي .

والثاني كان اسمه العراق .

ففي الأمس احتاج الأمر إلى سلاح نووي ، أما اليوم مع الاسلحة التقليدية الحديثة والسيطرة على السماء فإن أربعين يوماً تكفي ومن غير المحتمل أن تتكرر من هنا وحتى وقت طويل ، فالمهم الآن بالنسبة للولايات المتحدة ، هو المحافظة داخل العالم الثالث ، على الفضائل النوذجية والتربوية لهذا الدرس الافتتاحي في نظام عالمي جديد ، (إنْ هو إلا نظامها هي) وأن يظل الصمت والهدوء سائدين في الصفوف . غير أن علاقات القوى تحتاج كي تستمر ، إلى أن تستند إلى ايدلوجية ما ، فتوجيه الاعلام لا يمكن أن يكفي بحد ذاته ، رغم أنّ تقدماً كبيراً قد تحقق في أزمة الخليج ، ولم ير الاعلام الغربي سابقة للسيطرة عليه وترديفه وتكييفه لدرجة المشاركة في التواطؤ ، مثلما فعل في حرب الخليج ، ولعل الفضل في ذلك يعود إلى درس فيتنام . ولم يحصل أن بلغ تحوير الاعلام وتمويهه وتشويهه وتركيبه بمستوى المونتاج الذي بلغه في حرب الخليج (تماماً كما فعل بمدينة تيمشوارا الرومانية قبيل مقتل الرئيس شاوشيسكو) . وقد مثل ذلك اسفافاً فكرياً وهبوطاً أخلاقياً أهان كل مستمع وناظر في العالم كله .

إن التاريخ لم يبدأ يوم ٢ آب . والانسجام في الشرق الأوسط لم يكن مفقوداً بسبب شخص واحد ..

وما حاول الغرب أن يدمّره ، هو مشروع لدخول نهضة حديثة ، والنهضات لها عثرات ، ولم تكن آخرها عثرة الكويت التي سُدت المنافذ وراءها . (إن رسالة الغرب لم تكشف عن مستوى في انحدار الأخلاق فحسب ، بل كشفت عن هبوط في مستوى الذكاء أيضاً) فلاشك أنه سيكون من المضحك ــ المبكي ، اقناع العرب أننا من أجل تطويرهم ، فقد بدأنا بكسر عظام القوة العربية ، الرئيسية في العالم العربي .

لثلاث مرات خلت ، خلال قرن واحد ، بدءاً من محمد علي ومروراً بعبد الناصر وانتهاء بصدام حسين ، يحطم الغرب بوحشية السلاح ، حلم نهضة عربية ، ودخولاً عربياً عريضاً إلى خط صناعة التاريخ العالمي العربي المعاصر .
(شوفنيان ــ المصدر السابق) .

وسيبرز من الآن فصاعداً ، خطر تحول العربي من مطلب التحديث إلى مطلب الهوية ، فإذا لم يتم حل سياسي للمشكلة الفلسطينية . فستلوح في الافق ، تباشير حرب من نوع آخر ، ليس آخرها الاحباط ، وسيأخذ العداء للغرب لباس الاسلام العاصف ... فالتطرف هو دائماً نتيجة مباراة بين متعصبين ، أما الأساس الديني الذي تقوم عليه دولة اسرائيل ، فسيدفع إلى دول دينية أحادية رغم المقاومات المختلفة ، ففي غياب حل عادل للقضية الفلسطينية ، فإن مداً قومياً مُشكلاً من الاسلاميين في غالبيته ، سيكتسح الساحة ، وسيعمل على تذويب العمل الفلسطيني في بوتقته ، فإذا ما فشلت مساعي السلام ، **فإن حرب الخليج تكون قد فتحت ، فيما وراء العراق والخليج ، باب المواجهة الشاملة على مستوى الوطن العربي والعالم الاسلامي معاً ، بين الحضارة العربية الاسلامية والحضارة الغربية** ، وانها تكون بذلك ، قد فجرت منابع متجددة للمقاومة ، متخذة أبعاداً جديدة ، لن يظهر قتل البشر وتدمير الحياة في العراق ، إلا تعبيراً متواصلاً عن روح الانتقام والحقد التاريخي الذي ميز نظرة الغرب إلى المجتمع العربي منذ بواتيه وحتى الآن ، وليس من المبالغة القول ، أن أهم أثر من آثار الحرب ، يكمن في النزوع إلى تأكيد الهوية الخاصة بعيداً عن الغرب وحضارته ، هذا مع تسويد صفحته ومدنيته التي تبدّت كمدينة عدوانية ولا أخلاقية تكيل بمكيالين لما يهمها ولا يهمها .

إن تفسير أبعاد الحرب ، يمثل أهم ما في فقرات الحرب من معنى ، فالقوة الغاشمة لم تعد بالفعل هي العامل الحاسم في كسر ارادة الشعوب ، وإن حصيلة المعركة العسكرية ، ليست أهم ما في التاريخ ، فكم من المعارك العسكرية التي خيضت وتم كسبها ، قد عفرّها غبار التاريخ ، بحيث أصبحت من أهم ضحاياه ، فنتائج الحرب البعيدة هي التي تقرر ، والامكانية التاريخية والسياسية لتوظيف نتائج حرب ما ، هي الأهم ، وقد أصبحت هذه الامكانية بالنسبة إلى الغرب ، معدومة تماماً ، بحيث بات يمثل رمز الاضطهاد والمراوغة والقهر في العالم كله .. من جهة أخرى ، فإن نتائج المعركة العسكرية بين قوة عالمية مهيأة لدخول حرب عالمية ثالثة ، وقوة عسكرية يمتلكها العراق ، لم تكن تشكل وهماً لواهم ، **وتبقى قيمة**

هذه المعركة في رمزيتها ضمن سياق المواجهة الشاملة ، وهذا ما يفسر إصرار أمريكا على تدمير العراق نفسه ، وليس تدمير جيشه أو معداته فقط ، وكان هذا الاصرار بمثابة عقوبة على التجرؤ على المواجهة وقبول المنازلة العسكرية ، أي تدمير أسطورة الارادة العالمية الغربية ، ومع النتائج الكارثية المطلوبة ، فإن الولايات المتحدة على ما يبدو ، لم تسعد بالنصر الكامل ، فما بدأت به الحرب انتهت اليه ، وها هو الحصار مازال مضروباً ضد العراق ، وهو إشارة صريحة إلى أن أحداً لم يلق السلاح على الأقل ، وأن شاهداً من أهم شهود ــ عدم انجاز الحرب بالكامل ، مازال ماثلاً للعيان ..

إن استمرار الحرب المفتوحة ضد العراق ، بعد وقف الحرب رسمياً ، يشير إلى أن استيراتيجية الحرب لا تعتبر نتائج المعركة العسكرية محققة ، لا من وجهة نظر الحاضر ولا المستقبل ، وأن الآثار المادية والفكرية والنفسية كسرت جدار الفزع ، اكثر مما كسرت جدار الارادة ، فنحن عالم ولود ، وتسمح لنا مذاهبنا ، بالإيمان بالأقدار خيرها وشرها ، وأن أجيالاً تموت في سبيل قضية إيمانية هي شهادة ، وأن الجنّة مثواها ، وأن آجالنا في كتاب ، وأن أعمارنا لا تنقص ساعة عما كُتب لها ، ولا تزيد .. وأن إيماننا بوطننا يرقى إلى مستوى الايمان بعقائدنا المنزّلة من السماء ، وأن مواريثنا هذه ، ستنشب في كل سانحة لمواجهة مواريث الغرب ، (طالما هو مصمم على دناءته وغطرسته) وأن حرباً تقتلنا لا تهزمنا ، وأن تاريخنا مليء بالحروب الخاسرة ، وأن مطلقنا هو غير مطلق الغرب ، فمطلقنا يكشف عن الطابع العرضي لكل حاضر تاريخي ، ونظامنا السماوي يشارك بكل قوة في عملية تفتح الإنسان، إذ بدون هذا التفتح لا يمكن أصلاً (ملاقاة الله) أو (اليوم الآخر) بفؤاد آمن ، ومطلقنا يمد يده للاتفاق على كل ما هو إنساني (ومطلق الغرب شاهد في قارات العالم ، آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية) .

فالوعد باليوم الآخر ، هو الهام يتوق فيه الانسان للحنين إلى أفضل كينونة عرفها في تاريخ حياته على الأرض ، إنها شيء آخر ، (اليوم الآخر لدى الغرب هو اليوم الأفضل من أيام الأرض) إنها مجموع حياته وما لم يتم التعرف عليه ،

ويتجسد الانفتاح المليء بالتجربة الملتحمة بالنداء الأبدي (الله اكبر) (اللهدائماً أكبر) (وليس قوانين السوق ، أو هيمنة كواسر الغاب الجدد) وإنساننا في هذا التجاوز لما هو أكبر دائماً ، إنما يتجاوز مشروعاته التي هي (مِن) و(في) حضن مجتمعنا ، لتطفو من حياتنا ، ثم تسمو من ذات قلب حريتنا الراهنة ، باتجاه مشروع أعلى لتحويل العالم .

في مطلقنا ، يمتلك الانسان هنا ، بُعد اللانهاية ، أما دلالته فهي مستنفذه بالحركة اللامحدودة لتجاوز الانسان ذاته في مستوى وحدود تاريخه ، فوعي اللاكال مثلاً ، (الذي لا يمكن أن يعيه نظام متغطرس يشعر أن بمقدوره هدم الكون كله) هو وعي الانسان المتصالح مع (لا كاله) دائماً ، أفلا يستوجب مع هذه الإيمانية المطلقة ، أن يكون الانسان شيئاً آخر ، وأكثر من مجموع تاريخه ؟!..

إن بلوغ العالم المتكامل (المتوازن والمتسامح والعادل) ليس بالنسبة لمطلقنا هو نهاية التاريخ ، بل نهاية ما قبل التاريخ ، إنه ما قبل تاريخ البشرية المصنوع من مجابهات غاب(ما آمن بي مَنْ بات شبعان وجاره إلى جانبه جائع وهو يعلم) ونهاية ما قبل التاريخ ، لن تكون على الأقل ، وحشية كواسر مفترسة تسيل الدماء من أفواهها حول وليمة أمريكية اسمها (كل ما هو نافع فهو مشروع !..).

كتب الحكيم الصيني (بين فو) يصف الغرب قائلاً :

(إن التطور الذي حققته شعوب الغرب في القرون الثلاثة الأخيرة بُني على أسس أربعة :ــ أن تكون أنانياً ، وأن تقتل الآخرين ، وأن تكتسب أقل ما يمكن من النزاهة ، وأن تشعر بأقل ما يمكن من الحياء .

يبقى هناك نتائج ماثلة لحرب الخليج ، وهي ما تشكل لوحة المنطقة الآن (علماً أن هذه اللوحة لم تكن غائبة كلياً قبل أزمة الخليج ، فالوضع منذ حزيران هو الوضع ، ومايحدث هو أنه يزداد تفاقماً وظلاماً) .

ــ فالعراق ، عشية الحرب ، دُمرت قواه العسكرية أو كادت ، وفقد أسلحة استيراتيجية كان لها ثقلها في التوازن النسبي مع اسرائيل ، أو لعلها أفضل ما لدى العرب من أسلحة ..

ـــ والعرب ازدادوا شيعاً (بعد أن كانوا قبائل ومدناً ، ومع ذلك فلا القبائل هي القبائل التي كانت ، ولا المدن هي المدن التي كانت ، والغريب أن المدن والقبائل كلتيهما وصلت إلى نوع من الاستسلام للظروف ، وإن وصل اليه كل طرف من باب مختلف :

□ المدن وصلت إلى الصلح مع اسرائيل دون حل مقبول للصراع العربي ـــ الاسرائيلي من باب الفقر ، آملة أن تجد في المساعدات الاقتصادية الأمريكية حلاً لمشاكل حياتها . (كامب ديفيد ١٩٧٨)

□ والقبائل وصلت إلى ما هو اكثر من الصلح مع اسرائيل من باب الغنى ، آملة أن تجد في المساعدات العسكريةالأمريكية حلاً لمشاكل أمنها (مؤتمر المتعددة الأطراف في موسكو ١٩٩٢) . هيكل أوهام القوة ٦٢٢) .

ـــ لقد ازداد العرب فرقة ونفرقاً ، بعد أن أدمنوا عليها من قبل ، وجاءت أزمة الخليج ، القشة التي قصمت ظهر البعير ، لتكشف اجماعهم المصطنع أو المصنوع حول القضية القلسطينية ، وأصبحت القضية تواجه بعرب يتقنون صناعة الحقد إلى درجة أن اليهود (ليسوا أعداءنا بل العرب ـــ من تصريح لأمين عام مجلس التعاون الخليجي عبد الله بشارة) . أما الولايات المتحدة نصير اسرائيل التاريخي ، فقد جُعلت الآيات الكريمة في خدمة صور رئيسها بوش (سبحان الذي سخرلنا هذا وما كنا له مقرنين) وتحت الصور الموشاة (بآيات من القرآن الكريم) !..

يجري التنكيل بعرب فلسطين. والأردن واليمن والسودان ..

ـــ ازدادت مشاعر الاحباط التي بدت وكأنها تلف سماء العالم العربي من المحيط إلى الخليج ، وحتى بطولات الانتفاضة لم تعد بقادرة أن تهز خلجات الأمة المصدومة ، وقد بدا وكأن ضربة وجدانية ساحقة وجُهت اليها عن سابق تصور وتصميم ، فبالاضافة إلى خمسة أشهر من منع التجول وحرمان اليد الفلسطينية من العمل ، راحت مداخيل الأهل والأقارب في السعودية والخليج تشح ثم راحت

مساعدات غير منظورة ، كانت تقدم من العالم العربي والاسلامي ، تغيب ، وكان ذلك بمثابة إضافة حصار فوق حصار

(وقد ازداد الاحباط حتى لدى عرب مثل بعض المصريين الذين فوجئوا بعد كل ما حدث ، وبعد كل ما قدمته مصر ، بتنكر كويتي يكاد يفقد الانسان ثقتهُ في كل ما هو عربي ـــ د . رفعت السعيد . التداعيات ومهام المرحلة . جريدة السفير في ١٩٩١/٥/٣٠) .

ـــ كانت اسرائيل الدولة الرابحة الثانية بعد الولايات المتحدة ، علماً أنها أرادت مساواتها بمصر في مسألة المساعدات أو الغاء الديون السابقة ، ونسيت اسرائيل أنها تتقاضى سنوياً وبشكل متصاعد (وهي أرقام ثابتة) زهاء ٩ مليار دولار أمريكي ، من الولايات المتحدة ، وهو رقم يتجاوز مرة ونصف ما تقاضته مصر لمرة واحدة !..

هذا وقد عززت اسرائيل قدرتها الاستيراتيجية العسكرية على حساب الأزمة ، وقد كانت منصات باتريوت من أحدث ما أنتجته الترسانة الأمريكية المتقدمة ...

ـــ ثم كانت موجات الهجرة اليهودية التي لم تتوقف قبل الخليج وبعده ، وظل مطار اللد يستقبل يومياً من طائرتين إلى أربع طائرات من يهود روسيا وبولندا واثيوبيا ومخازن يهودية أخرى دون خشية من أحد .

وفوق ضعف العالم العربي ، فقد راح يزداد ضعفاً ، فمع العراق كان يشكو من اختلال التوازن فكيف بدونه ؟

ومع العراق كانت تستنزف موارده الطبيعية والمالية والبشرية ،ومع العراق كانت اسرائيل تستخف بالعرب ، وتفعل ما تشاء ، فكيف مع فقدان هذا الثقل العربي المميز .

ومع العراق كان يتم عزل العرب عن الحداثة والدخول إلى العصر ، وبالضرب المباشر إذا دعت الضرورة .

ومع العراق كانت تجري عرقلة مسيرة التنمية الحقيقية ، وتُهدر الأموال على ضوء مشاريع التصورات والأفكار المستنبتة من آراء الغرب ومصالحه ..

ثم مع العراق وقبول تدميره ، ونزع اسلحته ، واستمرار حصاره ، تسقط ورقة التوت الأخيرة ، عن عورة أنظمة ، استمرأت لعبة الوطن المفتوح والمستباح ..

وفوق هذا ، فإن الغرب ظل يعمل اكثر فأكثر ، على تذويب شخصية العالم العربي ، ومحو فرادته ، بحيث تصبح هذه الشخصية قابلة للتبخر والتلاشي ، وخلال ذلك يتم استنزاف الثروات دون معارض أو مشاكس ، فيما تقوم اسرائيل بدور الحارس المدجج ، نيابة عن أهل المنطقة ، يساعدها في ذلك حالة اختراق خارجي ، لم يشهد له الوطن العربي مثيلاً في تاريخه ، منذ أن خطّ حروفه وحتى الآن .

تلك هي الصورة وبعض نتائجها ، وهي ليست عصيّةً على الفهم ، واستكشاف أغوارها لا يتطلب عبقرية خاصة ، والسؤال هو : إلى أين نمضي من هنا ؟..

يرد الدكتور رفعت السعيد فيقول (لست أخفي أن تحسين الحال العربي المغلف بمنتهى السوء ، هو في صالح القضية عموماً ، كما هو في صالح القضية الفلسطينية ، ومن ثم فإن العام هنا ، يلتقي بالخاص ، ويتابع الدكتور السعيد في مقالته : التداعيات والمهام ــ (جريدة السفير ٣٠/٥/١٩٩١) فيقول :

تتحدد واجباتنا ازاء عرب ما بعد الخليج في مهام يمكن أن تكون في إطار التصور التالي :ــ

ــ الواجب الأول : تشديد الحملة ضد الهيمنة الأمريكية وشجب خضوع البعض لأمريكا ، وكشف القناع عن وجه أمريكا البشع .

ــ الواجب الثاني : مواجهة الاختراق الأمريكي للعقل والفكر والاعلام العربي ، وفضح هذه السياسات في كل مجال .

ــ الواجب الثالث : اعتبار الديمقراطية كمرجع لا يقبل التنازل عن سيادته ، خاصة عندما يتصل الأمر ، باتخاذ قرارات تمس المستقبل والمصير .

ــ الواجب الرابع : عدم اليأس من المضي على تحقيق التواصل الشعبي في

مواجهة ما يفرضه الحكام من قطيعة وتقطيع لأوصال هذه الأمة .

ــ الواجب الخامس : استمرار التمسك بالثوابت القومية وبخاصة الفلسطينية ، وهي معروفة ولا يجهلها مواطن عادي .



الفصل الثامن

نظام عالمي برأس واحد

هؤلاء الذين يدعون إلى نظام جديد في الشرق الأوسط ، يعاملون بكثير من التسامح والاحترام ، هذه المنطقة المضطربة ، إذ يتخيلون أنها قد عرفت سابقاً نظاماً قديماً .

بنيامين بيغن ، عضو الكنيست وابن مناحيم بيغن رئيس وزراء إسرائيل الأسبق .

لا يدل عمود إبن بيغن هذا ، إلا على نوع من الاستسلام لحالة عنصرية ، ولعبارة ليس لها قيمة تاريخية على الأرجح بقدر ما هي تعبير عن حقد طافح ودفين ، فالمنطقة هنا ، من أقدم مناطق العالم التي عرفت النظام والتنظيم ، ليس بعد الإسلام فحسب ، بل وقبله أيضاً ، فحين كانت (كنعان) تبني ممالكها الزراعية ، كان أجداد إبن بيغن ، (إذا كان أولئك هم أجداده حقاً ولا أظن ذلك) يهيمون على وجوههم كرعاة منبوذين . من كلا نظامي كنعان وفرعون على حد سواء . ويحلل فلاسفة وتاريخيون نمط انبثاق الدولة على الطريقة الآسيوية ، كحادثة تاريخية سابقة على انتظام المجتمعات وانقسامها إلى طبقات.ففيما كانت الدولة الأوروبية حاجةً للاضطلاع بدور حارس القوانين التي يسنها المجتمع حفاظاً على حياته وطبقاته واستمراره ... كانت الدولة

الآسيوية قبل ذلك ، (أي قبل سنّ القوانين المتأتية عن تطور ما من تطورات المجتمع) حاجةً لتنظيم ما تقذف به الطبيعة من خيرات أو كوارث ، هكذا كانت دول ما بين النهرين ، وهكذا كانت ممالك فرعون ، وهكذا كانت ماري ورأس شمرا وإيبلا .. فالدولة (النظام) في الشرق واقعة تاريخية مستمدة من وقائع الطبيعة بالنسبة للإنسان ، أما الدولة (النظام) في الغرب فقد أخرجتها ظروف انقسام المجتمع إلى طبقات ، وهي واقعة لاحقة بالنسبة لانضمام البشرية إلى مجتمعات متآلفة .

غير أن إبن بيغن ، صاحب الصيت الذائع في المنطقة ، خاصة بالنسبة للإنسان والتاريخ ، فإنه لا يرى في التاريخ نفسه ، أكثر من وعاء يَعُبّ منه على هواه ... وليس ذلك بغريب ، على جوقة أنكرت في يوم من الأيام ، حتى وجود الشعب الفلسطيني في التاريخ .

عام ١٩٤١ كتب أحد المؤرخين الأمريكيين . أول تعبير تنبؤي يشير إلى قرب تفرّد أمريكا بالهيمنة على العالم .

فقد تنبأ « لوس » أن القرن الأمريكي القادم . هو الذي سيقود العالم ، وأن إسقاطات رؤساء أمريكا التاريخيين من أمثال واشنطن ولنكولن وجيفرسون ، عن عظمة أمريكا ، (لن تكون بعيدة) . بل هي في طريقها لعبور المحيطات والانتشار في جهات الكون الأربع .

لم تكن مسافة ما ، تفصل بين نبوءة لوس ، ونهاية الحرب العالمية الثانية ، فبعد خمس سنوات ، خرجت الولايات المتحدة ، كدولة الطبيعة البكر ، التي لم تثخن الحرب العالمية جراحها مثل أوروبا ، خرجت بصفتها القوة الأعظم الوارثة لأمجاد امبراطوريات أوروبية بدأ الإعياء يدب في أوصالها ، فالزلزال الذي ضرب ألمانيا واليابان ، لم يكن أقل كارثية ، من ذاك الذي أقعد بريطانيا العظمى ووضعها على شفير الإفلاس ، والخراب الذي طال فرنسا وإيطاليا جعلها منقسمة على نفسها ، بانتظار مشاريع أمريكا لإعادة الإعمار ، والدمار الذي لحق بالاتحاد السوفييتي كان غنياً عن الوصف ، إذا ما أضيف إليه زهاء ٢٠ مليون قتيل ... وانبثقت الولايات المتحدة كمالك وحيد لهذا العالم ...

بلغة التاريخ أو الأسطورة ، فإن الآلهة أو الأقدار ، كانت قد ساقت لامبراطوريات مثيلة مصائر الشعوب كي تكون في ظل مسؤوليتها ، أو رعايتها الطبيعية ... فقبل الميلاد نحت شيشرون عبارته الشهيرة (مثلما نحت لوس) : « إن الشعب الروماني يتحمل مسؤولية الكون ، مع فرض القانون الروماني المتحضر على جميع الشعوب البدائية بالإقناع أو الإجبار » .

وكان ذلك ما أطلق عليه مرحلة (السلام الروماني) في مراحل لاحقة ، كانت بريطانيا ترى أن يد التاريخ الجليلة فرضت عبئاً على الرجل الأبيض ، وخلال اندلاع الحرب العالمية الأولى ، كتب مؤرخ بريطاني إسمه (جورج إينون) أن « حسّ الامبراطورية ملائم لمزاج الإنكليزي ، لكن ضميره الاجتماعي ينفر منه .. إذن ماذا بوسعه أن يفعل ؟ والجواب هو أنه لا مهرب من قبول هذا الواجب السامي الذي فرضه الله وهذا الشرف الذي أسبغه عليه القدر » وكان ذلك ما أطلق عليه مرحلة (السلام البريطاني) .

غير أن (القرن الأمريكي) بنظر بعض الدهاقنة من ساسة الولايات المتحدة ، يختلف من حيث الباعث ، عن السلامين الروماني والبريطاني في التاريخ ، ففيما كان السلامان في الجوهر التاريخي ، سلسلة ترتيبات من أجل توسيع وانتعاش المصالح الرومانية والبريطانية على حساب شعوب الأطراف ، أو شعوب العالم . وفيما كان يتم خلق نسق خاص لحماية هذه المصالح من قبل الامبراطوريتين التاريخيتين ، فإن الولايات المتحدة ، حسب فلاسفة عصرها ، (على النقيض من روما وبريطانيا ، فامبراطوريتنا ، كما يقول رونالد ستيل ، لم تقدم على استغلال أطرافها وشعوبها ، بل على العكس تماماً ... نحن الذين استغلتنا الشعوب ، ونهبتنا الأطراف ، واستنزفت مواردنا وطاقاتنا وخبراتنا) .

ما يفعله السلام الأمريكي الآن ، هو المواءمة بين مصالح الولايات المتحدة ومصالح الإنسانية جمعاء .. أما أولئك الذين يعترضون على هذا التصحيح ، سواء أكانوا حكومات أو حركات سياسية ، فهم عصاة يضمرون أفكاراً عدوانية وشريرة ضد مبادئ الشرعية الدولية والمجتمع البشري بأسره والحرب ضد أولئك العصاة ، تصبح

تأسيساً على ذلك ، مهمة مقدسة ، هبة الله والقدر ، لأنها تستهدف خير البشرية والمجتمع الدولي ، وحملة صليبية مشرّفة ، من أجل عالم لائق ، حر وديمقراطي ، هي المخرج الوحيد .

في الأيام الأولى من إدارة بوش ، تذكرت صحيفة نيويورك تايمز مقطعاً من عرض حول مفهوم الأمن القومي عشية انتهاء الحرب الباردة ، بعنوان (التهديدات القادمة من العالم الثالث) . وهذا المقطع يقول :

« حين تنطوي الحالة على مواجهة بين الولايات المتحدة وأعداء أكثر ضعفاً ، عندها لا ينحصر التحدي في هزيمة هؤلاء فحسب ، بل في هزيمتهم على نحو سريع وحاسم .. أية محصلة أخرى ، ستكون محرجة ، وقد تختزل الدعم السياسي » .

وبين الخطب الطنانة التي أطلقها بوش بعد اندلاع أزمة الخليج ، كانت له عبارة ذات مغزى (في حياة أية أمة ، ثمة برهة تدعونا لتحديد مَنْ نكون ، وبماذا نؤمن ؟ » .

وبعد أن أشهد الله على رفس علّة فيتنام إلى الأبد ، راح بوش يدشن تضاريس العالم الجديد ، فهناك ما هو أكثر من النفط ، إحياء الهيمنة الأمريكية من جديد ، ولعب دور الشرطي ذي الهراوة الغليظة في العالم الثالث .

تحديد مَنْ نكون وبماذا نؤمن ؟ ... كان جدالاً مع النفس ، حول الهوية القومية لأمريكا ، حول دورها ومكانتها في عالم ما بعد الحرب الباردة ، وحول جدل توترها واصطدامها مع الهويات الأخرى في جنوب عالم فقير .

كان بوش يرنو لأمريكا جديدة في عهده ، تستطيع أن تكون القوة الوحيدة القادرة على تأسيس شكل من أشكال النظُم السياسية لاقتصاد العالم ، بحيث يبيع الحماية للأغنياء بشكل مناسب .

فالمقاطع المسربة عن خطط الولايات المتحدة وأفكارها ، بعد انتهاء الحرب الباردة ، **لا تشير إلى عالم جديد ، بقدر ما تشير إلى الإحساس بانعدام الوسائل السلمية ،** فالولايات المتحدة ، في مواجهاتها مع العالم الثالث ، غالباً ما تكون ضعيفة سياسياً ، ومطالبها ليست مرشحة لاستدرار الدعم من الرأي العام ، أمّا وضعها فأقرب ما يكون إلى صورة ذئب يحتج على حَمَلٍ كان قد عكّر عليه صفو الماء ، ولهذا فإن الدبلوماسية

لعبة خطرة وخصم عنيد ، وهي تستوجب الإيجاز بأبلغ العبارات كيلا يهزمها عدو متربص من أعداء العالم الثالث ، **فإذا ما تحقق شرط وقوع الدبلوماسية في الكارثة ، فإن مانشيت (النظام العالمي الجديد) يجب أن يظهر بكل صفاقة : (نحن السادة ... وعليكم أن تمسحوا أحذيتنا) .**

بعد فترة ، سيقول بوش على لسان نورمان بود هوريتز أحد منظري الحقبة الريغانية (لن نقع بعد اليوم تحت وطأة النواهي المقيتة التي تحول بيننا وبين اللجوء إلى القوة العسكرية) .

إن مبدأ (أن تضرب العُصاة وأنتَ واثق أنك ستلقنهم درساً لن يُنسى) كان من أهم مبادئ النظام العالمي الجديد ، **فالانتصارات السهلة قد تعبئ الرأي العام الداخلي ، وتحرف الانتباه عن الكوارث الداخلية ــ لوس أنجلوس مثلاً ــ وهي ليست مسائل بسيطة على قوة وحيدة ، تريد أن تبني العالم على هواها ، فيا هي تخطو حثيثاً نحو مجتمع قلق ، ينقسم إلى فئتين ، تكتسب إحداها سمات صاعقة ينفرد بها عالم الفرق بين الشمال والجنوب .**

هل يمكن لأمريكا أن تحافظ طويلاً على تسيُّدها المطلق أحادي القطب ، حسب مونولوج وضعها الداخلي ؟

إن مرأى وزراء الخارجية والخزانة والدفاع ، إبان أزمة الخليج ، وهم يقلعون من واشنطن باتجاه جهات الكون الأربع ، حاملين حقائب الصفيح بحثاً عن الدعم المالي لنشر القوات الأمريكية في الخليج ، يكشف عن هوّة فاغرة بين حقل أمريكا الجيو ــ سياسي وبين مواردها ، ألا يعني أن المنظرين لاضمحلال أمريكا هم على حق ، وأن أحادية القطب هذه غير مرشحة للدوام ؟ ...

ولا يعني ذلك ، أن توسع أمريكا خارجياً ، مع ما يلزم من إنفاق على الدفاع والأمن ، هو أول الأسباب لتراجع أمريكا الاقتصادي ، بل لعله آخر الأسباب ، فالولايات المتحدة لا تنفق أكثر من ٥ بالمئة من ناتجها القومي على شؤون الأمن والدفاع ، وهو مع ذلك رقم هائل إذا فُهم أن الناتج القومي الأمريكي يتراوح ما بين ٢٢ إلى ٢٦ بالمئة من الناتج القومي للعالم بأسره .

ويقول تشارلز كراوت هامر في مجلة فورن بوليسي (شؤون خارجية) في نيسان ١٩٩١ مايلي :

(إن الفكرة القائلة أننا نستهلك أنفسنا في إملاق خارجي ، أي استنزاف الاقتصاد في سبيل التمدد الخارجي ، لهي فكرة خاطئة كل الخطأ ، فانهيار أمريكا نحو المرتبة الثانية اقتصـادياً لن يكون لأسباب خارجية ، بل داخلية ، فالمعدل المنخفض للادخار الأمريكي ، والنظام التربوي المتدني والإنتاجية الراكدة وانحطاط عادات العمل وتفشي الكحولية والمخدرات ، وارتفاع الطلب على وسائل الرفاه الاستهلاكي والبيئوي .. وكل ذلك لا علاقة له البتة بالتزامات الولايات المتحدة العسكرية تجاه أوربا والشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية ، ففي حين تبقى معدلات الضرائب ثابتة بين ١٨ إلى ١٩ بالمئة خلال ثلاثين عاماً سابقة ، مع انخفاض نفقات الأمن والدفاع ، ومع ارتفاع الدخول إلى الضعف خلال الفترة نفسها ، تكون المغامرات الخارجية ليست وراء اقتصاد ديون لم يسبق له مثيـل في تاريخ الولايات المتحدة . إن ذلك يعود بالدرجة الأولى ، إلى إيديولوجيا ضرائب منخفضـة أو ثابتـة ، لا بقـاء شعبية براغماتية لرئيس الولايات المتحدة ، فيما تظل الرغبة الجامحة لمستويات معيشة عالية ، دون تسديد الكلفة) .

وإذا أحلنا كلام هامر في مجلة الشؤون الخارجية إلى وقائع سياسية ، **فإن تورط الولايات المتحدة في الخليج ، يتبدّى في وجوه عديدة ، كهدف من الأهداف الجوهرية في الاقتصـاد الأمريكي ، فطالما أن المطلوب هو المواظبة على السياسة الخارجية لأمريكا ، باعتبارها إحدى مصادر النفع ، وأن الأسباب الداخلية هي المسؤولة عن تراجع الولايات المتحدة اقتصادياً ، فإن أزمة الخليج ، كعدادات النفط عموماً ، أعطت ضخّة إضافية لعجز أمريكي داخلي ، على شكل ربح صافٍ ،** وقد قدّرها أحد خبراء الاقتصاد الألماني ، أنها تتجاوز ١٨ مليار دولار . (وهو الفرق ما بين رقم ٦٠ مليار دولار كلفة حرب نظرية طلبها الأمريكيون من السعودية والكويت ودول الخليج ، وألمانيا واليابان بصورة رئيسية ، و٤٢ مليار دولار وهو المبلغ الفعلي لتكاليف الحرب ، الذي صرّحت به الإدارة الأمريكية أمام الكونغرس) .

غير أن الربح الحقيقي ، للسياسة الأمريكية الخارجية في الخليج ، يأتي عبر استحواذ

الولايات المتحدة قبل الحرب وأثناءها وبعدها ، على مجمل عقود التسلح وإعادة الإعمار وقد وصلت عقود التسلح بالنسبة للسعودية وحدها خلال ستة أشهر إلى حدود ٢٠ مليار دولار ، أما عقود الأعمار بالنسبة للكويت فقد وصلت إلى حدود ٣٥ مليار دولار ، وذلك عبر ورشة أمريكية لإعادة الإعمار من خلال أكثر من مائتي عقد موقع مع الشركات الأمريكية .

في النظام الدولي الجديد ، ذي الهيمنة الأمريكية الوحيدة ، كان جورج بوش ، قد دشن حقبة ما بعد الحرب الباردة بغزو إجرامي ضد بنما ، فارضاً حكم أقلية بيضاء لا تتجاوز ١٠ بالمئة من السكان ، وضامناً السيطرة الأمريكية على القناة والقواعد التي تستخدم لتدريب مجرمي العصابات ، ومروعي أمريكا اللاتينية ..

وكي يعرف المرء طبيعة النظام العالمي الجديد ، لا بد من الوقوف على النظام القديم الذي ظل قائماً قبله ، منذ ١٩٤٦ وحتى ١٩٨٩ وما سمي بفترة الحرب الباردة .

لم تكن الحرب الباردة أكثر من أسلوب لتنظيم العلاقات الدولية والتكوين الأساسي لأشكال تنافس القوى العظمى بعد أن سكتت مدافع الحرب العالمية الثانية .

وحسب توصيفٍ اعتاد عليه الجميع ، فإن الحرب الباردة ، كانت أزمة مستعصية بين الشرق والغرب ... والتهديد باستخدام الردع النووي هو الذي منع نشوب الحرب عملياً ، غير أن توصيفَ طبيعةِ الأزمة ، ظل منشا النزاع الدائر بين التيارات اليمينية واليسارية المتصارعة ، فالتيار اليميني كان يرى في طبيعة الأزمة ، ما يشكّل فارقاً بين الحرية والديكتاتورية ، أما اليسار فكان يرى بالعكس ، أن الأزمة ذات مضمون اجتماعي ، وهو ما يمثل الفرق بين الرأسمالية والاشتراكية .

من الناحية العملية ، فقد أعطت الحرب العالمية الثانية ، حلولاً لبعض المشكلات الاقتصادية والاجتماعية المستعصية ، أما عالم الحرب الباردة ، أو بصورة أدق ، في السنوات العشرين الأولى منها ، فقد أعادت إنتاج حلول الحرب الثانية ، حين ظلت محافظة على مناخ الحرب مع استخدام إدارة الاقتصاد وتوليد تقاربات اجتماعية مبنية على أساس تجديد وتنويع أساليب الإنتاج الرأسمالية .

لقد حلّت الحربان ، الساخنة والباردة ، مشكلات الركود الاقتصادي الذي بلغ أوجه في الثلاثينات من هذا القرن ، كما أعطت زيادة هائلة في الإنفاق الحكومي ، مما عمل على عقلنة الفوارق الطبقية في الولايات المتحدة وأوروبا .

وقد أدى ذلك إلى خلق إجماع سياسي من قبل أحزاب سياسية متعددة ، كما طبع إحساساً بالتضامن الداخلي ، هدفه جماعية الاشتراك في قطف ثمار الحرب ، ومن المفارقات التاريخية الحقيقية ، أن الولايات المتحدة في مرحلة من مراحل ما بعد الحرب ، انتقلت سياسياً وفكرياً إلى أقصى الغلاة في التيار اليميني مؤكدة مقولة الصراع (بين الشرق والغرب) القائمة على أساس الفارق بين الحرية والديكتاتورية ، فيما راحت أوروبا تنتقل بشكل دراماتيكي (صعود الأحزاب الشيوعية واليسارية في كل من فرنسا وإيطاليا والعديد من بلدان السوق) إلى صف الفوارق الاجتماعية التي كانت سبباً في انقسام العالم إلى معسكرين . وقد بدا أن الحكومات الأوروبية الميّالة للطابع اليساري ، وكأنها تجتاح القارة الحليفة مما أدى بالولايات المتحدة إلى خفض حجوم دعمها المالي لحلفائها السابقين .

كانت الحرب الباردة وسيلة لإعادة خلق إجماع تعددي وحسٌ بالتضامن التحالفي ، بين الولايات المتحدة وبريطانيا على أقل تقدير ، وقد تم ذلك على نار مؤججة هدفها طبخ المزيد من المسوغات القائمة على تهديدات الاتحاد السوفيتي ، أو ما كان يُعرف غربياً ، بإسم امبراطورية الشر في هذا العالم .

في مرحلة لاحقة ، ستكتشف حكومات أوروبية جديدة ، مع الولايات المتحدة ، إطاراً سياسياً لتنظيم الاقتصاد الدولي (في جوانبه المالية والتجارية والتكنولوجية) بالإضافة إلى منهج يقنع الطرفين (الأمريكي والأوروبي) بصرف فائض الدولارات على مشاريع اقتصادية مشتركة ... ومع حلول سبعينات هذا القرن ، راح العصر الذهبي للرأسمالية الأمريكية يقترب من الغروب ، فقد تميزت عقود السبعينات وبعدها الثمانينات ، كمراحل مختلفة لردود الفعل وتراجع الصيغة الفوردية الساعية لتوسيع الرأسمالية وتنويعها ، (حيث من أهم سماتها الإنفاق الدفاعي الكبير ، والدخل الفردي الهائل الذي يذهب كله للاستهلاك) .

ثمّ راحت سياسات عالمية جديدة تنبثق من خلال ثورة التكنولوجيا ـــ المعلوماتية ، التي أدت إلى نشوء تراكمات رأسمالية خطيرة في ألمانيا الغربية واليابان ..

ومع انتهاء الحرب الباردة ، وسعي الولايات المتحدة كقوة عظمى وحيدة ، إلى إرساء نظام عالمي جديد ، لا ينافسها فيه أحد ، **لم يكن مستغرباً أن تحشد ثلاثة أرباع قوتها القتالية في الخليج ، وأن تستخدم دبلوماسية مسدودة بلهجة حاسمة ، لم تُستخدم سابقاً ضد جنوب أفريقيا أو إسرائيل ، أو حتى ضد مخاطر أوروبا الشرقية الشيوعية ؟ ..**

ويفسر المراقبون هذه الأعراض ، أن أمريكا التي حشدت في أزمة الخليج ما يتجاوز حدود الأزمة بكثير ، كانت تريد أن تستهل النظام الدولي الجديد ، بإرسال رسالة لا للعراقيين فحسب ، ولا للعالم الثالث فقط ، بل لكل القوى العالمية الأخرى التي يمكن أن تكون مرشحة للتساوي اقتصادياً مع الولايات المتحدة بعد سنوات معدودات . لم يكن من باب المغالاة القول : أن القوة الأمريكية في الخليج ، إنما كانت نموذجاً تعرضه الولايات المتحدة لأصدقائها قبل أعدائها ، بعد أن مُهدت الأرض لحرب لا رجعة عنها . وبعد أن أُزيل أي اهتمام بحقيقة ساطعة جليّة مفادها أن سبباً واحداً رسمياً لم يُطرح كمسوغ للذهاب إلى الحرب (فالعراق قبل بإعطاء النفط إلى أمريكا ، والعراق قبل بمبدأ الانسحاب على أساس القرار ٦٦٠ الصادر عن مجلس الأمن ، والعراق ثالثاً انسحب بصورة فعلية ، واستمرت الحرب ، والعراق وافق أخيراً على نزع أسلحته الكيميائية والنووية ، وعلى قرارات مجلس الأمن ... ومع ذلك بقي الحصار ..) **إنها مرة ثانية علامة كبرى من علامات ثقافة توتاليتارية ، وصرح من صروح النظام العالمي الجديد .**

ثمة سؤال يطرح نفسه هنا :

هل تستمر الدبلوماسية الأمريكية الهادئة مع أصدقاء فترة الحرب الباردة ، على ما هي عليه ، أي على حساب الشرعية الدولية ، في مرحلة النظام العالمي الجديد ؟ وهل تواظب الدبلوماسية الأمريكية المألوفة على إظهار نفسها في وجه أعداء مرحلة الحرب الباردة ، في مرحلة هذا العالم الجديد ؟

فإذا كان الأمر كذلك ، فما الجديد في النظام القديم ؟ لقد وصم مفكرون أمريكيون بارزون من أمثال كيفن رويتز وادوارد سعيد ودانييل بابيس ونوام شوموسكي وماري كالدور وغيرهم ، النظام العالمي الجديد ، أنه طافح بالعنصرية خاصة حين يدرس المرء ردود أفعاله أمام المشكلات الدولية الدولية ذات الطابع المشترك ، والتي يُكال لها بمكيالين منضوحين .. وقد درس دانييل بابيس هذه الظاهرة ، فوجد أن العداء موجّهٌ بصورة خاصة إلى الشعوب المسلمة ، فبعد الفراغ الذي ألمَّ بالساحة الدولية ، نظراً لانسحاب الشيوعية من الصراع ، فإن الأمريكيين باتوا يستعدون ويعدون أنفسهم لخصمٍ جديد .

على أساس من ذلك ، **يلتفت الأمريكيون والأوروبيون أيضاً إلى غول تقليدي إسمه : المسلم . بعضهم يشدد على بلدٍ بعينه ، إيران ، ليبيا ، العراق .. غير أن الغالبية الساحقة تنظر إلى الشرق الأوسط بأسره ، إذا لم يكن العالم الإسلامي بأجمعه ..**

وقد انقسم القلق حول التهديد الإسلامي إلى فرعين متمايزين ، الأول يركز على خطر القوى الإسلامية الإقليمية مثل إيران ــ باكستان ــ العراق وبدرجة أقل ليبيا ، (حيث يمكنها بشرائها التكنولوجيا الحديثة أن ترسل صاروخاً نووياً إلى إيطاليا أو فرنسا بمنتهى السهولة كذلك الجزائر ، أو في مرحلة لاحقة مصر ...) أما النوع الثاني فيركز على خطورة الإسلام المهاجر إلى أمريكا وأوروبا .. إذ قد ينجح المهاجرون المسلمون في تخريب الحضارة الغربية من الداخل ، وقد بات دارجاً اليوم في الصحافة الغربية عموماً والأمريكية خصوصاً ، استذكار آخر تهديد إسلامي للكون المسيحي الغربي ، فعام ١٦٨٣ كان موعد الغرب مع الحصار العثماني لأسوار فينا .. وقد تمَّ إحياء الحدث لأول مرة . في الولايات المتحدة ، وليس في فينا ، أثناء الحرب الأخيرة في الخليج ، ففي الشهر الأخير من عام ١٩٩٠ ، حذّر وليام ليند (وكان من قبل مستشاراً لمرشح الرئاسة الأمريكية غاري هارت) من أن (**إشكالية الانهيار السوفيتي قد تنطوي على احتمال أن تقوم الجيوش الإسلامية بمحاصرة بوابات فينا من جديد**) .

وفي صحيفة صاندي تايمز اللندنية ، تصدرت افتتاحية بعد أسبوع من الاحتفال

بذكريات بوابات فينا ، قالت فيه : (في كل شهر تقريباً يتراجع الخطر القادم من بؤر توترات عديدة في هذا العالم ، ليحل محله تهديدٌ قادم من الأصوليين المسلمين وليطبَعْ ما تبقى من هذا القرن وما بعده أيضاً ، إنه تهديد يختلف في النوع والدرجة عن تهديد الحرب الباردة ، وعلى الغرب أن يتعلّم كيفية احتوائه) ودعت الصحيفة المذكورة ، كلاً من الغرب والامبراطورية الروسية (للاستعداد لآفاق هجمة إسلامية أصولية هائلة) تمتد من مراكش إلى الصين . وقالت : (إن دور روسيا كجزء من الغرب يحتل مكانة خاصة في ضوء إمكانية الإحياء الإسلامي ، إن الإمبراطورية الروسية تسيطر على حدود الكون المسيحي ، ضد عدو مشترك ، هو الإسلام ، فإذا أصاب الإمبراطورية الروسية في آسيا خطر التفكك والانهيار ، فليس مستحيلاً احتمال نشوب حرب دينية تتضمن أسلحة نووية وكيميائية وبيولوجية ، وقد أثبت الإيرانيون والعراقيون أنهم قادرون على ذلك) ويؤكد بابيس ، أن هناك ثمة أسس واقعية للخوف من الإسلام ، فمنذ موقعة أجنادين عام ٦٣٤ ميلادية وحتى حرب السويس عام ١٩٥٩ ، كان العداء العسكري هو العامل المهيمن على العلاقات المسيحية ــ الإسلامية ، وقد ظهر المسلمون كأعداء أساسيين منذ معركة بواتيه (بلاط الشهداء) وحتى آخر معركة لدون كيشوت (الذي كان يقطع أغصان الأشجار بسيفه على أنها تمثل فرساناً مسلمين) ، في واقع الأمر ، كما يقول بابيس ، فقد اكتسب الأوروبيون الشماليون دولتهم بطرد المسلمين بدءاً من استعادة اسبانيا في مطلع القرن الثاني عشر وحتى حرب استقلال ألبانيا عام ١٩١٢ .

الآن .. هل ثمة عوامل حقيقية تضع الإسلام في مثل هذه الخطورة على الغرب ، كيما يكتسب هذه الدرجة القطعية من العداء ؟ إذا كانت الوحدة القومية لأمة واحدة قد فشلت مثل هذا الفشل الذريع ، فما هي عاقبة مخططات هدفها جمع شمل مليار مسلم من أمم شتى في هذا العالم ؟ . أليس ثمة حقائق تلف الكون الإسلامي من أقصاه إلى أدناه ، وتأسيساً على ذلك ، ما هي حقيقة وضع تركيا الإسلامية ، باكستان ، أندونيسيا ، الشرق العربي الإسلامي ، الخليج والسعودية ، إسلام بلاد السوفييت سابقاً ، وإسلام البلقان ، الهند ، الصين ، وغيرها من حقائق الإسلام الراهنة ، التي

ليس آخرها الحروب الدامية ، التي دارت رحاها بضراوة ، فوق مساحات إسلامية من الدِّف إلى الدّف .

إن وجه النظام العالمي الجديد ، منذ بدايته ، يبدو قاتماً بالنسبة لشعوب العالم الثالث بصفة عامة ، والشرق الأوسط بصفة خاصة ، فالقوة العظمى المهيمنة عليه ، رفضت على الدوام أية مقاربة دبلوماسية جدية لمشكلات نزع التسلح والأمن الإقليمي بصورة متكافئة ، ففيما يتم تدمير نواة مشاريع صناعة عسكرية متطوِّرة بحكم أمر القوة الواقع بالنسبة للجانب العربي ، أو التواطؤ من أجل تدميرها في أقطار عربية أخرى ، يتم التغاضي عن صناعة عسكرية ناجزة في إسرائيل ، وقد توصلت هذه الصناعة إلى إنتاج حوالي مائتي قنبلة نووية محمولة على رؤوس صواريخ إسرائيلية قادرة على الوصول من نواكشوط وحتى البصرة .. وهذه المكاييل الملتبسة ، تجعل من الولايات المتحدة ، قائدة العالم الجديد ، قاضياً لا يعرف النزاهة في حياته ، وطبقاً لإلحاح هنري كيسنجر ، فإن العقدة الثانية التي ينبغي حلها على الطريقة الأمريكية ، هي عقدة المسألة الفلسطينية .. وقد شرح كيسنجر فضائل إبقاء أوروبا واليابان خارج الدبلوماسية الأمريكية اللاحقة في الشرق الأوسط ، أما الاتحاد السوفييتي سابقاً فيمكن القبول بروسيا منه على افتراض أنها ستكون طيّعة وسط ضائقتها المالية المتنامية ، وكذلك بريطانيا .

بالنسبة للمشكلة الفلسطينية ، تستطيع الولايات المتحدة الآن ، أن تشرع في الحل كما رأيناه في مدريد أو واشنطن ، المراوحة في المكان ، وطرح كل ما هو شكلي على هامش الموضوع ، وبالعكس ، فإن إسرائيل حتى الآن ، لا تعترف ولا تقبل أن تعترف بأراضٍ عربية محتلة ، فالجولان ضُم إلى إسرائيل ، والقدس عاصمة إسرائيل التاريخية ، والضفة الغربية ، هي يهودا والسامرة ، أما (القطاع العقيم) فيمكن التفاهم عليه مع مصر ، كما يمكن الاستعانة بمؤشر (بانتوستان ــ وهو وطن للسود أقيم خارج نطاق أفريقيا الجنوبية يُسمح فيه بتطوير حكم ذاتي ، على طريقة كتل السكان المبعثرة) وهذه الكيانات تسمح باستخدام السكان كاحتياطي لليد العاملة أو المواد الخام ، وإليها يصدر المركّز بطالته حين تقتضي الضرورة ، (أي قذف السكان العرب في فلسطين إلى الكيان المبعثر خارجها بحجة البطالة أو العطالة) .

وهكذا فإن الأراضي العربية المحتلة ، سوف تدار وفقاً للخطوط الأساسية التي تضعها الحكومة الإسرائيلية ، وفي إطارها يمكن السماح للفلسطينيين بجباية الضرائب في نابلس ، وسيجري انتقاء ممثليهم السياسيين بالنيابة عنهم ، مع استبعاد منظمة التحرير الفلسطينية ، وستجري (الانتخابات الحرة جداً) تحت الرقابة العسكرية الإسرائيلية ، في حين تكون القيادات الفلسطينية التي كشفت عن نفسها صراحةً في معسكرات الاعتقال ، وسوف تُبتكر للسياسات القديمة أعذارٌ جديدة ، وسيجري الترحيب بهذه الخطوات باعتبارها غايةً في التعقل والكرم .

أما التنمية الاقتصادية التي منعتها إسرائيل عن الفلسطينيين دائماً ، فلن تجد طريقها في ظل سياسة إسرائيل المستمرة ، للاستيلاء على مزيد من أراضي الفلسطينيين الزراعية ومصادر مياههم ، وعلى هذا ، فقد سمح الاقتصاد الإسرائيلي ، بالضروري اللازم لاستخدام اليد الفلسطينية في شروط متدنية للأجور ونوعية العمل ، وفي مرحلة من مراحل حظر التجول الذي استمر زهاء ستة أشهر ، أي منذ اندلاع أزمة الخليج وحتى أواخر شباط من عام ١٩٩٢ ، فقد تمَّ إيقاف اليد العاملة الفلسطينية عن العمل بصورة نهائية ، وقد بات بإمكان المنتصرين أن يفرضوا شروطهم في المراحل اللاحقة ، على كل الحركة المتعلقة بمسيرة السلام ، خاصة إذا كان مقرراً لها ألا تلد شيئاً .

يقول إسحاق رابين ، وهو أحد المرشحين لرئاسة الحكومة ، في انتخابات حزيران ١٩٩٢ :

« إنني راضٍ كل الرضا عن الحوار الدائر بين الولايات المتحدة ومنظمة التحرير الفلسطينية ، أي تلك النقاشات التي لا هدف لها ولا معنى » .

بعد ذلك ، توعَّد رابين أبطال الانتفاضة قائلاً : « الفلسطينيون سينكسرون ، سوف يسحقون ، سوف يموتون أو يتحولون إلى غبار بشر وحثالة مجتمع ، وسيُقذف بهم إلى الطبقات الفقيرة في المجتمعات العربية ، هذا هو مصيرهم المحتم » .

وفي الوقت الذي يتدفق فيه سيل المهاجرين من اليهود الروس إلى فلسطين ، تقوم الولايات المتحدة بمنعهم من دخول أراضيها طبقاً لقانون يحظر عليهم مبدأ الاختيار الحر للأوطان التي يسعون إليها ، وتبقى الحلول الدبلوماسية عائمة في ظل التخبط في استقراء

معالم خطة الولايات المتحدة وشامير من جهة ، وخطط حزب العمل ـــ رابين ـــ بيريس ـــ من جهة أخرى .

لقد أخذت القيادة السياسية لنظام العالم الجديد ، وهي قيادة خالقة لكوارث اجتماعية واقتصادية في داخل بلدها ، أخذت بنصيحة صحافة الأعمال والمصالح ، فحولت قوَّتها العظمى إلى ما يشبه مافيا كونية ، تبيع حمايتها للأغنياء ، وتدافع عنهم ضد تهديدات عالم متخلِّف .

بالنسبة للغرب ، ووليد حضارته الكوني ، الولايات المتحدة فإنه هو وارث التاريخ ، أو ما بعده .

يقول فرانسيس فوكوياما في أطروحته حول (نهاية التاريخ) (نحن سكان عالم ما بعد التاريخ ، ينبغي أن نتذكر دائماً أن التحولات الجوهرية الكبرى في السياسة العالمية لا تجري في صحراء الشرق الأوسط النائية ، ولكن هناك في هذه العجوز أوروبا ، صاحبة مهد فكرة الحرية الإنسانية) .

لقد كان من السهل على الغرب أن يحيل كل الشرور ، بعد اندحار امبراطورية الشر الشيوعية ، على رمال صحرائنا العربية ـــ الإسلامية ، لكن المشكلة أنه كان يصدق نفســه دون عناء ، من أنَّ الأمور على خير ما يرام في حدائقه الخضراء ، وقد نسي الغرب ، الذي يريد أن يقول شيئاً متفرداً اليوم أن حداثته كلها بنيت على مرتكزين تاريخيين ، لا يستطيع تجاهلهما :

ـــ عصر التنوير الذي اعتبر العقل كمرجع أعلى للحداثة ذاتها ، وفي ذلك الكثير من رشوحات فكر الشرق وتاريخه ، بما فيه الزمان العربي في الأندلس .

ـــ عصر التوسع في آفاق الذهن والمخيلة الغربيين المتأتي عن وضع اليد على العالم ، وفي ذلك ما يلغي فرادة الغرب الخاصة ضد الآخر ..

وإذا كان الواقع السياسي محل نزاع وتفكك على الدوام ، فإن بناء شرق مُتصوَّر ، ساعد في إضفاء الوحدة والتجانس على فكرة الغرب التي تلعب دور الخالق ، فالشرق المتصوَّرْ مرآة تجد فيه أوروبا ، ثم أمريكا قائدة النظام الدولي الجديد لاحقاً ، انعكاس صورة تفوقها ، وحين تعلمت توظيف اختلافها عما هو غير أوروبي ، أخذت توظف

أيضاً ذلك التفوق لبلوغ درجة باهرة من نجاحها في فرض سيطرتها على على ثقافات وضيعة .. الشرق بثقافاته لا يمكن أن يكون سوى مشروع التحديث المستحيل ، إنه لا يمكن أن يكون سوى ذلك ، لأن الاختلاف وتفوق الغرب بحد ذاتهما نهضا على هذه الصورة من (الآخر) العربي والإسلامي .. فثقافة الغرب تُحدد على أساس بربرية الشرق وجمالُ الغرب يحدد على أساس من قبح الشرق ... ما الذي سيحلُّ بثقافة الغرب إذا ما قيِّض للشرق أن يتحدث ؟ أية إشكالات ستنشأ عن ذلك ، وما هي ردود الفعل ؟ .

تأزم الحداثة هذا هو ما يواجه الغرب منذ مشروع محمد علي في مصر ، وكل مشروع لاحق بعده ، إذ في هذه المشاريع يهاجم الشرق كل المعايير التي حددت فرادة وتفوق الغرب ، وهو يخترق الحدود التي ميزت بين العقلانية واللاعقلانية ، أي بين الغرب الحديث والشرق ما قبل الحديث .

هذا هو الفرق بين السلاح النووي الإسرائيلي العقلاني ، وبين السلاح النووي العربي اللاعقلاني ، وحيث لا يمكن للاعقلانية العربية إلا أن تتفجَّر ، إذن فستصبح هذه القوة قوة وحشية بربرية منفلتة من عقالها ، أما جيوش السيد (العقل) . وهي جيوش القوة المهيمنة مع حلفاء طور ما بعد التاريخ ، فعليها يقع شرف سحق هذا المنفلت غير العاقل ، والحق فإن الذي يجب أن يسحق في كل مرة يسعى فيها الشرق لاستلام طريقه ، هو الحداثة .

بالنسبة للغرب ، يتوجب منع مصر ، وسورية ، والعراق ، وكل قطر يمتلك أهلية القوة الإقليمية ، من أن يقترب من الحداثة ، والحداثة بمفهومها ، ليست أسلوب عسكرة ، بل أسلوب حياة ، فهي في التنمية والقانون ، وهي في مستويات المعيشة والتوازن ، وهي في المواطن السيد والحرية ، وهي في مسيرة العلم والفن والأدب ، وهي التطور والارتقاء واحترام الإنسان ، وهي في الانعتاق الكلي من رشوحات عصور الانحطاط المظلمة ... وتلك هي الحداثة التي يسعى الغرب لتدميرها قبل كل شيء آخر ...

إن العالم العربي المتأرجح منذ محمد علي بين إغراء الحداثة ، والانكفاء على القيم

الداخلية ، قد عومل أسوأ معاملة من قبل الغرب ، ففي كل مرة أراد العرب فيها أن يردموا هوة تخلفهم وإقامة وحدتهم أو مشاريع قوتهم الذاتية ، كانوا يجدون الغرب في طريقهم ليسجنهم كما فعل غداة الحرب العالمية الأولى داخل حدود مرسومة ومصطنعة ، أو ليعيدهم إلى الوراء ولو بقوة السلاح .. فالغرب لم يرَ في العالم العربي خلال أحقاب تاريخه منذ وفاة الرجل المريض ، أكثر من ممر على طريق الهند ، أو عصاً لاقتسام تركة الرجل الذي توفي بعد خمسمئة عام تاركاً وراءه دنيا من الغنائم المغرية .. أخيراً ومع البترول فقد بدا أن المنطقة وكأنها تلعب دوراً حياتياً بالنسبة للغرب ..

حين ستظهر الأثمان الحقيقية الإنسانية والبيئية والسياسية لحرب البترول الأخيرة ، عندها قد تعود إلى الصدارة تلك الحركات الجديدة التي تتمحور حول السلام والبيئة وفقر العالم الثالث والتمييز العرقي والديمقراطية ، ولعلها ستحتل رأس لائحة الهموم السياسية لتيارات جنوب العالم الأسمر ، ضد شماله الأبيض .

فالثروات التي تم تحصيلها من منتجي النفط في العالم الأسمر ، سوف تسند الاقتصادين الموشكين على الانهيار في واشنطن ولندن ، أوروبا بقيادة ألمانيا ، ثم اليابان بعد ذلك ستتولى مهمة الأمركة اللاتينية لمعظم ميادين النشاط السوفيتي المنهار ، في حين قد تتولى البيروقراطية المتولّدة عن البيروسترويكا ، إدارة مكاتب الفروع التابعة للشركات الأجنبية ، ما تبقى من العالم الثالث ستحكمه الضغوطات الاقتصادية ما أمكن ، وإلا فإن السلاح هو الذي يتكلم .

إن فترات الانتقال السياسي تتسم عادة بالفوضى العارمة ، إنها أحقاب للتجريب السياسي ، فأسس النظام القديم ، تبدو على وشك الأفول ، وثمة طرق جديدة يجري اختبارها بهدف تنظيم العالم ، والأمر أشبه باهتبال فُرصٍ لمنافسات كبرى ، والفارق يتمثل في أن أثمان الفشل باهظة للغاية ، وتنطوي على العنف والفوضى ، الاتحاد السوفيتي يتفكك بعد أن انفرط عقد أوروبا الشرقية قبله ، وليس ثمة شواغر للامبراطوريات المتداعية في عالم ما بعد تنويع أساليب الرأسمالية الحديثة ، والولايات المتحدة تقترب شمسها من الغروب ، وآخر شمسٍ لها في نظام العالم الجديد ، يتمثل بذلك القرار القضائي (الذي يقطر العتو والزهو من بين جنباته) والذي يقضي بحق

الولايات المتحدة أن تخطف أي مشتبه به في قضية جنائية من دولة أخرى ، على الرغم من اعتراض هذه الدولة ، ومن دون اتباع الإجراءات التي تحددها معاهدة تسليم المطلوبين للعدالة ، في حال وجود معاهدة كهذه .

وكان يمكن فهم الأمر لو أنه صادر عن جهة مخابراتية أو عسكرية أو حتى سياسية (بالطرق السرية) ، أما أن يصدر القرار القضائي من قبل أكبر مرجع قضائي أمريكي وهو المحكمة العليا الاتحادية ، فهذا يعني أن أعظم دولة في العالم ـــ تقود نظامه الجديد ـــ مريضة .. وأن مرضها عضال ولا شفاء منه .

قد يستقبل القرن القادم ، مع استلام مفاتيحه من القرن الغارب ، وحدة أوروبا التي هي قيد الإنجاز الآن ، وبصفتها وحدة بين أمم أوروبية شتّى ، فليس من السهل التنبؤ أن أوروبا الموحدة ستلعب دور قوة عظمى ، أو أنها ستبادر إلى تنسيق جهود عسكرية لتلعب دوراً قطبياً على الطريقة الأمريكية ، ولعلّه من الصعب أيضاً أن نتصور قرناً أوروبياً أو قرناً يابانياً لأسباب تاريخية وجيوسياسية .

الاستقرار الدولي ، هو آخر عناوين النظام العالمي الجديد ، وحيث يفتقر العالم إلى العدالة ، فإن استقراره سيظل في مهب الرياح ، ومن المؤسف حقاً ، أن فائدة هذا النظام لا تشجع على الترحيب بها كحكم عدل في قضايا الشعوب المستعرة ، فقد انحازت الولايات المتحدة طيلة أجيال إلى جانب الطغيان والظلم في أماكن شتّى من هذا العالم ، ويرغب المرء في تحدّي مَنْ يشير إلى دعم الولايات المتحدة لأي نضال في سبيل الديمقراطية ، خاصة في تلك المناطق التي تصفها الصحافة الأمريكية بأنها (حارّة ، قذرة وقاحلة ، لا تنفع سوى للربح أو الحرب) .

مسألة أخيرة ، لا تحتاج إلى الأدلة والشهود ، وهي تطرح على نحو عميق ، مصير المؤسسة الدولية ، الذي أجمع العالم على وجوب ضرورتها واستقلاليتها ، أي بمعنى آخر ، مَنْ الذي يتخذ القرارات الشرعية في قاعات الأمم المتحدة الآن ..

إن ما جرى ويجري في أروقة الأمم المتحدة وقاعاتها ، هو إلغاء للإرادة الدولية ، ويبدو أن العالم بات يؤثر السلامة ، حين راح يعترف على التتالي ، بقيصر البيت الأبيض الجديد ، مع تقديم طلب انضمام إلى ولايات روما القرن الواحد والعشرين ..

هذه هي بعض تضاريس النظام العالمي الجديد ، الذي يُخطط له ، إنها تضاريس تظهر سريعاً للعيان حالما تنزع عنها تلك القشرة البلاغية الخادعة .

على خارطة العالم المقبل ، أين يقع العرب ؟

ليس مغامرة أن نضع زمان العرب المقبل ، في حساب القرن الأمريكي ، أو على خارطته .

وبالعكس ، فإن المنطقة العربية ، وهي ساحة المراهنات الأولى ، بالنسبة للمصالح الأمريكية في هذا العالم ، تقف على رأس اهتمامات الخارطة الأمريكية المقبلة . فمن بين كل المناطق التي سيطرت عليها الولايات المتحدة أو ما زالت تسيطر ، كانت المنطقة العربية هي المنطقة التي لا يُسمح بتعرض وجودها فيها لأي رهان .

ويروي كيسنجر عن لقاء له مع الجنرال ديغول ، عندما كانت أمريكا تركب رأسها في فيتنام ، فقد أوضح له الجنرال أن ذلك لن يفضي إلا إلى إلحاق الهزائم بها ، والتسبب في المآسي بالنسبة لسكان الهند الصينية ، وسلّم كيسنجر بالأدلّة المقدمة من الجنرال ، غير أنه سرعان ما أردف :

ـــ لكننا ، يا سيدي الجنرال ، لا نستطيع أن نقلع عن هذا ، بسبب الانعكاسات التي ستؤثر علينا في مناطق أخرى من العالم .

وسأله الجنرال :

ـــ أي المناطق مثلاً ؟

أجاب كيسنجر :

ـــ الشرق الأوسط .

فرد الجنرال :

ـــ حقاً إذا كانت هناك منطقة لا تتعرضون فيها لأي مخاطر ، فهي تلك المنطقة .

وبعد ثلاثين سنة من الحوار ، كانت حرب الخليج تشكل استهلالاً قوياً ، لبدايات قرن فُهمت معالُمه ، على أنه القرن الذي لا يريد لنفسه ، أن يخلي المكان لأي خطر من أي نوع ، طبقاً لاستراتيجية مفهومة ومحسوبة ، وكان هذا الاستهلال الدموي ، في أقسام جليّة من تصنيفه وتعريفه ، يتصل بواقع المنطقة وموقعها قبل أي اعتبار آخر ، ثم

كانت هناك (الرسالة العالمية) التي أرادت الولايات المتحدة تطييرها إلى كل عواصم العالم ، من أعداء وحلفاء ، وكان أول مَنْ فهمها ، حلفاء أمريكا في أوروبا واليابان ، كما فهموا أنها بمقدار ما هي رسالة للمنطقة ، والمناطق المماثلة ، فإنها رسالة للقرن أيضاً .

فالمنطقة التي جرَّت كل هذا ، كانت وما زالت ، في جغرافيتها وكنوزها وعلى مر القرون ، محط اهتمام استراتيجيات العالم الكبرى منذ أقدم العصور ، وليس غريباً أن القرن الأمريكي سيقرن نفسه بها في صور شتى من أشكال الترغيب والتهديد ، حسب سيناريو تمَّ نجاحه وأثبت نجاعته .

وطبقاً لذلك ، **هل تستسلم المنطقة فتترك نفسها لمقاديرها ، كساحة منافسة لمصالح الغير ، فيما يعبث الآخرون بمصائرها وحياتها ، أم أنها تستفيق على وقع ما أصابها ، لتعود فتنضم إلى ركب العالم الباحث عن نفسه ومستقبله ؟ ! ..**

إن المناداة بسياسة التضامن والتكافل ، ليس اكتشافاً يتم ترجيع صداه في كل زمان وأوان ، (فهناك اكتشاف واحد لأرخميدس واحد) في تاريخ هذا العالم ، وليس جميلاً أن نعلن الاكتشاف في كل مرة ، بعد أطنان من أوراق الدراسات والتحليلات (الجديدة) على أنه تمَّ اكتشاف جديد يراد الإعلان عنه ، أو تسجيل براءة اختراعه .. فالمواطن العربي سئم من طريقة التقديم ، والاستنتاج بعدها ، فالمشكلة في جوهرها ليست في (عظمة اكتشاف التضامن) وقد اكتشفه أجدادنا قبلنا بمئات السنين ، والتضامن لا يشكو من علّةٍ فيه ، بصفته المخرج الوحيد للعرب بكل بساطة ، **لكن العقم يسكن في قرار أو قرارة صاحب المُلْكِ العربي غير المنجب ، فالتضامن (الحقيقي) الذي لا يحتاج إلى فلسفة بقدر ما يحتاج إلى شيء من التضحية ، يعني السيادة والإجماع ، كما يعني الالتصاق بهموم أمة عريضة ، سواء أكانت الهموم على تماس مع يوم المواطن ويومياته ، أو كانت تتعلق بغَدِه ، حيث يظلّ على موعد مع كرامته وتحرير أرضه وبناء وطنه كما يستحق أن يكون بموجب تاريخ ذروته لا تاريخ انحطاطه** ، فصاحب المُلك العربي في ظل غيبوبة شعبه وغيابه ، لا يستطيع التخلي عما ورثه تحت واقية رأسه ، **من أنَّ المُلك ملكه هو ، وأن الوطن مزرعة خيله ، وأن الأمن ، أمان نفسه وعائلته ، وأن الجيش له لا لثغور حدوده ، وأن امتشاق السيف**

بمجرد ظنونه ، في وجه أخيه وأبيه (وطالبي مُلكه !..) هو شرف ، وأن السيف للداخل ، وأن رباط الخيل للذود عن وطن المُلك بوجه الخارج الأجنبي ، يحتاج إلى حكمة ، وأن الحكمة لو جاءت على حساب الشرف ، أو لحساب الضعف (المطلوب) تبقى في اللوح المحفوظ (هكذا إتُّهم العراق أنه يبدد أمواله ــ ويا للأسف ــ على السلاح وتطويره .. وهو اتهام كثيراً ما تردد على الألسنة ، ولم تقم هذه الألسنة بواجبها أمام الأرقام الفلكية من الأموال العربية الموضوعة في خدمة مشاريع الغرب وتنمية بنوك أوروبا وسويسرا وأن التضامن في سياق الحكمة نفسها ، ليس أكثر من مفردات قادمة من سجلات الماضي السقيم ، وأن اتفاقات ثنائية مع الحماة الجدد ، هي الأمان والإيمان ، وأن إيماءات الخارج لا تسقط على الأرض ، وأن الغنى والفقر من مشيئة الأقدار ، وأن التحرير خرافة (فاليهود يمتلكون أكثر من مئة قنبلة ذرية ، وكلما قلنا لهم ــ أي للفلسطينيين ــ كذا وكذا ، لا يعجبهم ــ من كلمات الملك فهد لأمير قطر على الهاتف المسجل) وأن الاستراتيجية الواقعية **تتلخص في الحفاظ على مأثرة (بغداد تكفيني) أو بصورة أدق على (غنيمة) القطر الواحد ، (فالدولة القطرية لم تعد قابلة للنفي الأيديولوجي ، إذ أنها لم تعد مجرد كيان مصطنع وليد التجزئة ، بل باتت كياناً نفسياً وسياسياً واقتصادياً ، فضلاً عن كونه حقيقة دولية ــ محمد عابد الجابري) .**

وللحق والتاريخ ، فإن مأثرة نصف قرن من النظام العربي (بعد الاستقلال) ، أو الأنظمة العربية بجمع ما لا يُجمع ، هي في تحويلها الكيانات إلى واقع ، والتجزئة إلى حقيقة ، والإقليمية إلى وطنية ، والمغنم القطري إلى حماية دولية ، وفلسطين إلى إسرائيل ، وثروة العرب إلى سبب لبؤس العرب ، والخلافة إلى دولة والدولة إلى مُلك ، والمُلك إلى وراثة ، ووحدانية الله إلى وحدانية السلطان ، وطاعة الرعية واجب ، (وليلة أمن في ظل سلطان جائر ، أفضل من ألف ليلة من الفوضى في ظل سلطان عادل) . فالعدالة بالضرورة قرينة الفوضى ، والاستبداد قرين الأمان ، وما هو مطلوب لتسخير التاريخ والشواهد ، والآيات والأحاديث والأحكام ، سيوضع في خدمة العرش ، وإدامة سلطانه وجاهه .

ثم ماذا ؟ مع كآبة هذا الوضع العربي المُحبط ، في زمانه ومكانه وشرطه ، ودون الرجم بغيب مستقبله ، وفي توترات أوضاعه ، وغرائزية خصومات مالكيه ، حتى في عزّ مفاصل أقداره ، ومصائره (إذ يدوم الخلاف العربي مع ديمومة وجود الأمة) فمعادل أمتنا التاريخي عملياً ، هو الانشطار ، فنحن أمة تعيش انشطاراً تاريخياً منذ ألف عام ، والاستثناء هو النادر في تاريخها ، ولا يُقدّم أو يؤخر ، دخول إسرائيل إلى إحدى العواصم العربية مثلاً ، أو قصفها المفاعل النووي العراقي ، أو إقدامها على شطب شعب واستلاب وطن .. ومع الكوارث العظمى يراوح الخلاف العربي في مكانه (قد يختفي إعلامياً فقط) ، وبالعكس ، فإن النوازل غالباً ما تعزز في أسباب عمقه وتجذره ، وهي طبيعة تندر لدى أنظمة الشعوب الأخرى ، **ويفشل المرء في العثور على دافع كان قادراً بأي شكل ، على إزاحة الخلاف العربي (الذي أصبح نمط حياة) . لا في اللحظة التاريخية ، ولا عندما تدلهم الخطوب وتتقرر المصائر ، وإنْ حدث فهو إلى حين ، إذ لا تلبث مسيرة الخصام تعود من جديد .**

ومع هذا الفحش من سيادة روح (الأنا) ، وما يستتبعها من سياسات : المكيدة والإذعان والتواطؤ ، ودون إسقاطات المخيّلة في الخلط بين ما يجب أن يكون وما هو كائن ، أو بين التفاؤل والتشاؤم ، وما يستلهمه العقل العربي من شيطان الشعر ، سواءً في وحيه أو إيحائه ، وما كُتب على جدران معلقاته السياسية : كخلود أمة وموقع وطن .. ترى ما هي صورة الوضع العربي كما تتراءى من بعيد ؟
فالبعيد العربي (شمال أفريقيا ــ أوالمغاربية) ، ما زال يمثل حالة جليّة من اجتماع المتباين ــ المتزامن تحت سقف واحد ، من المَلكية التي تتنزّل داخل الاستمرارية التاريخية منذ أربعة قرون ، (وهي لا تُسأل عما تفعل وهم يُسألون) إلى الجزائر ، نموذج الاتجاهات التنموية نحو (يابان) البحر المتوسط ، فإذا هي تنكفئ إلى فاقة افريقية ، هذا مع استمرار سيادة الجبهة على المجتمع والدولة بمرجعية الثورة وطيف دمائها المنسوب لكل قابل ورافض (ذلك الاحتماء التاريخي الذي بشرعيته تُشطب نتائج انتخابات شرعية وشعبية !) ومَعك من الجمهورية التي ظلّت تحكم (بصكّ الاستقلال) حكماً رئاسياً ــ ملكياً من قرطاجنة إلى قرطاج ، حيث شكلت الضلع

الثالث في (مثلث برومودا) الخطر لثلاث قارات ثم يأتيك الكتاب الأخضر ، الذي مــالت أوراقه إلى الاصفرار (من شـدّة عنت العرب وموقفهم المبدئي ضد التواصل !..) ، فالوادي الذي يحتضن ثلث العرب السّكاني ، **بعد أن كفَّ النيل عن احتضان عرائسه قهراً من سليمان وجنوده** ، وهناك الملكية البدوية ، التي تتنزل داخل الخريطة التي تم إحكامها ، لعالم نفطي ، زيته يضيء فيصمه الواصمون أنه حقبة الربع الأخير من **قرن العرب المكسور** ، ثم الخليج الهارع الفارع !.. خوفاً على مدن ملحه من التداعي ، **إذ ما زال في البئر ثمّة ماء ..**

ويأتيك الضاربون على خط ملحمة الإنسان والبناء والتحرير لحياة لم يولد جيلها بعد ... **ومن خط العرض الشمالي ، إلى الخط الجنوبي ، ثم من خط الطول الأيسر ، إلى (جانب الطور الأيمن) نداءات ليوم الدين .. وفلسطين .**

تشظيات تعيش لذة وهنها واسترخاء ضعفها واستعداء الغير عليها ، ولا وحدة لموقفها ، غير موقفها الموحّد ، ضد التوحد نفسه ، (فالمُلك عقيم) ، وباب الدخول للإطلال على ملامح المستقبل . يستلزم جواز سفر عربي ، لا ينفع عند حدود سايكس ـــ بيكو ، بل ينفع فقط ، للتجوال على الورق ، في مهمة جديرة لزمن غير جدير .

غير أن جدارة الزمن التي تقاس بمؤشر الحاضر ، تظل وليدة الحاضر فضلاً عن الماضي الذي آل إليه .

فالإنسان لا يمكن أن يتصور أكثر مما هو ، ومجموع تاريخه ، وذلك ما لا يمكن اشتقاقه في سبيل مصادرة المستقبل أو إغلاقه عليه .. فاستشراف مستقبل التشاؤم ، بناءً يقوم تأسيسه على قواعد الحاضر المرئية أو المقررة ، مما يضع مجهول المستقبل في لجّة السوداوية والإحباط ، غير أن ما كان مستحيلاً عبر قراءات حاضر ذاك الزمان ، أصبح واقعاً اليوم ، ولو أن الشاهد يجيء على نقيض تطور العالم العربي ومصالحه (انهيار الاتحاد السوفييتي دون حرب ، وحدة الألمانيتين ، تصاعد حروب البلقان .. الخ) والنظام الدولي الجديد .. إلا أن ما نعنيه من هذا الشاهد ، هو أن الاستحالة مشروطة بزمان ومكان تصورها ليس أكثر ، فما هو

مستحيل اليوم ، لا يظل على استحالة غداً ، بتبديل الشروط والظروف ومعارف العلم وتقدمه) ..

مَنْ كان يتوقع مثلاً ، أن أوروبا التي أدمتها حروبها التاريخية إلى درجة اليأس ، ستقود نفسها إلى ما يسمى بالسوق المشتركة .. ثم إلى الوحدة غداً .

مَنْ كان يتصور بعد هيروشيما وناغازاكي ، أن اليابان بعد أربعة عقود فقط ، ستقف كتفاً إلى كتف مع الاقتصاد الأمريكي ، لتسبقه في مستهل القرن المُقبل .

هل العرب أمة أخرى ، خارج ظروف الأمم وتواريخها ؟..

لماذا ؟.

ثم مَنْ كان يتصور أن حاضر العرب الآن ، أسوأ من ماضيهم القريب (خمسينات العرب في اقترابهم نحو الديمقراطية والوحدة القومية ، أفضل من عقود تجزئتهم التالية) وأن ماضيهم القريب أسوأ من ماضيهم البعيد ..

ألا يمكن القول أن الماضي البعيد هو الأفضل ، وأن القريب هو السيء وأن الأقرب هو الأسوأ .. ومع ذلك ، ألا يمكن تصور حركة انبثاق تاريخية ، من حيث أن الذي يمضي إلى الأسوأ ، يمكن أن يتحول ، ويتقدم إلى الأفضل ؟.

متى ؟.

على ماذا يعتمد هذا التقدم ؟

ــ انتصار معركة الديمقراطية ؟ التنمية ؟ التحرير ؟..

ــ أم انتصار بعض الخطوط السياسية أو المذهبية التي تعيش إرهاصات تكوّنها الآن ؟

ــ ثم ما هي طبيعة هذه الخطوط : أصولية ، قومية ، ديمقراطية أو اجتماعية ؟

وهل يمكن جمع ذلك كله في حركة انتقال واحدة اليوم ؟

إلى متى تدوم سياسات كبح الشعب والسيطرة عليه وسط أجواء عالم متصاعد إلى حلقات أعلى من تطور الديمقراطية في كل مجالات الحياة السياسية والانسانية والتاريخية ..

هل تتمكن حركة ولادة تاريخية من صدع الحصار المضروب ، لاستلام طريق

الوصول إلى خط صناعة التاريخ العالمي المعاصر ..

ـــ ما هو دور الثقافة والفكر والإعلام ؟

ـــ ما هو دور الشباب والأجيال اللاحقة ؟

ـــ ما هي مؤثرات الأموال والتنمية والمجالس والأسواق ، ثم ما هي تأثيرات عالم متطور من حولنا ؟.

ـــ ما هي طبيعة التحديات الإسرائيلية ، في تفعيل تحديات الأزمة بالمقابل ، وما دور إسرائيل في إحباط حركة التطور العربية في المستقبل قياساً إلى الماضي ..

ـــ ما هي طبيعة تحديات أنظمة الحكم العربية ، للديمقراطية والحداثة ؟.

ـــ ما هو وزن التأثيرات العالمية الجارية اليوم ، وهل سيهزأ التاريخ من أولئك الذين توغلوا بعيداً خلف سراب الصحراء ، دون انتباه لحكمتها الأزلية :

فهي لا تطيق غريباً من غير أهلها ، طامعاً فيها ، ويدب في مسالكها ليتيه في فيافيها وقفارها ..

وكان باستطاعتها الدفاع عن نفسها مهما زلت بها أقدام التاريخ ، وأن أقدام غربائها تندثر قبل غياب شمسها أو انبلاج صبحها .

وأن ما خطّه بوش على رمالها ، غاب في أسرار طلاسمها قبل أن تغيب شمس بوش عن التاريخ .

وأن سرّها الغالي تبوح به الآن :

فمئة ألف طن من القنابل قتلتنا .. ولم تهزمنا .

ولأول مرة يتم دَفْع الثمن .. وكان الثمن باهظاً .

فالرجال الذين استشهدوا كانوا بعدد سكان الكويت وعشرة بالمئة من أهل السعودية والخليج بأكمله .

وما بين النهرين علّمنا في كل مرة ، أن يخرج من تمزقات التاريخ إلى التاريخ من جديد .

وغداً عندما يُسطّر التاريخ بمرجعية قادر ومنصف ، أفضل ما عنده من ملاحم إعتراض الجبابرة ـــ البغاة، وما أسس العراق لأمته ، ظاهرة قبول التحدي الصعب ، ورفض الهزيمة دون حرب ، وغداً عندما تنفتح معركة شعبنا التي ظلت تخاض عنه بالنيابة فيما تنسب الهزائم لشعب مغيب ، ومع تفاعل بركان سبارتاكوس العراقي ضد روما الجديدة ، لن يكون بعيداً أن ينغلق التاريخ على نفسه من جديد ، أي لن يكون بعيداً ذلك اليوم الذي سيهزم فيه عبيد الأرض ، على قيودهم وفقرهم ، روما الجديدة وقد سجلها التاريخ مرة ومرات ، فاكتسب الدرجة القطعية في قانون التناوب ... فروما أو (رومات) العصور في التاريخ ، ظلت تمتلك اسباب زمانها للفناء ، حيث الزمن لايتوقف ... وما من زمن إلا وسيقذف بقفاز تحديه في وجه ذروة الغطرسة والاستكبار .

غداً ... مع صدام أو بدونه ...

نحن هنا ... والخليج بيننا .

ملحق

مختارات من كتاب شوفنمان :
فكرة ما عن الجمهورية تقودني إلى ...
مع نص كتاب استقالته من منصبه كوزير للدفاع
الفرنسي ، بعيد اندلاع الحرب في الخليج .

مقدمة المختارات

أخيراً كتب رجل حر من الغرب ، فصلاً من فصول ما جرى في الخليج ، وكان ذلك بقلم جان بيير شوفنمان ، وزير الدفاع الفرنسي المستقيل عشية الحرب ، وبسببها .

وقد جاء الكتاب بعنوان (فكرة ما عن الجمهورية تقودني إلى ...) (أي إلى الاستقالة) ولم يبخل شوفنمان بتقديم دواعيها ، وشرح أسبابها .

كان شوفنمان يرى لفرنسا دوراً آخر في الشرق ، أو بين عالم الشمال والجنوب حسب تعبير غربي مستحدث ، وهو دور يحمل تاريخية النقائض بين فرنسا وأمريكا على الأقل ..

ورغم آيات العرفان التي تلهج بها الولايات المتحدة لفرنسا سنوياً ، حيث كان لفرنسا موقف ودور في حرب الاستقلال الأمريكية ، إلا أن مواقف التنكر للأشياء والمبادىء ، ما زالت تملأ صدر الأنانية في تاريخ الأنسان الجشع ..

فالجمهورية ، كما تريد لها رومانسية محققة ، هي حاملة رايات الثورة من أجل الأنسان ، وهي الدماء المسفوحة في سبيل انتصار الحرية والإخاء والمساواة ، وهي ليست ، بل لا تستطيع أن تكون ، في خندق واحد ، يطلق النار في سبيل نجاح فلسفة أمريكية براغماتية لا ترى طريقة للتحليل أو التحريم ،

بل لا تستطيع أن ترى إلا نفسها ، في مرآة السيطرة على العالم ونهب ثرواته بصورة مبرمجة ..

كيف يمكن التصالح مع فلسفة ، جوهرة التاج فيها تقول : (ما هو نافع فهو مشروع) ، ماذا عن حدّي النفع والضرر ، ثم ماذا عن مستند الشرعية ، ومغزى صدوره ؟ فإذا كانت المنفعة هي معادل الشرعية في عالم محسوس ، إذن كيف لو جاءت هذه المنفعة على حساب قوت الأطفال في الناحية الأخرى من العالم ، هل تبقى مشروعة ؟.

الأرجح أن الجواب الأمريكي سيكون : «نعم» ومع ابتسامة يانكية ـــ بلهاء ...

رأي شوفنمان أيضاً ، أن حرب الخليج ، خرجت عن قواعد اللعبة المقررة في قاعات الأمم المتحدة ، وزوايا أروقتها ، ففيما كانت القرارات تشير بالغمز واللمز ، وتحض ضمناً وصراحة على (تحرير الكويت كمبدأ) . فإن الخطط الأمريكية تحت غطاء هذه القرارات ، كانت تعد لمسح العراق كله ؟. ولم يتساءل إنسان ما عن الفرق بين شرعيتين ، هل هي شرعية لتحرير الكويت ؟ أم هي شرعية لتدمير العراق ؟ أم هي لكليهما معاً ؟..

لقد استنتج شوفنمان من خلال منصبه ، الذي يتيح له دقة الاستنتاج ، أن هذا التجميع الضخم ، للأرمادا البحرية والجوية ، مع التضخيم المفرط في حجم قوات البر ، إنما جاء كبيراً على (حجم الكويت) ، كما رأى أن خطط العمليات الجوية الأمريكية ، كانت كافية لسحق الشرق الأوسط وليس العراق وحده .. ولم تكن المصادفات العجيبة (تشدد الكويتيين ، لقاء غالاسبي ، استدعاء القوات الأمريكية) هي آخر ما يحدث في الخليج ..

لقد أدان شوفنمان بلغة بليغة ، موقف الغرب الملطخ ، من محاولات النهضة العربية تاريخياً ، وها نحن نراه يقول :

(لثلاث مرات خلت في هذا القرن ، ابتداءً من محمد علي باشا ، ومرورا بعبد الناصر ، وانتهاء بصدام حسين ، يحطم الغرب بوحشية السلاح ، حلم نهضة عربية ، ودخولاً عربياً عريضاً ، إلى خط صناعة التاريخ العالمي المعاصر) .

وكان الإنسان القادم من الشرق ، أو الإنسان ذو البشرة الداكنة عموما ، هو موضوع ـــ الضّحية ، على مذبح قربان الغرب ، ونواميس دناءاته ..

بالنسبة لشوفنمان ، فإن هذا ما يفسر عمق الدرك الذي وصل إليه الهبوط الأخلاقي لدى الغرب

كتاب شوفنمان ، الذي قررنا أن نختار من فصوله ما يتعلق بأزمة الخليج ، هو في الحقيقة شهادة للتاريخ ، ووثيقة إدانة للغرب على طريق جشعه الدنيء ، وهو موقف من (فرنسا ـــ ميتيران) (حين كان عليها أن تظل على مسافة ما . من الخطط الأمريكية الغرائزية .. وأن تلعب دورها بتماثل مع حقيقتها التاريخية .. أو الجمهورية) .

في السطور وما خلفها ، يصدمك تلاحق الصور والصور النقيضة ، المواقف وعكسها ، الآراء وسحبها .. جراء مسعى ميتيران (للركوب في المقطورة) . قبل أن يطلق القطار زعيقه الأسود . أو قبل أن يطلق القطار صافرة نعيقه ، أو ساعة صفْره ، إيذاناً ببدء الرحلة نحو ذبح الإنسان الداكن .

كتاب شوفنمان أيضاً ، يهزأ من موقف أوروبا (الخروفي) أو (النعاجي) خلف (التيس الأمريكي) دون خجل .

(كانت أوروبا في هذه الأزمة ملحقاً ذليلاً خلف أمريكا دون تمحيص ، وكانت الأوامر الأمريكية بالنسبة لها ، هي الأوامر التي لا مندوحة عن الامتثال لها) .

ويجيء دور السوفييت في الكتاب ، (أولئك الذين تحوّلوا بفظاظة منفعة بخسة وكالحة) فقد نسي سوفييت (غورباتشوف ويلتسن وشيفرنادزة ، سبعين سنة من مُثل سلامهم ، كما نسوا قيمة (أثمن رأسمال في العالم) وهو الإنسان ، وراحوا يساومون بروح مقايضة مخجلة على حساب حلفائهم السابقين .. بل ومصيرهم بنفسية تاجر من تجار شكسبير ..

كان السوفييت ، بمُثل البيروسترويكا المتهافتة ، يعرفون أن العراق ، حسب تحليل شوفنمان ، كان يبحث فعلياً عن مخرج للأزمة ، قبل الحرب ، حتى وقبل جنيف ومعها ، والمأساة أن السوفييت بقبولهم مبدأ المقايضة على حساب حياة الشعوب

المستضعفة ، كانوا يرقصون على إيقاع المايسترو الأمريكي دون نشاز ، ووراحو يلعبون ألعاب (سد المنافذ) الأمريكية بإتقان ، ويستخرجون مع أمريكا ، كل المعاذير من تحت الأظافر للإطباق على العراق ، وكانت الجوائز التي لا تليق بكرامة الامبراطورية ، تجد طريقها من الرياض والكويت باتجاه موسكو ، ولأول مرة في تاريخ قطيعة دبلوماسية مضحكة ، عمرها عمر ثورة أكتوبر من لينين وحتى آخر قزم في سيرك غورباتشوف الباكي مع شامير على جدار من جدران القدس القديمة ، يحدث الوصال من جديد .

لقد تصالحت قصور الرياض المؤتمنة ، مع كرملين التوبة ، الذي تأبط رسالة غفرانه ، تكفيراً عن (خطايا الشيوعية) و(مجتمعات شرورها الآثمة) ..

وكان فصلاً جديداً من مسرحية قيصر لجديد ، مقرف ودميم .

لقد هيأ سيرك غورباتشوف الأخير ، لنظام عالمي جديد ، استهل صفحته الأولى بارتكاب مجزرة مروعة ، وكانت المقدمة الإنذارية هي صفحة العراق ، تُرى ماذا سنقرأ في الصفحات الأخرى اللاحقة غير صفحة العراق وصحائف العرب ؟

في جوهره ومضمونه ، فإن نظام العالم هذا ، مثلما ارتضى أن يستّهل نفسه في الخليج ، لن يكون أكثر من نسخة عصرية لنظام قديم ، أما الفارق فيكمن في صورة الأخطبوط نفسه : أذرع عديدة ، ممتدة ، طويلة ووحشية ، تبحث بغريزة نهم لا تكل . عن فريسة ما ، وما يحركها اليوم ، هو رأس واحد ليس أكثر ..

□

فكرة ما عن الجمهورية تقودني إلى ...

بقلم جان بيير شوفنمان

لدى المنطقة كما يقال مشكلة أمنية ، وتزدهر تجارة بيع السلاح بحيث تؤمن لصالح أمريكا إعادة تدوير البترو دولار ، كما تؤمن للعائلات الحاكمة مستوى رفاه يليق بها ، خاصة تلك التي تتقاضى العمولات بصورة غير مرئية .... أما الفاعلية الحربية لهذه الأسلحة فقضية أخرى تماماً ما دام أن السلاح لا يقيّم إلا بالرجال القائمين عليه ، والواقع فإن حرب الخليج أثبتت عدم جدوى هذه الأسلحة المكلفة ، فلا السلاح العراقي ، ولا السلاح السعودي هو الذي حسم المعركة أخيراً ، فيما تكفل الغرب بتعطيل هذا السلاح وإضعاف قيمته .

تلك هي حالة الشرق الأوسط ، أو بالأخرى هكذا كانت حتى اجتياح الكويت ، فالقوات الغربية لم تطأ المنطقة بعد رحيل القوات الفرنسية والبريطانية عنها في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، ولم يكن ثمة استثناءات إلا في تلك الغزوة الغبيّة أيام السويس، وهناك استثناء آخر ارتكبه الأمريكيون حين قاموا بجر القوة المتعددة الجنسيات إلى لبنان عام ١٩٨٤ ، ومنذ ذلك العام والتوازن الإقليمي في المنطقة يهتز على إيقاع النوتة الحربية والبترولية .

إن العالم العربي المتأرجح منذ محمد علي بين إغواء الحداثة ومنطق الانكفاء

على القيم الإسلامية ، كان قد عومل أسوأ معاملة من قبل الغرب .. وقد وضع الانحطاط العربي ، والاستعمار التركي ، ثم الاستعمار الغربي ، المنطقة في حفرة تخلف ، بات الحفاظ عليها يمثل جريمة بحق الإنسانية .. وكان من المغري بالنسبة للغرب ، أن يُعزى ذلك الفشل العربي ، إلى غياب الديمقراطية واستبدالها بالتوتاليتاريا الدينية ، ووضع المرأة في مستوى دائم من عدم كفاءة العمل ..

وفي كل مرة أراد العرب فيها ردم هوة تخلفهم وإقامة وحدتهم ، كان لهم الغرب بالمرصاد على الطريق ، ليقسرهم كما فعل غداة الحرب العالمية الأولى داخل حدود مصطنعة أو ليقذف بهم إلى الوراء ولو بقوة السلاح ، ولم يكن الغرب ليرى في العالم العربي أكثر من ممر ـــ طريق الهند ـــ أو ـــ عصا ـــ المسألة الشرقية الشهيرة أيام الرجل المريض ، وأخيراً مع البترول (خزّان وقود) ليس أكثر .

مع رؤية المستشارين ، وباستثناء بعض المختصين ، فقد بدا الأمر لا إنسانياً وقصير النظر ، وإذا ألقينا وراء ظهورنا خرافات (لا عقلانية) الشرق ، فإن ما افتقرت إليه المنطقة ، هو روح العدالة ، فالقوى الكبرى لم تتوقف عن ممارسة (فرّق تسد) ولو حتى على أطلال الامبراطورية العثمانية . ومنذ اتفاقيات سايكس ـــ بيكو وحتى اقتسام مناطق النفوذ بين فرنسا وإنكلترا في البداية ، ثم بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي فيما بعد ، والمنطقة في مواجهة حدود مصطنعة واستقلالية وهمية ومشكلات تتعقد وتتنامى في ظل لامبالاة المجتمع الدولي .

فلسطين تتبعثر ، لبنان يتجزأ ، وسيطرة روح القسوة والعنف ، تصبح من نصيب المنطقة التي تخلّى عنها الجميع ..

لدينا اليوم هنا في أوروبا ـــ موضة جديدة ـــ وهي أن نرد مصائب العرب إلى دناءاتهم ، فهم يشكون من الإذلال ، ومرد ذلك هو تخلّفهم الطبيعي ورفضهم لكل حداثة ، سواء تعلق الأمر بالعلمانية أو بوضع المرأة أو بقيمة العمل ..

وقد نسي الغرب ـــ موجّه الاتهام ـــ أنه في كل مرة كان نظام عربي أو إسلامي يحاول الانفتاح على الحداثة ، كان الغرب نفسه يقطع عليه الطريق أو يحطم رأسه ،

فأمس مع محمد علي والسلاطين المجددين ، وأقرب من الأمس كان عبد الناصر ، علماً أن تجربة مصدق في إيران لن تسقط من الذاكرة .

ومنذ أيام الجنرال ديغول وفرنسا تزعم إنها كانت تمثل صوتاً كثيراً ما افتقرت إليه الساحة ، وهو صوت العبور إلى الحداثة تحت ظلال العدالة والحق والمساواة .. والآن إلى أي مدى سيؤثر انهيار الاتحاد السوفييتي مع ما يحمله من خلخلة للتوازنات القائمة ، على المسار ؟..

ومع ذلك ، فإن هذا الدور لا يمكن أن يكون إلا دور أوروبا ، ولو بدفع ثمن التوتر مع الولايات المتحدة الأمريكية

نتائج انهيار الامبراطورية السوفييتية

إن نهاية الامبراطورية السوفييتية ، لا يمكن أن تمر هكذا ، دون نتائج تؤثر على الشرق الأوسط ، فكل الأنظمة التي اعتبرت نفسها تقدمية (سواء كان ذلك خطأً أم صواباً) كانت تستند إلى الاتحاد السوفييتي من عبد الناصر إلى صدام حسين مروراً ببومدين وحافظ الأسد وعلي صالح وياسر عرفات .

وكانت أمريكا تدعم الأنظمة التي تعتبرها (معتدلة) فيما راحت فرنسا تلعب على الهامش ، مبدية تميزها عن عالم الغرب ، نافخةً في البوق أحياناً ، كما في أيام الجنرال ديغول ، أو عازفة على الناي أحياناً في مرحلة لاحقة .

عام ١٩٧٣ كان بداية التحول في التحالفات ، فقد انقلبت مصر إلى المعسكر ــ الأمريكي في عام ١٩٩٠ جاء دور سوريا ، أما عام ١٩٧٩ فقد حصل الانشقاق الإيراني عن أمريكا . قبل أن تعود إلى معسكرها فيما بعد مرة ثانية .

ومع انهيار الامبراطورية السوفييتية ، ستجد الأنظمة التقدمية نفسها أمام خيار بسيط ، إما أن تنضم إلى الصف مذعنةً كما فعلت سوريا ، أو أن تهرب إلى الأمام كما فعل العراق ، حين ظن أن بإمكانه الحصول على ضمانات ، ومثل ذلك سوء تقدير لحقد وعناد وإصرار الانكلو ــ ساكسون الذين تم قذفهم خارج العراق عام ١٩٥٨ أما الأهم ، فكان عام ١٩٧٢ حين أمم البعث شركة نفط العراق .

لقد بات من المؤكد أن صدام حسين لم يكن يريد أكثر من مركز قيادة إقليمي ،

ولم يكن يتطلع في النهاية إلا إلى تفاهم مع الولايات المتحدة ، كما أن من المؤكد أيضاً ، أن إسرائيل كانت ترى في وصول مئات الآلاف من المهاجرين السوفييت ، وسيلة لقلب التفوق الديمغرافي في المنطقة ، وأذكر أن شمعون بيريز كان قد شرح لي في عام ١٩٨٦ عندما ذهبتُ إلى القدس لافتتاح نشاط فرنسي ، أن عدد العرب فوق أرض إسرائيل الكبرى عام ٢٠٠٠ سيصبح أكثر من عدد اليهود ، فهل سيفسح انهيار الاتحاد السوفييتي الطريق لسلام أمريكي في الشرق الأوسط خاصة وأن أمريكا قطعت حوارها مع منظمة التحرير منذ منتصف الأول من عام ١٩٩٠ ، وراحت أمريكا ترسم صورة ما في الشرق الأوسط .

العراق مسجون في عزلة خطرة ، وصدام حسين يثير بتصريحاته الاستفزازية كل العواصف فوق رأسه ، وداخل الوطن العربي تتجمع جبهتان : واحدة حول العراق (الأردن ، اليمن ، السودان) وأخرى معتدلة تتجمع في الخانة الأمريكية (مصر والسعودية وما حولها) ، أما سوريا فإنها ــ بعد موافقة الجامعة العربية على اتفاق الطائف ــ راحت تعمل على تركيب اللعبة بمهارة ، رغم التحدي الذي أطلقه العماد عون ضدها .

وتتصاعد الانتفاضة منذ ثلاث سنوات ، علماً أن حلاً ما لمشكلات المنطقة لا يظهر في الأفق ، فالتعنت ينتشر في كل مكان ، وأبواب المستقبل تبدو موصدة ، والإحساس المسبق بالحرب يتعزز ، وتلك هي اللحظة التي اختارها صدام حسين ليقلب التوازن المتزعزع في المنطقة باجتياحه الكويت .

قصة حرب معلنة :

لقد بدا لي ضرورياً ، أن أبقي نفسي على مسافة قريبة قدر الأمكان ، من الوقائع ، كي أتمكن من إعادة رسم خطوط المرحلة التي بدأت في الثاني من آب ، والتي تناولتها عدة كتب نهلت من مصادر جيدة ، وربما بسبب ذلك لم تكن الأفضل بالضرورة .

لا شك أن الأمثال تتحدث عن نفسها ، ولكي أتصرف كرجل جمهوري

جدير ، أرى من واجبي كرجل سياسة ، أن أختصر قدر مستطاعي ، مساحة الظل (الخفية) وسأفعل ذلك مقدراً وظيفة رئيس الجمهورية ، مع الاعتبار الذي أكنه لشخصه ، فأنا لا أريد أن أنسى خمساً وعشرين سنة من النضال المشترك ، وسأكتفي بنشر ثلاث رسائل وجهتها له ، والتي يدخل وجودها حيز الملكية العامة .

إن اختلافاً صريحاً وجلياً في الرأي ، يظل أشرف من تسليم غير مشروط ، منتفع ومخادع ، وأنا أعرف أن القناعة الصادرة كنقيض للرأي العام والنظام السائد ، ستعرض صاحبها للسخرية والهزء ، لذلك يجب تبنّي فلسفة الرواقيين ، أما الزمن ، هذا النّحات الكبير ، فهو الذي سيعطي كل إنسان المكان الذي يستحقه .

ولكي أصف حالتي الذهنية في بداية المرحلة ، يبدو لي أنه من الإنصاف العودة إلى المحاضرة التي ألقيتها في (مؤسسة الدراسات العليا للدفاع الوطني) حيث قلت :

منذ أمد بعيد ، وقضايا كبيرة في الشرق الأوسط ، متروكة دون حل ، ومع هذا القول ، فإنني أفكر بالمشكلة الإسرائيلية ــ الفلسطينية ، وبخطر نمو وتصاعد موجة السلفية المتعصبة ، كذلك فإن تسابقاً على التسلح يجري على أشدّه بين العراق وإسرائيل ، وهناك أسلحة تقليدية وغير تقليدية ، وسيؤول ذلك إلى توازن الرعب ، وفي مثل هذا ، لا يمكننا أن نتجاهل العديد من دول (الجنوب) غير المستقرة والتي ستمتلك خلال سنوات قادمة ، أسلحة نووية ولو بدائية .

وفي عدد لوموند يوم ١٣ تموز صرحت لجان أسنار قائلاً :

علينا أن ننتبه لحالات عدم التوازن التي قد تنشأ في عالمنا ، أكثر من انتباهنا للمخاطر العسكرية المباشرة ، وهذا ما يمكننا من استباق تلك الحالات في الوقت المناسب ، على أن تكون أبصارنا شاخصة نحو الجنوب باستمرار .

كيف لنا ألا نتأثر بحالات عدم التوازن التي بدأت تتجمع في الأفق ؟. غير أن ذلك يجب ألا يقودنا إلى معالجة مشكلاتنا مع الجنوب ، من خلال منظار عسكري موشوري مشوّه .

تفتيت اللغم :

إن ما سيشكل معيار الحسم ، خلال السنوات المقبلة ، يكمن في الطريقة التي

سنعرف بموجبها كيف نشرك هذه الدول في تنمية السوق الأوروبية الكبيرة ، وهو مثال أعلى للتقدم ، بحيث يمكن معه ، تحاشي كل ميل لارتداد ظلامي أو عرقي ، ففشل التنمية والبؤس والكبت ، من الأمور التي يمكن أن تقود بعض البلدان إلى الانكفاء السلفي ، وسيدفع هذا الوضع إلى نهايات مشبعة بإحباط الآمال لا يمكن تجنبها ، وسيفضي ذلك إلى هزات كبيرة عبر المتوسط ، أخشى ألا يستطيع توازن المجتمع الفرنسي مقاومتها .

هنا يختفي لغم يجب أن نعرف كيف نفتته في الوقت المناسب ، ومن هنا تجيء الحاجة لمبادرة متوسطية اقتصادية وسياسية ، هدفها الوحيد تنظيم تعاون حقيقي في مجال التنمية ، ومنع حدوث شرخ وبيل يؤسس للمواجهة في المستقبل .

بعد ثلاثة أسابيع من تصريحي هذا ، كانت القوات العراقية تجتاح الكويت .

كُنت في الريف (التوسكاني) عندما أخطرت بنبأ الاجتياح ، وكان ذلك في صبيحة الرابع من آب ، حيث سينعقد مجلس مصغر بعد الظهر ، وكان (بير بريفوفوي) ينوب عن وزير الدفاع في مثل هذه الحالة ، وقد كلفت مدير مكتبي (ديودوني مندلكرين) بتمثيلي أيضاً ، وعلى خط هاتف غير محمي كان فرانسوا ميتيران يجيب على أولى ملاحظاتي (يجب ألا نترك أنفسنا لنوضع في المقطورة) وقالها بضحكة يمكن أن تخدع مَنْ يستمع إلينا .

أهدافنا ليست أهداف أمريكا وإسرائيل :

في التاسع من آب ، عاد المجلس الوزاري المصغر ليجتمع مرة ثانية .. وكانت المعلومات المتوفرة لدي تشير إلى أن الأمريكيين قد عقدوا العزم على الذهاب إلى الحرب ، وأنهم ربما كانوا قد ساهموا في إيقاع العراق في الفخ المطلوب .

كانت مطالعتي آنذاك : أن خرق القانون الدولي واضح في الاجتياح ، ولا يمكن لفرنسا أن تتنكر لجوهر سياساتها في المنطقة ، وهو الاستقرار . ورغم ذلك فإن علينا أن نأخذ بعين الاعتبار ، البُعدين الايديولوجي والسياسي للصراع .

إن انقياداً كلياً أو سهلاً لأمريكا وإسرائيل سيؤثر على علاقاتنا مع العالم العربي ،

حيث ضخامة مصالحنا التاريخية ، كما وأن طريق المجابهة المباشرة ستؤدي بنا إلى لعبة خاسرة .

وفي جميع الأحوال ، سواءً ربح صدام ، أو استفاد الأصوليون من خسارته ، فإن سعر البترول سيشكل متغيراً في التنافس الدولي لعالم ما بعد الحرب ، وهو ما يمثل عاملاً ضخماً من العوامل المسببة للأزمة .

إن صدام حسين بحاجة إلى المساعدة النفطية لإعادة بناء العراق وتحديثه ، ومسألة الديون الكويتية ليست أكثر من مظهر من مظاهر الأزمة . أما الملاحظات التي دوّنتها ، فلا زلت أحتفظ بها ، وقد حملت الاستنتاج التالي

(إن التضامن والجدية ، يجب أن يقودا سياستنا ولكن علينا أن ندعم حلاًسياسياً ضمن إطار عربي ، وأن نتفادى بأي ثمن ، ترك أنفسنا في حالة تورط ميكانيكية ، تؤدي إلى تورط القوات أوتوماتيكياً ، ذلك أن أهدافنا السياسية ليست أهداف الولايات المتحدة وإسرائيل) . إن إرسال الغواصة كليمانصو مدعومة بحاملة طائرات ، كان قراراً من رئيس الجمهورية نفسه ، وكان يبدو أن ذلك يمثل أفضل قرار للمساهمة في الرد على احتمالات هجوم عراقي ضد العربية السعودية .

أنا لم أكن أعتقد بذلك مطلقاً ، إلا أن الملحق العسكري الأمريكي في باريس (الجنرال دو.) كان يعتبر أن هجوماً كهذا ، يعتبر بمثابة احتمال أكيد .. وقد يتم خلال الأسبوع الثاني (من الاجتياح) .

ومنذ ذلك الوقت ، اتخذ الرئيس موقفاً لم يترك فيه مجالاً للجدل ، (ففرنسا لن تكون محايدة) (ولا يمكننا أن نمارس سياستين في وقت واحد) (وإذا لزم الأمر فستحارب فرنسا صدام حسين مهما تكن النتائج) (و لم يكن الرأي يحتمل سلوكاً رخواً أو متردداً) . [الكلام بين المعترضات للرئيس ميتيران ــ المترجم] .

بالنسبة لفرنسا ، يبدو لي أن كل ما حصل لاحقاً ، كان قد تفرع عن هذا القرار المبدئي ، ولا شك أن فرصة تاريخية كبيرة ، كانت قد ضاعت ، غير أن سيطرة كاملة على الرأي العام طوال فترة الأزمة سهّلت الطريق ، بقدر ما تبدو عبارة (سينيك) صحيحة : (ليس هناك طريق أبداً ، لمن لا يعرف المرفأ) .

وكان هذا الانعطاف الكبير في سياستنا ، يبدو لي كفجاجةٍ خالصة ، بحيث لا يمكن تكييفه وضبطه فيما لو ظهر المشهد جلياً كما أتمنى .

الولايات المتحدة قررت الحرب سلفاً :

منذ بداية آب والأجهزة المكلفة بتقديم المعلومات ، (ما فتئت تطرح أن أمريكا قررت تطهير الدرنة (أي صدام حسين) وذلك بسبب الخطر المتنامي الذي أخذ يشكله النظام العراقي على الاستقرار في الشرق الأوسط ، وهو سوق النفط وإسرائيل .

وحسب المصادر نفسها ، لم يكن من المستبعد أن تكون الإدارة الأمريكية قد شجعت صدام حسين على تجاوز الخط الأحمر . ويدعم هذا الافتراض ، تلك الحملة الكثيفة المضادة للعراق التي شُنّت منذ عدة أشهر (هتلر الصغير) و(المدفع العملاق) و(المفاعلات) و(دفع الكويتيين للتشدد في المباحثات الثنائية) و(استدارة أمريكا بردة فعل قويّة بعد الاجتياح) وكان يحفزها عاملان :

الأول/ إرادة أمريكية بتطويق الأمم المتحدة وذلك بوضع قوة دولية متعددة الجنسيات تحت رايتها في مسرح الحدث .

الثاني/ الاتفاق مع العربية السعودية على إنزال قوات أمريكية فوق أراضيها ، وهو اتفاق لم يكن ليتم إلا على قاعدة القضاء على النظام العراقي .

ورغم أن هذا التحليل المنطقي ، لم يكن مستنداً إلى معلومات دقيقة ، فإنه لم يبدُ مفتقراً إلى الثقة به ، فعندما تم تنبيه روزفلت إلى الهجوم الياباني الوشيك على بيرل هاربر عام ١٩٤١ ، هل تراه انتظر حدوث ذلك (دون أن ينبّه أحداً بدوره) كي يتمكن من التقاط أفضل سبب للدخول في الحرب ضد اليابان ؟

بعد عشرة أيام ـــ من الأزمة ـــ كان بين يدي تقرير يستنتج أن (الحرب عملياً ، وكما هو متوقع ، هي المصير الوحيد لهذا الصراع) .

لنتأمل فيما بعد الحرب ، هل سيصبح الأردن هو وطن الفلسطينيين طالما أن نهر الأردن سيُثّبت كحد نهائي لإسرائيل ؟. وهل يتم تثبيت السيطرة السورية على شمال لبنان ، فيما يثبت الحزام الأمني لإسرائيل على جنوبه .

ومع هذه الافتراضات ، فإن إيران تبدو وكأنها من أكبر الرابحين ، فهي سترفع حصتها البترولية ، وستساهم في تفكيك العالم العربي ، وستصبح سوريا الزعيمة الوحيدة للعالم العربي ، أما إسرائيل فتكون قد تخلّصت ولسنوات طويلة من أي خطر هجومي ، من قبل القوة الوحيدة ، القادرة على إثارة قلقها ، وستتمكن من تثبيت حدودها ، وتدفع بالسكان الفلسطينيين إلى خارجها .

لقد أصبحتُ موضع انتقادات حادة ، منذ أن طالبتُ بسرية المناقشات في المجلس الوزاري المصغر في ٩ آب .

فمنذ الأيام الأولى من شهر آب ، ومجلة (كانار أنشيني)وشهرية (كلوب) التي تصدرها جهة لم يكن يُعرف عنها انسجامها مع اليمين ، تغذيان بشكل غريب ، حملة دعاة الحرب ، وتثيران (قضية شوفنيان) .

اليمين الأطلسي والمتعصبون لإسرائيل الكبرى :

هكذا أصبحتُ محط هجوم من داخل خطّي (السياسي) إضافة إلى حملات اليمين الأطلسي والمتعصبين لإسرائيل الكبرى ، وقد ألفيتُ نفسي معزولاً بسرعة قياسية .

وفي ٢١ آب خلال مؤتمر صحفي لي ، اقتطع أحد الصحفيين ، جملة تافهة بحد ذاتها ، ولا تشكل أكثر من مجرد حشو في الكلام ، وراحت وكالة الصحافة الفرنسية تبثها كخبر سريع وكموقف رسمي (من مسؤول حكومي كبير آثر عدم ذكر اسمه) وجاءت إضافة هذا العنوان المثير لتبدّل هدف الجملة ، حتى كما حررها الصحفي نفسه ، أما الجملة فكانت تقول : (كي يستطيع الحصار ضد العراق أن يؤدي فعله ، يجب ألا يحدث هجوم سابق لأوانه) .

في الأمم المتحدة وبعد ثلاثة أشهر ، كانت ملاحظتي تشكل كل عناصر الجدل هناك .

وفي عصر النهار نفسه أي يوم ٢١ آب اجتمع المجلس الوزاري المصغر للمرة الثالثة ، وعبّر الرئيس عن أسفه ، لأننا أعطينا الانطباع بأننا مترددون بين العقوبات والحصار ، علماً أن قضية الرهائن كانت قد قطعت الجسور نهائياً ، بين باريس وبغداد ، وجعلت من الأصدقاء القدامى ، أعداءً كاملين ، ولا يجوز لنا أن نترك

القانون الدولي يُنتهك ، خاصة في هذه المنطقة من العالم حيث تتجمع مخاطر حرب مستقبلية .

وتقدمت برأيي مرة أخرى ، وقلت :

إن أية مفاوضات حقيقية لم تُجرب حتى في إطار الأمم المتحدة ، التي يمكن تطبيق قراراتها .. أو تركها دون تطبيق ، وإن الحرب ضد العراق ، ستبدو حرباً بين الشمال والجنوب ، وستؤدي إلى خلخلة توازن العالمين العربي والإسلامي برمتها .

واستشهدتُ بـ (سونتنرو) حين قال : (إذا أردت من خصمك ألا يؤذيك ، فاترك وراءه جسراً مفتوحاً) ، ورحتُ أركّز على الفاعلية المؤكدة للحصار . إذ ليس لدى العراق سوى تسع بواخر لا تزيد حمولتها عن مئة ألف طن لنقل نفطه ... بل لقد مضيتُ إلى حد اقتراح مبادرة فرنسية في إطار الأمم المتحدة تعتمد في حال الضرورة على السوفييت من أجل الوصول إلى حل دبلوماسي للصراع .

مواقف الأوروبيين :

لم أكن مخطئاً في تقديري لدعم الأوروبيين لموقفي أبداً .. إذ لم يكن مَنْ هو متحمس لفكرة الحرب .

غير أن وزراء منظمة الوحدة الأوروبية ، الذين كانوا قد تلقوا مساء الأول من أمس ، تعميماً من زميلهم الأمريكي ديك شيني ، بسلّم أولويات تدعيم القوات في الخليج (مع وسائل النقل وكاسحات الألغام ..) لم يجدوا صعوبة في الامتثال .

وكان من المؤكد ، أن ألمانيا جنحت للاحتماء بدستورها ، غير أن هانز ديترش غينشر ، أشار إلى وجوب محاكمة صدام (أمام نورمبرغ جديدة) .

كان الإيطاليون أقل حماسة لامتشاق السلاح ، وكان للبابا تأثير في الإسهام بتخفيف حدتهم ، ولو أن فرنسا اتخذت موقفاً واضحاً تجاه المفاوضات السلمية ، لما تخلف الايطاليون عن اللحاق بها ..

وكان يبدو لي ، أن ضغطاً فرنسياً ـــ سوفييتياً ، هو القادر على تحقيق تراجع

عراقي ، قبل أن يقفل الأمريكيون الأبواب ، ولو أن فرنسا اتخذت المبادرة ، وجذبت الاتحاد السوفييتي والصين إلى موقف عاقل ـــ مع الحفاظ على قدرة ردع دفاعية في المنطقة لكانت استطاعت أن تلعب دور الوساطة في خدمة السلام .. وهو دور كانت ستخرج في إثره بمكاسب هائلة في المستقبل ، لكن الأمور كانت تجري بسرعة خاطفة !..

فيما يخصّني ، وفي الوقت الذي جعلت فيه ، وكالة الصحافة الفرنسية موقفي معلناً ضد الحرب ، ومع الحصار ، فإنه لم يكن لأسلوب صياغة الخبر ، أن يسهم في تدبير الأمور .

في اليوم التالي ٢٢ آب ، سألني رئيس الجمهورية ، فيما إذا كنتُ مستعداً لتغيير موقفي داخل الحكومة ، و لم أفاجئه حين أجبته أن الأمر غير وارد . وأن أي عضو في الحكومة ، مهما كانت وجهة نظره ، فإنه بحكم وظيفته سيكون متضامناً مع سياسة الرئيس .

وأضفتُ : إن منصب وزير الدفاع هو بيد رئيس الجمهورية ، ولذلك فسأتفهم جيداً ، أن يستبدلني بشخص آخر ، وفي ذات اليوم ، عرض علي ميشال روكار وزارة التموين ، غير أني ظللت وزيراً للدفاع .

المواجهة الصعبة :

لقد كنتُ أعتمد على الرأي العام والدبلوماسية من أجل تغيير مجرى الأحداث ، فعلى الصعيد الأول ، عملتُ بشكل دفاعي من آب إلى كانون الثاني ، وكانت المواجهة تسلك طريقاً صعباً ، فقد أعلن راديو إسرائيل إقالتي منذ ٢٣ آب ، وفي اليوم نفسه ، تجرأت (اللوموند) ونشرت تحت توقيع (غريلسامر) تعريضاً يقول أنني استلمت بعض الهدايا من العراق .. وفي حالة كهذه ، كيف يمكن لإنسانٍ أن يعمل ؟ .

وقد أوضحتُ لـ (إيست ريبوبليكان) أن موقفي كوزير للدفاع يسمح لي أن أقدر ما ستكون عليه أضرار حرب (أولترا تكنولوجي) أي عالية التقنية بحيث تصبح

مميتة بشكل مرعب ، وهي أضرار يمكن تجنبها بواسطة حصار فعّال ، الأمر الذي يقود العراق للاعتراف والتراجع .

لقد أوضحتُ (سياستنا العربية) موجزاً : (إن ما يجب أن يحدد مواقف أي رجل سياسي فرنسي ، هو مصلحة فرنسا قبل كل شيء ، ويتجلى ذلك في علاقات صداقة مع العالم العربي من المغرب إلى الخليج ، بما يتماشى مع مصلحتنا القومية .

بخصوص مَنْ يهاجموني أقول : إن شرف المهمة التي أضطلع بها ، يتطلب أن أخدم وطني ، وأن أقوم بمناهضة ضغوط (اللوبي) إذا لزم الأمر ، وأن أقاوم هذه (اللوبيات) مهما تكن .. وصدقوني إنها لمهمة عسيرة .

قرار إرسال المشاة دون علمي :

يوم ١٤ أيلول كنتُ في الطائرة التي ستقلني إلى جدّة ، حين انعقد مؤتمر وزاري مصغر في اليوم التالي ، وقرر إرسال فرقة من سلاح المشاة إلى العربية السعودية ، رداً على الاعتداء على سفارتنا في الكويت .

كانت الطائرة فوق جزيرة كريت ، وكان الجنرال شميدت رئيس هيئة الأركان برفقتي ، وكان من المقرر أن الجنرال سيقابل شوارزكوف ، أما مهمتي فكانت مقابلة الملك فهد ، وعقد جلسة معه .

في صباح اليوم التالي ، وبعد نصف ساعة من التفكير ، قررت المضي على الطريق ، وعلى خط هاتفي سري ، سألت الرئيس عما يمكن أن يعنيه قرار كهذا ، وتحت أي مسنن وضعني ؟. (المقصود بالقرار هو إرسال فرقة المشاة ـــ المترجم) .

وكان جوابه قاطعاً ، حيث أشعرني أنه حتى لو عدتُ من المهمة لما غيّر في ذلك شيء .. لقد تعلمت من خلال التعامل الطويل مع فرانسوا ميتيران ، ما هي أفضل اللحظات التي يمكن فيها الإلحاح عليه ، ولم تكن تلك اللحظة واحدة منها !.

عندما استقبلني الملك فهد في اليوم التالي ، لم أقاطعه إلا بعد تسعين دقيقة من استفاضته في الحديث ، وقد طلبتُ منه إعطاءنا قاعدة جوية خاصة بنا ، تستطيع من خلالها طائراتنا تقديم الدعم لقواتنا البريّة ، ووافق الملك الذي بدا في عجلة من أمره لاستكمال زيارته إلى فرنسا .

وهكذا وُضعت قاعدة (الحسا) شرق الرياض تحت تصرفنا ، وتم ذلك رغم أنف أولئك الذين كانوا يريدون أن يروا (الجاكوار والميراج) في القاعدة الأمريكية في الظهران .

أخيراً ، انتهى الملك من حكايته ، وكما سمعتها فهي تستحق أن تروى : (في نهاية الستينات أُدخل الأمير فهد إلى مكتب الجنرال ديغول الذي دعاه للجلوس ، لكنه ظل واقفاً أمام المكتب الرئاسي ، عندها رفع الجنرال حاجبيه وقال متعجباً : ألا تريد أن تتفضل بالجلوس ؟..

أجابه الأمير : لا .. لأنني هكذا ، أتمكن من تأمل بطل فرنسا الكبير ..

وفوجىء ديغول بالجواب ، وقال :

إذن ، هلم بنا نذهب إلى العَلَمْ ..

وعندما وقفنا جانب السارية قال :

من المؤسف أننا لا نستطيع تبادل أنخاب الشمبانيا .

وبابتسامة فرحة أجاب الأمير :

ــ يكفي كوب من عصير البرتقال .

ولبى الجنرال رغبة ضيفه المشروعة .) .

مع انتهاء هذه القصة التي تعبّر عن قدم ومتانة الصداقة بين بلدينا ، كانت الساعة تشير إلى الواحدة ، وهي ساعة انفضاض المجلس الملكي .

بعد ساعات ، ذهبت إلى (ينبع) في زيارة لفرقة الاستطلاع التابعة لأسراب طائرات الهيلوكبتر المقاتلة .

كنت متمسكاً بالحفاظ على موقف دفاعي لقواتنا منذ أن غادرت الوطن ، وقد وجدت نفسي في موقف متناقض ، فحين كان واجبي يحتّم عليّ التحضير الكامل لحرب وشيكة ، بدت احتمالات وقوعها تلوح في الأفق ، كانت قناعاتي تذهب إلى أن مصلحة بلادي تقتضي تفاديها بأي ثمن .

كنت أعلق آمالاً على الدبلوماسية ، وأرى في وجود قواتنا في المنطقة ، حالةً يمكن أن تفضي إلى تعديل المسار ، وقد بدا أن لقاء بوش ، غورباتشوف في هلسنكي

يوم ٩ أيلول ، يخفف من (منطق الحرب) ، كما أن خطاب رئيس الجمهورية في الأمم المتحدة بدا وكأنه يقدم أساساً معقولاً لتسوية سلمية ، ورغم أن فرنسا صوتت في اليوم التالي ، في مجلس الأمن ، إلى جانب الحصار الجوي على العراق ، فإن ذلك مرده يعود أن دوما (وزير الخارجية الفرنسية ـــ المترجم) يحتاج إلى براعة كبيرة ، كي يهدىء من روع حلفائنا الأنجلو ـــ ساكسون .

وكان يكفي خطاب ميتران ، كي يظل خطاباً !.. ، أن يشنّ الأمريكيون سياسة ضغط قوية ، وأن يقابلها صدام حسين بعناده ، وأن يحبسنا التضامن مع حلفائنا داخل حلبة التسابق على الجمود .. مع ذلك فقد تبدّى الوضع ، وكأن الرأي العام عاد ليتمالك نفسه ، وأن دعاة الحرب باتوا يلهثون تعباً ، ورحت أقدم حججي من خلال برنامج (ساعة الحقيقة) في جو كان يميل إلى الهدوء والصراحة .

مباراة ليّ الذراع

غير أن مباراة ليّ الذراع ، كانت على أشدّها بين الولايات المتحدة والعراق ، وفي ١٩ تشرين الأول استقبلتُ ديك شيني في باريس ، وعرضتُ عليه وجهة نظري بصراحة ، وكان مما قلته في أسباب التروي والحذر ، هو أن التوازن الإقليمي بالغ الهشاشة في المنطقة ، فالعراق عليه ألا يوازن إسرائيل فحسب ، بل هناك قوة إيران أيضاً ، وهناك مخاطر كبيرة من جراء الإخلال بالتوازن ، الأمر الذي سيدفع الناس نحو التعنت الأصولي ، وشرحتُ أيضاً ، أن بالإمكان التوصل إلى اتفاق لضبط التسلح في الشرق الأوسط كما في أوروبا ، وأن الاتفاق حول نزع الأسلحة الكيميائية بدأ يقترب ، وأنه من المهم تدعيم تدابير معاهدة M.T.C.R لمنع انتشار الأسلحة البالستية وكذلك تعزيز مراقبة وكالة الطاقة الذرية الدولية في فينا خاصة وأن العراق (بعكس إسرائيل) كان قد وقّع على معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية المسماة (T.N.P) .

كان شيني يستمع باهتمام ، وبشكل ما أعطاني الانطباع أن قرار الولايات المتحدة لم يُتخذ بعد ، وفي اليوم التالي استقبل رئيس الجمهورية وزير الدفاع الأمريكي

(شيني) وقال له : إن لبنان يهم الرأي العام الفرنسي ، أكثر من الكويت بألف مرة !..

كانت الدبلوماسية الأمريكية ـــ في هذه الفترة ـــ قد سرّبت أن (المادة ٥١) من ميثاق الأمم المتحدة كافية للتدخل العسكري ، ولا حاجة لاستصدار قرار جديد من مجلس الأمن ، وعند هذا الموضوع تسمّرت المحادثة الأمريكية ـــ الفرنسية ، ومن المرجح أن فرنسا كانت تأمل من وراء قوة قرار جديد ، عملية تغيير في الاستراتيجية الأمريكية ، لكن أمريكا تصدّت لذلك ، واستطاعت في النهاية أن تنجح .

وعبثاً عرضتُ إرسال مبعوث سلام فرنسي إلى بغداد ، وهكذا إلى أن قدم جيمس بيكر إلى باريس يوم ٨ تشرين الثاني ، وأُرتج على كل محاولة من هذا النوع .

لقد خصصت اجتماعات ما وراء الكواليس ، لمؤتمر التعاون والأمن الأوروبيين (C.S.C.E) ما بين ٢٠ إلى ٢٢ تشرين الثاني ، للتحضير لحرب الخليج ، وكان الأمريكيون قد قرروا رفع أعداد جنودهم إلى خمسمئة ألف جندي ، وقد قطعوا بذلك الطريق نحو أي توجه سلمي ، وبعد أسبوع صوت مجلس الأمن لصالح القرار ٦٧٨ الذي تبنته فرنسا .

(جوهر القرار يستند إلى جملة صاغها كل من بيكر وشيفرنادزة وهي تقول باستخدام كافة الوسائل الضرورية لأخراج العراق من الكويت قبل يوم ١٥ كانون الثاني ١٩٩١ المترجم) .

وعلى الرغم من الحماسة التي ظهرت عقب الإعلان عن زيارة طارق عزيز إلى واشنطن ، وزيارة بيكر إلى بغداد ، وعلى الرغم من قرار صدام حسين بتحرير جميع الرهائن ، فإن ما فهمته ، هو أن الآلية الجهنمية قد دارت ، ولم يعد هناك سوى بصيص أمل ضعيف لإيقافها ، وبعد تجاوز حد معيّن ، أحسست أن مسار سياستنا يجعلني بعيداً عن منابعي

اتخذتُ قراري ، ولم يكن من المفرح للقلب ، أن ينفصل الإنسان عن مهمة كهذه ، لا بسبب الامتيازات والمكانة التي تؤمنها ، بل بسبب الإحساس المسيطر

واليومي ، بمسؤولية هي خارج المألوف ، وبات الحفاظ على أمن وحرية فرنسا هو موضوع المستقبل البعيد ، وإذا كان صحيحاً ما يقوله ميشليه من أن فرنسا (هي شخص) فكيف يمكن الفصل بين الدفاع المادي عن جسد الوطن ، وبين روحه كما أحسّها بعد أن تقدمت باستقالتي الخطية يوم ٩ كانون الثاني ، لم يظهر على الرئيس علامات الاستعجال لاتخاذ إجراء ما ، ولو أنه لم يلق صعوبة في قبولها من حيث المبدأ .

قبل يوم من الاستقالة أي في ٨ كانون الثاني ، كان فرانسوا ميتيران قد استقبلني ، وبعد الايضاح ، تركت له حرية تحديد الموعد (لذهابي) ولاحظت أنه كان يميل إلى التسويف (لم تقبل هذه الاستقالة في وقتها من قبل الرئيس الفرنسي ـــ المترجم) .

وخلال انعقاد مؤتمر وزاري مصغر يوم ٩ كانون الثاني ، بهدف تهيئة الرأي العام لاستقبال وقوع الحرب ، أكد ميتيران أن علينا الاحتفاظ بهامش تفاوضي حتى بعد اندلاع القتال ، مذكراً أن هدف الحرب الوحيد ، هو الكويت . وكانت رئاسة الوزراء ، قد أعدّت تصوراً أولياً عن حل سلمي ، منذ أن أعلن العراق قبل يوم ١٥ كانون الثاني مشروعاً ما للانسحاب من الكويت ، إذ بدا الرئيس مصمماً على فعل أي شيء لتشجيع مبادرات السلام ، وكأنه أدرك فجأة ، بعد أربعة أشهر ، كل المخاطر والنتائج التي ستتركها هذه الحرب بالنسبة لفرنسا ، وتدخلتُ لأثير باختصار فكرة إعادة طرح مشروع ٢٤ أيلول (يُذكر شوفنمان هنا بخطاب ميتيران أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٤ أيلول ١٩٩٠ حين قال [ليؤكد العراق نيته بسحب قواته ، وليطلق الرهائن ، وسيصبح كل شيء ممكناً .] ـــ المترجم) .

لم أعلن بوضوح معارضتي للحظة العسكرية الجوية ، التي من المفترض أن تسبق العمليات الأمريكية ، والتي ستدخل عملياتنا في إطارها حسب ملاحظة مكتوبة قدمها لي الجنرال شميدت يوم ٣١ كانون الأول ، ولم أُصدم بتصور عمليات تطويق الكويت ، مثلما صُدمت باتساع وحجم الضربة الجوية التي ظل الأمريكيون يحتفظون بتفاصيلها بصورة سرية كاملة .

وكان الرئيس قد عبّر لي عن تفضيله لبقائيّ في مكاني ، بعد أن أعلنت عن رغبتي

في الاستقالة ، وقد طلب إلي البقاء في عملي ، مشاركاً الحكومة في عملها وقراراتها بشكل أفضل من السابق ، وأبدى رأياً إيجابياً إزاء ما سيحدث .. ولأول مرة أرى الرئيس منشرحاً منذ آب .. فقد كان ميشال فوزال ، قد عاد لتوه من العراق ، (فوزال هو رئيس لجنة الشؤون الخارجية في المجلس الوطني الفرنسي وقد زار العراق في مطلع كانون الثاني بقصد الوصول إلى تسوية سلمية للأزمة ــ المترجم) .

وكان واضحاً أن الرئيس قد قرر القيام بمبادرة الفرصة الأخيرة ، وذلك بالتنسيق مع الجزائريين وربما مع السوفييت ، وبعد أن تلقيت تعليمات الرئيس الجديدة قمت في يوم ٧ كانون الثاني بتصديق خطط العمليات العسكرية ، ووجهتها إلى رئيس الأركان ، الذي تم تمديد خدمته ــ بناء على اقتراح مني ــ لثلاثة أشهر إضافية ، بعد تجاوزه السن القانونية .

وكانت هذه العمليات تحدد للقوات الجوية ، بمبادرة مني وبموافقة الرئيس ــ أن الأفضلية الأولى هي للأهداف العسكرية الواقعة على الأراضي الكويتية ، ولا يرد في مهامها قصف أهداف العراق إلا عند انتهاء المرحلة الجوية كلها ، ويقع ذلك أمام قطع قواتنا البرية (السلمان) ، ثم حدد الجنرال شميدت التوجيهات بدقة أكبر ، إذ عين نهاية اليوم الحادي عشر للقصف ، موعداً لتحرك طائراتنا لقصف مواقع داخل العراق (وليس قبل ذلك وقد شدد الجنرال ، كما فعلت أنا ، على إعطاء انتباه شديد جداً ، لجعل الأضرار اللاحقة بالمدنيين محدودة ما أمكن ، ولم يكن ثمة مخاطرة في ذلك ، فمقاطعة (السلمان) منطقة صحراوية وخالية ، وهكذا كان يبدو لي أنني ربما أستطيع من خلال بقائي في الحكومة أن أوجه دفة الأمور ..

لقد طرح مشروع السلام الفرنسي المعروف ، والذي أعلن في أروقة الأمم المتحدة يوم ١٤ كانون الثاني ، قبل عرضه على التصويت في مجلس الأمن ، وتمت مواجهة المشروع من قبل الولايات المتحدة وبريطانيا بمعارضة شديدة وحازمة ..

من جهة أخرى ، كان المبعوث الفرنسي الرئاسي قد قرر الذهاب إلى بغداد يوم ١٤ كانون الثاني ، بناء على طلب العاصمة العراقية نفسها ، إلا أنه ــ لسبب ما ــ لم يذهب ، وقد قيل أن صدام حسين لم يعد مستعداً للتحرك !..

يوم ١٦ كانون الثاني وافق البرلمان الفرنسي على إطلاق العمليات العسكرية . وبعد أقل من ثلاث ، ساعات ، كان قرار دخولنا الحرب ، يُنقل من قبل رئيس الجمهورية .. وبعد ثلاثة أيام قمتُ بمهمة إلى (الحسا) ثم إلى الرياض ، وبعدها إلى مكان قريب من الحدود السعودية ـــ العراقية (رفحة) ، حيث لم تتمكن طائرتي من الهبوط لسوء الأحوال الجوّية .

وفي يوم ٢١ كانون الثاني عرض الجنرال شوارزكوف عليّ في الرياض ، النتائج المؤثرة للغارات الجوية في الأيام الثلاثة الأولى ، فقد تحقق تدمير المنشآت النووية والكيميائية تدميراً تاماً ، وهناك مصانع حربية أخرى دُمرت بنسبة ٨٠ بالمئة . وقد أضاف شوارزكوف بحس سليم (هذه الحرب هي نتيجة لفشل الدبلوماسية ، والعمل الآن لنا ، أما في الغد ، فعليكم أنتم رجال السياسة تقع مسؤولية إيجاد الحلول لنتائجها) .

وفي الوقت الذي شلّت فيه قدرة الدفاعات الجوية العراقية منذ اليوم الأول ، تبين لي مباشرة ، أنه بدلاً من أن يؤدي ذلك إلى اختصار العمليات الجوية من حيث المدة الزمنية ، فإن العكس هو الذي سيحصل ، وسيأخذ القصف وقتاً أطول مما حدد له ، وذلك لتدمير القدرة البرية العراقية (بصورة أكثر منهجية) ، ولأن تركيز الفرقة ١٨ من الجيش الأمريكي غرب الكويت ، كان قد تأخر .

أصبح واضحاً للعيان ، أن المرحلة البرية لن تبدأ قبل منتصف شباط (وهي لم تبدأ فعلاً إلا في ٢٤ منه) .

وتجاوز اتساع التدمير الذي لحق بالعراق ، قائمة الأهداف العسكرية ، حيث طال الجسور ومحطات تنقية المياه ومحطات توليد الكهرباء والمصانع والمباني العامة .. وكل ما ليس له علاقة (باستخدام الوسائل الضرورية لتحرير الكويت) .

(يتهكم شوفنمان هنا على نص القرار رقم ٦٧٨ الصادر عن مجلس الأمن والقائل باستخدام كافة الوسائل الضرورية لتنفيذ القرار ٦٦٠ الذي كان قد صدر عن مجلس الأمن بُعيد الاجتياح بقليل ، والقائل بوجوب خروج القوات العراقية من الكويت ـــ المترجم) .

ولاحت فكرة إعطاء فترة هدنة ، تسمح للعراق بالانسحاب من الكويت ، وهو ما كنتُ أقترحه منذ بداية كانون الثاني ، و لم يستبعد الاقتراح رئيس الجمهورية آنذاك غير أنه سرعان ما أصبح اقتراحاً لاغياً !..

كان منطق الحرب يشق طريقه ، وأصبح تدمير القدرة العراقية ، هو هدف حربٍ لم تعد وقائعها بقادرة على التستر على حقيقتها .

كنت أشعر بمأساة التفاوت بين القوى غير المتكافئة أبداً في هذه الحرب ، و لم تفعل الولايات المتحدة شيئاً لتفاديها ، وما فعلته كان على العكس تماماً .

هذا ما كان يعيش في داخلي منذ ستة أشهر ، وكان من المستحيل ألا أعترف بالمنطق الساحق لهذه الحقيقة الراسخة .

إن توسيع العمليات لتدمير القدرات العراقية ، لم يكن له ثمة علاقة بقرارات الأمم المتحدة ، وها هي المؤسسة التي أدانت ـــ قبل عشر سنوات ـــ تدمير المفاعل النووي العراقي تموز من قبل الطيران الإسرائيلي ، تعطي نفسها اليوم ما هو أكبر من تموز : محو البنية التحتية الضرورية لحياة بلد عصري . وقد اعتقد دي كويلار أن عليه أن يوضح من جديد : (إنها حرب فرضتها الأمم المتحدة ، لكنها بالتأكيد ليست حرب الأمم المتحدة) .

طغيان دعاة الحرب :

بالنسبة لفرنسا فإن أهداف الحرب تطورت مع الحرب نفسها ، وبات وضعي في الحكومة لا يطاق ، فالتزام قواتنا بتحديد أهدافها داخل الكويت ، وهو ما كان واضحاً منذ البداية ، أخذ يغذي جدلاً ، وراح جزء من التيار اليميني المستعد دائماً للمزايدات يقدم اعتراضاته ، ومن الغريب ، أن أولئك الذين اطلقوا في بداية السبعينات ، موضوع التعاون ـــ ولا أقول التحالف ـــ مع العراق ، هم أنفسهم الذين يطلبون من فرنسا أن يكون لها حصة أكبر في الحرب .

كنت في العربية السعودية ، لاستقبال طيارينا العائدين من غاراتهم الثالثة على الكويت ، وقد عرضوا عليّ في القاعدة ، خوذة طيار مثقوبة بالرصاص منذ اليوم الأول للغارات ، ولولا أن صاحبها قام بحركة ما مصادفة ، لما تخلص من الموت

المحقق ، وكنتُ يومها بعيداً عن الإحاطة بالجدل الذي يدور ضدي في فرنسا ، حيث أن الأصداء كانت تصلني بصورة مخففة جداً .

وبسبب من ذلك ، فقد أصابني الذهول لدى اكتشافي ، عند عودتي إلى باريس ، حجم الكارثة ، فقد كنتُ قد اتهمت بارتكاب جريمة ، لأنني قلت : (إن الحرب ليست فيلم فيديو ، لا بالنسبة لطيارينا الذين يتعرضون للمخاطر أثناء أداء مهماتهم ، ولا بالنسبة لأولئك الذين يتلقون القذائف المميتة) .. عند هذا ، قُمت بالرد على الهجوم مرة أخرى معتمداً على نفسي فقط ، ففي يوم ٢٤ كانون الثاني في برنامج يقدمه جان بير الكاباش الإذاعي قلت :

إن دناءة هذه الهجمات تذهلني ، أين ذهب منطق كل هؤلاء الناس الذين كانوا حتى الأمس القريب ، يهرولون إلى بغداد ؟.

لقد رأيت جهنم بشكل أوضح الآن ، فإلى أي مدىً كانت الدوافع الميركانتيلية (أي روح المصلحة والتجارة ـــ المترجم) .

تحرك نفوسهم وتقود خطواتهم ؟. لقد بدا لي أن ما كنتُ أرجعه إلى أفكار معينة عن علاقات فرنسا مع العالم العربي ، لم يكن عند أولئك الذين يزعمون وراثة ديغول ، أكثر من انتهازية مشبعة بالحقارة ، ولم يكن لهذه الهجمات المتبادلة أن تهدأ ، حين قامت طائراتنا ـــ قبل الموعد المحدد من قبلي ـــ بقصف أهداف داخل الأراضي العراقية .

كنت أتعرض للإهانة من قبل زعماء اليمين دون مساندة اليسار ، وأصبحتُ عرضة للانتقام الحاقد البليد ، من قبل مَنْ يمكن أن أسميهم (بحرب الخارج) ، وهكذا ألفيتُ نفسي من جديد ، في مواجهة مع صلاحياتي بالنسبة لما يجري من وقائع ... وكذلك نفس الشيء بالنسبة للرأي العام ، ولم يكن ينقضي الكثير من الأصوات لإبراز وجاهة أسبابي في وسائل الإعلام بتأييد كبير .

لقد أُوكل تفسير سياستنا المقررة ، أمام الرأي العام ، إلى ضباط من ذوي الرتب العالية ، وأنا لا أشك في موهبتهم إطلاقاً ، لكن السياسة لم تكن مهنتهم ، تماماً ، كما لم تكن قطرة الماء التي جعلت الكيل يطفح ، هي سبب الطوفان : فمنذ الأيام

الأولى للحرب كان (روبير بندرو) قد استفسر من رئيس الوزراء ، عن جنوح السلطات السياسية للتملص من مسؤولياتها ، حين يذهب ضباط قادة ، إلى ممارسة نشاطهم العسكري ، وذلك على عكس أولوية السلطات المدنية على السلطات العسكرية في المفهوم الجمهوري .

وقد عبر تعليق (جاك اسنار) بعد البرنامج التلفزيوني (سبعة على سبعة) عن رؤية صحيحة حين قال :

(ليس للعسكريين في التقاليد الجمهورية ، أن يكون لهم خيار الاتفاق أو عدمه مع السلطات السياسية ، فكيف إذا بدوا وكأنهم يحلّون محلها ؟!..) .

وكان التنفيذ العملي للاستقالة ، والوزير المعني ما زال في موقعة ، جارحاً ومؤلماً ، غير أنّ ما يصبح أشد إيلاماً ، هو الانتقاص من تلك الفكرة التي أكونها أصلاً عن مسؤولية السلطة السياسية ، الأمر الذي سيبعدني عن الخيار الذي قبلته بقبولي البقاء في منصبي .

لقد كنتُ في قبولي الاستمرار في الحكومة ، أدوس وظيفتي ، والفكرة التي أحملها عن الجمهورية .. دون رفّة عين .. وكان الاحساس بواجبي يدفعني ، أكثر من كل الالتزامات بالاعراف والاتفاقات ، كي أتجاوز خساسة الحاضر ، وحتى همّ المستقبل .

طلب مني الرئيس أن أمهله بعض الوقت .. واتفقنا على الشكليات . فيما بدا الحديث هادئاً وودياً . وفي اليوم التالي ، أعلن الأليزيه رسمياً في الساعة العاشرة والنصف ـــ كما اتفقنا ـــ رسالة الاستقالة التي وجهتها لرئيس الجمهورية .

هل جاءت استقالتي متأخرة :

كانت هذه النهاية هي الخلاصة المنطقية لستة أشهر من الاختلافات ، وبحسب البعض ، فقد جاءت استقالتي متأخرة بشكل ما ، ولكن ألن يقول هؤلاء ، أنني كنت بذلك سأدعم موقف صدام حسين لو أنني قدمت استقالتي قبل نشوب الحرب ، وأحسبُ أنني لو فعلت ذلك ، لكنت دغدغت أحلامه ، وظهرتُ كمن يُعرّض فرص السلام الهشة للخطر .

كان اليمينيون الذين ما برحوا يصرخون صباح مساء ، بضرورة تقديم استقالتي ، يصيحون بمجرد سماعهم لأعلانها ، كما توقعت : لقد تخلّى عن المسؤولية . وكما في جميع الحالات المشابهة ، فإن النفوس تنكشف مفصحة عن حقائقها ، إلا أن ذلك لم يكن اكتشافاً بالنسبة لي ، فدعاة الحرب الذين زاد سعيرهم منذ البداية ، اعتقدوا أن ساعة اقتسام الغنائم قد حلَّتْ .. إلا أن آلاف الرسائل ، الصادقة والحارة ، كانت تدعم خياري وتقول :

ــ إنه ما يزال في بلادنا قلب وروح .

عند خروجي من الحكومة كان فكري يتجه إلى جنودنا في العربية السعودية ، وبات التمييز بين الواجب السياسي والواجب العسكري مفقوداً ، فقد تعلّمتُ أن أفهم جيداً ، وأقيّم جيداً ، أولئك الرجال الذين برهنوا من خلال عملية (داغي) عن مهارة كاملة في امتلاك فنونهم (عملية داغي هي أهم عملية عسكرية فرنسية منذ انتهاء حرب الجزائر فقد شارك فيها ١٣ ألف جندي في حرب الخليج ، وقد أقرت العملية دون علم وزير الدفاع يوم ١٥ أيلول ١٩٩٠ ــ المترجم) .

لقد استَلْهَمْتُ الرسالة التي وجهتها لهم (أي للقوات الفرنسية في الخليج ــ المترجم) كامل المعاني ، وكان مما قلت فيها :

(من خلالكم تتجه ثقتي إلى فرنسا التي اخترتم خدمتها من خلال مهنة السلاح ، تلك المهنة التي استمرأناها ، فيما يخصني وتبعاً للقاعدة التي أومن بها فإنني أجد رجالَ السياسة في الجمهورية ، مسؤولين عن تحمل خياراتهم ، شريطة ألا ينسوا أبداً ، واجبهم تجاهكم في الدعم والتضامن) . وكانت هذه الرسالة في ٣٠ كانون الثاني .

إن (ليوتي) الذي استقال من منصب وزير الحرب في ١٠ آذار ١٩١٧ ، في مرحلة تاريخية حرجة من تاريخنا ، حدد بشكل أوضح مسؤوليته السياسية حين كتب لرئيس الجمهورية الفرنسية ولرئيس المجلس الوطني قائلاً : (إذا كنتُ لا أستطيع أن أرى ما الذي يحدث ، فإنني لست كفؤاً ، وإذا كنتُ أراه وأتابع تحمل مسؤوليتي السياسية ، فأنا مجرم) .

قبل خروجي من الحكومة بعدة أيام ، وكوني لم أشك إطلاقاً بسير الأمور نحو الحرب ، أوضحت للرئيس أن الاحتفاظ بمنطقة (السلمان ــ السعودية) وإبقائها في يدنا ، هو عمل من أعمال الشجاعة الباهرة ، التي قامت بها قطعاتنا في ظروف بالغة الصعوبة والتعقيد .. وكنت أعرف بعد الاستقالة ، أنني أضع نفسي في موضع انتقادات عنيفة .

لقد غطت الأمم المتحدة الحرب الأمريكية ، أما الغالبية العظمى من ممثلي برلماننا ، فسيطر عليهم إحساس بالعجز ، أو لعلهم اضطروا أو اعتقدوا أنهم مضطرون للانضمام إلى الصف ، وهناك حوالي ٨٠ بالمئة من الشعب الفرنسي ، حسب استطلاعات الرأي العام آنذاك ، كانوا وراء رئيس الجمهورية ، وأنهم مع اشتراك قواتنا في القتال ، غير أني كنتُ في موقع يسمح لي أكثر من سواي ، أن أعرف النتيجة النهائية : إن مصير السلاح ، هو الذي يقرر مصير الأفكار ولو بصورة مؤقتة على الأقل .

وحيث أنني وضعت نفسي ، في حالة تحدٍ لجميع السلطات ، فإنه لم يكن بإمكاني الحصول على موافقتهم في أي شيء ..

وببساطة ، فإنني رفضتُ أن نذهب لذبح مئة ألف روح من البشر على الأقل ، للوصول إلى نتيجة إشكالية هي تدمير العراق ، وهو ما نراه اليوم .

إن الحرب تعقد المشكلة أكثر مما تحلّها ، والانسحاب السلمي من الكويت ، كان بالامكان الحصول عليه بمزيد من المرونة الدبلوماسية ، وكان بمقدورنا أن نحقق انتصاراً للحق ، كسابقة تاريخية ، ولم تكن هناك حاجة لانتظار أسباب الحرب ، كي نفهم أن للحق وجوهاً متعددة ، أو مختلفة ، فحقيقة ما وراء البيرينيه ، أو نهر الأردن ، هي غير حقيقة ما هو أمامهما ، ومن موقعي كنت أرى دعوات الحرب ، وأسمع ما ينفخ في أبواقها ، منذ بداية الأزمة .

رسالتي الأولى إلى رئيس الجمهورية :

سيدي رئيس الجمهورية .

إضافة إلى ملاحظات الجنرال شميدت حول مشاركتنا في العمليات الحربية المشتركة ، ومع الملاحظات والتأملات السياسية ـــ الاستراتيجية من قبلي عليها ، أعتقد أن من واجبي عرض بعض الخطوط السياسية :ـــ

ـــ إذا كان الواجب العسكري يفرض نفسه ، فإن المسؤوليات السياسية يجب أن يتحمل أعباءها السياسيون ، فأنا لا أستطيع وجدانياً أن أعطي موافقتي على العملية العسكرية الأمريكية التي تندرج عملياتنا ضمنها ، ورفضي لذلك لا يعود لأسباب سياسية عامة فقط ، حيث أوضحت وجهة نظري في رسالتي لك يوم ٧ كانون الأول (فالحصار والضغط الدولي والجهود الدبلوماسية ، كافية من وجهة نظري ، لجعل العراق ينسحب من الكويت) بل لأسباب جوهرية تتصل بخطة العمليات نفسها :

١ ـــ إخضاع مجمل القوات العراقية لقصف جوي مكثف وممتد طيلة خمسة عشر يوماً مستهدفاً حوالي ألف هدف بقصد تدمير القدرة العراقية بنسبة ٢٥ إلى ٥٠ بالمئة .

ويبدو لي أن هذه الخطة تعكس منطلقاً أمريكياً نموذجياً يتعلق بالسياسة الداخلية ، فالمقصود هو تقليل الخسائر الأمريكية إلى الحد الأدنى ، بثمن خسائر مرتفعة إلى الحد الأقصى في الجانب العراقي .

إن بين الهدف المقصود المعلن رسمياً ، وبين الوسائل المتبعة ، عدم تناسب هو عكس العدالة تماماً ، وإن حرباً كهذه ، إذا ما اندلعت ، فمن شأنها أن تشكل خطر فقدان الثقة في الأمم المتحدة بشكل دائم ، كما أن ذلك سيؤدي إلى تلوث صورة فرنسا أمام العالم .

كيف يمكن لشعوب العالم الثالث أن تفهم ، أن روحاً أمريكية ، تساوي عشرات أو مئات الأرواح العراقية ؟

إن خطة أولية لقصف يمتد خمسة عشر يوماً ستكون لها نتائج كارثية على الرأي

العام الدولي ، وسيضع هذا ، حياة العديد من الفرنسيين في الخارج ، في خطر

(يستفظع شوفنمان مدة خمسة عشر يوماً للقصف الجوي المتواصل قبل الحرب ، علماً أن القصف الجوي امتد طوال أربعين يوماً دون انقطاع ــ المترجم) .

سيادة الرئيس :

إن أقل الأشياء هو أن تحصل من الرئيس بوش على ما يلي :

آ/تخفيض مدة القصف الجوي ، إلى المدة الضرورية والكافية لتدمير مواقع الصواريخ وسلاح الجو العراقي أي من ثلاثة إلى ثمانية أيام كحد أقصى .

ب/إعطاء العراق مدة يومين أو ثلاثة كهدنة ، كي يقوم بمراجعة حساباته ومنحه فرصة للتفاوض قبل استئناف القصف من جديد .

ج/فيما يتعلق بالقوات الفرنسية :

١ ــ يبدو لي من الأهمية بمكان ، أن نحدد غاراتنا الجوية في المرحلة الأولى ، بحدود الأراضي الكويتية فقط .

٢ ــ بالنسبة للمرحلة الثانية (البرية) فإن عملية (I.M) التي عرضها الجنرال شميث ، تبدو لي أقل كلفة من ناحية الأرواح البشرية ، وهي تحفظ لنا ، استقلالية نسبية في نشاطنا ولو بصورة جزئية .

وفي كل الأحوال ، يبدو لي من الضروري ، الحصول من الأمريكيين على الالتزام بتقديم الدعم الضروري إذا ظهر أن المقاومات العراقية أقوى من المتوقع .

في التطبيق العملي يبدو من الضروري ما يلي : ــ

١ ــ أن تحدد تعليماتك للجنرال شميث بدقة .

٢ ــ أن توافق لاحقاً على نتيجة أعمال التخطيط بين الجنرال (روكيجوفر) وهيئة أركان الجنرال شوارزكوف (قبل ١٥ كانون الثاني) .

٣ ــ أن تحافظ على حرية قرارك بالالتزام في المشاركة أو عدمها حتى ما قبل ٧٢ ساعة .

٤ ــ قبل أن نصل الأمور إلى هنا ، يبدو أن واجب فرنسا هو أن تظل على مسافة من مشروع أعتبره مأساوياً ، وأن تبذل كل جهد لتقديم حل سلمي .

إنني أرى ، أن ذلك يمكن أن يتم بتقديم عرض تقوم به بنفسك لسائر أعضاء مجلس الأمن لتحديد موعد لافتتاح مؤتمر دولي حول قضايا الشرق الأوسط ، بمجرد أن يخلي العراق الكويت تماماً .

وأعلمُ أن هذا العرض سيسبب توتراً معيناً في العلاقات مع الولايات المتحدة ، إذ سيعطي صدام حسين المخرج الذي يريده للانسحاب من الكويت .

إنني إذ أدرجتُ عملي ، وبالتالي عمل وزارتي ، ليس العسكري فقط ، بل والسياسي أيضاً ، ضمن سلم التسلسل الاداري ، فإنني أتحمل وحدي قطعياً ، المسؤولية السياسية المتأتية عن تصميمي .

أنا بالطبع في خدمتكم ، من أجل الاستنتاجات التي ترونها مفيدة ، وأرجوكم أن تثقوا سيدي رئيس الجمهورية ، بثبات قراري .

جان بيير شوفنمان

□

نص كتاب الاستقالة

سيدي الرئيس .

إن فكرة معينة عن الجمهورية تقودني إلى أن أطلب إليكم التفضل بإعفائي من المهمات التي شرفتموني بتكليفي بها ..

وبناء على الأسباب الأساسية التي عرضتها في بداية كانون الأول ، يبدو لي أن الأحداث تندفع الآن بكل قوتها وأضيف :

إن منطق الحرب يبعدنا كل يوم عن الأهداف التي حددتها الأمم المتحدة .

أرجوكم أن تثقوا ، سيدي رئيس الجمهورية ، بثبات تقديري لكم ، وبمشاعري المخلصة .

جان بيير شوفنمان

من مئة إلى مئتي ألف رجل ، دفعوا حياتهم ثمناً لحرب الخليج ، وهي كما يسميها التعبير الرسمي (عملية الشرطي الدولي) .

وكانت العملية بمثابة الدرس الافتتاحي الذي استهل به جورج بوش نظام العالم الجديد ، كي يُركزّ سيطرة الولايات المتحدة على العالم عقب انتهاء الحرب الباردة .

وقد اضطر الألمان واليابانيون المنتصرون في الحرب الاقتصادية ، أن يدفعوا ، سواء عن رضا أو إكراه ، تكاليفها الباهظة .

لقد سمعنا أصواتاً تصيح غداة انتهاء الحرب ، ها هي الوقائع ، وقد بدأنا نرى اليوم ، كيف أن الوقائع تتكلم .

العراق سحق ، وأعيد إلى ما قبل العصر الصناعي ، وبات فريسة لحرب أهلية ، والكويت حررت وأعيد نصب عرش أميرها من جديد ، لكن الديمقراطية فيها أُجلّت إلى أجل غير مسمى .

الفلسطينيون واليمنيون طردوا من دول الخليج بمئات الآلاف .

المشكلة الكردية تستعر من جديد ، ورغم أنها وضعت في دائرة الضوء بثمن عذابات هائلة ، فإن حلاً ما لا يلوح في الأفق .

وغير مهدد للاستقرار ، لبنان يقع تحت الوصاية ، وإيران الآيات يعود إلى الواجهة ، الأصولية الإسلامية تنتعش بقدر الهوة التي فُتحت ، وبقدر الاحباط القاتل الذي أصاب القومية العربية ، والأمم المتحدة يتضاءل حجمها بحكم دورها الجديد .

هذه هي الوقائع التي لن تكون مفاوضات مدريد الهشّة ، تحت رعاية الولايات المتحدة وحدها ، أكثر من سيناريو ، فقد باتت الولايات المتحدة في عالم ما بعد يالطا ، هي الوحيدة التي تمتلك قدرات عسكرية بعيدة المدى ، وقد برهنت أنها لن تتأخر عن استخدامها ، وفي المواجهة التي بدأت منذ زمن بعيد ، بين الشرق والغرب ، لن تكون حرب الخليج أكثر من مرحلة ، أما الصراع العربي ــ الإسرائيلي ، فلن يكون سوى وجهٍ من وجوهها ، غير أن هذا الوجه ، يضيف إلى المواجهة بُعداً مأساوياً يتعلق بالجذور العميقة لثقافتنا .

لقد أدت هزيمة عبد الناصر إلى تراجعٍ أفضى بدوره إلى تصدع العالم العربي في مواجهة مشروع كامب ديفيد ، ثم راحت الثروات العربية تتركز كلها في الخليج منذ الأزمة البترولية الأولى ، وأعقب ذلك ، اجتياح وانفجار لبنان ، وسيطر الأصوليون على زمام السلطة في إيران ، وأُفلتت خزانات عداء للغرب ، لم يكن يختزنها المد القومي من قبل . ومع الحرب العراقية ــ الإيرانية أصبح الوضع يشكل طوقاً حول البلدان البترولية .

وقد جاء انهيار الاتحاد السوفييتي عام ١٩٩٠ ، ليعطي الولايات المتحدة فرصة لإقامة حد لهذا الوضع الذي بات يحمل مخاطر كبرى على النظام التقليدي في الجزيرة العربية ، وكان هذا هو العامل الرئيسي الذي أدركه جميع المراقبين قبل انفجار الأزمة بوقت طويل .



مصادر الكتاب

١ ــ الكتاب المقدس . العهد القديم .
٢ ــ الخليج مفاتيح لفهم حرب معلنة . آلان غريش . دومينك فيدال .
٣ ــ البارون الألماني . ريخت هوفن .
٤ ــ تاريخ الأقطار العربية الحديث . لوتسكي .
٥ ــ تاريخ الشعوب الإسلامية . كارل بروكلمان .
٦ ــ أصل الشيعة وأصولها . الإمام الأكبر محمد الحسين آل كاشف الغطاء .
٧ ــ فكر . مجلة لبنانية . العدد ٦٩ .
٨ ــ جريدة السفير . جريدة الحياة . جريدة الديار . تواريخ مختلفة .
٩ ــ محاور استراتيجية . نشرة كومبيونشر للدراسات :
دلال قنديل ــ محمد علي كاظم ــ سالم مشكور .
١٠ ــ دراسات عربية . أمن الخليج . كراسة صادرة عن حركة فتح ١٩٧٩ .
١١ ــ شتاء الغضب في الخليج . غابي طبراني .
١٢ ــ الأوراق السرية لحرب الخليج . رولان جاكار .
١٣ ــ الحرب الحقيقية . مذكرات نيكسون .
١٤ ــ هيرالد تريبون عدد ٧ كانون الثاني ١٩٩١ .
١٥ ــ القادة ، بوب وود ورد .
١٦ ــ قصة المدفع العملاق . وليم لوثر .
١٧ ــ حرب الخليج . الملف السري . بيار سالنجر . اريك لوران .
١٨ ــ حرب الخليج . أوهام القوة والنصر . محمد حسنين هيكل .
١٩ ــ التحولات الاجتماعية والطبقية في العالم العربي الحديث . حمدان حمدان .

٢٠ ــ آفاق المستقبل . جاك أتالي .
٢١ ــ وكالة رويتر . تقرير عن البنتاغون يوم ١١/٤/٩٩٢ .
٢٢ ــ الحصاد . جون كودلي .
٢٣ ــ حرب ضد بلد عربي مسلم . مقالة . إدوار سعيد .
٢٤ ــ عاصفة الصحراء . اريك لوران .
٢٥ ــ فكرة ما عن الجمهورية تقودني إلى ... جان بير شوفنمان .
٢٦ ــ إلى أين يسير الاتحاد السوفييتي . آرنست ماندل .
٢٧ ــ جريدة الدستور الأردنية . جريدة الرأي الأردنية . تواريخ مختلفة .
٢٨ ــ مرشح من منشوريا . ريتشارد كوندون .
٢٩ ــ رواية الحج . ليون أوريس .
٣٠ ــ الملك لير . وليم شكسبير .
٣١ ــ نيوزويك في ١/٤/١٩٩١ .
٣٢ ــ ساندي تايمز في ٤/١/١٩٩١ .
٣٣ ــ الصراع على الكويت . الأمن والثروة . رضا هلال .
٣٤ ــ جريدة الأهالي المصرية . تواريخ مختلفة .
٣٥ ــ الكتاب الأبيض . الأردن وأزمة الخليج . عمان ١٩٩١ .
٣٦ ــ علاقات خطرة . أندرو وليسلي كوكبيرن .
٣٧ ــ الغرب ضد العالم الإسلامي . بوندار بوفسكي .
٣٨ ــ حرب كان تجنبها ممكناً . بريماكوف . يوميات .
٣٩ ــ البعد الديني في السياسة الأمريكية . د . يوسف الحسن .
٤٠ ــ الوجيز في تاريخ العدوان الأمريكي . ترجمة عيسى عصفور .
٤١ ــ الخليج . الحرب الخفية . جان بول كروازيه . تيري دانيس .
٤٢ ــ أمريكا تغزو الخليج . وجيه راضي .
٤٣ ــ العلاقات الأمريكية . السعودية . بنسون لي جريسون .
٤٤ ــ حرب الخليج مَنْ المسؤول . د . عودة بطرس عودة .
٤٥ ــ المستقبل العربي . مجلة . العددان : ١٥٦ ــ ١٥٧ .
٤٦ ــ مساومات مع الشيطان . ستيفن غرين .
٤٧ ــ المطرقة والدرع . تشارلز آمرنجر .
٤٨ ــ الخيار شمشون . سيمور هرش .
٤٩ ــ لصوص الحرب . عزيز ــ بكر . المؤسسة العربية للدراسات والنشر .
٥٠ ــ حرب الخليج . الأسلحة والتاكتيكات . إعداد هشام عبد الله .
٥١ ــ شؤون الأوسط . مجلة . عدد تجريبي نيسان ١٩٩١ .

٥٢ ــ المارشال فون رونشتد . سلسلة قادة الحروب .
٥٣ ــ أزمة الخليج وتداعيها على الوطن العربي . مركز دراسات الوحدة العربية .
٥٤ ــ الخليج . رؤية عالمية لمستقبل الشرق الأوسط . مركز الأهرام . الطبعة الأولى .
٥٥ ــ حرب العالَمين الأولى . مقدمة وترجمة صبحي حديدي : ــ
١ ــ نوام شوموسكي
٢ ــ ماري كالدور
٣ ــ هنري كيسنجر

٤ ــ جورج بول
٥ ــ نيل أشرسن
٦ ــ الكساندر كوكبيرن .

٥٦ ــ المسلمون قادمون . مقالة . دانييل بايبس .
٥٧ ــ برهة أحادية القطب . مقالة . شارلز كروتهامر .
٥٨ ــ جدول أعمال ما بعد الحرب . مقالة . هنري كيسنجر .

الفهرس

مقدمة ٨

الفصل الأول: شيء من التاريخ ٩

تاريخ بعيد وقريب، الأبعاد التاريخية لصراعات العراق، البعد الكردي في تراجيديا المنطقة، الشيعة حزن مقيم، الكويت بئر نفط صار دولة.

الفصل الثاني: النفط أولاً.. النفط دائماً ٤٣

خيارات بعد انهيار الشاه، مَنْ يرث القرن، توجهات أمريكية جديدة، تدمير بالجملة.

الفصل الثالث: لم يهطل المطر من غيمة عابرة ٦٧

ثمن القوة، ممنوع على البعض مسموح للبعض الآخر، النتائج بدلاً من الاستنتاج، مشروع التهديد والتهديد المشروع، غالاسبي وحيدة في منطقة التاريخ، جدة والقشة التي قصمت ظهر البعير.

الفصل الرابع: الاجتياح ١٦٥
لقد اجتازوا الحدود سيدي، بندر: وطن السفارة لا سفارة الوطن، ضراوة القرارات الأمريكية باسم مجلس الأمن، مع نائب السفيرة الغائبة، قمة القاهرة سيناريو تم تلقينه، هل قررت أمريكا الحرب سلفاً، رسالة من غريب، قوات عربية تقطع آلاف الأميال مع عتادها الثقيل.. كيف تم نقلها؟
الفصل الخامس: وجهاً لوجه مع التحالف ٢٦٩
الى ايران: ها هنا قوى الاستكبار أمامنا، قرار الحصار، رهائن الغرب مشكلة شعب العراق المحاصر ليس مشكلة، اسرائيل لاتحب الربط، لقاء في هلسنكي، لغة الاشارات مع المتنبي الكاذب، زلة لسان أم ماذا؟ تركيا على خط التحولات، الباليه الفرنسية بين ميتران وشوفنمان، بريماكوف في بغداد، مجزرة في مدينة السلام، هجوم من أربع مراحل، بوش بين خيار الآن المبكر والغد المتأخر.
الفصل السادس: من درع الصحراء الى عاصفة الصحراء ٣٨٧
جلسة الخيار الهجومي، الحرب الباردة في حفلة تأبينها، جولات في اجتماع باريس، قرار الشرعية الدولية.. لأجيال العرب، مستندات لاهوتية لحرب بوش، دبلوماسية المدفع تعود من جديد: جنيف.
الفصل السابع: كتب عليكم القتال ٥٣١
فوضى في خلايا الأزمة، تصعيد القصف الجوي، طائرات الوديعة العراقية، موقف وموقف، نتائج القصف والتقديرات المتضاربة، بريماكوف في بغداد، غورباتشوف وثمن الجائزة، بوش: أنت سافل وغير أخلاقي، الهجوم البري بعد ست قنابل نووية، مغامرات النظر في موضوع الحرب، مَنْ يستفيد من لبننة العراق، حسابات أمريكية لما بعد الخليج، مبادرات السلام في اللحظة الأفضل، ثم ماذا.. عن النتائج؟
الفصل الثامن: نظام عالمي برأس واحد ٦٥١
قتامة وجه العالم الجديد، قرن السلام الروماني، البريطاني، أعظم دولة في العالم.. مريضة، على خارطة عالم مقبل أين يقع العرب؟ نحن هنا.. والخليج بيننا.

الفصل الأخير: ملحق، مختارات من كتاب شوفنيان ٦٧٧

مقدمة المختارات، فكرة ما عن الجمهورية تقودني إلى... نتائج انهيار امبراطورية، قصة حرب معلنة، أهدافنا ليست أهداف أمريكا واسرائيل، أمريكا قررت الحرب سلفاً، مباراة ليّ الذراع، مشاة فرنسا يبحرون دون علمي، هل جاءت استقالتي كوزير للدفاع متأخرة، نص كتاب استقالتي.

الخليج بيننا

قطرة نفط بقطرة دم

● لأربع مرات في غضون قرن ، ابتداءً من محمد علي باشا ومروراً بالشريف حسين ، فعبد الناصر ، وانتهاء بصدام حسين ، يحطم الغرب بوحشية السلاح ، حلم نهضة عربية .. ودخولاً عريضاً إلى خط صناعة التاريخ العالمي المعاصر . (شوفينان)

● على مقربة من حفلة الخليج ، كان يجري أكبر ماراثون للرشوة في تاريخ العالم ، حيث تباع المواقف ، مثل البضائع تماماً ، إثر ترويج خسيس لها اسمه الإعلام الغربي .

● سقط من الرجال ما هو بعدد سكان الكويت وأكثر من مجموع قيمته ، لذلك استحق أن يكون حق دم . فوق ما هو حق تاريخ للعراق .

● حين يتفاعل بركان سبارتاكوس العراقي ضد روما الجديدة سينغلق التاريخ في إحدى دوراته من جديد .. وهو بمثابة قانون للتناوب ، لا مجرد أمنيات طائرة في الهواء .. فروما التاريخ هزمت على يد العبيد ، وروما الحاضر ستهزم على يد مماثلة ... أقصد على يد عدالة التاريخ نفسه .

● من هنا وإلى هناك وحتى تتداعى مدن الرمال النفطية :
نحن هنا ... والخليج بيننا .

□

التوزيع : مكتبة بيسان ـ هاتف /865126/ ـ ص . ب / 13-5261/ ـ بيروت .